الطبعة الاولى

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

بيروت - لبنان

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢

ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة

ذكر القبض على الأمير منصور ابن نوح وملك أخيه عبد الملك

في هذه السنة قُبِضَ على الأمير منصور بن نوح بن منصور السّاماني صاحب بُخارى وما وراء النهر ، وملك أخوه عبد الملك ، وسبب قبضه ما ذكرناه من قصد محمود بن سبكتكين بكتوزون بخراسان وعوده عن نيسابور إلى مرو الروذ ، فلما نزلها سار بكتوزون إلى الأمير منصور ـ وهو بسرخس ـ فاجتمع به فلم يرَ من إكرامه وبره ما كان يؤمله ، فشكا ذلك إلى فائق فقابله فائق بأضعاف شكواه ، فاتفقا على خلعه من الملك وإقامة أخيه مقامه ، وأجابهما إلى ذلك جماعة من أعيان العسكر . فاستحضره بكتوزون بعلة الاجتماع لتدبير ماهم بصدده من أمر محمود ـ فلما اجتمعوا به قبضوا عليه وأمر بكتوزون من سمله ، فأعماه ولم يراقب الله ولا إحسان مواليه وأقاموا أخاه عبد الملك مقامه في الملك ـ وهو صبي صغير ـ وكانت مدة ولاية منصور سنة وسبعة أشهر . وماج الناس بعضهم في بعض . وأرسل محمود إلى فائق ، وبكتوزون يلومهما ويقبِّح فعلهما ، وقويت نفسه على لقائهما وطمع في الاستقلال بالملك فسار عنهما عازماً على القتال .

ذكر استيلاء يمين الدولة محمود بن سبكتكين على خراسان

لما قبض الأمير منصور سار محمود نحو فائق ، وبكتوزون ، ومعهما عبد الملك بن نوح ، فلما سمعوا بمسيره ساروا إليه ، فالتقوا بمرو آخر جُمادى الأولى واقتتلوا أشد قتال رآه الناس إلى الليل فانهزم بكتوزون ، وفائق ومن معهما . فأما عبد الملك ، وفائق فإنهما لحقا ببُخارى . وقصد بكتوزون نيسابور ، وقصد أبو

القاسم بن سيمجور[١] قهستان . فرأى محمود أن يقصد بكتوزون ، وأبا القاسم ويعجلهما عن الاجتماع والإحتشاد ، فسار إلى طوس فهرب منه بكتوزون إلى نواحي جرجان ، فأرسل محمود خلفه أكبر قواده وأمرائه ـ وهو أرسلان الجاذب ـ في عكسر جرار فاتبعه حتى ألحقه بجرجان ، وعاد فاستخلفه محمود على طوس ، وسار إلى هراة ، فلما علم بكتوزون بمسير محمود عن نيسابور عاد إليها فملكها ، فقصده محمود فأجفل من بين يديه إجفال الظليم ، واجتاز بمرو فنهبها وسار عنها إلى بُخارى . واستقرّ ملك محمود بخراسان ، فأزال عنها اسم السَّامانية وخطب فيها للقادر بالله ، وكان إلى هذا الوقت لا يخطب له فيها إنما كان يخطب للطائع لله ، واستقل بملكها منفرداً ، وتلك سنة الله تعالى يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء .

وولى محمود قيادة جيوش خراسان أخاه نصراً وجعله بنيسابور على ما كان يليه آل سيمجور للسامانية . وسار هو إلى بلخ مستقر والده فاتخذها دار ملك ، واتفق أصحاب الأطراف بخراسان على طاعته كآل فريغون أصحاب الجوزجان ـ ونحن نذكرهم إن شاء الله تعالى ـ وكالشار الشاه صاحب غرشتان[٢] ، ونحن نذكر ههنا أخبار هذا الشار ، فاعلم أن هذا اللقب ـ وهو الشار ـ لقب كل من يملك بلاد غرشتان ككسرى للفرس ، وقيصر للروم ، والنجاشي للحبشة ، وكان الشار أبو نصر قد اعتزل الملك وسلمه إلى ولده الشاه ـ وفيه لوثة وهوج ـ واشتغل والده أبو نصر بالعلوم ومجالسة العلماء، ولما عصا أبو علي بن سيمجور على الأمير نوح أرسل إلى غرشتان من حصرها ، وأجلى عنها الشاه الشار ، ووالده أبا نصر ، فقصدا حصناً منيعاً في آخر ولايتهما فتحصنا به إلى أن جاء سبكتكين إلى نصرة الأمير نوح، فنزلا إليه وأعاناه على أبي علي ، وعادا إلى ملكهما ، فلما ملك الآن يمين الدولة محمود خراسان أطاعاه وخطبا له ، ثم إن يمين الدولة بعد هذا أراد الغزوة إلى الهند ، فجمع لها وتجهز وكتب إلى الشاه الشار يستدعيه ليشهدَ معه غزوته ، فامتنع وعصى .

---

(١) في بعض الكتب ابن سمجور .

(٢) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وشين معجمة مكسورة وسين مهملة وتاء مثناة من فوق وآخره نون ، يراد به النسبة الى غرش معناه موضع الغرش . ويقال : غرشتان بفتح أوله وكسر ثانيه ، وهي : ولاية برأسها ليس لها سلطان ولا لسلطان عليها سبيل ، هراة في غربيها والغور في شرقيها ومرو الروذ عن شماليها وغزنة عن جنوبيها معجم البلدان ٤/١٩٣ .

فلما فرغ من غزوته سيَّر إليه الجيوش ليملكوا بلاده ، فلما دخلوا البلاد طلب والده أبو نصر الأمان ، فأجيب إلى ذلك ، وحمل إلى يمين الدولة ، فأكرمه واعتذر أبو نصر بعقوق ولده وخلافه عليه، فأمره بالمقام بهراة متوسعاً عليه إلى أن مات سنة اثنتين وأربعمائة . وأما ولده الشاه ، فإنه قصد ذلك الحصن الذي احتمى به على أبي علي فأقام به ومعه أمواله وأصحابه ،فحصره عسكر يمين الدولة في حصنه ونصبوا عليه المجانيق ، والحوا عليه بالقتال ليلاً ونهاراً ، فانهدمت أسوار حصنه وتسلّق العسكر إليه ، فلما أيقن بالعطب طلب الأمان والعسكر يقاتله ، فلم يزل كذلك حتى أُخِذَ أسيراً وحُمِلَ إلى يمين الدولة، فضُرب تأديباً له، ثم أودِع السجن إلى أن مات وكان موته قبل موت والده . ورأيت عدة مجلدات من كتاب التهذيب للأزهري في اللغة بخطه ، وعليه ما هذه نسخته يقول : محمد بن أحمد بن الأزهري قرأ على الشار أبو نصر هذا الجزء من أوله إلى آخره ، وكتبه بيده صح ، فهذا يدل على إشتغاله وعلمه بالعربية فإن من يصحب مثل الأزهري ويقرأ كتابه التهذيب يكون فاضلاً .

ذكر انقراض دولة السامانية وملك الترك وما وراء النهر

في هذه السنة انقرضت دولة آل سامان على يد محمود بن سبكتكين وأيلك الخان التركي ـ واسمه أبو نصر أحمد بن علي ولقبه شمس الدولة ـ فأما محمود فإنه ملك خراسان كما ذكرناه ، وبقي بيد عبد الملك بن نوح ما وراء النهر ، فلما انهزم من محمود قصد بُخارى ، واجتمع بها هو وفائق ، وبكتوزون ، وغيرهما من الأمراء والأكابر فقويت نفوسهم ، وشرعوا في جمع العساكر وعزموا على العود إلى خراسان فاتفق أن مات فائق وكان موته في شعبان من هذه السنة ، فلما مات ضعفت نفوسهم ووهنت قوتهم فإنه كان هو المشار إليه من بينهم ، وكان خصياً من موالي نوح بن نصر . وبلغ خبرهم إلى ايلك الخان فسار في جمع الأتراك إلى بُخارى ، وأظهر لعبد الملك المودة والموالاة والحميةله ، فظنوه صادقاً ولم يحترسوا منه ، وخرج إليه بكتوزون وغيره من الأمراء والقواد ، فلما اجتمعوا قبض عليهم ، وسار حتى دخل بُخارى يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة من هذه السنة ، فلم يدر عبد الملك ما يصنع لقلة عدده فاختفى ، ونزل ايلك الخان دار الإمارة وبثّ الطلب والعيون على عبد الملك حتى ظفر به ، فأودعه بأفكند فمات بها ، وكان آخر ملوك السامانية وانقضت دولتهم على يده ،

كأن لم تغن بالأمس كدأب الدول قبلها إن في ذلك لعبرة لأَوَلي الأبصار ، وحُبِسَ معه أخوه أبو الحرث منصور بن نوح الذي كان في الملك قبله وأخواه أبو إبراهيم إسماعيل ، وأبو يعقوب ابناء نوح وأعمامه أبو زكريا ، وأبو سليمان ، وغيرهم من آل سامان وأفرد كل واحد منهم في حجرة ، وكانت دولتهم قد انتشرت وطبقت كثيراً من الأرض من حدود جلوان إلى بلاد الترك بما وراء النهر ـ وكانت من أحسن الدول سيرة وعدلاً ، وهذا عبد الملك هو عبد الملك بن نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل كلهم ملكوا . وكان منهم من ليس مذكوراً في هذا النسب عبد الملك بن نوح بن نصر ملك قبل أخيه منصور بن نوح المذكور . وكان منهم أيضاً منصور بن نوح بن منصور أخو عبد الملك هذا الأخير الذي زال الملك في ولايته ولي قبله .

ذكر ملك بهاء الدولة فارس وخوزستان

في هذه السنة دخل الديلم الذين مع أبي علي بن أستاذ هرمز بالأهواز في طاعة بهاء الدولة ، وكان سبب ذلك ان ابني بختيار لما قتلا صمصام الدولة ، كما تقدم وملكا بلاد فارس ، كتبا إلى أبي علي بن أستاذ هرمز بالخبر ، ويذكران تعويلهما عليه ، واعتضادهما به ، ويأمرانه بأخذ اليمين لهما على من معه من الديلم ، والمقام بمكانه ، والجد بمحاربة بهاء الدولة ، فخافهما أبو علي لما كان أسلفه إليهما من قبل أخويهما ، وأسرهما فجمع الديلم الذين معه وأخبرهم الحال ، واستشارهم فيما يفعل . فأشاروا بطاعة ابني بختيار ومقاتلة بهاء الدولة ، فلم يوافقهم على ذلك ، ورأى أن يراسل بهاء الدولة ويستميله ويحلفه لهم فقالوا : إنا نخاف الأتراك وقد عرفت ما بيننا وبينهم ، فسكت عنهم وتفرقوا » .

وراسله بهاء الدولة يستميله ويبذل له وللديلم الأمان والإحسان وترددت الرسل . وقال بهاء الدولة : « إن ثأري ، وثأركم عند من قتل أخي فلا عذر لكم في التخلف عن الأخذ بثأره » ، واستمال الديلم ، فأجابوه إلى الدخول في طاعته ، وأنفذوا جماعة من أعيانهم إلى بهاء الدولة ، فحلفوه واستوثقوا منه ، وكتبوا إلى أصحابهم المقيمين بالسوس بصورة الحال ، وركب بهاء الدولة من الغد إلى باب السوس رجاء أن يخرج من فيه إلى طاعته ، فخرجوا إليه في السلاح ، وقاتلوه قتالاً شديداً لم يقاتلوا مثله ،

فضاق صدره ، فقيل له : إن هذه عادة الديلم أن يشتد قتالهم عند الصلح لئلا ينظر بهم أنهم سلَّموا عن عجز أو ضعف ثم كفوا عن القتال وأرسلوا من يحلف لهم ونزلوا إلى خدمته واختلط العسكران وساروا إلى الأهواز . فقرّر أبو علي بن إسماعيل أمورها وقسّم الإقطاعات بين الأتراك والديلم . ثم ساروا إلى رامهرمز ، فاستولوا عليها وعلى أرجان وغيرها من بلاد خوزستان ، وسار أبو علي بن إسماعيل إلى شيراز ، فنزل بظاهرها فخرج إليه ابنا بختيار في أصحابهما فحاربوه ، فلما اشتدَّت الحرب مال بعض من معهما إليه ، ودخل بعض أصحابه البلد ، ونادوا بشعار بهاء الدولة .

وكان النقيب أبو أحمد الموسوي بشيراز قد وردها رسولاً من بهاء الدولة إلى صمصام الدولة . فلما قتل صمصام الدولة كان بشيراز . فلما سمع النداء بشعار بهاء الدولة ظنَّ أن الفتح قد تمَّ ، فقصد الجامع وكان يوم الجمعة ، وأقام الخطبة لبهاء الدولة . ثم عاد ابنا بختيار واجتمع إليهما أصحابهما ، فخاف النقيب ، فاختفى وحمل في سلة إلى أبي علي بن إسماعيل . ثم إن أصحاب ابني بختيار قصدوا أبا علي ، وأطاعوه فاستولى على شيراز وهرب ابنا بختيار . فأما ابو نصر فإنه لحق ببلاد الديلم ، وأما الثاني وهو أبو القاسم ، فلحق ببدر بن حسنويه ثم قصد البطيحة . ولما ملك أبو علي شيراز ، كتب إلى بهاء الدولة بالفتح فسار إليها ونزلها . فلما استقرَّ بها أمر بنهب قرية الدودمان ، وإحراقها ، وقتل كل من كان بها من أهلهم ، فاستأصلهم ، وأخرج أخاه صمصام الدولة وجدد أكفانه ، وحمل إلى التربة بشيراز فدُفِنَ بها ، وسيَّر عسكراً مع أبي الفتح أستاذ هرمز إلى كرمان ، فملكها ، وأقام بها نائباً عن (بهاء الدولة إلى ههنا آخر ما في ذيل الوزير أبي شجاع رحمه الله) .

ذكر مسير باديس إلى زناتة

في هذه السنة منتصف صفر أمر باديس بن المنصور صاحب أفريقية نائبه محمد بن أبي العرب بالتجهُّز والاستكثار من العساكر ، والعدد والمسير إلى زناتة . وسبب ذلك أن عمه يطوفت كتب إليه يعلمه أن زيري بن عطية الملقب بالقرطاس ـ وقد تقدم ذكره ـ نزل عليه بتاهرت محارباً . فأمر محمداً بالتجهُّز إليه ، فسار في عساكر كثيرة حتى وصل إلى أشير ـ وبها حمّاد بن يوسف عم باديس كان قد أقطعه إياها باديس ـ فرحل حماد معه ، فوصل إلى تاهرت واجتمعا بيطوفت ، وبينهم وبين زيري بن عطية

مرحلتان . فزحفوا إليه فكانت بينهما حروب عظيمة . وكان أكثر عسكر حمّاد يكرهونه لقلّةِ عطائه . فلما اشتد القتال انهزموا ، فتبعهم جميع العسكر ، فأراد محمد بن أبي العرب أن يرد الناس ، فلم يقدر على ذلك وتمت الهزيمة . وملك زيري بن عطية مالهم وعددهم ، ورجعت العساكر ، إلى أشير .

وبلغ خبر الهزيمة إلى باديس فرحل . فلما قارب طبنة بعث في طلب فلفل بن سعيد فخاف فأرسل يعتذر إليه وطلب عهداً بإقطاع مدينة طبنة ، فكتب له وسار باديس . فلما أبعد قصد فلفل مدينة طبنة ، وغلب على ما حولها . وقصد باغاية فحصرها وباديس سائر إلى أشير .

فلما سمع زيري بن عطية بأنه قد قَرُبَ منه رحل إلى تاهرت فقصده باديس فسار زيري إلى العرب . فلما سمع باديس برحيله استعمل عمه يطوفت على أشير وأعطاه أموالاً وعدداً ، وعاد إلى أشير فبلغه ما فعل فلفل بن سعيد ، فأرسل إليه العساكر وبقي يطوفت على أشير وأعطاه أموالاً وعدداً ، وعاد إلى أشير فبلغه ما فعل فلفل بن سعيد ، فأرسل إليه العساكر وبقي يطوفت ومعه أعمامه وأولاد أعمامه .فلما أبعد عنهم باديس عصوا وخالفوا عليه منهم ماكسن، وزاوي، وغيرهما. وقبضوا على يطوفت وأخذوا جميع ما معه من المال ، فهرب من أيديهم وعاد إلى باديس .

وأما فلفل بن سعيد فإنه لما وصل إليه العسكر المُسَيَّرُ إلى قتاله لقيهم وقاتلهم وهزمهم وقتل فيهم ، وسار يطلب القيروان ، فسار عند ذلك باديس إلى باغاية ، فلقيه أهلها فعرفوه ما قاسوه من قتال فلفل ، وأنه حصرهم خمسة وأربعين يوماً ، فشكرهم ووعدهم الإحسان ، وسار يطلب فلفلاً فوصل إلى مرمجنة، وسار فلفل إليه في جمع كثير من البربر ، وزناتة ، ومعه كل من في نفسه حقد على باديس ، وأهل بيته فالتقوا بوادي أغلان. وكان بينهم حرب عظيمة لم يسمع بمثلها وطال القتال بينهم ، وصبر الفريقان ، ثم أنزل الله نصره على باديس وصنهاجة ، وانهزم البربر وزناتة هزيمة قبيحة ، وانهزم فلفل فأُبْعِدَ في الهزيمة وقتل من زويلة تسعة آلاف قتيل سوى من قتل من البربر، وعاد باديس إلى قصره ، وفرح أهل القيروان لأنهم خافوا أن يأتيهم فلفل . ثم إن عمومة باديس اتصلوا بفلفل وصاروا معه على باديس . فلما سَمِعَ باديس بذلك سار إليهم . فلما وصل قصر الأفريقي وصله أن عمومته فارقوا فلفلاً ، ولم يبقَ معه سوى ماكسن بن زيري ، وذلك أول سنة تسعين وثلاثمائة .

ذكر ملك الحاكم طرابلس الغرب وعودها إلى باديس

كان لباديس نائب بطرابلس الغرب فكاتب الحاكم بأمر الله بمصر ، وطلب أن يسلِّم إليه طرابلس ، ويلتحقَ به ، فأرسل إليه الحاكم يأنس الصقلي ، وكان خصيصاً بالحاكم وهو المتولي لبلاد برقة ، فوصل يأنس وتسلَّم طرابلس وأقام بها وذلك سنة تسعين ، فأرسل باديس إلى يأنس يسأله عن سبب وصوله إلى طرابلس ، وقال له : إن كان الحاكم استعملك عليها ، فارسل العهد لاقفَ عليه فقال يأنس : إنما أرسلني معيناً ونجدة إن احتيج إلي ومثلي لا يطلب منه عهد بولاية لمحلي من دولة الحاكم . فسيَّر إليه جيشاً فلقيهم يأنس خارج طرابلس ، فقتل في المعركة وانهزم أصحابه ، ودخلوا طرابلس فتحصنوا بها ، وكان قد قتل منهم في المعركة كثير ، ونزل عليهم الجيش وحصرهم ،وأرسلوا الى الحاكم يستمدونه فجهَّزَ جيشاً عليهم يحيى بن علي الأندلسي ، وسيَّرهم إلى طرابلس ، وأطلق لهم مالاً على برقة ، فلم يجد يحيى فيها مالاً فاختلت حاله . فسار إلى فلفل ـ وكان قد دخل إلى طرابلس واستولى عليها ـ فأقام معه فيها ، واستوطنها من ذلك الوقت ، وسنذكر باقي خبرهم سنة ثلاث وتسعين .

وفي سنة إحدى وتسعين سار ماكسن بن زيري عم أبي باديس إلى أشير ، وبها ابن اخيه حماد بن يوسف بلكين ، فكان بينهما حرب شديدة قُتِلَ فيها ماكسن وأولاده محسن ، وباديس ، وحباسة . وتوفي زيري بن عطية بعد قتل ماكسن بتسعة أيام .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عاشر ربيع الأول انقض كوكب عظيم ضحوة نهار.

وفيها عمل أهل باب البصرة يوم السادس والعشرين من ذي الحجة زينة عظيمة ، وفرحاً كثيراً ، وكذلك عملوا ثامن عشر المحرم مثل ما يعمل الشيعة في عاشوراء . وسبب ذلك أن الشيعة بالكرخ كانوا ينصبون القباب ، وتعلق الثياب للزينة اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، وهو يوم الغدير . وكانوا يعملون يوم عاشوراء من المأتم والنوح ، وإظهار الحزن ما هو مشهور . فعمل أهل باب البصرة في مقابل ذلك بعد يوم الغدير بثمانية أيام مثلهم وقالوا : هو يوم دخل النبي ﷺ . وأبو بكر رضي الله عنه الغار[1] .

---

(١) قال العلامة ابن كثير : وهذا أيضاً جهل من هؤلاء فإن هذا إنما كان في اوائل ربيع الأول من أول سني =

وعملوا بعد عاشوراء بثمانية أيام مثل ما يعملون يوم عاشـوراء وقالـوا : هو يـوم قتل مصعب بن الزبير .

وتوفي هذه السنة أحمد بن محمد بن عيسى أبو محمد[١] السرخسي المقـري الفقيه الشافعي ـ وهو من أصحاب أبي إسحاق المروزي ـ وله رواية للحديث أيضاً. وكان شيخ خراسان في زمانه . وقرأ القرآن على ابن مجاهد والأدب على ابن الأنباري ، ومات وله ست وتسعون سنة ، وعبدالله بن محمد بن إسحاق بن سليمان أبو القاسم البزاز المعروف بابن حبابة ، وكان شيخ الحنابلة في زمانه[٢].

= الهجرة فإنهما أقاما في الغار ثلاثاً وحين خرجا منه قصدا المدينة فدخلاها بعد ثمانية ايام أو نحوها . وكان دخولهما المدينة في اليـوم الثاني عشـر من ربيع الأول وهـذا أمر معلوم مقـرر محرر، البداية والنهـاية ٣٤٧/١١ .

(١) وقع هنا «احمد بن محمد بن عيسى أبو محمد» وفي البداية والنهاية «زاهد بن عبدالله بن احمد بن محمد بن عيسى » وفي النجوم الزاهرة « زاهـر بن احمد بن محمـد بن عيسى أبو علي » وفي طبقـات الشافعي لتاج الدين السبكي « زاهر بن احمد بن محمد بن عيسى أبو علي » والصحيح زاهر ، روى عنه ائمة أعلام منهم أبو عثمان الصابوني ، وأبو عثمان سعيد بن محمد البحتـري ، وكريمـة الكشميهينية المجاورة . وأخذ علم الكلام عن الشيخ أبي الحسن الأشعري . قال الحاكم فيه : الفقيه المحدث شيخ عصره بخراسان توفي يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الآخر . وكان يقول عند الموت : لعن الله المعتزلة موَّهوا ومخرقوا .

(٢) ولد ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين وروى عن البغوي ، وابي بكر بن ابي داود وطبقتهما . وكان ثقة مأموناً مسنداً . وهو الراوي الجعديات عن البغوي . قال ابن كثير : مات في جمادى الأولى من هذه السنة عن تسعين سنة وصلى عليه الشيخ أبو حامد الأسفرائني شيخ الشافعية دفن في مقابر جامع منصور . البداية والنهاية ٣٤٨/١١ . وقال في شذرات الذهب ١٣٢/٣ : توفي في ربيع الآخر .

ثم دخلت سنة تسعين وثلاثمائة

ذكر خروج إسماعيل بن نوح وما جرى له بخراسان

في هذه السنة خرج أبو إبراهيم إسماعيل بن نوح من محبسه . وكان قد حبسه أيلك الخان لمَّا ملك بُخارى مع جماعة من أهله ، وسبب خلاصه أنه كان تأتيه جارية تخدمه ، وتتعرف أحواله ، فلبس ما كان عليها وخرج ، فظنه الموكلون الجارية . فلما خرج استخفى عند عجوز من أهل بُخارى . فلما سكن الطلب عنه سار من بُخارى إلى خوارزم ، وتلقب المنتصر واجتمع إليه بقـايا القـواد السامـانية ، والأجنـاد ، فكثَّفَ جمعه ، وسيَّر قائداً من أصحابه في عسكر إلى بُخارى ، فبيت من بها من أصحاب ايلك الخان فهزمهم وقتل منهم . وكبس جماعة من أعيانهم مثل جعفر تكين وغيره ، وتبع المنهزمين نحو ايلك الخان إلى حدود سمرقند فلقي هناك عسكراً جراراً جعلهـم ايلك الخان يحفظون سمرقند . فانضاف إليهم المنهزمون ولقـوا عسكر المنتصـر ، فانهزم ايضاً عسكر ايلك الخان ، وتبعهم المنتصر ، فغنموا أثقالهم فصَلُحَتْ أحوالهم بها ، وعادوا إلى بُخارى ، فاستبشر أهلها بعودِ السامانية . ثم إن ايلك جمع الترك وقصدَ بُخارى فانحاز من بها من السامانية وعبروا النهر إلى آمل الشط فضاقت عليهم فساروا هم والمنتصر نحو أبيورد ، فملكها وجبوا أموالها . وساروا نحو نيسابور ـ وبها منصور بن سبكتكين نائباً عن أخيه محمود ـ فالتقوا قريب نيسابور في ربيـع الآخر ، فاقتتلوا فانهزم منصور وأصحابه وقصدوا هراة . وملك المنتصر نيسابور وكثر جمعه . وبلغ يمين الدولة الخبر ، فسار مجدًّا نحو نيسابور . فلما قاربها سار عنها المنتصر إلى أسفراين ، فلما أزعجه الطلب سار نحو شمس المعالي قابوس بن وشكمير ملتجئاً إليه ومتكثراً به . فأكرم مورده ، وحمل إليه شيئاً كثيراً . وأشار على المنتصر بقصد الري إذ كانت ليس بها من يذبُّ عنها لاشتغال أصحابها باختلافهم ، ووعده بأن ينجده بعسكر

جرار مع أولاده ، فقبل مشورته وسار نحو الرّي ، فنازلها فضعف من بها عن مقاومته إلا أنهم حفظوا البلد منه ، ودسوا إلى أعيان عسكره كأبي القاسم بن سيمجور وغيره ، وبذلوا لهم الأموال ليردوه عنهم ففعلوا ذلك . وصغروا أمر الري عنده وحسَّنوا له العود إلى خراسان ، فسار نحو الدامغان وعاد عنه عسكر قابوس . ووصل المنتصر إلى نيسابور في آخر شوال سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة فجبى له الأموال بها . فأرسل إليه يمين الدولة جيشاً ، فلقوه فانهزم المنتصر ! وسار نحو أبيورد ، وقصد جرجان فردَّه شمس المعالي عنها . فقصد سرخس وجبى أموالها وسكنها فسار إليه منصور بن سبكتكين من نيسابور فالتقوا بظاهر سرخس ، واقتتلوا . فانهزم المنتصر وأصحابه ، وأسر أبو القاسم علي بن محمد بن سيمجور ، وجماعة من أعيان عسكره ، وحملوا إلى المنصور . فسيَّرهم إلى غزنة وذلك في ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين.

وسار المنتصر تائهاً حتى وافى الأتراك الغزية ـ ولهم ميل إلى آل سامان ـ فحركتهم الحمية ، واجتمعوا معه وسار بهم نحو ايلك الخان ، وكان ذلك في شوال سنة ثلاث وتسعين ، فلقيهم ايلك بنواحي سمرقند ، فهزموه واستولوا على أمواله وسواده ، وأسروا جماعة من قواده ، وعادوا إلى أوطانهم ، واجتمعوا على إطلاق الأسرى تقرُّباً إلى أيلك الخان بذلك . فعلم المنتصر ، فاختار من أصحابه جماعة يثق بهم ، وسار بهم فعبر النهر ، ونزل بآمل الشط ، فلم يقبله مكان ، وكلما قصد مكاناً ردَّه أهله خوفاً من معرته ، فعاد وعبر النهر إلى بُخارى وطلب واليها لايلك الخان ، فلقيه واقتتلوا . فانهزم المنتصر إلى دبوسية وجمع بها . ثم عاودهم ، فهزمهم وخرج إليه خلق كثير من فتيان سمرقند ، وصاروا في جملته ، وحمل له أهلها مالاً وغيره والآلات والثياب والدواب وغير ذلك . فلما سمع ايلك الخان بحاله جمع الأتراك ، وسار إليه في قضه وقضيضه ، والتقوا بنواحي سمرقند ، واشتدَّتْ الحرب بينهم فانهزم ايلك الخان ، وكان ذلك في شعبان سنة أربع وتسعين ، وغنموا أمواله ودوابه .

وعاد ايلك الخان إلى بلاد الترك ، فجمع وحشد وعاد إلى المنتصر . فوافق عوده تراجع الغزية الذين كانوا مع المنتصر إلى أوطانهم . وقد زحف جمعه فاقتتلوا بنواحي أسروشنة ، فانهزم المنتصر وأكثر الترك في أصحابه القتل . وسار المنتصر منهزماً حتى عبر النهر ، وسار إلى الجوزجان فنهب أموالها ، وسار يطلب مرو ، فسير يمين الدولة

العساكر ففارق مكانه وسار وهم في أثره حتى أتى بسطام ، فأرسل إليه قابوس عسكراً أزعجه عنها . فلما ضاقت عليه المذاهب عاد إلى ما وراء النهر ، فعبر أصحابه وقد ضجروا وسئموا من السَّهر والتعب والخوف ففارقه كثير منهم إلى بعض أصحاب ايلك الخان ، فأعلموهم بمكانه فلم يشعر المنتصر إلّا وقد أحاطت به الخيل من كل جانب ، فطاردهم ساعة ثم ولاهم الدبر ، وسار فنزل بحلة من العرب في طاعة يمين الدولة ، وكان يمين الدولة قد أوصاهم بطلبه . فلما رأوه أمهلوه حتى أظلم الليل ثم وثبوا عليه ، فأخذوه وقتلوه . وكان ذلك خاتمة أمره . وإنما أوردت حادثة هذه السنة لترد متتابعة فلو تفرقت في السنين لم تعلم على هذه الصورة لقلتها .

ذكر محاصرة يمين الدولة سجستان

في هذه السنة سار يمين الدولة إلى سجستان وصاحبها خلف بن أحمد فحصره بها . وكان سبب ذلك أن يمين الدولة لما اشتغل بالحروب التي ذكرناها سيَّر خلف بن أحمد ابنه طاهراً إلى قهستان فملكها ، ثم سار منها إلى بوشنج فملكها ـ وكانت هي وهراة لبغراجق عم يمين الدولة ـ فلما فرغ يمين الدولة من تلك الحروب استأذنه عمه في إخراج طاهر بن خلف من ولايته ، فأذِنَ له في ذلك ، فسار إليه فلقيه طاهر بنواحي بوشنج ، فاقتتلوا فانهزم طاهر ولجَّ بغراجق في طلبه ، فعطف عليه طاهر فقتله ، ونزل إليه وأخذ رأسه ، فلما سمع يمين الدولة بقتل عمه عظم عليه وكبر لديه ، وجمع عساكره ـ وسار نحو خلف بن أحمد فتحصَّن منه خلف بحصن أصبهبذ ـ وهو حصن يناطح النجوم علواً وارتفاعاً ـ فحصره فيه وضيَّق عليه ، فذلّ وخضع وبذل أموالاً جليلة لينفس عن خناقه ، فأجابه يمين الدولة إلى ذلك وأخذ رهنه على المال .

ذكر قتل ابن بختيار بكرمان واستيلاء بهاء الدولة عليها

في هذه السنة في جُمادى الآخرة قتل الأمير أبو نصر بن بختيار الذي كان قد استولى على بلاد فارس . وسبب قتله أنه لما انهزم من عسكر بهاء الدولة بشيراز سار إلى بلاد الديلم ، وكاتب الديلم بفارس ، وكرمان من هناك يستميلهم . وكاتبوه واستدعوه . فسار إلى بلاد فارس ، واجتمع عليه جمع كثير من الزط ، والديلم ، والأتراك ، وتردَّدَ في تلك النواحي ، ثم سار إلى كرمان فلم يقبله الديلم الذين بها ،

وكان المقدم عليهم أبو جعفر بن أستاذ هرمز . فجمع وقصد أبا جعفر ، فالتقيا فانهزم أبو جعفر إلى السيرجان ، ومضى ابن بختيار إلى جيرفت ، فملكها وملك أكثر كرمان ، فعظم الأمر على بهاء الدولة ، فسيَّر إليه الموفق علي بن إسماعيل في جيش كثير وسار مجدًّاً حتى أطلّ على جيرفت ، فاستأمنَ إليه من بها من أصحاب ابن بختيار ودخلها ، فأنكر عليه من معه من القواد سرعة سيره ، وخوفوه عاقبة ذلك فلم يصغ إليهم ، وسأل عن حال ابن بختيار فأخِبرَ أنه على ثمانية فراسخ من جيرفت ، فاختار ثلاثمائة رجل من شجعان أصحابه ، وسار بهم وترك الباقين مع السواد بجيرفت ، فلما بلغ ذلك المكان لم يجده ، ودل عليه فلم يزل يتبعه من منزل إلى منزل حتى لحقه بدارزين ، فسار ليلاً وقدَّر وصوله إليه عند الصبح فأدركه . فركب ابن بختيار واقتتلوا قتالاً شديداً، وسار الموفق في نفر من غلمانه فأتى ابن بختيار من ورائه ، فانهزم ابن بختيار وأصحابه ووضع فيهم السيف ، فقتل منهم الخلق الكثير ، فغدر بابن بختيار بعض أصحابه وضربه بلت ، فألقاه ، وعاد إلى الموفق ليخبره بقتله ، فأرسل معه من ينظر إليه فرآه وقد قتله غيره ، وحُمِلَ رأسه إلى الموفق ، واكثر الموفق القتل في أصحاب ابن بختيار ، واستولى على بلاد كرمان واستعمل عليها أبا موسى سياهجيل وعاد إلى بهاء الدولة . فخرج بنفسه ولقيه وأكرمه وعظمه ، ثم قبض عليه بعد أيام ، ومن أعجب ما يذكر أن الموفق أخبره منجم ، أنه يقتل ابن بختيار يوم الاثنين . فلما كان قبل الاثنين بخمسة ايام قال للمنجم : قد بقي خمسة أيام وليس لنا علم به ، فقال له المنجم : إن لم تقتله فاقتلني عوضه وإلاّ فأحسن إلي ، فلما كان يوم الاثنين أدركه ، وقتله وأحسنَ إلى المنجم إحساناً كثيراً .

ذكر القبض على الموفق أبي علي بن إسماعيل

قد ذكرنا مسيره إلى قتال ابن بختيار وقتله ابن بختيار . فلما عاد أكرمه بهاء الدولة ولقيه بنفسه ، فاستعفى الموفق من الخدمة فلم يعفِهِ بهاء الدولة . فألحّ كل واحد منهما فأشار أبو محمد بن مكرم على الموفق بترك ذلك ، فلم يقبل فقبض عليه بهاء الدولة ، وأخذ أمواله . وكتب إلى وزيره سابور ببغداد بالقبض على أنساب الموفق فعرفهم ذلك سرّاً فاحتالوا لنفوسهم وهربوا ، واستعمل بهاء الدولة أبا محمد بن مكرم على عمان ، ثم ان بهاء الدولة قتل الموفق سنة أربع وتسعين وثلاثمائة .

ذكر عدة حوادث

في هـذه السنة استعمـل بهاء الـدولة أبـا علي الحسن بن أستـاذ هـرمـز على خوزستان ، وكانت قد فسدت أحوالها بولاية أبي جعفر الحجاج لها ومصادرته لأهلها ، فعمرها أبو علي ، ولقَّبه بهاء الدولة عميد الجيوش ، وحَمَلَ إلى بهاء الدولة منها أموالاً جليلة مع حسن سيرة في أهلها وعدل .

وفيها ظهر في سُجستان معدن الذهب ، فكانوا يحفرون التراب ويخرجون منه الذهب الأحمر . وفيها توفي الشريف أبو الحسن محمد بن عمر العلوي ودُفِنَ بالكرخ وعمره خمس وسبعون سنة ، وهو مشهور بكثرة المال والعقار[1]، والقاضي أبو الحسن ابن قاضي القضاة أبي محمد بن معـروف ، والقاضي أبو الفـرج المعافى بن زكـريا المعروف بابن طرار الجريري[2] ـ بفتح الجيم ـ منسوب إلى محمد بن جرير الطبري لأنه كان يتفقه على مذهبه ، وكان عالماً بفنون العلوم كثير الرواية والتصنيف فيها .

---

(١) هو ابو الحسن محمد بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه الشريف العلوي الرندي الكوفي رئيس العلوية بالعراق . ولد سنة خمس عشرة وثلاثمائة روى عن هناد بن السري الصغير وأبي العباس بن عقدة وغيرهما . وسكن بغداد وكانت له أموال كثيرة وضياع . ودخل عظيم وحشمة وافرة وهمة عالية . وكان مقدماً على الطالبيين في وقته .صادره عضد الدولة في زمنه واستحوذ على جمهور امواله وسجنه . وقيل أخذ منه ألف ألف دينار ، ثم اطلقه شرف الدولة بن عضد الدولة لما تملك وعظم شأنه في دولته ، ثم صادره بهاء الدولة بألف ألف دينار ثم سجنه ثم أطلقه واستنابه على بغداد يقال : ان غلاته كانت تساوى في كل سنة بألفي ألف دينار وله جاهة كبيرة جداً ورياسة باذخة .

(٢) ولد سنة ثلاث وثلاثمائة . وقيل : سنة خمس وثلاثمائة وكان اماماً في النحو واللغة والفقه على مذهب محمد بن جرير الطبري ـ والأخبار والاشعار ثبتا ثقة ولي القضاء بباب الطاق .

ثم دخلت سنة احدى وتسعين وثلاثمائة

ذكر قتل المقلد[١] وولاية ابنه قرواش

في هذه السنة قتل حسام الدولة المقلد بن المسيب العقبلي غيلة قتله مماليك له ترك. وكان سبب قتله أن هؤلاء الغلمان كانوا قد هربوا منه فتبعهم، وظفر بهم وقتل منهم، وقطع وأعاد الباقين فخافوه على نفوسهم. فاغتنم بعضهم غفلته. وقتله بالأنبار، وكان قد عظم أمره وراسل وجوه العساكر ببغداد وأراد التغلب على الملك فأتاه الله من حيث لا يشعر. ولما قُتِلَ كان ولده الأكبر قرواش غائباً، وكانت أمواله وخزائنه بالأنبار، فخاف نائبه عبد الله بن إبراهيم بن شهرويه[٢] بادرة الجند، فراسل أبا منصور بن قراد اللديد ـ وكان بالسندية ـ فاستدعاه إليه وقال له: « أنا اجعل بينك وبين قرواش عهداً وأزوِّجه ابنتك وأقاسمك على ما خلفه أبوه، وتساعده على عمه الحسن إن قصده وطمع فيه » فأجابه إلى ذلك وحمى الخزائن والبلد. وأرسل عبد الله إلى قرواش يحثُّه على الوصول، فوصل وقاسمه على المال وأقام قراد عنده، ثم إن الحسن بن المسيب جمع مشايخ عقيل وشكا قرواشا إليهم وما صنع مع قراد فقالوا له: خوفه منك حمله على ذلك، فبذل من نفسه الموافقة له والوقوف عند رضاه، وسفر المشايخ بينهما فاصطلحا، واتفقا على أن يسير الحسن إلى قرواش شبه المحارب، ويخرج هو وقراد لقتاله فإذا لقي بعضهم بعضاً عادوا جميعاً على قراد فأخذوه. فسار الحسن، وخرج قرواش وقراد

---

(١) المقلد هو أخو أبي الذواد بن المسيب بن رافع حسام الدولة أبو حسان العقيلي صاحب الموصل. كان أخوه أبو الذواد أول من تغلب على الموصل وملكها في سنة ثمانين وثلاثمائة ـ على ما تقدم بيانه ـ وملك حسام الدولة هذا الموصل بعد. وكان حسن التدبير واتسعت مملكته. بعث اليه القادر الخليفة خلع السلطنة واللواء واستخدم هو نحو ثلاثة آلاف من الترك والديلم ودانت له عرب خفاجة وكان اديباً وله شعر حسن رافضي المذهب.

(٢) في تاريخ ابن خلدون « ابن شارويه ».

لقتاله. فلما تراءى الجمعان جاء بعض أصحاب قراد إليه فأعلمه الحال فهرب على فرس له، وتبعه قرواش، والحسن فلم يدركاه، وعاد قرواش إلى بيت قراد فأخذ ما فيه من الأموال التي أخذها من قرواش وهي بحالها. وسار قرواش إلى الكوفة فأوقع بخفاجة عندها وقعة عظيمة، فساروا بعدها إلى الشام، فأقاموا هناك حتى أحضرهم أبو جعفر الحجاج[1]، على ما نذكره إن شاء الله.

ذكر البيعة لولي العهد

في هذه السّنة في ربيع الأول أمر القادر بالله بالبيعة لولده أبي الفضل[2] بولاية العهد، وأحضر حجاج خراسان وأعلمهم ذلك، ولقّبه الغالب بالله، وكان سبب البيعة له أن عبد الله بن عثمان الواثقي من ولد الواثق بالله أمير المؤمنين، كان من أهل نصيبين، فقصد بغداد ثم سار عنها إلى خراسان، وعبر النهر إلى هارون بن ايلك بغراخاقان وصحبه الفقيه أبو الفضل التميمي، وأظهر أنه رسول من الخليفة إلى هارون يأمره بالبيعة لهذا الواثقي فإنه ولي عهد، فأجابه خاقان إلى ذلك وبايع له وخطب له ببلاده، ونفق عليه. فبلغ ذلك القادر بالله فعظم عليه وراسل خاقان في معناه، فلم يصغِ إلى رسالته، فلما توفي هارون خاقان وولي بعده أحمد قراخان، كاتبه الخليفة في معناه فأمر بإبعاده فحينئذ بايع الخليفة لولده بولاية العهد. وأما الواثقي فإنه خرج من عند أحمد قراخاقان، وقصد بغداد فعرف بها وطلب، فهرب منها إلى البصرة ثم إلى فارس، وكرمان ثم إلى بلاد الترك، فلم يتم له ما أراده وراسل الخليفة الملوك يطلبه فضاقت عليه الأرض، وسار إلى خوارزم، وأقام بها ثم فارقها فأخذه يمين الدولة محمود بن سبكتكين فحبسه في قلعة إلى أن توفي بها.

ذكر استيلاء طاهر بن خلف على كرمان وعوده عنها

في هذه السّنة سار طاهر بن خلف بن أحمد صاحب سجستان إلى كرمان طالباً ملكها. وكان سبب مسيره إليها أنه كان قد خرج عن طاعة أبيه وجرى بينهما حروب، كان الظفر فيها لأبيه. ففارق سجستان وسار إلى كرمان وبها عسكر بهاء الدولة ـ وهي له على ما ذكرناه فاجتمع من بها من العساكر إلى المقدم عليهم، ومتولي أمر البلد ـ وهو أبو

---

(١) ابو جعفر الحجاج بن هُرْمُز.

(٢) كان عمره ثماني سنين وشهوراً. البداية والنهاية ١١/٣٥١.

موسى سياهجيل - فقالوا له: إن هذا الرجل قد وصل - وهو ضعيف - والرأي أن تبادره قبل أن يقوى أمره، ويَكثُر جمعه، فلم يفعل واستهان به، فكَثُرَ جمع طاهر وصعد إلى الجبال، وبها قوم من العصاة على السلطان فاحتمى بهم وقوي، فنـزل إلى جيرفت فملكها وملك غيرها، وقوي طمعه في الباقي فقصده أبو موسى، والديلم فهـزمهم، وأخذ بعض ما بقي بأيديهم، فكاتبوا بهاء الدولة فسيَّر إليهم جيشاً عليهم أبو جعفر بن أستاذ هرمز، فسار إلى كرمان وقصد بم وبها طـاهر، فجـرى بين طلائـع العسكرين حرب، وعاد طاهر إلى سُجستان وفارق كرمان. فلما بلغ سجستان أطلق المأسورين، ودعاهم إلى قتال أبيه معه، وحلف لهم أنهم إذا نصروه وقاتلوا معه أطلقهم ففعلوا ذلك. وقاتل أباه، فهزمه. وملك طاهر البلاد ودخل أبوه إلى حصن له منيع فاحتمى به. وأحبَّ الناسُ طاهراً لحسنِ سيرته وسوءِ سيرةِ والدِهِ، وأطلق طاهر الديلم. ثم إن أباه راسل أصحابه ليفسدهم عليه، فلم يفعلوا فعدل إلى مخادعته، وراسله يظهر له الندم على ما كان منه، ويستميله بأنه ليس له ولد غيره، وأنه يخاف أن يموت فيملك بلاده غير ولده، ثم استدعاه إليه جريدة ليجتمع به ويعرفه أحواله فتواعدا تحت قلعة خلف. فأتاه ابنه جريدة، ونزل هو إليه كذلك. وكان قد كمن بالقرب منه كميناً، فلما لقيه اعتنقه وبكى خلف، وصاح في بكائه فخرج الكمين وأسروا طاهر فقتله أبوه بيده وغسله ودفنه ولم يكن له ولد غيره. فلما قُتِلَ طمع الناس في خلف لأنهم كانوا يخافون ابنه لشهامته. وقصـده حينئذ محمود بن سبكتكين فملك بلاده على ما نذكره، وأما العتبي، فذكر في سبب فتحها غير هذا وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة ثار الأتراك ببغداد بنائب السلطان - وهو أبو نصر سابور - فهرب منهم ووقعت الفتنة بين الأتراك والعامة من أهل الكرخ، وقتل بينهم قتلى كثيرة. ثم إن أهل السُّنة من أهل بغداد ساعدوا الأتراك على أهل الكرخ، فضعفوا عن الجميع فسعى الأشراف في إصلاح الحال فسكنت الفتنة. وفيها وُلِدَ الأمير أبو جعفر عبد الله بن القادر وهو القائم بأمر الله[1]. وفيها في ربيع الأول توفي أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١١/٣٥١ «ولد في يوم الخميس الثامن عشر من ذي القعدة وهذا هو الذي صارت اليه الخلافة».

وكان فاضلاً عالماً بعلوم الإسلام، وبالمنطق وكان يجلس للتحديث وروى الناس عنه[١]. وفيها توفي القاضي أبو الحسن الجزري، وكان على مذهب داود الظاهري، وكان يصحب عضد الدولة قديماً[٢]. وفيها توفي ابو عبد الله الحسين[٣] بن الحجاج الشاعر، بطريق النيل[٤] وحُمِلَ إلى بغداد وديوانه مشهور. وفيها توفي بكران بن أبي الفوارس خال الملك جلال الدولة بواسط. وفيها توفي جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات المعروف بابن حنزابة الوزير[٤] ومولده سنة ثمان وثلاثمائة، وكان سار إلى مصر فولي وزارة كافور ورَوَى حديثاً كثيراً.

---

(١) هو ابو القاسم عيسى ابن الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادي الكاتب وكان ابوه من كبار الوزراء وكتب هو للطائع ايضاً وسمع الحديث الكثير. وكان صحيح السماع كثير العلوم. روى عن البغوي وطبقته. وكان عارفاً بالمنطق وعلم الأوائل فاتهموه بشيء من مذهب الفلاسفة لذلك. ومن جيد شعره قوله:

رُبَّ ميتٍ قد صار بالعلم حياً ... ومبقًّى قد مات جهلاً وغيّاً

فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً ... لا تعدوا الحياة في الجهل شيّاً

توفي في أول ربيع الأول ودفن في داره ببغداد البداية والنهاية ٣٥٢/١١.

(٢) هو عبد العزيز بن احمد أبو الحسن الجزري القاضي بالحر وحريم دار الخلافة وغير ذلك من الجهات. وكان فقيهاً امام اهل الظاهر في زمنه اخذ عن القاضي بشر بن الحسين وقدم من شيراز في صحبة الملك عضد الدولة فاشتغل عليه فقهاء بغداد وكان لطيفاً.

قال ابو عبدالله الصيمري: ما رأيت فقيهاً انظر منه ومن ابي حامد الاسفرائني الشافعي. البداية والنهاية ٣٥٢/١١ وشذرات الذهب ١٣٧/٣.

(٣) الحسين بن أحمد بن الحجاج ابو عبدالله الشاعر الماجن كان من اولاد العمال والكتاب ببغداد ومن كبار شعراء الشيعة وولي هو حسبة بغداد في ايام عز الدولة بختيار بن بويه فاستخلف عليها نواباً ستة وتشاغل هو بالشعر. ويقال: انه في الشعر في درجة امرىء القيس وأنه لم يكن بينهما مثلهما لأن كل واحد منهما مخترع طريقة. وكان يضرب به المثل في السخف والمداعبة والاهاجي. البداية والنهاية ٣٥١/١١، شذرات الذهب ١٣٦/٣.

(٤) «النيل» التي مات بها على وزن نهر النيل بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة خرج منهما جماعة من العلماء وغيرهم والاصل فيه نهر حفره الحجاج بن يوسف في هذا المكان ومخرجه من الفرات وسماه باسم نيل مصر وعليه قرى كثيرة.

(٥) كان وزير بني الاخشيد بمصر مدة امارة كافور ثم استقل كافور بملك مصر واستمر على وزارته. ولما توفي كافور استقل بالوزارة وتدبير المملكة لأحمد بن علي بن الاخشيد بالديار المصرية والشامية.

و (حنزابة) بكسر الحاء المهملة وسكون النون وفتح الزاي وبعد الألف باء موحدة مفتوحة ثم هاء ساكنة وهي أم ابيه الفضل بن جعفر. والحنزابة في اللغة المرأة القصيرة الغليظة ذكره القاضي ابن خلكان.

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة

ذكر وقعة ليمين الدولة بالهند

في هذه السَّنة أوقع يمين الدولة محمود بن سبكتكين بجيبال ملك الهند وقعة عظيمة، وسبب ذلك أنه لما اشتغل بأمر خراسان وملكها وفرغ منها ومن قتال خلف بن أحمد وخلا وجهه من ذلك أحبَّ أن يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين. فثنى عنانه نحو تلك البلاد فنزل على مدينة بُرْشَوْر فأتاه عدو الله جيبال ملك الهند في عساكر كثيرة. فاختار يمين الدولة من عساكره والمطوعة خمسة عشر ألفاً وسار نحوه، فالتقوا في المحرم من هذه السَّنة. فاقتتلوا وصبر الفريقان، فلما انتصف النهار انهزم الهند، وقتل فيهم مقتلة عظيمة، وأسر جيبال ـ ومعه جماعة كثيرة من أهله وعشيرته ـ وغنم المسلمون منهم أموالاً جليلة وجواهر نفيسة. وأخذ من عنق عدو الله جيبال قلادة من الجوهر العديم النظير قوِّمَتْ بمائتي ألف دينار[١] وأصيب أمثالها في أعناق مقدمي الأسرى، وغنموا خمسمائة ألف رأس من العبيد وفتح من بلاد الهند بلاداً كثيرة. فلما فرغ من غزواته أحبَّ أن يطلق جيبال ليراه الهنود في شعار الذل، فأطلقه بمال قرره عليه فأدى المال[٢]، ومن عادة الهند أنهم من حصل منهم في أيدي المسلمين أسيراً لم ينعقد له بعدها رياسة فلما رأى جيبال حاله بعد خلاصه حلق رأسه، ثم ألقى نفسه في النار فاحترق بنار الدنيا قبل نار الآخرة.

---

(١) في البداية والنهاية ١١/٣٥٢ «قيمتها ثمانون ألف دينار» وفي النجوم الزاهرة «فنصر الله ابن سبكتكين وقتل من الكفار خمسة آلاف ومن الفيلة خمسة عشر فيلاً».

(٢) في العتبي «فواقفه ـ اي صالحه ـ على خمسين رأساً من خفاف الأفيال وارتهن ابناً وحافداً له على الوفاء بها على الكمال وعاد الكافر وراءه حتى استقر مكانه كاتب ابنه أَنْدبال».

ذكر غزوة أخرى إلى الهند أيضاً

فلما فرغ يمين الدولة من أمر جيبال رأى أن يغزو غزوة اخرى ، فسار نحو ويهند، فأقام عليها محاصراً لها حتى فتحها قهراً . وبلغه أن جماعة من الهند قد اجتمعوا بشعاب تلك الجبال عازمين على الفساد والعناد فسيَّر إليهم طائفة من عسكره ، فأوقعوا بهم وأكثروا القتل فيهم ، ولم ينجُ منهم إلاّ الشريد الفريد، وعاد إلى غزنة سالماً ظافراً .

ذكر الحرب بين قرواش وعسكر بهاء الدولة

في هذه السّنة سيَّر قرواش بن المقلد جمعاً من عقيل إلى المدائن فحصروها، فسيَّر إليهم أبو جعفر نائب بهاء الدولة جيشاً فأزالوهم عنها. فاجتمعت عقيل، وأبو الحسن مزيد في بني أسد وقويت شوكتهم، فخرج الحجاج إليهم واستنجد خفاجة وأحضرهم من الشام ، فاجتمعوا معه واقتتلوا بنواحي باكرم في رمضان، فانهزمت الديلم والأتراك وأُسِرَ منهم خلق كثير واستبِيْحَ عسكرهم. فجمع أبو جعفر من عنده من العسكر وخرج إلى بني عقيل وابن مزيد فالتقوا بنواحي الكوفة واشتدَّ القتال بينهم فانهزمت عقيل، وابن مزيد وقتل من أصحابهم خلق كثير وأُسِرَ مثلهم، وسار إلى حلل ابن مزيد فأوقع بمن فيها، فانهزموا أيضاً فنُهِبَت الحلل والبيوت والأموال ورأوا فيها من العين والمصاغ والثياب ما لا يقدر قدره، ولما سار أبو جعفر عن بغداد اختلَّت الأحوال بها وعاد أمر العيارين ظهر، واشتدّ الفساد وقُتِلَت النفوس، ونُهِبَت الأموال وأحرقت المساكن . فبلغ ذلك بهاء الدولة فسيَّر إلى العراق لحفظه أبا علي بن أبي جعفر المعروف بأستاذ هرمز، ولقبه عميد الجيوش. وأرسل إلى أبي جعفر الحجاج وطيَّب قلبه، ووصل أبو علي إلى بغداد، فأقام السياسة ومنع المفسدين، فسكنت الفتنة وأمن الناس. وفيها توفي محمد بن محمد بن جعفر أبو بكر[1] الفقيه الشافعي المعروف بابن الدقاق صاحب الأصول.

---

(١) كان معدوداً من الفضلاء توفي ببغداد .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة

ذكر ملك يمين الدولة سجستان

في هذه السّنة ملك يمين الدولة محمود بن سبكتكين سجستان، وانتزعها من يد خلف بن أحمد. قال العتبي: وكان سبب أخذها، أن يمين الدولة لما رحل عن خلف بعد أن صالحه، كما تقدم ذكره سنة تسعين عهد خلف إلى ولده طاهر وسلَّم إليه مملكته، وانعكف هو على العبادة والعلم، وكان عالماً فاضلاً محباً للعلماء. وكان قصده أن يوهم يمين الدولة أنه ترك الملك وأقبل على طلب الآخرة، ليقطع طمعه عن بلاده. فلما استقرّ في الملك عق أباه وأهمل أمره. فلاطفه أبوه ورفق به. ثم إنه تمارض في حصنه المذكور، واستدعى ولده ليوصي إليه فحضر عنده غير محتاط، ونسي إساءته، فلما صار عنده قبض عليه وسجنه وبقي في السجن إلى أن مات فيه، وأظهر عنه أنه قتل نفسه، ولما سمع عسكر خلف وصاحب جيشه بذلك تغيرت نياتهم في طاعته، وكرهوه وامتنعوا عليه في مدينته. وأظهروا طاعة يمين الدولة وخطبوا له وأرسلوا إليه يطلبون من يتسلَّم المدينة ففعل، وملكها واحتوى عليها في هذه السنة، وعزم على قصد خلف وأخذ ما بيده والاستراحة من مكره. فسار إليه ـ وهو في حصن الطاق ـ وله سبعة أسوار محكمة، يحيط بها خندق عميق عريض لا يخاض إلاّ من طريق على جسر، يرفع عند الخوف، فنازله وضايقه فلم يصلْ إليه. فأمر بطمِّ الخندق، ليمكن العبور إليه فقُطِعَت الأخشاب وطمَّ بها وبالتراب في يوم واحد مكاناً يعبرون فيه ويقاتلون منه، وزحف الناس ومعهم الفيول، واشتدت الحرب وعظم الأمر. وتقدم أعظم الفيول إلى باب السور، فاقتلعه بنابيه وألقاه وملكه أصحاب يمين الدولة، وتأخَّر أصحاب خلف إلى السور الثاني، فلم يزل أصحاب يمين الدولة يدفعونهم عن سور سور. فلما رأى خلف اشتداد الحرب وأن أسواره تملك عليه، وأن أصحابه قد عجزوا، وأن الفيلة تحطم

الناس، طار قلبه خوفاً وفرقاً. فارسل يطلب الأمـان فأجابه يمين الدولة إلى ما طلب وكفَّ عنه. فلما حضر عنده أكرمه، واحترمه وأمره بالمقام في أي البلاد شاء، فاختار أرض الجوزجان. فسيِّر إليها في هيئة حسنة، فأقام بها نحو أربع سنين. ونقل إلى يمين الدولة عنه أنه يراسل ايلك الخان يغريه بقصد يمين الدولة فنقله جردين[1] ، واحتاط عليه هناك إلى أن أدركه في رجب سنة تسع وتسعين. فسلم يمين الدولة جميع ما خلَّفه إلى ولده أبي حفص. وكان خلف مشهوراً بطلب العلم وجمع العلماء. وله كتاب صنفه في تفسير القرآن من أكبر الكتب.

ذكر الحرب بين عميد الجيوش أبي علي وبين أبي جعفر الحجاج

في هذه السّنة كانت الحرب بين أبي علي بن أبي جعفر أستاذ هرمز، وبين أبي جعفر الحجاج. وسبب ذلك أن أبا جعفر كان نائباً عن بهاء الدولة بالعراق، فجمع وغزا واستناب بعده عميد الجيوش أبا علي. فأقام أبو جعفر بنواحي الكوفة، ولم يستقر بينه وبين أبي علي صلح. وكان أبو جعفر قد جمع جمعاً من الديلم، والأتراك، وخفاجة فجمع أبو علي أيضاً جمعاً كثيراً، وسار إليه والتقوا بنواحي النعمانية، فاقتتلوا قتـالاً عظيماً، وأرسل أبو علي بعض عسكره، فأتوا أبا جعفر من ورائه، فانهزم أبـو جعفر ومضى منهزماً. فلما أمّن أبو علي سار من العراق بعد الهزيمة إلى خوزستان، وبلغ السوس. وأتاه الخبر أن أبا جعفر قد عاد إلى الكوفة، فرجع إلى العراق وجرى بينه وبين أبي جعفر منازعات ومراجعات إلى أن آل الأمر إلى الحرب، فاستنجد كل واحد منهم بني عقيل، وبني خفاجه، وبني أسد. فبينما هم كذلك أرسل بهاء الدولة إلى عميد الجيوش أبي علي يستدعيه، فسار إليه إلى خوزستـان لأجل أبي العبـاس بن واصل صاحب البطيحة.

ذكر عصيان سجستان وفتحها ثانية

لما ملك يمين الدولة سجستان، عاد عنها واستخلف عليها أميراً كبيراً من أصحابه يعـرف بقُنْجِي الحاجب فـأحسن السيرة في أهلهـا. ثم إن طـوائف من أهـل العيث والفساد، قدمـوا عليهم رجلاً يجمعهم، وخـالفوا على السلطان. فسـار إليهم يمين

---

(١) في العتبي «جرديز» في آخره زاي.

الدولة، وحصرهم في حصن أُرْك(١)، ونشبت الحرب في ذي الحجة من هذه السنة. فظهر عليهم وظفر بهم وملك حصنهم، وأكثر القتل فيهم وانهزم في آثارهم من يطلبهم فأدركوهم ،فأكثروا القتل فيهم حتى خلت سجستان منهم وصفت له واستقرَّ ملكها عليه، فأقطعها أخاه نصراً مضافة إلى نيسابور.

ذكر وفاة الطائع لله(٢)

في هذه السّنة في شوّال منها توفي الطائع لله المخلوع ابن المطيع لله وحضر الأشراف، والقضاة، وغيرهم دار الخلافة للصلاة عليه والتعزية. وصلّى عليه القادر بالله، وكبَّر عليه خمساً. وتكلمت العامة في ذلك فقيل: إن هذا مما يفعل بالخلفاء، وشيَّع جنازته ابن حاجب النعمان ورثاه الشريف الرضي فقال:

ما بعدَ يومِك مـا يسلو به السـالي   ومثل يومِـكَ لم يخطرْ على بـالي

وهي طويلة.

---

(١) بين العتبي عدد جيشه قال: فلما رأى السلطان انتقاض سجستان على خلفائه وأمنائه بادر اليها في عشرة الاف رجل من نخب العسكر ومعه صاحب الجيش ابو المظفر بن ناصر الدين، والتونتاش الحاجب، وابو عبدالله محمد بن ابراهيم الطائي وحصر المردة العتاة في حصار ارك» وأُرْك هو بضم الهمزة وراء مهملة ساكنة.

(٢) هو الطائع لله أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله الفضل بن المقتدر جعفر بن المعتضد احمد الموفق العباسي نزل له ابوه عن الخلافة لمرض تمادى به ـ وعمره ثلاث واربعون سنة ـ فركب وعليه البردة ومعه الجيش وبين يديه سبكتكين. وخلع من الغد على سبكتكين خلع السلطنة وعقد له اللواء ولقبه نصر الدولة ثم وقع بين عز الدولة وسبكتكين فدعا سبكتكين الأتراك لنفسه فأجابوه وجرى بينه وبين عز الدولة حروب. دخل عليه بهاء الدولة وكان ضيق عليه بسبب المال وقد تقدم فقبل الأرض ووقف ثم أومأ إلى جماعة من اصحابه ـ كان واطأهم على ما يفعلونه به ـ فجذبوا الطائع لله من سريره ولفوه في كساء واخرجوه من الباب المعروف بباب بدر وحملوه الىدار المملكة ملفوفاً على قفا فراش ثم اشهد عليه بخلع نفسه وسملت عيناه وقطع قطعة من احدى اذنيه، وكان بهاء الدولة قبض عليه في يوم السبت تاسع عشر شعبان سنة احدى وثمانين وثلاثمائة ـ انظر صفحة ١٤٧ من هذا الجزء ـ وفي ليلة الأحد ثالث رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة سلم الطائع لله الى القادر بالله فأنزله حجرة من خاص حجره ووكل به من ثقات خدمه من يقوم بخدمته ويحفظه واحسن ضيافته ومراعاة اموره، غير انه تقدم بجدع انفه فقطع يسيراً من جانب انفه مع ما كان قطع اولا من اذنه ـ انظر ص ١٥٧ من هذا الجزء ـ وكان مربوعاً أبيض أشقر مجدور الوجه كبير الأنف أبخر الفم شديد القوى في خلقه حدة دفن بالرصافة. البداية والنهاية ٣٥٥/١١، شذرات الذهب ١٤٣/٣.

ذكر وفاة المنصور بن أبي عامر

في هذه السّنة توفي أبو عامر محمد بن أبي عامر المعافري الملقب بالمنصور أمير الأندلس، مع المؤيد هشام بن الحاكم، وقد تقدم ذكره عند ذكر المؤيد وكان أصله من الجزيرة الخضراء من بيت مشهور بها وقدم قرطبة طالباً للعلم، وكانت له همة، فتعلق بوالدة المؤيد في حياة أبيه المستنصر. فلما ولي هشام كان صغيراً فتكفل المنصور لوالدته القيام بأمره وإخماد الفتن الثائرة عليه، وإقرار الملك عليه فولّته أمره، وكان شهماً شجاعاً قوي النفس، حسن التدبير فاستمال العساكر وأحسن إليهم فقوي أمره، وتلقّب بالمنصور. وتابع الغزوات إلى الفرنج وغيرهم وسكنت البلاد معه، فلم يضطرب منها شيء. وكان عالماً محباً للعلماء يكثر مجالستهم، ويناظرهم، وقد أكثر العلماء ذكر مناقبه، وصنفوا لها تصانيف كثيرة. ولما مرض كان متوجهاً إلى الغزو فلم يرجع، ودخل بلاد العدو فنال منهم وعاد - وهو مثقل - فتوفي بمدينة سالم. وكان قد جمع الغبار الذي وقع على درعه في غزواته شيئاً صالحاً. فأمر أن يجعل في كفنه تبركاً به. وكان حسن الاعتقاد والسيرة عادلاً، كانت أيامه أعياداً لنضارتها وأمن الناس فيها رحمه الله. وله شعر جيد وكانت أمه تميمية .ولما مات ولي بعده ابنه المظفر أبو مروان عبد الملك فجرى مجرى أبيه.

ذكر محاصرة فلفل مدينة قابس وما كان منه

في هذه السّنة سار يحيى بن علي الأندلسي، وفلفل من طرابلس إلى مدينة قابس في عسكر كثير، فحصروها ثم رجعوا إلى طرابلس. ولما رأى يحيى بن علي ما هو عليه من قلة المال، واختلال حاله وسوء مجاورة فلفل وأصحابه له رجع إلى مصر إلى الحاكم بعد أن أخذ فلفل وأصحابه خيولهم وما اختاروه من عددهم بين الشراء والغصب. فأراد الحاكم قتله، ثم عفا عنه.

وأقام فلفل بطرابلس إلى سنة أربعمائة فمرض وتوفي وولي أخوه ورو فأطاعته زناتة، واستقام أمره. فرحل باديس إلى طرابلس لحرب زناتة. فلما بلغهم رحيله فارقوها، وملكها باديس ففرَّ أهلها. وأرسل ورو أخو فلفل إلى باديس يطلب أن يكون هو ومن معه من زناتة في أمانه، ويدخلون في طاعته ويجعلهم عمالاً كسائر عماله فأمّنهم

وأحسنَ إليهم، وأعطاهم نِفْزاوَة[١]، وقسطيلة على أن يرحلوا من أعمال طرابلس ففعلوا ذلك. ثم إن خزرون بن سعيد أخا ورو، جاء إلى باديس ودخل في طاعته، وفارق أخاه فأكرمه باديس وأحسن إليه. ثم إنّ أخاه خالف على باديس، وسار إلى طرابلس فحصرها وسار إليه خزرون لمنعه عن حصارها وكان ذلك سنة ثلاث وأربعمائة.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة في رمضان طلع كوكب كبير له ذؤابة. وفي ذي القعدة انقض كوكب كبير أيضاً كضوء القمر عند تمامه وانمحق نوره وبقي جرمه يتموج. وفيها اشتدَّت الفتنة ببغداد وانتشر العيارون والمفسدون، فبعث بهاء الدولة عميد الجيوش أبا علي بن أستاذ هرمز إلى العراق ليدبِّر أمره، فوصل إلى بغداد فزُيِنَتْ له وقمع المفسدين، ومنع السنية والشيعة من إظهار مذاهبهم؛ ونُفي بعد ذلك ابن المعلم فقيه الإمامية فاستقام البلد.

وفيها في ذي الحجة وُلِدَ الأمير أبو علي الحسن بن بهاء الدولة وهو الذي ملك الأمر وتلقَّب بمشرف الدولة. وفيها هرب الوزير أبو العباس الضبي وزير مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه من الري إلى بدر بن حسنويه، فأكرمه وقام بالوزارة بعده الخطير أبو علي. وفيها ولّى الحاكم بأمر الله على دمشق وقيادة العساكر الشامية أبا محمد الأسود - واسمه تمضولت - فقدم إليها ونزل قصر الإمارة، فأقام والياً عليها سنة وشهرين، ومن أعماله فيها أنهأطاف إنساناً مغربياً وشهَّره ونادى عليه، هذا جزاء من يحب أبا بكر، وعمر ثم أخرجه عنها[٢]. وفيها توفي عثمان بن جني النحوي مصنِّف اللمع وغيرها ببغداد،

---

(١) بالكسر ثم السكون وزاي وبعد الألف واو مفتوحة مدينة من اعمال افريقية.

(٢) في تاريخ الاسلام للذهبي في حوادث سنة ٣٩٣ امر نائب دمشق تمصولت - بالصاد المهملة - الاسود الحاكمي بمغربي فطيف به على حمار ونودي عليه: هذا جزاء من يحب ابا بكر وعمر ثم امر به فأخرج الى الرملة فضرب عنقه هناك رضي الله عنه ولا رضي عن قاتله، وفي القلانسي في حوادث سنة ٣٩٦ وصل القائد طزملت بن بكار البربري لدمشق والياً عليها من قبل الحاكم بأمر الله في يوم الاحد لست بقين من ذي القعدة من السنة. وكان هذا طزملت عبداً لابن وفري والي القيروان فولاه طرابلس الغرب فجار على اهلها وظلمهم وأخذ أموالهم فحصل له منهم مال عظيم فلما انتهى خبر ظلمه الى مولاه طلبه والتمس اشخاصه الى القيروان لكشف الأمر فخافه وانهزم اشفاقاً على نفسه وماله ووصل الى مصر وحمل بعض ما كان معه الى الحاكم فتمكنت حاله عنده وتأثلت منزلته منه وولاه دمشق فاقام والياً عليها الى المحرم سنة ٣٩٤ فصرف عنها بخادم من خدم الحضرة يقال له: القائد مفلح اللحياني اهـ.

وله شعر بارز[١]، والقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني بالرَّي وكان إماماً فاضلاً ذا فنون كثيرة[٢]، والوليد بن بكر مخلد الأندلسي الفقيه المالكي، وهو محدِّث مشهور[٣] وفيها توفي أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي الشاعر البغدادي[٤]، ومن شعره يصف الدرع وهي هذه الأبيات.

يـا رب سـابغـة حبتني نعمـة ... كـافأتُهـا بـالسـوءِ غيرُ مفنـدِ
أضحَتْ تصون عن المنايا مهجتي ... وظللْتُ أبـذلهـا لـكـل مهنـدِ

---

(١) هو الامام ابو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي المشهور ولد قبل الثلاثين والثلاثمائة بالموصل. وكان ابوه جني مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد بن احمد الازدي الموصلي.
اخذ الأدب عن الشيخ ابي علي الفارسي وفارقه وقعد للاقراء بالموصل وكان من احذق اهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف ولما مات ابو علي تصدر ابن جني مكانه ببغداد. وله مصنفات مفيدة، منها كتاب الخصائص ـ طبع منه الجزء الأول. وسر الصناعة. والمذكر والمؤنث. والمقصود والمدود. والتمام في شرح الهذليين. والمنهج في اشتقاق اسماء شعراء الحماسة. والمسائل الخاطريات. والمصنف في شرح تصريف ابي عثمان المازني. والتلقين في النحو. وشرح ديوان المتنبي وسماه الصبر الى غير ذلك. توفي يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر ببغداد. ارخ وفاته ابن خلكان في الوفيات. والسيوطي في بغية الوعاة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

(٢) هو ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني قاضي الري سمع الحديث الكثير وترقى في العلوم حتى برع في الفقه. والشعر. والنحو. وغير ذلك من العلوم وأقر له الناس بالتفرد. البداية والنهاية ١١/٣٥٤.

(٣) هو الوليد بن بكر بن مخلد أبو العباس الغمري السرقسطي الحافظ العالم الرحال رحل من اقصى الأندلس الى خراسان في طلب العلم وحدث بكتاب معرفة الرجال لأحمد بن عبدالله العجلي عن علي بن احمد بن الخصيب. وحدث عن الحسن بن رشيق وخلق، روى عنه الحافظ عبد الغني المصري، وأبو ذر بن احمد الهروي. وابو الحسن العتيقي وغيرهم، وكان اماماً عالماً بالفقه. والنحو. والحديث. والادب، والشعر. (الغمري) بالغين المعجمة. واصله عمري بالعين المهملة نقطها حينما دخل افريقية ليسلم من دولة الرفض وقال: اذا رجعت الى الأندلس جعلت النقطة التي على العين ضمة. والسرقسطي بفتحتين وضم القاف وسكون السين المهملة نسبة الى سرقسطة مدينة بالاندلس.

(٤) قال ابو منصور الثعالبي في اليتيمة في وصفه ٢/٣٩٥: من أشهر أهل العراق قولاً بالاطلاق وشهادة بالاستحقاق وعلى ما أجريته من ذكره شاهد عدل من شعره. والذي كتبت من محاسنه نزه العيون ورقى القلوب ومنى النفوس. ومن خبره أنه ولد في كرخ بغداد آخر نهار يوم الجمعة لست خلون من رجب سنة ست وثلاثين وثلاثمائة. ونسبته في بني مخزوم ابن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وامه شاعرة. وقال الشعر وهو ابن عشر سنين.
(السلامي) بفتح السين المهملة واللام الف المخففة وبعدها ميم. هذه النسبة الى مدينة دار السلام بغداد. وارخ وفاته الثعالبي سنة اربع وتسعين.

وله من أحسن المديح في عضد الدولة:

وكنْتُ وعـزمي والـظلام وصـارمي ثـلاثة أشبـاح كمـا اجتمـع النسـرُ
وبشـرت آمالي بملك هـو الـورى ودار هي الدنيا ويـوم هو الـدهـرُ

وقدم الموصل فاجتمع بالخالديين من الشعراء. منهم أبو الفرج الببغاء[1]، وأبو الحسين التلعفري فامتحنوه، وكان صبياً فبرز عند الامتحان. وفيهـا توفي محمـد بن العباس الخوارزمي الأديب الشاعر، وكان فاضلاً وتوفي بنيسابور. وفيها توفي محمد بن عبد الرحمن بن زكريا أبو طاهر المخلِّص المحدِّث المشهور[1]، وأول سماعـه سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة.

---

(١) هو شيخ كبير الرواية سمع البغوي وابن صاعـد وخلقا وعنـه البرقـاني . والأزهري . والخـلال : والتنوخي . وكان ثقة من الصالحين مسند وقته . توفي في رمضان وله ثمان وثمانون سنة .

ثم دخلت سنة اربع وتسعين وثلاثمائة

ذكر استيلاء أبي العباس على البَطيحَة(١)

في هذه السَّنة في شعبان غلب أبو العباس بن واصل على البطيحة، وأخرج منها مهذب الدولة، وكان ابتداء حال أبي العباس أنه كان ينوب عن طاهر بن زيرك الحاجب في الجهبذة، وارتفع معه. ثم أشفق منه ففارقه، وسار إلى شيراز، واتصل بخدمة فولاذ وتقدَّم عنده، فلما قبض على فولاذ عاد أبو العباس إلى الأهواز بحال سيئة فخدم فيها، ثم أُصعِدَ إلى بغداد، فضاق الأمر عليه، فخرج منها وخدم أبا محمد بن مكرم، ثم انتقل إلى خدمة مهذب الدولة بالبطيحة، فجرَّد مَعه عسكراً وسيَّره إلى حرب لشكرستان حين استولى على البصرة، ومضى إلى سيراف، وأخذ ما بها لأبي محمد بن مكرم من سفن ومال، وأتى أسافل دجلة فغلب عليها، وخلع طاعة مهذب الدولة فأرسل إليه مهذب الدولة مائة سميرية، فيها مقاتلة، فغرق بعضها وأخذ أبو العباس ما بقي منها، وعدل إلى الإبلة(٢) فهزم أبا سعد بن ماكولا ـ وهو يصحب لشكرستان ـ فانهزم أيضاً لشكرستان من بين يديه، واستولى ابن واصل على البصرة، ونزل دار الإمارة وأمّن الديلم، والأجناد. وقصد لشكرستان مهذب الدولة فأعاده إلى قتال أبي العباس في جيش، فلقيه ابو العباس وقاتله فانهزم لشكرستان، وقتل كثير من رجاله واستولى أبو العباس على ثقله وأمواله وأُصعِدَ إلى البطيحة. وأرسل إلى مهذب الدولة يقول له: قد هزمت جندَكَ ودخلت بلدَكَ فخذْ لنفسك.

---

(١) هي بفتح الباء الموحدة وكسر ثانيها جمعها البطائح، والبطحاء واحد، وتبطَّح السيل اذا اتسع في الأرض، وبذلك سميت بطائح واسط لان المياه تبطحت فيها اي سالت واتسعت في الأرض. وهي ارض واسعة بين واسط والبصرة وكانت قديماً قرى متصلة وأرضاً عامرة.

(٢) بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة وهي اقدم من البصرة.

فسار مهذب الدولة إلى بشامني[١] وصار عند أبي شجاع فارس بن مردان، وابنه صدقة فغدرا بهوأخذا أمواله، فاضطرَّ إلى الهرب، وسار إلى واسط، فوصلها على أقبح صورة، فخرج إليه أهلها فلقوه، واصعدَتْ زوجته ابنة الملك بهاء الدولة إلى بغداد وأُصعِدَ مهذب الدولة إليها، فلم يمكن من الوصول إليها. وأما ابن واصل فإنه استولى على أموال مهذب الدولة وبلاده، وكانت عظيمة، ووكل بدار زوجته ابنة بهاء الدولة من يحرسها، ثم جمع كل ما فيها وأرسله إلى أبيها واضطرب عليه أهل البطائح، واختلفوا فسيَّر سبعمائة فارس إلى الجازرة[٢] لإصلاحها، فقاتلهم أهلها فظفروا بالعسكر، وقتلوا فيهم كثيراً. وانتشر الأمر على أبي العباس بن واصل فعاد إلى البصرة خوفاً أن ينتشر الأمر عليه بها، وترك البطائح شاغرة ليس فيها أحد يحفظها. ولما سمع بهاء الدولة بحال أبي العباس، وقوّته خافه على البلاد، فسار من فارس إلى الأهواز لتلافي أمره، وأحضر عنده عميد الجيوش من بغداد وجهز معه عسكراً كثيفاً وسيَّرهم إلى أبي العباس، فأتى إلى واسط، وعمل ما يحتاج إليه من سفن وغيرها. وسار إلى البطائح وفرَّق جنده في البلاد لتقرير قواعدها. وسمع أبو العباس بمسيره إليه فأصعدَ إليه من البصرة وأرسل يقول له: ما أحوجك تتكلف الانحدار، وقد أتيتك فخذ لنفسك. ووصل إلى عميد الجيوش وهو على تلك الحال من تفرق العسكر عنه، فلقيه فيمن معه بالصليق، فانهزم عميد الجيوش ووقع من معه بعضهم على بعض ولقي عميد الجيوش شدة إلى أن وصل إلى واسط وذهب ثقله، وخيامه، وخزائنه. وفأخبره خازنه أنه قد دَفن في الخيمة ثلاثين ألف دينار وخمسين ألف درهم، فأنفذ أحضرها فقوي بها. ونذكر باقي خبر البطائح سنة خمس وتسعين.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة قلَّد بهاء الدولة النقيب أبا أحمد الموسوي والد الشريف الرضي نقابة العلويين بالعراق وقضاء القضاة والحج والمظالم، وكتب عهده بذلك من شيراز ولقَّب الطاهر ذا المناقب فامتنع الخليفة من تقليده قضاء القضاة وامضى ما سواه[٣].

---

(١) لم يذكرها ياقوت في معجمه.

(٢) في معجم ياقوت «الجازر» بدون هاء.

(٣) وتفصيل الحادثة كما هي في البداية والنهاية ١١/٣٥٦ طـ. دار الكتب العلمية ببيروت.

وفيها خرج الأصيفر المنتفيقي على الحاج، وحصرهم بالبطانية، وعزم على أخذهم. وكان فيهم أبو الحسن الرفاء، وأبو عبدالله الدجاجي، وكانا يقرآن القرآن بأصوات لم يسمعْ مثلُها. فحضرا عند الأصيفر وقرآ القرآن، فترك الحجاج، وعاد وقال لهما: قد تركت لكما ألف ألف دينار .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمائة

ذكر عود مهذب الدولة إلى البطيحة

قد ذكرنا إنهزام عميد الجيوش من أبي العباس بن واصل، فلما انهزم أقام بواسط وجمع العساكر عازماً على العود إلى البطائح، وكان أبو العباس قد ترك بها نائباً له فلم يتمكن من المقام بها، ففارقها إلى صاحبه. فأرسل عميد الجيوش إليها نائباً من أهل البطائح، فعسف الناس وأخذ الأموال ولم يلتفت إلى عميد الجيوش. فأرسل إلى بغداد، وأحضر مهذب الدولة وسيَّر معه العساكر في السفن إلى البطيحة، فلما وصلها لقيه أهل البلاد. وسروا بقدومه وسلموا إليه جميع الولايات، واستقرَّ عليه لبهاء الدولة كل سنة خمسون ألف دينار، ولم يعرض إليه ابن واصل فاشتغل عنه بالتجهيز إلى خوزستان، وحفر نهراً إلى جانب النهر العضدي بين البصرة والأهواز وكثر ماؤه، وكان قد اجتمع عنده جمع كثير من الديلم وأنواع الاجناد. ولما كثر ماله وذخائره، وما استولى عليه من البطيحة فقوي طمعه في الملك، وسار هو وعسكره إلى الأهواز في ذي القعدة، فجهَّزَ إليه بهاء الدولة جيشاً في الماء، فالتقوا بنهر السدرة فاقتتلوا. وخاتلهم أبو العباس وسار إلى الأهواز وتبعه من كان قد لقيه من العسكر. فالتقوا بظاهر الأهواز وانضاف إلى عسكر بهاء الدولة العساكر التي بالأهواز. فاستظهر أبو العباس عليهم، ورحل بهاء الدولة إلى قنطرة أربق عازماً على المسير إلى فارس، ودخل أبو العباس إلى دار المملكة، وأخذ ما فيها من الأمتعة والأثاث المتخلف عن بهاء الدولة إلا أنه لم يمكنه المقام، لأن بهاء الدولة كان قد جهَّز عسكراً ليسير في البحر إلى البصرة، فخاف أبو العباس من ذلك، وراسل بهاء الدولة وصالحه، وزاد في إقطاعه، وحلف كل واحد منهما لصاحبه، وعاد إلى البصرة، وحمل معه كل ما أخذه من دار بهاء الدولة، ودور الأكابر، والقواد، والتجار.

ذكر غزوة بَهَاطْيَة(١)

في هذه السّنة غزا يمين الدولة بهاطية من أعمال الهند ـ وهي وراء المولتان ـ وصاحبها يعرف ببحيرا(٢) وهي مدينة حصينة عالية السور يحيُط بها خندق عميق، فامتنع صاحبها بها، ثم إنه خرج إلى ظاهرها فقاتل المسلمين ثلاثة أيام ثم انهزم في الرابع، وطلب المدينة ليدخلها هو وأصحابه فسبقهم المسلمون إلى باب البلد، فملكوه عليه وأخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم. فقتل المقاتلة وسبيت الذرية وأخِذَت الأموال. وأما بحيرا فإنه لما عاين الهلاك أخذ جماعة من ثقاته، وسار إلى رؤوس تلك الجبال. فسيَّر إليه يمين الدولة سرية فلم يشعر لهم بحيرا إلاّ وقد أحاطوا به وحكموا السيوف في أصحابه فلما أيقن بالعطب، أخذ خنجراً معه فقتل به نفسه. وأقام يمين الدولة ببهاطية حتى أصلح أمرها، ورتَّب قواعدها، وعاد عنها إلى غزنة واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها ما يجب عليهم تعليمه، ولقي في عوده شدَّة شديدة من الأمطار، وكثرتها وزيادة الأنهار، فغرق منه ومن عسكره شيء عظيم.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة كان بأفريقية غلاء شديد، بحيث تعطَّلَت المخابز، والحمامات، وهلك الناس وذهبَت الأموال من الأغنياء وكَثُرَ الوباء، فكان يموت كل يوم ما بين خمسمائة إلى سبعمائة.

وفيها وصل قرواش، وأبو جعفر الحجاج إلى الكوفة فقبضا على أبي علي عمر بن محمد بن عمر العلوي، وأخذ منه قرواش مائة الف دينار، وحمله معه إلى الأنبار. وفيها توفي إسحاق بن محمد بن حمدان بن محمد بن نوح أبو إبراهيم المهلبي. وفيها توفي محمد بن علي بن الحسين بن الحسن بن أبي إسماعيل العلوي الهمذاني الفقيه الشافعي رحمه الله تعالى(٣).

---

(١) بَهَاطْيَة: من قرى بغداد.

(٢) في العتبي «المعروف ببجهرا» بباء موحدة مكسورة وبعدها جيم غليظة مشددة ثم هاء مثبتة في الخط ساقطة في اللفظ وبعد الراء غير المعجمة الف هكذا ضبطه صدر الافاضل وقال: هو من الأعلام الهندية.

(٣) هو محمد بن أبي اسماعيل علي بن الحسين بن الحسن بن القاسم ابي الحسن العلوي. ولد بهمذان ونشأ ببغداد وكتب الحديث عن جعفر الخلدي وغيره. وسمع بنيسابور من الأصم وغيره. ودرس فقه الشافعي على علي بن أبي هريرة ثم دخل الشام فصحب الصوفية حتى صار من كبارهم وحج مرات على الوحدة توفي في محرم هذه السنة.

ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلثمائة

ذكر غزوة المُولْتَان[١]

في هذه السنة غزا السلطان يمين الدولة المولتان . وكان سبب ذلك أن واليها أبا الفتوح نقل عنه خبث اعتقاده، ونسب إلى الإلحاد، وأنه قد دعا أهل ولايته إلى ما هو عليه فأجابوه ، فرأى يمين الدولة أن يجاهده ويستنزله عما هو عليه ، فسار نحوه فرأى الأنهار التي في طريقه كثيرة الزيادة عظيمة المدّ ، وخاصة سيحون . فإنه منع جانبه من العبور ، فأرسل إلى أندبال[٢] يطلب إليه أن يأذن له في العبور ببلاده إلى المولتان ، فلم يجبه إلى ذلك ، فابتدأ به قبل المولتان ، وقال : نجمع بين غزوتين لأنه لا غزو إلا التعقيب . فدخل بلاده وجاسها وأكثر القتل فيها والنهب لأموال أهلها ، والإحراق لابنيتها ، ففر أنْدبال من بين يديه وهو في أثره كالشهاب في أثر الشيطان من مضيق إلى مضيق إلى أن وصل إلى قِشْمِيْر[٣] . ولما سمع أبو الفتوح بخبر إقباله إليه علم عجزه عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه ، فنقل أمواله إلى سرنديب[٤] وأخلى المولتان ، فوصل يمين الدولة إليها ونازلها ، فإذا أهلها في ضلالهم يعمهون ، فحصرهم وضيّق عليهم، وتابع القتال حتى افتتحها عنوة والزم أهلها عشرين ألف درهم عقوبة لعصيانهم .

---

(١) مُولْتَان: بضم أوله وسكون ثانيه واللام يلتقي فيه ساكنان وتاء مثناة من فوق وآخره نون، وأكثر ما يُسمع فيه مُلتان بغير واو، وأكثر ما يكتب كما ههنا: بلد في بلاد الهند على سمت غزنة، قال الإصطخري: وأما المولتان فهي مدينة نحو نصف المنصورة ويسمى فرج بيت الذهب وبها صنم تعظمه الهند وتحج إليه من أقصى بلدانها.

(٢) هو عظيم الهند.

(٣) قِشْمِير : بالكسر ثم السكون، وكسر الميم وياء مثناة من تحت ساكنة، وراء، مدينة متوسطة لبلاد الهند.

(٤) سَرَنْدِيب : بفتح أوله وثانيه وسكون النون ودال مهملة مكسورة وياء مثناة من تحت، ديب بلغة الهند، هو الجزيرة، وسرن : لا أدري ما هو. وهي جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند.

ذكر غزوة كواكير

ثم سار عنها إلى قلعة كواكير ـ وكان صاحبها يعرف ببيدا ـ وكان بها ستمائة صنم فافتتحها وأحرق الأصنام ، فهرب صاحبها إلى قلعته المعروفة بكالنجار ، فسار خلفه إليها ـ وهو حصن كبير يسع خمسمائة ألف إنسان ، وفيه خمسمائة فيل ، وعشرون ألف دابة ، وفي الحصن ما يكفي الجميع مدة ـ فلما قاربها يمين الدولة وبقي بينهما سبعة فراسخ ، رأى من الغياض المانعة من سلوك الطريق ما لا حدّ عليه ، فأمر بقطعها ورأى في الطريق وادياً عظيم العمق بعيد القعر ، أمر أن يطمَّ منه مقدار ما يسع عشرين فارساً فطموه بالجلود المملوءة تراباً ، ووصل إلى القلعة فحصرها ثلاثاً وأربعين يوماً ، وراسله صاحبها في الصلح فلم يجبه ، ثم بلغه عن خراسان إختلاف بسبب قصد ايلك الخان لها ، فصالح ملك الهند على خمسمائة فيل وثلاثة آلاف منافضة . ولبس خلعة يمين الدولة بعد أن استعفى من شدّ المنطقة فإنه اشتدَّ عليه ، فلم يجبه يمين الدولة إلى ذلك .فشدَّ المنطقة وقطع أصبعه الخنصر وأنفذها إلى يمين الدولة توثقه فيما يعتقدونه ، وعاد يمين الدولة إلى خراسان لإصلاح ما اختلف فيها ، وكان عازماً على الوغول في بلاد الهند .

ذكر عبور عسكر أيلك الخان إلى خراسان

كان يمين الدولة لما استقرّ له ملك خراسان ، وملك أيلك الخان ما وراء النهر ، قد راسله ، ووافقه وتزوج ابنته ، وانعقدت بينهما مصاهرة ، ومصالحة فلم تزل السعاة حتى أفسدوا ذات بينهما . وكتم أيلك الخان ما في نفسه ، فلما سار يمين الدولة إلى المولتان اغتنم أيلك الخان خلو خراسان فسيَّر سُباشي تكين صاحب جيشه في هذه السنة الى خراسان في معظم جنده وسيَّر أخاه جعفر تكين إلى بلخ في عدة من الأمراء . وكان يمين الدولة قد جعل بهراة أميراً كان من أكابر أمرائه يقال له : ارسلان الجاذب فأمره إذا ظهر عليه، مخالف أن ينحاز إلى غزنة ، فلما عبر سباشي تكين إلى خراسان سار أرسلان إلى غزنة وملك سباشي هراة وأقام بها وأرسل إلى نيسابور من استولى عليها . واتصلت الأخبار بيمين الدولة ـ وهو بالهند ـ فرجع إلى غزنة لا يلوي على دار ولا يركن إلى قرار . فلما بلغها فرّق في عساكره الأموال وقواهم وأصلح ما أراد

إصلاحه واستمد الأتراك الخلجية(١) فجاءه منهم خلق كثير ، وسار بهم نحو بلخ وبها جعفر تكين أخو أيلك الخان ، فعبر إلى ترمذ ، ونزل يمين الدولة ببلخ وسيَّر العساكر إلى سباشي تكين بهراة ، فلما قاربوه سار نحو مرو ليعبر النهر فلقيه التركمان الغزية ، فقاتلوه فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة . ثم سار نحو أبيورد لتعذر العبور عليه فتبعه عسكر يمين الدولة ، كلما رحل نزلوا حتى ساقه الخوف من الطلب إلى جرجان فأخرج عنها . ثم عاد إلى خراسان فعارضه يمين الدولة ، فمنعه عن مقصده وأسر أخو سباشي تكين ، وجماعة من قواده ونجا هو في خف من أصحابه فعبر النهر ، وكان أيلك الخان قد عبر أخاه جعفر تكين إلى بلخ ليلفت يمين الدولة عن طلب سباشي ، فلم يرجع . وجعل دأبه إخراج سباشي من خراسان ، فلما أخرجه عنها عاد إلى بلخ فانهزم من كان بها مع جعفر تكين ، وسلمت خراسان ليمين الدولة .

ذكر الحرب بين عسكر بهاء الدولة والأكراد

في هذه السنة سيَّر عميد الجيوش عسكراً إلى البندنيجيين ، وجعل المقدم عليهم قائداً كبيراً من الديلم . فلما وصلوا إليها سار إليهم جمع كثير من الأكراد فاقتتلوا فانهزم الدَّيلم وغَنِمَ الأكراد رحلهم ودوابهم ، وجرَّدَ المقدم عليهم من ثيابه ، فأخذ قميصاً من رجل سوادي ، وعاد راجلاً حافياً ولم يكن مقامهم غير أيام قليلة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة قلد الشريف الرضي نقابة الطالبيين بالعراق ولقِّب بالرضي ذي الحسبين ولقِّب أخوه المرتضى ذا المجدين، فعل ذلك بهاء الدولة. وفيها توفي أبو أحمد عبد الرحيم بن علي بن المرزبان الأصبهاني قاضي خراسان، وكان إليه أمر البيمارستان ببغداد.

وفيها مستهل شعبان طلع كوكب كبير يشبه الزهرة عن يسرة قبلة العراق له شعاع

---

(١) الخلجية منسوبة إلى الخلج بفتح الخاء المعجمة واللام وتغليظ الجيم وهم صنف من الناس وقعوا في قديم الزمان إلى الأرض التي هي بين الهند ونواحي جستان في ظهر الغور وهم اصحاب نعم على خلق الاتراك وزيهم ولسانهم حكاه المنيني .

على الأرض كشعاع القمر وبقي إلى منتصف ذي القعدة وغاب . وفيها توفي أبو سعد إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي[١] الإمام الفقيه الشافعي بجرجان في ربيع الآخر ، ومحمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة أبو عبد الله الحافظ الأصبهاني المشهور له التصانيف المعروفة .

---

(١) وقد ورد بغداد غير مرة وآخر وروده كان في حياة أبي الحسن الدارقطني فحدث عن أبيه أبي بكر الاسماعيلي . وابي العباس الأصم النيسابوري وجماعة . حدث عنه محمد بن أحمد بن شعيب الروياني ، وأبو محمد الخلال . وعلي بن المحسن التنوخي كان ثقة فاضلاً فقيهاً على مذهب الامام الشافعي ، عالماً بفنون العلم ، والحديث والفقه والعربية . وكان سخياً جواداً مفضلاً على أهل العلم والرياسة بجرجان إلى اليوم في ولده وأهل بيته إمام زمانه مقدماً في الفقه .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلاثمائة

ذكر هزيمة أيلك الخان

لما أخرج يمين الدولة عساكر أيلك الخان من خراسان ، راسل أيلك الخان قدر خان بن بغراخان ملك الختل[١] لقرابة بينهما ، وذكر له حاله واستعان به ، واستنصره واستنفر الترك من أقاصي بلادها وسار نحو خراسان[٢] واجتمع هو وأيلك الخان فعبر النهر ، وبلغ الخبر يمين الدولة وهو بطخارستان[٣] فسار وسبقهما إلى بلخ واستعدَّ للحرب وجمع الترك الغزية ، والخلج ، والهند ، والأفغانية ، والغزنوية . وخرج عن بلخ فعسكر على فرسخين بمكان فسيح[٤] يصلح للحرب ، وتقدَّم أيلك الخان ، وقدرخان في عساكرهما ، فنزلوا بإزائه واقتتلوا يومهم ذلك إلى الليل ، فلما كان الغد برز بعضهم إلى بعض[٥] واقتتلوا واعتزل يمين الدولة إلى نشز مرتفع ينظر إلى

---

(١) قدرخان هو الذي تورد بخارا واجلى الرضى الساماني عنها وبينه وبين ايلك الخان قرابة نسب واواصر رحم وهب لقارىء قرأ بين يديه مائة الف درهم مراغمة لمحمود بن سبكتكين لأنه وهب لمغن مائة ألف درهم. وكانت وفاته سنة اربع واربعمائة.

(٢) في العتبي « وسار في خمسين الفاً أو يزيدون حتى عبر جيحون ».

(٣) ويقال لها « طخيرستان »

(٤) في العتبي . « على أربعة فراسخ من البلد يعرف بقنطرة جرخيان » بجيم غليظة وبعدها راء مهملة ساكنة ثم خاء معجمة ثم باء مثناة تحتانية ثم الف ثم نون.

(٥) في العتبي « واصبح الناس على ميعاد الحرب فعبى السلطان رجاله صفوفاً كالجبال الراسيات والبحار الزخرات ورتب في القلب أخاه صاحب الجيش نصراً ووالى الجوزجان ابا نصر أحمد بن محمد الفريغوني. وأبا عبد الله محمد بن ابراهيم الطائي في كماة الأكراد والعرب وسائر جماهير الهنود ومساعيد الجنود ورتب في الميمنة حاجبه الكبير أبا سعيد التونتاش وندب للميسرة ارسلان الجاذب وحصن الصفوف بزهاء خمسمائة في فيلته. واقبل ايلك فشحن قلبه بخواص غلمانه واعلام فرسانه وولى قدرخان ميمنته في الاتراك الختن. وشحن بجعفر تكين ميسرته ».

الحرب ، ونزل عن دابته وعفر وجهه على الصعيد تواضعاً لله تعالى ، وسأله النصر والظفر . ثم نزل وحمل في فيلته على قلب أيلك الخان ، فأزاله عن مكانه ووقعت الهزيمة فيهم ، وتبعهم أصحاب يمين الدولة يقتلون ويأسرون ويغنمون إلى أن عبروا بهم النهر ، وأكثر الشعراء تهنئة يمين الدولة بهذا الفتح .

ذكر غزوه إلى الهند

فلما فرغ يمين الدولة من الترك ، سار نحو الهند للغزاة ، وسبب ذلك أن بعض أولاد ملوك الهند يعرف بنواسه شاه ، كان قد أسلم على يده واستخلفه على بعض ما افتتحه من بلادهم . فلما كان الآن ، بلغه أنه ارتدَّ عن الإسلام ومالأ أهل الكفر والطغيان ، فسار إليه مجدًّاً فحين قاربه فرَّ الهندي من بين يديه ، واستعاد يمين الدولة تلك الولاية وأعادها إلى حكم الإسلام ، واستخلف عليها بعض أصحابه ، وعاد إلى غزنة .

ذكر حصر أبي جعفر الحجاج بغداد

في هذه السنة ، جمع أبو جعفر الحجاج جمعاً كثيراً ، وأمدَّه بدر بن حسنويه بجيش كثير ، فسار بالجميع وحصر بغداد ، وسبب ذلك أن أبا جعفر كان نازلاً على قلج حامي طريق خراسان . وكان قلج مبايناً لعميد الجيوش فاجتمعا لذلك ، فتوفي قلج هذه السنة فجعل عميد الجيوش على حماية الطريق أبا الفتح بن عناز ، وكان عدواً لبدر بن حسنويه ، فحقد ذلك بدر ، فاستدعى أبا جعفر الحجاج ، وجمع له جمعاً كثيراً منهم ، الأمير هندي بن سعدي ، وأبو عيسى شاذي بن محمد ، وورام بن محمد ، وغيرهم ، وسيَّرهم إلى بغداد . وكان الأمير أبو الحسن علي بن مزيد الأسدي ، قد عاد من عند بهاء الدولة بخوزستان مغضباً فاجتمع معهم فزادت عدَّتهم على عشرة آلاف فارس ، وكان عميد الجيوش عند بهاء الدولة لقتال أبي العباس بن واصل ، فسار أبو جعفر ومن اجتمع معه إلى بغداد ، ونزلوا على فرسخ منها ، وأقاموا شهراً . وببغداد جمعٌ من الأتراك ومعهم أبو الفتح بن عناز فحفظوا البلد . فبينما هم كذلك أتاهم خبر انهزام أبي العبّاس وقوة بهاء الدولة ففت ذلك في أعضاد أبي جعفر ومن معه ، فتفرقوا . فعاد ابن مزيد إلى بلده وسار أبو جعفر ، وأبو عيسى إلى حلوان .

وراسل أبو جعفر في إصلاح حاله مع بهاء الدولة ، فأجابه إلى ذلك . فحضر عنده بتستر ، فلم يلتفت إليه لئلا يستوحش عميد الجيوش .

ذكر قصد بدر ولاية رافع بن مقن

كان أبو الفتح بن عناز التجأ إلى رافع بن محمد بن مقن ونزل عليه حين أخذ بدر بن حسنويه منه حلوان ، وقرميسين ، فأرسل بدر إلى رافع يذكر مودة أبيه وحقوقه عليه ، ويعتب عليه حيث آوى خصمه ، ويطلب إليه أن يبعده ليدوم له على العهد والود القديم . فلم يفعل رافع ذلك ، فأرسل بدر جيشاً إلى أعمال رافع بالجانب الشرقي من دجلة ، فنهبها ، وقصدوا داره بالمطيرة ، فنهبوها وأحرقوها . وساروا إلى قلعة البردان وهي لرافع أيضاً ففتحوها قهراً ، وأحرقوا ما كان بها من الغلات ، وطم بئرها . فسار أبو الفتح إلى عميد الجيوش ببغداد فخلع عليه وأكرمه ووعده نصره .

ذكر قتل أبي العباس بن واصل

في هذه السنة قُتِلَ أبو العباس بن واصل صاحب البصرة . وقد تقدم ذكر ابتداء حاله وارتفاعه واستيلائه على البطيحة ، وما أخذه من الأموال ، وما هزم من جيوش السلطان وغير ذلك ، مما هو مذكور في مواضعه . فلما عظم أمره ، سار بهاء الدولة من فارس إلى الأهواز ليحفظَ خوزستان منه . وكان في البطائح ، مقابل عميد الجيوش ، فلما فرغ منه ، سار إلى الأهواز وبها بهاء الدولة ، فملكها على ما ذكرناه ، وعاد عنها على صلح مع بهاء الدولة إلى البصرة وقد ذكرناه أيضاً . ثم تجدد ما أوجب عوده إلى الأهواز ، فعاد إليها في جيشه ـ وبهاء الدولة مقيم بها ـ فلما قاربها رحل بهاء الدولة عنها لقلة عسكره ، وتفرّقهم بعضهم بفارس ، وبعضهم بالعراق وقطع قنطرة أَرْبَقُ[1] وبقي النهر يحجز بين الفريقين . فاستولى أبو العباس على الأهواز ، وأتاه مدد من بدر بن حسنويه ثلاثة آلاف فارس ، فقوي بهم وعزم بهاء الدولة على العود إلى فارس فمنعه أصحابه ، فأصلح أبو العباس القنطرة وجرى بين العسكرين قتال شديد دام إلى السحر . ثم عبر أبو العباس على القنطرة بعد أن أصلحها . والتقى العسكران ، واشتدّ

---

(١) أَرْبَق : بالفتح ثم السكون وباء مفتوحة موحدة وقد تضم وقاف ويقال بالكاف بدل القاف : من نواحي رامهرمز من نواحي خوزستان .

القتال فانهزم أبو العباس وقتل من أصحابه كثيرٌ وعاد إلى البصرة مهزوماً منتصف رمضان سنة ست وتسعين وثلاثمائة .

فلما عاد منهزماً جهَّزَ بهاء الدولة إليه العساكرَ مع وزيره أبي طالب . فسار إليه ، ونزل عليه محاصراً له وجرى بين العسكرين القتال . وضاق الأمر على الوزير وقلَّ المال عنده ، واستمد بهاء الدولة فلم يمدَّه ، ثم إن أبا العباس جمع سفنه وعساكره وأصعِدَ إلى عسكر الوزير ، وهجم عليه فانهزم الوزير وكاد يتم على الهزيمة ، فاستوقفه بعض الديلم وثبته ، وحملوا على أبي العباس ، فانهزم هو وأصحابه ، وأخذ الوزير سفنه فاستأمن إليه كثير من اصحابه . ومضى أبو العباس منهزماً ، وركب مع حسان بن ثمال الخفاجي هارباً إلى الكوفة . ودخل الوزير البصرة وكتب إلى بهاء الدولة بالفتح .

ثم إن أبا العباس سار من الكوفة ، وقطع دجلة ومضى عازماً على اللحاق ببدر بن حسنويه ، فبلغ خانقين وبها جعفر بن العوام في طاعة بدر ، فأنزله وأكرمه ، وأشار عليه بالمسير في وقته ، وحذره الطلب . فاعتل بالتعب وطلب الإستراحة ونام . وبلغ خبره إلى أبي الفتح بن عناز ـ وهو في طاعة بهاء الدولة ـ وكان قريباً منهم ، فسار إليهم بخانقين ـ وهو بها ـ فحصره ، وأخذه وسار به إلى بغداد فسيَّره عميد الجيوش إلى بهاء الدولة . فلقيهم في الطريق قاصد من بهاء الدولة يأمره بقتله . فقُتِلَ وحُمِلَ رأسه إلى بهاء الدولة وطِيْفَ به بخوزستان ، وفارس ، وكان بواسط عاشر صفر .

ذكر مسير عميد الجيوش إلى حرب بدر وصلحه معه

كان في نفس بهاء الدولة على بدر بن حسنويه حقد لما اعتمده في بلاده لاشتغاله عنه بأبي العباس بن واصل . فلما قُتِلَ أبو العباس أمر بهاء الدولة عميد الجيوش بالمسير إلى بلاده ، وأعطاه مالاً أنفقه في الجند . فجمع عسكراً وسار يريد بلاده ، فنزل جند يسابور ، فأرسل إليه بدر ، إنك لم تقدر على أن تأخذ ما تغلب عليه بنو عقيل من أعمالكم ، وبينهم وبين بغداد فرسخ حتى صالحتهم فكيف تقدر على أخذ بلادي ، وحصوني مني ، ومعي من الأموال ما ليس معك مثلها ، وأنا معك بين أمرين إن حاربتك ، فالحرب سجال ، ولا نعلم لمن العاقبة ، فإن انهزمت أنا لم ينفعك ذلك لأنني أحتمي بقلاعي ومعاقلي ، وأنفق أموالي ، وإذا عجزت فأنا رجل صحراوي صاحب عمد أبعد ثم أقرب ، وإن انهزمت أنت لم تجتمع وتلقى من صاحبك

العسف ، والرأي أن أحمل إليك مالا ترضي به صاحبك ، ونصطلح ، فأجابه إلى ذلك ، وصالحه وأخذ منه ما كان أخرجه على تجهيز الجيش وعاد منه .

ذكر الحرب بين قرواش وأبي علي بن ثمال الخفاجي

في المحرم ، جرت وقعة بين معتمد الدولة أبي المنيع قرواش بن المقلد العقيلي ، وبين أبي علي بن ثمال الخفاجي ، وكان سببها أن قرواش جمع جمعاً كثيراً وسار إلى الكوفة ، وأبو علي غائب عنها ، فدخلها ونزل بها . وعرف أبو علي الخبر ، فسار إليه فالتقوا واقتتلوا ، فانهزم قرواش ، وعاد إلى الأنبار مفلولاً ، وملك أبو علي الكوفة ، وأخذ أصحاب قرواش ، فصادرهم .

ذكر خروج أبي ركوة على الحاكم بمصر

في هذه السنة ظفر الحاكم بأبي ركوة ، ونحن نذكر ههنا خبره أجمع ، كان أبو ركوة اسمه الوليد ، وإنما كُنِّي أبا ركوة ، لركوة كان يحملها في أسفاره سنة الصوفية ، وهو من ولد هشام بن عبد الملك بن مروان ، ويقرب في النسب من المؤيد هشام بن الحاكم الأموي صاحب الأندلس . وإن المنصور بن أبي عامر لما استولى على المؤيد ، وأخفاه عن الناس ، تتبع أهله ومن يصلح منهم للملك فطلبه فقتل البعض وهرب البعض ، وكان أبو ركوة ممن هرب ـ وعمره حينئذ قد زاد على العشرين سنة ـ وقصد مصر ، وكتب الحديث .

ثم سار إلى مكة واليمن ، وعاد إلى مصر ، ودعا بها الى القائم ، فأجابه بنو قرة وغيرهم ، وسبب استجابتهم أن الحاكم بأمر الله كان قد أسرف في مصر في قتل القواد ، وحبسهم وأخذ أموالهم وسائر القبائل معه في ضنك وضيق ، ويودون خروج الملك عن يده ، وكان الحاكم في الوقت الذي دعا أبو ركوة بني قرة قد آذاهم وحبس منهم جماعة من أعيانهم ، وقتل بعضهم . فلما دعاهم أبو ركوة ، انقادوا له . وكان بين بني قرة وبين زناتة حروب ودماء . فاتفقوا على الصلح ومنع أنفسهم من الحاكم ، فقصد بني قرة وفتح مكتباً يعلم الصبيان الخطَّ ، وتظاهر بالدين والنسك ، وأمَّهم في صلواتهم ، فشرع في دعوتهم إلى ما يريده فأجابوه وبايعوه ، واتفقوا عليه ، وعرَّفهم حينئذ نفسه وذكر لهم ، أن عندهم في الكتب ، أنه يملك مصر وغيرها ووعدهم ومناهم يوماً وما يعدهم الشيطان إلّا غروراً . فاجتمعت بنو قرة ، وزناتة على بيعته وخاطبوه

بالإمامة ـ وكانوا بنواحي برقة ـ ، فلما سمع الوالي ببرقة خبره ، كتب الى الحاكم ينهيه إليه ، ويستأذنه في قصدهم ، وإصلاحهم فأمره بالكفِّ عنهم واطراحهم . ثم إن أبا ركوة جمعهم ، وسار إلى برقة ، واستقرَّ بينهم أن يكون الثلث من الغنائم له والثلثان لبني قرة ، وزناتة ، فلما قاربها ، خرج إليه واليها فالتقوا ، فانهزم عسكر الحاكم ، وملك أبو ركوة برقة ، وقوي هو ومن معه بما اخذوا من الأموال والسلاح وغيره[1] ونادى بالكفِّ عن الرَّعية والنهب ، وأظهر العدل وأمر بالمعروف . فلما وصل المنهزمون إلى الحاكم عظم عليه الأمر ، واهمته نفسه ، وملكه وعاود الإحسان إلى الناس ، والكفِّ عن أذاهم . وندب عسكراً نحو خمسة آلاف فارس ، وسيَّرهم وقَدِمَ عليهم قائداً يُعرفُ بينال الطويل وسيَّره ، فبلغ ذات الحمام ، وبينها وبين برقة مفازة فيها منزلان لا يلقى السالك الماء إلّا في آبار عميقة بصعوبة وشدة ، فسيَّر أبو ركوة قائداً في الف فارس وأمرهم بالمسير إلى ينال ومن معه ، ومطاردتهم قبل الوصول الى المنزلين المذكورين ، وأمرهم إذا عادوا أن يغوروا الآبار، ففعلوا ذلك وعادوا . فحينئذ سار أبو ركوة في عساكره ، ولقيهم ، وقد خرجوا من المفازة على ضعف وعطش فقاتلهم فاشتدّ القتال فحَمَلَ ينال على عسكر أبي ركوة ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ـ وأبو ركوة واقفٌ لم يحمل هو ولا عسكره ـ فاستأمن اليه جماعة كثيرة من كُتامة لما نالهم من الأذى والقتل من الحاكم ، وأخذوا الأمان لمن بقي من اصحابهم ، ولحقهم الباقون فحمل حينئذ بهم على عساكر الحاكم، فانهزمت وأُسِرَ ينال وقتل وأُسِرَ أكثر عسكره، وقُتِلَ منهم خلق كثير .

وعاد إلى برقة وقد امتلأت أيديهم من الغنائم ، وانتشر ذكره وعظمت هيبته ، وأقام ببرقة وترددت سراياه إلى الصعيد وأرض مصر . وقام الحاكم من ذلك وقعد وسقط في يده وندم على ما فرط ، وفرح جند مصر وأعيانها ، وعلم الحاكم ذلك فاشتدَّ قلقه وأظهر الاعتذار عن الذي فعله .

وكتب الناس إلى أبي ركوة يستدعونه ، وممن كتب إليه الحسين بن جوهر

---

(١) في البداية والنهاية ١١ / ٣٦٠ « ودخل برقة في جحفل عظيم فجمع له اهلها نحواً من مائتي ألف دينار وأخذ رجلاً من اليهود اتهم بشيء من الودائع فاخذ منه مائتي الف دينار ايضاً ونقشوا الدراهم والدنانير بالقابه وخطب بالناس يوم الجمعة ولعن الحاكم في خطبته ونعماً فعل فالتف على ابي ركوة من الجنود نحو من ستة عشر ألفاً »

المعروف بقائد القواد . فسار حينئذ عن برقة الى الصعيد ، وعلم الحاكم فاشتدَّ خوفه ، وبلغ الأمر به كل مبلغ ، وجمع عساكره واستشارهم وكتب إلى الشام يستدعي العساكر . فجاءته . وفرَّق الأموال ، والدواب ، والسلاح وسيَّرهم ـ وهم إثنا عشر الف رجل بين فارس وراجل سوى العرب ـ واستعمل عليهم الفضل بن عبدالله (١) فلما قاربوا أبا ركوة لقيهم في عساكره ورام مناجزة المصريين ، والفضل يحاجزه ويدافع ويراسل أصحاب أبي ركوة يستميلهم ويبذل لهم الرغائب فأجابه قائد كبير من بني قرَّة يُعرَف بالماضي ، وكان يطالعه بأخبار القوم ، وما هم عازمون فيدبِّر الفضل أمره على حسب ما يعلمه منه . وضاقت الميرة على العساكر ، فاضطرَّ الفضل الى اللقاء ، فالتقوا واقتتلوا بكوم شريك ، فقتل بين الفريقين قتلى كثيرة ، ورأى الفضل من جمع أبي ركوة ما هاله وخاف المناجزة فعاد الى عسكره .

وراسل بنو قرة العرب الذين في عسكر الحاكم يستدعونهم إليهم ، ويذكِّرونهم أعمال الحاكم بهم ، فأجابوهم ، واستقرَّ الأمر أن يكون الشام للعرب ، ويصير لأبي ركوة ومن معه مصر ، وتواعدوا ليلة يسير فيها أبو ركوة إلى الفضل ، فإذا وصل إليه ، انهزمت العرب ولا يبقى دون مصر مانع .

فكتب الماضي الى الفضل بذلك ، فلما كان ليلة الميعاد جمع الفضل رؤساء العرب ليفطروا عنده ، وأظهر أنه صائم وطاولهم الحديث ، وتركهم في خيمة واعتزلهم ووصَّى أصحابه بالحذر . ورام العرب العود إلى خيامهم فعللهم وطاولهم ، ثم أحضر الطعام ، وأحضرهم فأكلوا وتحدثوا .

وسيَّر الفضل سرية إلى طريق أبي ركوة فلقوا العسكر الوارد من عنده فاقتتلوا ووصل الخبر إلى العسكر وارتج . وأراد العرب الركوب ، فمنعهم وأرسل إلى

---

(١) الذي في البداية والنهاية : ١١ / ٣٦٠ « ان الفضل بن عبد الله كان في جيش ابي ركوة فارسل اليه الحاكم بمال ليغريه ويستميله إلى جيشه والغدر بابي ركوة وهاك نص عبارته « فلما بلغ الحاكم أمره وما آل إليه حاله بعث بخمسمائة الف دينار وخمسة آلاف ثوب إلى مقدم جيوش ابي ركوة ـ وهو الفضل بن عبد الله ـ يستميله اليه ويثنيه عن ابي ركوة فحين وصلت الأموال اليه رجع عن ابي ركوة وقال له : إنا لا طاقة لنا بالحاكم وما دمت بين اظهرنا فنحن مطلوبون بسببك فاختر لنفسك بلداً تكون فيها فسأل أن يبعثوا معه فارسين يوصلانه الى النوبة » الخ ، وما في النجوم الزاهرة يوافق ما هنا من أن الفضل بن عبد الله كان في جيش الحاكم لا في جيش ابي ركوة.

أصحابهم من العرب ، فأمرهم بالركوب والقتال ولم يكن عندهم علم بما فعل رؤساؤهم . فركبوا واشتدَّ القتال ورأى بنو قرة الأمر على خلاف ما قرروه ، ثم ركب الفضل ، ومعه رؤساء العرب وقد فاتهم ما عزموا عليه ، فباشروا الحرب وغاصوا فيها ، وورد أبو ركوة مدداً لأصحابه . فلما رآه الفضل ردَّ أصحابه وعاد إلى المدافعة ، وجهَّزَ الحاكم عسكراً آخر أربعة آلاف فارس ، وعبروا إلى الجيزة . فسمع أبو ركوة بهم فسار مجدًا في عسكره ليوافقهم[1] عند مصر وضبط الطرق لئلا يسمع الفضل ، ولم يمكن الماضي أن يكتبه فساروا ، وأرسل إليه من الطريق يعرفه الخبر ، وقطع أبو ركوة مسيرة خمس ليالٍ في ليلتين ، وكبسوا عسكر الحاكم بالجيزة وقتلوا نحو ألف فارس ، وخاف أهل مصر ، ولم يبرز الحاكم من قصره . وأمر الحاكم من عنده من العساكر بالعبور الى الجيزة . ورجع أبو ركوة فنزل عند الهرمين ثم انصرف من يومه . وكتب الحاكم الى الفضل كتاباً ظاهراً يقول فيه : إن ابا ركوة انهزم من عساكرنا ليقرأه على القوّاد، وكتب إليه سرًّاً يعلمه الحال ، فأظهر الفضل البشارة بانهزام أبي ركوة تسكيناً للناس . ثم سار أبو ركوة الى موضع يعرف بالسبخة كثير الأشجار . وتبعه الفضل ، وكمن أبو ركوة بين الأشجار ، وطارد عسكر الفضل ورجعَ عسكره القهقرى ليستجروا عسكر الفضل ، ويخرج الكمين عليهم . فلما رأى الكمناء رجوع عسكر أبي ركوة ظنوها الهزيمة لا شك فيها فولوا يتبعونهم . وركبهم أصحاب الفضل ، وعلوهم بالسيوف فقتل منهم ألوف كثيرة ، وانهزم أبو ركوة ومعه بنو قرة ، وساروا إلى حللهم . فلما بلغوها ثبطهم الماضي عنه فقالوا له : قد قاتلنا معك ولم يبقَ فينا قتال فخذ لنفسك وانج .

---

(١) قال في النجوم الزاهرة « فأمر الحاكم ان يشهر أبو ركوة على جمل ويطاف به وكانت القاهرة قد زينت احسن زينة وكان بها شيخ يقال له : الابزاري اذا خرج خارجي صنع له طرطوراً وعمل فيه الوان الخرق المصبوغة وأخذ قرداً ويجعل في يده درة ويعلمه أن يضرب بها الخارجي من ورائه ويعطى مائة دينار وعشر قطع قماش فلما قطع أبو ركوة الجيزة امر به الحاكم فاركب جملاً بسنامين والبس الطرطور واركب الابزاري خلفه والقردبيده الدرة وهو يضربه والعساكر حوله وبين يديه خمسة عشر فيلا مزينة ودخل القاهرة على هذا الوصف ورؤوس أصحابه بين يديه على الخشب والقصب وجلس الحاكم في منظرة على باب الذهب والترك والديلم عليهم السلاح وبأيديهن اللتوث وتحتهم الخيول بالتجافيف ـ جمع تجفاف ـ بكسر التاء ـ آلة للحرب من حديد وغيره تلبسها الفرس للوقاية بها كأنها درع ـ حول أبي ركوة وكان يوماً عظيماً، وامر به الحاكم أن يخرج إلى ظاهر القاهرة ويضرب عنقه على تل بازاء مسجد ريدان خارج القاهرة فلما حمل الى هناك انزل فاذا به ميت فقطع رأسه وحمل به الى الحاكم فأمر بصلب جسده اهـ.

فسار إلى بلد النوبة . فلما بلغ إلى حصن يُعرفُ بحصن الجبل للنوبة ، أظهر أنه رسول من الحاكم إلى ملكهم فقال له صاحب الحصن : الملك عليل ولا بد من استخراج أمره في مسيرك إليه » . وبلغ الفضل الخبر فأرسل إلى صاحب القلعة بالخبر على حقيقته ، فوكل به من يحفظه ، وأرسل إلى الملك بالحال ، وكان ملك النوبة قد توفي وملك ولده فأمر بان يسلم إلى نائب الحاكم . فتسلمه رسول الفضل وسار به فلقيه الفضل وأكرمه، وأنزله في مضاربه، وحمله إلى مصر فأشهِرَ بها وطِيف به، وكتب أبو ركوة إلى الحاكم رقعة يقول فيها : « يا مولانا الذنوب عظيمة وأعظم منها عفوك ، والدماء حرام ما لم يحللها سخطك وقد أحسنت وأسأت ، وما ظلمت إلّا نفسي وسوء عملي أو بقني » . وأقول :

فررْتُ فلم يغنِ الفرارُ ومن يكنْ ... مع الله لم يعجزْهُ في الأرضِ هاربُ
ووالله ما كان الفرارُ لحاجةٍ ... سوى فزع الموتِ الذي أنا شاربُ
وقد قادني جرمي إليك برمَّتي ... كما خرَّ ميتاً في رحا الموت ساربُ
وأجمعَ كلُّ الناس أنك قاتلي ... فيارب ظنٍّ ربُّهُ فيك كاذبُ
وما هو إلّا الإنتقام وينتهي ... وأخذُكَ منه واجباً لكَ واجبُ

ولما طِيْفَ به أُلبِسَ طرطوراً ، وجُعل خلفه قرد يصفعه ، كان معلماً بذلك ، ثم حُمِلَ إلى ظاهر القاهرة ليقتَلَ ويُصلَبَ فتوفي قبل وصوله ، فقُطِعَ رأسه وصُلِبَ . وبالغ الحاكم في إكرام الفضل إلى حدٍّ أنه عاده في مرضة مرضها دفعتين ، فاستعظم الناس ذلك ، ثم أنه عمل في قتل الفضل لما عوفي فقتله .

ذكر القبض على مجد الدولة وعوده الى ملكه

في هذه السنة قبضت والدة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه صاحب الري ، وبلد الجبل عليه . وكان سبب ذلك ان الحكم كان إليها في جميع أعمال ابنها . فلما وَزِرَ له الخطير أبو علي بن علي بن القاسم ، استمال الأمراء ووضعهم عليها ، والشكوى عليها . وخوَّفَ ابنها منها فصار كالمحجور عليه . فخرجت من الري إلى القلعة فوضع عليها من يحفظها . فعملت الحيلة حتى هربت إلى بدر بن حسنويه ، واستعانت به في ردها إلى الري . وجاءها ولدها شمس الدولة ، وعساكر همذان ، وسار معها بدر إلى الري ، فحصروها . وجرى بين الفريقين قتال كثير مدة . ثم استظهر

بدر ، ودخل البلد ، وأسر مجد الدولة فقيدته والدته ، وسجنته بالقلعة ، وأجلسَت أخاه شمس الدولة في الملك ، وصار الأمر اليها . وعاد بدر إلى بلده وبقي شمس الدولة في الملك نحو سنة . فرأت والدته منه تنكراً وتغيراً وأن أخاه مجد الدولة ألين عريكة . وأسلم جانباً فأعادته إلى الملك . وسار شمس الدولة إلى همذان. وكره بدر هذه الحالة ، إلا أنه اشتغل بولده هلال عن الحركة فيها . وصارت هي تدبر الأمر ، وتسمع رسائل الملوك وتعطي الأجوبة . وأرسل شمس الدولة إلى بدريستمده. فسيَّر إليه جنداً فأخذهم ، وسار بهم إلى قم ، فحصروها فمنعها أهلها . ثم ان العساكر دخلوا طرقاً منها واشتغلوا بالنهب ، فأكبَّ عليهم العامة ، وقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل ، وانهزم الباقون إلى معسكرهم ، ثم قبض هلال بن بدر على أبيه ، فتفرق ذلك الجمع كله .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة اشتدَّ الغلاء بالعراق ، فضجَّ العامة وشغب الجند وكانت فتنة .

وفيها توفي عبد الصمد الزاهد ، ودُفِنَ عند قبر أحمد ، وكان غاية في الزهد والورع[١] . وفيها هب على الحجاج ريح سوداء بالثعلبية أظلمت لها الأرض ، ولم يرَ الناس بعضهم بعضاً وأصابهم عطش شديد ، ومنعهم ابن الجراح الطائي من المسير ليأخذ منهم مالاً ، فضاق الوقت عليهم فعادوا ولم يحجوا[٢] . وفيها مات علي بن أحمد أبو الحسن الفقيه المالكي المعروف بابن القصاب[٣] .

---

(١) هو أبو القاسم الدينوري الواعظ الزاهد قرأ القرآن ودرس الفقه على مذهب الشافعي على ابي سعيد الاصطخري وسمع الحديث من أبي بكر النجاد. وروى عنه الازجي والصيمري . وكان ثقة صالحاً يضرب به المثل في مجاهدة النفس واستعمال الصدق المحض والتعفف والتفقه والتقشف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحسن وعظه ووقعه في القلوب. وله حكايات تدل على ورعه وعفته وكرمه وكثرة احسانه، كان يدق السعد للعطارين بالاجرة ويقتات من ذلك توفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة ببغداد وصُلِّي عليه بالجامع المنصوري .

(٢) في البداية والنهاية ١١ / ٣٦٠ «فرجعوا إلى بلادهم فدخلوها في يوم التروية».

(٣) هو في الأصول بالباء صوابه « ابن القصار » بالراء المهملة كذا في الديباج المذهب وشذرات الذهب وتاريخ بغداد وغيرها تفقه بأبي بكر الأبهري وغيره وبه تفقه أبو ذر الهروي . والقاضي عبد الوهاب . ومحمد بن عمروس. وجماعة ولي قضاء بغداد وكان اصولياً نظاراً، وله كتاب في مسائل الخلاف لا يعرف للمالكيين كتاب في الخلاف اكبر منه. قال ابو ذر الهروي : هو افقه من لقيت من المالكية .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة

ذكر غزوة بَهِيْم [١] نَغَر

لما فرغ يمين الدولة من الغزوة المتقدمة ، وعاد الى غزنة واستراح هو وعسكره ، استعدَّ لغزوة أخرى فسار في ربيع الآخر من هذه السنة ، فانتهى إلى شاطىء نهر هندمند[٢] فلاقاه هناك أَبرَهَمَنْ[٣] بالُ بن أندبال في جيوش الهند ، فاقتتلوا مليا في النهار ، وكادت الهند تظفر بالمسلمين . ثم إن الله تعالى نصر عليهم ، فظفر بهم المسلمون فانهزموا على أعقابهم ، وأخذهم المسلمون بالسيف . وتبع يمين الدولة أثر أبرهمن بال حتى بلغ قلعة بهيم نغر - وهي على جبل عالٍ - وكان الهند قد جعلوها خزانة لصنمهم الأعظم ، فينقلون إليها أنواع الذخائر قرناً بعد قرن ، وأعلاق الجواهر [٤] وهم يعتقدون ذلك ديناً فاجتمع فيها على طول الأزمان مالم يسمع بمثله ، فنازلهم يمين الدولة وحصرهم وقاتلهم . فلما رأى الهنود كثرة جمعهم وحرصهم على القتال ، وزحفهم اليهم مرة بعد أخرى خافوا وجبنوا ، وطلبوا الأمان ، وفتحوا باب الحصن ، وملك المسلمون القلعة . وصعد يمين الدولة إليها في خواص أصحابه وثقاته ، فأخذ منها من الجواهر ما لايُحدُّ ومن الدراهم تسعين ألف ألف درهم شاهية[٥]

(١) بهيم: بفتح ثم كسر، ونغر بفتح النون والغين، كلاهما في بلاد الهند.

(٢) في العتبي « الى شط وِيهَند » بعد الواو المكسورة ياء مثناة تحتانية ثم هاء مفتوحة ثم نون ثم دال مهملة : مدينة عظيمة على شط سندرود وهي ما بين يرشو ولوهور .

(٣) أبرهمن : بعد الهمزة المفتوحة باء موحدة مفتوحة ثم راء مهملة ثم هاء مفتوحة ثم ميم ثم نون وربما يقال بترك الهمزة من أوله وهو العالم في لغة الهند وجمعه البراهمة ويقال لخادم الوثن : برهمن أيضاً، وبال عطف بيان على برهمن.

(٤) الأعلاق جمع علق بكسر فسكون وهو النفيس من كل شيء.

(٥) في العتبي « سبعين ألف ألف درهم شاهية ».

ومن الأواني الذهبيات والفضيات سبعمائة ألف وأربعمائة منا . وكان فيها بيت مملوء من فضة طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه خمسة عشر ذراعاً إلى غير ذلك من الأمتعة ، وعاد إلى غزنة بهذه الغنائم ، ففرش تلك الجواهر في صحن داره ، وكان قد اجتمع عنده رسل الملوك[١] ، فأدخلهم اليه فرأوا ما لم يسمعوا بمثله .

ذكر حال أبي جعفر بن كاكويه

هو أبو جعفر بن دشمنزيار ، وإنما قيل كاكويه لأنه كان ابن خال والدة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه ، وكاكويه هو الخال بالفارسية ، وكانت والدة مجد الدولة قد استعملته على أصبهان . فلما فارقت ولدها فسد حاله فقصد الملك بهاء الدولة وأقام عنده مدة . ثم عادت والدة مجد الدولة إلى ابنها بالري ، فهرب ابو جعفر وسار إليها فأعادته إلى اصبهان ، واستقر فيها قدمه وأعظم شأنه . وسيأتي من أخباره ما يعلم به صحة ذلك إن شاء الله تعالى .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في ربيع الأول ، وقع ثلج كثير ببغداد ، وواسط ، والكوفة ، والبطائح الى عبادان ، وكان ببغداد نحو ذراع ، وبقي في الطريق نحو عشرين يوماً .

وفيها وقعت الفتنة ببغداد في رجب . وكان أولها أن بعض الهاشميين من باب البصرة أتى ابن المعلم فقيه الشيعة في مسجده بالكرخ فآذاه ، ونال منه ، فثار به اصحاب ابن المعلم واستنفر بعضهم بعضاً وقصدوا أبا حامد الأسفرايني[٢] ، وابن الأكفاني ، فسبوهما وطلبوا الفقهاء ليوقعوا بهم فهربوا . وانتقل أبو حامد الأسفرايني الى دار القطن ، وعظمت الفتنة ، ثم إن السلطان أخذ جماعة وسجنهم فسكنوا . وعاد أبو حامد إلى مسجده وأخرج ابن المعلم من بغداد ، فشفع فيه علي بن مزيد فأعيد . وفيها وقع الغلاء بمصر ، واشتدَّ وعظم الأمر ، وعدمت الأقوات ، ثم تعقبه

---

(١) في العتبي « واجتمعت وفود الاطراف على ادراك ما لم يروا في كتب الاولين اجتماع مثله لاحد من صناديد القروم وملوك العجم والروم . وحضر ذلك المشهد رسل طغان خان ملك الترك أخي أيلك فرأوا ما لم تره العيون ولم يملكه قارون صنع الله الذي امره اذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون.

(٢) وتفصيل بقية الحادثة كما هو في البداية والنهاية قال : وجرت فتنة عظيمة طويلة ، واحضرت الشيعة مصحفاً ذكروا انه مصحف عبد الله بن مسعود ، وهو مخالف للمصاحف كلها ، فجمع الاشراف والقضاة والفقهاء =

وباء كثير أفنى كثيراً من أهلها . وفيها زلزلت الـدينور زلزلة شديدة خرَّبَت المساكن ، وهلك خلق كثير من أهلها الذين دفنوا ستة عشر ألفاً سوى من بقي تحت الهدم ، ولم يشاهد[١] . وفيها أمر الحاكم بأمر الله صاحب مصر بهدم بيعة قمامـة ، وهي بالبيت المقدس وتسميها العامة القيامة . وفيها الموضع الذي دُفِنَ فيه المسيح عليه السلام ، فيما يزعمة النصارى ، وإليها يحجون من أقطار الأرض ، وأمر بهدم البيع في جميع مملكته ، فهُدِمَتْ وأمر اليهود ، والنصارى إما ان يسلموا أو يسيروا إلى بلاد الروم ، ويلبسوا الغيار . فاسلم كثير منهم . ثم أمر بعمارة البيع ومن اختار العود الى دينه ، عاد فارتدَّ كثير من النصارى[٢] .

وفيها توفي أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي وزير مجد الدولة ببروجرد .

= في يوم جمعة لليلة بقيت من رجب، وعرض المصحف عليهم فأشار الشيخ أبو حامد الاسفراييني والفقهاء بتحريقه؛ ففعل ذلك بمحضر منهم، فغضب الشيعة من ذلك غضباً شديداً، وجعلوا يدعون ليلة النصف من شعبان على من فعل ذلك ويسبونه، وقصد جماعة من احداثهم دار الشيخ أبي حامدليؤذوه فانتقل منها إلى دار القطن، وصاحوا يا حاكم يا منصور، وبلغ ذلك الخليفة فغضب وبعث أعوانه لنصرة أهل السنة، فحرقت دور كثيرة من دور الشيعة، وجرت خطوب شديدة، وبعث عميد الجيوش إلى بغداد لينفي عنها ابن المعلم فقيه الشيعة، فأخرج منها ثم شفع فيه ومنعت القصاص من التعرض للذكر والسؤال باسم الشيخين وعلي رضي الله عنهم، وعاد الشيخ أبو حامد الى داره على عادته ١١/٣٦٢.

(١) في النجوم الزاهرة « وخرج من سلم الى الصحراء وبنوا لهم أكواخاً من القصب وذهب من الأموال ما لا يعد ولا يحصى.

(٢) وتفصيل الكلام كما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١١/٣٦٢ وفيها أمر الحاكم بتخريب قمامة وهي كنيسة النصارى ببيت المقدس، وأباح للعامة ما فيها من الأموال والأمتعة وغير ذلك، وكان سبب ذلك البهتان الذي يتعاطاه النصارى في يوم الفصح من النار التي يحتالون بها، وهي التي يوهمون جهلتهم أنها نزلت من السماء، وانما هي مصنوعة بدهن البلسان في خيوط الابريسم؛ والرقاع المدهونة بالكبريت وغيره بالصنعة اللطيفة التي تروح على الطغام منهم والعوام، وهم الى الآن يستعملونها في ذلك المكان بعينه . وكذلك هدم في هذه السنة عدة كنائس ببلاد مصر، ونودي في النصارى: من أحب الدخول في دين الاسلام دخل ومن لا يدخل فليرجع إلى بلاد الروم آمناً؛ ومن أقام منهم على دينه فليلتزم بما شرط عليهم من الشروط التي زادها الحاكم على العمرية، من تعليق الصلبان على صدورهم، وأن يكون الصليب من خشب زنته أربعة أرطال، وعلى اليهود تعليق رأس العجل زنته ستة أرطال وفي الحمام يكون في عنق الواحد منهم قربة زنة خمسة ارطال بأجراس، وان لا يركبوا خيلاً . ثم بعد هذا كله أمر باعادة بناء الكنائس التي هدمها واذن لمن أسلم منهم في الارتداد الى دينه . وقال ننزه مساجدنا أن يدخلها من لانية له، ولا يعرف باطنه، قبحه الله اهـ. وذكره القلانسي بأوسع من هذا.

وكان سبب مجيئه إليها أن أم مجد الدولة بن بويه اتهمته أنه سمَّ أخاه فمات . فلما توفي أخوه طلبت منه مائتي دينار ، لتنفقها في مأتمه فلم يعطها ، فأخرجته فقصد بروجرد ـ وهي من أعمال بدر بن حسنويه ـ فبذل بعد ذلك مائتي الف دينار ليعود الى عمله ، فلم يقبل منه . فأقام بها إلى أن توفي وأوصى أن يدفن بمشهد الحسين عليه السلام ، فقيل للشريف أبي أحمد والد الشريف الرضي أن يبيعه بخمسمائة دينار موضع قبره فقال : من يريد جوار جدي لا يباع . وأمر أن يعمل له قبرٌ وسيّر معه من أصحابه خمسين رجلاً فدفنه بالمشهد. وتوفي بعده بيسير ابنه أبو القاسم سعد ، أبو عبدالله الجرجاني الحنفي بعد أن فُلِجَ(١) ، وأبو الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالببغا الشاعر وديوانه مشهور(٣) ، والقاضي أبو عبدالله الضبي بالبصرة(٢) ، والبديع أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني صاحب المقامات المشهورة وله شعر حسن وقرأ الأدب على أبي الحسين بن فارس مصنف المجمل(٤) ، وتوفي أبو بكر أحمد بن علي بن لال الفقيه

---

(١) هو محمد بن يحيى بن مهدي أبو عبد الله الجرجاني الفقيه احد الاعلام. وكان من العلماء الزهاد العباد المناظرين لابي بكر الرازي تفقه على ابي بكر الرازي. وتفقه عليه أبو الحسين القدوري. وأحمد بن محمد الناطفي. قال ابن النجار : حدث عن عبد الله بن اسحاق بن يعقوب البصري. وابي أحمد الغطريفي. روى عنه أبو سعد اسماعيل بن علي السمان الرازي في معجم شيوخه. وأبو نصر الشيرازي في فوائده وذكرانهما كتبا عنه ببغداد. وذكره الخطيب في التاريخ ولم يذكر له رواية. وكان يدرس بالمسجد الذي بقطيعة الربيع مات في يوم اربعاء لعشر بقين من رجب ودفن إلى جانب قبر أبي حنيفة.

(٢) هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي اصله من أهل نصيبين وكان في عنفوان امره وريعان شبابه متصلاً بسيف الدولة مقيماً في جملته ثم تنقلت به بعد وفاة صاحبه الاحوال في وروده الموصل وبغداد ومنادمته بهما الملوك والرؤساء واخفاقه مرة وانجاحه أخرى، قال الأمير أبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي ـ يوزره من ذكر التقائه معه عند صدره من الحج ودخوله بغداد في سنة تسعين وثلاثمائة : رأيته بها شيخاً عالي السن متطاول الأمد نظيف اللبسة بهي الركبة مليح اللثغة ظريف الجملة قد أخذت الأيام من جسمه وقوته ولم تأخذ من ظرفه وأدبه.

(الببغاء): بفتح الباء الأولى الموحدة وتشديد الباء الثانية وفتح الغين المعجمة وبعدها ألف وهو لقب ـ وإنما لقب به لحسن فصاحته : وقيل: للثغة كانت في لسانه، قال القاضي ابن خلكان : ووجد بخط أبي الفتح بن جني النحوي « الففغاء » بفاءين.

(٣) هو أبو عبد الله الحسين بن هرون البغدادي ولي قضاء مدينة المنصور. وقضاء الكوفة. واملى الكثير عن المحاملي. وابن عقدة وطبقتهما. قال الدارقطني : وهو غاية في الفضل والدين عالم بالأقضية عالم بصناعة المحاضر والترسل موفق في أحواله كلها رحمه الله.

(٤) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني الاديب المعروف ببديع الزمان صاحب =

الشافعي الهمذاني بنواحي عكا بالشام ، كان انتقل إلى هناك[١] .

= الرسائل الفائقة والمقامات الرائقة ـ وطبعا غير مرة ـ وقد طار صيته في الاقطار وسار حبر فضله في جميع الأمصار.

(١) هو أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن الفرج بن لال أبو بكر الهمذاني . ولد سنة سبع أو ثمان وثلاثمائة وروى عن أبيه، والقاسم بن أبي صالح، واسماعيل الصفار، وعبد الباقي بن قانع، وأبي سعيد بن الاعرابي وخلق. روى عنه جعفر بن محمد الابهري، وحميد بن المأمون، وأبو مسعود أحمد بن محمد البجلي الرازي وخلق من أهل همذان.

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثلاثمائة

ذكر ابتداء حال صالح بن مرداس

لما قتل عيسى بن خلاط أبا علي بن ثمال بالرحبة ، وملكها أقام فيها مدة ثم قصده بدران بن المقلد العقيلي ، فأخذ الرحبة منه وبقيت لبدران . فأمر الحاكم بامر الله نائبه بدمشق لؤلؤاً البشاري بالمسير إليها ، فقصد الرقة أولاً وملكها ، ثم سار إلى الرحبة وملكها ثم عاد إلى دمشق ، وكان بالرحبة رجل من أهلها يُعرفُ بابن محكان فملك البلد . واحتاج إلى من يجعله ظهره ويستعين به على من يطمع فيه ، فكاتب صالحِ بن مرداس الكلابي ، فقدم عليه ، وأقام عنده مدة . ثم إن صالحاً تغير عن ذلك فسار إلى ابن محكان ، وقاتله على البلد ، وقطع الأشجار ثم تصالحا وتزوج ابنة ابن محكان . ودخل صالح البلد إلاّ أنه كان أكثر مقامه بالحلة . ثم إن ابن محكان راسل أهل عانة ، فأطاعوه ، ونقل أهله وماله إليهم ، وأخذ رهائنهم . ثم خرجوا عن طاعته وأخذوا ماله واستعادوا رهائنهم ، وردُّوا أولاده . فاجتمع ابن محكان ، وصالح على قصد عانة فسارا إليها . فوضع صالح على ابن محكان من يقتله فقتل غيلة ، وسار صالح إلى الرحبة فملكها ، وأخذ أموال ابن محكان وأحسن إلى الرعية ، واستمرَّ على ذلك إلا أن الدعوة للمصريين .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قُتِلَ أبو علي بن ثمال الخفاجي . وكان الحاكم بأمر الله صاحب مصر قد ولاّه الرحبة، فسار إليها، فخرج إليه عيسى بن خلاط العقيلي، فقتله وملك الرحبة ثم ملكها بعده غيره، فصار أمرها إلى صالح بن مرداس الكُلابي صاحب حلب.

وفيها صرف أبو عمر بن عبد الواحد الهاشمي عن قضاء البصرة ، وكان قد علا

إسناده في رواية السنن لأبي داود السجستاني ومن طريقه سمعناه ، وولي القضاء بعده أبو الحسن بن أبي الشوارب فقال العصفري الشاعر :

عندي حديثٌ ظريفٌ بمثلِهِ يتغنَّى من قاضيين يعزىٰ هذا وهذا يهنا
فذا يقول إكرهونا وذا يقول استرحنا ويكذبان ونهذي فمن يصدقُ منا

وفيها توفي أبو داود بن سيامرد بن باجعفر ، ودُفِنَ عند قبر الذوربنهر المعلى وقبته مشهورة[١] ، وأبو محمد النامي الفقيه الشافعي[٢] وهو القائل :

ياذا الذي قاسَمَني في البلا فاختارَ أن يسكنَهُ أولا
ما وطنت نفسي ولكنَّها تسري إليكم منزلاً منزلا

---

(١) لم أعثر على ترجمته .

(٢) لم أعثر على ترجمته إلا في اليتيمة قال : هو للعلم مجمع وللادب مفزع واليه الرحلة اليوم ببغداد في تدريس كتب الشافعي رحمه الله مع الشيخ أبي حامد الاسفرائيني ايده الله . وله لسان يستوفي أقسام الفصاحة . ويجمع بين العذوبة . وحسن العبارة والبراعة . وشعر يشرف بصاحبه .

ثم دخلت سنة اربعمائة

ذكر وقعة نارين[١] بالهند

في هذه السنة تجهَّزَ يمين الدولة إلى الهند عازماً على غزوها ، فسار إليها واخترقها ، واستباحها ونكس أصنامها . فلما رأى ملك الهند انه لا قوة له به ، راسله في الصلح والهدنة على مال يؤديه وخمسين فيلاً وان يكون له في خدمته الفا فارس لا يزالون ، فقبض منه ما بذله ، وعاد عنه إلى غزنة[٢] .

ذكر الخلف بين بدر بن حسنويه وابنه هلال

في هذه السَّنة كانت حرب بين بدر بن حسنويه الكردي ، وبين ابنه هلال . وكان سبب الوحشة بينهما أن أم هلال كانت من الشاذنجان ، فاعتزلها أبوه عند ولادته ، فنشأ هلال مبعداً منه لا يميل إليه . وكانت نعمة بدر لابنه الآخر أبي عيسى ، فلما كان في بعض الأيام خرج هلال مع أبيه متصيداً ، فرأيا سبعاً ، وكان بدر إذا رأى سبعاً قتله بيده . فتقدّم هلال إلى الأسد بغير إذن أبيه ، فقتله فاغتاظ أبوه وقال : كأنك قد فتحت فتحاً ، وأي فرق بين السبع والكلب ؟ ورأى إبعاده عنه لشدته فأقطعه الصامغان ، وسهل ذلك على هلال لينفرد بنفسه عن أبيه . فأول ما فعله أنه أساء مجاورة ابن الماضي صاحب شهرزور ، وكان موافقاً لأبيه بدر ، فنهى بدر ابنه هلالاً عن معارضته ،

---

(١) قال صدر الأفاضل : هي بلفظ نار التي هي واحدة النيران وبعدها ألف ثم ياء مثناة تحتانية ثم نون من ديار الهند.

(٢) ظاهر كلام العتبي في تاريخه ان يمين الدولة أوقع بعظيم العلوج وغنم من الخيول والأموال والأفيال شيئاً كثيراً ثم رجع إلى غزنة ولما رأى ملك الهند ما صبه الله عليه وعلى أهل مملكته من وسط العذاب بوقائع السلطان يمين الدولة فيهم ونكايته في قاصيهم ودانيهم وايقن أنه لا قبل له بثقل وطأته وخشونة جانبه ارسل إليه . اعيان اقاربه يلتمس منه هدنة ويقدم له ما ذكره المؤلف تنبه لذلك .

فلم يسمع قوله ، وأرسل إلى ابن الماضي يتهدده ، فأعاد بدر مراسلة ابنه في معناه وتهدده إن تعرض لشيء هو له . فكان جواب نهيه أنه جمع عسكر ، وحصر شهرزور ، ففتحها وقتل ابن الماضي ، وأهله ، وأخذ أموالهم . فورد على بدر من ذلك ما ازعجه ، وأقلقه وأظهر السخط على هلال . وشرع هلال يفسد جند أبيه ويستميلهم ويبذل لهم . فكثر أصحاب هلال لإحسانه إليهم وبذله المال لهم ، وأعرض الناس عن بدر لإمساكه المال . فسار كل واحد منهما إلى صاحبه ، فالتقيا على باب الدينور .

فلما تراءى الجمعان إنحازت الأكراد إلى هلال ، فأخِذَ بدر أسيراً وحُمِلَ إلى ابنه ، فاشير على هلال بقتله وقالوا : لا يجوز أن تستبقيه بعدما أوحشته فقال : ما بلغ من عقوقي له أن أقتله . وحضر عند أبيه وقال له : أنت الأمير، وأنا مدبر جيشك، فخادعه أبوه بأن قال له : لا يسمعن هذا منك أحد فيكون هلاكنا جميعاً ، وهذه القلعة لك والعلامة في تسليمها كذا وكذا واحفظ المال الذي بها ، فإنك الأمير مادام الناس يظنون بقاءك . وأريد أن تفرد لي قلعة أتفرغ فيها للعبادة . ففعل ذلك وأعطاه جملة من المال .

فلما استقرَّ بدر بالقلعة عمَّرها وحصَّنها ، وراسل أبا الفتح بن عناز ، وأبا عيسى شاذي بن محمد ـ وهو باساد أباذ ـ يقول لكل واحد منهما ليقصد أعمال هلال ويشعثها . فسار أبو الفتح إلى قرميسين ، فملكها ، وسار أبو عيسى إلى سابورخواست فنهب حلل هلال . ومضى إلى نهاوند وبها أبو بكر بن رافع ، فاتبعه هلال إليها ووضع السيف في الديلم ، فقتل منهم أربعمائة نفس منهم تسعون أميراً . وأسلم ابن رافع أبا عيسى إلى هلال فعفا عنه . ولم يؤاخذه على فعله وأخذه معه . وأرسل بدر إلى الملك بهاء الدولة يستنجده ، فجهَّزَ فخر الملك أبا غالب في جيش وسيَّره إلى بدر ، فسار حتى وصل إلى سابور خواست ، فقال هلال لأبي عيسى شاذي : قد جاءت عساكر بهاء الدولة فما الرأي؟ قال : الرأي أن تتوقف عن لقائهم وتبذل لبهاء الدولة الطاعة ، وترضيه بالمال فإن لم يجيبوك فضيق عليهم ، وانصرف بين أيديهم فإنهم لا يستطيعون المطاولة . ولا تظن هذا العسكر كمن لقيته بباب نهاوند فإن أولئك ذللهم أبوك على ممر السنين فقال : « غششتني ولم تنصحني وأردت بالمطاولة أن يقوى أبي وأضعف أنا وقتله » . وسار ليكبس العسكر ليلاً فلما وصل إليهم وقع الصوت ، فركب فخر الملك

في العساكر ، وجعل عند أثقالهم من يحميها ، وتقدَّم إلى قتال هلال ، فلما رأى هلال صعوبة الأمر ندِمَ ، وعلم أن أبا عيسى بن شاذي نصحه ، فندم على قتله . ثم أرسل إلى فخر الملك يقول له : « إنني ما جئت لقتالٍ وحربٍ ، إنما جئت لأكون قريباً منك وأنزل على حكمك فترد العسكر عن الحرب فإنني أدخل في الطاعة » ، فمال فخر الملك إلى هذا القول ، وأرسل الرسول إلى بدر ليخبره بما جاء به . فلما رأى بدر الرسول سبَّه وطردَهُ ، وارسل إلى فخر الملك يقول له : « إن هذا مكرٌ من هلال لما رأى ضعفه والرأي أن لا تنفس خناقه » ، فلما سَمِعَ فخر الملك الجواب ، قويت نفسه - وكان يتهم بدراً بالميل إلى ابنه - وتقدَّم إلى الجيش بالحرب ، فقاتلوا . فلم يكن بأسرع من أن أُتِيَ بهلال أسيراً . فقبّل الأرض ، وطلب أن لا يسلمه إلى أبيه ، فأجابه إلى ذلك ، وطلب علامته بتسليم القلعة ، فأعطاهم العلامة فامتنعت أمه ومن بالقلعة من التسليم ، وطلبوا الأمان فأمنَّهم فخر الملك . وصعد القلعة ومعه أصحابه ثم نزل منها وسلَّمها إلى بدر . وأخذ ما فيها من الأموال وغيرها ، وكانت عظيمة ، قيل : كان بها أربعون الف بدرة دراهم وأربعمائة بدرة ذهباً ، سوى الجواهر النفيسة ، والثياب ، والسلاح ، وغير ذلك . وأكثر الشعراء من ذكر هذا ، فممن قال مهيار[1] :

فظنُّوكَ تعبأ بحملِ العراق ... كأنْ لم يروكَ حملْتَ الجبالا
ولو لم تكنْ في العلو السماءُ ... لما كان غنمك منها هلالا
سريت إليه فكنت السرار ... له ولبدر أبيه كمالا

(وهي كثيرة)

ذكر عود المؤيد إلى إمارة الأندلس وما كان منه

قد ذكرنا سبب خلعه وحبسه ، فلما كان هذه السنة أعيد إلى خلافته ، واسمه هشام بن الحاكم بن عبد الرحمن الناصر ، وكان عوده تاسع ذي الحجة . وكان الحكم في دولته هذه إلى واضح العامري ، وأدخل أهل قرطبة إليه فوعدهم ومنَّاهم . وكتب إلى البربر الذين مع سُليمانَ بن الحاكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، ودعاهم إلى طاعته والوفاء ببيعته ، فلم يجيبوه إلى ذلك . فأمر أجناده وأهل قرطبة بالحذر والاحتياط ، فأحبَّهُ الناس . ثم نقِلَ إليه ، أن نفراً من الأمويين بقرطبة قد كاتبوا سُليمان

وواعدوه ليكون بقرطبة في السابع والعشرين من ذي الحجة ، ليسلموا إليه البلد . فأخذهم وحبسهم .

فلما كان الميعاد قَدِمَ البربر إلى قرطبة . فركب الجند وأهل قرطبة ، وخرجوا إليهم مع المؤيد ، فعاد البربر وتبعَهم عساكره فلم يلحقوهم ، وترددت الرسل بينهم فلم يتفقوا على شيء . ثم ان سليمان والبربر راسلوا ملك الفرنج يستمدونه ، وبذلوا له تسليم حصون، كان المنصور بن أبي عامر قد فتحها منهم. فأرسل ملك الفرنج إلى المؤيد يعرِّفُهُ الحال ، ويطلب منه تسليم هذه الحصون لئلا يمد سليمان بالعساكر . فاستشار أهل قرطبة في ذلك ، فاشاروا بتسليمها إليه خوفاً من أن ينجدوا سُليمان . واستقرَّ الصلح في المحرم سنة إحدى وأربعمائة .

فلما أيس البربر من إنجاد الفرنج رحلوا ، فنزلوا قريباً من قرطبة في صفر سنة إحدى وأربعمائة ، وجعلت خيلهم تغير يميناً وشمالاً وخرَّبوا البلاد . وعمل المؤيد ، وواضح العامري سوراً وخندقاً على قرطبة أمام السور الكبير. ثم نازل سليمان قرطبة خمسة وأربعين يوماً ، فلم يملكها . فانتقل إلى الزهراء وحصرها وقاتل من بها ثلاثة أيام .

ثم ان بعض الموكلين بحفظه سلَّمَ إليه الباب الذي هو موكل بحفظه ، فصعد البربر السور ، وقاتلوا من عليه حتى أزالوهم ، وملكوا البلد عنوة ، وقتل أكثر من به من الجند ، وصعد أهله الجبل واجتمع الناس بالجامع فأخذهم البربر ، وذبحوهم حتى النساء ، والصبيان ، وألقوا النار في الجامع ، والقصر ، والديار فاحترق أكثر ذلك ، ونُهِبَت الأموال .

ثم إن واضحاً كاتب سليمان يعرِّفهُ أنه يريد الانتقال عن قرطبة سراً ويشير عليه بمنازلتها بعد مسيره عنها ، ونما الخبر إلى المؤيد ، فقبض عليه وقتله ، واشتدّ الأمر بقرطبة ، وعظم الخطب وقلَّت الأقوات وكَثُرَ الموت . وكانت الأقوات عند البربر أقل منها بالبلد ، لأنهم كانوا قد خرَّبوا البلاد . وجلا أهل قرطبة ، وقتل المؤيد كل من مال إلى سُليمان ، ثم إن البربر ، وسليمان لازموا الحصار والقتال لأهل قرطبة وضيَّقوا عليهم . وفي مدة هذا الحصار ظهر بطليطلة عبيدالله بن محمد بن عبد الجبار وبايعه أهلها ، فسيَّر إليهم المؤيد جيشاً ، فحصروهم فعادوا إلى الطاعة وأخذ عبيدالله أسيراً

وقُتِلَ في شعبان سنة إحدى وأربعمائة . ثم إن أهل قرطبة قاتلوا في بعض الأيام البربر ـ فقتل منهم خلق كثير ، وغرق في النهر مثلهم فرحلوا عنها . وساروا إلى إشبيلية فحصروها . فارسل المؤيد إليها جيشاً فحماها ، ومنع البربر عنها . وراسل سليمان نائب المؤيد بسرقسطة وغيرها ، يدعوهم إليه ، فأجابوه وأطاعوه . فسار البربر وسُليمان عن إشبيلية إلى قلعة رباح ، فملكوها ، وغنموا ما فيها ، واتخذوها داراً ، ثم عادوا إلى قرطبة ، فحصروها وقد خرج كثير من أهلها وعساكرها من الجوع ، والخوف ، واشتدَّ القتال عليها ، وملكها سُليمان عنوةً وقهراً وقتلوا من وجدوا في الطريق ، ونهبوا البلد ، وأحرقوه فلم تحصَ القتلى لكثرتهم . ونزل البربر في الدُّور التي لم تحرق . فنال أهل قرطبة من ذلك ما لم يسمع بمثله . وأخرج المؤيد من القصر وحُمِلَ إلى سليمان . ودخل سليمان قرطبة ، منتصف شوَّال سنة ثلاث وأربعمائة ، وبويع له بها . ثم إن المؤيد جرى له مع سُليمان أقاصيص طويلة ، ثم خرج إلى شرق الأندلس من عنده ، وكان ممن قتل في هذا الحصر أبو الوليد بن الفرضي مظلوماً رحمه الله .

ذكر عدة حوادث

في هذه السَّنة أرسل الحاكم بأمر الله من مصر إلى المدينة ، ففتح بيت جعفر الصادق ، وأخرج منه مصحف ، وسيف ، وكساء ، وقعب ، وسرير[١] .

وفيها نقص الماء بدجلة حتى أصلحت ما بين أو انا وقريب بغداد حتى جرت السفن فيها[٢] . وفيها مَرِضَ أبو محمد بن سهلان ، فاشتد مرضه ، فنذر إن عوفيَ بنى سوراً على مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام ، فعوفي ، فأمر ببناء سور عليه ، فبني

(١) تفصيل الحادثة هو أن الحاكم بأمر الله ملك مصر أرسل إلى المدينة الى دار جعفر بن محمد الصادق من فتحها وأخذ منها ما كان فيها ـ وهذه الدار لم تكن فتحت بعد موت صاحبها إلى حينئذ وكان الذي فتحها ختكين العضدي الداعي ـ فكان فيها مصحف وسرير وآلات وكان مع المصحف قعب خشب مطوق بحديد ودرقة خيزران وحربة. وحمل معه رسوم الأشراف وعاد إلى مصر بما وجد في الدار وخرج معه من شيوخ العلويين جماعة إلى الديار المصرية فلما وصلوا إلى الحاكم أطلق لهم نفقات قليلة ورد عليهم السرير وأخذ الباقي وقال: أنا أحق به فانصرفوا وهم ذامون له داعون عليه.

(٢) في البداية والنهاية ١١/٣٦٥ « في ربيع الآخر منها نقصت دجلة نقصاً كثيراً حتى ظهرت جزائر لم تعرف وامتنع سير السفن في أعاليها من أذنة والراشدية فامر بكري تلك الأماكن ».

في هذه السنة . تـولى بناءه أبـو إسحاق الأرجـاني . وفيها ولـد عدنـان بن الشريف الرضي .

وفيها توفي النقيب أبو أحمد الموسوي ، والد الرضي بعد أن أضرَّ ووقف بعض أملاكه على البر، وصلَّى عليه ابنه الأكبر المرتضى ، ودُفِنَ بداره ، ثم نقل إلى مشهد الحسين عليه السلام . وكان مولده سنة أربع وثلاثمائة[١] . وفيها توفي أيضاً أبو جعفر الحجاج بن هرمز بالأهواز[٢] ، وعمدة الـدولة أبـو إسحاق بن معـز الدولـة بن بويـه بمصر . وفيها مرض الخليفة القادر بالله ، واشتد مرضه فأرجف عليه ، فجلس للناس وبيده القضيب[٣] فدخل إليه أبو حامد الأسفرايني فقال لابن حاجب النعمان : إسأل أمير المؤمنين أن يقرأ شيئاً من القرآن ليسمعَ الناس قراءته . فقرأ ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ﴾ الآيـات الثلاث[٤] وفيها توفي أبو العباس النامي الشاعر[٥] .

---

(١) هو الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق الشريف كان سيداً عظيماً مطاعاً كانت هيبته أشد من هيبة الخلفاء خاف منه عضد الدولة فاستصفى أمواله. وكانت منزلته عند بهاء الدولة ارفع المنازل ولقبه بالطاهر، والأوحد، وذي المناقبَ وكان فيه كل الخصال الحسنة إلا أنه كان رافضياً هو وأولاده على مذهب القوم. ولي نقابة الطالبيين نحواً من خمس مرات يعزل ويعاد وتولى النظر في المظالم والحج بالناس وقد تقدم ذكر ذلك توفي ببغداد وصلى عليه ابنه المرتضى ودفن في داره ثم نقل إلى مشهد الحسين.

(٢) كان نائب بهاء الدولة على العراق وكان تليده لقتال الأعراب والأكراد وكان من المقدمين في أيام عضد الدولة وله خبرة تامة بالحروب وحزمة شديدة وشجاعة وافرة وهمة عالية وآراء سديدة. ولما خرج من بغداد كثرت فيها الفتن توفي عن مائة وخمس سنين.

(٣) في البداية والنهاية ٣٦٥/١١ « فجلس للناس يوم جمعة بعد الصلاة وعليه البردة وبيده القضيب ».

(٤) زاد في البداية والنهاية ٣٦٥/١١ فتباكى الناس ودعوا وانصرفوا .

(٥) هو أبو العباس أحمد بن محمد الدارمي المصيصي المعروف بالنامي الشاعر المشهور. قال ابو منصور الثعالبي في وصفه: هو شاعر من فحولة شعراء العصر. وخواص شعراء سيف الدولة بن حمدان وكان عنده تلو المتنبي في المنزلة والمرتبة.

وكان فاضلاً أديباً مقدماً في اللغة عارفاً بالأدب. وله أمالي أملاها بحلب. روى فيها عن ابي الحسين علي بن سليمان الاخفش. وابن درستويه. وابي عبد الله الكرماني. وابي بكر الصولي. وابيـه محمد المصيصي. وروى عنه ابو القاسم الحسين بن علي بن أبي اسامة الحلبي. وأخوه أبو الحسين احمد. وابو الفرج الببغاء. والقاضي أبو طاهر. وصالح بن جعفر الهاشمي، وله مع المتنبي وقائع ومعارضات في الأناشيد. توفي بحلب وعمره تسعون سنة.

وأبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب الشاعر، صاحب الطريقة المشهورة في التجنيس . فمن شعره :

يا أيها السائلُ عن مذهبي لتقتدي فيه بمنهاجي
منهاجي العدلُ وقمعُ الهوى فهلْ لمنهاجي مِنْ هاجي

ثم دخلت سنة إحدى وأربعمائة

ذكر غزوة يمين الدولة بلاد الغور[١] وغيرها

بلاد الغور تجاور غزنة ، وكان الغور يقطعون الطريق ويخيفون السبيل ، وبلادهم جبال وعرة ، ومضايق غلقة ، وكانوا يحتمون بها ويعتصمون بصعوبة مسلكها . فلما كثُرَ ذلك منهم ، أنف يمين الدولة محمود بن سبكتكين أن يكون مثل أولئك المفسدين جيرانه ، وهم على هذه الحال من الفساد والكفر . فجمع العساكر وسار إليهم ، وعلى مقدمته التونتاش الحاجب صاحب هراة ، وأرسلان الجاذب صاحب طوس ـ وهما أكبر أمرائه ـ فسارا فيمن معهما حتى انتهوا إلى مضيق قد شحن بالمقاتلة ، فتناوشوا الحرب وصبر الفريقان . فسمع يمين الدولة الحال فجدَّ في السير إليهم ، وملك عليهم مسالكهم . فتفرقوا وساروا إلى عظيم الغورية المعروف بابن سوري[٢] فانتهوا إلى مدينته التي تُدعى آهنكران[٣] ، فبرز من المدينة في عشرة آلاف مقاتل ، فقاتلهم المسلمون إلى ان انتصف النهار ، فرأوا أشجع الناس وأقواهم على القتال . فأمر يمين الدولة أن يولوهم الأدبار على سبيل الاستدراج ففعلوا . فلما رأى الغورية ذلك ظنّوه هزيمة ، فاتبعوهم حتى أبعدوا عن مدينتهم ، فحينئذ عطف المسلمون عليهم ووضعوا السيوف فيهم ، فأبادوهم قتلاً وأسراً ، وكان في الأسرى كبيرهم وزعيمهم ابن سوري ، ودخل المسلمون المدينة ، وملكوها وغنموا ما فيها ، وفتحوا تلك القلاع والحصون التي لهم جميعاً . فلما عاين ابن سوري ما فعل

---

(١) بضم الغين المعجمة وسكون ثانية وآخره راء وتسمى الجبال.

(٢) سوري بسين مهملة مضمومة بعدها واو ساكنة ثم راء مهملة مفتوحة ثم ياء ساكنة.

(٣) هي بهمزة ممدودة. في الأصل جمع آهنكر وهو الحداد.

المسلمون بهم شرب سمّاً كان معه ، فمات وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

وأظهر يمين الدولة في تلك الأعمال شعار الإسلام ، وجعل عندهم من يعلّمهم شرائعه وعاد ، ثم سار إلى طائفة أخرى من الكفار فقطع عليهم مفازة من رمل ، ولحق عساكره عطش شديد كادوا يهلكون ، فلطف الله سبحانه وتعالى بهم . وأرسل عليهم مطراً سقاهم ، وسهل عليهم السير في الرمل . فوصل إلى الكفار ، وهم جمع عظيم ومعهم ستمائة فيل ، فقاتلهم أشد قتال صبر فيه بعضهم لبعض ثم إن الله نصر المسلمين ، وهزم الكفار وأخذ غنائمهم ، وعاد سالماً مظفراً منصوراً .

ذكر الحرب بين أيلك الخان وبين أخيه

وفي هذه السنة سار أيلك الخان في جيوش ، قاصداً قتال أخيه طغان خان . فلما بلغ أوزكند سقط من الثلج ما منعهم من سلوك الطرق، فعاد إلى سمرقند ، وكان سبب قصده أن أخاه أرسل إلى يمين الدولة ، يعتذر ويتنصل من قصد أخيه أيلك الخان بلاد خراسان ويقول : إنني ما رضيت ذلك منه ، ويلزم أخاه وحده الذنب ، وتبرأ هو منه . فلما علم أخوه أيلك الخان ، ذلك ساءه وحمله على قصده .

ذكر الخطبة للمصريين العلويين بالكوفة والموصل

في هذه السنة أيضاً ، خطب قرواش بن المقلد أمير بني عقيل للحاكم بأمر الله العلوي صاحب مصر بأعماله كلها وهي الموصل ، والأنبار ، والمدائن، والكوفة ، وغيرها . وكان ابتداء الخطبة بالموصل الحمدلله الذي انجلت بنوره غمرات الغضب ، وانهدت بقدرته أركان النصب ، واطلع بنوره شمس الحق من العرب . فأرسل القادر بالله أمير المؤمنين القاضي أبا بكر بن الباقلاني إلى بهاء الدولة ، يعرفه ذلك وأن العلويين والعباسيين ، انتقلوا من الكوفة إلى بغداد ، فأكرم بهاء الدولة القاضي أبا بكر ، وكتب إلى عميد الجيوش يأمره بالمسير إلى حرب قرواش ، وأطلق له مائة ألف دينار ينفقها في العسكر ، وخلع على القاضي أبي بكر ، وولاّه قضاء عمان والسواحل . وسار عميد الجيوش إلى حرب قرواش ، فأرسل يعتذر ، وقطع خطبة العلويين وأعاد خطبة القادر بالله .

ذكر الحرب بين بني مزيد ، وبين دبيس

كان أبو الغنائم محمد بن مزيد مقيماً عند بني دبيس في جزيرتهم بنواحي خوزستان ، لمصاهرة بينهم . فقتل أبو الغنائم أحد وجوههم ، ولحق بأخيه أبي الحسن علي بن مزيد ، فتبعوه فلم يدركوه ، وانحدر إليهم سند الدولة أبو الحسن بن مزيد في ألفي فارس ، واستنجد عميد الجيوش فانحدر إليه عجلاً في زبزبة في ثلاثين ديلمياً. وسار ابن مزيد إليهم ، فلقيهم واقتتلوا . فقتل أبو الغنائم ، وانهزم ابو الحسن بن مزيد فوصل الخبر بهزيمته الى عميد الجيوش وهو منحدر . فعاد .

ذكر وفاة عميد الجيوش(١) وولاية فخر الملك العراق

في هذه السَّنة توفي عميد الجيوش أبو علي بن أستاذ هرمز ببغداد . وكانت ولايته ثمان سنين وأربعة أشهر وسبعة عشر يوماً وكان عمره تسعاً وأربعين سنة . وتولى تجهيزه ودفنه الشريف الرضي ، دفنه بمقابر قريش ، ورثاه الرضي وغيره وكان أبوه أبو جعفر أستاذ هرمز من حجاب عضد الدولة . وجعل عضد الدولة عميد الجيوش في خدمة ابنه صمصام الدولة . فلما قُتِلَ اتصل بخدمة بهاء الدولة . فلما استولى الخراب على بغداد وظهر العيارون وانحلت الأمور بها ، أرسله إليها فأصلح الأمور ، وقمع المفسدين وقتلهم(٢) ، فلما مات استعمل بهاء الدولة مكانه بالعراق فخر الملك أبا غالب . فأصعد إلى بغداد ، فلقيه الكتَّاب ، والقواد ، وأعيان الناس ، وزينّوا له البلاد ، ووصل بغداد في ذي الحجة ، ومدحه مهيار ، وغيره من الشعراء . ومن محاسن أعمال عميد الجيوش أنه حمل إليه مال كثير ، قد خلّفه بعض التجار المصريين وقيل له : ليس للميت وارث فقال : « لا يدخل خزانة السلطان ما ليس لها يترك إلى أن يصح خبره » . فلما كان بعد مدة جاء أخ للميت بكتاب من مصر بأنه مستحق للتركة ، فقصد باب عميد الجيوش ليوصل الكتاب ، فرآه يصلي على روشن داره ، فظنّه بعض الحجاب ، فأوصل الكتاب اليه فقضى حاجته ، فلما علم التاجر أن الذي أخذ الكتاب كان عميد

---

(١) واسمه الحسين.

(٢) زاد في البداية والنهاية ١١/٣٦٧ « وأمر بعض غلمانه ان يحمل صينية فيها دراهم مكشوفة من أول بغداد إلى آخرها وان يدخل بها في جميع الازقة فان اعترضه احد فليدفعها إليه وليعرف ذلك المكان فذهب الغلام فلم يعترضه أحد فحمد الله وأثنى عليه.

الجيوش عظم الأمر عنده ، فأظهر ذلك فاستحسنه الناس . ولما وصل التاجر إلى مصر أظهر الدعاء له فضجَّ الناس بالدعاء له والثناء عليه . فبلغه الخبر فسره ذلك(١) .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنَّة اشتدَّ الغلاء بخراسان جميعها ، وعدمَ القوت حتى أكل الناس بعضهم بعضاً . فكان الإنسان يصيح الخبز الخبز ويموت . ثم تبعه وباء عظيم حتى عجز الناس عن دفن الموتى(٢) .

وفيها مات أبو الفتح محمد بن عنّاز بحلوان ، وكانت إمارته عشرين سنة . وقام بعده ابنه ابو الشوك فسيِّرت إليه العساكر من بغداد لقتاله ، ولقيهم أبو الشوك ، وقاتلهم قتالاً شديد ، وانهزم أبو الشوك إلى حلوان ، وأقام بها إلى أن صلح حاله مع الوزير أبي

---

(١) ومن محاسن أعماله أيضاً منع الروافض النياحة في يوم عاشوراء ومايتعاطونه من الفرح في يوم ثامن عشر ذي الحجة الذي يقال له: عيد غدير خم. وقد جاء في عدله وهيبته حكايات.

(٢) سرد أبو نصر العتبي هذه الحادثة مفصلة في تاريخه فقال: ووقع القحط بنيسابور خصوصاً وفي سائر بلاد خراسان عموماً فهلك بنيسابور وبأطرافها دون غيرها مائة ألف أو يزيدون وكم دفن منهم بأطمارهم لضيق الأكفان بهم وعجز غسلة الاموات عنهم وكان الناس بين غلام وشاب وكهل وشيخ وفتاة وعجوز يتداعون الخبز الخبز ويذوبون على أنفسهم حتى تغور عيونهم وتجب للموت جنوبهم ورعوا نبات الأرض حتى استحكم اليأس عن الزروع وانقطعت الاطماع عن الريوع وضاق بهم الأمر فجعلوا يتتبعون رمام العظام على رؤوس الكناسات تعللاً بها ومهما ذبح قصاب ذبيحة اجتمع عليها الفوج بعد الفوج يتقاسمون نجيعها بالكيزان والخزف تسكيناً لحرّة الجوع واجتزاء به عن القوت فلم ينل منه أحد إلا سقط لجنبه وجاد عن كثب بنفسه وعهدي بهم يتتبعون سقاطات حب الشعير عن الأرواث وهيهات ان الشعير لأعيا الأنام فكيف البهائم والأنعام ثم تراقى الأمر إلى أن أكلت الأم ولدها والأخ أخاه والزوج زوجته، وظل بعضهم يختلس بعضاً من شوارع الطريق إلى الخرابات فيطبخ منه ما شاء من الباجات. وحرمت الأسمان على الناس لكثرة ما صهر عليها من لحوم البشر فبيع في الأسواق وقبض على أقوام بلا عدد كانوا يغتالون السابلة فيصهرونهم على هذه الجملة ووجد في دورهم ما يغمر العدد من رؤوس الناس قد أكلت لحومهم وصهرت شحومهم. وأما الكلاب والسنانير فلم يبق منها إلا العدد اليسير وهاب أوساط الناس وأرباب الحرق أن يخترقوا وقت العشاء محلة نائية عن واسطة البلد الا في عديد وسلاح حديد..

وأمر السلطان يمين الدولة وأمين الملة بالكتب إلى عماله بصب الاموال على الفقراء والمساكين فاستبقى الله تعالى بها مهجات قوم قد أشرفت على الهلاك وافتكهم من بين حنك الاحتناك فبقيت تلك السنة على حالها من القحط والغلاء إلى أن أدركت غلات سنة اثنتين وأربعمائة فمن الله تعالى بازالة تلك الشدة واطفاء تلك النائرة المتقدة وتدارك عباده بعد استحكام اليأس منهم بالغيوث الهامية والريوع الزاكية النامية ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم.

غالب لما قدم العراق . وفيها توفي أبو عبدالله محمد بن مقن بن مقلد بن جعفر بن عمرو بن المهيا العقيلي .

وفي مقلد يجتمع آل المسيب وآل مقن ، وكان عمره مائة وعشر سنين . وكان بخيلاً شديد البخل . وشهد مع القرامطة أخذ الحجر الأسود .

وفيها توفي الأمير أبو نصر أحمد بن أبي الحرث محمد بن فريغون صاحب الجوزجان . وكان صهر يمين الدولة على أخته . وكان هو وأبوه قبله يحبُّون العلماء ، ويحسنون إليهم . وفيها انقض كوكب كبير لم يرَ أكبر منه . وفيها زادت دجلة إحدى وعشرين ذراعاً ، وغرق كثير من بغداد والعراق وتفجَّرَت البثوق . . ولم يحج هذه السنة من العراق أحد . وفيها توفي إبراهيم بن محمد بن عبيد أبو مسعود الدمشقي الحافظ سافر الكثير في طلب الحديث ، وله عناية بصحيحي البُخاري ، ومسلم[١] . وتوفي أيضاً خلف بن محمد بن علي بن حمدون أبو محمد الواسطي . كان فاضلاً[٢] ، وله أطراف الصحيحين أيضاً .

---

(١) هو ابراهيم بن محمد بن عبيد أبو مسعود الدمشقي الحافظ مصنف اطراف الصحيحين واحد من برز في هذا العلم: سافر الكثير وكتب ببغداد عن اصحاب أبي سعيد الحراني. وبالبصرة والاهواز وواسط وخراسان واصبهان وكان له عناية بالصحيحين روى قليلاً على سبيل المذاكرة وكان صدوقاً ديناً ورعاً فهما مات كهلا فلم ينشر حديثه قال الحافظ الذهبي: قد وقفت له على جزء له في احاديث معللة تنبىء بحفظه ونقده مات في رجب هذه السنة. وقيل سنة أربعمائة.

(٢) رحل إلى البلاد وسمع الكثير ثم عاد إلى بغداد ثم رحل إلى الشام ومصر وكتب الناس عنه بانتخابه. وكانت له معرفة تامة وحفظ جيد ثم عاد إلى بغداد واشتغل بالتجارة وترك النظر في العلم.

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعمائة

ذكر ملك يمين الدولة قصدار[1]

في هذه السَّنة استولى يمين الدولة على قصدار ، وملكها . وسبب ذلك أن ملكها كان قد صالحه على قطيعة يؤديها إليه ، ثم قطعها اغتراراً بحصانةِ بلدِهِ ، وكثرة المضايق في الطريق، واحتمى بأيلك الخان. وكان يمينُ الدولة يريدُ قصدَها، فيتقي ناحية أيلك الخان ، فلما فسد ذات بينهما صمم العزم وقصدها ، وتجهَّزَ وأظهر أنه يريد هراة . فسار من غزنة في جُمادى الأولى . فلما استقلَّ على الطريق ، سار نحو قصدار فسبق خبره ، وقطع تلك المضايق والجبل فلم يشعر صاحبها إلاّ وعسكر يمين الدولة قد أحاط به ليلاً ، فطلب الأمان ، فأجابه ، وأخذ منه المال الذي كان قد اجتمع عنده ، وأقرّهُ على ولايته وعاد .

ذكر أسر صالح بن مرداس وملكه حلب وملك أولاده

في هذه السَّنة كانت وقعة بين أبي نصر بن لؤلؤ صاحب حلب ، وبين صالح بن مرداس ، وكان ابن لؤلؤ من موالي سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان ، فقوي على ولد سعد الدولة ، وأخذ البلد منه ، وخطب للحاكم صاحب مصر ولقبه الحاكم مرتضى الدولة . ثم فَسُدَ ما بينه وبين الحاكم ، فطمع فيه ابن مرداس ، وبنو كلاب ، وكانوا يطالبونه بالصلات والخلع . ثم إنهم اجتمعوا هذه السنة في خمسمائة فارس ، ودخلوا مدينة حلب ، فأمر ابن لؤلؤ بإغلاق الأبواب والقبض عليهم ، فقبض على مائة وعشرين رجلاً منهم صالح بن مرداس ، وحبسهم وقتل مائتين ، وأطلق من لم يفكر به ، وكان

---

(١) هو بضم القاف وسكون الصاد وبالدال المهملة بعدها الف ثم راء ولاية مشهورة عند غزنة، وصحح ياقوت في معجمه ان قصدار من نواحي السند.

صالح قد تزوج بابنة عم له تُسمَّى جابرة ، وكانت جميلة فوصفت لابن لؤلؤ فخطبها الى ابن أختها ، وكانوا في حبسه ، فذكروا له أن صالحاً قد تزوجها فلم يقبل منهم ، وتزوجها ثم أطلقهم ، وبقي صالح بن مرداس في الحبس فتوصل حتى صعد من السور ، وألقى نفسه من أعلى القلعة إلى تلِّها واختفى في مسيل ماء . ووقع الخبر بهربه ، فأرسل ابن لؤلؤ الخيل في طلبه ، فعادوا ولم يظفروا به ، فلما سكن عنه الطلب سار بقيده ـ ولبنة حديد في رجليه ـ حتى وصل قرية تعرف بالياسرية ، فرأى أناساً من العرب فعرفوه ، وحملوه إلى أهله بمرج دابق ، فجمع ألفي فارس ، فقصد حلب وحاصرها إثنين وثلاثين يوماً ، فخرج إليه ابن لؤلؤ فقاتله فهزمهم صالح وأسر ابن لؤلؤ ، وقيَّده بقيده الذي كان في رجله ولبنته ، وكان لابن لؤلؤ أخ ، فنجا وحفظ مدينة حلب . ثم ان ابن لؤلؤ بذل لابن مرداس مالاً على أن يطلقه ، فلما استقرَّ الحال بينهما ، أخذ رهائنه وأطلقه فقالت أم صالح لابنها ، « قد اعطاك الله مالاً كنت تؤمله ، فإن رأيت أن تتم صنيعك بإطلاق الرهائن ، فهو المصلحة فإنه إن اراد الغدر بك لا يمنعه من عندك ، فأطلقهم » . فلما دخل البلد حمل ابن لؤلؤ اليه أكثر مما استقرَّ . وكان قد تقرر عليه مائتا الف دينار ومائة ثوب ، وإطلاق كل اسير عنده من بني كلاب . فلما انفصل الحال ، ورحل صالح ، أراد ابن لؤلؤ قبض غلامه فتح ـ وكان دزدار القلعة ـ لأنه اتهمه بالممالأة على الهزيمة ، وكان خلاف ظنه . فأطلع على ذلك غلاماً له ـ اسمه سرور ـ وأراد أن يجعله مكان فتح ، فأعلم سرور بعض أصدقائه ، يعرف بابن غانم .

وسبب إعلامه أنه حضر عنده ، وكان يخاف ابن لؤلؤ لكثرة ماله فشكا إلى سرور ذلك . فقال له : سيكون أمر تأمن معه . فسأله فكتمه فلم يزل يخدعه حتى أعلمه الخبر . وكان بين ابن غانم وبين فتح مودة فصعد إليه بالقلعة متنكراً فأعلمه الخبر وأشار عليه بمكاتبة الحاكم ، صاحب مصر . وأمر ابن لؤلؤ أخاه أبا الجيش بالصعود إلى القلعة بحجة افتقاد الخزائن ، فإذا صار فيها قبض على فتح ، وأرسل إلى فتح يعلمه أنه يريد افتقاد الخزائن ، ويأمره بفتح الأبواب فقال فتح : « إنني قد شربْتُ اليوم دواء ، واسأل تأخيرَ الصعود في هذا اليوم ، فإنني لا أثقُ في فتح الأبواب لغيري » . وقال للرسول : « إذا لقيته فاردده » . فلما عَلِمَ ابن لؤلؤ الحال أرسل والدته إلى فتح . ليعلم سبب ذلك . فلما صعدت اليه أكرمها وأظهر لها الطاعة ، فعادت وأشارت على ابنها بترك محاققته ففعل . وأرسل إليه يطلب جوهراً كان لـه بالقلعـة ، فغالـطه فتح ولم

يرسله . فسكت على مضض لعلمه أن المحاققة لا تفيد لحصانة القلعة . وأشارت والدة ابن لؤلؤ عليه بأن يتمارض ، ويُظهرَ شدَّةَ المرض ، ويستدعي فتحاً لينزل إليه ليجعله وصياً . فإذا حضر قبضه . ففعل ذلك فلم ينزل فتح واعتذر .

وكاتب الحاكم وأظهر طاعته وخطب له وأظهر العصيان على أستاذه . وأخذ من الحاكم صيدا ، وبيروت وكل ما في حلب من الأموال ، وخرج ابن لؤلؤ من حلب إلى انطاكية وبها الروم ، فأقام عندهم . وكان صالح بن مرداس قد مالأ فتحاً على ذلك . فلما عاد عن حلب استصحب معه والدة ابن لؤلؤ ونساءه ، وتركهن بمنبج ، وتسلَّم حلب نواب الحاكم ، وتنقلت بأيديهم حتى صارت بيد إنسان من الحمدانية يُعرفُ بعزيز الملك ، فقدمه الحاكم واصطنعه وولاه حلب . فلما قتل الحاكم وولي الظاهر عصى عليه فوضعت ست الملك أخت الحاكم فراشاً له على قتله فقتله . وكان للمصريين بالشام نائب يعرف بانوشتكين البربري وبيده دمشق، والرملة ، وعسقلان ، وغيرها . فاجتمع حسان أمير بني طي ، وصالح بن مرداس أمير بني كلاب ، وسنان بن عليان ، وتحالفوا واتفقوا على أن يكون من حلب إلى عانة لصالح ، ومن الرملة إلى مصر لحسان ، ودمشق لسنان .

فسار حسان إلى الرملة فحصرها وبها أنوشتكين ، فسار عنها إلى عسقلان ، واستولى عليها حسان ونهبها وقتل أهلها وذلك سنة أربع عشرة وأربعمائة ، أيام الظاهر لإعزاز دين الله خليفة مصر . وقصد صالح حلب وبها إنسان يُعرف بابن ثعبان يتولى أمرها للمصريين ، وبالقلعة خادم يُعرف بموصوف ، فأما أهل البلد فسلموه إلى صالح لإحسانه إليهم ، ولسوء سيرة المصريين معهم . وصعد ابن ثعبان إلى القلعة ، فحصره صالح بالقلعة فغار الماء الذي بها ، فلم يبقَ لهم ما يشربون، فسلَّم الجند القلعة إليه وذلك سنة أربع عشرة . وملك من بعلبك إلى عانة وأقام بحلب ست سنين .

فلما كانت سنة عشرين وأربعمائة جهَّزَ الظاهر صاحب مصر جيشاً ، وسيَّرهم إلى الشام لقتال صالح ، وحسان . وكان مقدم العسكر أنوشتكين البربري . فاجتمع صالح وحسان على قتاله فاقتتلوا بالأقحوانة على الأردن عند طبرية ، فقتل صالح وولده الأصغر ، ونفذ رأسهما إلى مصر ، ونجا ولده أبو كامل نضر بن صالح . فجاء إلى حلب وملكها ، وكان لقبه شبل الدولة ، فلما علمت الروم بأنطاكية الحال ، تجهَّزوا

إلى حلب في عالم كثير فخرج أهلها فحاربوهم ، فهزموهم ونهبوا أموالهم ، وعادوا إلى أنطاكية . وبقي شبل الدولة مالكاً لحلب إلى سنة تسع وعشرين وأربعمائة . فارسل إليه الدزبري(١) العساكر المصرية وصاحب مصر حينئذ المستنصر بالله فلقيهم عند حماة ، فقتل في شعبان . وملك الدزبري حلب في رمضان سنة تسع وعشرين ، وملك الشام جميعه وعظم أمره وكثر ماله ، وارسل يستدعي الجند الأتراك من البلاد . فبلغ المصريين عنه أنه عازم على العصيان فتقدموا إلى أهل دمشق بالخروج عن طاعته ففعلوا فسار عنها نحو حلب في ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين ، وتوفي بعد ذلك بشهر واحد .

وكان أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب بمعز الدولة بالرحبة . فلما بلغه موت الدزبري جاء إلى حلب ، فملكها تسليماً من أهلها وحصر امرأة الدزبري وأصحابه بالقلعة أحد عشر شهراً ، وملكها في صفر سنة أربع وثلاثين . فبقي فيها الى سنة أربعين . فأنفذ المصريون إلى محاربته أبا عبدالله بن ناصر الدولة بن حمدان ، فخرج أهل حلب إلى حربه فهزمهم ، واختنق منهم بالباب جماعة . ثم إنه رحل عن حلب وعاد إلى مصر وأصابهم سيل ذهب بكثير من دوابهم وأثقالهم ، فأنفذ المصريون إلى قتال معز الدولة خادماً يُعرف برفق . فخرج إليه في أهل حلب ، فقاتلوه فانهزم المصريون ، وأسر رفق ، ومات عندهم وكان أسره سنة إحدى وأربعين في ربيع الأول . ثم إن معز الدولة بعد ذلك أرسل الهدايا إلى المصريين ، وأصلح أمره معهم ، ونزل لهم عن حلب ، فأنفذوا إليها أبا علي الحسن بن علي بن ملهم ، ولقّبوه مكين الدولة ، فتسلمها من ثمال في ذي القعدة سنة تسع وأربعين .

وسار ثمال إلى مصر في ذي الحجة ، وسار أخوه أبو ذؤابة عطية بن صالح إلى الرحبة ، وأقام ابن ملهم بحلب . فجرى بين بعض السودان وأحداث حلب حرب ، وسمع ابن ملهم أن بعض أهل حلب ، قد كاتب محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح يستدعونه ، ليسلموا البلد إليه فقبض على جماعة منهم . وكان منهم رجل يُعرفُ بكامل بن نباتة ، فخاف ، فجلس يبكي . وكان يقول لكل من سأله عن بكائه : « إن أصحابنا الذين أخذوا قد قُتِلُوا وأخاف على الباقين » . فاجتمع أهل البلد واشتدوا ، وراسلوا محموداً ـ وهو منهم على مسير يوم ـ يستدعونه ، وحصروا ابن ملهم ، وجاء

محمود وحصره معهم في جمادى الآخرة سنة إثنتين وخمسين. ووصلت الأخبار إلى مصر ، فسيَّروا ناصر الدولة أبا علي بن ناصر الدولة بن حمدان في عسكر بعد اثنين وثلاثين يوماً من دخول محمود حلب ، فلما قارب البلد خرج محمود عن حلب إلى البرية واختفى الأحداث جميعهم . وكان عطية بن صالح نازلاً بقرب البلد وقد كره فعل محمود ابن اخيه فقبض ابن ملهم على مائة وخمسين من الأحداث ، ونهب وسط البلد وأخذ أموال الناس ، وأما ناصر الدولة فلم يمكن أصحابه من دخول البلد ونهبه . وسار في طلب محمود، فالتقيا بالغنيدق في رجب. فانهزم أصحاب ابن حمدان، وثبت هو ، فجُرِجَ وحُمِلَ إلى محمود أسيراً فأخذه ، وسار إلى حلب ، فملكها وملك القلعة في شعبان سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة .

وأُطلقَ ابن حمدان ، فسار هو وابن ملهم إلى مصر . فجهز المصريون معز الدولة ثمال بن صالح إلى ابن اخيه ، فحصره في حلب في ذي الحجة من السنة . فاستنجد محمود خاله منيع بن شبيب بن وثاب النميري صاحب حرّان ، فجاء إليه ، فلما بلغ ثمالاً مجيئه ، سار عن حلب إلى البريةَ في المحرم سنة ثلاث وخمسين ، وعاد منيع إلى حران، فعاد ثمال إلى حلب، وخرج إليه محمود ابن أخيه فاقتتلوا، وقاتل محمود قتالاً شديداً . ثم انهزم محمود ، فمضى إلى أخواله بني نُمير بحران ، وتسلَّم ثمال حلب في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ، وخرج إلى الروم فغزاهم ، ثم توفي بحلب في ذي القعدة سنة أربع وخمسين .

وكان كريماً حليماً ، وأوصى بحلب لأخيه عطية بن صالح فملكها . ونزل به قوم من التركمان مع ابن خان التركماني فقوي بهم ، فأشار أصحابه بقتلهم ، فأمر أهل البلد بذلك فقتلوا منهم جماعة ونجا الباقون . فقصدوا محموداً بحرّان واجتمعوا معه على حصار حلب فحصرها وملكها في رمضان سنة أربع وخمسين ، وقصد عمه عطية الرقة ، فملكها ولم يزل بها حتى أخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة ثلاث وستين . وسار عطية إلى بلد الروم فمات بالقسطنطينية سنة خمس وستين . وأرسل محمود التركمان ، مع أميرهم ابن خان إلى أرتاح ، فحصرها ، وأخذها من الروم سنة ستين ، وسار محمود إلى طرابلس ، فحصرها وأخذ من أهلها مالاً وعاد . وأرسله محمود في رسالة إلى السلطان ألب أرسلان ، ومات محمود في حلب سنة ثمان وستين

في ذي الحجة ، ووصى بها بعده لابنه مشيب . فلم ينفذ أصحابه وصيته لصغره ، وسلّموا البلد إلى ولده الأكبر واسمه نصر ، وجدّه لأمه الملك العزيز ابن ملك جلال الدولة بن بويه ، وتزوجها عند دخولهم مصر لما ملك طغرلبك العراق ، وكان نصر يدمن شرب الخمر . فحمله السكر على أن خرج إلى التركمان الذين ملكوا أباه البلد ، وهم بالحاضر يوم الفطر ، فلقوه وقبّلوا الأرض بين يديه . فسبهم وأراد قتلهم ، فرماه أحدهم بنشابة فقتله .

وملك أخوه سابق ـ وهو الذي كان أبوه أوصى له بحلب ـ فلما صعد القلعة استدعى احمد شاه مقدم التركمان ، وخلع عليه وأحسن إليه ، وبقي فيها إلى سنة اثنتين وسبعين . فقصده تتش بن ألب أرسلان ، فحصره بحلب أربعة أشهر ونصفاً ، ثم رحل عنه ، ونازله شرف الدولة فأخذ البلد منه ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى . فهذه جميع أخبار بني مرداس أتيت بها متتابعة لئلا تجهل إذا تفرقت .

ذكر قتل جماعة من خفاجة

لما فتح الملك فخر الدولة دير العاقول أتاه سلطان ، وعلوان ، ورجب أولاد ثمال الخفاجي ، ومعهم أعيان عشائرهم وضمنوا حماية سقي الفرات ، ودفع عقيل عنها . وساروا معه إلى بغداد ، فأكرمهم وخلع عليهم ، وأمرهم بالمسير مع ذي السعادتين الحسن بن منصور إلى الأنبار ، فساروا . فلما صاروا بنواحي الأنبار أفسدوا وعاثوا فقبض ذو السعادتين على نفر منهم ، ثم أطلقهم واستحلفهم على الطاعة والكف عن الأذى . فاشار كاتب نصراني من أهل دقوقا على سلطان بن ثمال بالقبض على ذي السعادتين ، وأن يظهر أن عقيلاً قد أغاروا . فإذا خرج عسكر ذي السعادتين انفرد به ، فأخذه ، فوصل إلى ذي السعادتين الخبر . ثم إن سلطانا أرسل إليه يقول له : إن عقيلاً قد قاربوا الأنبار ، ويطلب منه إنفاذ العسكر . فقال ذو السعادتين : « أنا أركب وآخذ العساكر » . ثم دافعه إلى أن فات وقت السير ، فانتقض على سلطان ما دبره ، فأرسل يقول : « قد أخذت جماعة من عقيل ، ثم ان ذا السعادتين صنع طعاماً كثيراً وحضر عنده سلطان وكاتبه النصراني ، وجماعة من أعيان خفاجة » . فأمر أصحابه بقتل كثير منهم وقبض على سلطان ، وكاتبه وجماعة ونهب بيوتهم وما فيها . وحبس سلطاناً ومن

معه ببغداد حتى شفع فيهم أبو الحسن بن مزيد ، وبذل مالاً عنهم فأطلقوا . وذكر ابن نباتة وغيره هذه الحادثة .

ذكر القدح في نسب العلويين المصريين

في هذه السنة كتب ببغداد محضر يتضمن القدح في نسب العلويين خلفاء مصر وكتب فيه المرتضى ، وأخوه الرضيّ ، وابن البطحاوي العلوي ، وابن الأزرق الموسوي ، والزكي أبو يعلى عمر بن محمد ، ومن القضاة والعلماء ابن الأكفاني ، وابن الخرزي[١] ، وأبو العباس الأبيوردي ، وأبو حامد الاسفرايني ، والكشفلي[٢] ، والقدوري ، والصيمري ، وأبو عبدالله بن البيضاوي ، وأبو الفضل النسوي ، وأبو عبدالله بن النعمان فقيه الشيعة ، وغيرهم . وقد ذكرنا الاختلاف فيهم عند ابتداء دولتهم سنة ست وتسعين ومائتين .

ذكر أخذ بني خفاجة الحجاج

في هذه السنة سارت خفاجة إلى واقصة ، ونزحوا ماء البرمكي ، والريان وألقوا فيهما الحنظل . ووصل الحجاج من مكة إلى العقبة ، فلقيهم خفاجة ومنعوهم الماء ثم قاتلوهم . فلم يكن فيهم امتناع ، فاكثروا القتل وأخذوا الأموال ولم يسلم من الحاج إلا اليسير . فبلغ الخبر فخر الملك الوزير ببغداد . فسير العساكر في أثرهم ، وكتب إلى أبي الحسن علي بن مزيد ، يأمره بطلب العرب والأخذ منهم بثأر الحاج والانتقام ، فسار خلفهم فلحقهم وقد قاربوا البصرة ، فأوقع بهم فقتل منهم وأسر جمعاً كثيراً وأخذ من أموال الحاج ما رآه ـ وكان الباقي قد أخذه العرب وتفرقوا . وأرسل الأسرى ، وما استردَّهُ من أمتعة الحاج إلى الوزير ، فَحسُنَ موقعه منه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السَّنة توفي أبو الحسن بن اللبان الفرضي في ربيع الأول[٣] . وتوفي في

---

(١) في النجوم الزاهرة « والقاضي أبو القاسم الجزري » .

(٢) هو بفتح الكاف وضم الفاء بينهما شين معجمة ساكنة وآخره لام ـ نسبة إلى كشفل من قرى طبرستان وهو الفقيه أبو محمد .

(٣) قدم بغداد وحدث بها وروى سنن أبي داود السجستاني عن أبي بكر بن داسة وسمعها منه القاضي أبو =

شهر رمضان عثمان بن عيسى أبو عمرو الباقلاني العابد[١] ، وكان مجاب الدعوة رحمة الله عليه .

= الطيب الطبري. ووقع في الأصول « توفي أبو الحسن » وفي تاريخ بغداد. وشذرات الذهب. والنجوم الزاهرة « أبو الحسين » بزيادة ياء مثناة من تحت بعد السين المهملة.

(١) كان احد الزهاد الكبار المشهورين ببغداد كانت له نخلات يأكل منها ويعمل بيده في البواري وكان لا يخرج من مسجده إلا من يوم الجمعة إلى يوم الجمعة لاجل صلاة الجمعة ثم يعود إلى مسجده توفي في رجب منها عن ستة وثمانين سنة.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعمائة

ذكر قتل قابوس

في هذه السنة قتل شمس المعالي قابوس بن وشكمير ، وكان سبب قتله أنه كان مع كثرة فضائله ، ومناقبه عظيم السياسة ، شديد الأخـذ ، قليل العفـو ، يقتل على الذنب اليسير . فَضُجَر أصحابه منه ، واستـطالوا أيـامه واتفقـوا على خلعه والقبض عليه ، وكـان حينئذ غائباً عنْ جرجان فخفي عليه الأمر ، فلم يشعر ذات ليلة إلاّ وقد أحاط العسكر بباب القلعة التي كان بها ، وانتهبوا أمواله ودوابه ، وأرادوا استنزاله من الحصن . فقاتلهم هو ومن معه من خواصه وأصحابه ، فعادوا ولم يظفروا به . ودخلوا جرجانْ ، واستولوا عليها وعصوا عليه بها ، وبعثوا إلى ابنه منوجهر ـ وهو بطبرستان ـ يعرفونه الحال ، ويستدعونه ليولّوه أمرهم . فأسرع السير نحوهم خوفاً من خروج الأمر عنه ، فالتقوا واتفقوا على طاعته إن هو خلع أباه . فأجابهم إلى ذلك على كره .

وكان أبوه شمس المعالي قد سار نحو بسطام عند حدوث هذه الفتنة ، لينظر فيما تسفر عنه ، فأخذوا منوجهر معهم عازمين على قصد والده ، وإزعاجه من مكانه فسار معهم مضطراً . فلما وصل إلى أبيه أذن له وحده دون غيره ، فدخل عليه وعنده جمع من أصحابه المحامين عنه . فلما دخل عليه تشاكيا ماهما فيه وعرض عليه منوجهر أن يكون بين يديه في قتال أولئك القوم ، ودفعهم . وإن ذهبت نفسه . فرأى شمس المعالي ضد ذلك ، وسَهَّلَ عليه ، حيث صار الملك إلى ولده ، فسلم إليه خاتم الملك ووصاه بما يفعله . واتفقا على أن ينتقل هو إلى قلعة جناشك(١) يتفرغ للعبادة إلى أن يأتيه اليقين ، وينفرد منوجهر بتدبير الملك . وسار إلى القلعة المذكورة مع من اختاره لخدمته ، وسار منوجهر إلى جرجانْ وتولّى الملك وضبطه ، وداری أولئك الأجناد وهم نافرون خائفون من شمس المعالي ما دام حياً ، فما زالوا يحتالـون ويجيلون الرأي حتى دخلوا إلى

منوجهر ، وخوفوه من أبيه ، مثل ما جرى لهلال بن بدر مع ابيه وقالوا له : « مهما كان والدك في الحياة لا نأمن نحن ولا أنت » ، واستأذنوه في قتله . فلم يرد عليهم جواباً . فمضوا إليه إلى الدار التي هو فيها ، وقد دخل إلى الطهارة متخففاً . فأخذوا ما عنده من كسوة ؛ وكان الزمان شتاء . وكان يستغيث أعطوني ولو جل دابة ، فلم يفعلوا فمات من شدة البرد . وجلس ولده للعزاء ، ولقب القادر بالله منوجهر فلك المعالي ، ثم إن منوجهر راسل يمين الدولة ، ودخل في طاعته وخطب له على منابر بلاده ، وخطب إليه أن يزوجه بعض بناته ففعل . فقوى جنانه وشرع في التدبير على أولئك الذين قتلوا أباه ، فأبادهم بالقتل والتشريد . وكان قابوس غزير الأدب ، وافر العلم له رسائل وشعر حسن[1] ؛ وكان عالماً بالنجوم وغيرها من العلوم ، فمن شعره :

قلْ للذي بصروف الدهر عيَّرنا ... هل عاند الدهرُ إلّا من له خطرُ
أما ترى البحرَ يطفو فوقَهُ جِيَفٌ ... وتستقرُّ بأقصى قعرِهِ الدررُ
فان تكن نشبَتْ أيدي الخطوب بنا ... ومسَّنا من توالي صرفها ضررُ
ففي السماء نجوم غير ذي عدد ... وليسَ يكسفُ إلّا الشمسُ والقمرُ

ذكر موت أيلك الخان وولاية أخيه طغان خان

في هذه السنة توفي أيلك الخان ، وهو يتجهَّزُ للعود إلى خراسان ليأخذ بثأره من يمين الدولة . وكاتب قدرخان ، وطغان خان ليساعداه على ذلك . فلما توفي ولي بعده أخوه طغان ، فراسل يمين الدولة وصالحه . وقال له : « المصلحة للإسلام والمسلمين أن تشتغل أنت بغزو الهند وأشتغل أنا بغزو الترك وأن يترك بعضنا بعضاً » . فوافق ذلك هواه ، فأجابه إليه . وزال الخلاف واشتغلا بغزو الكفار . وكان أيلك الخان خيراً ، عادلاً ، حسن السيرة ، محباً للدين وأهله ؛ معظماً للعلم وأهله ، محسناً إليهم .

---

(١) هو الأمير شمس المعالي أبو الحسن قابوس بن أبي طاهر وشمكير بن زيار بن وردان شاه الجيلي أمير جرجان وبلاد الجيل وطبرستان .

ذكر وفاة بهاء الدولة[١] وملك سلطان الدولة

في هذه السنة خامس جُمادى الآخرة توفي بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة بن بويه ـ وهو الملك حينئذ بالعراق ـ وكان مرضه تتابع الصرع مثل مرض أبيه . وكان موته بأرْجان ، وحُمِلَ إلى مشهد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فدُفِنَ عند أبيه عضد الدولة . وكان عمره اثنتين وأربعين سنة وتسعة أشهر ونصفاً . وملكه أربعاً وعشرين سنة . ولما توفي ولي المُلك بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع ، وسار من أرجان إلى شيراز ؛ وولّى أخاه جلال الدولة أبا طاهر بن بهاء الدولة البصرة ، وأخاه أبا الفوارس كرمان .

ذكر ولاية سُليمان الأندلس الدولة الثانية

في هذه السنة ملك سليمان بن الحاكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الأموي ، ولقِّبَ المستعين . وهذه غير ولايته منتصف شوال على ما ذكرناه سنة أربعمائة . وبايعه الناس ، وخرج أهل قرطبة إليه يسلمون عليه ، فأنشد متمثلاً :

إذا ما رأوني طالعاً من ثنية ... يقولون : مَنْ هذا وقد عرفوني
يقولون لي أهلاً وسهلاً ومرحبا ... ولو ظفروا بي ساعةً قتلوني

وكان سُليمان أديباً شاعراً بليغاً ، وأُرِيقَ في أيامه دماء كثيرة ، لا تحدُّ . وقد تقدَّم ذكرُ ذلك سنة أربعمائة . وكان البربرهم الحاكمون في دولته لا يقدرُ على خلافهم لأنهم كانوا عامة جنده ، وهم الذين قاموا معه حتى ملكوه . وقد تقدم ذكر ذلك .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة خلع سلطان الدولة على أبي الحسن علي بن مزيد الأسدي ـ وهو أول من تقدَّم من أهل بيته .

---

(١) بهاء الدولة هذا هو الذي قبض على الخليفة الطائع وخلعه من الخلافة وولى القادر الخلافة عوضه ـ وقد مر ذكر ذلك ـ. وكان ظالماً غشوماً سفاكا للدماء حتى ان خواصه كانوا يهربون من قِربه: وكان يحب المصادرات فجمع من الأموال ما لم يجمعه أحد قبله من بني بويه إلا ان كان عمه فخر الدولة وقد تقدم ذكر. وكان بخيلاً جداً مات يوم الاثنين خامس جمادى الآخرة .

وفيها قلد الرضي الموسوي صاحب الديوان المشهور، نقابة العلويين ببغداد، وخلع عليه سواد، وهو أول طالبي خلع عليه السواد. وفيها توفي أبو بكر الخوارزمي، واسمه محمد بن موسى الفقيه الحنفي[١]، وأبو الحرث محمد بن محمد بن عمر العلوي نقيب الكوفة[٢]. وكان يسير بالحاج عشر سنين، وأبو عبدالله الحسن بن حامد بن علي بن مروان الفقيه الحنبلي، وله تصانيف في الفقه[٣]. والقاضي أبو بكر محمد بن الطيب المتكلم الأشعري، وكان مالكي المذهب[٤]. رثاه بعضهم فقال:

انظرْ إلى جبل تمشي الرجالُ به ... وانظرْ إلى القبرِ ما يحوي من الصلفِ

وانظرْ إلى صارمِ الإسلام منغمداً ... وانظرْ إلى درةِ الإسلام في الصدفِ

---

(١) كان شيخ الحنفية وفقيههم في زمنه. اخذ العلم عن ابي بكر احمد بن علي الرازي. وسمع من أبي بكر الشافعي وغيره. وإليه انتهت رياسة الحنفية ببغداد وكان معظماً عند الملوك. قال القاضي أبو عبد الله الصيمري بعد ما اثنى عليه: وما شاهد الناس مثله في حسن الفتوى والاصابة فيها. وحسن التدريس. وقد دعي إلى ولاية الحكم مراراً فامتنع تورعاً. توفي ليلة الجمعة الثامن عشر من جمادي الأولى ودفن بداره من درب عبده.

(٢) كان شجاعاً جواداً ديناً رئيساً. حج بالناس عشر سنين ـ كما قال المصنف ـ وكان ينفق عليهم من ماله ويحمل المنقطعين توفي في جمادى الآخرة.

(٣) كان امام الحنبلية في زمانه ومدرسهم ومفتيهم وكان قانعاً يأكل من نسخ الكتب ومقدماً معظماً عند الدولة وغيرهم وله مصنفات عظيمة في علوم مختلفة منها كتاب الجامع في المذهب نحو من أربعمائة جزء. وشرح الخرقي. وشرح أصول الدين. وأصول الفقه. وكان ناظراً أبا حامد الاسفرائيني في وجوب الصيام ليلة الغمام في دار القادر بالله بحيث سمع الخليفة الكلام فخرجت الجائزة السنية له من أمير المؤمنين فردها مع حاجته إلى بعضها فضلاً عن جميعها تعففاً وتنزها.

(٤) هو الملقب بسيف السنة ولسان الأمة ورأس المتكلمين صاحب المصنفات العظيمة وهو من أكثر الناس تصنيفاً في علم الكلام يقال: إنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة من مدة طويلة من عمره فانتشرت عنه تصانيف كثيرة: منها التبصرة. ودقائق الحقائق. والتمهيد في أصول الفقه. وشرح الابانة. وغير ذلك من المجاميع الكبار والصغار، قال الحافظ ابن كثير: ومن احسنها كتابه في الرد على الباطنية الذي سماه ـ كشف الاسرار وهتك الاستار ـ وقد اختلفوا في مذهبه في الفروع فقيل: شافعي. وقيل: مالكي حكى ذلك عنه أبو ذر الهروي وقيل: كان يكتب على الفتاوى كتبه محمد بن الطيب الحنبلي وهذا غريب جداً. وقد كان في غاية الذكاء والفطنة اهـ وله حكايات كثيرة ووقائع حميدة يقهر الخصم فيها ويجيب على البديهة أجوبة حسنة وكان ورعاً لم يحفظ عنه زلة ولا نقيصة، وكان باطنه معموراً بالعبادة والديانة والصيانة قال ابن تيمية في حقه: هو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده، وكان على مذهب السلف الصالح، توفي يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة ودفن بداره ثم نقل الى مقبرة باب حرب.

وفيها قُتِلَ أبو الوليد بن عبدالله بن محمد المعروف بـابن الفرضي الأنـدلسي بقرطبة ، قتله البربر[١] .

(١) وكان فقيهاً عالماً في جميع فنون العلم ولي قضاء بلنسية وكان حسن البلاغة والخط وكان حافظاً للحديث متقناً لعلومه أديباً بارعاً لم ير مثله في سعة الرواية بقرطبة . قتل يوم فتح قرطبة في داره وواروه من غير غسل ولا كفن ولا صلاة . ومن مؤلفاته تاريخ الاندلس . والمؤتلف والمختلف . ومشتبه النسبة . عاش اثنتين وخمسين سنة .

ثم دخلت سنة أربع وأربعمائة

ذكر فتح يمين الدولة ناردين

في هذه السنة ، سار يمين الدولة إلى الهند في جمع عظيم ، وحشد كبير ، وقصد واسطة البلاد من الهند . فسار شهرين حتى قارب مقصده ، ورتَّبَ أصحابه وعساكره . فسمع عظيم الهند به فجمع من عنده من قواده ، وأصحابه ، وبرز إلى جبل هناك صعب المرتقى ضيق المسلك ، فاحتمى به وطاول المسلمين . وكتب إلى الهنود يستدعيهم من كل ناحية . فاجتمع عليه منهم كل من يحملُ سلاحاً . فلما تكاملت عدَّتُهُ نزل من الجبل ، وتصاف هو والمسلمون ، واشتدَّ القتالُ ، وعظم الأمر ، ثم إن الله تعالى منح المسلمين أكتافهم فهزموهم ، وأكثروا القتل فيهم وغنموا ما معهم من مال ، وفِيَل ، وسلاح ، وغير ذلك . ووجد في بيت بد عظيم[1] حجراً منقوراً دلَّتْ كتابته على أنه مبنيٌّ منذ أربعين ألف سنة[2] فعجِبَ الناسُ لقلَّةِ عقولهم . فلما فرغ من غزوته عاد إلى غزنة ، وأرسل إلى القادر بالله يطلب منه منشوراً وعهداً بخراسان ، وما بيده من الممالك ، فكتب له ذلك ولقِّبَ نظام الدين .

ذكر ما فعله خفاجة دفعة أخرى

في هذه السنة ، جاء سلطان بن ثمال واستشفع بأبي الحسن بن مزيد إلى فخر الملك ، ليرضى عنه ، فأجابه إلى ذلك . فأخذ عليه العهود بلزوم ما يحمد أمره . فلما خرج وصلَت الأخبار بأنهم نهبوا سواد الكوفة ، وقتلوا طائفة من الجند ، وأتى أهل الكوفة مستغيثين . فسيَّر فخر الملك إليهم عسكراً ، وكتب إلى ابن مزيد وغيره

(١) البد بالضم والتشديد اسم الصنم معرب بت . وفي بعض النسخ « في بيت صنم » .

(٢) في تاريخ العتبي كذلك « منذ أربعين الف سنة » .

بمحاربتهم . فسار إليهم ، وأوقع بهم بنهر الرمان . وأسر محمد بن ثمال وجماعة معه ونجا سلطان ، وأدخل الأسرى إلى بغداد مشهرين وحبسوا . وهبَّ على المنهزمين من بني خفاجة ريحٌ شديدة حارة ، فقتلَتْ منهم نحو خمسمائة رجل ، وأفلت منهم جماعة ممن كانوا أسروا من الحجاج . وكانوا يرعون إبلهم وغنمهم فعادوا إلى بغداد ، فوجد بعضهم نساءهم قد تزوجْنَ ، وولدْنَ ، واقتُسِمَتْ تركاتهم .

ذكر استيلاء طاهر بن هلال على شهرزور

قد ذكرنا حال شهرزور ، وأن بدر بن حسنويه سلَّمها إلى عميد الجيوش ، فجعل فيها نوابه . فلما كان الآن سار طاهر بن هلال بن بدر إلى شهرزور ، وقاتل من بها من عسكر فخر الملك ، وأخذها منهم في رجب . فلما سَمِعَ الوزير الخبرَ أرسل إلى طاهر يعاتبه ويأمره بإطلاق من أسر من أصحابه ، ففعل . ولم تزل شهرزور بيد طاهر إلى أن قتله أبو الشوك ، وأخذها منه وجعلها لأخيه مهلهل .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة سار أبو الحسن علي بن مزيد الأسدي إلى أبي الشوك على عزم محاربته ، فاصطلحا من غير حرب ، وتزوَّج ابنه أبو الأغردبيس بن علي باخت أبي الشوك .

وفيها توفي القاضي أبو الحسن علي بن سعيد الإصطخري[١] ـ وهو شيخ من شيوخ المعتزلة ومشهور بهم ـ وكان عمره قد زاد على ثمانين سنة ، وله تصانيف في الردّ على الباطنية[٤] .

---

(١) صنف للقادر الرد على الباطنية وأجرى عليه القادر جراية سنية وحبسها من بعده على بنيه وكان يسكن درب رباح توفي في شوال وقد جاوز الثمانين.

ثم دخلت سنة خمس وأربعمائة

ذكر غزوة تانيشر(١)

قد ذكر ليمين الدولة أن بناحية تانيشر فيلة من جنس فيلة الصيلمان الموصوفة في الحرب وأن صاحبها غال في الكفر والطغيان، والعناد للمسلمين. فعزم على غزوه في عُقْرِ داره، وأن يذيقه شربة من كأس قتاله. فسار في الجنود والعساكر والمتطوعة، فلقي في طريقه أودية بعيدة القعر وعرة المسالك، وقفاراً فسيحة الأقطار والأطراف بعيدة الأكناف، والماء بها قليل. فلقوا شدة وقاسوا مشقةً إلى أن قطعوها. فلما قابوا مقصدهم لقوا نهراً شديد الجرية صعب المخاضة، وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه يمنع من عبوره، ومعه عساكره، وفيلته التي كان يدلُّ بها، فأمر يمين الدولة شجعان عسكره بعبور النهر، واشغال الكافر بالقتال ليتمكَّنَ باقي العسكر من العبور ففعلوا ذلك. وقاتلوا الهنود وشغلوهم عن حفظ النهر حتى عبر سائر العسكر في المخاضات، وقاتلوهم من جميع جهاتهم إلى آخر النهار. فانهزم الهند وظفر المسلمون، وغنموا ما معهم من أموال، وفيلة، وعادوا إلى غزنة موفورين ظافرين.

ذكر قتل بدر بن حسنويه وإطلاق ابنه هلال وقتله

في هذه السّنة، قتل بدر بن حسنويه أمير الجبل. وكان سبب قتله أنه سار إلى الحسين بن مسعود الكردي ليملك عليه بلاده فحصره بحصن كوسحد، فضجر أصحاب بدر منه لهجوم الشتاء، فعزموا على قتله، فأتاه بعض خواصه وعرَّفَهُ ذلك فقال: «فمن هم الكلاب حتى يفعلوا ذلك». وأبعدَهم، فعاد إليه فلم يأذن له فقال من وراء الخركاه: الذي أعلمتُكَ قد قوي العزم عليه، فلم يلتفت إليه وخرج فجلس على تلٍ، فثاروا به فقتله طائفة منهم تسمى الجورقان. ونهبوا عسكره وتركوه وساروا. فنزل الحسين بن

مسعود فرآه ملقى على الأرض فأمر بتجهيزه، وحمله إلى مشهد عليّ عليه السلام، ليُدفَنَ فيه ففعل ذلك. وكان عادلاً، كثير الصدقة والمعروف، كبير النفس، عظيم الهمة.

ولما قُتل هرب الجورقان إلى شمس الدولة أبي طاهر بن فخر الدولة بن بويه، فدخلوا في طاعته. وكان طاهر بن هلال بن بدر هارباً من جدِّه بنواحي شهر زور. فلما عرف بقتله بادر يطلب ملكه، فوقع بينه وبين شمس الدولة حرب، فأسر طاهر وحبس، وأخذ ما كان قد جمعه بعد أن ملك نائباً عن أبيه هلال، وكان عظيماً وحمله إلى همذان، وسارا للرية، والشاذنجان إلى أبي الشوك فدخلوا في طاعته. وحين قُتِل كان ابنه هلال محبوساً عند الملك سلطان الدولة، كما ذكرنا. فلما قُتِل بدر استولى شمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه على بعض بلاده. فلما علم سلطان الدولة بذلك أطلق هلالاً وجهزه وسيَّره ـ ومعه العساكر ـ ليستعيد ما ملكه شمس الدولة من بلاده. فسار إلى شمس الدولة، فالتقيا في ذي القعدة. واقتتل العسكران فانهزم أصحاب هلال وأُسِرَ هو، فقُتِلَ أيضاً، وعادت العساكر التي كانت معه إلى بغداد على أسوأ حال. وكان ممن أسر معه أبو المظفر أنوشتكين الأعراجي. وكان في مملكة بدر سابور خواست، والدينور، وبروجرد، ونهاوند، وأسدأباذ، وقطعة من أعمال الأهواز وما بين ذلك من القلاع والولايات.

ذكر الحرب بين علي بن مزيد وبين بني دبيس

في هذه السَّنة في المحرم كانت الحرب بين أبي الحسن علي بن مزيدٍ الأسدي، وبين مضر، ونبهان، وحسان وطراد بني دبيس. وسببها أنهم كانوا قد قتلوا أبا الغنائم بن مزيد أخا أبي الحسن في حرب بينهم ـ وقد تقدم ذكرها ـ وحالت الأيام بينه وبين الأخذ بثأره. فلما كان الآن تجهَّزَ لقصدهم وجمع العرب، والشاذنجان، والجوانية، وغيرهما من الأكراد وسار إليهم. فلما قَرُبَ منهم خرجت زوجته ابنة دبيس، وقصدت أخاها مضر بن دبيس ليلاً، وقالت له: «قد أتاكم ابن مزيد فيما لا قبل لكم به وهو يقنع منكم بإبعاد نبهان قاتل أخيه». فأبعدوه، وقد تفرَّقَتْ هذه العساكر، فأجابها أخوها مضر إلى ذلك، وامتنع أخوه حسان. فلما سمع ابن مزيد بما فعلته زوجته أنكره، وأراد طلاقها فقالت له: «خفْتُ أن أكون في هذه الحرب بين فقد أخ حميم أو زوج كريم ففعلت ما فعلت رجاء الصلاح». فزال ما عنده منها. وتقدَّم إليهم وتقدموا إليه بالحلل والبيوت، فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال لما بين الفريقين من الذحول. فظفر ابن مزيد بهم وهزمهم

وقتل حسان، ونبهان ابني دبيس، واستولى على البيوت والأموال، ولحق من سلم من الهزيمة بالحويزة. ولما ظفر بهم رأى عندهم مكاتبات فخر الملك يأمرهم بالجدّ في أمره، ويعدهم النصرة. فعاتبه على ذلك وحصل بينهما نفرة، ودعت فخر الملك الضرورة تقليد ابن مزيد الجزيرة الدبيسية، واستثنى مواضع منها: الطيب، وقرقوب، وغيرهما وبقي أبو الحسن هناك إلى جُمادى الأولى، ثم إن مضر بن دبيس جمع جمعاً وكبس أبا الحسن ليلاً فهرب في نفر يسير واستولى مضر على حلله وأمواله، وكل ماله، ولحق أبو الحسن ببلد النيل منهزماً.

ذكر ملك شمس الدولة الري وعوده عنها

لما ملك شمس الدولة بن فخر الدولة ولاية بدر بن حسنويه وأخذ ما في قلاعه من الأموال عَظُم شأنه واتسع ملكه. فسار إلى الريّ وبها أخوه مجد الدولة، فرحل عن الري ومعه والدته إلى دنباوند، وخرجت عساكر الريّ الى شمس الدولة مذعنة بالطاعة، ودخل الرّي وملكها. وخرج منها يطلب أخاه ووالدته، فشغب الجند عليه وزاد خطبهم وطالبوه مطالبات اتسع الخرق بها. فعاد إلى همذان وأرسل إلى أخيه ووالدته يأمرهما بالعود إلى الرَّي، فعادا.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة في شعبان توفي أبو الحسن أحمد بن علي البتي[1] الكاتب الشاعر، ومن شعره في تكة:

لِمَ لا أتيه ومضجعي ... بين الروادفِ والخصورِ
واذا نسجت فإنني ... بين الترائِبِ والنحورِ
ولقد نشأت صغيرة ... بأكف ربّاتِ الخدورِ

وله نوادر كثيرة، منها أنه شرب فقاعاً في دار فخر الملك فلم يستطبه، فجلس مفكراً فقال له الفقاعي: في أي شيء تفكر؟ فقال: في دقَّة صنعتك، كيف أمكنك الخراء في هذه الكيزان الضيقة كلها.

وفي رمضان منها قتل القاضي أبو القاسم يوسف بن أحمد بن كج الفقيه من أئمة

(١) نسبة الى بت ـ بالفتح ثم التشديد ـ قرية كالمدينة من أعمال بغداد.

أصحاب الشافعي، وكان قاضي الدينور قتله طائفة من عامتها خوفاً منه[١]؛ وتوفي أبو نصر عمر بن عبد العزيز بن نباتة السعدي الشاعر[٢]، والقاضي أبو محمد بن الأكفاني قاضي بغداد[٣] وولي بعده قضاء القضاة أبو الحسن بن أبي الشوارب البصري، وتوفي أحمد عبد السلام بن الحسن[٤] البصري الأديب، وأبو القاسم هبة الله بن عيسى كاتب مهذب الدولة بالبطيحة، وهو من الكتّاب المفلقين، ومكاتباته مشهورة، وكان ممدحاً وممن مدحه ابن الحجاج، وتوفي أيضاً عبد الله[٥] بن محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس أبو سعيد الإدريسي الإستراباذي الحافظ نزيل سمرقند، وهو مصنِّف تاريخ سمرقند، وتوفي أيضاً الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري صاحب التصانيف الحسنة المشهورة[٦]، وأبو الحسن بن عياض، وكان يلقَّبُ الناصر وكان يتولى الأهواز، وقام ولده بنكير مقامه، وأبو علي الحسين[٧] بن الحسين بن حمكان الهمذاني الفقيه الشافعي وكان إماماً عالماً.

---

(١) انتهت إليه الرياسة ببلده في المذهب ورحل الناس إليه رغبة في علمه وجوده وكان يضرب به المثل في حفظ المذهب. وله في المذهب وجوه غريبة. ولي القضاء بالدينور لبدر بن حسنويه الذي قتل في هذه السنة وذكرت ترجمته مفصلة قريباً، فلما تغيرت البلاد بعد قتله وثب على الكجي جماعة من العيارين فقتلوه ليلة سبع وعشرين من رمضان.

(٢) كان شاعراً مجيداً جمع بين حسن السبك وجودة المعنى وكان يعاب بكبر فيه طاف البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء. وله في سيف الدولة غرر القصائد ونخب المدائح.

(٣) واسمه عبد الله بن محمد بن عبد الله الحنفي الاسدي قاضي قضاة بغداد. كان عالماً ديناً عفيفاً نزهاً ولد سنة ست عشرة وثلاثمائة. قال ابو اسحاق الطبري: من قال: ان احداً انفق على العلم مائة الف الف دينار غير أبي محمد بن الاكفاني فقد كذب.

(٤) في النجوم الزاهرة «عبد السلام بن الحسين» بزيادة ياء مثناة من تحت. وكان رجلا فاضلاً عارفاً بالقراءات سمحاً جواداً.

(٥) في الأصول «عبد الله بن محمد». والنجوم الزاهرة. وشذرات الذهب والانساب للسمعاني «عبد الرحمن بن محمد». وكان اماماً جليلاً ثقة عرض تاريخه على الدارقطني فاستحسنه.

(٦) ولد سنة احدي وعشرين وثلاثمائة واعتنى به أبوه فسمعه في صغره ثم هو بنفسه وكتب عن نحو الفي شيخ. وبرع في معرفة الحديث وفنونه وصنف التصانيف الكثيرة المفيدة منها المستدرك طبع في الهند. وانتهت اليه رياسة الفن بالدنيا وهو ثقة حجة احد أركان الاسلام. وسيد المحدثين وامامهم في زمنه والمرجوع إليه في هذا الشأن إلا أن فيه بعض تشيع. توفي فجأة بعد خروجه من الحمام في شهر صفر.

(٧) كذا في الأصول بزيادة ياء مثناة من تحت بعد السين المهملة وفي البداية والنهاية. وطبقات الشافعية. وشذرات الذهب «ابو علي الحسن» بدون ياء وحمكان بحاء مهملة بعدها ميم مفتوحتان وكاف.

ثم دخلت سنة ست وأربعمائة

ذكر الفتنة بين باديس وعمه حمَّاد

في هذه السنة ظهر الاختلاف بين الأمير باديس صاحب أفريقية، وعمّه حمّاد حتى آل الأمر بينهما إلى الحرب التي لا بقيا بعدها. وسبب ذلك أن باديس أبلغ عن عمه حماد قوارص، وأمور أنكرها، فاغضى عليها حتى كثر ذلك عليه. وكان لباديس ولد اسمه المنصور أراد أن يقدمه، ويجعله وليَّ عهده، فأرسل إلى عمه حماد يقول له: بأن يسلم بعض ما بيده من الأعمال التي أقطعه إلى نائب ابنه المنصور، وهي مدينة تيجس، وقصر الأفريقي، وقسنطينة. وسيَّر إلى تسليم ذلك هاشم بن جعفر - وهو من كبار قوادهم - وسيَّر معه عمه إبراهيم ليمنع أخاه حماداً من أمر إن أراده؛ فسارا إلى أن قاربا حماداً، ففارق إبراهيم هاشماً وتقدم إلى أخيه حماد. فلما وصل إليه حسَّنَ له الخلاف على باديس، ووافقه على ذلك وخلعا الطاعة، وأظهرا العصيان وجمعا الجموع الكثيرة، فكانوا ثلاثين ألف مقاتل، فبلغ ذلك باديس فجمع عساكره وسار إليهما. ورحل حماد، وأخوه إبراهيم الى هاشم بن جعفر والعسكر الذين معه - وهو بقلعة شقنبارية - فكان بينهم حرب انهزم ابن جعفر ولجأ إلى باجة، وغنم حماد ماله وعدده فرحل باديس إلى مكان يسمَّى قبر الشهيد، فأتاه جمع كثير من عسكر عمه حماد. ووصلت كتب حماد، وإبراهيم إلى باديس أنهما ما فارقا الجماعة ولا خرجا عن الطاعة، فكذبهما ما ظهر من أفعالهما من سفك الدماء، وقتل الأطفال، وإحراق الزروع والمساكن، وسبي النساء. ووصل حماد إلى باجة، فطلب أهلها منه الأمان فأمَّنهم واطمأنوا إلى عهده، فدخلها يقتل وينهب ويحرق، ويأخذ الأموال. وتقدَّم باديس إليه بعساكره.

فلما كان في صفر سنة ست وأربعمائة، ووصل حماد إلى مدينة أشير - وهي له -

وفيها نائبه واسمه خلف الحميري، فمنعه خلف من دخولها، وصار في طاعة باديس فسقط في يد حماد، فإنها كانت معولة لحصانتها، وقوتها. ووصل باديس إلى مدينة المسيلة ولقيه أهلها وفرحوا به. وسيَّر جيشاً إلى المدينة التي أحدثها حماد فخربوها، إلاّ أنهم لم يأخذوا مال أحد، وهرب إلى باديس جماعة كثيرة من جند القلعة التي له، وفيها أخوه إبراهيم. فأخذ إبراهيم أبناءهم، وذبحهم على صدور أمهاتهم فقيل: إنه ذبح بيده منهم ستين طفلاً. فلما فرغ من الأطفال قتل الأمهات؛ وتقارب باديس وحماد والتقوا مستهل جُمادى الأولى، واقتتلوا أشدَّ قتال، وأعظمه ووطَّنَ أصحـاب باديس أنفسهم على الصبر أو الموت لما كان حماد يفعله لمن يظفر به. واختلط الناس بعضهم ببعض وكَثُر القتل، ثم انهزم حماد وعسكره لا يلوي على شيء. وغنم عسكر باديس أثقاله وأمواله وفي جملة ما غنم منه عشرة آلاف درقة مختارة لمط. ولولا اشتغـال العسكر بالنهب لأخِذَ حماد أسيراً، وسار حتى وصل إلى قلعته تاسع جُمادى الأولى، وجاء إلى مدينة دكمة، فتجنى على أهلها فوضع السيف فيهم فقتل ثلاثمائة رجل، فخرج إليه فقيه منها. وقال له: « يا حماد اذا لقيت الجيوش انهزمت واذا قادمتك الجموع، فررت وإنما قدرتك وسلطانك على أسير لا قدرة له عليك ». فقتله، وحمل جميع ما في المدينة من طعام وملح وذخيرة إلى القلعة التي له. وسار باديس خلفه وعزم على المقام بناحيته وأمر بالبناء وبذل الأموال لرجاله فاشتدَّ ذلك على حماد وأنكر رجاله، وضَعُفَتْ نفسه، وتفرَّق منه أصحابه. ثم مات ورو بن سعيد الزناتي المتغلب على ناحية طرابلس، واختلفت كلمة زناتة فمالت فرقة مع أخيه خزرون، وفرقة مع ابن ورو فاشتدَّ ذلـك أيضاً على حماد. وكان يطمع أن زناتة تغلب على بعض البلاد، فيضطر باديس إلى الحركة إليهم.

ذكر وفاة باديس[1] وولاية ابنه المعز

لما كان يوم الثلاثاء سلخ ذي القعدة سنة ست وأربعمائة، أمر بـاديس بعرض

---

(١) ولد باديس المذكور ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وتولى الحكم بعد موت أبيه المنصور يوم الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين وثلاثمائة وكان باديس المذكور يتولى مملكة افريقية نيابة عن الحاكم العبيدي المدعي الخلافة بمصر. ولقبه الحاكم نصير الدولة وكان ملكاً كبيراً حازم الرأي شديد البأس اذا هز رمحاً كسّره. وسبب موته ما ذكره المصنف. وقيل: ان سبب موته أنه قصد طرابلس ولم يزل على قرب منها عازماً على قتالها وحلف أن لا يرحل عنها حتى يعيدها فدنا للزراعة لسبب اقتضى ذلك فاجتمع أهل البلد عند ذلك إلى المؤدب محرز =

العساكر، فرأى ما سرَّه. وركب آخر النهار ونزل ومعه جماعة من أصحابه، ففارقوه إلى خيامهم. فلما كان نصف الليل توفي[١]. وخرج الخادم في الوقت إلى حبيب بن أبي سعيد، وباديس بن أبي حمامة، وأيوب بن يظوفت ـ وهم أكبر قواده ـ فأعلمهم بوفاته. وكان بين حبيب، وباديس بن حمامة عداوة. فخرج حبيب مسرعاً إلى باديس، وخرج باديس إليه أيضاً فالتقيا في الطريق، فقال كل واحد منهما لصاحبه. قد عرفْت الذي بيننا والأولى أن نتفق على إصلاح هذا الخلل، فإذا انقضى رجعنا إلى المنافسة، فاجتمعا مع أيوب وقالوا: إن العدو قريب منا وصاحبنا بعيد منا، ومتى لم نقدم رأساً نرجع إليه في أمورنا لم نأمن العدو، ونحن نعلم ميل صنهاجة إلى المعز وغيرهم إلى كرامت بن المنصور أخي باديس. فاجتمعوا على تولية كرامت ظاهراً فاذا وصلوا إلى موضع الأمن ولّوا المعز بن باديس، وينقطع الشر. فأحضروا كرامت وبايعوه وولّوه في الحال، وأصبحوا وليس عند أحد من العسكر خبر من ذلك، وعزموا أن يقولوا للناس بكرة بأن باديس قد شرب دواء فلما اصبحوا أغلق أهل مدينة المحمدية أبوابها، وكأنما نودي فيهم بموت باديس، فشاع الخبر، وخاف الناس خوفاً عظيماً واضطربوا لموته، وأظهروا ولاية كرامت. فلما رأى ذلك عبيد باديس ومن معهم أنكروه، فخلا حبيب بأكابرهم وعرَّفهم الحال فسكنوا. ومضى كرامت إلى مدينة أشير ليجمع صنهاجة، وتلكاتة، وغيرهم. وأعطوهم من الخزائن مائة ألف دينار. وأما المعز فإنه كان عمره ثمان سنين وستة أشهر وأياماً تقريباً، لأن مولده في جُمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة. ولما وصل إليه الخبر بموت أبيه، أجلسه من عنده للعزاء، ثم ركب في الموكب، وبايعه الناس. فكان يركب كل يوم ويطعمُ الناس كل يوم بين يديه. وأما العساكر فإنهم رحلوا من مدينة المحمدية إلى المعز، وجعلوا باديس في تابوت بين يدي العسكر والطبول، والبنود على رأسه والعساكر تتبعه ميمنة وميسرة. وكان وصولهم إلى المنصورية رابع

= وقالوا: يا ولي الله قد بلغك ما قاله باديس فادع الله ان يزيل عنا بأسه فرفع يديه إلى السماء. وقال: يا رب باديس اكفنا باديس فهلك في ليلته بالذبحة والله أعلم.

(١) في وفيات الأعيان للقاضي ابن خلكان ٢٦٥ ـ ٢٦٦ « ثم ركب عشية ذلك النهار في أجمل مركوب ولعب الجيش بين يديه ثم رجع إلى قصره شديد السرور بما رآه من كمال حاله وقدم السماط بين يديه فأكل مع خاصته وحاضري مائدته ثم انصرفوا عنه وقد رأوا من سروره ما لم يروه منه قط فلما مضى مقدار نصف الليل من ليلة الأربعاء قضى نَحبَهُ رحمه الله تعالى فأخفوا أمره ورتبوا أخاه كرامت بن المنصور ظاهراً حتى وصلوا إلى ولده المعز فولوه وتم له الأمر.

المحرم سنة سبع وأربعمائة. ووصلوا إلى المهدية والمعز بها ثامن المحـرم، فركب المعز ووقف حبيب يعلمه بهم، ويذكر له أسماءهم ويعرفه بقوادهم وأكابرهم. فرحل المعز من المهدية فوصل الى المنصورية منتصف المحرم. وهذا المعز أول من حمل الناس بأفريقية على مذهب مالك، وكان الأغلب عليهم مذهب أبي حنيفة. وأما كرامت فإنه لما وصل إلى مدينة أشير اجتمع عليه قبائل صنهاجة وغيرهم. فأتاه حماد في ألف وخمسمائة فارس فتقدَّم إليه كرامت بسبعة آلاف مقاتل، فالتقوا، واقتتلوا قتالاً شديداً، فرجع بعض أصحاب كرامت إلى بيت المال، فانتهبوه وهربوا. فتمت الهزيمة عليه وعلى أصحابه، ووصل إلى مدينة أشير فأشار عليه قاضيها وأعيان أهلها بالمقام، ومنع حماد عنها ففعل. ونازلهم حماد وطلب كرامت ليجتمع به فخرج إليه فأعطاه مالاً، وأَذِنَ له في المسير إلى المعز، وقتل حماد من أهل اشير كثيراً؛ حيث أشاروا على كرامت بحفظ البلد ومنع حماد منه، ووصل كرامت إلى المعز في المحرم هذه السنة فأكرمه وأحسن إليه.

وفي آخر ذي الحجة سيَّر الحاكم الخلع من مصر إلى المعز، ولقبه شرف الدولة ولم يذكر ما كان منه إلى الشيعة من القتل، والإحـراق. وسار المعز الى حماد لثمان بقين من صفر سنة ثمان وأربعمائة بالعساكر لمنعه عن البلاد. فإنه كان يحاصر باغاية، وغيرها. فلما قاربه رحل عن باغاية والتقوا آخر ربيع الأول، فاقتتلوا فما كان إلاّ ساعة، حتى انهزم حمّاد وأصحابه، ووضع أصحاب المعز فيهم السيف وغنموا مالهم من عدد ومال وغير ذلك. فنادى المعز من أتى برأس فله اربعة دنانير فأُتِيَ بشيء كثير، وأسر إبراهيم أخو حماد، ونجا حماد وقد أصابته جراحة، وتفرَّق عنه أصحابه ورجع المعز. وورد رسول من حماد إليه يعتذر ويقرُّ بالخطأ ويسأل العفو. فأجابه المعز إن كنت على ما قلته فأرسل ولدكَ القائد الينا. واستعمل المعز على جميع العرب المجاورة لإبراهيمَ عمه كرامت. فعاد جواب حمّاد أنه اذا وصَلَهُ كتابُ أخيه إبراهيم بالعلامات التي بينهم، أنه قد أخذ له عهد المعز، بعث ولده القائد أو حضر هو بنفسه، فحضر إبراهيم وأخذ العهود على المعز وأرسل إليه يعرِّفه ذلك، ويشكر المعز على إحسانه إليه.

ووصل المعز إلى قصرهِ آخر جُمادى الأولى. ولما وصل أطلق عمه إبراهيم،

وخلع عليه وأعطاه الأموال والدواب وجميع ما يحتاج إليه. فلما سمع حماد ذلك أرسل ولده القائد إلى المعز، وكان وصوله للنصف من شعبان، فأكرمه، وأعطاه شيئاً كثيراً وأقطعه المسيلة، وطبنة، وغيرهما. وعاد إلى أبيه في شهر رمضان ورضي الصلح وحلف عليه واستقرَّت الأمور بينهما وتصاهرا، وزوَّج المعز أخته بعبد الله بن حماد فازدادوا اتفاقاً وأمناً. وكان بأفريقية، والغرب غلاء بسبب الجراد واختلاف الملوك. ولما استقرَّ الصلح والاتفاق سيَّر المعز الجيوش الى القبائل من البربر، وغيرهم. فإن الحروب بينهم كانت بسبب الاختلاف كثيرة والدماء مسفوكة. فلما رأوا عساكر السلطان رجعوا إلى السكون وتركِ الحرب ومن أبى قُوتِل، فقُتِلَ المفسدون وأصلح ما بين القبائل. ووصل من جزيرة الأندلس زاوي بن زيري بن مناد عم أبي المعز وأهله، وولده وحشمه. وكان قد أقام بالأندلس مدة طويلة. وقد ذكرنا سبب دخوله الأندلس، وملك بالأندلس غرناطة وقاسى حروباً كثيرة ووصل معه من الأموال، والعدد والجواهر شيء كثير لا يُحدُّ فأكرمهم المعز وحمل لهم شيئاً عظيماً وإقامات زائدة وأقاموا عنده. كان ينبغي أن يكتب وفاة باديس وما بعده سنة سبع وأربعمائة، وإنما اتبعنا بعض أخبارهم بعضاً.

ذكر غزوة محمود إلى الهند

في هذه السّنة غزا محمود بن سبكتكين الهند على عادته فضلَّ أدلاؤه الطريق، ووقع هو وعسكره في مياه فاضت من البحر فغرق كثير ممن معه وخاض الماء بنفسه أياماً حتى تخلّص، وعاد إلى خراسان.

ذكر قتل فخر الملك ووزارة ابن سهلان

وفيها قَبَضَ سلطان الدولة على نائبه بالعراق ووزيره فخر الملك أبي غالب[1]، وقتل سلخ ربيع الأول. وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وأحدَ عشرَ شهراً. وكان نظره

---

(١) واسمه محمد بن علي بن خلف أبو غالب فخر الملك اصله من واسط وولد فيها. استوزره بهاء الدولة أبو نصر بن بويه لما رأى من كمال عقله وادبه ـ وكان من أعاظم وزراء بني بويه ـ وكان كريماً ممتدحاً مدحه كثير من الشعراء. وباسمه صنف الحاسب الكرخي كتاب ـ الفخري ـ في الجبر والمقابلة: ولما توفي بهاء الدولة اقره على الوزارة ابنه سلطان الدولة أبو شجاع فاقام زمناً وافر الحرمة مرعي الجانب ثم بدرت منه هفوة لم يغتفرها له سلطان الدولة فقتله.

بالعراق خمس سنين وأربعة شهور واثني عشر يوماً. وكان كافياً حسن الولاية والآثار. ووجد له ألف ألف دينار عينا سوى ما نهب وسِوى الأعراض، وكان قبضه بالأهواز. ولما مات نُقِل إلى مشهد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فدُفِن هناك قيل: كان ابن[1] علمكار - وهو من كبار قوادهم - قد قتل إنساناً ببغداد، فكانت زوجته تكتب إلى فخر الملك ابي غالب تتظلم منه ولا يلتفت إليها فلقيته يوماً وقالت له: «تلك الرقاع التي كنت أكتبها إليك، صرت أكتبها إلى الله تعالى». فلم يمض على ذلك غير قليل حتى قبض هو وابن علمكار، فقال له فخر الملك: «قد برز جواب رقاع تلك المرأة». ولما قبض فخر الملك استوزر سلطان الدولة أبا محمد الحسن بن سهلان، فلقب عميد أصحاب الجيوش. وكان مولده برامهرمز في شعبان سنة إحدى وستين وثلاثمائة.

ذكر قتل طاهر بن هلال بن بدر

في هذه السّنة أطلق شمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه طاهر بن هلال بن بدر، واستحلفه على الطاعة له. واجتمع معه طوائف، فقوي بهم وحارب أبا الشوك فهزمه. وقتل سعدى أخو أبي الشوك. ثم انهزم أبو الشوك منه مرة ثانية، ومضى منهزماً إلى حلوان، وبذل له أبو الحسن بن مزيد الأسدي المعاونة، فلم يكن فيه معاودة الحرب. وأقام طاهر بالنهروان وصالح أبا الشوك وتزوَّج أخته. فلما أمّنه طاهر وثب عليه أبو الشوك فقتله، بثأر أخيه سعدي، وحمله أصحابه فدفنوه بمشهد باب التبن.

ذكر عدة حوادث

فيها توفي الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر أبو الحسن صاحب الديوان المشهور[1]، وشهد جنازته الناس كافة ولم يشهدها أخوه لأنه لم يستطع أن ينظر إلى جنازته، فأقام بالمشهد الى أن أعاده الوزير فخر الملك إلى داره. ورثاه كثير من الشعراء منهم أخوه المرتضى فقال:

---

(١) ولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وابتدأ ينظم الشعر وله عشر سنين وكان مفرط الذكاء وصنف كتاباً في معاني القرآن يتعذر وجود مثله. وكتاباً في مجازات القرآن. وديوانه مشهور طبع مرة يقال إنه أشعر قريش وكان شيعي العقيدة هو ووالده وأخوه. ذكره الثعالبي في اليتيمة فقال: هو اليوم ابدع ابناء الزمان وأنجب سادات العراق يتحلى مع محتده الشريف ومفخره المنيف بادب ظاهر وفضل باهر. وحظه من جميع المحاسن وافر ثم هو اشعر الطالبيين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين.

يـا للرجال لفجعـةٍ جـذمَتْ يـدي	ووددتُـهـا ذهـبَتْ عليّ بـراسـي
مـا زلت آبى وردهـا حتى أتَتْ	فحسوْتُها في بعض ما أنا حـاسي
ومـطلْتُهـا زمنـاً فلمـا صمَّمَتْ	لم يثنها مطلي وطـول مكـاسي
لا تنكـروا من فيضِ دمعي عبـرة	فـالـدمعُ خيـرُ مسـاعـدٍ ومـواسي
واهـا لعمـرك من قصيـر طـاهـر	ولـربَّ عمـرٍ طـال بـالأرجـاسِ

وفيها توفي أبو طالب أحمد بن بكر العبدي النحوي مصَنِّف شرح الإيضاح[١]، وأبو أحمد عبد السلام بن أبي مسلم الفرضي[٢]، والإمام أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الأسفرايني إمام أصحاب الشافعي. وكان يحضر درسه أربعمائة متفقه[٣]. وكان يدرس بمسجد عبد الله بن المبارك بقطيعة الفقهـاء، وكان عمـره إحدى وستين سنـة وأشهراً[٤].

وفيها تُوفي أبو جعفر أستاذ هرمز بن الحسن والد عميد الجيوش بشيراز، وكان عمره مائة وخمس سنين. وتوفي شهاب الدولة أبو درع رافع بن محمد بن مقرن، وله شعر حسن منه:

مـا زلْتُ أبكي في الديـارِ تـأسفـاً	لـبيـن خليـلٍ أو فـراقِ حـبيـبِ
فلمـا عرفْتُ الـربـعَ لا شـكَّ أنـه	هـو الربـعُ فاضَتْ مقلتي بغـروبِ
وجـربْتُ دهري نـاسيـاً فـوجـدتُـهُ	أخـا غِيَـرٍ لا تنقضي وخـطوبِ
وعـاشَرْتُ أبنـاءَ الزمـانِ فلم أجـدْ	من النـاسِ خدنـاً حـافـظاً لمغيبِ
ولم يبقَ منهم حـافظٌ لـذمـامِـهِ	ولا نـاصـرٌ يـرعى جـوارَ قـريـبِ

---

(١) قرأ على السيرافي، والرماني، والفارسي، وروى عن أبي عمر الزاهد. وعنه القاضي أبو الطيب الطبري. شرح كتاب الجرمي أيضاً مات يوم الخميس العاشر من شهر رمضان.

(٢) في البداية والنهاية ١٢/٤ « أبو أحمد الفرضي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن مهران ابو مسلم الفرضي »وفي الشذرات ١٨١/٣« أبو أحمد الفرضي عبيد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي مسلم المقرىء » قال الذهبي عاش اثنتين وثمانين سنة.

(٣) في البداية والنهاية ١٢/٣ « سبعمائة متفقه ».

(٤) كان عظيم الجاه عند السلطان والعوام واليه انتهت رياسة الدين والدنيا وعمره سبع عشرة سنة. شرح المزني في تعليقة حافلة نحواً من خمسين مجلداً. وله تعليقة في أصول الفقه. وكتاب البستان ـ وهو صغير ـ فيه غرائب توفي في شوال ودفن في داره ثم نقل سنة عشر واربعمائة إلى باب حرب.

وفيها توفي الشار أبو نصر الذي كان صاحب غرشتان من خراسان في قبض بين الدولة. وقد ذكرنا سبب ذلك. وفيها في صفر قلَّد الشريف المرتضى أبو القاسم أخو الرضي نقابة العلويين، والحج، والمظالم بعد موت أخيه الرضي. وفيها وقعت فتنة ببغداد بين أهل الكرخ وبين أهل باب الشعير، ونهبوا القلائين، فأنكر فخر الملك على أهل الكرخ، ومنعوا من النوح يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح. وفيها، وقع بالبصرة وما جاورها وباء شديدٌ عجز الحفارون عن حفر القبور. وفيها في حُزيران جاء مطر شديدٌ في بلاد العراق، وكثير من البلاد.

ثم دخلت سنة سبع وأربعمائة

ذكر قتل خوارزمشاه ، وملك يمين الدولة خوارزم وتسليمها إلى التونتاش

في هذه السنة قُتِلَ خوارزمشاه أبو العباس مأمون بن مأمون ، وملك يمين الدولة خوارزم ، وسبب ذلك أن أبا العباس كان قد ملك خوارزم ، والجرجانية كما ذكرناه ، وخطب إلى يمين الدولة فزوَّجَهُ أخته . ثم إن يمين الدولة أرسل إليه يطلب أن يخطب له على منابر بلاده ، فأجابه إلى ذلك . وأحضر أمراء دولته واستشارهم في ذلك فأظهروا الامتناع ، ونهوه عنه وتهددوهُ بالقتل إن فعله ، فعاد الرسول ، وحكى ليمين الدولة ما شاهده . ثم إن أمراءه خافوه ، حيث ردوا أمره فقتلوه غيلة . ولم يعلم قاتله وأجلسوا مكانه أحد أولاده . وعلموا أن يمين الدولة يسوءه ذلك ، وربما طالبهم بثأره ، فتعاهدوا على مقاتلته ومقارعته .

واتصل الخبر بيمين الدولة فجمع العساكر وسار نحوهم ، فلما قاربهم جمعهم صاحب جيشهم ، ويعرف بالبتكين البُخاري ، وأمرهم بالخروج إلى لقاء مقدمة يمين الدولة والإيقاع بمن فيها من الأجناد ، فساروا معه وقاتلوا مقدمة يمين الدولة واشتد القتال بينهم ، واتصل الخبر بيمين الدولة فتقدم نحوهم في سائر جيوشه ، فلحقهم وهم في الحرب ، فثبت الخوارزمية إلى أن انتصف النهار ، وأحسنوا القتال ثم إنهم انهزموا ، وركبهم أصحاب يمين الدولة يقتلون ويأسرون ، ولم يسلم إلاّ القليل ، ثم إن البتكين ركب سفينة لينجوَ فيها ، فجرى بينه وبين من معه منافرة ، فقاموا عليه وأوثقوه ، وردوا السفينة إلى ناحية يمين الدولة وسلموه إليه . فاخذه وسائر القواد المأسورين معه وصلبهم عند قبر أبي العباس خوارزمشاه . وأخذ الباقين من الأسرى ، فسيَّرهم إلى غزنة فوجاً بعد فوج ، فلما اجتمعوا بها أَفْرَج عنهم ، وأجرى لهم الأرزاق ، وسيَّرهم

إلى اطراف بلاده من أرض الهند يحمونها من الأعداء ، ويحفظونها من أهل الفساد ، وأخذ خوارزم واستناب بها حاجبه التونتاش .

ذكر غزوة قشمير وقنوج[١] وغيرهما

في هذه السنة غزا يمين الدولة بلاد الهند بعد فراغه من خوارزم ، فسار منها إلى غزنة ومنها إلى الهند عازماً على غزو قشمير ، إذ كان قد استولى على بلاد الهند ما بينه وبين قشمير ، وأتاه من المتطوعة نحو عشرين ألف مقاتل مما وراء النهر وغيره من البلاد . وسار إليها من غزنة ثلاثة أشهر سيراً دائماً وعبر نهر سيحون ، وجيلوم[٢] ـ وهما نهران عميقان شديدا الجرية ـ فوطىء أرض الهند ، وأتاه رسل ملوكها بالطاعة ، وبذل الأتاوة . فلما بلغ درب قشمير أتاه صاحبها ، وأسلم على يده وسار بين يديه إلى مقصد . فبلغ ماء جون[٣] في العشرين من رجب[٤] . وفتح ما حولها من الولايات الفسيحة والحصون المنيعة حتى بلغ حصن هودب[٥] وهو آخر ملوك الهند . فنظر هودب من أعلى حصنه ، فرأى من العساكر ماهاله وأرعبه ، وعلم أنه لا ينجيه إلّا الإسلام . فخرج في نحو عشرة آلاف ينادون بكلمة الإخلاص طلباً للخلاص ، فقبّله يمين الدولة ، وسار عنه إلى قلعة كالجند[٦] ـ وهو من أعيان الهند وشياطينهم ـ وكان على طريقه غياض ملتفة لا يقدر السالك على قطعها إلّا بمشقة . فسيَّر كلجند عساكره وفيوله إلى أطراف تلك الغياض يمنعون من سلوكها . فترك يمين الدولة عليهم من يقاتلهم وسلك طريقاً مختصرة إلى الحصن فلم يشعروا به إلّا وهو معهم . فقاتلهم قتالاً

---

(١) قشمير بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر الميم وياء مثناة من تحت ساكنة وراء مدينة متوسطة لبلاد الهند، وقنوج بكسر أوله ونون مشددة مفتوحة ثم واو ساكنة ثم جيم ضعيفة هي مدينة في أقاصي الهند في جهة الشرق عن الملتان وهي من أعظم المدن.

(٢) في تاريخ العتبي « جيلم » وضبط في الشرح بجيم مغلظة بعدها ياء مثناة تحتانية ممالة ساكنة ثم لام مفتوحة قصبة للهند.

(٣) ماء مضافاً إلى جون. وجون بفتح الجيم وسكون الواو نهر للهند.

(٤) زاد العتبي في تاريخه سنة تسع وأربعمائة .

(٥) بهاء في أوله وبعدها راء ودال مهملتان بوزن ثعلب من ملوك الهند كذا ضبطه المنيني في شرح العتبي . وفي الأصول «هو دب» بالواو بعد الهاء .

(٦) بكاف في أوله مضمومة وبعدها لام ساكنة ثم جيم غليظة مفتوحة ثم نون ساكنة ثم دال مهملة من ملوك الهند كذا في المنيني .

شديداً فلم يطيقوا الصبر على حدّ السيوف فانهزموا وأخذهم السيف من خلفهم ولقوا نهراً عميقاً بين أيديهم ، فاقتحموه فغرق أكثرهم . وكان القتلى ، والغرقى قريباً من خمسين ألفاً .

وعمد كلجنـد إلى زوجته فقتلها ثم قتل نفسه بعدها ، وغنم المسلمون أمواله وملكوا حصونه . ثم سار نحو بيت متعبد لهم ـ وهو من مهرة الهند وهو من أحصن الأبنية ـ على نهر ، ولهم به من الأصنام كثير ، منها خمسة أصنام من الذهب الأحمر مرصعة بالجواهر . وكان فيها من الذهب ستمائة ألف وتسعون ألفاً وثلاثمائة مثقال ، وكان بها من الأصنام المصوغة من النقرة نحو مائتي صنم . فأخذ يمين الدولة ذلك جميعه وأحرق الباقي ، وسار نحو قنوج وصاحبها راجيال فوصل إليها في شعبان[١] . فرأى صاحبها قد فارقها وعبر الماء المسمى كنك[٢] ، وهو ماء شريف عندهم يرون أنه من الجنة وان من غرق نفسه فيه طهر من الآثام . فأخذها يمين الدولة وأخذ قلاعها وأعمالها وهي سبع على الماء المذكور . وفيها قريب من عشرة آلاف بيت صنم ، يذكرون أنها عملت من مائتي ألف سنة إلى ثلاثمائة ألف كذباً منهم وزوراً .

ولما فتحها أباحها عسكره ثم سار إلى قلعة البراهمة[٣] فقاتلوه وثبتوا . فلما عضهم السلاح علموا أنهم لا طاقة لهم ، فاستسلموا للسيف ، فقتلوا ولم ينجُ منهم إلاّ الشريد . ثم سار نحو قلعة آسى[٤] وصاحبها جندبال ، فلما قاربها هرب جندبال[٥] وأخذ يمين الدولة حصنه وما فيه . ثم سار إلى قلعة شروه[٦] ، وصاحبها جندراي[٧] فلما قاربه نقل ماله وفيوله نحو جبال هناك منيعة يحتمي بها ، وعمي خبره ، فلم يدر أين

---

(١) في تاريخ العتبي « ووصل ثامن شعبان »

(٢) بكافين الاولى منهما مفتوحة وبينهما نون ساكنة .

(٣) البراهمة العلماء في لغتهم .

(٤) بهمزة ممدودة ثم سين مهملة مفتوحة ثم ياء مقصورة ساكنة وهي على شط جون .

(٥) في العتبي « جندال بهور » الجيم فيه غليظة مفتوحة وبعدها نون ساكنة ثم دال مهملة ثم الف ثم لام ثم باء خالصة موحدة ثم هاء مضمومة ثم واو ساكنة ثم راء ساكنة أيضاً . وجند في لغتهم القمر . وهو اسم مركب .

(٦) بفتح أوله وبعدها راء مهملة ساكنة ثم واو مفتوحة ثم هاء .

(٧) الجيم فيه غليظة مفتوحة وبعدها نون ساكنة ثم دال مهملة ساكنة ثم راء صحيحة مهملة ثم الف ثم ياء فهي لغة هندية وتعريبه ففي يديك وهو من ملوك الهند .

هو، فنازل يمين الدولة حصنه فافتتحه وغنم ما فيه. وسار في طلب جندراي، جريدة وقد بلغه خبره، فلحق به في آخر شعبان فقاتله. فقتل أكثر جند جندراي، وأسر كثيراً منهم، وغنم ما معه مِن مال وفيل. وهرب جندراي في نفر من أصحابه فنجا، وكان السبي في هذه الغزوة كثيراً حتى إن أحدهم كان يُباع بأقل من عشرة دراهم. ثم عاد إلى غزنة ظافراً، ولما عاد من هذه الغزوة أمر ببناء جامع غزنة فبنى بناء لم يسمع بمثله، ووسع فيه. وكان جامعها القديم صغيراً وأنفق ما غنمه في هذه الغزاة في بنائه[١].

ذكر حال ابن فولاذ

في هذه السنة عَظُمَتْ شوكة ابن فولاذ، وكَبُرَ شأنه. وكان ابتداء أمره أنه كان وضيعا، فنجب في دولة بني بويه وعلا صيته، وارتفع قدره، واجتمع إليه الرجال، فلما كان الآن طلب من مجد الدولة ووالدته أن يقطعاه قزوين لتكون له، ولمن معه من الرجال فلم يفعلا، واعتذرا إليه. فقصد أطراف ولاية الري وأظهر العصيان، وجعل يفسد ويغيّر ويقطع السبيل، وملك ما يليه من القرى. فعجزا عنه فاستعانا بأصبهبذ المقيم بفريم[٢]. فأتاهما في رجال الجبل، وجرى بينهم وبين ابن فولاذ عدة حروب. وجُرِحَ ابن فولاذ وولّى منهزماً حتى بلغ الدامغان، فأقام حتى عاد أصحابه إليه. ورجع أصبهبذ إلى بلاده، وكتب ابن فولاذ إلى منوجهر بن قابوس يطلب أن ينفذ له عسكراً ليملك البلاد، ويقيم له الخطبة فيها، ويحمل إليه المال، فأنفذ له ألفي رجل، فسار بهم حتى نزل بظاهر الرّي، وأعاد الإغارة ومنع الميرة عنها، فضاقت الأقوات بها. فاضطرَّ مجد الدولة ووالدته إلى مداراته، وإعطائه ما يلتمسه، فاستقرَّ بينهم أن يسلما إليه مدينة أصبهان. فسار إليها وأعاد عسكر منوجهر إليه وزال الفساد، وعاد إلى طاعة مجد الدولة.

ذكر إبتداء الدولة العلوية بالأندلس وقتل سليمان

وفي هذه السنة وليَ الأندلس علي بن حمود بن أبي العيش بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبدالله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبدالله بن الحسن بن

---

(١) راجع صفة بناء الجامع وما أنفق في بنائه تاريخ العتبي جزء ثاني.

(٢) بكسر الفاء في أوله وثانيه راء مكسورة بعدها ياء ساكنة وميم موضع بجبال الديلم.

الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام . وقيل : في نسبه غير ذلك مع إتفاق على صحة نسبه إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام . وكان سبب ذلك أن الفتى خيران العامري لم يكن راضياً بولاية سُليمان بن الحاكم الأموي لأنه كان من أصحاب المؤيد ، على ما ذكرناه قبل ، فلما ملك سليمان قرطبة إنهزم خيران في جماعة كثيرة من الفتيان العامريين فتبعهم البربر ، وواقعهم . فاشتدَّ القتال بينهم ، وجُرِحَ خيران عدة جراحات ، وترك على أنه ميت ، فلما فارقوه قام يمشي فأخذه رجل من البربر إلى داره بقرطبة وعالجه ، فبرأ وأعطاه مالاً وخرج منها سرّاً إلى شرق الأندلس . فكَثُرَ جمعه وقويت نفسه وقاتل من هناك من البربر ، وملك المرية واجتمع إليه الأجناد ، وأزال البربر عن البلاد المجاورة له ، فغلظ أمره وعظم شأنه .

وكان علي بن حمود بمدينة سبتة بينه وبين الأندلس عدوة المجاز مالكاً لها ، وكان أخوه القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء مستولياً عليها وبينهما المجاز . وسبب ملكهما أنهما كانا من جملة أصحاب سليمان بن الحاكم ، فقودهما على المغاربة ، ثم ولّاهما هذه البلاد ، وكان خيران يميل إلى دولة المؤيد ، ويرغب فيها ، ويخطب له على منابر بلاده التي استولى عليها ، لأنه كان يظنُّ حياته حيث فُقِدَ من القصر ، فحدث لعلي بن حمود طمع في ملك الأندلس لما رأى من الاختلاف . فكتب إلى خيران يذكر له أن المؤيد ، كان كتب له بولاية العهد والأخذ بثأره إن هو قُتِل ، فدعا لعلي بن حمود بولاية العهد ، وكان خيران يكاتب الناس ، ويأمرهم بالخروج على سُليمان ، فوافقه جماعة منهم عامر بن فتوح وزير المؤيد ـ وهو بمالقة[1] ـ وكاتبوا علي بن حمود وهو بسبتة ليعبر إليهم ليقوموا معه ، ويسيروا إلى قرطبة ، فعبر إلى مالقة في سنة خمس وأربعمائة . فخرج عنها عامر بن فتوح وسلّمها ودعا بولاية العهد .

وسار خيران ومن أجابه إليه فاجتمعوا بالمنكب ـ وهي ما بين المرية ومالقة ـ سنة ست وأربعمائة ـ وقرروا ما يفعلونه ، وعادوا يتجهّزون ، لقصد قرطبة . فتجهزوا وجمعوا من وافقهم ، وساروا إلى قرطبة وبايعوا علياً على طاعة المؤيد الأموي ، فلما بلغوا غرناطة وافقهم أميرها ، وسار معهم إلى قرطبة فخرج سليمان ، والبربر إليهم فالتقوا واقتتلوا على عشرة فراسخ من قرطبة ، ونشب القتال بينهم فانهزم سُليمان ،

---

(١) بفتح اللام والقاف كلمة عجمية . مدينة باندلس .

والبربر وقتل منهم خلق كثير . وأخذ سليمان أسيراً فحمل إلى علي بن حمود ومعه أخوه وأبوه الحاكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، ودخل علي بن حمود قرطبة في المحرم سنة سبع . ودخل خيران ، وغيره إلى القصر طمعاً في أن يجدوا المؤيد حياً ، فلم يجدوه ورأوا شخصاً مدفوناً ، فنبشوه وجمعوا له الناس ، وأحضروا بعض فتيانه الذين رباهم ، وعرضوه عليه ففتشه وفتش أسنانه لأنه كان له سن سوداء ، كان يعرفها ذلك الفتى ، فاجمع هو وغيره على أنه المؤيد خوفاً على أنفسهم من علي ، فأخبروا خيران أنه المؤيد . وكان ذلك الفتى يعلم أن المؤيد حي ، فأخذ علي بن حمود سُليمان ، وقتله سابع المحرم سنة سبع ، وقتل أباه وأخاه . ولما حضر أبوه بين يدي علي بن حمود قال له : يا شيخ قتلتم المؤيد ؟ فقال : والله ما قتلناه وإنه لحيٌّ . فحينئذ أسرع في قتله . وكان شيخاً صالحاً منقبضاً لم يتدنَّسْ بشيء من أحوال ابنه . واستولى علي بن حمود على قرطبة ، ودعا الناس إلى بيعته ، فبويع واجتمع له الملك . ولقب المتوكل على الله . ثم إن خيران أظهر الخلاف عليه لأشياء ، منها أنه كان طامعاً أن يجد المؤيد فلم يجده . ومنها أنه نقل إليه أن علياً يريد قتله . فخرج عن قرطبة وأظهر الخلاف عليه .

ذكر ظهور عبد الرحمن الأموي

لما خالف خيران علياً أرسل يسألِ عن بني أمية ، فدلَّ على عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الأموي ، وكان قد خرج من قرطبة مستخفياً ونزل بجيان ، وكان أصلح من بقي من بني أمية . فبايعه خيران وغيره ولقبوه المرتضى ، وراسل خيران منذر بن يحيى التجيبي أمير سرقسطة ، والثغر الأعلى وراسل أهل شاطبة ، وبلنسية ، وطرطوشة ، والبونت[1] فأجابوا كلهم إلى بيعته والخلاف على علي بن حمود . فاتفق عليه أكثر الأندلس ، واجتمعوا بموضع يعرف بالرياحين في الأضحى سنة ثمان وأربعمائة ، ومعهم الفقهاء والشيوخ . وجعلوا

---

(١) شاطبة . بالطاء المهملة والباء الموحدة مدينة شرق الاندلس واليها ينسب الشاطبي المقري . وغيره . وبلنسية السين فيها مهملة مكسورة وياء خفيفة مدينة مشهورة بالاندلس أيضاً . وطرطوشة بفتح أوله وسكون ثانيه ثم طاء أخرى مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة مدينة أيضاً بالاندلس . والبونت بضم أوله والواو والنون ساكنان والتاء فوقها نقطتان حصن بالاندلس .

الخلافة شورى وأصفقوا على بيعته . وساروا معه إلى صنهاجة والنزول على غرناطة . وأقبل المرتضى على أهل بلنسية ، وشاطبة ، وأظهر الجفاء لمنذر بن يحيى التجيبي ولخيـران ؛ ولم يقبل عليهمـا . فندمـا على ما كـان منهما ، وسـار حتى وصل إلى غرناطة ، فوصل إليها ونزل عليها وقاتلوها أياماً قتالاً شديداً فغلبهم أهل غـرناطـة وأميرهم زاوي بن زيري الصنهاجي . وانهزم المرتضى وعسكره ، واتبعهم صنهاجة يقتلون ويأسرون ، وقتل المرتضى في هذه الهزيمة وعمره أربعون سنة وهو أصغر من أخيه هشام ، وسار أخوه هشام إلى البونت ، وأقام بها إلى أن خوطب بالخلافة ؛ ولم يزل علي بن حمود بعد هذه الهزيمة يقصد بلاد خيران ، والعامريين مرة بعد أخرى .

ذكر قتل علي بن حمود العلوي

فلما كان في ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة ، تجهز علي بن حمود للمسير إلى جيان ، لقتال من بها من عسكر خيران . فلما كـان الثامن والعشـرون منه ، بـرزت العساكر إلى ظاهر قرطبة بالبنود والطبول ، ووقفوا ينتظرون خروجه ، فدخل الحمام ومعه غلمانه فقتلوه . فلما طال على الناس انتظاره بحثوا عن أمره ، فدخلوا عليه فرأوه مقتولاً . فعاد العسكر إلى البلد . وكان لقبه المتوكل على الله . وقيل : الناصر لدين الله ، وكان اسمر ، أعين ، أكحل ، خفيف الجسم طويل القامة ، حازماً ، عازماً ، عادلاً ، حسن السيرة . وكان قد عزم على إعادة أموال أهل قرطبة إليهم التي أخذها البربر ، فلم تطل أيامه ، وكان يحبُّ المدح ويجزل العطاء عليه . ثم ولي بعده أخوه القاسم ـ وهو أكبر من علي بعدة أعوام ـ وكان عمر عليّ ثمانيـاً وأربعين سنة ، بنـوه يحيى ، وإدريس ، وأمه قرشية وكنيته أبو الحسن ، وكانت ولايته سنة وتسعة أشهر .

ذكر ولاية القاسم بن حمود العلوي بقرطبة

قد ذكرنا قتل أخيه علي بن حمود سنة سبع[1] وأربعمائة . فلما قتل بايع الناس أخاه القاسم ، ولقب المأمون . فلما ولي واستقرّ ملكه كاتب العامريين واستمالهم . وأقطع زهيراً جيان ، وقلعة رباح ، وبياسة . وكاتب خيـران واستعطفـه فلجأ إليـه ،

---

(١) ذكر المؤلف في ترجمة قتل علي بن حمود أنه قتل سنة ثمان لا سبع .

واجتمع به ثم عاد عنه إلى المرية . وبقي القاسم مالكاً لقرطبة وغيرها إلى سنة اثنتي عشرة وأربعمائة . وكان وادعاً ليناً يحب العافية ، فأمَّن الناس معه ، وكان يتشيع إلاّ أنه لم يُظهر شيئاً من ذلك . فسار عن قرطبة إلى أشبيلية ، فخالفه يحيى ابن اخيه فيها .

ذكر دولة يحيى بن علي بن حمود وما كان منه ومن عمه

لما سار القاسم بن حمود عن قرطبة إلى اشبيلية سار ابن أخيه يحيى بن علي من مالقة إلى قرطبة ، فدخلها بغير مانع ، فلما تمكن بقرطبة دعا الناس إلى بيعته ، فأجابوه ، فكانت البيعة مستهل جُمادى الأولى من سنة إثنتي عشرة وأربعمائة ، ولقب بالمعتلى ، وبقي بقرطبة يدعى له بالخلافة ، وعمه القاسم بإشبيلية يدعى له بالخلافة إلى ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وأربعمائة . فسار يحيى عن قرطبة إلى مالقة ووصل الخبر إلى عمه ، فركب وجدَّ في السير ليلاً ونهاراً إلى أن وصل إلى قرطبة . فدخلها ثامن عشر ذي القعدة سنة ثلاث عشرة . وكان مدّة مقامه بإشبيلية ، قد استمال العساكر من البربر وقوي بهم ، وبقي القاسم بقرطبة شهوراً ثم اضطرب أمره بها ، وسار ابن اخيه يحيى بن علي إلى الجزيرة الخضراء ، وغلب عليها وبها أهل عمه وماله . وغلب أخوه إدريس بن علي صاحب سبتة على طنجة ـ وهي كانت عدة القاسم التي يلجأ إليها إن رأى ما يخاف بالأندلس ـ فلما ملك ابنا أخيه بلاده طمع فيه الناس وتسلَّط البربر على قرطبة ، فأخذوا أموالهم . فاجتمع أهلها وبرزوا إلى قتاله عاشر جُمادى الأولى سنة أربع عشرة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً .

ثم سكنت الحرب وأمَّن بعضهم بعضاً إلى منتصف جُمادى الأولى من السنة والقاسم بالقصر يظهر التودد لأهل قرطبة ، وأنه معهم وباطنه مع البربر ، فلما كان يوم الجمعة منتصف جُمادى الآخرة صلى الناس الجمعة ، فلما فرغوا تنادوا ، السلاح السلاح فاجتمعوا ولبسوا السلاح وحفظوا البلد ودخلوا قصر الإمارة . فخرج عنها القاسم واجتمع معه البربر ، وقاتلوا أهل البلد وضيقوا عليهم ، وكانوا أكثر من أهله . فبقوا كذلك نيفاً وخمسين يوماً ـ والقتال متصل ـ فخاف أهل قرطبة وسألوا البربر في أن يفتحوا لهم الطريق ويؤمنوهم على أنفسهم وأهليهم ، فأبوا إلاّ أن يقتلوهم ، فصبروا حينئذ على القتال ، وخرجوا من البلد ثاني عشر شعبان ، وقاتلوهم قتال مستقتل فنصرهم الله على البربر ومن بُغِيَ عليه لينصرنه الله. وانهزم البربر هزيمة عظيمة ،

ولحق كل طائفة منهم ببلد فاستولوا عليه . وأما القاسم بن حمود فإنه سار إلى إشبيلية ، وكتب إلى أهلها في إخلاء الف دار ، ليسكنها البربر فعظم ذلك عليهم . وكان بها ابناه محمد ، والحسن . فثار بهما أهلها فأخرجوهما عنهم ومن معهما ، وضبطوا البلد ، وقدموا على أنفسهم ثلاثة من شيوخهم ، وكبرائهم ، وهم القاضيَ أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي ، ومحمد بن يريم الألهاني ، ومحمد بن محمد بن الحسن الزبيدي . وكانوا يدبرون أمر البلد والناس . ثم اجتمع ابن يريم، والزبيدي وسألوا ابن عباد أن ينفرد بتدبير أمورهم ، فامتنع وألحوا عليه ، فلما خاف على البلد بامتناعه أجابهم إلى ذلك، وانفرد بالتدبير وحفظ البلد. فلما رأى القاسم ذلك سار في تلك البلاد ، ثم إنه نزل بشريش[1] ، فزحف إليه يحيى ابن أخيه علي ومعه جمع من البربر فحصروه ، ثم أخذوه أسيراً فحبسه فبقي في حبسه إلى أن توفي يحيى ، وملك أخوه إدريس . فلما ملك قتله . وقيل : بل مات حتف أنفه ، وحُمِلَ إلى ابنه محمد وهو بالجزيرة الخضراء فدفنه ، وكانت مدة ولاية القاسم بقرطبة ـ مذ تسمى بالخلافة إلى أن أسره ابن أخيه ـ ستة أعوام ، وبقي محبوساً ستة عشر سنة ، إلى أن قتل سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وكان له ثمانون سنة . وله من الولد محمد ، والحسن أمهما أميرة بنت الحسن بن القاسم المعروف بقتون بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام . وكان أسمر ، أعين ، أكحل ، مصفر اللون ، طويلاً ، خفيف العارضين .

ذكر عود بني أمية إلى قرطبة وولاية المستظهر

لما انهزم البربر ، والقاسم بن علي من أهل قرطبة على ما ذكرناه ، اتفق رأي أهل قرطبة على ردِّ بني أمية ، فاختاروا عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الأموي ، فبايعوه بالخلافة ثالث عشر رمضان من سنة أربع عشرة وأربعمائة ـ وعمره حينئذ اثنتان وعشرون سنة ـ وتلقَّبَ بالمستظهر بالله ، فكانت ولايته شهراً واحداً وسبعة عشر يوماً ، وقُتِلَ . وكان سبب قتله أنه أخذ جماعة من أعيان قرطبة ، فسجنهم لميلهم إلى سُليمان بن المرتضى عبد الرحمن بن محمد بن

---

(١) بشينين معجمتين بينهما راء مكسورة وياء تحتية ساكنة مدينة كبيرة .

عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، وأخذ أموالهم . فسعوا عليه من السجن وألبوا الناس ، فأجابهم صاحب الشرطة وغيره ، واجتمعوا وقصدوا السجن فأخرجوا من فيه . وكان ممن وافقهم على ذلك أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن الأموي في جماعة كثيرة ، فظفروا بالمستظهر فقتلوه في ذي القعدة ولم يعقب . وكنيته أبو المطرف ، وأمه أم ولد. وكان أبيض ، أشقر ، أعين ، شثن الكفين، رحب الصدر، وكان أديباً، خطيباً ، بليغاً ، رقيق الطبع له شعر جيد ، وكان وزيره أبا محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، وكان سُليمان بن المرتضى قد مات قبل قتله بعشرة أيام .

ذكر ولاية محمد بن عبد الرحمن

لما قتل المستظهر بايع الناس بقرطبة محمد بن عبد الرحمن بن عبيدالله بن الناصر ، وكنيته أبو عبد الرحمن الأموي في ذي القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة . وخطبوا له بالخلافة ولقبوه المستكفي بالله . وكان همه لا يعدو فرجه وبطنه ، وليس له هم ولا فكر في سواهما . وبقي بها ستة عشر شهراً وأياماً ، وثار عليه أهل قرطبة في ربيع الأول سنة ست عشرة وأربعمائة ، فخلعوه . وخرج عن قرطبة ومعه جماعة من أصحابه حتى صار إلى أعمال مدينة سالم ، فضجر منه بعض أصحابه فشوى له دجاجة وعمل فيها شيئاً من البيش ، فأكلها فمات في ربيع الآخر من هذه السنة . وكان في غاية التخلف ، وله أخبار يقبح ذكرها ، وكان ربعة ، أشقر ، أزرق ، مدوّر الوجه ، ضخم الجسم ، وكان عمره نحو خمسين سنة . ولما توفي أعاد أهل قرطبة دعوة المعتلي بالله يحيى بن علي بن حمود العلوي بها .

ذكر عود يحيى العلوي إلى قرطبة وقتله

ولما مات أبو عبد الرحمن الأموي وصحَّ عند أهل قرطبة خبر موته سعى معهم بعض أهلها ليحيى بن علي بن حمود العلوي ليعيدوه إلى الخلافة ، وكان بمالقة يخطب لنفسه بالخلافة ، فكتبوا إليه وخاطبوه بالخلافة وخطبوا له في رمضان سنة ست عشرة وأربعمائة . فأجابهم إلى ذلك ، وأرسل إليهم عبد الرحمن بن عطاف اليفرني والياً عليهم ، ولم يحضر هو باختياره . فبقي عبد الرحمن فيها إلى محرم سنة سبع عشرة . فسار إليه مجاهد ، وخيران العامريان في ربيع الأول منها في جيش كثير . فلما

قاربوا قرطبة ثار أهلها بعبد الرحمن ، فأخرجوه وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة ، ونجا الباقون . وأقام خيران ، ومجاهد بها نحو شهر ، ثم اختلفا فخاف كل واحد منهما صاحبه . فعاد خيران عن قرطبة لسبع بقين من ربيع الآخر من السنة إلى المرية ، بقي بها إلى سنة ثمان عشرة وتوفي ، وقيل : سنة تسع عشرة ، وصارت المرية بعده لصاحبه زهير العامري فخالفَ حبوس بن ماكسن الصنهاجي البربري ، وأخوه على طاعة يحيى بن علي العلوي . وبقي مجاهد مدة ، ثم سار إلى دانية ، وقطعت خطبة يحيى منها ، وأُعِيْدَتْ خطبة الأمويين علي ما نذكره فيما بعد ان شاء الله . وبقي يتردد عليها بالعساكر واتفق البربر على طاعته وسلموا إليه ما بأيديهم من الحصون والمدن ، فقوي وعظم شأنه . وبقي كذلك مدة ، ثم سار إلى قرمونة فأقام بها محاصراً لإشبيلية طامعاً في أخذها . فأتاه الخبر يوماً أن خيلاً لأهل اشبيلية ، قد أخرجها القاضي أبو القاسم بن عباد إلى نواحي قرمونة ، فركب إليهم ولقيهم وقد كمنوا له . فلم يكن بأسرع من أن قتل ، وذلك في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة . وخلف من الولد الحسن ، وإدريس لأمي ولد ، وكان أسمر ، أعين أكحل ، طويل الظهر ، قصير الساقين ، وقوراً ، هيناً ، ليناً ، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة ، وأمه بربرية .

ذكر أخبار أولاد يحيى وأولاد أخيه وغيرهم وقتل ابن عمار

نذكر ههنا ما كان من أخبار أولاده وأولاد أخيه وغيرهم من العلويين متتابعاً لئلا ينقطع الكلام وليأخذ بعضه ببعض . لما قتل يحيى بن علي رجع أبو جعفر أحمد بن أبي موسى المعروف بابن بقية ، ونجا الخادم الصقلبي ـ وهما مدبرا دولة العلويين ـ فأتيا مالقة وهي دار مملكتهم . فخاطبا أخاه إدريس بن علي . وكان له سبتة ، وطنجة وطلباه فأتى إلى مالقة ، وبايعاه بالخلافة على أن يجعل حسن بن يحيى المقتول مكانه بسبتة . فأجابهما إلى ذلك فبايعاه . وسار حسن بن يحيى ونجا إلى سبتة ، وطنجة ، وتلقَّب إدريس بالمتأيد بالله ، فبقي كذلك إلى سنة ثلاثين أو إحدى وثلاثين وأربعمائة . فسيَّر القاضي أبو القاسم بن عباد ولده إسماعيل في عسكر ليتغلب على تلك البلاد فأخذ قرمونة وأخذ أيضاً أشبونة ، واستجة . فارسل صاحبها إلى إدريس وإلى باديس بن حبوس صاحب صنهاجة فأتاه صاحب صنهاجة بنفسه ، وأمده إدريس بعسكر يقوده ابن بقية مدبر دولته ، فلم يجسروا على إسماعيل بن عباد فعادوا عنه .

فسار إسماعيل مجداً ، ليأخذ على صنهاجة الطريق ، فأدركهم وقد فارقهم عسكر إدريس قبل ذلك بساعة . فأرسلت صنهاجة من ردَّهم ، فعادوا وقاتلوا إسماعيل بن عباد ، فلم يلبث أصحابه أن انهزموا وأسلموه. فقُتِلَ وحُمِلَ رأسه ، إلى إدريس . وكان إدريس قد أيقن بالهلاك ، وانتقل عن مالقة إلى جبل يحتمي به وهو مريض ، فلما أتاه الرأس عاش بعده يومين ومات ، وترك من الولد يحيى ، ومحمداً ، وحسناً ، وكان يحيى بن علي المقتول قد حبس ابني عمه محمداً ، والحسن ابني القاسم بن حمود بالجزيرة . فلما مات إدريس ، أخرجهما الموكل بهما ودعا الناس إليهما فبايعهما السودان خاصة قبل الناس لميل أبيهما إليهم . فملك محمد الجزيرة ولم يتسم بالخلافة .

وأما الحسن بن القاسم ، فإنه تنسك وترك الدنيا وحج ، وكان ابن بقية قد أقام يحيى بن إدريس بعد موت والده بمالقة ، فسار إليها نجا الصقلبي من سبتة هو والحسن بن يحيى ، فهرب ابن بقية ودخلها الحسن ونجا . فاستمالا ابن بقية حتى حضر ، فقتله الحسن وقتل ابن عمه يحيى بن إدريس وبايعه الناس بالخلافة ، ولقب بالمستنصر بالله . ورجع نجا إلى سبتة وترك مع الحسن المستنصر نائباً له يُعرف بالشطليفي. فبقي حسن كذلك نحواً من سنتين ثم مات سنة أربع وثلاثين وأربعمائة فقيل : إن زوجته ابنة عمه ادريس سمته أسفا على أخيها يحيى ، فلما مات المستنصر اعتقل الشطيفي إدريس بن يحيى .

وسار نجا من سبتة إلى مالقة ، وعزم على محو أمر العلويين وأن يضبط البلاد لنفسه . وأظهر البربر على ذلك ، فعظم عندهم فقتلوه وقتلوا الشطليفي وأخرجوا إدريس بن يحيى ، وبايعوه بالخلافة وتسمى بالعالي . وكان كثير الصدقة يتصدق كل جمعة بخمسمائة دينار ، ورد كل مطرود عن وطنه ، وأعاد عليهم أملاكهم ، وكان متأدباً، حسن اللقاء، له شعر جيد إلا أنه كان يصحب الأرذال، ولا يحجب نساءه عنهم ، وكل من طلب منهم حصناً من بلاده أعطاه ، فأخذ منه صنهاجة عدة حصون ، وطلبوا وزيره ومدبر أمره صاحب أبيه موسى بن عفان ، ليقتلوه فسلَّمه إليهم فقتلوه .

وكان قد اعتقل ابني عمه محمداً ، والحسن ابني إدريس بن علي في حصن أيرش. فلما رأى ثقته بأيرش اضطراب آرائه ، خالف عليه وبايع ابن عمه محمد بن

ادريس بن علي . وثار بادريس بن يحيى من عنده من السودان ، وطلبوا محمداً فجاء إليهم فسلّم إليه إدريس الأمر وبايع له سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة . فاعتقله محمد وتلقّب بالمهدي وولى أخاه الحسن عهده ولقبه السامي . وظهرت من المهدي شجاعة وجراءة ، فهابه البربر وخافوه . فراسلوا الموكل بادريس بن يحيى ، فأجابهم إلى إخراجه ، وأخرجه وبايع له وخطب له بسبتة وطنجة بالخلافة ، وبقي إلى أن توفي سنة ست وأربعين .

ثم إن المهدي رأى من أخيه السامي ما انكره فنفاه عنه ، فسار إلى العدوة إلى جبال غمارة وأهلها ينقادون للعلويين ويعظمونهم فبايعوه . ثم إن البربر خاطبوا محمد بن القاسم بالجزيرة ، واجتمعوا إليه وبايعوه بالخلافة ، وتسمى بالمهدي أيضاً . فصار الأمر في غاية الأخلوقة والفضيحة أربعة كلهم يسمى أمير المؤمنين في رقعة من الأرض مقدارها ثلاثون فرسخاً . فرجعت البربر عنه وعاد إلى الجزيرة فمات بعد أيام ، فولي الجزيرة ابنه القاسم ولم يتسم بالخلافة . وبقي محمد بن إدريس بمالقة إلى أن مات سنة خمس وأربعين . وكان إدريس بن يحيى المعروف بالعالي عند بني[1] يفرن بتاكرنا . فلما توفي محمد بن إدريس بن علي ، قصد إدريس بن يحيى مالقة ، فملكها . ثم انتقلت إلى صنهاجة .

ذكر ولاية هشام الأموي قرطبة

لما قطعت دعوة يحيى بن علي العلوي عن قرطبة سنة سبع عشرة وأربعمائة على ما ذكرناه قبل ، أجمع أهلها على خلع العلويين لميلهم إلى البربر ، وإعادة الخلافة بالأندلس إلى بني أمية . وكان رأسهم في ذلك أبا الحزم جهور بن محمد بن جهور ؛ فراسلوا أهل الثغور والمتغلبين هناك في هذا فاتفقوا معهم . فبايعوا أبا بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الأموي ، وكان مقيماً بالبنت مذ قتل أخوه المرتضى ، فبايعوه في ربيع الأول سنة ثمان عشرة . وتلقب بالمعتد بالله . وكان أسن من المرتضى ، ونهض إلى الثغور ، فتردد فيها وجرى له هناك فتن ، واضطراب شديد من الرؤساء إلى ان أتفق أمرهم على أن يسير إلى قرطبة دار الملك ، فسار إليها ، ودخلها ثامن ذي الحجة سنة عشرين ، وبقي بها حتى خلع ثاني ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين . وكان سبب خلعه أن وزيره أبا عاصم سعيداً القزاز ، لم يكن له قديم

رياسة ، وكان يخالف الوزراء المتقدمين ويتسبب إلى أخذ أموال التجار وغيرهم . وكان يصل البربر ويُحسنُ إليهم ، ويقربهم . فنفر عنه أهل قرطبة فوضعوا عليه من قتله . فلما قتلوه استوحشوا من هشام فخلعوه بسببه .

فلما خُلِعَ هشام ، قام أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر وتسور القصر مع جماعة من الأحداث ، ودعا إلى نفسه فبايعه من سواد الناس كثير ، فقال له بعض أهل قرطبة : « نخشى عليك أن تُقْتَل في هذه الفتنة . فإن السعادة قد ولت عنكم » . فقال : « بايعوني اليوم ، واقتلوني غداً » فانفذ أهل قرطبة وأعيانهم إليه وإلى المعتد بالله يأمرونهما بالخروج عن قرطبة ، فودع المعتمد أهله ، وخرج إلى حصن محمد بن الشور بجبل قرطبة ، فبقي معه إلى أن غدر أهل الحصن بمحمد بن الشور ، فقتلوه ، وأخرجوا المعتمد إلى حصن آخر حبسوه فيه . فاحتال في الخروج منه ليلاً ، وسار إلى سُليمان بن هود الجذامي ، فأكرمه ، وبقي عنده إلى أن مات في صفر سنة ثمان وعشرين . ودُفِنَ بناحية لاردة ، وهو آخر ملوك بني أمية بالأندلس .

وأما أمية فإنه اختفى بقرطبة ، فنادى أهل قرطبة بالأسواق والأرباض ، أن لا يبقى أحد من بني أمية بها ولا يتركهم عنده أحد . فخرج أمية فيمن خرج وانقطع خبره مدة . ثم أراد العود إليها ، فعاد طمعاً في ان يسكنها . فأرسل إليه شيوخ قرطبة من منعه عنها، وقيل: قتل وغيب ، وذلك في جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين . ثم انحل عقد الجماعة وانتشر ، وافترقت البلاد على ما نذكره .

ذكر تفرق ممالك الأندلس

ثم إن الأندلس اقتسمه أصحاب الأطراف والرؤساء ، فتغلّب كل إنسان على شيء منه فصاروا مثل ملوك الطوائف ، وكان ذلك أضر شيء على المسلمين . فطمع بسببه العدو الكافر خذله الله فيهم ، ولم يكن لهم اجتماع إلى أن ملكه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين على ما نذكره إن شاء الله .

فأما قرطبة فاستولى عليها أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور المقدم ذكره . وكان من وزراء الدولة العامرية قديم الرياسة موصوفاً بالدهاء والعقل ، ولم يدخل في شيء من الفتن قبل هذا ، بل كان يتصاون عنها . فلما خلا له الجو وأمكنته الفرصة ،

وثب عليها ، فتولى أمرها وقام بحمايتها ، ولم يتنقل إلى رتبة الإمارة ظاهراً بل دبرها تدبيراً لم يسبقْ إليه . وأظهر أنه حام للبلد إلى أن يجيء من يستحقه ، ويتفق عليه الناس فيسلمه إليه . ورتب البوابين والحشم على أبواب قصور الإمارة ، ولم يتحول هو عن داره إليها، وجعل ما يرتفع من الأموال السلطانية بأيدي رجال رتبهم لذلك وهو المشرف عليهم ، وصيَّر أهل الأسواق جنداً ، وجعل ارزاقهم ربح أموال تكون بأيديهم دَيْناً عليهم ، فيكون الربح لهم ورأس المال باقياً عليهم . وكان يتعهدهم في الأوقات المتفرقة ، لينظرَ كيف حفظهم لها ، وفرَّق السلاح عليهم ، فكان أحدهم لا يفارقه سلاحه حتى يعجِّل حضوره إن احتاج إليه . وكان جهور يشهد الجنائز ويعود المرضى ويحضر الأفراح على طريقة الصالحين ، وهو مع ذلك يدبِّر الأمر تدبير الملوك ، وكان مأمون الجانب ، وأمّن الناس في أيامه وبقي كذلك إلى أن مات في صفر سنة خمس وثلاثين وأربعمائة . وقام بأمرها بعده ابنه أبو الوليد محمد بن جهور على هذا التدبير إلى أن مات . فغلب عليها الأمير الملقب بالمأمون ، صاحب طليطلة فدبَّرها إلى أن مات بها .

وأما اشبيلية فاستولى عليها القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي ـ وهو من ولد النعمان بن المنذر ـ وقد ذكرنا سبب ذلك في دولة يحيى بن علي بن حمود قبل هذا، وفي هذا الوقت ظهر أمر المؤيد هشام بن الحاكم، وكان قد اختفى وانقطع خبره. وكان ظهوره بمالقة، ثم سار منها الى المرية، فخافه صاحبها زهير العامري فأخرجه منها. فقصد قلعة رباح فأطاعه أهلها، فسار إليهم صاحبه إسماعيل بن ذي النون، وحاربهم. فضعفوا عن مقاومته فأخرجوه. فاستدعاه القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد إليه بإشبيلية، وأذاع أمره، وقام بنصره ـ وكان رؤساء الأندلس في طاعته، فأجابه إلى ذلك صاحب بلنسية نواحيها، وصاحب قرطبة وصاحب دانية والجزائر وصاحبَ طرطوشة، وأقروا بخلافته، وخطبوا له وجُدِّدَتْ بيعته بقرطبة في المحرم سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

ثم إن ابن عباد سيَّر جيشاً إلى زهير العامري لأنه لم يخطب للمؤيد. فاستنجد زهير حبوس بن ماكسن الصنهاجي صاحب غرناطة. فسار إليه بجيشه، فعادت عساكر ابن عباد ولم يكن بين العسكرين قتال. وأقام زهير في بياسة، وعاد حبوس إلى مالقة

فمات في رمضان من هذه السنة، وولي بعده ابنه باديس. واجتمع هو وزهير ليتفقا كما كان زهير، وحبوس فلم تستقر بينهما قاعدة واقتتلا. فقُتِلَ زهير وجمع كثير من أصحابه أواخر سنة تسع وعشرين.

ثم في سنة إحدى وثلاثين التقى عسكر ابن عباد وعليهم ابنه إسماعيل مع باديس بن حبوس وعسكر إدريس العلوي على ما ذكرناه، عند أخبار العلويين فيما تقدم. إلّا انهم اقتتلوا قتالاً شديداً فقُتِلَ إسماعيل. ثم مات بعده أبوه القاضي ابو القاسم سنة ثلاث وثلاثين، وولي بعده ابنه أبو عمرو عباد بن محمد ولقِّبَ بالمعتضد بالله. فضبط ما ولي وأظهر قضاة المؤيد. هذا قول ابن أبي الفياض في المؤيد، وقال غيره إن المؤيد لم يظهرْ خبره منذ عُدِمَ من قرطبة عند دخول علي بن حمود إليها، وقتله سليمان وإنما كان هذا من تمويهات ابن عباد وحيله ومكره. وأعجب من اختفاء حال المؤيد، ثم تصديق الناس ابن عباد فيما أُخْبِرَ بـه من حياته، أن انساناً حضرياً ظهر بعد موت المؤيد بعشرين سنة وادّعى أنه المؤيد، فبويع بالخلافة وخطب له على منابر جميع بلاد الأندلس في أوقات متفرقة، وسُفِكَت الدماء بسببه، واجتمعت العساكر في أمره. ولما أظهر ابن عباد موت هشام المؤيد واستقلَّ بأمر إشبيلية، وما انضاف إليها بقي كذلك إلى ان مات من ذبحة لحقته لليلتين خلتا من جُمادى الآخرة سنة إحدى وستين وأربعمائة.

وولي بعده ابنه أبو القاسم محمد بن عباد بن القاضي أبي القاسم ولقِّبَ بالمعتمد على الله. فاتسع ملكه وشمخ سلطانه وملك كثيراً من الأندلس، وملك قرطبة أيضاً وولى عليها ابنه الظافر بالله. فبلغ خبر ملكه لها إلى يحيى بن ذي النون، صاحب طليطلة، فحسده عليها فضمن له جرير بن عكاشة أن يجعل ملكها لها. وسار إلى قرطبة وأقام بها يسعى في ذلك وهو ينتهز الفرصة. فاتفق أن في بعض الليالي جاء مطر عظيم، ومعه ريح شديدة، ورعد وبرق فثار جرير فيمن معه، ووصل إلى قصر الإمارة، فلم يجد من يمانعه. فدخل صاحب الباب إلى الظافر وأعلمه، فخرج بمن معه من العبيد والحرس، وكان صغير السن وحمل عليهم ودفعهم عن الباب. ثم إنه عثر في بعض كراته، فسقط فوثب بعض من يقاتله وقتله. ولم يبلغ الخبر إلى الأجناد، وأهل البلد إلّا والقصر قد ملك وتلاحق بجرير أصحابه وأشياعه، وترك الظافر ملقىً على الأرض عرياناً. فمرَّ عليه بعض أهل قرطبة فأبصره على تلك الحال، فنزع رداءه وألقاه عليه. وكان أبوه إذا ذكره يتمثل:

ولـم أدرِ من ألـقـى عـليـه رداءَهُ   على أنه قد سلَّ عن ماجدٍ محضٍ

ولم يزل المعتمد يسعى في أخذها حتى عاد ملكها. وترك ولده المأمون فيها، فأقام بها حتى أخذها جيش أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وقتل فيها بعد حروب كثيرة، يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى سنة أربع وثمانين. وأُخِذَتْ إشبيلية من أبيه المعتمد في السنة المذكورة. وبقي محبوساً في أغمات إلى أن مات بها رحمه الله، وكان هو وأولاده جميعهم الرشيد، والمأمون، والراضي، والمعتمد، وأبوه، وجدُّه علماء فضلاء شعراء.

واما بطليوس فقام بها سابور الفتى العامري وتلقَّبَ بالمنصور، ثم انتقلت بعده إلى أبي بكر محمد بن عبد الله بن سلمة المعروف بابن الأفطس أصله من بربر مكناسة، لكنه ولد أبوه بالأندلس،ونشؤوا بها،وتخلقوا بخلق أهلها، وانتسبوا إلى تجيب وشاكلهم الملك. فلما توفي صارت بعده إلى ابنه أبي محمد عمر بن محمد واتسع ملكه إلى أقصى المغرب، وقتل صبرا مع ولدين له عند تغلب أمير المسلمين على الأندلس.

وأما طليطلة، فقام بأمرها ابن يعيش فلم تطل مدته، وصارت رياسته إلى إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن مطرف بن ذي النون، ولقبه الظافر بحول الله. وأصله من البربر وولد بالأندلس وتأدَّبَ بآداب أهلها. وكان مولد إسماعيل سنة تسعين وثلاثمائة وتوفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وكان عالماً بالأدب، وله شعر جيد وصنَّف كتاباً في الآداب والأخبار. وولي بعده ابنه يحيى فاشتغل بالخلاعة والمجون وأكثر مهاداة الأفرنج، ومصانعتهم ليتلذذ باللعب. وامتدت يده إلى أموال الرعية. ولم تزل الفرنج تأخذ حصونه شيئاً بعد شيء حتى أُخِذَتْ طليطلة في سنة سبع وسبعين وأربعمائة؛ وصار هو ببلنسية، وأقام بها إلى أن قتله القاضي ابن حجاف الأحنف، وفيه يقول الرئيس أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر :

أيُّـهـا الأحـنـفُ مـهـلاً   فـلـقـد جئـت عـويـصـا
إذْ قـتـلْـتَ الـمـلكَ يـحـيـى   وتـقـمَّـصْـتَ الـقـمـيـصـا
ربَّ يـومٍ فـيـه تُـجـزى   لا تـجـدْ فـيـه مـحـيـصـا

وأما سرقسطة والثغر الأعلى فكان بيد منذر بن يحيى التجيبي ثم توفي، وولي بعده ابنه يحيى، ثم صارت بعده لسليمان بن أحمد بن محمد بن هود الجذامي، وكان

يلقب بالمستعين بالله. وكان من قواد منذر على مدينة لاردة، وله وقعة مشهورة بالفرنج بطليطلة سنة أربع وثلاثين وأربعمائة. ثم توفي وولي بعده ابنه المقتدر بالله، وولي بعده ابنه يوسف بن أحمد المؤتمن، ثم ولي بعده ابنه أحمد المستعين بالله على لقب جدِّه، ثم ولي بعده ابنه عبد الملك عماد الدولة. ثم ولي بعده ابنه المستنصر بالله، وعليه انقرضت دولتهم على رأس الخمسمائة. فصارت بلادهم جميعها لابن تاشفين. ورأيت بعض أولادهم بدمشق سنة تسعين وخمسمائة وهو فقير جداً وهو قيم الربوة ـ فسبحان من لا يزول ولا تغيره الدهور. وأما طرطوشة فوليها لبيب الفتى العامري.

وأما بلنسية فكان بها المنصور أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن المنصور بن أبي عامر المعافري، ثم انضاف إليه المرية وما كان إليها، وبعده ابنه محمد، ودام فيها إلى أن غدر به صهره المأمون بن إسماعيل بن ذي النون، وأخذ منه رياسة بلنسية في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة، فانتزح إلى المرية وأقام بها إلى أن خُلِعَ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وأما السهلة فملكها عبود بن رزين وأصله بربري، ومولده بالأندلس. فلما هلك ولي بعده ابنه عبد الملك وكان أديباً شاعراً. ثم ولي بعده ابنه عز الدولة، ومنه ملكها الملثمون. وأما دانية، والجزائر فكانت بيد الموفق أبي الحسن مجاهد العامري. وسار إليه من قرطبة الفقيه أبو محمد عبدالله المعيطي، ومعه خلق كثير. فأقامه مجاهد شبه خليفة يصدر عن رأيه وبايعه في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعمائة. فأقام المعيطي بدانية مع مجاهد ومن انضمَّ إليه نحو خمسة أشهر. ثم سار هو ومجاهد في البحر إلى الجزائر التي في البحر، وهي ميورقة، بالياء. ومنورقة بالنون، ويابسة، ثم بعث المعيطي بعد ذلك مجاهداً إلى سردانية في مائة وعشرين مركباً بين كبير وصغير، ومعه ألف فرس ففتحها في ربيع الأول سنة ست وأربعين وأربعمائة. وقتل بها خلقاً كثيراً من النصارى وسبى مثلهم. فسار إليه الفرنج والروم من البر في آخر هذه السنة، فأخرجوه منها ورجع إلى الأندلس والمعيطي قد توفي فغاص مجاهد في تلك الفتن إلى أن توفي. وولي بعده ابنه علي بن مجاهد. وكانا جميعاً من أهل العلم والمحبة لأهله والإحسان إليهم وجلباهم من أقاصي البلاد وأدانيها. ثم مات ابنه علي فولي بعده ابنه أبو عامر، ولم يكن مثل أبيه وجدِّه. ثم إن دانية وسائر بلاد بني مجاهد صارت إلى

المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

وأما مرسية، فوليها بنو طاهر واستقامت رياستها لأبي عبد الرحمن منهم المدعو بالرئيس، ودامت رياسته إلى أن أخذها منه المعتمد بن عباد على يد وزيره أبي بكر بن عمار المهري. فلما ملكها عصى على المعتمد فيها، فوجَّهَ إليه عسكراً مقدمهم أبو محمد عبد الرحمن بن رشيق القشيري. فحصروه وضيقوا عليه حتى هرب منها. فلما دخلها القشيري عصى فيها أيضاً على المعتمد إلى أن دخل في طاعة الملثمين؛ وبقي أبو عبد الرحمن بن طاهر بمدينة بلنسية إلى أن مات بها سنة سبع وخمسمائة، ودفن بمرسية وقد نيف على تسعين سنة.

وأما المرية فملكها خيران العامري وتوفي كما ذكرنا. ووليها بعده زهير العامري، واتسع ملكه إلى شاطبة إلى ما يجاور عمل طليطلة، ودام إلى أن قتل كما تقدم. وصارت مملكته إلى المنصور أبي الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصوربن أبي عامر، فولي بعده ابنه محمد، فلما توفي عبد العزيز ببلنسية، وأقام ابنه محمد بالمرية وهو يدبر بلنسية، فانتهز الفرصة فيها المأمون يحيى بن ذي النون، وأخذها منه وبقي بالمرية إلى أن أخذها منه صهره ذو الوزارتين أبو الأحوص المعتصم معن بن صمادح التجيبي. ودانت له لورقة، وبياسة، وجيان، وغيرها إلى أن توفي سنة ثلاث وأربعين. وولي بعده ابنه أبو يحيى محمد بن معن ـ وهو ابن أربع عشرة سنة ـ فكفِلَهُ عمه أبو عتبة بن محمد إلى أن توفي سنة ست وأربعين. فبقي أبو يحيى مستضعفاً لصغره، وأخذت بلاده البعيدة عنه ولم يبقَ له غير المرية، وما يجاورها. فلما كبر أخذ نفسه بالعلوم ومكارم الأخلاق، فامتد صيته واشتهر ذكره وعَظُمَ سلطانه، والتحق بأكابر الملوك، ودام بها إلى أن نازله جيش الملثمين، فمرض في أثناء ذلك. وكان القتال تحت قصره، فسمع يوماً صياحاً وجلبة فقال: نغص علينا كل شيء حتى الموت. وتوفي في مرضه ذلك لثمان بقين من ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة. ودخل أولاده وأهله البحر في مركب إلى بجاية قاعدة مملكة بني حماد من أفريقية، وملك الملثمون المرية وما معها.

وأما مالقة فملكها بنو علي بن حمود، فلم تزل في مملكة العلويين يخطب لهم فيها إلى أن أخذها منهم إدريس بن حبوس صاحب غرناطة سنة سبع وأربعين، وانقضى أمر

العلويين بالأندلس. وأما غرناطة فملكها حبوس بن ماكسن الصنهاجي، ثم مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة. وولي بعده ابنه باديس. فلما توفي ولي بعده ابن أخيه عبد الله ابن بلكين وبقي إلى أن ملكها منه الملثمون في رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة وانقرضت دول جميعهم، وصارت الأندلس جميعها للملثمين، وملكهم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين. واتصلت مملكتـه من المغرب الأقصى إلى آخـر بلاد المسلمين بالأندلس. نعود إلى سنة سبع وأربعمائة.

ذكر الحرب بين سلطان الدولة وأخيه أبي الفوارس

قد ذكرنا أن الملك سلطان الدولة لما ملك بعد أبيه بهاء الدولة ولّي أخاه أبـا الفوارس بن بهاء الدولة كرمان، فلما وليها اجتمع إليه الديلم، وحسنوا له محاربة أخيه وأخذ البلاد منه. فتجهّز وتوجه إلى شيراز، فلم يشعر سلطان الدولة حتى دخـل أبو الفوارس إلى شيراز. فجمع عساكره، وسار إليه، فحاربه فانهزم أبو الفوارس، وعاد إلى كرمان. فتبعه إليها فخرج منها هارباً إلى خـراسان، وقصـد يمين الدولـة محمود بن سبكتين ـ وهو ببست ـ فأكرمه، وعظمه وحمل إليه شيئـاً كثيراً وأجلسـه فوق دارا بن قابوس بن وشمكير فقال دارا: «نحن أعـظم محلاً منهم لأن أبـاه وأعمامـه خدمـوا آبائي». فقال محمود: «لكنهم أخذوا الملك بالسيف أراد بهذا نصرة نفسه حيث أخذ خراسان من السامانية ووعد محمود أن ينصره». ثم ان أبا الفوارس باع جوهرتين كانتا على جبهة فرسه بعشرة آلاف دينار فاشتراهما محمود وحملهما إليه وقال لـه: من غلطكم تتركون هذا على جبهة الفرس وقيمتها ستون ألف دينار. ثم إن محموداً سيَّر جيشاً مع أبي الفوارس إلى كرمان مقدمهم أبو سعد الطائي ـ وهو من أعيان قواده ـ فسـار إلى كرمان فملكها، وقصد بلاد فارس، وقد فارقها سلطان الدولة إلى بغداد فدخل شيراز. فلما سمع سلطان الدولة عاد إلى فارس، فالتقوا هناك واقتتلوا فانهزم أبو الفوارس، وقتل كثير من أصحابه وعاد بأسوأ الحال، وملك سلطان الدولـة بلاد فـارس. وهرب أبـو الفوارس سنة ثمان وأربعمائة إلى كرمان، فسيَّر سلطان الدولة الجيوش في أثره، فأخذوا كرمان منه. فلحق بشمس الدولةبن فخر الدولة بن بويه صاحب همذان، ولم يمكنه العود إلى يمين الدولة، لأنه أساء السيرة مع أبي سعد الطائي. ثم فارق شمس الدولة ولحق بمهذب الدولة، صاحب البطيحة، فأكرمه وأنزله داره وأنفذ إليه أخوه جلال الدولة

من البصرة مالاً وثياباً وعرض عليه الإنحدار إليه فلم يفعله. وترددت الرسل بينه وبين سلطان الدولة فأعاد إليه كرمان وسيّرت إليه الخلع والتقليد بذلك، وحُمِلَتْ إليه الأموال فعاد إليها.

ذكر قتل الشيعة بأفريقية

في هذه السنة في المحرم قتلت الشيعة بجميع بلاد أفريقية. وكان سبب ذلك أن المعز بن باديس، ركب ومشى في القيروان، والناس يسلمون عليه ويدعون له. فاجتاز بجماعة فسأل عنهم فقيل: هؤلاء رافضة يسبون أبا بكر، وعمر. فقال: رضي الله عن أبي بكر، وعمر. فانصرفت العامة من فورها إلى درب المقلي من القيروان ـ وهو تجتمع به الشيعة ـ فقتلوا منهم، وكان ذلك شهوة العسكر وأتباعهم طمعاً في النهب، وانبسطت أيدي العامة في الشيعة وأغراهم عامل القيروان، وحرَّضهم، وسبب ذلك أنه كان قد أصلح أمور البلد فبلغه أن المعز بن باديس يريد عزله فأراد فساده، فقتل من الشيعة خلقٌ كثير وأحرقوا بالنار، ونُهِبَتْ ديارهم وقتلوا في جميع أفريقية. واجتمع جماعة منهم إلى قصر المنصور قريب القيروان، فتحصنوا به فحصرهم العامة، وضيقوا عليهم. فاشتد عليهم الجوع فاقبلوا يخرجون والناس يقتلونهم حتى قتلوا عن آخرهم. ولجأ من كان منهم بالمهدية إلى الجامع فقتلوا كلهم. وكانت الشيعة تسمى بالمغرب المشارقة نسبة إلى أبي عبد الله الشيعي، وكان من المشرق. وأكثر الشعراء ذكر هذه الحادثة، فمن فرح مسرور ومن باك حزين.

ذكرة عدة حوادث

في هذه السّنة في ربيع الأول احترقت قبة مشهد الحسين[1] والأروقة. وكان سببه أنهم أشعلوا شمعتين كبيرتين فسقطتا في الليل على التازير، فاحترق وتعدَّت النار. وفيه أيضاً احترق نهر طابق، ودار القطن، وكثير من باب البصرة، واحترق جامع سُرَّ من رَأى. وفيها تشعث الركن اليماني من البيت الحرام وسقط حائط بين يدي حجرة النبي ﷺ ووقعت القبة الكبيرة على الصخرة بالبيت المقدس. وفيها كانت فتنة كبيرة بين أهل

---

(١) وقع الحريق بمشهد الحسين بن علي رضي الله عنهما بكربلاء، وفي البداية والنهاية «ونفذت النار منه إلى غيره حتى كان ما كان»

السُّنَّة والشيعة بواسط فانتصر أهل السُّنة، وهرب وجوه الشيعة والعلويين إلى علي بني مزيد فاستنصروه. وفيها في رجب مات محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل أبو الحسين الضبي القاضي ـ المعروف بابن المحاملي وكان من أعيان الفقهاء الشافعية وكبار المحدثين مولده سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، ومحمد بن الحسين بن محمد بن الهيثم أبو عمر البسطامي[1] الواعظ الفقيه الشافعي، ولي قضاء نيسابور.

---

(١) قال ابن شهبة في وصفه: سمع بالعراق، والاهواز، واصبهان، وسجستان، وأملي وحدث وقرأ المذهب وكان في ابتداء امره يعقد مجلس الوعظ والتذكير ثم تركه وأقبل على التدريس والمناظرة والفتوى ثم ولي قضاء نيسابور سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة فأظهر أهل الحديث من الفرح والاستبشار ما يطول شرحه. وكان نظير سهل الصعلوكي حشمة وجاهاً وعلماً فصاهره سهل وجاء بينهما جماعة سادة فضلاء. توفي في ذي القعدة.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة

ذكر خروج الترك من الصين وموت طغان خان

في هذه السّنة خرج الترك من الصين في عدد كثير يزيدون على ثلاثمائة ألف خركاه من أجناس الترك، منهم الخطابية الذين ملكوا ما وراء النهر، وسيرد خبر ملكهم إن شاء الله تعالى. وكان سبب خروجهم أن طغان خان، لما ملك تركستان مرض مرضاً شديداً، وطال به المرض، فطمعوا في البلاد لذلك. فساروا إليها وملكوا بعضها، وغنموا وسبوا وبقي بينهم وبين بلاساغون ثمانية أيام. فلما بلغه الخبر كان بها مريضاً فسأل الله تعالى أن يعافيه، لينتقمَ من الكَفَرة ويحمي البلاد منهم، ثم يفعل به بعد ذلك ما أراد، فاستجاب الله له وشفاه. فجمع العساكر وكتب إلى سائر بلاد الإسلام يستنفر الناس فاجتمع إليه من المتطوعة مائة ألف وعشرون ألفاً. فلما بلغ الترك خبر عافيته وجمعه العساكر وكثرة من معه عادوا إلى بلادهم. فسار خلفهم نحو ثلاثة أشهر حتى أدركهم، وهم آمنون لبعد المسافة. فكبسهم وقتل منهم زيادة على مائتي ألف رجل، وأسر نحو مائة ألف وغنم من الدواب، والخركاهات، وغير ذلك من الأواني الذهبية، والفضية، ومعمول الصين ما لا عهد لأحد بمثله. وعاد إلى بلاساغون. فلما بلغها عاوده مرضه فمات منه. وكان عادلاً خيراً، دَيناً، يحبُّ العلم، وأهله، ويميل إلى أهل الدين ويصلهم ويقربهم. وما أشبه قصته بقصة سعد بن معاذ الأنصاري، وقد تقدمت في غزوة الخندق وقيل: كانت هذه الحادثة مع أحمد بن علي قراخان أخي طغان خان، وإنها كانت سنة ثلاث وأربعمائة.

ذكر ملك أخيه أرسلان خان

لما مات طغان خان ملك بعده أخوه أبو المظفر أرسلان خان ـ ولقبه شرف الدولة ـ فخالف عليه قدرخان يوسف بن بغراخان هارون بن سُليمان الذي ملك

بُخاري ـ وقد تقدم ذكره ـ وكان ينوب عن طغان خان بسمرقند. فكاتب يمين الدولة يستنجده على أرسلان خان، فعقد على جيحون جسراً من السفن، وضبطه بالسلاسل، فعبر عليه ولم يكن يعرف هناك قبل هذا. وأعانه على أرسلان خان. ثم إن يمين الدولة خافه فعاد إلى بلاده. فاصطلح قدرخان وأرسلان خان على قصد بلاد يمين الدولة، واقتسامها وسارا إلى بلخ. وبلغ الخبر إلى يمين الدولة فقصدهما واقتتلوا. وصبر الفريقان، ثم انهزم الترك وعبروا جيحون. فكان من غرق منهم أكثر ممن نجا.

وورد رسول متولي خوارزم إلى يمين الدولة يهنئه بالفتح عقيب الوقعة فقال له: من أين علمتم؟ فقال: من كثرة القلانس التي جاءت على الماء، وعبر يمين الدولة فشكا أهل تلك البلاد إلى قدرخان ما يلقون من عسكر يمين الدولة فقال: «قد قَرُب الأمر بيننا، وبين عدونا فإن ظفرنا منعنا عنكم، وإن ظفر عدونا فقد استرحتم منا». ثم اجتمع هو وقدرخان وأكلا طعاماً. وكان قدرخان عادلاً، حسن السيرة، كثير الجهاد، فمن فتوحه ختن ـ وهي بلاد بين الصين وتركستان ـ وهي كثيرة العلماء والفضلاء. وبقي كذلك إلى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، فتوفي فيها ـ وكان يديم الصلاة في الجماعة ـ ولما توفي خلف ثلاث بنين منهم أبو شجاع أرسلان خان وكان له كاشغر، وختن، وبلاساغون، وخطب له على منابرها، وكان لقبه شرف الدولة. ولم يشرب الخمر قط، وكان ديناً، مكرماً للعلماء، وأهل الدين. فقصدوه من كل ناحية فوصلهم وأحسن إليهم. وخلف أيضاً بغراخان بن قدرخان وكان له طراز، واسبيجاب. فقدم أخوه أرسلان وأخذ مملكته فتحاربا، فانهزم أرسلان خان وأُخِذَ أسيراً فأودعوه الحبس وملك بلاده، ثم إن بغراخان عهد بالملك لولده الأكبر ـ واسمه حسين جغري تكين ـ وجعله ولي عهده ـ وكان لبغراخان امرأة له منها ولد صغير فغاظها ذلك فعمدت إليه وسمَّتْه، فمات هو وعدة من أهله. وخنقت أخاه أرسلان خان بن قدرخان، وكان ذلك سنة تسع وثلاثين وأربعمائة. وقتلت وجوه أصحابه وملكت ابنه، واسمه إبراهيم، وسيَّرته في جيش إلى مدينة تُعرفُ ببرسخان، وصاحبها يعرف بينالتكين . فظفر به ينالتكين، وقتله وانهزم عسكره إلى أمه. واختلف أولاد بغراخان فقصدهم طفغاج خان صاحب سمرقند.

ذكر ملك طفغاج خان وولده

وكان طفغاج خان أبو المظفر إبراهيم بن نصر أيلك، يلقَّب عماد الدولة، وكان بيده سمرقند، وفرغانة. وكان أبوه زاهداً متعبداً، وهو الذي ملك سمرقند فلما مات ورثه ابنه طفغاج، وملك بعده. وكان طفغاج متديناً لا يأخذُ مالاً حتى يستفتي الفقهاء. فورد عليه أبو شجاع العلوي الواعظ ـ وكان زاهداً ـ فوعظه وقال له: إنك لا تصلح للمُلك. فأغلق طفغُاج بابه وعزم على ترك المُلك. فاجتمع عليه أهل البلد وقالوا: قد أخطأ هذا والقيام بأمورنا متعين عليك. فعند ذلك فتح بابه ومات سنة ستين وأربعمائة.

وكان السلطان ألب ارسلان قد قصد بلاده ونهبها أيام عمه طغر لبك، فلم يقابل الشرّ بمثله. وأرسل رسولاً إلى القائم بأمر الله سنة ثلاث وخمسين يهنئه بعوده إلى مستقره، ويسأل التقدّم إلى ألب أرسلان بالكفّ عن بلاده، فأجيبَ إلى ذلك، وأرسل إليه الخلع والألقاب ثم فُلِجَ سنة ستين. وكان في حياته قد جعل الملك في ولده شمس الملك، فقصده أخوه طغان خان بن طفغاج، وحصره بسمرقند فاجتمع أهلها إلى شمس الملك وقالوا له: «قد خرَّب أخوك ضياعنا وأفسدها ولو كان غيره لساعدناك، ولكنه أخوك فلا ندخل بينكما . فوعدهم المناجزة، وخرج من البلد نصف الليل في خمسمائة غلام معدين، وكبس أخاه ـ وهو غير محتاط ـ فظَفُرَ به فهزمه، وكان هذا وأبوهما حي. ثم قصده هارون بغراخان بن يوسف قدرخان وطغرل قراخان ـ وكان طفغاج قد استولى على ممالكهما ـ وقاربا سمرقند فلم يظفرا بشمس الملك، فصالحاه وعادا. فصارت الأعمال المتاخمة لجيحون لشمس الملك، وأعمال الخاهر في أيديهما والحد بينهما خجندة.

وكان السلطان ألب أرسلان قد تزوج ابنة قدرخان وكانت قبله عند مسعود بن محمود بن سبكتكين، وتزوج شمس الملك ابنة ألب أرسلان، وزوج بنت عمه عيسى خان من السلطان ملكشاه ـ وهي خاتون الجلالية أم الملك محمود الذي ولي السلطنة بعد أبيه ـ وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى. ثم اختلف ألب أرسلان وشمس الملك، وسنذكره سنة خمس وستين عند قتل ألب أرسلان، ثم مات شمس الملك فولي بعده أخوه خضر خان. ثم مات فولي ابنه أحمد خان ـ وهو الذي قبض عليه ملكشاه، ثم أطلقه وأعاده إلى ولايته سنة خمس وثمانين ـ وسنذكره هناك إن شاء الله تعالى. ثم إن

جنده ثاروا به فقتلوه. وملك بعده محمود خان. وكان جدُّه من ملوكهم وكان أصم. فقصده طغان خان بن قراخان صاحب طراز فقتله، واستولى على الملك، واستناب بسمرقند أبا المعالي محمد بن زيد العلوي البغدادي فولي ثلاث سنين، ثم عصى عليه فحاصره طغان خان وأخذه وقتله. وقتل خلقاً كثيراً معه، ثم خرج طغان خان إلى ترمذ يريد خراسان، فلقيه السلطان سنجر، وظفر به وقتله وصارت أعمال ما وراء النهر له فاستناب بها محمد خان بن كمشتكين بن إبراهيم بن طفغاج خان، فأخذها منه عمر خان وملك سمرقند، ثم هرب من جنده، وقصد خوارزم فظفر به السلطان سنجر فقتله، وولي سمرقند محمد خان، وولي بُخارى محمد تكين بن طغانتكين.

ذكر كاشغر وتركستان

وأما كاشغر ـ وهي مدينة تركستان ـ فإنها لأرسلان خان بن يوسف قدرخان كما ذكرنا. ثم صارت بعده لمحمود بغراخان صاحب طراز، والشاش خمسة عشر شهراً. ثم مات فولي بعده طغرلخان بن يوسف قدرخان فاستولى على الملك وملك بلاساغون، وكان ملكه ست عشرة سنة. ثم توفي، وملك ابنه طغرلتكين وأقام شهرين، ثم أتى هارون بغراخان أخو يوسف طغرلخان بن طفغاج بغراخان، وعبر كاشغر، وقبض على هارون وأطاعه عسكره وملك كاشغر، وختن وما يتصل به إلى ساغون، وأقام مالكاً تسعاً وعشرين سنة وتوفي سنة ست وتسعين وأربعمائة، فولي ابنه أحمد بن أرسلان خان، وأرسل رسولاً إلى الخليفة المستظهر بالله يطلب منه الخلع والألقاب، فأرسل إليه ما طلب ولقبه نور الدولة.

ذكر وفاة مهذب الدولة[١] وحال البطيحة بعده

في هذه السّنة في جُمادى الاولى، توفي مهذب الدولة أبو الحسن علي بن نصر، ومولده سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وهو الذي نزل عليه القادر بالله، وكان سبب موته أنه

(١) كان رحمه الله من اصحاب الوفاء والمكارم ولي البطائح سنة ست وسبعين وثلاثمائة بعد ان توفي خاله المظفر بن علي وزوجه بهاء الدولة ابنته. وصارت البطيحة معقلاً لكل من قصدها لان مهذب الدولة كان كل من لجأ إلى بلاده في الشدائد يؤويه ويحميه ويحسن إليه. ومن أكبر مناقبه احسانه إلى أمير المؤمنين القادر بالله لما استجار به ونزل عنده بالبطائح فاراً من الطائع فآواه وأحسن إليه وكان في خدمته حتى ولي أمرة المؤمنين توفي عن اثنتين وسبعين سنة.

افتصد فانتفخ ساعده ومرض منه واشتد مرضه. فلما كان قبل وفاته بثلاثة أيام، تحدَّثَ الجند بإقامة ولده أبي الحسين أحمد مقامه، فبلغ ابن أخت مهذب الدولة ـ وهو أبو محمد عبد الله بن يني ـ فاستدعى الديلم والأتراك، ورغبهم ووعدهم واستحلفهم لنفسه وقرر معهم القبض على أبي الحسين بن مهذب الدولة، وتسليمه إليه فمضوا إليه ليلاً وقالوا له: «أنت ولد الأمير، ووارث الأمر من بعده فلو قمت معنا إلى دار الإمارة ليظهر أمرك وتجتمع الكلمة عليك لكان حسناً»، فخرج من داره معهم فلما فارقها قبضوا عليه وحملوه إلى أبي محمد فسمعت والدته، فدخلت إلى مهذب الدولة قبل موته بيوم، فأعلمته الخبر فقال: «أي شيء أقدر أعمل وأنا على هذه الحال؟» وتوفي من الغد، وولي الأمر أبو محمد وتسلَّم الأموال والبلد، وأمر بضرب أبي الحسين بن مهذب الدولة، فضرب ضرباً شديداً توفي منه بعد ثلاثة أيام من موت أبيه، وبقي أبو محمد أميراً إلى منتصف شعبان وتوفي بالذبحة، وكان قد قال قبل موته: رأيت مهذب الدولة في المنام، وقد أمسك حلقي ليخنقني ويقول: قتلت ابني أحمد وقابلت نعمتي عليك بذاك، فمات بعد أيام فكان ملكه أقل من ثلاثة أشهر. فلما توفي اتفق الجماعة على تأمير أبي عبد الله الحسين بن بكر الشرابي ـ وكان من خواص مهذب الدولة ـ فصار أمير البطيحة وبذل للملك سلطان الدولة بذولاً فأقره عليها. وبقي إلى سنة عشر وأربعمائة. فسيَّر إليه سلطان الدولة صدقة بن فارس المازياري، فملك البطيحة، وأسر أبا عبد الله الشرابي فبقي عند أسيراً إلى أن توفي صدقة، وخلص على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر وفاة علي بن مزيد وإمارة ابنه دبيس

في هذه السّنة في ذي القعدة، توفي أبو الحسن علي بن مزيد الأسدي وقام بعده ابنه نور الدولة أبو الأغردبيس. وكان أبوه قد جعله ولي عهده في حياته، وخلع عليه سلطان الدولة وأذن في ولايته. فلما توفي والده اختلفت العشيرة على دبيس، فطلب اخوه المقلد بن أبي الحسن على الإمارة، وسار إلى بغداد، وبذل للأتراك بذولاً كثيرة ليعاضدوه. فسار معه منهم جمع كثير وكبسوا دبيساً بالنعمانية ونهبوا حلّته. فانهزم إلى نواحي واسط، وعاد الأتراك إلى بغداد. وقام الأثير الخادم بأمر دبيس، حتى ثبت قدمه ومضى المقلد أخوه إلى بني عقيل. ونذكر باقي أخباره موضعها إن شاء الله تعالى.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة ضَعُفَ أمر الديلم ببغداد، وطمع فيهم العامة فانحدروا إلى واسط فخرج إليهم عامتها وأتراكها فقاتلوهم فدفع الديلم عن أنفسهم، وقتلوا من أتراك واسط وعامتها خلقاً كثيراً، وعظم أمر العيارين ببغداد فافسدوا ونهبوا الأموال. وفيها توفي الحاجب أبو طاهر سباشي المشطب[١] وكان كثير المعروف، وأبو الحسن الهماني وكان متولي البصرة وغيرها، وهو الذي مدحه مهيار بقوله: «استنجد الصبر فيكم وهو مغلوب».

وفيها قَدِمَ سلطان الدولة بغداد، وضرب الطبل في أوقات الصلوات الخمس، ولم تجرِ به عادة إنما كان عضد الدولة يفعل ذلك في أوقات ثلاث صلوات. وفيها هرب ابن سهلان من سلطان الدولة إلى هيت وأقام عند قرواش، وولّى سلطان الدولة موضعه ابا القاسم جعفر بن أبي الفرج بن فسانجس، ومولده ببغداد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة. وفيها كانت ببغداد فتنة بين أهل الكرخ من الشيعة وبين غيرهم، من أهل السنة اشتدت[٢]. وفيها استتاب القادر بالله المعتزلة، والشيعة. وغيرهما من أرباب المقالات المخالفة لما يعتقده من مذاهبهم، ونهى عن المناظرة في شيء منها. ومن فعل ذلك نكل به، وعوقِبَ[٣].

---

(١) كذا في الاصول بسين مهملة في أوله وبعدها باء موحدة والف وشين معجمة بعدها ياء مثناة من تحت. وفي البداية والنهاية : ١٢/ ٨ والنجوم الزاهرة، ومرآة الزمان، والمنتظم شباشي بشينين معجمتين كان مولى شرف الدولة بن عضد الدولة بن بويه. لقبه بهاء الدولة بالسعيد وذي الفضيلتين ثم لقب بهاء الدولة أبا الهيجاء بختكين بالمناصح وأشرك بينهما في أمور الاتراك ببغداد. وكان أبو طاهر هذا كثير الصدقات فائض المعروف والاحسان لاهل بغداد يكسو الايتام والضعفاء. وينظر في حال الفقراء. بنى قنطرة الخندق، والمارستان، والناصرية وغير ذلك وكان من محاسن الدنيا وعاش بعد المناصح رفيقه ستة أشهر ومات وكان رفيقه المناصح أيضاً من رجال الدهر وعقلائهم ومن اعلاهم همة ولم يخلف بعده مثله ولما مات صاحب الترجمة دفن بمقبرة الامام أحمد واوصى انلا يبنى عليه فخالفوه وبنوا قبة.

(٢) زاد ابن كثير « قتل فيها خلق كثير من الفريقين ».

(٣) نقل هذه الحادثة ابن كثير في البداية والنهاية ١٢/ ٧ عن ابن الجوزي في المنتظم بأوسع من هذا.

ثم دخلت سنة تسع وأربعمائة

ذكر ولاية ابن سهلان العراق

في هذه السنة عرض سلطان الدولة على الرخجي ولاية العراق فقال : « ولاية العراق تحتاج إلى من فيه عسف وخرق وليس غير ابن سهلان وأنا أخلفه ههنا » ، فولّاه سلطان الدولة العراق في المحرم ، فسار من عند سلطان الدولة ، فلما كان ببعض الطريق ترك ثقله والكتّاب وأصحابه ، وسار جريدة في خمسمائة فارس مع طراد بن دبيس الأسدي يطلب مهارش ، ومضر ابني دبيس . وكان مضر قد قبض قديماً عليه بأمر فخر الملك ، فكان يبغضه لذلك وأراد أن يأخذ جزيرة بني أسد منه ، ويسلّمها إلى طراد ، فلما علم مضر ، ومهارش قصده لهما سارا عن المذار ، فتبعهما والحرُّ شديد ، فكاد يهلك هو ومن معه عطشاً ، فكان من لطف الله به أن بني أسد اشتغلوا بجمع أموالهم وإبعادها ، وبقي الحسن بن دبيس ، فقاتل قتالاً شديداً ، وقتل جماعة من الديلم والأتراك ، ثم انهزموا . ونهب ابن سهلان أموالهم وصان حرمهم ونساءهم ، فلما نزل في خيمته قال : الآن ولدتني أمي ، وبذل الأمان لمهارش ، ومضر ، وأهلهما وأشرك بينهما وبين طراد في الجزيرة ورحل . وأنكر على سلطان الدولة فعله ذلك ، ووصل إلى واسط والفتن بها قائمة فأصلحها وقتل جماعة من أهلها » .

وورد عليه الخبر باشتداد الفتن ببغداد فسار إليها فدخلها أواخر شهر ربيع الآخر ، فهرب منه العيارون ونفى جماعة من العباسيين ، وغيرهم ، ونفى أبا عبدالله بن النعمان فقيه الشيعة ، وأنزل الديلم أطراف الكرخ وباب البصرة ، ولم يكن قبل ذلك . ففعلوا من الفساد ما لم يشاهد مثله . فمن ذلك أن رجلاً من المستورين أغلق بابه عليه خوفاً منهم . فلما كان أول يوم من شهر رمضان خرج لحاجته فرآهم على حال عظيم من شرب الخمر والفساد فأراد الرجوع إلى بيته فأكرهوه على الدخول معهم إلى دار

نزلوها ، والزموه بشرب الخمر ، فامتنع . فصبوها في فيه قهراً وقالوا له : قمْ إلى هذه المرأة فافعل بها . فامتنع فالزموه ، فدخل معها إلى بيت في الدار وأعطاها دراهم وقال : هذا أول يوم في رمضان والمعصية فيه تتضاعف ، وأحبُّ أن تخبريهم أنني قد فعلت فقالت : لا كرامة ولا عزازة أنت تصون دينك عن الزنا ، وأنا أريد أن أصون أمانتي في هذا الشهر عن الكذب ، فصارت هذه الحكاية سائرة في بغداد .

ثم إن أبا محمد بن سهلان أفسد الأتراك والعامة فانحدر الأتراك إلى واسط ، فلقوا بها سلطان الدولة فشكـوا إليه فسكنهم ووعـدهم الإصعاد إلى بغـداد وإصلاح الحال . واستحضر سلطان الدولة بن سهلان فخافه ومضى إلى بني خفاجة ، ثم أصعد الى الموصل فأقام بها مدة ، ثم انحدر إلى الأنبار ومنها إلى البطيحة . فارسل سلطان الدولة إلى البطيحة رسولاً يطلبه من الشرابي فلم يسلِّمه . فسيَّر إليها عسكراً فانهزم الشرابي ، وانحدر ابن سهلان إلى البصرة ، فاتصل بالملك جـلال الدولـة . وكان الرخجي قد خرج مع ابن سهلان إلى الموصل ففارقه بها وأصلح حاله مع سلطان الدولة وعاد إليه .

ذكر غزوة يمين الدولة إلى الهند والأفغانية(١)

في هذه السنة سار يمين الدولة إلى الهند غازياً واحتشد وجمع واستعد ، وأعدَّ أكثر مما تقدم . وسبب هذا الاهتمام أنه لما فتح قنوج وهرب صاحبها منه ويلقب رآى قنوج ، ومعنى رآى هو لقب الملك كقيصر ، وكسرى ، فلما عاد إلى غزنة أرسل بيدا اللعين ـ وهو أعظم ملوك الهند مملكة وأكثرهم جيشاً ، وتسمى مملكته كجوراهة رسلاً إلى رآى قنوج ـ واسمه راجيبال ـ يوبخه على انهزامه ، وإسلام بلاده للمسلمين . وطال الكلام بينهما وآل أمرهما إلى الاختلاف . وتأهب كل واحد منهما لصاحبه ، وسار إليه فالتقوا واقتتلوا ، فقتل راجيبال واتى القتل على أكثر جنوده فازداد بيدا بما اتفق له شراً، وعتواً وبعد صيت في الهند وعلواً، وقصده بعض ملوك الهند الذي ملك يمين الدولة بلاده وهزمه وأباد جنده ، وصار في جملته وخدمه . والتجأ اليه فوعده بإعادة ملكه إليه . وحفظ ضالته عليه واعتذر بهجوم الشتاء ، وتتابع الإنداء .

---

(١) هم جبل من أهل الجبال.

فنمت هذه الأخبار إلى يمين الدولة فازعجته . وتجهز للغزو وقصد بيدا وأخذ ملكه منه . وسار عن غزنة وابتدأ في طريقه بالأفغانية ـ وهم كفار يسكنون الجبال ويفسدون في الأرض ، ويقطعون الطريق بين غزنة وبينه ـ فقصد بلادهم وسلك مضايقها وفتح مغالقها وخرَّب عامرها ، وغنِمَ أموالهم ، وأكثر القتل فيهم والأسر . وغنم المسلمون من أموالهم الكثير . ثم استقلَّ على المسير وبلغ إلى مكان لم يبلغه فيما تقدم من غزواته وعبر نهر كنك ولم يعبره قبلها ؛ فلما جازه رأى قفلاً قد بلغت عدة أحمالهم الف عدد فغنمها وهي من العود والأمتعة الفائقة وجدَّبه السير . فأتاه في الطريق خبر ملك من ملوك الهند يقال له : بروجيبال ، قد سار من بين يديه ملتجئاً إلى بيدا ، ليحتمي به عليه ، فطوى المراحل فلحق بروجيبال ومن معه رابع عشر شعبان وبينه وبين الهنود نهر عميق ، فعبر إليهم بعض أصحابه وشغلهم بالقتال ، ثم عبر هو وباقي العسكر إليهم فاقتتلوا عامة نهارهم وانهزم بروجيبال ، ومن معه وكُثُرَ فيهم القتل والأسر ، وأسلموا أموالهم ، وأهليهم ، فغنمها المسلمون وأخذوا منهم الكثير من الجواهر ، وأخذ ما يزيد على مائتي فيل ، وسار المسلمون يقتصون آثارهم وانهزم ملكهم جريحاً وتحيّر في أمره . وأرسل إلى يمين الدولة يطلبُ الأمان ، فلم يؤمنه ولم يقنع منه إلاّ بالإسلام وقَتَلَ من عساكره مالا يُحصى ، وسار بروجيبال . ليلحق ببيدا فانفرد به بعض الهنود فقتله .

فلما رأى ملوك الهند ذلك ، تابعوا رسلهم إلى يمين الدولة يبذلون له الطاعة والأتاوة ، وسار يمين الدولة بعد الوقعة إلى مدينة باري ـ وهي من أحصن القلاع ، والبلاد وأقواها ـ فرآها من سكانها خالية ، وعلى عروشها خاوية . فأمر بهدمها ، وتخريبها وعشر قلاع معها متناهية الحصانة ، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً ، وسار يطلب بيدا الملك فلحقه ، وقد نزل إلى جانب نهر ، وأجرى الماء من بين يديه ، فصار وحلاً ، وترك عن يمينه وشماله طريقاً يبساً يقاتل منه إذا أراد القتال . وكان عدة من معه ستة وخمسين ألف فارس ومائة ألف وأربعة وثمانين ألف راجل وسبعمائة وستة وأربعين فيلاً . فارسل يمين الدولة طائفة من عسكره للقتال فأخرج إليهم بيدا مثلهم . ولم يزل كل عسكر يمدُّ أصحابه حتى كثر الجمعان واشتدَّ الضرب والطعان ، فأدركهم الليل وحجز بينهم .

فلما كان الغد بكر يمين الدولة إليهم فرأى الديار منهم بلاقع وركب كل فرقة منهم طريقاً مخالفاً لطريق الأخرى ووجد خزائن الأموال والسلاح بحالها ، فغنموا الجميع . واقتفى آثار المنهزمين فلحقوهم في الغياض والآجام ، واكثروا فيهم القتل والأسر ، ونجا بيدا فريداً وحيداً . وعاد يمين الدولة إلى غزنة منصوراً .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قبض سلطان الدولة على وزيره ابن فسانجس ، وإخوته وولّى وزارته ذا السعادتين أبا غالب الحسن بن منصور ، ومولده بسيراف سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة .

وفيها توفي الغالب بالله ولي عهد أبيه القادر بالله في شهر رمضان[١] ، وتوفي أيضاً أبو أحمد عبدالله بن محمد بن أبي علان قاضي الأهواز ومولده سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وله تصانيف حسنة وكان معتزلياً[٢] .

وفي هذه السنة مات عبد الغني بن سعيد بن بشر بن مروان الحافظ المصري صاحب المؤتلف والمختلف ، ومولده سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة[٣] وتوفي رجاء بن عيسى بن محمد أبو العباس الأنصناوي - و (انصنا) من قرى مصر - وهو من الفقهاء المالكية وسمع الحديث الكثير[٤] .

---

(١) كان أبوه جعله ولي عهده من بعده وضربت السكة باسمه وخطب له الخطباء على المنابر فلم يقدر ذلك. توفي عن سبع وعشرين سنة.

(٢) ومن تصانيفه كتاب جمع فيه فضائل النبي ﷺ ذكر له فيه الف معجزة. مات وترك مالاً عظيماً وضياعاً كثيرة.

(٣) كان أبوه من كبار الفرضيين سمع الكثير وبرع في علم الحديث وفنونه. وله المصنفات الكثيرة الشهيرة منها المؤتلف والمختلف. ومشتبه النسبة. طبعا في الهند. وسئل الدارقطني عنه فقال: ما رأيت في طول طريقي إلا شاباً بمصر يقال له: عبد الغني كأنه شعلة نار وجعل يفخم أمره ويرفع ذكره. وصنّف عبد الغني كتاباً فيه أوهام الحاكم فلما وقف الحاكم عليه جعل يقرؤه على الناس ويعترف لعبد الغني بالفضل ويشكره ويرجع فيه إلى ما أصاب فيه من الرد عليه. توفي في سابع صفر.

(٤) قدم بغداد فحدث بها وسمع منه الحفاظ وكان ثقة عدلا عند الحكام مرضياً ثم عاد إلى بلده وتوفي فيها وقد جاوز الثمانين.

ثم دخلت سنة عشر وأربعمائة

في هذه السنة ، قبض الملك جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة على وزيره أبي سعد عبد الواحد بن علي بن ماكولا ، وكان ابن عمه أبو جعفر محمد بن مسعود كاتباً فاضلاً . وكان يعرض الديلم لعضد الدولة ، ولأبي سعد شعر منه :

وإنَّ لقائي للشجاع لهينٌ ولكنَّ حملَ الضيمِ منه شديدُ
إذا كان قلبُ القرنِ ينبو عن الوغى فإن جناني جلمدٌ وحديدُ

وفيها توفي وثاب بن سابق النميري صاحب حران ، وأبو الحسن بن أسد الكاتب ، وأبو بكر محمد بن عبد السلام الهاشمي القاضي بالبصرة ، وأبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي الفقيه الحنبلي البغدادي ، عم أبي محمد[1] ، قال أبو الفضل : سمعتُ أبا الحسن بن القصاب الصوفي قال : « دخلت أنا وجماعة إلى البيمارستان ببغداد فرأينا شاباً مجنوناً شديد الهوس ، فولعنا به فرد بفصاحة وقال : انظروا إلى شعور مطررة وأجساد معطرة ، وقد جعلوا اللهو صناعة ، واللعب بضاعة ، وجانبوا العلم رأساً فقلت : أتعرف شيئاً من العلم فنسألك ؟ قال : نعم إن عندي علماً جماً فاسألوني فقال بعضنا : من الكريم في الحقيقة؟ قال: من رزق أمثالكم، وأنتم لا تساوون ثومة . فأضحكنا فقال آخر : من أقل الناس شكراً ؟ فقال : من عُوفي من بلية ، ثم رآها في غيره ، فترك الإعتبار فإن الشكر عليها واجب ، فأبكانا بعد ان

---

(١) املى الحديث بجامع المنصور وحدث عن ابي بكر النجاد، والبغوي وطبقتهما وكانت له حلقة بجامع المدينة للوعظ والفتوى. وخرج الى خراسان في الأيام القادرية. وكان صدوقاً ثقة له يد في علوم كثيرة. توفي يوم الاثنين في ذي القعدة ودفن في يومه بين قبر الامام أحمد بن حنبل وبين قبر أبيه وصلى عليه نحو من خمسين الفاً.

أضحكنا فقلنا : ما الظرف ؟ قال : خلاف ما أنتم عليه ، ثم قال : اللهمَّ إن لم ترد عقلي فرد يدي لأصفع كل واحد منهم صفعة . فتركناه وانصرفنا » .

وفيها مات الأصيفر المتفقي الذي كان يؤذي الحاج في طريقهم[١] ، وأبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الحافظ الأصبهاني[٢] ، وعبد الصمد بابك أبو القاسم الشاعر[٣] قدم على الصاحب بن عباد فقال : أنت ابن بابك ؟ فقال : أنا ابن بابك ، فاستحسن قوله .

---

(١) وقد تقدم ذكر شيء من أفعاله في الحج .

(٢) سمع بأصفهان والعراق وروى عن أبي سهل بن زياد القطان وطبقته . وعنه عبد الرحمن بن منده، وأخوعبد الوهاب، وخلق كثير. وكان اماماً في الحديث بصيراً بهذا الشأن . فمن مصنفاته التفسير والتاريخ . والمستخرج على صحيح البخاري توفي لست بقين من رمضان وقد قارب التسعين .

(٣) هو أحد الشعراء المجيدين المكثرين له ديوان في ثلاث مجلدات . وله اسلوب رائق في نظم الشعر . جاب البلاد ومدح الرؤساء .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وأربعمائة

ذكر قتل الحاكم وولاية ابنه الظاهر

في هذه السنة ليلة الإثنين لثلاث بقين من شوال ، فقد الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز العلوي صاحب مصر بها ، ولم يعرف له خبر ، وكان سبب فقده أنه خرج يطوف ليلة على رسمه وأصبح عند قبر الفقاعي ، وتوجه إلى شرقي حلوان ، ومعه ركابيان ، فاعاد أحدهما مع جماعة من العرب إلى بيت المال ، وأمر لهم بجائزة ، ثم عاد الركابي الآخر ، وذكر أنه خلفه عند العين والمقصبة وبقي الناس على رسمهم يخرجون كل يوم يلتمسون رجوعه إلى سلخ شوال ، فلما كان ثالث ذي القعدة خرج مظفر الصقلبي صاحب المظلة وغيره من خواص الحاكم ومعهم القاضي ، فبلغوا حلوان ودخلوا في الجبل فبصروا بالحمار الذي كان عليه راكباً، وقد ضُرِبَتْ يداه بسيف ، فأثر فيهما ، وعليه سرجه ولجامه ، فاتبعوا الأثر فانتهوا به إلى البركة التي شرقي حلوان ، فرأوا ثيابه . وهي سبع قطع صوف وهي مزررة بحالها لم تحل ، وفيها أثر السكاكين فعادوا ولم يشكوا في قتله ، وقيل : كان سبب قتله ان اهل مصر كانوا يكرهونه لما يظهر منه من سوء أفعاله ، فكانوا يكتبون إليه الرقاع فيها سبّه ، وسب أسلافه ، والدعاء عليه ، حتى إنهم عملوا من قراطيس صورة امرأة وبيدها رقعة . فلما رآها ظن أنها امرأة تشتكي ، فأمر بأخذ الرقعة منها فقرأها ، وفيها كل لعن وشتيمة قبيحة وذكر حرمه بما يكره . فأمر بطلب المرأة فقيل : إنها من قراطيس ، فأمر بإحراق مصر ونهبها ففعلوا ذلك ، وقاتل أهلها اشدَّ قتال ، وانضاف إليهم في اليوم الثالث الأتراك والمشارقة ، فقويت شوكتهم ، وأرسلوا إلى الحاكم يسألونه الصفح ، ويعتذرون فلم يقبل . فصاروا إلى التهديد . فلما رأى قوَّتهم أمر بالكفِّ عنهم ، وقد أحرق بعض مصر ، ونهب بعضها ، وتتبع المصريون من أخذ نساءهم ، وأبناءهم

فابتاعوا ذلك بعد أن فضحوهن ، فازداد غيظهم منه ، وحنقهم عليه .

ثم إنه أوحش أخته وأرسل إليها مراسلات قبيحة يقول فيها : بلغني أنّ الرجال يدخلون إليك ، وتهددها بالقتل ، فأرسلت إلى قائد كبير من قواد الحاكم يُقال له : ابن دواس[1] ـ وكان أيضاً يخاف الحاكم ـ تقول له : إنني اريد أن القاك فحضرت عنده وقالت له : قد جئت اليك في أمر تحفظ فيه نفسك ونفسي ، وأنت تعلم ما يعتقده أخي فيك ، وأنه متى تمكن منك لا يُبقي عليك وأنا كذلك ، وقد انضاف الى هذا ما تظاهر به مما يكرهه المسلمون ولا يصبرون عليه ، وأخاف ان يثوروا به فيهلك هو ونحن معه وتنقلع هذه الدولة فأجابها الى ما تريد ، فقالت : إنه يصعد الى هذا الجبل غداً وليس معه غلام إلا الركابي وصبي وينفرد بنفسه فتقيم رجلين تثق بهما يقتلانه ويقتلان الصبي ، وتقيم ولده بعده وتكون أنت مدبر الدولة ، وأزيد في اقطاعك مائة الف دينار ، فأقام رجلين وأعطتهما هي الف دينار ، ومضيا الى الجبل وركب الحاكم على عادته ، وسار منفرداً إليه فقتلاه . وكان عمره ستاً وثلاثين سنة وتسعة أشهر ، وولايته خمساً وعشرين سنة وعشرين يوماً ، وكان جواداً بالمال ، سفاكاً للدماء ، قتل عدداً كثيراً من اماثل دولته وغيرهم فكاتب سيرته عجيبة ، منها أنه أمر في صدر خلافته بسبِّ الصحابة رضي الله عنهم ، وأن تكتب على حيطان الجوامع والأسواق وكتب إلى سائر عماله بذلك وكان ذلك سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، ثم أمر بعد ذلك بمدة بالكف عن السب وتأديب من يسبهم أو يذكرهم بسوء .

ثم أمر في سِنة تسع وتسعين بترك صلاة التراويح ، فاجتمع الناس بالجامع العتيق ، وصلى بهم إمام جميع رمضان فأخذه وقتله ، ولم يصلِّ أحد التراويح إلى سنة ثمان وأربعمائة . فرجع عن ذلك ، وأمر بإقامتها على العادة وبنى الجامع براشدة ، وأخرج الى الجوامع والمساجد من الآلات ، والمصاحف ، والستور ، والحصر مالم يَرَ الناس مثله . وحمل أهل الذمة على الإسلام أو المسير إلى مأمنهم أو لبس الغيار فأسلم كثير منهم ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقاه فيقول له : إنني أريد العود الى ديني فيأذن له ، ومنع النساء من الخروج من بيوتهن ، وقتل من خرج منهن فشكى إليه من لاقيِّم لها يقوم بأمرها فأمر الناس أن يحملوا كل ما يباع في الأسواق الى الدروب ويبيعوه على

---

(١) طليب بن دواس، شذرات الذهب ١٩٣/٣ .

النساء ، وأمر من يبيع أن يكون معه شبه المغرفة بساعد طويل ، يمده إلى المرأة وهي من وراء الباب ، وفيه ما تشتريه فإذا رضيت وضعت الثمن في المغرفة وأخذت ما فيها لئلا يراها ، فنال الناس من ذلك شدة عظيمة .

ولما فقد الحاكم ولي الأمر بعده ابنه أبو الحسن علي ، ولقب الظاهر لإعزاز دين الله وأخذت له البيعة وردّ النظر في الأمور جميعها إلى الوزير أبي القاسم علي بن أحمد الجرجرائي[١] .

ذكر ملك مشرف الدولة العراق

في هذه السنة في ذي الحجة عظم أمر أبي علي مشرف الدولة بن بهاء الدولة وخوطب بأمير الأمراء ، ثم ملك العراق وأزال عنه أخاه سلطان الدولة . وكان سببه أن الجند شغبوا على سلطان الدولة ومنعوه من الحركة . وأراد ترتيب أخيه مشرف الدولة في الملك ، فأشير على سلطان الدولة بالقبض عليه فلم يمكنه ذلك ، وأراد سلطان الدولة الانحدار الى واسط فقال الجند : إما أن تجعل عندنا ولدك أو أخاك مشرف الدولة ، فراسل أخاه بذلك فامتنع ، ثم أجاب بعد معاودة ، ثم انهما اتفقا واجتمعا ببغداد واستقر بينهما أنهما لا يستخدمان ابن سهلان ، وفارق سلطان الدولة بغداد وقصد الأهواز ، واستخلف أخاه مشرف الدولة على العراق .

فلما انحدر سلطان الدولة ووصل الى تُسْتُر استوزر ابن سهلان ، فاستوحش مشرف الدولة فأنفذ سلطان الدولة وزيره ابن سهلان ليخرج أخاه مشرف الدولة من العراق ، فجمع مشرف الدولة عسكراً كثيراً ، منهم أتراك واسط ، وأبو الأغردبيس بن علي بن مزيد ، ولقي ابن سهلان عند واسط ، فانهزم ابن سهلان وتحصن بواسط ، وحاصره مشرف الدولة وضيق عليه فغلت الأسعار حتى بلغ الكر من الطعام الف دينار قاسانية وأكل الناس الدواب حتى الكلاب ، فلما رأى ابن سهلان ادبار أموره سلم البلد واستخلف مشرف الدولة وخرج إليه وخوطب حينئذ مشرف الدولة بشاهنشاه ، وكان ذلك في آخر ذي الحجة .

ومضت الديلم الذين كانوا بواسط في خدمته وساروا معه فحلف لهم وأقطعهم ،

---

(١) انظر سبب قتل الحاكم وكيفيته مفصلاً في النجوم الزاهرة.

واتفق هو وأخوه جلال الدولة أبو طاهر، فلما سمع سلطان الدولة ذلك سار عن الأهواز الى أرجان ، وقطعت خطبته من العراق وخطب لأخيه ببغداد آخر المحرم سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وقبض على ابن سهلان وكحل ، ولما سمع سلطان الدولة بذلك ضعفت نفسه وسار إلى الأهواز في أربعمائة فارس ، فقلّت عليهم الميرة فنهبوا السواد في طريقهم . فاجتمع الأتراك الذين بالأهواز وقاتلوا أصحاب سلطان الدولة ونادوا بشعار مشرف الدولة وساروا منها فقطعوا الطريق على قافلة وأخذوها وانصرفوا .

ذكر ولاية الظاهر لإعزاز دين الله [١]

لما قتل الحاكم على ما ذكرناه بقي الجند خمسة أيام ثم اجتمعوا إلى أخته ـ واسمها ست الملك ـ وقالوا : قد تأخر مولانا ولم تجر عادته بذلك ، فقالت : قد جاءتني رقعته بأنه يأتي بعد غد فتفرقوا وبعثت الأموال إلى القواد على يد ابن دواس، فلما كان اليوم السابع ألبست أبا الحسن علي ابن أخيها الحاكم أفخر الملابس وكان الجند قد حضروا للميعاد ، فلم يرعهم إلا وقد أخرج ابو الحسن ـ وهو صبي ـ والوزير بين يديه فصاح يا عبيدالدولة مولاتنا تقول لكم : هذا مولاكم أمير المؤمنين فسلموا عليه . فقبّل ابن دواس الأرض والقواد الذين أرسلت إليهم الأموال ، ودعوا له ، فتبعهم الباقون ومشوا معه ولم يزل راكباً إلى الظهر فنزل ودعا الناس من الغد فبايعوا له ولقب الظاهر لاعزاز دين الله . وكتبت الكتب إلى البلاد بمصر ، والشام بأخذ البيعة له ، وجمعت أخت الحاكم الناس ووعدتهم وأحسنت إليهم ، ورتبت الأمور ترتيباً حسناً وجعلت الأمر بيد ابن دواس وقالت له : إننا نريد أن نرد جميع أحوال المملكة إليك ونزيد في أقطاعك ونشرفك بالخلع ، فاختر يوماً يكون لذلك فقبل الأرض ودعا ، وظهر الخبر به بين الناس، ثم أحضرته وأحضرت القواد معه، وأغلقت أبواب القصر وأرسلت إليه خادماً وقالت له : قل للقواد: إن هذا قتل سيدكم وضربه بالسيف، ففعل ذلك وقتله[٢] فلم يختلف رجلان ، وباشرت الأمور بنفسها ، وقامت هيبتها عند الناس واستقامت الأمور وعاشت بعد الحاكم أربع سنين وماتت .

---

(١) نسبه تقدم في ذكر نسب ابيه وهو الرابع من خلفاء مصر من بني عبيد والسابع من المهدي . ولد بالقاهرة ليلة الاربعاء عاشر شهر رمضان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة . وولي الخلافة بعد قتل ابيه الحاكم في شوال من سنة احدى عشرة واربعمائة .

(٢) انظر مقتله في البداية والنهاية ج ١٢/١٢ ، ط. دار الكتب العلمية ببيروت .

ذكر الفتنة بين الأتراك والأكراد بهمذان

في هذه السنة زاد شغب الأتراك بهمذان على صاحبهم شمس الدولة بن فخر الدولة . وكان قد تقدم ذلك منهم غير مرة وهو يحلم عنهم ، بل يعجز فقوي طمعهم ، فزادوا في التوثب والشغب ، وأرادوا اخراج القواد القوهية من عنده فلم يجبهم إلى ذلك فعزموا على الإيقاع بهم بغير أمره ، فاعتزل الأكراد مع وزيره تاج الملك أبي نصر بن بهرام إلى قلعة برجين ، فسار الأتراك إليهم فحصروهم ولم يلتفتوا الى شمس الدولة ، فكتب الوزير إلى أبي جعفر بن كاكويه[٢] صاحب أصبهان يستنجده وعيّن له ليلة يكون قدوم العساكر إليه فيها بغتة ليخرج هو أيضاً تلك الليلة ليكبسوا الأتراك ، ففعل أبو جعفر ذلك وسير ألفي فارس وضبطوا الطرق لئلا يسبقهم الخبر وكبسوا الأتراك سحراً على غَفْلةٍ ، ونزل الوزير والقوهية من القلعة فوضعوا فيهم السيوف فأكثروا القتل وأخذوا المال ومن سَلِم من الأتراك نجا فقيراً ، وفعل شمس الدولة بمن عنده في همذان كذلك ، وأخرجهم فمضى ثلاثمائة منهم إلى كرمان وخدموا ابا الفوارس بن بهاء الدولة صاحبها .

ذكر القبض على أبي القاسم المغربي وابن فهد

في هذه السنة قبض معتمد الدولة قرواش بن المقلد[١] على وزيره أبي القاسم المغربي ، وعلى أبي القاسم سليمان بن فهد بالموصل ، وكان ابن فهد يكتب في حداثته بين يدي الصابي وخدم المقلد بن المسيب . وأصعد الى الموصل واقتنى بها ضياعاً ونظر فيها لقرواش فظلم أهلها وصادرهم . ثم سخط قرواش عليهما فحبسهما وطولب سليمان بالمال فادعى الفقر فقتل . وأما المغربي فإنه خدع قرواشاً ووعده بمال له في الكوفة وبغداد فأمر بحمله وترك .

وفي قرواش ، وابن فهد ، والبرقعيدي ، وأبي جابر يقول الشاعر ـ وهو ابن الزمكدم مادحاً لابن قرواش هاجياً للباقين :

وليلٍ كوجهِ البرقعيدي ظلمةً ... وبردِ أغانيهِ وطُولِ قُرونِه

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٤/ ٦٣٠ .

(٢) قرواش بن المقلد بن المسيب العقيلي ، ابو المنيع ، معتمد الدولة . صاحب الموصل والكوفة والمدائن وسقي الفرات (الاعلام ٦/ ٣٧) .

سريت ونومي فيه نومُ مشردٍ كعقلِ سليمانَ بن فهدٍ ودينهِ
علي أولق فيه التفاتٌ كأنه أبو جابرٍ في خطبهِ وجنونهِ
إلى أن بدأ ضوءَ الصباحِ كأنه سَنا وجه قرواش وَضَوءَ جبينه

وهذه الأبيات قد أجمع أهل البيان على أنها غاية في الجودة لم يقل خير منها في معناها .

ذكر الحرب بين قرواش وغريب بن معن

في هذه السنة في ربيع الأول اجتمعَ غريبُ بن معن ، ونور الدولة دبيس بن علي بن مزيد الأسدي ، وأتاهم عسكر من بغداد فقاتلوا قرواشاً ومعه رافع بن الحسين عند كرخ سُرَّ من رأى ، فانهزم قرواش ومن معه وأسر في المعركة ونهبت خزائنه وأثقاله ، واستجار رافع بغريب وفتحوا تكريت عنوة وعاد عسكر بغداد إليها بعد عشرة أيام . ثم إن قرواشاً خلص ، وقصد سلطان بن الحسين بن ثمال أمير خفاجة فسار إليهم جماعة من الأتراك فعاد قرواش وانهزم ثانياً هو وسلطان . وكانت الوقعة بينهم غربي الفرات . ولما انهزم قرواش مدَّ نوابُ السلطان أيديهم إلى أعماله فأرسل يسأل الصفح عنه ويبذل الطاعة .

ذكر عدة حوادث

فيها أغارت زناتة بأفريقية على دواب المعز بن باديس صاحب البلاد ليأخذوها فخرج اليهم عامل مدينة قابس فقاتلهم فهزمهم .

وفيها في ربيع الآخر نشأت سحابة بأفريقية أيضاً شديدة البرق والرعد ، فأمطرت حجارة كبيرة ما رأى الناس أكبر منها فأهلك كل من أصابه شيء منها . وفيها توفي أبو بكر محمد بن عمر العَنْبري[1] الشاعر وديوانه مشهور ، ومن قوله :

ذنبي إلى الدهر أني لم أمد يدي في الراغبين ولم أطلب ولم أسل
وأنني كلما نابت نوائبه ألفيتني بالرزايا غير محتفل

(١) مخمد بن عمر العنبري، أديب ظريف، من أهل بغداد. كان متصوفاً وخرج على المتصوفين وذمهم (الاعلام ٢٠٢/٧)، وأورد ابن الجوزي قصيدة له (تلبيس ابليس ٣٧٦ ط. دار الكتب العلمية ببيروت).

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وأربعمائة

ذكر الخطبة لمشرف الدولة ببغداد وقتل وزيره أبي غالب

في هذه السنة في المحرم قطعت خطبة سلطان الدولة من العراق وخطب لمشرف الدولة، فطلب الديلم من مشرف الدولة ان ينحدروا إلى بيوتهم بخوزستان فأذن لهم، وأمر وزيره أبا غالب بالانحدار معهم، فقال له: إني إن فعلت خاطرت بنفسي، ولكن أبذلها في خدمتك. ثم انحدر في العساكر، فلما وصل الى الاهواز نادى الديلم بشعار سلطان الدولة وهجموا على أبي غالب فقتلوه، فسار الاتراك الذين كانوا معه إلى طراد بن دبيس الاسدي بالجزيرة التي لبني دبيس، ولم يقدروا أن يدفعوا عنه فكانت وزارته ثمانية عشر شهراً وثلاثة أيام، وعمره ستين سنة وخمسة أشهر. فأخذ ولده أبو العباس وصودر على ثلاثين ألف دينار، فلما بلغ سلطان الدولة قتله اطمأن وقويتْ نفسه ـ وكان قد خافه ـ وأنفذ ابنه أبا كاليجار الى الأهواز فملكها.

ذكر وفاة صدقة صاحب البطيحة

في هذه السنة مرض صدقة صاحب البَطِيحة[1] فقصدها أبو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهين في صفر ليملكها، وكان أبو الهيجاء بعد موت أبيه قد تمزق في البلاد تارة بمصر، وتارة عند بدر بن حسنويه وتارة بينهما. فلما ولي الوزير أبو غالب انفق عليه لأدب كان فيه، فكاتبه بعض أهل البطيحة ليسلموا إليه فسار إليهم، فسمع به صدقة قبل موته بيومين، فسيّر إليه جيشاً فقاتلوه فانهزم أبو الهيجاء وأُخذ أسيراً، فأراد استبقاءه فمنعه سابور بن المرزبان بن مروان وقتله بيده. ثم توفي صدقة بعد قتله في صفر.

---

(١) البطيحة: بالفتح ثم الكسر، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة وكانت قديماً قرى متصلة وأرضاً عامرة. (معجم البلدان ١/ ٤٥٠).

فاجتمع أهل البطيحة على ولاية سابور بن المرزبان فوليهم. وكتب إلى مشرف الدولة يطلب أن يُقرِرَ عليه ما كان على صدقة من الحمل ويستعمل على البطيحة فأجابه إلى ذلك وزاد في القرار عليه واستقر في الأمر، ثم ان أبا نصر شيرازد بن الحسن بن مروان زاد في المقاطعة، فلم يدخل سابور في الزيادة فولى أبو نصر البطيحة، وسار إليها وفارقها سابور إلى جزيرة بني دبيس واستقر أبو نصر في الولاية وأمنت به الطرق.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة توفي علي بن هلال المعروف بابن البواب[١] الكاتبُ المشهور، وإليه انتهى الخط، ودفن بجوار أحمد بن حنبل، وكان يقصُّ بجامع بغداد ورثاه المرتضى، وقيل: كان موته سنة ثلاث عشرة وأربعمائة. وفيها حج الناس من العراق وكان قد انقطع سنة عشر، وسنة إحدى عشرة فلما كان هذه السنة قصد جماعة من أعيان خراسان السلطان محمود بن سَبكتكين وقالوا له: أنت أعظم ملوك الاسلام، وأثرُكَ في الجهاد مشهورٌ، والحج قد انقطع كما ترى، والتشاغل به واجب، وقد كان بدر بن حسنويه ـ وفي أصحابك كثيرٌ أعظم منه ـ يسيِّر الحاج بتدبيره وماله عشرين سنة، فاجعل لهذا الأمر حظاً من اهتمامك، فتقدم إلى أبي محمد الناصحي قاضي قضاة بلاده بأن يسير بالحاج وأعطاه ثلاثين ألف دينار يعطيها للعرب سوى النفقة في الصدقات. ونادى في خراسان بالتأهب للحج فاجتمع خلق عظيم وساروا وحج بهم أبو الحسن الأقساسي. فلما بلغوا فَيْدَ حصرهم العرب فبذل لهم الناصحي خمسة آلاف دينار، فلم يقنعوا وصمموا العزم على أخذ الحاج ـ وكان مقدمهم رجلاً يقال له: حمار بن عدي[٢] بضم العين، من بني نبهان فركب فرسه وعليه درعه وسلاحه وجال جولة يرهب بها. وكان من سمرقند شاب يوصف بجودة الرمي فرماه بسهم فقتله، وتفرق أصحابه وسلم الحاج فحجوا وعادوا سالمين. وفيها قلد أبو جعفر السمناني[٣] الحسبة والمواريث

---

(١) علي بن هلال ابو الحسن المعروف بابن البواب، خطاط مشهور، من اهل بغداد، وقيل انه توفي في سنة ٤١٣ الاعلام (١٨٣/٥) البداية والنهاية (١٦/١٢) ط. دار الكتب العلمية ببيروت). (شذرات الذهب ١٩٩/٣)

(٢) في النجوم الزاهرة «جماز»، وكذلك في البداية والنهاية ١٢/١٢ ط. دار الكتب العلمية.

(٣) أحمد بن محمد السمناني ابو جعفر (البداية والنهاية ١٢/١٢ (ط. دار الكتب العلمية ببيروت).

ببغداد والموتى. وتوفي هذه السنة أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الماليني[١] الصوفي بمصرِ في شوال وهو من المكثرين في الحديث. ومحمد بن أحمد بن محمد بن رزق البزاز المعروف بابن رزقويه شيخ الخطيب أبي بكر ومولده سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وكان فقيهاً شافعياً[٢]. وأبو عبد الرحمن بن محمد بن الحسين السلمي الصوفي النيسابوري[٣] صاحب طبقات الصوفية. وأبو علي الحسن بن علي الدقاق النيسابوري الصوفي شيخ أبي القاسم القشيري[٤]، وأبو الفتح بن أبي الفوارس[٥].

---

(١) أحمد بن محمد بن أحمد ابو سعد الماليني، أحد الحفاظ. (البداية والنهاية ١٢/١٢ ط. دار الكتب العلمية ببيروت).

(٢) محمد بن أحمد ابو الحسن البزاز، البداية والنهاية ١٣/١٢ ط. دار الكتب العلمية ببيروت

(٣) ابو عبد الرحمن السلمي البداية والنهاية ١٤/١٢ ط. دار الكتب العلمية ببيروت.

(٤) ابو علي الحسن بن علي الدقاق النيسابوري (البداية والنهاية ١٤/١٢ ط. دار الكتب العلمية ببيروت) و (شذرات الذهب ١٩٦/٣)

محمد بن أحمد بن محمد بن فارس البغدادي المصنف (شذرات الذهب ١٩٦/٣)

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

ذكر الصلح بين سلطان الدولة ومشرف الدولة

في هذه السنة اصطلح سلطان الدولة وأخوه مشرف الدولة وحلف كل واحد منهما لصاحبه، وكان الصلح بسعي من أبي محمد بن مكرم. ومؤيد الملك الرخجي وزير مشرف الدولة على أن يكون العراق جميعه لمشرف الدولة، وفارس وكرمان لسلطان الدولة[١].

ذكر قتل المعز وزيره وصاحب جيشه

في هذه السنة قتل المعزُ بن باديس صاحب أفريقية وزيرَهُ وصاحب جيشه أبا عبد الله محمد بن الحسن، وسبب ذلك أنه أقام سبع سنين لم يحمل إلى المعز من الأموال شيئاً بل يجبيها ويرفعها عنده، وطمع طمعاً عظيماً لا يُصبر على مثلِه بكثرة أتباعه، ولأن أخاه عبد الله بطرابلس الغرب مجاورٌ لزناتة وهم أعداء دولته، فصار المعز لا يكاتب ملكاً ولا يراسله إلا ويكتب أبو عبد الله معه عن نفسه فعظم ذلك على المعز فقتله.

يحكى عن أبي عبد الله أنه قال: سهرت ليلة أفكر في شيء أحدثه في الناس وأخرجه عليهم من الخدم التي التزمتها فنمت فرأيت عبد الله بن محمد الكاتب. وكان وزير الباديس والد هذا المعز ـ وكان عظيم القدر والمحل ـ وهو يقول لي: اتق الله أبا عبد الله في الناس كافة، وفي نفسك خاصة فقد أسهرت عينيك وأبرمت حافظيك وقد بدا لي منك ما خفي عليك وعن قليل ترد على ما وردنا وتقدم على ما قدمنا فاكتب عني ما اقول فإني لا أقول إلا حقاً فأملى علي هذه الأبيات:

وليتُ وقد رأيتُ مصير قومٍ ... هم كانوا السماء وكنتُ أرضاً

---

(١) راجع تاريخ ابن خلدون ٤/ ٦٢٩.

سموا درجَ العلا حتى اطمأنوا ... وهـدَّبهم فعاد الـرفـعُ خَفْضـا
وأعـظم أسـوة لـك بـي لأنـي ... ملكتُ ولم أعشْ طولاً وعِرضـا
فـلا تغتـرَ بـالـدنيـا وأقصِـر ... فـإن أوانَ أمـرِكَ قـد تـقـضـى

قال: فانتبهت مرعوباً ورسخت الأبيات في حفظي، فلم يَبْق بعد هذا المنام غير شهرين حتى قتل. ولما وصل خبر قتله إلى أخيه عبد الله بطرابلس بعث إلى زناتة فعاهدهم وأدخلهم مدينة طرابلس فقتلوا من كان فيها من صنهاجة وسائر الجيش وأخذوا المدينة. فلما سمع المعز ذلك أخذ أولاد عبد الله ونفراً من أهلهم فحبسهم ثم قتلهم بعد أيام لأن نساء المقتولين بطرابلس استغاثوا إلى المعز في قتلهم فقتلهم.

ذكر عدة حوادث

وفيها كان بأفريقية غلاء شديد ومجاعة عظيمة لم يكن مثلها في تعذر الأقوات، إلا أنه لم يمت فيها أحد بسبب الجوع ولم يجد الناس كبيرَ مشقة. وفيها في شهر رمضان استوزر مشرف الدولة أبا الحسين بن الحسن الرخجي ـ ولقب مؤيد الملك ـ وامتدحه مهيار وغيره من الشعراء، وبنى مارستانا بواسط، وأكثر فيه من الأدوية والأشربة، ورتب له الخزان والأطباء، ووقف عليه الوقوف الكثيرة، وكان يعرض عليه الوزارة فيأباها. فلما قتل أبو غالب ألزمه بها مشرف الدولة فلم يقدر على الامتناع. وفيها توفي أبو الحسن علي بن عيسى السكري شاعر السنة، ومولده ببغداد في صفر سنة سبع وخمسين وثلاثمائة. وكان قد قرأ الكلام على القاضي أبي بكر بن الباقلاني وإنما سمي شاعر السنة لأنه أكثر مدح الصحابة ومناقضات شعراء الشيعة[1]. وفيها توفي أبو علي عمر بن محمد بن عمر العلوي وأخذ السلطان ماله جميعه، وفيها توفي أبو عبد الله بن المعلم فقيه الامامية ورثاه المرتضى[2].

---

(١) علي بن عيسى المعروف بالسكري الشاعر. (البداية والنهاية ١٢/١٦ ط. دار الكتب العلمية.)

(٢) واسمه محمد بن محمد بن النعمان. كان له منزلة عند بني بويه. وعند ملوك الأطراف الرافضة وكان المصنف لهم والمحامي عن حوزتهم. وكان يحضر مجلسه خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف، لأن أكثر أهل ذلك الزمان يميلون إلى التشيع حسب ملوكهم وأمرائهم. وكان من جملة تلاميذه الشريف الرضي والمرتضى وقد رثاه بقصيدة بعد وفاته، منها قوله:

من لِعضـل اخـرجت منـه حسـامـا ... ومعـانٍ فضضـتُ عـنهـا ختـامـا
من يُثيـرُ العـقـولَ من بعـدِ مـا ... كـنَّ هـمـوداً ويـفـتـحُ الأفهـامـا
مـن يُـعيـرُ الـصـديـقَ رأيـاً ... اذا مـا سلَّ في غمرة الخطوب حسـامـا

ثم دخلت سنة أربع عشرة وأربعمائة

ذكر استيلاء علاء الدولة على همذان

في هذه السنة استولى أبو جعفر بن كاكويه على همذان[١] وملكها وكذلك غيرها مما يقاربها، وسبب ذلك أن فرهاذ بن مرداويج الديلمي مُقطع بروجرد[٢] قصده سماء الدولة أبو الحسن بن شمس الدولة بن بويه صاحب همذان، وحصره فالتجأ فرهاذ إلى علاء الدولة فحماه ومنع عنه، وسارا جميعاً إلى همذان فحصراها وقطعا الميرة عنها، فخرج إليهما من بها من العسكر، فاقتتلوا. فرحل علاء الدولة إلى جَرْباذقان[٣] فهلك من عسكره ثلاثمائة رجل من شدة البرد فسار إليه تاج الملك القوهي مقدم عسكر همذان فحصره بها فصانع علاء الدولة الأكراد الذين مع تاج الملك فرحلوا عنه، فخلُصَ من الحصار وشرع يتجهز ليُعَاوِدَ حصارَ همذان فأكثرَ من الجموع وسار إليها فلقيه سماء الدولة في عساكره ـ ومعه تاج الملك ـ فاقتتلوا فانهزم عسكر همذان، ومضى تاج الملك إلى قلعة فاحتمى بها وتقدم علاء الدولة إلى سماء الدولة فترجل له وخدمه وأخذه وأنزله في خيمته وحمل إليه المال وما يحتاج إليه، وسار وهو معه إلى القلعة التي بها تاج الملك فحصره وقطع الماء عن القلعة، فطلب تاج الملك الأمان، فأمنه فنزل إليه ودخل معه همذان. ولما ملك علاء الدولة همذان سار إلى الدينَور فملكها ثم إلى سابور خُواسْتَ[٤] فملكها أيضاً وجمع تلك الأعمال، وقبض على أمراء الديلم الذين بهمذان وسجنهم بقلعةٍ عند أصبهان وأخذ أموالَهم وأقطاعهم، وأبعدَ كلَّ من فيه شرٌ من الديلم،

---

(١) ابن خلدون ٤/ ٦٣٠.

(٢) وردت في تاريخ ابن خلدون يزدجرد. نفس المرجع السابق.

(٣) جرباذقان: بالفتح والعجم يقولون كربادكان: بلدة قريبة من همذان... معجم البلدان ٢/ ١١٨.

(٤) سابوخواست: وهي بلدة بين خوزستان وأصبهان معجم البلدان ٣/ ١٦٧.

وترك عنده من يعلم أنه لا شر فيه، وأكثر القتل فقامت هيبته وخافه الناس، وضبط المملكة، وقصد حسام الدولة أبا الشوك فأرسل إليه مشرف الدولة يشفع فيه فعاد عنه.

ذكر وزارة أبي القاسم المغربي لمشرف الدولة(١)

في هذه السنة قبض مشرف الدولة على وزيره مؤيد الملك الرخجي في شهر رمضان وكانت وزارته سنتين وثلاثة أيام، وكان سبب عزله أن الأثير الخادم تغيّر عليه لأنه صادر ابن شعيا اليهودي على مائة ألف دينار - وكان متعلقاً بالأثير - فسعى وعزله، واستوزر بعده أبا القاسم الحسين بن علي بن الحسين المغربي، ومولده بمصر، سنة سبعين وثلاثمائة، وكان أبوه من أصحاب سيف الدولة بن حمدان فسار إلى مصر فتولى بها فقتله الحاكم فهرب ولده أبو القاسم إلى الشام، وقصد حسان بن المفرج بن الجراح الطائي وحمله على مخالفة الحاكم والخروج عن طاعته، ففعل ذلك وحسن له أن يبايع أبا الفتوح الحسن بن جعفر العلوي أمير مكة، فأجابه إليه واستقدمه الى الرملة، وخوطب بأمير المؤمنين، فأنفذ الحاكم إلى حسان مالاً جليلاً وأفسد معه حال أبي الفتوح فأعاده حسان إلى وادي القرى وسار أبو الفتوح منه إلى مكة.

ثم قصد أبو القاسم العراق واتصل بفخر الملك فاتهمه القادر بالله لأنه من مصر فأبعده فخر الملك فقصد قرواشاً بالموصل، فكتب له ثم عاد عنه، وتنقلت به الحال إلى أن وزر بعد مؤيد الملك الرخجي وكان خبيثاً محتالاً حسوداً، إذا دخل عليه ذو فضيلة سأله عن غيرها ليظهر للناس جهله.

وفيها في المحرم قدم مشرف الدولة إلى بغداد ولقيه القادر بالله في الطيار وعليه السواد(٢) ولم يلق قبله أحداً من ملوك بني بويه. وفيها قتل أبو محمد بن سهلان قتله نبكير بن عياض عند ايذج.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٤/ ٦٣٠.

(٢) زاد ابن كثير في البداية والنهاية ١٢/ ١٧ «وصحبته الأمراء والقضاة والفقهاء والوزراء والرؤساء فلما واجهه مشرف الدولة قبل الأرض بين يديه مرات والجيش واقف برمته والعامة في الجانبين ووقع فيه «شرف الدولة» وهو تصحيف صوابه ما هنا «مشرف» بزيادة ميم في أوله.

ذكر الفتنة بمكة

في هذه السنة كان يوم النفر الاول يوم الجمعة، فقام رجل من مصر باحدى يديه سيف مسلول. وفي الأخرى دبوسْ بعد ما فرغ الامام من الصلاة، فقصد ذلك الرجل الحجر الأسود كأنه يستلمه، فضرب الحجر ثلاث ضربات بالدبوس وقال: إلى متى يعبد الحجر الأسود، ومحمد، وعلي؟. فليمنعني مانعٌ من هذا[١] فإني أريد أن أهدم البيت فخاف أكثر الحاضرين وتراجعوا عنه، وكاد يفلت فثار به رجل فضربه بخنجر فقتله، وقطعه الناس وأحرقوه، وقتل ممن اتهم بمصاحبته جماعة وأحرقوا وثارت الفتنة، وكان الظاهر من القتلى أكثر من عشرين رجلاً غير ما اختفى منهم : وألح الناس ذلك اليوم على المغاربة والمصريين بالنهب والسلب وعلى غيرهم في طريق مِنى إلى البلد، فلما كان الغد ماج الناسُ واضطربوا وأخذوا أربعة من أصحاب ذلك الرجل فقالوا: نحن مائة رجل فضربت أعناق هؤلاء الأربعة . وتقشر بعض وجه الحجر من الضربات فأُخذ ذلك الفتات وعجن بِلَكٍ وأعيد إلى موضعه.

ذكر فتح قلعة من الهند

في هذه السنة أوغلَ يمين الدولة محمود بن سبكتكين في بلاد الهند، فغنم وقتل حتى وصل إلى قلعة على رأس جبل منيع ليس له مصعد إلا من موضع واحد ـ وهي كبيرة تسع خلقاً ـ وبها خمسمائة فيل. وفي رأس الجبل من الغلات والمياه وجميع ما يحتاج الناس إليه، فحصرهم يمين الدولة وأدام الحصار وضيق عليهم واستمر القتال فقتل منهم كثير، فلما رأوا ما حلَّ بهم أذعنوا له وطلبوا الأمان فأمنهم وأقر ملكهم فيها على خراج يأخذه منه . وأهدى له هداياه كثيرة ، منها طائر على هيئة القمري من خاصيته إذا أُحضر الطعام وفيه سمٌّ دمعت عينا هذا الطائر ، وجرى منها ماء وتحجر[٢] فإذا حكَّ وجعل على الجراحات الواسعة ألحمها .

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) في البداية والنهاية ١٢/١٧ «ومنها حجرٌ يحك ويؤخذ ما تحصل منه فيطلى بها الجراحات ذات الأفواه الواسعة فيلحمها» وهذا يفيد ان الحجر غير الماء الذي يجري من الطائر فيتحجر أو لعل الحجر هذا هو المتجمد من ذلك الماء والله أعلم.

ذكر عدة حوادث

فيها توفي القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي الرازي صاحب التصانيف المشهورة في الكلام وغيره، وكان موته بمدينة الري وقد جاوز تسعين سنة. وأبو عبد الله الكشفلي[١] الفقيه الشافعي، وأبو جعفر محمد بن أحمد الفقيه الحنفي النسفي وكان زاهداً مصنفاً[٢]. وهلال بن محمد بن جعفر أبو الفتح الحفار ومولده سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة. وكان عالماً بالحديث عالي الاسناد[٣].

---

(١) كشفل بفتح اوله وسكون ثانيه وضم الفاء ولام من قرى آمل بطبرستان كذا في معجم ياقوت، قال السمعاني في الانساب: انتسب اليها جماعة من العلماء منهم أبو عبد الله الحسين بن محمد الطبري الكشفلي نزيل بغداد كان من الفقهاء الشافعيين درس على أبي القاسم الداركي ودرس في مسجد عبد الله بن المبارك بعد موت أبي حامد الاسفرائيني وكان فهما فاضلاً صالحاً متقللاً زاهداً مات في شهر ربيع الآخر ودفن في مقبرة باب حرب انتهى. أقول: وذكر له التاج السبكي في طبقاته قصة مع تلامذته طالعها ان احببت، ووقع في البداية والنهاية (١٨/١٢) « الحسن بن محمد » ولعله محرّف.

(٢) كان عالم الحنفية في زمانه وله تصانيف منها التعليقة في الخلاف وكان فاضلاً ورعاً زاهداً فقيراً توفي في شعبان البداية والنهاية ١٨/١٢ .

(٣) سمع اسماعيل الصفار. والنجاد، وابن الصواف وكان ثقة توفي في صفر. البداية والنهاية ١٩/١٢ .

ثم دخلت سنة خمس عشرة وأربعمائة

ذكر الخلف بين مشرف الدولة والاتراك وعزل الوزير المغربي[١]

في هذه السنة تأكدت الوحشة بين الأثير عنبر الخادم ومعه الوزير ابن المغربي وبين الأتراك، فاستأذن الأثير والوزير ابن المغربي الملك مشرف الدولة في الانتزاح الى بلد يأمنان فيه على أنفسهما، فقال: أنا أسير معكما فساروا جميعاً ومعهم جماعة من مقدمي الديلم إلى السندية، وبها قرواش فأنزلهم ثم ساروا كلهم إلى أوانا، فلما علم الأتراك ذلك عظُم عليهم وانزعجوا منه وأرسلوا المرتضى، وأبا الحسن الزَيْنَبي، وجماعة من قواد الأتراك يعتذرون ويقولون: نحن العبيد، فكتب إليهم أبو القاسم المغربي: إنني تأملت مالكم من الجامكيات[٢] فاذا هي ستمائة ألف دينار، وعملت دخل بغداد فإذا هو أربعمائة ألف دينار فإن اسقطتم مائة ألف دينار تحملت بالباقي فقالوا: نحن نسقطها، فاستشعر منهم أبو القاسم المغربي فهرب إلى قرواش فكانت وزارته عشرة أشهر وخمسة أيام، فلما أبعد خرج الأتراك فسألوا الملك والأثير الانحدار معهم فأجابهم إلى ذلك وانحدروا جميعهم.

ذكر الفتنة بالكوفة ووزارة أبي القاسم المغربي لابن مروان

في هذه السنة وقعت فتنة بالكوفة بين العلويين والعباسيين، وسببها أن المختار أبا علي بن عبيد الله العلوي وقعت بينه وبين الزكي أبي علي النهرسابسي، وبين أبي الحسن علي بن أبي طالب بن عمر مباينة فاعتضد المختار بالعباسيين، فساروا إلى بغداد، وشكوا ما يفعل بهم النهر سابسي، فتقدم الخليفة القادر بالله بالإصلاح بينهم

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون ٤/٦٣١.

(٢) الأرزاق.

مراعاة لأبي القاسم الوزير المغربي، لأن النهر سابسي كان صديقه، وابن أبي طالب كان صهره، فعادوا واستعان كل فريق بخفاجة فأعان كل فريق من الكوفيين طائفة من خُفاجة، فجرى بينهم قتال فظهرَ العلويون وقُتل من العباسيين ستة نفر وأُحرقت دورهم ونُهبت، فعادوا إلى بغداد ومنعوا من الخطبة يوم الجمعة وثاروا وقتلوا ابن أبي العباس العلوي وقالوا: إن أخاه كان في جملة الفتكة بالكوفة، فبرز أمر الخليفة الى المرتضى يأمره بصَرفِ ابن أبي طالب عن نقابة الكوفة وردها إلى المختار، فانكر الوزير المغربي ما يجري على صهره ابن أبي طالب من العـزل ـ وكان عنـد قرواش بسـرٍّ من رأى ـ فاعترض أرحـاء كانت للخليفـة بدَرْزِيجـان[١]، فأرسـل الخليفة القـاضي أبا جعفـر السمناني في رسالة إلى قرواش يأمره بإبعاد المغربي عنه ففعل، فسار المغربي إلى ابن مروان بديار بكر، وغضب الخليفة على النهر سابسي وبقي تحت السخط إلى سنة ثمان عشرة وأربعمائة فشفع فيه الأتراك. وغيرهم فرضي عنه وحلّفه على الطاعة فحلف.

ذكر وفاة سلطان الدولة وملك ولده أبي كاليجار وقتل ابن مكرم[٢]

في هذه السنة في شوال توفي الملك سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة بشيراز، وكان عمره اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر، وكان ابنه أبو كاليجار بالأهواز فطلبه الأوحد أبو محمد بن مكرم ليملك بعد أبيه، وكان هواه معه. وكان الأتراك يريدون عمه أبا الفوارس بن بهاء الدولة صاحب كَرْمان، فكاتبوه يطلبونه إليهم أيضاً، فتأخرَ أبو كاليجار عنها فسبقه عمه أبو الفوارس إليها فمكلها، وكان أبو المكارم بن أبي محمد بن مكرم قد أشار على أبيه لما رأى الاختلاف أن يسير إلى مكان يأمنُ فيه على نفسه، فلم يقبل قوله، فسار وتركه وقصد البصرة فندم أبوه حيث لم يكن معه، فقال له العادلُ أبو منصور ابن مافَنة: المصلحة أن تقصد سِيراف وتكون مالكَ أمرك وابنُك أبو القاسم بعمان فتحتاجُ الملوك إليك، فركب سفينة ليمضي إليها فأصابه برد فبطل عن الحركة، وأرسل العادلُ بن مافنة إلى كَرْمان لإحضار أبي الفوارس، فسار إليه العادلُ وأبلغه رسالةَ ابن مكرم باستدعائه، فسار مُجِداً ومعه العادل فـوصلوا إلى فارِس، وخرجَ ابن مكرم يلقى أبا الفوارس ومعه الناس، فطالبه الأجناد بحق البيعة،

---

(١) درزيجان: قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي معجم البلدان ٢/ ٤٥٠

(٢) انظر تاريخ ابن خلدون ٤/ ٦٣١.

فأحالهم على ابن مكر فتضجَّر ابن مكرم، فقال له العادل: الرأي أن تبذل مالك وأموالنا حتى تمشي الأمور فانتهره فسكت، وتلوم ابن مكرم بإيصال المال إلى الأجناد. فشكوه إلى أبي الفوارس فقبض عليه وعلى العادل بن مافنة ثم قتل ابن مكـرم واستبقى ابن مافنة.

فلما سمع ابنه أبو القاسم بقتلهِ صار مع الملك أبي كاليجار وأطاعه، وتجهز أبو كاليجار وقام بأمره أبو مزاحم صندل الخادم وكان مربيه، وساروا بالعساكر إلى فارس، فسيّر عمه أبو الفوارس عسكراً مع وزيره أبي منصور الحسن بن علي الفسوي لقتاله، فوصل أبو كاليجار والوزير متهاون به لكثرةِ عسكره فأتوه ـ وهو نائم ـ وقد تفرق عسكره في البلد يبتاعون ما يحتاجون إليه، وكان جاهلاً بالحرب، فلما شـاهدوا أعـلام أبي كاليجار شرعَ الوزيرُ يرتبُ العسكر وقد داخلهم الرعبُ فحَمَلَ عليهم أبو كاليجار وهم على اضطراب فانهزموا، وغنم أبو كاليجار وعسكره أموالهم ودوابهم وكل مالهم، فلما انتهى خبر الهزيمة إلى عمه أبي الفوارس سار إلى كرمان، وملك أبو كاليجـار بلاد فارس ودخل شيراز.

ذكر عود أبي الفوارس الى فارس وإخراجه عنها

ولما ملك أبو كاليجار بلادَ فارس ودخل شيراز جرى على الديلم الشيرازية من عسكره ما أخرجهم عن طاعته، وتمنّوا معه أنهم كانوا قتلوا مع عمه وكان جماعة من الديلم بمدينة فَسَا[١] في طاعة أبي الفوارس ـ وهم يريدون أن يصلحوا حالهم مع أبي كاليجار ويصيروا معه ـ فأرسل إليهم الديلم الذين بشيراز يعرفونهم ما يلقّون من الأذى ويأمرونهم بالتمسك بطاعة أبي الفوارس ففعلوا ذلك؛ ثم إن عسكر أبي كاليجار طالبوه بالمال وشغبوا عليه فأظهر الديلم الشيرازية ما في نفوسهم من الحقد، فعجز عن المقام معهم، فسارعن شيراز إلى النُوبندجان[٢] ولقي شدة في طريقه. ثم انتقل عنها لشدة حرّها ووخامة هوائها. ومرض أصحابه فأتى شعب بوّان فأقام به، فلما سار عن شيراز أرسل الديلم الشيرازية إلى عمه أبي الفوارس يحثونَهُ على المجيء إليهم ويعرفونه بعد أبي

---

(١) بالفتح والقصر، مدينة بفارس أنزهُ مدينة بها فيما قيل، بينها وبين شيراز أربع مراحل.

(٢) نُوبَنْدَجان: مدينة من أرض فارس من كورة سابون قريبة من شعب بوّان الموصوفة بالحسن والنزاهة. معجم البلدان ٥/٣٠٧.

كاليجار عنهم فسار إليهم فسلموا إليه شيراز، وقصد إلى أبي كاليجار بشعب بَوّان ليحاربَهُ ويخرجَهُ عن البلاد فاختار العسكران الصلح فسفروا فيه فاستقر لأبي الفوارس كَرمان، وفارس، ولأبي كاليجار خوزستان، وعاد ابو الفوارس إلى شيراز وسار أبو كاليجار إلى أرَّجَان[١]، ثم ان وزير أبي الفوارس خبط الناس وأفسد قلوبهم وصادرهم واجتاز به مالٌ لأبي كاليجار والديلم الذين معه فأخذه فحينئذ حثَّ العادل بن مافنة صندلاً الخادم على العودِ إلى شيرازِ. وكان قد فارق بها نعمةً عظيمةً وصار مع أبي كاليجار - وكان الديلم يطيعونه - فعادت الحال إلى أشد ما كانت عليه، فسار كل واحد من أبي كاليجار وعمه أبي الفوارس إلى صاحبه، والتقوا واقتتلوا، فانهزم أبو الفوارس إلى دار ابْجِرْد[٢] وملك أبو كاليجار فارس، وعاد أبو الفوارس فجمع الأكراد فأكثر فاجتمع معه منهم نحو عشرة آلاف مقاتل فالتقوا بين البيضاء واصطخر، فاقتتلوا أشد من القتال الأول فعاود أبو الفوارس الهزيمة فسار إلى كرمان واستقر ملك أبي كاليجار بفارس سنة سبع عشرة وأربعمائة، وكان أهل شيراز يكرهونه.

ذكر خروج زَنَاتة والظفر بهم

في هذه السنة خرج بأفريقية جمع كثير من زَنَاتة فقطعوا الطريق وأفسدوا بقسطيلية[٣] ونِفْزَاوَة[٤] وأغاروا وغنموا واشتدت شوكتهم، وكثر جمعهم فسيَّر إليهم المعز بن باديس جيشاً جريدة وأمرهم أن يجدوا السير ويسبقوا أخبارهم، ففعلوا ذلك وكتموا خبرهم وطووا المراحل حتى أدركوهم وهم آمنون من الطلب فوضعوا فيهم السيف فقتل منهم خلقٌ كثيرٌ، وعلق خمسمائة رأس في أعناق الخيول وسيرت إلى المعز، وكان يوم دخولها يوماً مشهوداً.

ذكر عود الحجاج على الشام وما كان من الظاهر إليهم

في هذه السنة عاد الحجاج من مكة إلى العراق على الشام لصعوبة الطريق

---

(١) أرّجان: بفتح أوله وتشديد الراء، وعامة العجم يسمونها أرْغان، قال الإصطخري: مدينة كبيرة كثيرة الخير بينها وبين شيراز ستون فرسخاً. معجم البلدان ١/١٤٣.

(٢) دارابْجِرْد: ولاية بفارس ينسب إليها كثير من العلماء. معجم البلدان ٢/٤١٩.

(٣) قَسْطِيلِيَة: مدينة بالأندلس وهي حاضرة نحو كورة ألبيرة كثيرة الأشجار متدفقة الأنهار تشبه دمشق معجم البلدان ٤/٣٤٨.

(٤) نِفْزَاوَة: مدينة من أعمال إفريقية. معجم البلدان ٥/٢٩٦.

المعتاد، وكانوا لما وصلوا إلى مكة بذل لهم الظاهر العلوي ـ صاحب مصرَ أموالاً جليلة وخلعاً نفيسة وتكلف شيئاً كثيراً وأعطى لكل رجل في الصحبة جملة من المال ليظهر لأهل خراسان ذلك، وكان على تسيير الحجاج الشريف أبو الحسن الاقساسي، وعلى حجاج خراسان حَسْنك نائب يمين الدولة بن سبكتكين فعظم ما جرى على الخليفة القادر بالله، وعبر حَسْنك دجلة عند أوانا، وسار إلى خراسان وتهدد القادر بالله ابن الأقساسي فمرض فمات[١]، ورثاه المرتضى وغيره، وأرسل إلى يمين الدولة في المعنى فسير يمين الدولة الخلع التي خلعت على صاحبه حسنك إلى بغداد فأحرقت.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة تزوج السلطان مشرف الدولة بابنة علاء الدولة بن كاكويه وكان الصداق خمسين ألف دينار وتولى العقد المرتضى، وفيها قلد القاضي ابو جعفر السمناني قضاء الرصافة. وباب الطاق، وفيها توفي أبو الحسن علي بن محمد السمسمي الأديب، وابن الدقاق النحوي، وابو الحسين بن بشران المحدث وعمره سبع وثمانون سنة[٢]، والقاضي أبو محمد بن أبي حامد المروروذي قاضي البصرة بها، وأبو الفرج احمد بن عمر المعروف بابن المسلمة الشاهد ـ وهو جد رئيس الرؤساء[٣]، واحمد بن محمد بن احمد بن القاسم أبو الحسن المحاملي الفقيه الشافعي تفقه على أبي حامد وصنف المصنفات المشهورة[٤]، وعبيدالله بن عمر بن علي بن محمد بن الأشرس أبو القاسم المقري الفقيه الشافعي.

---

(١) هو من ولد زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه حج بالناس من العراق سنين كثيرة نيابة عن المرتضى وكان فاضلاً شاعراً فصيحاً وهو من كبار الشيعة أيضاً.

(٢) واسمه علي بن محمد بن عبد الله بن بشران بن محمد الاموي البغدادي المعدل. سمع ابن البختري وطبقته. قال الخطيب البغدادي في وصفه: كان صدوقاً ثبتاً تام المروءة ظاهر الديانة توفي في شعبان شذرات الذهب ٣/٢٠٣.

(٣) ولد سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة. سمع أباه وأحمد بن كامل والنجاد وغيرهم. سكن الجانب الشرقي من بغداد وكان يُملي في أول كل سنة مجلساً في المحرم. وكان عاقلاً فاضلاً ثقة، كثير المعروف، يصوم الدهر، ويقرأ في كل يوم سبعاً البداية والنهاية ١٢/١٩ ط. دار الكتب العلمية ببيروت.

(٤) المحاملي نسبة إلى المحامل التي يحمل عليها الناس في السفر وكان شيخ الشافعية في زمنه. ومن مصنفاته اللباب، والمقنع، والاوسط والمجرد. وعدة المسافر وغير ذلك.
نفس المرجع السابق.

ثم دخلت سنة ست عشرة واربعمائة

ذكر فتح سومنات

في هذه السنة فتح يمين الدولة في بلاد الهند عدة حصون ومدن، وأخذ الصنم المعروف بسومنات، وهذا الصنم كان أعظم أصنام الهند، وهم يحجون إليه كل ليلة خسوف، فيجتمع عنده ما ينيف على مائة ألف إنسان، وتزعم الهنود أن الأرواح إذا فارقت الأجساد اجتمعت إليه على مذهب التناسخ فينشئها فيمن شاء، وأن المدّ والجزر الذي عنده إنما هو عبادة البحر على قدر استطاعته، وكانوا يحملون إليه كل علق نفيس ويعطون سدنته كل مال جزيل وله من الموقوف ما يزيد على عشرة آلاف قرية، وقد اجتمع في البيت الذي هو فيه من نفيس الجوهر ما لا يحصى قيمته. ولأهل الهند نهر كبير يسمى كِنْك يعظمونه غاية التعظيم ويلقون فيه عظام من يموت من كبرائهم، ويعتقدون أنها تساق إلى جنة النعيم وبين هذا النهر وبين سومنات نحو مائتي فرسخ، وكان يحمل من مائه كل يوم إلى سومنات ما يغسل به، ويكون عنده من البرهميين كل يوم ألف رجل لعبادته وتقديم الوفود إليه، وثلاثمائة رجل يحلقون رؤوس زواره ولحاهم، وثلاثمائة رجل وخمسمائة أمة يغنون ويرقصون على باب الصنم. ولكل واحد من هؤلاء شيء معلوم كل يوم.

وكان يمين الدولة كلما فتح من الهند فتحا وكسر صنماً يقول الهنود: إن هذه الاصنام قد سخط عليها سومنات ولو أنه راض عنها لأهلك من قصدها بسوء، فلما بلغ ذلك يمين الدولة عزم على غزوه وإهلاكه ظناً منه أن الهنود إذا فقدوه ورأوا كذب ادعائهم الباطل دخلوا في الاسلام، فاستخار الله تعالى وسار عن غزنة[1] عاشر شعبان

---

(١) غزْنَة: مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان. وهي الحدّ بين خراسان والهند. معجم البلدان ٤/٢٠١.

من هذه السنة في ثلاثين ألف فارس من عساكره، سوى المتطوعة. وسلك سبيل المُلْتَان[٢] فوصلها منتصف شهر رمضان، وفي طريقه الى الهند برية قفر لا ساكن فيها ولا ماء ولا ميرة، فتجهز هو وعسكره على قدرها ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف جمل تحمل الماء والميرة وقصد انهلوارة، فلما قطع المفازة رأى في طرفها حصوناً مشحونة بالرجال، وعندها آبار قد غوروها ليتعذر عليه حصرها، فيسر الله تعالى فتحها عند قربه منها بالرعب الذي قذفه في قلوبهم، وتسلمها وقتل سكانها وأهلك أوثانها وامتاروا منها الماء وما يحتاجون إليه، وسار إلى انهلوارة فوصلها مستهل ذي القعدة، فرأى صاحبها المدعو بهيم، قد أجفل عنها وتركها وأمعن في الهرب وقصد حصناً لـه يحتمي به، فاستولى يمين الدولة على المدينة، وسار إلى سومنات فلقي في طريقه عدة حصون فيها كثير من الأوثان شبه الحجاب والنقباء لسومنات على ما سوّل لهم الشيطان فقاتل من بها وفتحها وخربها وكسر أصنامها.

وسار إلى سومنات في مفازة قفرة قليلة الماء فلقي فيها عشرين ألف مقاتل من سكانها لم يدينوا للملك فأرسل إليهم السرايا فقاتلوهم فهزموهم وغنموا ما لهم، وامتاروا من عندهم وساروا حتى بلغوا دبولواره ـ وهي على مرحلتين من سومنات ـ وقد ثبت أهلها له ظناً منهم أن سومنات يمنعهم ويدفع عنهم، فاستولى عليها وقتل رجالها وغنم أموالها، وسار عنها إلى سومنات فوصلها يوم الخميس منتصف ذي القعدة. فرأى حصناً حصيناً مبنياً على ساحل البحر بحيث تبلغه أمواجه. وأهله على الاسوار يتفرجون على المسلمين واثقين أن معبودهم يقطع دابرهم ويهلكهم.

فلما كان الغد ـ وهو الجمعة ـ زحف وقاتل من به فرأى الهنود من المسلمين قتالاً لم يعهدوا مثله ففارقوا السور فنصب المسلمون عليه السلاليم وصعدوا إليه، وأعلنوا بكلمة الاخلاص وأظهروا شعار الاسلام، فحينئذ اشتد القتال وعظم الخَطب، وتقدم جماعة الهنود إلى سومنات فعفروا لـه خدودهم وسألوه النصر وأدركهم الليل فكفَّ بعضهم عن بعض، فلما كان الغد بكر المسلمون إليهم وقاتلوهم فأكثروا في الهنود

---

(١) مُلْتان: مدينة من نواحي الهند قرب غزنة اهلها مسلمون منذ قديم. معجم البلدان ٥/ ١٨٩.

القتل وأجلوهم عن المدينة إلى بيت صنمهم سومنات، فقاتلوا على بابه أشد قتال.

وكان الفريق منهم بعد الفريق يدخل إلى سومنات فيعتنقونه ويبكون ويتضرعون إليه ويخرجون فيقاتلون إلى أن يقتلوا حتى كاد الفناء يستوعبهم، فبقي منهم القليل فدخلوا البحر إلى مركبين لهم لينجوا فيهما فأدركهم المسلمون فقتلوا بعضاً وغرق بعض.

وأما البيت الذي فيه سومنات، فهو مبني على ست وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص وسومنات من حجر طوله خمسة أذرع، ثلاثة مدورة ظاهرة وذراعان في البناء وليس بصورة مصورة، فأخَذَهُ يمين الدولة فكسرَه وأحرق بعضه، وأخذ بعضه معه إلى غزنة فجعله عتبة الجامع، وكان بيت الصنم مظلماً وإنما الضوء الذي عنده من قناديل الجوهر الفائق، وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرسٌ وزنها مائتا طن، كلما مضى طائفة معلومة من الليل حركت السلسلة فيصوِّتُ الجرس فيقوم طائفة من البرهميين إلى عبادتهم، وعنده خزانة فيها عدة من الأصنام الذهبية والفضية، وعليها الستور المعلقة المرصعة بالجوهر، كلّ واحدٍ منها منسوب إلى عظيم من عظمائهم؛ وقيمة ما في البيوت يزيد على عشرين ألفَ ألف دينار فأخذ الجميع. وكانت عدةُ القتلى تزيد على خمسين ألف قتيل. ثم إن يمين الدولة ورد عليه الخبر أن بهيم صاحب انهلوارة قد قصد قلعة تسمى كندهة في البحر، بينها وبين البر من جهة سومنات أربعون فرسخاً فسار إليها يمينُ الدولة من سومنات، فلما حاذى القلعة رأى رجلين من الصيادين فسألهما عن خوضِ البحر هناك فعرَّفاه أنه يمكن خوضهُ لكن إن تحركَ الهواء يسيراً غرق من فيه. فاستخار الله تعالى وخاضه هو ومن معه فخرجوا سالمين. فرأوا بهيم وقد فارق قلعته وأخلاها فَعاد عنها، وقصد المنصورة، وكان صاحبها قد ارتد عن الإسلام، فلما بلغَهُ خبرُ مجيء يمين الدولة فارقها واحتمى بغياض أشبة فقصده يمين الدولة من موضعين فأحاط به وبمن معه، فقتلوا أكثرهم وغرق منهم كثير ولم ينج منهم إلا القليل. ثم سار إلى بهاطية فأطاعه أهلها ودانوا له، فرحل إلى غزنة فوصلها عاشر صفر من سنة سبع عشرة وأربعمائة.

ذكر وفاة مشرف الدولة وملك أخيه جلال الدولة

في هذه السنة في ربيع الأول توفي الملك مشرف الدولة أبو علي بن بهاء الدولة بمرضٍ حادٍ، وعمره ثلاث وعشرون سنة وثلاثة أشهر[١]؛ وملكه خمس سنين وخمسة وعشرون يوماً. وكان كثير الخير، قليل الشر، عادلاً، حسن السيرة، وكانت والدته في الحياة وتوفيت سنة خمس وعشرين، ولما توفي مشرف الدولة خطب ببغداد بعد موته لأخيه أبي طاهر جلال الدولة ـ وهو بالبصرة ـ وطُلب إلى بغداد فلم يصعد إليها. وإنما بلغ إلى واسط وأقام بها ثم عاد إلى البصرة فقطعت خطبته. وخطب لابن أخيه الملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة في شوال ـ وهو حينئذ صاحب خوزستان ـ والحرب بينه وبين عمه أبي الفوارس صاحب كرمان بفارس، فلما سمع جلال الدولة بذلك أصعد إلى بغداد فانحدر عسكرها ليردوه عنها، فلقوه بالسيِّب من أعمال النهروان، فردوه فلم يرجع فرموه بالنشاب ونهبوا بعض خزائنه فعاد إلى البصرة؛ وأرسلوا إلى الملك أبي كاليجار ليصعد إلى بغداد ليملّكوه فوعدهم الاصعاد ولم يمكنه لأجل صاحب كَرمان، ولما أصعد جلال الدولة كان وزيره أبا سعد[٢] بن ماكولا.

ذكر ملك نصر الدولة بن مروان مدينة الرُّها

وفي هذه السنة ملك نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر مدينة الرُّها، وكان سبب ملكها أن الرُّها كانت لرجل من بني نُمير يسمى عُطيراً ـ وفيه شرٌ وجهلٌ ـ واستخلف عليها نائباً له اسمه أحمد بن محمد فأحسن السيرة وعدل في الرعية فمالوا إليه، وكان عطير يقيم بحلته ويدخل البلد في الأوقات المتفرقة فرأى أن نائبه يحكم في البلد ويأمر وينهي فحسده فقال له يوماً: قد أكلت مالي واستوليت على بلدي وصرت الأمير وأنا النائب، فاعتذر إليه فلم يقبل عذره وقتله، فأنكرت الرعية قتله وغضبوا على

---

(١) زاد في النجوم الزاهرة «واربعة عشر يوماً»، وفي البداية والنهاية ١٢/٢١ «وعشرين يوماً». وكان شجاعاً مقداماً جواداً صاحب دين وتصوف وحياء إلا أنه كان يميل إلى الشيعة على عادة آبائه وأجداده ميلاً ليس بذاك وينصر أهل السنة في بعض الأحيان، وكل ملوك بني بويه كانو على ذلك غير أنهم كانوا يميلون في الباطن للشيعة.

(٢) في البداية والنهاية ١٣/٢٠، وشذرات الذهب ٣/٢٠٤، «أبي سعيد» واسمه عبد الواحد بن أحمد بن جعفر بن ماكولا.

عطير، وكاتبوا نصر الدولة بن مروان ليسلموا إليه البلد فسير إليهم نائباً كان له بآمد يسمى زنك فتسلمها وأقام بها ومعه جماعة من الاجناد.

ومضى عُطير إلى صالح بن مِرداس وسأله الشفاعة له إلى نصر الدولة فشفع فيه، فأعطاه نصف البلد، ودخل عطير إلى نصر الدولة بِمَيّافارقين فأشار أصحاب نصر الدولة بقبضه فلم يفعل وقال: لا أغدر به وإن كان أفسد وأرجو أن أكف شرّه بالوفاء. وتسلم عطير نصف البلد ظاهراً وباطناً وأقام فيه مع نائب نصر الدولة.

ثم إن نائب نصر الدولة عمل طعاماً ودعاه فأكل وشرب واستدعى ولداً كان لأحمد الذي قتله عطير وقال: تريد أن تأخذَ بثأر أبيك؟ قال: نعم، قال: هذا عطير عندي في نفر يسير فإذا خرج فتعلق به في السوق وقل له: يا ظالم قتلت أبي فإنه سيجرد سيفه عليك فإذا فعل فاستنفر الناس عليه واقتله وأنا من ورائك ففعل ما أمره وقتل عطيراً ومعه ثلاثة نفر من العرب، فاجتمع بنو نُمير وقالوا: هذا فعل زُنك ولا ينبغي لناأن نسكت عن ثأرنا ولئن لم نقتلْه ليُخرجنا من بلادنا، فاجتمعت نُمير وكمنوا له بظاهر البلد كميناً وقصد فريق منهم البلد فأغاروا على ما يقاربه فسمع زنك الخبر فخرج فيمن عنده من العساكر وطلب القوم، فلما جاوز الكمناء خرجوا عليه فقاتلهم فأصابه حجر مقلاع فسقط وقتل، وكان قتله سنة ثمان عشرة وأربعمائة في أولها وخلصت المدينة لنصر الدولة، ثم إن صالح بن مرداس شفع في ابن عطير وابن شِبل النميريين لِيردالرُّها إليهما فشفعه وسلمها إليهما، وكان فيها برجان أحدهما أكبر من الآخر فأخذ ابن عطير البرج الكبير، وأخذ ابن شبل البرج الصغير وأقاما في البلد إلى أن باعه ابن عطير من الروم على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر غرق الاسطول بجزيرة صقلية

في هذه السنة خرج الروم إلى جـزيرة صقليـة في جمع كثيـر وملَكوا مـا كان للمسلمين في جزيرة قِلَّوْرِيَة ـ وهي مجاورة لجزيرة صِقِلْيَة ـ وشرعوا في بناء المساكن ينتظرون وصول مراكبهم وجموعهم مع ابن أخت الملك، فبلغ المعز بن باديس فجهز أسطولاً كبيراً أربعمائة قطعة، وحشد فيها وجمع خلقاً كثيراً وتطوع جمع كثير بالجهاد رغبة في الأجر، فسار الأسطول في كانون الثاني، فلما قرب من جزيرة قَوْصَرَة ـ وهي

قريب من برِّ أفريقية - خرج عليهم ريحٌ شديدة ونوءٌ عظيم فغرقَ أكثرهم ولم ينجُ إلا اليسير.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ظهر أمر العيارين ببغداد وعظم شرهم فقتلوا النفوس ونهبوا الأموال وفعلوا ما أرادوا، وأحرقوا الكرخ وغلا السعر بها، حتى بيع الكر الحنطة بمائتي دينار قاسانية(١). وفيها قبض جلال الدولة على وزيره أبي سعد بن ماكولا(٢) واستوزر ابن عمه أبا علي بن ماكولا. وفيها أرسل القادر بالله القاضي أبا جعفر السمناني إلى قرواش يأمره بابعاد الوزير أبي القاسم المغربي وكان عنده فأبعده، فقصد نصر الدولة بن مروان بِمَيّافارقين وقد تقدم السبب فيه. وفيها توفي الوزير ابو منصور محمد بن الحسن بن صالحان وزير مشرف الدولة أبي الفوارس وعمره ست وسبعون سنة(٣)، وقاضي القضاة أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي الشوارب ومولده في ذي القعدة سنة تسع عشرة وثلاثمائة. وكان عفيفاً نزهاً، وقيل: توفي سنة سبع عشرة(٤). وبَسيل ملك الروم وملك بعده أخوه قسطنطين. وفيها ورد رسول محمود بن سَبُكْتكين إلى القادر بالله ومعه خلع قد سيّرها له الظاهر لإعزاز دين الله العلوي صاحب مصر، ويقول: أنا الخادم الذي أرى الطاعة فرضاً. ويذكر ارسال هذه الخلع إليه، وأنه سيرها إلى الديوان، ليرسم فيها بما

---

(١) وسبب ذلك ان مشرف الدولة لما مات كان أخوه جلال الدولة بالبصرة فاختل نظام الدولة واستهانوا بالسلطان فحصل هذا ثم بعد ان تولى جلال الدولة الملك وخطب له على المنابر رجع الأمن إلى نصابه. البداية والنهاية ١٢/ ٢٠ ط دار الكتب العلمية.

(٢) انظر الحاشية رقم ٢ في الصفحة السابقة.

(٣) ووزر أيضاً لبهاء الدولة. قال الحافظ ابن كثير: كان وزير صدق جيد المباشرة حسن الصلاة محافظاً على أوقاتها وكان محسناً إلى الشعراء والعلماء توفي عن ست وسبعين سنة البداية والنهاية ١٢/ ٢١.

(٤) كان قاضي قضاة بغداد بعد ابن الاكفاني بثنتي عشرة سنة وهو آخر من وَلي الحكم ببغداد من سلالة محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب. وقد ولِي الحكم من سلالته أربعة وعشرون نفساً منهم ثمانية ولوا قضاء قضاة بغداد. ومن نزاهته وورعه أن رجلاً من خيار الناس أوصى له بمائتي دينار فحملها إليه الماوردي، فأبى القاضي أن يقبلها وجهد عليه كل الجهدَ فلم يفعل وقال له: سألتك بالله لا تذكرن هذا لأحد ما دمت حياً. ففعل الماوردي فلم يخبر عنه إلا بعد موته. وكان ابن أبي الشوارب فقيراً إليها وإلى ما هو دونها فلم يقبلها رحمه الله تعالى، البداية والنهاية ١٢/ ٢٢.

يرى، فاحرقت على باب النوبى، فخرج منها ذهب كثير تصدق به على ضعفاء بني هاشم.

وفيها توفي سابور بن اردشير وزير بهاء الدولة، وكان كاتباً سديداً وعمل دار الكتب ببغداد سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وجعل فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد وبقيت إلى أن احترقت عند مجيء طغرلبك إلى بغداد سنة خمسين وأربعمائة[1]. وفيها توفي عثمان الخوكوشي الواعظ النيسابوري وكان صالحاً[2] خيراً وكان إذا دخل على محمود بن سَبكْتَكين يقوم ويلتقيه، وكان محمود قد قسط على نيسابور مالاً يأخذه منهم فقال له الخوكوشي: بلغني أنك تكدي الناس وضاق صدري فقال: وكيف؟ قال: بلغني أنك تأخذ أموال الضعفاء ـ وهذه كدية ـ فترك القسط وأطلقه، وفيها بطل الحج من العراق وخراسان.

---

(١) وزر لبهاء الدولة ثلاث مرات ووزر لمشرف الدولة وكان عفيفاً عن الأموال كثيرَ الخيرِ سليم الخاطر. وكان حسن المعاشرة إلا أنه كان يعزل عماله سريعاً خوفاً عليهم من الأشرِ والبَطَرِ، البداية والنهاية ١٢/٢١ ط. دار الكتب العلمية ببيروت.

(٢) قال ابن كثير في وصفه «صنف كتباً في الوعظ من ابرد الأشياء وفيها احاديث كثيرة موضوعة وكلمات مرذولة. وكانت محلته حمى يحتمي بها من الظلمة، وقد وقع في بلده نيسابور موت فكان يغسل الموتى محتسباً فغسل نحواً من عشرة آلاف ميت. البداية والنهاية ١٢/٢١.

ثم دخلت سنة سبع عشرة وأربعمائة

ذكر الحرب بين عسكر علاء الدولة والجوزقان

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين عساكر علاء الدولة بن كاكويه وبين الاكراد الجُوزَقَان، وكان سببها أن علاء الدولة استعمل أبا جعفر ابن عمه على سابور خُواست وتلك النواحي. فضم إليه الأكراد الجُوزَقَان وجعل معه على الأكراد أبا الفرج البابوني - منسوب إلى بطن منهم - فجرى بين أبي جعفر وأبي الفرج مشاجرة أدت إلى المنافرة فأصلح بينهما علاء الدولة وأعادهما إلى عملهما، فلم يزل الحقدُ يقوىٰ والشر يتجدد، فضرب أبو جعفر أبا الفرج بِلَتٍّ كان في يده فقتله. فنفر الجوزقان بأسرهم ونهبوا وأفسدوا فطلبهم علاء الدولة وسير عسكراً واستعمل عليهم أبا منصور ابن عمه أخا أبي جعفر الأكبر وجعل معه فرهاذ بن مرداويج، وعلي بن عمران، فلما علم الجوزقان ذلك أرسلوا إلى علي بن عمران يسألونَهُ أن يصلح حالهم مع علاء الدولة، وقصده جماعة منهم فشرع في الاصلاح فطالبه أبو جعفر، وفرهاذ بالجماعة الذين قصدوه ليسلمهم إليهما وأرادا أخذهم منه قهراً، فانتقل إلى الجوزقان واحتمى كل منهم بصاحبه، وجرى بين الطائفتين قتالٌ غير مرة كان في آخره لعلي بن عمران والجوزقان، فانهزم فرهاذ وأُسر أبو منصور وأبو جعفر ابنا عم علاء الدولة، فأما أبو جعفر فقتل قصاصاً بأبي الفرج، وأما أبو منصور فسجن، فلما قتل أبو جعفر علم علي بن عمران أن الأمر قد فسد مع علاء الدولة ولا يمكن إصلاحه فشرع في الاحتياط.

ذكر الحرب بين قرواش وبني أسد وخُفاجة

في هذه السنة اجتمع دبيس بن علي بن مزيد الأسدي، وأبو الفتيان منيع بن حسان أمير بني خُفاجة، وجمعا عشائرهما وغيرهم وانضاف إليهما عسكر بغداد على قتال قرواش بن المقلد العقيلي، وكان سببه أن خفاجة تعرضوا إلى السواد وما بيد

قرواش منه، فانحدر من الموصل لدفعهم، فاستعانوا بدبيس، فسار إليهم واجتمعوا فأتاهم عسكر بغداد فالتقوا بظاهر الكوفة، وهي لقرواش - فجرى بين مقدمته ومقدمتهما مناوشة، وعلم قرواش أنه لا طاقة له بهم فسار ليلاً جريدة في نفر يسير وعلم أصحابه بذلك فتبعوه منهزمين فوصلوا إلى الأنبار. وسارت أسد وخفاجة خلفهم فلما قاربوا الأنبار فارقها قرواش إلى حلله فلم يمكنهم الإقدام عليه واستولوا على الأنبار ثم تفرقوا.

ذكر الفتنة ببغداد وطمع الأتراك والعيارين

في هذه السنة كثر تسلط الأتراك ببغداد فأكثروا مصادرات الناس وأخذوا الاموال حتى أنهم قسطوا على الكرخ خاصة مائة ألف دينار. وعظم الخطب وزاد الشر وأحرقت المنازل والدروب والأسواق، ودخل في الطمع العامة والعيارون، فكانوا يدخلون على الرجل فيطالبونه بذخائره كما يفعل السلطان بمن يصادره، فعمل الناس الأبواب على الدروب فلم تغن شيئاً، ووقعت الحرب بين الجند والعامة فظفر الجند ونهبوا الكرخ وغيره فأخذ منه مال جليل وهلك أهل الستر والخير. فلما رأى القوادو عقلاء الجندان الملك أبا كاليجار لا يصل إليهم وأن البلاد قد خربت، وطمع فيهم المجاورون من العرب والأكراد، راسلوا جلال الدولة في الحضور إلى بغداد فحضر على ما نذكره سنة ثمان عشرة وأربعمائة.

ذكر إصعاد الأثير إلى الموصل والحرب الواقعة بين بني عقيل

في هذه السنة أصعد الأثير عنبر إلى الموصل من بغداد، وكان سببه أن الأثير كان حاكماً في الدولة البويهية، ماضي الحكم نافذَ الأمرِ، والجند من أطوعِ الناس له وأسمعهم لقوله: فلما كان الآن زال ذلك وخالفه الجند فزالت طاعته عنهم فلم يلتفتوا إليه فخافهم على نفسه، فسار إلى قرواش فندم الجند على ذلك وسألوه أن يعود فلم يفعل وأصعد إلى الموصل مع قرواش فأخذ ملكه وأقطاعه بالعراق. ثم إن نجدة الدولة بن قراد ورافع بن الحسين جمعا جمعاً كثيراً من عقيل وانضم إليهم بدران أخو قرواش وساروا يريدون حرب قرواش. وكان قرواش لما سمع خبرهم قد اجتمع هو وغريب بن معن والأثير عنبر، وأتاه مدد من ابن مروان فاجتمع في ثلاثة عشر ألف مقاتل، فالتقوا عند بلد واقتتلوا وثبت بعضهم لبعض. وكثر القتل ففعل ثروان بن قراد فعلاً جميلاً، وذاك أنه قصد غريباً في وسط المصاف واعتنقه وصالحه وفعل أبو الفضل

بدران بن المقلد بأخيه قرواش كذلك، فاصطلح الجميع وأعاد قرواش إلى أخيه بدران مدينة نصيبين.

ذكر احراق خفاجة الأنبار وطاعتهم لأبي كاليجار

في هذه السنة سار منيع بن حسان أمير خفاجة إلى الجامعين، وهي لنور الدولة دبيس فنهبها. فسار دبيس في طلبه إلى الكوفة ففارقها وقصد الأنبار وهي لقرواش كان استعادها بعد ما ذكرناه قبل. فلما نازلها منيع قاتله أهلها فلم يكن لهم بخفاجة طاقة فدخل خفاجة الأنبار ونهبوها وأحرقوا أسواقها. فانحدر قرواش إليهم ليمنعهم ـ وكان مريضاً ـ ومعه غريب، والأثير عنبر الى الأنبار، ثم تركها ومضى إلى القصر. فاشتد طمع خفاجة وعادوا إلى الأنبار فأحرقوها مرة ثانية، وسار قرواش إلى الجامعين فاجتمع هو ونور الدولة دبيس بن مزيد في عشرة آلاف مقاتل، وكانت خفاجة في ألف فلم يقدر قرواش في ذلك الجيش العظيم على هذه الألف وشرع أهل الأنبار في بناء سور على البلد وأعادهم قرواش وأقام عندهم الشتاء. ثم إن منيع بن حسان سار إلى الملك أبي كاليجار فأطاعه فخلع عليه. وأتى منيع الخفاجي إلى الكوفة فخطب فيها لأبي كاليجار وأزال حكم عقيل عن سقي الفرات.

ذكر الصلح بأفريقية بين كتامة وزَنَاتة وبين المعز بن باديس

في هذه السنة وردتْ رسل زَناتة وكتامة إلى المعِز بن باديس صاحب أفريقية يطلبون منه الصلح وأن يَقبل منهم الطاعة والدخول تحت حكمه وشرطوا أنهم يحفظون الطريق وأعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقهم فأجابهم إلى ما سألوا؛ وجاءت مشيخة زناتة وكتامة إليه فقبلهم وأنزلهم ووصلهم وبذل لهم أموالاً جليلة.

ذكر وفاة حماد بن المنصور وولاية ابنه القائد

في هذه السنة توفي حماد بن بَلكين عمُ المعزِ بن باديس صاحب افريقية، وكان خرج من قلعته منتزهاً فمرض ومات وحمل إلى القلعة فدفن بها. وولي بعده ابنه القائد، وعظم على المعز موته لأن الأمر بينهما كان قد صلح، واستقامت الأمور للمعز بعده وأذعن له أولاد عمه حماد بالطاعة.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة كان بالعراق بردٌ شديد جمد فيه الماء في دجلة والأنهار الكبيرة، فأما السواقي فإنها جمدت كلها ، وتأخر المطر وازدادت دجلة ، فلم يزرع في السواد إلا القليل . وفيها بطل الحج من خراسان والعراق.

وفيها انقضَّ كوكب عظيم استنارت له الأرض فسُمع له دوي عظيم كان ذلك في رمضان. وفيها مات أبو سعد[١] بن ماكولا وزير جلال الدولة في محبسه، وأبو حازم عمر بن أحمد بن ابراهيم العبدوي[٢] النيسابوري الحافظ وهو من مشايخ خطيب بغداد. وأبو الحسن علي بن أحمد بن عمر الحمامي المقري[٣] مولده سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة[٤].

---

(١) في البداية والنهاية وغيره « أبو سعيد » بزيادة ياء مثناة من تحت وقد تقدم أيضاً كذلك. واسمه عبد الواحد ابن أحمد بن جعفر بن ماكولا.

(٢) في الأصل « العبدري » بالراء بعد الدال المهملة وهو تصحيف صححناه من الانساب وغيره. كتب عن عشرة أنفس عشرة آلاف جزء توفي بنيسابور يوم عيد الفطر.

(٣) انتهى اليه علو الاسناد في القرآن توفي في شعبان.

(٤) وممن مات هذه السنة من الأعيان صاعد بن الحسن بن عيسى أبو العلاء الربعي البغدادي اللغوي الأديب. نزل الأندلس وصنف الكتب منها كتاب الفصوص على طريقة القالي في الأمالي صنفه للمنصور بن ابي عامر فاجازه عليه خمسة آلاف دينار ثم قيل له: إنه كذاب متهم فلم يعتن بالكتاب ورماه في البحر ورفضه الناس فلم ينتشر، وأبو بكر عبد الله بن أحمد القفال المروزي شيخ الشافعية بخراسان. كان في ابتداء امره يعمل الاقفال وحذق في عملها حتى صنع قفلاً بآلاته ومفتاحه وزنه أربع حبات فلما صار ابن ثلاثين سنة اشتغل بالعلم وتفقه حتى برع فيه وفاق اقرانه مات في جمادى الآخرة وله تسعون سنة، وأبو نصر بن الجندي محمد بن أحمد بن هارون الغساني الدمشقي امام الجامع ونائب الحكم ومحدث البلد. روى عن خيثمة، وعلي بن أبي العقب وجماعة وكان ثقة مأموناً توفي في صفر.

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وأربعمائة

ذكر الحرب بين علاء الدولة وإصبهبذ ومن معه وما تبع ذلك من الفتن

في هذه السنة في ربيع الأول كانت حرب شديدة بين علاء الدولة بن كاكويه وبين الإصبهبذ ومن معه، وكان سببها ما ذكرناه من خروج علي بن عمران عن طاعة علاء الدولة، فلما فارقه اشتد خوفه من علاء الدولة فكاتب اصبهبذ صاحب طبرستان ـ وكان مقيماً بالري ولكين بن ندرين ـ وحثه على قصد بلاد الجبل، وكاتب أيضاً منوجهر بن قابوس بن شمكير واستمدَه وأَوْهَم الجميعَ أن البلاد في يده لا دافع له عنها، وكان إصبهبذ معادياً لعلاء الدولة فسار هو وولكين إلى همذان فملكاها وملكا أعمالَ الجبل وأجْلَيا عنها عمالَ علاء الدولة، وأتاهم عسكر منوجَهر وعلي بن عمران، فازدادوا قوة وساروا كلهم إلى أصبهان، فتحصن علاء الدولة بها وأخرج الأموال فحصروه وجرى بينهم قتال استظهر فيه علاء الدولة، وقصده كثير من ذلك العسكر، وهو يبذل لمن يجيء إليه المال الجزيل ويحسن إليهم. فأقاموا أربعة أيام وضاقت عليهم الميرة، فعادوا عنها وتبعهم علاء الدولة واستمال الجوزقان فمال إليه بعضهم، وتبعهم إلى نهاوند فالتقوا عندها واقتتلوا قتالاً كَثُرَ فيه القتلى والأسرى، فظفر علاء الدولة وقتل ابنين لِوَلْكين في المعركة، وأُسر الأصبهبذ وابنان له، ووزيره ومضى وَلْكين في نفرٍ يسير إلى جرجان، وقصد علي بن عمران قلعة كنكور فتحصن بها فسار إليه علاء الدولة فحصره بها، وبقي إصبهبذ محبوساً عند علاء الدولة إلى أن توفي في رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة. ثم ان ولكين بن وندرين سار بعد خلاصِهِ من الوقعة إلى منوجهر بن قابوس وأطمعه في الري وملكها وهون عليه أمر البلاد لا سيما مع اشتغال علاء الدولة بمحاصرة علي بن عمران، وانضاف إلى ذلك أن وَلَدَ ولكين كان صهر علاء الدولة على ابنته وقد أقطعه علاء الدولة مدينة قُمْ فعصى عليه وسار مع أبيه وأرسل إليه يحثه على قصد البلاد؛ فسار

إليها ومعه عساكره وعساكر منوجهر حتى نزلوا على الري وقاتلوا مجد الدولة بن بويه ومن معه.

وجرى بين الفريقين وقائع استظهر فيها أهل الري، فلما رأى علاء الدولة ذلك صالح علي بن عمران، فلما بلغ ولكين الصلح بين علاء الدولة وعلى بن عمران رحل عن الري من غير بلوغ غرض، فتوجه علاء الدولة الى الري وراسل منوجهر ووبخه وتهدده وأظهر قصد بلاده، فسمع أن علي بن عمران قد كاتب منوجهر وأطمعه ووعده النُصرة وحثّه على العود إلى الري. فعاد علاء الدولة عن قصد بلاد منوجهر وتجهز لقصد علي بن عمران، فأرسل ابن عمران إلى منوجهر يستمدُّه فسيّر إليه ستمائة فارس وراجل مع قائد من قواده: وتحصن ابن عمران وجمع عنده الذخائر بكنكور، وقصده علاء الدولة وحصره وضيق عليه ففني ما عنده، فأرسل يطلب الصلحَ فاشترط علاء الدولة أن يسلم قلعة كنكور والذين قتلوا أبا جعفر ابن عمه، والقائد الذي سيره إليه منوجهر. فأجابه إلى ذلك وسيرهم إليه فقتل قَتَلَةَ ابن عمه وسجنَ القائدَ وتسلم القلعة وأقطع علياً عوضاً عنها مدينة الدينَور. وأرسل منوجهر إلى علاء الدولة فصالحه فأطلق صاحبه.

ذكر عصيان البطيحة على أبي كاليجار

في هذه السنة عصى أهل البطيحة على الملك أبي كاليجار، ومقدمهم أبو عبد الله الحسين بن بكر الشرابي الذي كان قديماً صاحب البطيحة وقد تقدم خبره.

وكان سبب هذا الخلاف أن الملك أبا كاليجار سيّر وزيره أبا محمد بن بابشاذ إلى البطيحة فعسف الناس وأخذ أموالهم، وأمر الشرابي فوضع على كل دار بالصَّلِيق قسطاً ـ وكان في صحبته ـ ففعل ذلك فتفرقوا في البلاد وفارقوا أوطانهم. فعزم من بقي على أن يستدعوا من يتقدم عليهم في العصيان على أبي كاليجار. وقتل الشرابي وكان ينسبون كل ما يجري عليهم من الشرابي، فعلم الشرابي بذلك فحضر عندهم واعتذر إليهم، وبذل من نفسه مساعدتهم على ما يريدونه فرضوا به، وحلفوا له وحلف لهم وأمرهم بكتمان الحال، وعاد إلى الوزير فأشار عليه بإرسال أصحابه إلى جهات ذكرها ليحصّلوا الأموال فقبل منه ثم أشار عليه بإحدارِ سفنه إلى مكان ذكره ليصلح ما فسد منها ففعل، فلما تمَّ له ذلك وثب هو وأهل البطيحة عليه وأخرجوه من عندهم، وكان عندهم جماعة من عسكر جلال الدولة في الحبس فأخرجوهم واستعانوا بهم واتفقوا معهم،

وفتحوا السواقي وعادوا إلى ما كانوا عليه أيام مهذب الدولة وقاتلوا كل من قصدهم وامتنعوا فتم لهم ذلك. ثم قصده ابن المعبراني فاستولى على البطيحة وفارقها الشرابي إلى دبيس بن مزيد فأقام عنده مكرماً.

ذكر صلح أبي كاليجار مع عمه صاحب كرمان

في هذه السنة استقر الصلح بين أبي كاليجار وبين عمه أبي الفوارس صاحب كرمان. وكان أبو كاليجار قد سار إلى كَرْمان لقتال عمه وأخذ كرمان منه، فاحتمى منه بالجبال. وحمى الحر على أبي كاليجار وعسكره فكثرت الأمراض، فتراسلا في الصلح فاصطلحا على أن يكون كرمان لأبي الفوارس وبلاد فارس لأبي كاليجار ويحمل إلى عمه كل سنة عشرين ألف دينار، ولما عاد أبو كاليجار إلى الأهواز جعل أمور دولته إلى العادل بن مافنة فأجابه بعد امتناع، وكان مولد العادل بكازَرُوْن[1] سنة ستين وثلاثمائة؛ وشرط العادل أن لا يعارض في الرأي بفعله فأجيب إلى ذلك.

ذكر الخطبة لجلال الدولة ببغداد وإصعاده إليها

في هذه السنة في جمادى الأولى خطب للملك جلال الدولة أبي طاهر بن بهاء الدولة ببغداد، وأصعد إليها من البصرة، فدخلها ثالث شهر رمضان، وكان سبب ذلك أن الأتراك لما رأوا أن البلاد تخرب وأن العامة والعرب والأكراد قد طمعوا وأنهم ليس عندهم سلطان يجمع كلمتهم قصدوا دار الخلافة. وأرسلوا يعتذرون إلى الخليفة من انفرادهم بالخطبة لجلال الدولة أولا، ثم برده ثانياً، وبالخطبة لأبي كاليجار ويشكرون الخليفة حيث لم يخالفهم في شيء من ذلك وقالوا: إن أمير المؤمنين صاحب الأمر ونحن العبيد، وقد أخطأنا ونسأل العفو، وليس عندنا الآن من يجمع كلمتنا، ونسأل أن ترسل إلى جلال الدولة ليصعد إلى بغداد ويملك الأمر ويجمع الكلمة ويخطب له فيها ويسألون أن يحلفه الرسول السائر لاحضاره لهم فأجابهم الخليفة إلى ما سألوا، وراسله هو وقواد الجند في الإصعاد واليمين للخليفة والأتراك فحلف لهم وأصعد إلى بغداد وانحدر الأتراك إليه فلقوه في الطريق، وأرسل الخليفة إليه القاضي أبا جعفر السمناني فأعاد تجديد العهد عليه للخليفة والأتراك ففعل، ولما وصل إلى بغداد نزل النجمي

---

(١) كازرون: مدينة بفارس بين البحر وشيراز.

فركب الخليفة في الطيار وانحدر يلتقيه، فلما رآه جلال الدولة قبّل الأرض بين يديه وركب في زبزبه ووقف قائماً فأمره الخليفة بالجلوس فخدم وجلس، ودخل إلى دار المملكة بعد أن مضى إلى مشهد موسى بن جعفر فزار، وقصد الدار فدخلها وأمر بضرب الطبل أوقات الصلوات الخمس، فراسله الخليفة في منعه فقطعه غضباً حتى أذن له في إعادته ففعل، وأرسل جلال الدولة مؤيد الملك أبا علي الرخجي الى الأثير عنبر الخادم ـ وهو عند قرواش وقد ذكرنا ذلك ـ يعرّفه اعتضادَه به واعتماده عليه ومحبته له، ويعتذر إليه عن الأتراك فعذرهم وقال: هم أولاد وإخوة.

ذكر وفاة أبي القاسم بن المغربي وأبي الخطاب

أما أبو القاسم بن المغربي فتوفي هذه السنة بميافارقين وكان عمره ستاً وأربعين سنة[1]، ولما أحس بالموت كتب كتباً عن نفسه إلى كل من يعرفه من الأمراء والرؤساء الذين بينه وبين الكوفة، ويعرفهم أن حظية له توفيت، وأنه قد سيّر تابوتها إلى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام، وخاطبهم في المراعاة لمن في صحبته، وكان قصده أن لا يتعرض أحد لتابوته بمنع وينطوي خبره، فلما توفي سار به أصحابه كما أمرهم وأوصلوا الكتب فلم يعرض أحد إليه فدفن بالمشهد ولم يعلم به أحد إلا بعد دفنه، ولأبي القاسم شعر حسن فمنه هذه الأبيات:

وما ظبيةٌ أدماءُ تَحنو على طلا ... ترى الإنسَ وحشاً وهي تأنسُ بالوحشِ
غدتْ فارتَعَتْ ثم انثَنتْ لرضاعِهِ ... فلم تُلْفِ شيئاً من قوائمه الحمشِ
فطافتْ بذاكَ القاعِ وَلْهَى فصادفتْ ... سِباعَ الفَلا ينهشنه أيَّما نهشِ
بأوجعَ مني يومَ ظَلت أناملٌ ... تودعني بالدرِّ من شَبَك النقشِ

(١) الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن يوسف ولد في مصر وزير من الدهاء والعلماء والأدباء. قتل الحاكم الفاطمي أباه وعمه وإخوته. فقصد حسان بن مفرج الطائي ومدحه فأكرم مورده وتقلبت به الأحوال إلى أن استوزره مشرف الدولة البويهي ببغداد ثم وزر لصاحب ميافارقين أحمد بن مروان الكردي اختلف في مدة حياته. فقال ابن كثير: ولد سنة ٣٩٠ وتوفي عن خمس وأربعين سنة وقال الزركلي: ولد سنة ٣٧٠ وتوفي سنة ٤١٨ بينما ابن العماد قال إنه عاش ثمانياً واربعين سنة.
له كتب منها: الإيناس وأدب الخواص ومختصر إصلاح المنطق وديوان شعر ونثر. وهو الذي وجه إليه المعري رسالة المنيح. البداية والنهاية ٢٥/١٢ الاعلام ٢٦٦/٢ شذرات الذهب ٢١٠/٣.

وأجمـالُهم تخدي وقـد خيّلِ الهـوى ... كـأنَّ مطايَـاهُمُ على نـاظـري تمشي
وأعجبُ ما في الأمر أنْ عشتُ بعدَهُمْ ... على أنهم مـا خلفـوا لي من بـطشِ

وأما أبو الخطاب حمزة بن ابراهيم(١) فإنه مات بكَرْخ سامُرا مفلوجاً غريباً قد زال عنه أمره وجَاهه، وكان مولده سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ورثاه المرتضى. كان سبب اتصاله ببهاء الدولة معرفة النجوم وبلغ منه منزلة لم يبلغها أمثاله فكان الوزراء يخدمونه، وحمل إليه فخر الملك مائة ألف دينار فاستقلها وصار أمره إلى ما صار من الضيق والفقر والغربة.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة سقط في العراق جمعية بردٌ كِبار يكون في الواحدة رطلٌ أورطلان، وأصغره كالبيضة فأهلك الغلات ولم يصح منها إلا القليل، وفيها آخر تشرين الثاني هبت ريح باردة بالعراق جمد منها الماء والخل وبطل دوران الدواليب على دجلة. وفيها انقطع الحج من خراسان والعراق، وفيها نقضت الدار المعزية وكان معز الدولة بن بويه بناها وعظمها وغرم عليها ألف ألف دينار، وأول من شرع في تخريبها بهاء الدولة: فإنه لما عمر داره بسوق الثلاثاء، نقل إليها من انقاضها وأخذ سقفا منها، وأراد أن ينقله إلى شيراز فلم يتم ذلك، فبذل فيه من يحك ذهبه ثمانية آلاف دينار. ونقضت الآن وبيع أنقاضها. وفيها توفي هبة الله بن الحسن بن منصور أبو القاسم اللالكائي الرازي(٢) سمع الحديث الكثير وتفقه على أبي حامد الاسفرايني وصنف كتباً. وأبو القاسم طباطبا الشريف العلوي(٣) وله شعر جيد فمنه أن صديقاً له كتب إليه رقعة فأجابه على ظهرها هذه الأبيات:

وقـرأتُ الـذي كـتبـتَ ومـا زا ... لَ نَجيي ومُؤنسي وسَميري

---

(١) حمزة بن ابراهيم بن عبد الله ابو الخطاب المنجم حظي عند بهاء الدولة وعلماء النجوم، ثم نكب وصار أمره الى الضيق والفقر والغربة. رثاه الشريف الرضي. البداية والنهاية ١٢/ ٢٧. الاعلام ٢/ ٣٠٧.

(٢) البداية والنهاية ١٢/ ١٦ ط. دار الكتب العلمية ببيروت. شذرات الذهب ٣/ ٢١١ الاعلام ٩/ ٥٧.

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم طباطبا، الحسني العلوي، ابو الحسن شاعر مغلق وعالم بالأدب! مولده ووفاته بأصبهان. له كتب.

وغـدا الفـالُ بـامتـزاجِ السـطو ... رِ حاكماً بـامتزاجِ مـا في الضمِيرِ
وآقتـرانُ الكـلام لفـظاً وخـطاً ... شـاهـداً بـاقتـرانِ ودٍّ [1] الصـدورِ
وتبـركتُ بـاجتمـاعِ الكـلامي ... ـن رجـاءَ آجتمـاعنـا في سـرورِ
وتفـاءلتُ بـالـظهـورِ على الـوا ... شي فصارت إجابتي في الصـدور

ثم دخلت سنة تسع عشرة وأربعمائة

ذكر الحرب بين بدران وعسكر نصر الدولة

في هذه السنة في جماديِ الأولى سار بدران بن المقلد العقيلي في جمع من العرب إلى نَصيبين وحصرها، وكانت لنصر الدولةبن مروان ، فخرج إليه عسكر نصر الدولة الذين بها وقاتلوه، فهزمهم واستظهر عليهم وقتل جماعة من أهل نَصيبين والعسكر فسيّر نصر الدولة عسكراً آخر نجدة لمن بنَصيبين، فأرسل إليهم بدران عسكراً فلقوهم فقاتلوهم وهزموهم وقتلوا أكثرهم. فأزعج ذلك ابن مروان وأقلقه، فسيّر عسكراً آخر ثلاثة آلاف فارس فدخلوا نصيبين واجتمعوا بمن فيها وخرجوا إلى بدران، فاقتتلوا فانهزم بدران ومن معه بعد قتال شديد وقت الظهر، وتبعهم عسكر ابن مروان، ثم عطف عليهم بدران وأصحابه فلم يثبتوا له فأكثر فيهم القتل والأسر وغنم الأموال، فعاد عسكر ابن مروان مفلولين، فدخلوا نصيبين فاجتمعوا بها واقتتلوا مرة أخرى وكانوا على السواء، ثم سمع بدران بأن أخاه قرواشاً قد وصل إلى الموصل، فرحل خوفاً منه لأنهما كانا مختلفين.

ذكر شغب الأتراك ببغداد على جلال الدولة

في هذه السنة ثار الأتراك ببغداد على جلال الدولة وشَغِبوا وطالبوا الوزير أبا علي بن ماكولا بما لهم من العلوفة والأدرار، ونهبوا داره ودور كتاب الملك وحواشيه حتى المغنين والمخنثين، ونهبوا صياغات أخرجها جلال الدولة لتضرب دنانير ودراهم وتفرق فيهم، وحصروا جلال الدولة في داره ومنعوه الطعام والماء حتى شرب أهله ماء البئر وأكلوا ثمرة البستان، فسألهم أن يمكنوه من الانحدار فاستأجروا له ولأهله وأثقاله سفناً، فجعل بين الدار والسفن سرادقاً لتجتاز حرمه فيه لئلا يراهم العامة والأجناد، فقصد بعض الأتراك السرادقَ فظن جلال الدولة أنهم يريدون الحرم، فصاح بهم يقول

لهم: بلغ أمركم إلى الحرم، وتقدم إليهم وبيده طَبر[1] فصاح صغار الغلمان والعامة: جلال الدولة يا منصور ونزل أحدهم عن فرسه وأركبه إياه وقبلوا الأرض بين يديه، فلما رأى قواد الأتراك ذلك هربوا إلى خيامهم بالرملة وخافوا على نفوسهم، وكان في الخزانة سلاح كثير فأعطاه جلال الدولة أصاغر الغلمان وجعلهم عنده، ثم أرسل إلى الخليفة ليصلح الأمر مع أولئك القواد فأرسل إليهم الخليفة القادر بالله فأصلح بينهم وبين جلال الدولة، وحلفوا فقبلوا الأرض بين يديه ورجعوا إلى منازلهم، فلم يمض غير أيام حتى عادوا إلى الشغب فباع جلال الدولة فرشه وثيابه وخيمه، وفرق ثمنها فيهم حتى سكنوا.

ذكر الاختلاف بين الديلم والأتراك بالبصرة

في هذه السنة ولي النفيس أبو الفتح محمد بن أردشير البصرة استعمله عليها جلال الدولة، فلما وصل إلى المَشَان[2] منحدراً إليها، وقع بينه وبين الديلم الذين بالمشان وقعة استظهر عليهم وقتل منهم. وكانت الفتن بالبصرة بين الأتراك والديلم، وبها الملك العزيز أبو منصور بن جلال الدولة، فقوي الأتراك بها فاخرجوا الديلم، فمضوا الى الأبَلَةِ وصاروا مع بختيار بن علي، فسار إليهم الملك العزيز بالأُبُلّة لِيُعيدَهم ويصلح بينهم وبين الأتراك، فكاشفوه وحملوا عليه ونادوا بشعار أبي كاليجار، فعاد منهزماً في الماء الى البصرة، ونهب بختيار نهر الدير. والأُبُلّة، وغيرهما من السواد وأعانه الديلم، ونهب الأتراك أيضاً وارتكبوا المحظور ونهبوا دارَ بنتِ الأوحد بن مكرم زوجة جلال الدولة.

ذكر استيلاء أبي كاليجار على البصرة

لما بلغ الملك أبا كاليجار ما كان بالبصرة سيّر جيشاً إلى بختيار وأمره أن يقصد البصرة فيأخذها فساروا إليها وبها الملك العزيز بن جلال الدولة فقاتلهم ليمنعهم فلم يكن له بهم قوة، فانهزم منهم وفارق البصرة، وكاد يهلك هو ومن معه عطشاً فمنَّ الله

---

(١) بفتح أوله وثانيه باء موحدة مفتوحة وآخره راء الفأس من السلاح، وفي البداية والنهاية ١٧/١٢ « فهي له - أي لجلال الدولة - برذون رث فخرج وفي يده طير نهاراً فجعلوا لا يلتفتون إليه ولا يفكرون فيه، فلما عزم على الركوب على ذلك البرذون الرث رثوا له ورقوا له ولهيئته وقبلوا الأرض بين يديه » الخ، وقع في البداية والنهاية « الطير » بباء مثناة من تحت وهو تصحيف.

(٢) بالفتح، بليدة قريبة من البصرة كثيرة الثمر والرطب. معجم البلدان ١٣١/٥.

عليهم بمطرٍ جودٍ فشربوا منه وأصعدوا إلى واسط، وملك عسكر أبي كاليجار البصرة ونهب الديلم أسواقها، سلم منها البعض بمال بذلوه لمن يحميهم، وتتبعوا أموال أصحاب جلال الدولة من الأتراك وغيره. فلما بلغ جلال الدولة الخبر أراد الانحدار إلى واسط فلم يوافقه الجند وطلبوا منه مالاً يفرق فيهم، فلم يكن عنده فمد يده في مصادرات الناس وأخذ أموالهم لا سيما أرباب الأموال فصادر جماعة.

ذكر وفاة صاحب كَرمان واستيلاء أبي كاليجار عليها

في هذه السنة في ذي القعدة توفي قوام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة صاحب كرمان، وكان قد تجهز لقصد بلاد فارس وجمع عسكراً كثيراً فأدركه أَجَلُه. فلما توفي نادى أصحابه بشعار الملك أبي كاليجار وأرسلوا إليه يطلبونه إليهم، فسار مُجداً وملك البلاد بغير حرب ولا قتال وأمن الناس معه، وكان يكرهون عمه أبا الفوارس لظلمه وسوء سيرته وكان إذا شرب ضرب أصحابه، وضرب وزيره يوماً مائتي مقرعة وحلفه بالطلاق أنه لا يتأوه ولا يخبر بذلك أحداً فقيل: إنهم سموه فمات.

ذكر استيلاء منصور بن الحسين على الجزيرة الدبيسية

كان منصور بن الحسين الأسدي قد ملك الجزيرة الدبيسية، وهي تجاوز خُوزِسْتان، ونادى بشعار جلال الدولة وأخرج صاحبها طراد بن دبيس الأسدي سنة ثمان عشرة وأربعمائة فمات طراد عن قريب. فلمّا مات طراد سار ابنه أبو الحسن علي إلى بغداد يسأل أن يرسل جلال الدولة معه عسكراً إلى بلده ليخرج منصوراً منه ويسلمه إليه، وكان منصور قد قطع خطبة جلال الدولة وخطب للملك أبي كاليجار فسير معه جلال الدولة طائفة من الاتراك، فلما وصلوا إلى واسط لم يقف علي بن طراد حتى تجْتمع معه طائفة من عسكر واسط وسار عجلاً، واتفق أن أبا صالح كوركير[1] كانَ قد هرَب من جلال الدولة وهو يريد اللحاق بأبي كاليجار فسمِع هذا الخبر فقال لمن معه: المصلحة أننا نعين منصوراً ولا نمكن عسكر جلال الدولة من إخراجه ونتخذ بهذا الفعل يداً عند أبي كاليجار فأجابوه إلى ذلك، فسار إلى منصور واجتمع معه والتقوا هم وعسكر جلال

---

(١) في تاريخ ابن خلدون: أبو صالح كوكين. انظر ٤/٦٣٦.

الدولة الذين مع علي بن طراد ببسبروذ[١] فاقتتلوا فانهزم عسكرُ جلال الدولة، وقُتِل علي بن طراد وجماعةٌ كثيرةٌ من الأتراك وهلَكَ كثيرٌ من المنهزمين بالعطش واستقر ملك منصور بها.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة سار الدزبري[٢] وعساكر مصرَ إلى الشام فأوقعوا بصالح بن مرداس، وابن الجراح، الطائي فهزمهما وقتل صالحاً وابنه الأصغر وملك جميع الشام:

---

(١) في تاريخ ابن خلدون: ولقوه بمبرود فهزموه انظر ٤/٦٣٦.

(٢) الدزبري ـ بكسر الدال المهملة، والباء الموحدة، وبينهما زاي وفي الآخر راء ـ نسبة إلى دزبر بن دويتم الديلمي. وفي ذيل دمشق للقلاني «التزبري» بالتاء المثناة من فوق بدل الدال المهملة، وهو تصحيف. وذكر له ترجمة حافلة من ابتداء أمره إلى أن مات. وفيه أن وزير الدولة المصرية الجرجرائي استدعى الدزبري في هذه السنة وقال له: ما تحتاج إليه لخروجك إلى الشام ودمشق؟ فقال: فرسي البرذعية وخيمة استظل بها. فعجب الوزير من مقاله واستعاد فرسه المذكورة من سعيد السعداء وردها إليه، وأطلق له خمسة آلاف دينار، وأصحبه صدقة بن يوسف الفلاحي ناظراً في الأموال ونفقة الرجال. وجردت العساكر معه ولقب بالأمير مظفر منتجب الدولة، وخلع عليه. وخرج إلى مخيمه وجملة من جرد معه سبعة آلاف فارس وراجل سوى العرب.

وسار إلى بيت المقدس وجمع العساكر وقصد صالح بن مرداس وحسان بن مفرج وجموع العرب، عند معرفته بتجميعهم ووقع اللقاء في الأقحوانة، والتقى الفريقان فهزمت جموع العرب، وأخذتهم السيوف ـ وتحكمت فيهم. وكان صالح بن مرداس على فرسه المشهور فوقف به من كد الهزيمة ولم ينهض به، فلحق رجل من العرب يعرف بطريف من فزارة فضربه بالسيف في رأسه وكان مكشوفاً فصاح ووقع ولم يعرفه، وتم في طلب فرسه. فمر به رجل من البادية فعرفه فقطع رأسه وعاد يرقص به فلقيه الأمير عز الدولة رافع فأخذه منه وجاء به إلى الأمير المظفر، فلما رآه نزل عن فرسه وسجد لله شكراً على ما أولاه من الظفر. وركب وأخذه بيده وجعله على ركبته وأطلق للزبيدي الذي جاء به ألف دينار ولعز الدولة رافع خمسة آلاف دينار. وأطلق لطريف الذي ضربه بالسيف فرسه وجوشنه وألف دينار. وأخذ الغلمان الأتراك الذين لصالح نفسه وأحسن إليهم وتقدم بجمع الرؤوس. وأنفذ جثة صالح إلى صيدا لتصلب على بابها وأوصل رأسه إلى الحضرة وخلع على الواصلين به. وأعيدوا ومعهم الخلع وزيادة الألقاب للأمير المنتجب وقرىء سجله عليه. وصار يكاتب ويخاطب بالأمير المظفر سيف الإمام وعدة الخلافة، مصطفى الملك منتجب الدولة إلخ. وصالح بن مرداس الذي قتل قد سبق ذكره في عدة حوادث، ولقبه اسد الدولة، أبو علي صالح بن مرداس بن ادريس الكلابي أول ملوك بني مرداس بحلب، انتزعها من يدي نائبها عن الظاهر ابن الحاكم العبيدي في ذي الحجة سنة سبع عشرة وأربعمائة. وكان ذا بأس وعزيمة وأهل وعشيرة وبعد قتله قام حفيده نصر مقامه.

وقيل: سنة عشرين، وفيها توفيت أم مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه وهي التي كانت تدبر المملكة وترتب الامور. وفيها عزل الحسن بن علي بن جعفر أبو علي بن ماكولا من وزارة جلال الدولة وولي الوزارة بعده أبو طاهر الحسن بن طاهر ثم عزل بعد أربعين يوماً وولي أبو سعد بن عبد الرحيم.

وفيها توفي قسطنطين ملك الروم وانتقل الملك إلى بنت له وقام بتدبير الملك والجيوش زوجها - وهو ابن خالها -[١] وفيها توفي الوزير أبو القاسم جعفر بن محمد بن فسانجس بأَرْبَق[٢]. وفيها عدمت الأرطاب بالعراق للبرد الذي تقدم في السنة قبلها. وكان يحمل من الأماكن البعيدة الشيء اليسير منه. وفيها انقطع الحج من العراق فمضى بعض حجاج خراسان إلى كَرمان وركبوا في البحر إلى جدة وحجوا. وتوفي في هذه السنة محمد بن محمد بن ابراهيم بن مخلد أبو الحسن التاجر[٣] وهو آخر من حدث عن اسماعيل بن محمد الصفار، ومحمد بن عمر والرزاز[٤]، وعمر بن الحسن الشيباني. وكان له مال كثير فسافر إلى مصر خوف المصادرة فأقام بها سنة، ثم عاد إلى بغداد فأخذ ماله في التقسيط على الكَرخ الذي ذكرناه سنة ثمان عشرة وأربعمائة فافتقر، فلما مات لم يوجد له كفن فأرسل له القادر بالله ما يكفن فيه.

---

(١) واسمه ارمانوس ولم يكن من بيت الملك وجعلت ولاية العهد في ارمانوس المذكور ولبس الخف الأحمر وتسمى قيصراً.

(٢) بفتح أوله وسكون ثانيه وباء موحدة مفتوحة وقد تضم وقاف: من نواحي رامهرمز من نواحي خوزستان.

(٣) البداية والنهاية ١٢/ ٢٧. شذرات الذهب ٣/ ٢١٤.

(٤) علي بن أحمد بن محمد بن داود البغدادي ابو الحسن الرزاز شذرات الذهب ٣/ ٢١٣.

ثم دخلت سنة عشرين وأربعمائة

ذكر ملك يمين الدولة الري وبلد الجبل

في هذه السنة سار يمين الدولة محمود بن سبكتكين نحو الري، فانصرف منوجهر بن قابوس من بين يديه ـ وهو صاحب جرجان، وطبرستان ـ وحمل إليه أربعمائة ألف دينار وأنزالاً كثيرة، وكان مجدُ الدولة بن فخر الدولة بن بويه صاحب الري قد كاتبه يشكو إليه جنده، وكان متشاغلاً بالنساء ومطالعة الكتب ونسخها، وكانت والدته[1] تدبر مملكته، فلما توفيت طمع جنده فيه، واختلت أحواله؛ فحين وصلت كتبه إلى محمود سيّر إليه جيشاً وجعل مقدمهم حاجبه، وأمره أن يقبض على مجد الدولة. فلما وصل العسكر إلى الري ركب مجد الدولة يلتقيهم فقبضوا عليه وعلى أبي دلف ولده. فلما انتهى الخبر إلى يمين الدولة بالقبض عليه سار إلى الري فوصلها في ربيع الآخر ودخلها، وأخذ من الأموال الف ألف دينار، ومن الجواهر ما قيمته خمسمائة ألف دينار، ومن الثياب ستة آلاف ثوب، ومن الآلات وغيرها ما لا يُحصى وأحضر مجد الدولة وقال له: أما قرأت شاه نامه ـ وهو تاريخ الفرس، وتاريخ الطبري وهو تاريخ المسلمين؟ قال: بلى. قال: ما حالك حال من قرأها، أما لعبت بالشطرنج؟ قال: بلى. قال: فهل رأيت شاهاً يدخل على شاه؟ قال: لا. قال: فما حملك على ان سلمت نفسك الى من هو أقوى منك؟ ثم سيره الى خراسان مقبوضاً. ثم ملك قزوين وقلاعها؛ ومدينة سَاوَة، وآبه[2] ويافت وقبض على صاحبها

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون ٤/٦٢٠.

(٢) في تاريخ ابن خلدون ٤/٦٤٧ وردت «آوة» وقد قال ياقوت الحموي في معجمه ١/٥٠: قال ابو سعد: قال الحافظ ابو بكر أحمد بن موسى بن مردويه: آبه من قرى أصبهان، وقال غيره: إن آبه من قرى ساوه ـ قلت أنا: أما آبه بليدة تقابل ساوه تعرف بين العامة بآوه فلا شك فيها، واهلها شيعة، وأهل ساوه سُنيّة.

وَلكين بن ونَدرين ، وسيّره الى خراسان .

ولما ملك محمود الري كتب الى الخليفة القادر بالله يذكر أنه وجد لمجد الدولة من النساء الحرائر ما يزيد على خمسين امرأة ولدن له نيفاً وثلاثين ولداً . ولما سئل عن ذلك قال: هذه عادة سلفي ، وصلب من أصحابه الباطنية خلقاً كثيراً، ونفى المعتزلة الى خراسَان وأحرق كتب الفلسفة ومذاهب الاعتزال والنجوم ، وأخذ من الكتب ما سوى ذلك مائة حمل وتحصن منه منوجهر بن قابوس بن وشكمير بجبالٍ حصينةٍ وَعرةِ المسالك فلم يشعرْ إلا وقد أطل عليه يمين الدولة فهرب منه إلى غياض حصينة وبذل خمسمائة ألف دينار ليصلحه ، فأجابه إلى ذلك فأرسل المال اليه فسار عنه الى نيسابور، ثم توفي منوجهر عقيب ذلك، وولي بعده ابنه أنو شروان فأقره محمود على ولايته وقرر عليه خمسمائة الف دينار أخرى ، وخطب لمحمود في أكثر بلاد الجبل إلى حدود أرمينية ، وافتتح ابنه مسعود زَنْجَان ، وأَبْهَر[1] ، وخطب له علاء الدولة بأصبهان ، وعاد محمود الى خراسان واستخلف بالري ابنه مسعوداً ، فقصد أصبهان وملكها من علاء الدولة ، وعاد عنها ، واستخلف بها بعض أصحابه ، فثار به أهلها فقتلوه فعاد إليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة نحو خمسة آلاف قتيل وسار الى الري فأقام بها .

ذكر ما فعله السالار ابراهيم بن المرزبان بعد عود يمين الدولة عن الري

هذا السالار هو ابراهيم بن المرزبان بن اسماعيل وهسوذان بن محمد بن مسافر الديلمي ، وكان له من البلاد سَرْجَهَان ، وزَنْجَان ، وأَبْهَر ، وشَهْرَزُور ، وغيرها وهي ما استولى عليها بعد وفاة فخر الدولة بن بويه ، فلما ملك يمين الدولة محمود بن سبكتكين الري سيّر المرزبان بن الحسن بن خراميل ـ وهو من أولاد ملوك الديلم ـ وكان قد التجأ إلى يمين الدولة فسيّره الى بلاد السالار ابراهيم ليملكها ، فقصدها واستمال الديلم فمال اليه بعضهم ، واتفق عودُ يمين الدولة إلى خراسان ، فسار السالار إبراهيم

---

(١) زَنْجَان : (زَنْكان) بلد كبير مشهور قرب أذربيجان والجبال. وأَبْهَرْ : (أَوْهَرْ)، مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحي الجبل. معجم البلدان.

إلى قزوين وبها عسكر يمين الدولة ، فقاتلهم فأكثر القتل فيهم ، وهرب الباقون ، وأعانه أهل البلد وسار السالار أيضاً إلى مكان يقرب سَرْجَهان[1] تطيف به الأنهار والجبال فتحصن به ، فسمع مسعود بن يمين الدولة ـ وهو بالري ـ بما فعل ، فسار مُجِداً الى السالار ، فجرى بينهما وقائع كان الاستظهار فيها للسالار. ثم إن مسعوداً راسلَ طائفة من جند السالار واستمالهم وأعطاهم الأموال ، فمالوا اليه ودلوه على عورة السالار وحملوا طائفة من عسكره في طريق غامضة حتى جعلوه من ورائهم ، وكبسوا السالار أول رمضان وقاتله مسعود من بين يديه وأولئك من خلفه فاضطرب السالار ومن معه وانهزموا وطلب كل انسان منهم مهرباً ، واختفى السالار في مكانه فدلّتْ عليه امرأة سوادية فأخذه مسعود وحمله الى سَرْجَهَان وبها ولده ، فطلب منه أن يسلمها فلم يفعل فعاد عنها وتسلم باقي قلاعه وبلاده ، وأخذ أمواله وقرر على ابنه القيم بسرجهان مالاً وعلى كل من جاوره من مقدمي الأكراد وعاد الى الري .

ذكر ملك أبي كاليجار مدينة واسط ، ومسير جلال الدولة الى الأهواز ونهبها وعود واسط اليه

في هذه السنة أصعد الملك أبو كاليجار الى مدينة واسط فملكها ، وكان ابتداء ذلك أن نور الدولة دبيس بن علي بن مزيد صاحب الحلة ، والنيل ـ ولم تكن الحلة بنيت ذلك الوقت ـ خطب لأبي كاليجار في أعماله ، وسببه أن أبا حسان المقلِّد بن أبي الأغر الحسن بن مزيد كان بينه وبين نور الدولة عداوة ، فاجتمع هو ومنيع أمير بني خفاجة وأرسلا إلى بغداد يبذلان مالاً يتجهز به العسكر لقتال نور الدولة ، فاشتد الأمر على نور الدولة فخطب لأبي كاليجار وراسله يطمعه في البلاد . ثم اتفق أنه ملك البصرة على ما ذكرنا . فقوي طمعه فسار من الأهواز الى واسط وبها الملك العزيز بن جلال الدولة ومن معه جمع من الأتراك ففارقها العزيز وقصد النُّعمانية[2] ، فَفَجَّر عليه نور الدولة البثوق من بلده ، فهلك كثير من أثقالهم وغرق جماعة منهم وخطب في البطيحة لأبي كاليجار وورد إليه نور الدولة .

---

(١) سرجهان : قلعة حصينة على طرف جبال الديلم . وشهرزور : كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان .

(٢) النُّعْمانية : بليدة بين واسط وبغداد . معجم البلدان ٥/٢٩٤ .

وأرسل أبو كاليجار إلى قرواش صاحب الموصل ـ وعنده الأثير عنبر ـ يطلب منه أن ينحدر إلى العراق ليبقى جلال الدولة من(٣) الفريقين فانحدر إلى الكحيل فمات به الأثير عنبر ، ولم ينحدر معه قرواش ، وجمع جلال الدولة عساكره واستنجد أبا الشوك ، وغيره ، وانحدر الى واسط ولم يكن بين العسكرين قتال وتتابعت الأمطار حتى هلكوا . واشتد الأمر على جلال الدولة لفقره وقلة الأموال وغيرها عنده ، فاستشار أصحابه فيما يفعل ، فأشاروا أن يقصد الأهواز وينهبها ويأخذ ما بها من أموالِ أبي كاليجار وعسكره. فسمع أبو كاليجار ذلك فاستشار أيضاً أصحابه فقال بعضهم : ما عدل جلال الدولة عن القتال إلا لضعف فيه والرأي أن تسير الى العراق فتأخذ من أموالهم ببغداد أضعاف ما يأخذون منا فاتفقوا على ذلك ، فأتاهم جاسوسٌ من أبي الشوك يخبر بمجيء عساكر محمود بن سبكتكين الى طخر ، وأنهم يريدون العراق ويشير بالصلح واجتماع الكلمة على دفعهم عن البلاد .

فأنفذ أبو كاليجار الكتاب الى جلال الدولة وقد سارَ الى الأهواز ، وأقام ينتظرُ الجواب ظناً منه أن جلال الدولة يعود بالكتاب ، فلم يلتفت جلال الدولة ومضى الى الأهواز فنهبها وأخذ من دار الإمارة مائتي ألف دينار . وأخذوا مالا يُحصى ، ودخل الأكراد ، والأعراب ، وغيرهم الى البلد فأهلكوا الناس بالنهب والسبي ، وأخذت والدة أبي كاليجار ، وابنته ، وأم ولده وزوجته ، فماتت أمه ، وحمل من عداها الى بغداد . ولما سمع أبو كاليجار الخبر سار ليلقى جلال الدولة ، فتخلف عنه دبيس بن مزيد خوفاً على أهله وحلله من خفاجة ، والتقى أبو كاليجار ، وجلال الدولة آخر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين فاقتتلوا ثلاثة ايام وانهزم أبو كاليجار وقتل من أصحابه ألفا رجل ووصل الى الأهواز بأسوأ حال ، فأتاه العادل بن مافنّة بمالٍ فحسُنت حاله . وأما جلال الدولة فإنه عاد واستولى على واسط وجعل ابنه العزيز ، وأصعد الى بغداد ومدحه المرتضى ومهيار وغيرهما وهنأوه بالظفر.

ذكر حال دبيس بن مزيد بعد الهزيمة

لما عاد دبيس بن مزيد الأسدي وفارق أبا كاليجار ، وصل الى بلده وكان قد

خالف عليه قوم من بني عمه ونزلوا الجامعين فأتاهم وقاتلهم ، فظفر بهم وأسر منهم جماعة منهم : شبيب ، وسرايا ، ووهب بنو حماد بن مزيد . وأبو عبدالله الحسن بن أبي الغنائم بن مزيد وحملهم الى الجَوْسَق ، ثم ان المقلد بن أبي الأغر بن مزيد وغيره اجتمعوا ومعهم عسكر من جلال الدولة وقصدوا دبيساً وقاتلوه فانهزم منهم ، وأسر من بني عمه خمسة عشر رجلاً ، فنزل المعتقلون بالجوسق ، وهَمَّ شبيب وأصحابه إلى حِلله فحرسوها ، وسار دبيس منهزماً إلى السندية الى نجدة الدولة أبي منصور كامل بن قراد فاستصحبه إلى أبي سنان غريب بن مقن حتى أصلح أمره مع جلال الدولة وعسكره وتكفَّل به وضمن عنه عشرة آلاف دينار سابورية إذا أُعيد الى ولايته فأجيب الى ذلك وخلع عليه ، فعرف المقلِّد الحال ومعه جمع من خفاجة فنهبوا مطير اباذ والنيل وسُورَا[1] أقبح نهب واستاقوا مواشيها وأحرقوا منازلها وعبر المقلد دجلة إلى أبي الشوك وأقام عنده الى ان أَحكم أمره .

ذكر عصيان زناتة ومحاربتهم بأفريقية

في هذه السنة تجمعت زناتة وعاودت الخلاف على المعز بأفريقية ، فبلغ ذلك المعز فجمع عساكره وسار اليهم بنفسه ، فالتقوا بموضع يعرف بحمديس الصابون ووقعت الحرب بين الطائفتين ، واشتد القتال فانهزمت زناتة وقُتل منهم عددٌ كثير ، وأُسر مثلهم ، وعاد المعز ظافراً غانماً .

ذكر ما فعله يمين الدولة وولده بعده بالغز

في هذه السنة أوقع يمين الدولة بالأتراك الغزية وفرقهم في بلاده لأنهم كانوا قد افسدوا فيها ، وهؤلاء كانوا أصحاب ارسلان بن سلجوق التركي ، وكانوا بمفازة بخارى ، فلما عبر يمين الدولة النهر إلى بخارى هرب علي تكين صاحبها منه على ما نذكره وحضر أرسلان بن سلجوق عند يمين الدولة فقبض عليه وسجنه ببلاد الهند ، وأسرى الى خركاهاته فقتل كثيراً من أصحابه ، وسَلِم منهم خلقٌ كثيرٌ فهربوا منه ولحقوا بخراسان فأفسدوا فيها ونهبوا هذه السنة ، فأرسل اليهم جيشاً فسبوهم وأجلوهم

---

(١) النيل بليدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد. وسورا: موضع بالعراق من أرض بابل وهي مدينة السريانيين.

عن خراسان، فسار منهم أهل ألفي خركاة فلحقوا بأصبهان، فكتب يمين الدولة إلى علاء الدولة بانفاذهم أو إنفاذ رؤوسهم فأمر نائبه أن يعمل طعاماً ويدعوهم إليه ويقتلهم، فأرسل إليهم وأعلمهم أنه يريد إثبات أسمائهم ليستخدمهم. وكمن الديلم في البساتين، فحضر جمع كثير منهم فلقيهم مملوك تركي لعلاء الدولة فأعلمهم الحال فعادوا، فأراد نائب علاء الدولة أن يمنعهم من العود فلم يقبلوا منه، فحمل ديلمي من قواد الديلم على انسان منهم فرماه التركي بسهم فقتله، ووقع الصوت بذلك فخرجت الديلم وانضاف إليهم أهل البلد فجرى بينهم حرب فهزموهم فقلع الترك خركاهاتهم وساروا، ولم يجتازوا على قرية إلا نهبوها إلى أن وصلوا إلى وهسوذان بأذربيجان فراعاهم وتفقدهم، وبقي بخراسان أكثر ممن قصد أصبهان فأتوا جبل بلجان ـ وهو الذي عنده خوارزم القديمة ـ فنزل كثير منهم من الجبل إلى البلاد فنهبوا وأخربوا وقتلوا، فجرد محمود سبكتين إليهم أرسلان الجاذب أمير طُوس فسار إليهم ولم يزل يتبعهم نحو سنتين في جموع كثيرة من العساكر، فاضطر محمود إلى قصد خراسان بسببهم فسار يطلبهم من نيسابور إلى دهستان فساروا إلى جرجان، ثم عاد عنهم وجعل ابنه مسعوداً بالري على ما ذكرناه فاستخدم بعضهم ومقدمهم يغمر، فلما مات محمود بن سبكتكين سار مسعود ابنه إلى خراسان وهم معه، فلما ملك غزنة سألوه فيمن بقي منهم بجبل بَلْجان فأذن لهم في العود على شرط الطاعة والاستقامة.

ثم إن مسعوداً قصد بلاد الهند عند عصيان أحمد ينالتكين فعاودوا الفساد، فسيّر تاش فراش[١] في عسكر كثير إلى الري لأخذها من علاء الدولة، فلما بلغ نيسابور ورأى سوء فعلهم دعا مقدميهم وقتل منهم نيفاً وخمسين رجلاً ـ فيهم يغمر ـ فلم ينتهوا وساروا إلى الري، وبلغ مسعوداً ما هم عليه من الشر والفساد فأخذ حللهم وسيرها الى الهند وقطع أيدي كثير منهم وأرجلهم وصلبهم.

(هذه أخبار عشيرة أرسلان بن سلجوق)

وأما اخبار طغرلبك، وداود، وأخيهما بيغو فإنهم كانوا بما وراء النهر وكان من أمرهم ما نذكره بعد إن شاء الله تعالى لأنهم صاروا ملوكاً تجيء أخبارهم على السنين.

ولما أوقع تاش فراش حاجب السلطان مسعود بالغز ساروا الى الري يزعمون أنهم

(١) في ابن خلدون من ٤/٦٣٨: «تاش الفوارس».

يريدون أذربيجان واللحاق بمن مضى منهم أولاً الى هناك ـ ويسمون العراقية ـ وكان اسم أمراء هذه الطائفة كوكتاش ، وبوقا ، وقزل ، ويغمر ، وناصفلي [١] ، فوصلوا الى الدامغان فخرج إليهم عسكرها وأهل البلد ليمنعوهم عنه فلم يقدروا فصعدوا الجبل وتحصنوا به ودخل الغز البلد ونهبوه وانتقلوا الى سمنان ففعلوا فيها مثل ذلك ، ودخلوا خوار الري ففعلوا مثله ، ونهبوا اسحق اباذ وما يجاورها من القرى ، وساروا الى مشكويه من أعمال الري فنهبوها وتجهز أبو سهل الحمدوني ، وتاش فراش وكاتبا الملك مسعوداً وصاحب جرجان ، وطبرستان بالحال ، وطلبا النجدة وأخذ تاش ثلاثة آلاف فارس وما عنده من الفيلة والسلاح وسار الى الغز ليواقعهم وبلغهم خبره فتركوا نساءهم وأموالهم وما غنموا من خراسان وهذه البلاد المذكورة وساروا جريدة فالتقوا فركب تاش الفيل ووقعت الحرب بين الفريقين فكانت أولاً لتاش . ثم إن الغز أسروا مقدم الأكراد الذين مع تاش وأرادوا قتله فقال لهم : استبقوني حتى آمر الأكراد الذين مع تاش بترك قتالكم ، فتركوه وعاهدوه على اطلاقه فأرسل الى الأكراد يقول لهم : إن قاتلتم قتلت ففتروا في القتال .

وحملت الغز وكانوا خمسة آلاف على تاش فراش وعسكره، فانهزم الأكراد وثبت تاش وأصحابه فقتل الغز الفيل الذي تحته فسقط فقتلوه وقطعوه أخذاً بثأر من قتل منهم . وقتل معه عدد كثير من الخراسانية وأكابر القواد ، وغنموا بقية الفيلة وأثقال العسكر، وساروا الى الري فاقتتلوا هم وأبو سهل الحمدوني ، ومن معه من الجند وأهل البلد ، فصعد هو ومن معه قلعة طبرك ودخل الغز البلد ونهبوا عدة محال نهباً واجتاحوا الأموال ، ثم اقتتلوا هم وأبو سهل فأسر منهم ابن اختٍ ليغمر أمير الغز وقائداً كبيراً من قوادهم ، فبذلوا فيهما اعادة ما أخذوا من عسكر تاش واطلاق الأسرى وحمل ثلاثين ألف دينار فقال : لا افعل إلا بأمر السلطان .

وخرج الغز عن البلد ووصل عسكر من جرجان ، فلما قربوا من الري سار إليهم الغز فكبسوهم وأسروا مقدمهم وأسروا معه نحو الفي رجل وانهزم الباقون وعادوا وكان هذا سنة سبع وعشرين وأربعمائة .

---

(١) في ابن خلدون من ٤ /٦٣٨ : « كوكتاش ويرفأ وقزل ويعمر وناصفلي » .

ذكر وصول علاء الدولة إلى الري واتفاقه مع الغز وعودهم إلى الخلاف عليه

لما فارق الغز الري الى اذربيجان علم علاء الدولة ذلك فسار إليها ودخلها ـ وهو يظهر طاعة السلطان مسعود بن سبكتكين ـ فأرسل إلى ابي سهل الحمدوني يطلب منه أن يقرر الذي عليه بمال يؤديه فامتنع من إجابته مخافة علاء الدولة ، فأرسل الى الغز يستدعيهم ليعطيهم الإقطاع ويتقوى بهم على الحمدوني ، فعاد منهم نحو ألف وخمسمائة ، مقدمهم قزل ، وسار الباقون الى أذربيجان ـ فلما وصل الغز الى علاء الدولة أحسن إليهم وتمسك بهم وأقاموا عنده . ثم ظهر على بعض القواد الخراسانية الذين عنده أنه دعا الغز إلى موافقته على الخروج عليه والعصيان ، فأرسل اليه علاء الدولة وأحضره وقبض عليه وسجنه في قلعة طبرك فاستوحش الغز لذلك ونفروا ، فاجتهد علاء الدولة في تسكينهم فلم يفعلوا وعاودوا الفساد والنهب وقطع الطريق ، وعاد علاء الدولة راسل أبا سهل الحمدوني ـ وهو بطبرستان ـ وقرر معه أمر الري ليكون في طاعة مسعود فأجابه الى ذلك وسار الى نيسابور وبقي علاء الدولة بالري .

ذكر ما كان من الغز الذين بأذربيجان ومفارقتها

قد ذكرنا ان طائفة من الغز وصلوا الى أذربيجان ، فأكرمهم وهسوذان وصاهرهم رجاء نصرهم وكفِّ شرهم ، وكان اسماء مقدميهم : بوقا ، وكوكتاش ، ومنصور ، ودانا ، وكان ما أَمَّلَـهُ بعيداً فإنهم لم يتركوا الشر والفساد والقتل والنهب ، وساروا إلى مَرَاغَة فدخلوها سنة تسع وعشرين وأحرقوا جامعها وقتلوا من عوامها مقتلة كثيرة ، ومن الأكراد الهذبانية كذلك وعظم الأمر واشتد البلاء . فلما رأى الأكراد ما حلّ بهم وبأهل البلاد شرعوا في الصلح والاتفاق على دفع شرهم ، فاصطلح أبو الهيجاء بن ربيب الدولة وهسوذان صاحب أذربيجان ، واتفقت كلمتهما واجتمع معهما أهل تلك البلاد ، فانتصفوا من الغز ، فلما رأوا اجتماع أهل البلاد على حربهم انصرفوا عن اذربيجان وتعذر عليهم المقام بها ، ثم انهم افترقوا فسارت طائفة الى الذين على الري ومقدمهم بوقا ، وسارت طائفة منهم ومقدمهم منصور ، وكوكتاش الى همذان فحصروها ـ وبها أبو كاليجار بن علاء الدولة بن كاكويه ـ فاتفق هو وأهل البلاد على قتالهم ودفعهم عن أنفسهم وبلدهم ، فقتل بين الفريقين جماعة كثيرة وطال مقامهم على همذان .

فلما رأى أبو كاليجار بن علاء الدولة ذلك وضعفه عن مقاومتهم راسل كوكتاش وصالحه وصاهره . وأما الذين قصدوا الري فإنهم حصروها وبها علاء الدولة بن كاكويه واجتمع معهم فناخسرو بن مجد الدولة ، وكامر ، والديلمي صاحب ساوة ، فكثر جمعهم واشتدت شوكتهم ، فلما رأى علاء الدولة أنهم كلما جاء أمرهم أزداد قوة وضَعُفَ هو ، خاف على نفسه وفارق البلد في رجب ليلاً ومضى هارباً الى اصبهان ، وأجفل أهل البلد وتمزقوا وعدلوا عن القتال الى الاحتيال للهرب ، وغاداهم الغز من الغد بالقتال فلم يثبتوا لهم ، ودخلوا البلد ونهبوا نهباً فاحشاً وسبوا النساء وبقوا كذلك خمسة أيام حتى لجأ الحرم الى الجامع ، وتفرق الناس في كل مذهب ومهرب ، وكان السعيد من نجا بنفسه ، وكانت هذه الوقعة بعد التي تقدمتها مستأصلة حتى قيل : إن بعض الجمع لم يكن بالجامع إلا خمسين نفساً ، ولما فارق علاء الدولة الري تبعه جمع من الغز فلم يدركوه فعدلوا الى كرج فنهبوها وفعلوا فيها الأفاعيل القبيحة ، ومضى طائفة منهم ومقدمهم ناصغلي الى قزوين فقاتلهم أهلها ثم صالحوهم على سبعة آلاف دينار وصاروا في طاعته ، وكان بأرمية طائفة منهم ، فساروا الى بلد الأرمن فاوقعوا بهم وأثخنوا فيهم وأكثروا القتل وغنموا وسبوا ، وعادوا الى أرمية وأعمال أبي الهيجاء الهذباني فقاتلهم أكرادها لما أنكروه من سوء مجاورتهم فقتل خلق كثير ونهب الغز سواد البلاد هناك وقتلوا من الأكراد كثيراً .

ذكر ملك الغزّ همذان

قد ذكرنا حصار الغزّ همذان وصلحهم مع صاحبها أبي كاليجار بن علاء الدولة بن كاكويه ، فلما كان الآن وملك الغز الري عاودوا حصار همذان وساروا إليها من الري ما عدا قزل وجماعته ، واجتمعوا مع من بها من الغز ، فلما سمع أبو كاليجار بهم علم أنه لا قدرة له عليهم ، فسار عنها ومعه وجوه التجار وأعيان البلد وتحصن بكنكور ، ودخل الغز همذان سنة ثلاثين وأربعمائة واجتمع عليها من مقدميهم كوكتاش ، وبوقا ، وقزل ، ومعهم فناخسرو بن مجد الدولة بن بويه في عدة كثير من الديلم ، فلما دخلوها نهبوها نهباً منكراً لم يفعلوه بغيرها من البلاد غيظاً منهم وحنقاً عليهم حيث قاتلوهم أولاً وأخذوا الحرم ، وضربت سراياهم الى أسداباذ . وقرى الدينور واستباحوا تلك النواحي ، وكان الديلم أشدهم فخرج إليهم أبو الفتح بن أبي

الشوك صاحب الدينور فواقعهم واستظهر عليهم وأسر منهم جماعة ، فراسله أمراؤهم في إطلاقهم فامتنع إلا على صلح وعهود فأجابوه وصالحوه فأطلقهم . ثم إن الغز بهمذان راسلوا أبا كاليجار بن علاء الدولة وصالحوه وطلبوا إليه أن ينزل اليهم ليدبر أمرهم ويصدرون عن رأيه ، وأرسلوا إليه زوجته التي تزوجها منهم فنزل إليهم ، فلما صار معهم وثبوا عليه فانهزم ونهبوا ماله وما كان معه من دواب وغيرها ، فسمع أبوه فخرج من أصبهان الى أعماله بالجبل ليشاهدها ، فوقع بطائفة كثيرة من الغز فظفر بهم وقتل منهم فأكثر وأسر منهم ودخل أصبهان منصوراً .

ذكر قتل الغز بمدينة تبريز وفراقهم أذربيجان الى الهكارية

في سنة اثنتين وثلاثين قتل وهسوذان بن مهلان جمعاً كثيراً من الغز بمدينة تَبْريز ، وكان سبب ذلك أنه دعا جمعاً كثيراً منهم الى طعام صنعه لهم ، فلما طعِموا أو شربوا قبض على ثلاثين رجلاً منهم من مقدميهم ، فضعف الباقون فأكثر فيهم القَتل ، فاجتمع الغز المقيمون بأرمية وساروا نحو بلاد الهكارية من أعمال الموصل ، فقاتلهم أكرادها وقاتلوهم قتالاً عظيماً ، فانهزم الأكراد وملك الغز حللهم ، وأموالهم ، ونساءهم ، وأولادهم وتعلق الأكراد بالجبال والمضايق ، وسار الغز في أثرهم فواقعوهم فظفر بهم الأكراد فقتلوا منهم ألفاً وخمسمائة رجل ، وأسروا جمعاً فيه سبعة من أمرائهم ومائة نفس من وجوههم ، وغنموا سلاحهم ودوابهم وما معهم من غنيمة استردوها ، وسلك الغز طريق الجبال فتمزقوا وتفرقوا ؛ وسمع ابن ربيب الدولة الخبر فسير في آثارهم من يفني باقيهم ، ثم توفي قزل أمير الغز المقيم بالري وخرج إبراهيم ينال أخو السلطان طغرلبك الى الري فلما سمع به الغز المقيمون بها أجفلوا من بين يديه وفارقوا بلاد الجبل خوفاً منه وقصدوا ديار بكر والموصل في سنة ثلاث وثلاثين .

ذكر دخول الغز ديار بكر

في سنة ثلاث وثلاثين فارق الغز أذربيجان ، وسبب ذلك أن ابراهيم ينال ـ وهو أخو طغرلبك ـ سار إلى الري ، فلما سمع الغز الذين بها خبره أجفلوا من بين يديه ، وفارقوا بلاد الجبل خوفاً منه وقصدوا أذربيجان ولم يمكنهم المقام بها لما فعلوا بأهلها ولأن إبراهيم ينال وراءهم وكانوا يخافونه لأنهم كانوا له ولأخويه طغرلبك وداود رعية ، فأخذوا بعض الأكراد وعرفهم الطريق فأخذ بهم في جبال وعرة على الزوزان وخرجوا إلى جزيرة

ابن عمر ، فسار يوقا ، وناصغلي ، وغيرهما إلى ديار بكر ونهبوا قَرْدَىٰ . وبازَبْدَى . والحَسَنِيَّة وفيشابُور(١) ، وبقي منصور بن غزغلي بالجزيرة من الجانب الشرقي فراسله سليمان بن نصر الدولة بن مروان المقيم بالجزيرة في المصالحة والمقام بأعمال الجزيرة إلى أن ينكشف الشتاء ويسير مع باقي الغز إلى الشام فتصالحا وتحالفا . وأضمر سليمان الغدر به فعمل له طعاماً احتفل فيه ودعاه ، فلما دخل الجزيرة قبض عليه وحبسه وانصرف أصحابه متفرقين في كل جهة ، فلما علم بذلك قرواش سيَّر جيشاً كثيفاً إليهم واجتمع معهم الأكراد البشنوية أصحاب فنك ، وعسكر نصر الدولة فتبعوا الغز فلحقوهم وقاتلوهم ، فبذل الغز جميع ما غنموه على أن يؤمنوهم فلم يفعلوا ، فقاتلوا قتالَ من يخاف الموت ، فجرحوا من العرب كثيراً وافترقوا ، وكان بعض الغز قد قصد نَصيبين وسِنْجَار للغارة فعادوا إلى الجزيرة وحصروها ، وتوجهت العرب إلى العراق ليشتوا بها فأخربت الغز ديار بكر ونهبوا وقتلوا . فأخذ نصر الدولة منصوراً أمير الغز من ابنه سليمان وراسل الغز وبذل لهم مالاً واطلاق منصور ليفارقوا عمله ، فأجابوه فاطلق منصوراً وأرسل بعض المال فغدروا وزادوا في الشر ، وسار بعضهم الى نَصيبين ، وسِنْجَار والخابور ، فنهبوا وعادوا ، وسار بعضهم إلى جُهينة وأعمال الفُرْج فنهبوها فدخل قرواش الموصل خوفاً منهم .

ذكر ملك الغز مدينة الموصل

لما خرجوا من أذربيجان إلى جزيرة ابن عمر - وهي من أعمال نصر الدولة بن مروان - سار بعضهم إلى ديار بكر مع أمرائهم المذكورين وسار الباقون إلى البَقْعاء ونزلوا بَرْقَعِيد ، فأرسل اليهم قرواش صاحب الموصل من ينظر فيهم ويُعير عليهم ، فلما رأوا ذلك تقدموا إلى الموصل ، فأرسل إليهم يستعطفهم ويلين لهم وبذل لهم ثلاثة آلاف دينار فلم يقبلوا ، فأعاد مراسلتهم ثانية فطلبوا خمسة عشر ألف دينار فالتزمها وأحضر أهل البلد وأعلمهم الحال، فبينما هم مهتمين بجمع المال وصل الغز إلى الموصل، ونزلوا بالحصباء فخرج إليهم قرواش وأجناده والعامة فقاتلوهم عامة نهارهم وأدركهم

---

(١) قَردىٰ وبازَبْدىٰ: قريتان قريبتان من جبل الجودي بالجزيرة.
والحسنيَّة: بلد في شرق الموصل على يومين بينها وبين جزيرة ابن عمر.
وفيشابور : بليد من نواحي الموصل من ناحية جزيرة ابن عمر.

الليل فافترقوا ، فلما كان الغد عادوا إلى القتال فانهزمت العرب وأهـل البلد وهرب قرواش في سفينة نزلها من داره وخرج من جميع ماله الا الشيء اليسير ، ودخل الغز البلد فنهبوا كثيراً منه ونهبوا جميع ما لقرواش من مال ، وجوهر ، وحلي ، وثياب ، وأثاث، ونجا قرواش في السفينة ومعه نفر، فوصل إلى السِّنِّ[1] وأقام بها وأرسل إلى الملك جـلال الدولة يعرّفه الحال ويطلب النجدة، وأرسل إلى دبيس بن مزيد وغيره من أمراء العرب والاكراد يستمدُّهمْ ويشكو ما نزل به، وعمل الغز بأهل الموصل الأعمال الشنيعة من الفتك، وهتك الحريم، ونهب المال، وسلم عدة محالٍ منها سكة أبي نَجيح والجصاصة، وجارسوك، وشاطيء نهر، وباب القصابين على مال ضمنوه فكفوا عنهم.

ذكر وثوب أهل الموصل بالغز وما كان منهم

قد ذكرنا مُلك الغز الموصل فلما استقر فيهـا قسّطوا على أهلهـا عشرين الف دينار ، وأخذوها ثم تتبعوا الناس وأخذوا كثيراً من أموالهم بحجة أموال العرب ، ثم قسّطوا أربعة آلاف دينار أخرى فحضر جماعة من الغز عند ابن فرغان الموصلي وطالبوا انساناً بحضـرته وأسـاؤوا الأدب والقول ، وجـرى بين بعض الغز وبعض المـواصلة مشاجرة فجرحه الغز وقطع شعره ، وكان للموصلي والدة سليطة فلطخت وجهها بالدم وأخذت الشعر بيدها وصاحت المستغاث بالله وبالمسلمين قد قتل لي ابن وهذا دمه وابنة وهذا شعرها وطافت في الأسواق ، فثار الناس وجاؤوا الى ابن فرغان فقتلوا من عنده من الغز وقتلوا من ظفروا به منهم ، ثم حصروهم في دار فقاتلوا من سطحه ، فنقب الناس عليه الدار وقتلوهم جميعهم غَير سبعةِ أنفس ؛ منهم أبو علي ومنصور ، فخرج منصور إلى الحصباء ولحق به من سلم منهم، وكان كوكتاش قد فارق الموصل في جمع كثير فأرسلوا إليه يعلمونه الحال فعاد إليهم ودخل البلد عنوة في الخـامس والعشرين من رجب سنة خمس وثلاثين، ووضعوا السيف في أهله وأسروا كثيراً ونهبوا الأموال وأقاموا على ذلك اثني عشر يوماً يقتلون وينهبون، وسلمت سكة أبي نجيح فإن أهلها احسنوا إلى الأمير منصور فرعى لهم ذلك، والتجأ من سلم إليها وبقي القتلى في الطريق فانتنوا لعدم من يواريهم ثم طرحوا بعد ذلك كل جماعة في حفيـرة، وكانـوا

---

(١) السِّنّ: يقال لها سنّ بارِمّا: مدينة على دجلة فوق تكريت.

يخطبون للخليفة ثم لطغرلبك.

ولما طال مقامهم بهذه البلاد وجرى منهم ما ذكرناه كتب الملك جلال الدولة بن بويه إلى طغرلبك يعرفه ما يجري منهم ، وكتب اليه نصر الدولة بن مروان يشكو منهم ، فكتب إلى نصر الدولة يقول له : بلغني أن عبيدنا قصدوا بلادك وأنك صانعتهم بمال بذلته لهم ، وأنت صاحب ثغر ينبغي أن تُعطى ما تستعين به على قتال الكفار ، ويعده أنه يرسل إليهم يرحلهم من بلده ، وكانوا يقصدون بلاد الأرمن وينبهون ويسبون ، حتى أن الجارية الحسناء بلغت قيمتها خمسة دنانير ، وأما الغلمـان فلا يـرادون ، وكتب طغرلبك الى جلال الدولة يعتذر بأن هؤلاء التركمان كانوا لنا عبيداً وخدماً ورعايا وتبعاً يمتثلون الأمر ويخدمون الباب ، ولما نهضنا لتدبير خـطب آل محمود بن سبكتكين وانتدبنا لكفاية أمر خوارزم ، انحازوا إلى الري فعاثوا فيها وأفسدوا ، فزحفنا بجنودنا من خراسان إليهم مقدرين أنهم يلجؤون إلى الأمان ويلوذون بالعفو والغفران، فملكتهم الهيبة وزحزحتهم الحشمة ، ولا بد من أن نردّهم الى راياتنا خاضعين ، ونذيقهم من بأسنا جزاء المتمردين ، قربوا أم بعدوا أغاروا أم أنجدوا .

ذكر ظفر قرواش صاحب الموصل بالغز

قد ذكرنا انحدار قرواش إلى السِّنّ ومراسلته سائر أصحاب الأطراف في طلب النجدة منهم، فأما الملك جلال الدولة فلم ينجده لزوال طاعته عن جنده الأتراك، وأما دبيس بن مزيد فسار إليه واجتمعت عليه كافة عقيل ، وأتته أمداد أبي الشوك وابن ورام وغيرهما فَلم يدركوا الوقعة ، فإن قرواشاً لما اجتمعت عقيـل ودبيس عنده سـار إلى الموصل ، وبلغ الخبر إلى الغز فتأخروا إلى تَلْعَفر وبُومَارِية[1] وتلك النواحي ، وراسلوا الغز الذين كانوا بديار بكر ومقدمهم ناصغلي ، وبوقا ، وطلبوا منهم المساعدة على العرب ، فساروا إليهم وسمع قرواش بوصولهم فلم يُعلم أصحابه لئلا يَفْشَلوا ويَجْبَنوا ، وسار حتى نزل على العجاج وسارت الغز فنزلوا برأس الإبل من الفُرْجِ وبينهما نحو فرسخين ، وقد طمِع الغزُ في العرب ، فتقدموا حتى شارفوا حِلل العرب .

ووقعت الحرب في العشرين من شهر رمضان من أول النهار فاستظهرت الغـز

---

(١) تلعفر : تلّ أعْفَر : بالفاء، هكذا تقول العامة، وأما خواصهم فيقولون تلُّ يَعْفُر، وقيل إنما أصله التل الأعفر للونه. وهو اسم قلعة وربض بين سِنجار والموصل.

وبومارِية: بعد الألف راء مكسورة وياء مفتوحة خفيفة: بُليد من نواحي الموصل قرب تلّ يَعْفُر.

وانهزمت العرب حتى صار القتال عند حِللهم ، ونساؤهم يشاهدن القتال ، فلم يزل الظفر للغز إلى الظهر ، ثم أنزل الله نصرَهُ على العرب ، وانهزمت الغز وأخذهم السيف وتفرقوا وكثر القتل فيهم ، فقتل ثلاثة من مقدميهم ، وملك العرب حِلل الغز وخركاهاتهم ، وغنموا أموالهم فعمتهم الغنيمة وأدركهم الليل ، فحجز بينهم وسير قرواش رؤوس كثير من القتلى في سفينة إلى بغداد . فلما قاربتها أخذتها الأتراك ودفنوها ولم يتركوها تصل أنفة وحمية للجنس وكفى الله اهل الموصل شرهم ، وتبعهم قرواش إلى نَصيبين وعاد عنهم فقصدوا ديار بكر فنهبوها . ثم مالوا على الأرمن والروم فنهبوهم ، ثم قصدوا بلاد أُذربيجان ، وكتب قرواش الى الأطراف يبشر بالظفر بهم ، وكتب الى ابن ربيب الدولة صاحب أرمية يذكر له أنه قتل منهم ثلاثة آلاف رجل ، فقال للرسول : هذا عجب فإن القوم لما اجتازوا ببلادي أقمت على قنطرة لا بدَّ لهم من عبورها فأمرت بعدِّهم فكانوا نيفاً وثلاثين ألفاً مع لفيفهم ، فلما عادوا بعد هزيمتهم لم يبلغوا خمسة آلاف رجل فإما أن يكونوا قُتلوا أو هَلكوا ، ومدح الشعراء قرواشاً بهذا الفتح ، وممن مدحه ابن شبل بقصيدة منها :

بأبي الذي أَرسَتْ نِـزارُ بيتَها ... في شامخٍ من عـزةِ المتخيِّرِ

وهي طويلة .

(هذه أخبار الغز العراقيين) وإنما أوردناها متتابعة لأن دولتهم لم تطل حتى نذكر حوادثها في السنين وإنما كانت سحابة صيف تقشعت عن قريب ، وأما السلجوقية فنحن نذكر حوادثهم في السنين ونذكر ابتداء أمرهم سنة اثنتين وثلاثين إن شاء الله تعالى .

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة سيّر الظاهر جيشاً من مصر مقدمهم أنوشتكين الزبري فقتل صالح بن مرداس وملَّكَ نصر بن صالح مدينة حلب ، وقد تقدم ذكره في سنة اثنتين وأربعمائة .

وفيها سقط في البلاد برد عظيم . وكان أكثره بالعراق ، وارتفعت بعده ريح شديدة سوداء فقلعت كثيراً من الأشجار بالعراق ، فقلعت شجراً كباراً من الزيتون من شرقي النهروان وألقَتْهُ على بعدٍ من غربيها ، وقلعت نخلة من أصلها وحملتها الى دارٍ

بينها وبين موضع هذه الشجرة ثلاث دُورٍ ، وقلعت سقف مسجد الجامع ببعض القرى .

وفيها في ذي القعدة تولىٰ أبو عبدالله بن ماكولا قضاء القضاة .

وفيها توفي أبو الحسن علي بن عيسى الرَّبَعِي[1] النحوي عن نيف وتسعين سنة وأخذ النحو عن ابي علي الفارسي . وأبي سعيد السيرافي وكان فَكِهاً كثير الدعابة ، فمن ذلك أنه كان يوماً على شاطىء دجلة ببغداد والملك جلال الدولة ، والمرتضى والرضي كلاهما في سمّارية ومعهما عثمان بن جني النحوي ، فناداه الرَّبَعي : أيها الملك ما أنت صادق في تشيعك بعلي بن أبي طالب يكون عثمان إلى جانبك وعلي ـ يعني نفسه ـ ههنا فأمر بالسّمارية فقربت إلى الشاطىء وحمله معه . وقيل : إن هذا القول كان للشريف ، وأخيه المرتضى ، ومعهما عثمان بن جَني فقال : ما أعجب أحوال الشريفين يكون عثمان معهما وعلي يمشي على الشطِّ[1] .

وفيها ايضاً توفي أبو المسك عنبر الملقب بالأثير ، وكان قد أصعد إلى الموصل مغاضباً لجلال الدولة فلقيه قرواش وأهله وقبلوا الأرض بين يديه فأقام عندهم . وكان خصياً لبهاء الدولة بن بويه ، وكان قد بلغ مبلغاً عظيماً لم يخل أمير ولا وزير في دولة بني بويه من تقبيل يده والأرض بين يديه . وكان قد استقر بينه وبين قرواش وأبي كاليجار قاعدة أن يصعد أبو كاليجار من واسط وينحدر الأثير وقرواش من الموصل لقصد جلال الدولة . وكان الأثير قد انحدر من الموصل فلما وصل مشهد الكحيل توفي فيه .

وفيها انقض كوكب عظيم كالرعد في رجب أضاءت منه الأرض وسمع له صوت عظيم كالرعد وتقطع أربع قطع ، وانقض بعده بليلتين كوكب آخر دونه ، وانقض بعدهما كوكب أكبر منهما وأكثر ضوءاً .

وفيها كانت ببغداد فتنة قوي فيها أمر العيارين واللصوص فكانوا يأخذون العملات

---

(١) علي بن عيسى بن الفرج بن صالح أبو الحسن الرَّبَعَي ، (بفتح الراء نسبة الى ربيعة) : عالم العربية . أصلهُ من شيراز . ولد سنة ٣٢٨ هـ له تصانيف منها : البديع ، وشرح مختصر الجرمي وشرح الإيضاح لأبي علي الفارسي . الاعلام ٥/١٣٤ ، البداية والنهاية ١٢/٢٩ ، شذرات الذهب ٣/٢١٦ .

ظاهراً[١] . وفيها قطعت الجمعة من جامع براثا ، وسببها أنه كان يخطب فيها انسان[٢] يقول في خطبته بعد الصلاة على النبي وعلى اخيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ مكلم الجمجمة ومحييها ، البُشري الإلهي مكَلم الفتية أصحاب الكهف ، إلى غير ذلك من العلو المبُتدَع ، فأقام الخليفة خطيباً[٣] فرجمه العامة فانقطعت الصلاة فيه ، فاجتمع جماعة من أعيان الكَرخ مع المرتضى ، واعتذروا إلى الخليفة بأن سفهاء لا يعرفون فعلوا ذلك ، وسألوا إعادة الخطبة فأجيبوا الى ما طلبوا وأعيدت الصلاة والخطبة فيه .

وفيها توفي ابن ابي الهبيش الزاهد المقيم بالكوفة ـ وهو من ارباب الطبقات العالية في الزهد ـ وقبره يزار الى الآن وقد زرته .

وفيها توفي منوجهر بن قابوس بن وشكمير وملك ابنه انو شروان .

---

(١) زاد في البداية والنهاية ١٢/٢٨ ط. دار الكتب العلمية ببيروت: « وضعفت رجال المعونة عن مقاومة العيارين ».

(٢) أي خطيبٌ شيعي ، انظر البداية والنهاية ١٢/٢٨ ـ ٢٩ .

(٣) أي خطيباً سنياً، انظر البداية والنهاية (المرجع السابق).

ثم دخلت سنة احدى وعشرين واربعمائة

ذكر ملك مسعود بن محمود بن سبكتكين همذان

في هذه السنة سيّر مسعود بن يمين الدولة محمود جيشاً إلى همذان فملكوها، وأخرجوا نواب علاء بن كاكويه عنها. وسار هو إلى أصبهان، فلما قاربها فارقها علاء الدولة، فغَنِم مسعود ما كان له بها من دواب وسلاح وذخائر، فإن علاء الدولة أعجل عن أخذه، فلم يأخذ إلا بعضه وسار إلى خوزستان، فبلغ إلى تُسْتَر ليطلب من الملك أبي كاليجار نجدة ومن الملك جلال الدولة ويعود إلى بلاده يستنقذها، فبقي عند أبي كاليجار مدة ـ وهو عقيب انهزامه من جلال الدولة ضعيف ـ ومع هذا فهو يَعِدُه النصرة وتسيير العساكر إذا اصطلح هو وجلال الدولة، فبينما هو عنده إذ أتاه خبر وفاة يمين الدولة محمود ومسير مسعود إلى خراسان، فسار علاء الدولة إلى بلاده على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر غزوة للمسلمين إلى الهند

في هذه السنة غزا أحمد بن ينالتكين النائب عن محمود بن سبكتكين ببلاد الهند مدينة للهنود هي من أعظم مدنهم ـ يقال لها نَرْسىٰ ـ ومع أحمد نحو مائة ألف فارس وراجل، وشنَّ الغارة على البلاد ونهب وسبى وخرب الأعمال وأكثر القتل والاسر، فلما وصل إلى المدينة دخل من أحد جوانبها ونهب المسلمون في ذلك الجانب يوماً من بكرة إلى آخر النهار، ولم يفرغوا من نهب سوق العطارين، والجوهريين: حسب، وباقي أهل البلد لم يعلموا بذلك لأن طوله منزل من منازل الهنود وعرضه مثله، فلما جاء المساء لم يجسر أحد على المبيت فيه لكثرة أهله فخرج منه ليأمن على نفسه وعسكره، وبلغ من كثرة ما نهب المسلمون أنهم اقتسموا الذهب والفضة كيلاً، ولم يصل إلى هذه

المدينة عسكر المسلمين قبله ولا بعده، فلما فارقه أراد العود إليه فلم يقدر على ذلك، منعه أهله عنه.

ذكر ملك بدران بن المقلد نَصِيبين(١)

قد ذكرنا محاصرة بدران نَصيبين وأنه رحل عنها خوفاً من قرواش، فلما رحل شرع في إصلاح الحال معه فاصطلحا، ثم جرى بين قرواش، ونصر الدولة بن مروان نفرة كان سببها أن نصر الدولة كان قد تزوج ابنة قرواش، فآثر عليها غيرها، فأرسلت إلى أبيها تشكو منه، فأرسل يطلبها إليه فسيّرها فأقامت بالموصل، ثم ان ولد مستحفظ جزيرة ابن عمر ـ وهي لابن مروان ـ هرب إلى قرواش وأطمعه في الجزيرة ، فأرسل إلى نصر الدولة يطلب منه صداق ابنته ـ وهو عشرون ألف دينار ـ ويطلب الجزيرة لنفقتها ويطلب نصيبين لأخيه بدران ويحتج بما أخرج بسببها عام أول وترددت الرسل بينهما في ذلك فلم يستقر حال، فسيّر جيشاً لمحاصرة الجزيرة وجيشاً مع أخيه بدران إلى نصيبين فحصرها بدران وأتاه قرواش فحصرها معه. فلم يملك واحداً من البلدين وتفرق من كان معه من العرب والأكراد، فلما رأى بدران تفرق الناس عن أخيه سار إلى نصر الدولة بن مروان بميَافارقين يطلب منه نَصِيبين فسلمها إليه وأرسل من صداق ابنة قرواش خمسة عشر ألف دينار واصطلحا.

ذكر ملك أبي الشوك دقوقا(٢)

وفيها حصر أبو الشوك دقوقا وبها مالك بن بدران بن المقلد العقيلي فطال حصاره، وكان قد أرسل إليه يقول له : إن هذه المدينة كانت لأبي ولا بد لي منها، والصواب أن تنصرف عنها. فامتنع من تسليمها فحصره بها ثم استظهر وملك البلد فطلب منه مالك الأمان على نفسه وماله وأصحابه فأمنه على نفسه حسب، فلما خرج إليه مالك قال له أبو الشوك : قد كنت سألتك أن تسلم البلد طوعاً وتحقن دماء المسلمين فلم تفعل. فقال: لو فعلت لعيرتني العرب، وأما الآن فلا عار علي، فقال أبو الشوك :

---

(١) مدينة عامرة من الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام.

(٢) دَقُوقاء : مدينة بين إربل وبغداد.

إن من إتمام الصنيعة تسليم مالك وأصحابك إليك، فأعطاه ما كان له اجمع فأخذه وعاد سالماً.

ذكر وفاة يمين الدولة محمود بن سبكتكين وملك ولده محمد

في هذه السنة في ربيع الآخر توفي يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين ومولده يوم عاشوراء سنة ستين وثلاثمائة، وقيل: إنه توفي في أحد عشر صفر، وكان مرضه سوء مزاج وإسهالا وبقي كذلك نحو سنتين، وكان قوي النفس لم يضع جنبه في مرضه، بل كان يستند إلى مخدته فأشار عليه الأطباء بالراحة، وكان يجلس للناس بكرة وعشية فقال: أتريدون أن أعتزل الأمارة؟ فلم يزل كذلك حتى توفي قاعداً، فلما حضره الموت أوصى بالملك لابنه محمد ـ وهو ببلخ ـ وكان أصغر من مسعود إلا أنه كان مُعْرِضَاً عن مسعود لأن أمره لم يكن عنده نافذاً، وسعى بينهما أصحاب الأغراض فزادوا أباه نفوراً عنه، فلما وصى بالملك لولده محمد توفي فخطب لمحمد من أقاصي الهند إلى نيسابور ـ وكان لقبه جلال الدولة ـ وأرسل إليه أعيان دولة أبيه يخبرونه بموت أبيه ووصيته له بالملك، ويستدعونه ويحثونه على السرعة ويخوفونه من أخيه مسعود، فحين بلغه الخبر سار إلى غزنة فوصلها بعد موت أبيه بأربعين يوماً فاجتمعت العساكر على طاعته وفرق فيهم الأموال والخلع النفيسة فأسرف في ذلك.

ذكر ملك مسعود وخلع محمد

لما توفي يمين الدولة كان ابنه مسعود بأصبهان، فلما بلغه الخبر سار إلى خراسان واستخلف بأصبهان بعض أصحابه في طائفة من العسكر، فحين فارقها ثار أهلها بالوالي عليهم بعده فقتلوه وقتلوا من معه من الجند، وأتى مسعوداً الخبر فعاد إليها وحصرها وفتحها عنوة، وقتل فيها فأكثر ونهب الأموال واستخلف فيها رجلاً كافياً، وكتب إلى أخيه محمد يعلمه بذلك وأنه لا يريد من البلاد التي وصى له أبوه بها شيئاً، وأنه يكتفي بما فتحه من بلاد طبرستان، وبلد الجبل، وأصبهان وغيرها، ويطلب منه الموافقة وأن يقدمه في الخطبة على نفسه فأجابه محمد جواب مغالط، وكان مسعود قد وصل إلى الري فأحسن إلى أهلها وسار منها إلى نيسابور ففعل مثل ذلك.

وأما محمد فإنه أخذ على عسكره العهود والمواثيق على المناصحة له والشدّ منه،

وسار في عساكره إلى أخيه مسعود محارباً له، وكان بعض عساكره يميل إلى أخيه مسعود لكبره وشجاعته، ولأنه قد اعتاد التقدم على الجيوش وفتح البلاد، وبعضها يخافه لقوة نفسه.

وكان محمد قد جعل مقدم جيشه عمه يوسف بن سبكتكين فلما هَمَّ بالركوب في داره بغزنة لِيَسِير سقطت قلنسوته من رأسه فتطير الناس من ذلك، وأرسل إليه التونتاش صاحب خوارزم ـ وكان من أعيان أصحاب أبيه محمود ـ يشير عليه بموافقة أخيه وترك مخالفته فلم يُصْغِ إلى قوله، وسار فوصل إلى تكتاباذ أول يوم من رمضان وأقام إلى العيد فعَيد هناك، فلما كان ليلة الثلاثاء ثالث شوال ثار به جنده فأخذوه وقيدوه وحبسوه وكان مشغولاً بالشرب واللعب عن تدبير المملكة والنظر في أحوال الجند والرعايا، وكان الذي سعىٰ في إخْذَاله علي خويشاوند صاحب أبيه وأعانه على ذلك عمه يوسف بن سبكتكين؛ فلما قبضوا عليه نادوا بشعار أخيه مسعود ورفعوا محمداً إلى قلعة تَكْتاباذ وكتبوا إلى مسعود بالحال، فلما وصل إلى هراة لقيته العساكر مع الحاجب علي خويشاوند، فلما لقيه الحاجب علي قبض عليه وقتله. وقبض بعد ذلك أيضاً على عمه يوسف؛ وهذه عاقبة الغدر وهما سعيا له في رد الملك إليه. وقبض أيضاً على جماعة من أعيان القواد في أوقات متفرقة، وكان اجتماع الملك له واتفاق الكلمة عليه في ذي القعدة، وأخرج الوزير أبا القاسم أحمد بن الحسن الميمندي الذي كان وزير أبيه من محبسه واستوزره ورد الأمر إليه وكان أبوه قد قبض عليه سنة اثنتي عشرة وأربعمائة لأمور أنكرها، وقيل: شره في ماله وأخذ منه لما قبض عليه مالاً وأعراضاً بقيمة خمسة آلاف ألف دينار، وكان وصول مسعود إلى غزنة ثامن جمادىٰ الآخرة من سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، فلما وصل إليها وثبت ملكه بها أتته رسل الملوك من سائر الأقطار إلى بابه واجتمع له ملك خراسان وغزنة وبلاد الهند والسند وسجستان وكرمان ومكران والري وأصبهان وبلاد الجبل وغير ذلك وعظم سلطانه وخيف جانبه.

ذكر بعض سيرة يمين الدولة[1]

كان يمين الدولة محمود بن سبكتكين عاقلاً. ديّناً، خيّراً، عنده علم ومعرفة. وصُنف له

---

(١) ترجم له غير واحد من المؤرخين؛ انظر البداية والنهاية ١٢/٣٢ ط دار الكتب العلمية ببيروت. شذرات الذهب ٣/٢٢٠. وهو حقيق بأن يتوسع بترجمته فقد أحسن العدل بين رعيته.

كثير من الكتب في فنون العلوم، وقصده العلماء من أقطار البلاد، وكان يكرمهم ويُقبل عليهم ويُعظمهم ويُحسن إليهم. وكان عادلاً كثير الإحسان إلى رعيته والرفق بهم، كثير الغزوات ملازماً للجهاد. وفتوحه مشهورة مذكورة، وقد ذكرنا منها ما وصل إلينا بعد الدهر، وفيه ما يستدل به على بذل نفسه لله تعالى واهتمامه بالجهاد، ولم يكن فيه ما يعاب إلا أنه كان يتوصل إلى أخذ الاموال بكل طريق فمن ذلك أنه بلغه أن انساناً من نيسابور كثير المال عظيم الغنىٰ فأحضره إلى غزنة وقال له: بلغنا أنك قرمطي فقال: لست بقرمطي ولي مال يؤخذ منه ما يُراد وأعفىٰ من هذا الاسم فأخذ منه مالاً وكتب معه كتاباً بصحة اعتقاده وجدد عمارة المشهد بِطُوس الذي فيه قبر علي بن موسى الرضا والرشيد وأحسن عمارته، وكان أبوه سبكتكين أخرَبَه وكان أهل طُوس يؤذون من يزوره فمنعهم عن ذلك، وكان سبب فعله أنه رأى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في المنام وهو يقول له: إلى متى هذا؟ فعلم أنه يريد أمر المشهد فأمر بعمارته. وكان رَبْعَة، مليح اللون، حسن الوجه، صغير العينين، أحمر الشعر، وكان ابنه محمد يشبهه وكان ابنه مسعود ممتلىء البدن، طويلاً.

ذكر عَوْد علاء الدولة إلى أصبهان وغيرها وما كان منه

لما مات محمود بن سبكتكين طمع فناخسرو بن مجد الدولة بن بويه في الري وكان قد هرب منها لما ملكها عسكر يمين الدولة محمود، فقصد قصران - وهي حصينة - فامتنع بها، فلما توفي يمين الدولة وعاد ابنه مسعود إلى خراسان جمع هذا فناخسرو جمعاً من الديلم الأكراد وغيرهم، وقصدوا الري، فخرج إليه نائب مسعود بها ومن معه من العسكر فانهزم منهم وعاد إلى بلده وقتل جماعة من عسكره، ثم إن علاء الدولة بن كاكويه لما بلغه وفاة يمين الدولة كان بخوزستان عند الملك أبي كاليجار كما ذكرنا، وقد أيس من نصره وتفرق بعض من عنده من عسكره وأصحابه، والباقون على عزم مفارقته، وهو خائف من مسعود أن يسير إليه من أصبهان فلا يقوى هو وأبو كاليجار به، فأتاه من الفُرْج بموت يمين الدولة ما لم يكن حسابه.

فلما سمع الخبر سار إلى أصبهان فملكها وملك همذان وغيرها من البلاد، وسار إلى الري فملكها وامتد إلى أعمال أنوشروان بن منوجهر بن قابوس فأخذ منه خُوار الري ودُنْباوند، فكتب أنوشروان إلى مسعود يهنئه بالملك وسأله تقريرَ الذي عليه بمال

يحمله، فأجابه إلى ذلك وسير إليه عسكراً من خراسان، فساروا إلى دُنْباوند فاستعادوها، وساروا نحو الري فأتاهم المدد والعساكر، وممن أتاهم علي بن عمران فكثر جمعهم، فحصروا الري وبها علاء الدولة فاشتد القتال في بعض الأيام، فدخل العسكر الري قهراً والفيلة معهم، فقتل جماعة من أهل الري والديلم ونهبت المدينة، وانهزم علاء الدولة وتبعه بعض العسكر وجرحه في رأسه وكتفه فالقى لهم دنانير كانت معه، فاشتغلوا بها عنه فنجا وسار إلى قلعة فَرْدجان على خمسة عشر فرسخاً من همذان فأقام بها إلى أن بَرأ من جراحته، وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى، وخطب بالري وأعمال أنوشروان لمسعود فعظم شأنه.

ذكر الحرب بين عسكر جلال الدولة وأبي كاليجار

في هذه السنة في شوال سير جلال الدولة عسكراً إلى المذار وبها عسكر أبي كاليجار، فالتقوا واقتتلوا فانهزم عسكر أبي كاليجار، واستولى أصحاب جلال الدولة على المذار وعملوا بأهلها كل محظور. فلما سمع أبو كاليجار الخبر سيّر إليهم عسكراً كثيفاً فاقتتلوا بظاهر البلد فانهزم عسكر جلال الدولة وقتل أكثرهم وثار أهل البلد بغلمانهم فقتلوهم ونهبوا أموالهم ـ لقبيح سيرتهم ـ كانت معهم، وعادَ من سَلِم من المعركة إلى واسط.

ذكر الحرب بين قرواش وغريب بن مقن

في هذه السنة في جمادى الأولى اختلف قرواش، وغريب بن مقن: وكان سبب ذلك أن غريباً جمع جمعاً كثيراً من العرب والاكراد، واستمد جلال الدولة فأمده بجملة صالحة من العسكر، فسار إلى تكريت فحصرها وهي لأبي المسيب رافع بن الحسين، وكان قد توجه إلى الموصل وسأل قرواشاً النجدة فجمعا وحشدا وسارا منحدرين فيمن معهما، فبلغا الدكة وغريب يحاصر تكريت وقد ضيق على من بها وأهلها يطلبون منه الأمان فلم يؤمنهم فحفظوا نفوسهم وقاتلوا أشد قتال. فلما بلغه وصول قرواش ورافع، سار إليهم فالتقوا بالدكة واقتتلوا فغدر بغريب بعض من معه ونهبوا سواده وسواد الأجناد الجلالية، فانهزم وتبعهم قرواش. ورافع ثم كفوا عنه وعن أصحابه ولم يتعرضوا إلى حلته وما له فيها وحفظوا ذلك أجمع، ثم إنهم تراسلوا واصطلحوا وعادوا إلى ما كانوا عليه من الوفاق.

ذكر خروج ملك الروم إلى الشام وانهزامه

في هذه السنة خرج ملك الروم من القسطنطينية في ثلاثمائة ألف مقاتل إلى الشام فلم يزل بعساكره حتى بلغوا قريب حلب وصاحبها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس فنزلوا على يوم منها، فلحقهم عطش شديد وكان الزمان صيفاً وكان أصحابه مختلفين عليه؛ فمنهم من يحسده ومنهم من يكرهه، وممن كان معه ابن الدوقس ـ وهو من أكابرهم ـ وكان يريد هلاك الملك ليملك بعده. فقال الملك: الرأي أن نقيم حتى تجيء الأمطار وتكثر المياه فقبح ابن الدوقس هذا الرأي وأشار بالإسراع قصد الشر يتطرق إليه ولتدبير كان قد دبره عليه، فسار ففارقه ابن الدوقس وابن لؤلؤ في عشرة آلاف فارس وسلكوا طريقاً آخر، فخلا بالملك بعض أصحابه وأعلمه أن ابن الدوقس وابن لؤلؤ قد حالفا أربعين رجلاً هو أحدهم على الفتك به فاستشعر من ذلك وخاف ورحل من يومه راجعاً، ولحقه ابن الدوقس وسأله عن السبب الذي أوجب عوده فقال له: قد اجتمعت علينا العرب وقربوا منا وقبض في الحال على ابن الدوقس وابن لؤلؤ وجماعة معهما فاضطرب الناس واختلفوا، ورحل الملك وتبعهم العرب وأهل السواد حتى الأرمن يقتلون وينهبون، وأخذوا من الملك أربعمائة بغل محملة مالاً وثياباً، وهلك كثير من الروم عطشاً ونجا الملك وحده ولم يسلم معه من أمواله وخزائنه شيء البتة، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً. وقيل في عوده غير ذلك، وهو أن جمعاً من العرب ليس بالكثير عبر على عسكره، وظن الروم أنها كبسة فلم يدروا ما يفعلون حتى أن ملكهم لبس خفاً أسود وعادة ملوكهم لبس الخف الأحمر فتركه ولبس الأسود ليعمى خبره على من يريده وانهزموا وغنم المسلمون جميع ما كان معهم.

ذكر مسير أبي علي بن ماكولا إلى البصرة وقتله

لما استولى الملك جلال الدولة على واسط وجعل ولده فيها وسير وزيره أبا علي بن ماكولا إلى البطائح والبصرة ليملكها فملك البطائح وسار إلى البصرة في الماء وأكثر من السفن والرجال، وكان بالبصرة أبو منصور بختيار بن علي نائباً لأبي كاليجار فجهز جيشاً في أربعمائة سفينة وجعل عليهم أبا عبد الله الشرابي الذي كان صاحب البطيحة وسيّره، فالتقى هو والوزير أبو علي فعند اللقاء والقتال هبت ريح شمال كانت على البصريين ومعونة للوزير، فانهزم البصريون وعادوا إلى البصرة، فعزم بختيار على

الهرب إلى عبادان فمنعه من سَلِم عنده من عسكره فأقام متجلداً، وأشار جماعة على الوزير أبي علي أن يعجل الانحدار ويغتنم الفرصة قبل أن يعود بختيار بجمع، فلما قاربهم وهو في ألف وثلاثمائة عدد من السفن سيّر بختيار ما عنده من السفن ـ وهي نحو ثلاثين قطعة ـ وفيها المقاتلة وكان قد سيّر عسكراً آخر في البر، وكان له في فم نهر أبي الخصيب نحو خمسمائة قطعة فيها ماله ولجميع عسكره من المال والأثاث والأهل، فلما تقدمت سفنه صاح من فيها وأجابه من في السفن التي فيها أهلوهم وأموالهم، وورد عليهم العسكر الذين في البر فقال الوزير لمن أشار عليه بمعاجلة بختيار: ألستم زعمتم أنه في خف من العسكر وأن معاجلته أولى؟ وأرى الدنيا مملوءةً عساكر فهونوا عليه الأمر فغضب وأمر بإعادة السفن إلى الشاطىء إلى الغد ويعود إلى القتال، فلما أعاد سفنه ظن أصحابه أنه قد انهزم فصاحوا الهزيمة فكانت هي.

وقيل: بل لما أعاد سفنه لحقهم من في سفن بختيار وصاحوا الهزيمة الهزيمة، وأجابهم من في البر من عسكر بختيار ومن في سفنهم التي فيها أموالهم فانهزم أبو علي حقاً وتبعه أصحاب بختيار وأهل السواد، ونزل بختيار في الماء واستصرخ الناس وسار في آثارهم يقتل ويأسر وهم يغرقون فلم يسلم من السفن كلها أكثر من خمسين قطعة. وسار الوزير أبو علي منهزماً فأخذ أسيراً وأحضر عند بختيار فأكرمه وعظمه وجلس بين يديه وقال له: ما الذي تشتهي أن أفعل معك؟ قال: ترسلني إلى الملك أبي كاليجار فأرسله إليه فأطلقه فاتفق أن غلاماً له وجارية اجتمعا على فساد فعلم بهما وعرفا أنه قد علم حالهما فقتلاه بعد أسره بنحو من شهر[1]، وكان قد أحدث في ولايته رسوماً جائرة وسن سنناً سيئة، منها جباية سوق الدقيق ومقالي الباذنجان وسميريات المشارع ودلالة ما يباع من الأمتعة وأجر الحمالين الذين يرفعون التمور إلى السفن وبما يعطيه الذباحون لليهود فجرى في ذلك مناوشة بين العامة والجند.

---

(١) قال في النجوم الزاهرة: «قتله غلام له يعرف بعدنان كان يجتمع مع امرأة في داره ففطن بهما فعلما بذلك فخافا منه وساعدهما فراش كان في داره فغموه بشيء وعصروا خصاه حتى مات وأظهروا أنه مات فجأة فأخذ الغلام والفراش وضربا فأقرا بما وقع من أمره فصلبا وحبست المرأة في دار. قال ابن كثير: عاش ستاً وخمسين سنة.

ذكر استيلاء عسكر جلال الدولة على البصرة وأخذها منهم

لما انحدر الوزير أبو علي بن ماكولا إلى البصرة على ما ذكرناه لم يستصحب معه الأجناد البصريين الذين مع جلال الدولة تأنيساً للديلم الذين بالبصرة، فلما أصيب على ما ذكرنا تجهز هؤلاء البصريون وانحدروا إلى البصرة فوصلوا إليها وقاتلوا من بها من عسكر أبي كاليجار، فانهزم عسكر أبي كاليجار ودخل عسكر جلال الدولة البصرة في شعبان، واجتمع عسكر أبي كاليجار بالأبلة مع بختيار فأقاموا بها يستعدون للعود، وكتبوا إلى أبي كاليجار يستمدونَه فسيّـر إليهم عسكراً كثيـراً مع وزيـر ذي السعادات أبي الفـرج بن فسانجس فقدموا إلى الأبلة واجتمعوا مع بختيار، ووقع الشروع في قتال من بالبصرة من أصحاب جلال الدولة فسيّر بختيار جمعـاً كثيراً في عـدة من السفن فقاتلوهم فنصـر أصحاب جلال الدولة عليهم وهزموهم، فوبخهم بختيار وسار من وقته في العدد الكثير والسفن الكثيرة فاقتتلوا واشتد القتال فانهزم بختيار وقتل من أصحابه جماعة كثيرة وأخذ هو فقتل من غير قصد لقتله وأخذوا كثيراً من سفنه وعاد كل فريق إلى موضعه، وعزم الأتراك من أصحاب جلال الدولة على مباكرة الحرب وإتمام الهزيمة، وطالبوا العامل الذي على البصرة بالمال فاختلفوا وتنـازعوا في الاقـطاعات فـأصعد ابن المعبـراني صاحب البطيحة فسار إليه جماعة من الأتراك الواسطيين ليردوه فلم يرجع، فتبعوه وخاف من بقي بعضهم من بعض أن لا يناصحوهم ويسلموهم عند الحرب فتفرقوا، واستأمن بعضهم إلى ذي السعادات وقد كان خائفاً منهم فجاءه ما لم يقدره من الظفر، ونادى من بقي بالبصرة بشعار أبي كاليجار فدخلها عسكره وأرادوا نهبها فمنعهم ذو السعادات.

ذكر غزو فضلون الكردي الخزر وما كان منه

كان فضلون الكردي هذا بيده قطعة من أذربيجان قد استولى عليها وملكها فاتفق أنه غزا الخزر هذه السنة، فقتل منهم وسبى وغنم شيئاً كثيراً. فلما عاد إلى بلده أبطأ في سيره وأمل الاستظهار في أمره ظناً منه أنه قد دوّخهم وشغلهم بما عمله بهم فـاتبعوه مجدين وكبسوه وقتلوا من أصحابه والمطوعة الـذين معه أكثـر من عشرة آلاف قتيـل واستردوا الغنائم التي أخذت منهم وغنموا أموال العساكر الإسلاَمية وعادوا.

ذكر البيعة لولي العهد

في هذه السنة مرض القادر بالله وأرجف بموته فجلس جلوساً عاماً وأذن للخاصة والعامة فوصلوا إليه، فلما اجتمعوا قام الصاحب أبو الغنائم فقال: خدم مولانا أمير المؤمنين داعون له بإطالة البقاء وشاكرون لما بلغهم من نظره لهم وللمسلمين باختيار الأمير أبي جعفر بولاية العهد، فقال الخليفة للناس: قد أذنا في العهد له، وكان أراد أن يبايع له قبل ذلك فثناه عنه أبو الحسن بن حاجب النعمان. فلما عهد إليه ألقيت الستارة وقعد أبو جعفر على السرير الذي كان قائماً عليه وخدمه الحاضرون وهنأوه، وتقدم أبو الحسن بن حاجب النعمان فقبل يده وهنأه فقال: ﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال ﴾[1] يعرض له بإفساده رأي الخليفة فيه، فأكب على تقبيل قدمه وتعفير خده بين يديه والاعتذار، فقبِل عُذْرَه . ودُعي له على المنابر يوم الجمعة لتسع بقين من جمادى الاولى.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة استوزر جلال الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم بعد ابن ماكولا ولقبه عميد الدولة. وفيها توفي أبو الحسن بن حاجب النعمان ومولده سنة أربعين وثلاثمائة وكان خصيصاً بالقادر بالله حاكماً في دولته كلها. وكتب له وللطائع أربعين سنة. وفيها ظهر متلصصة ببغداد من الأكراد فكانوا يسرقون دواب الأتراك فنقل الاتراك خيلهم إلى دورهم. ونقل جلال الدولة دوابه إلى بيت في دار المملكة. وفيها توفي أبو الحسن بن عبد الوارث الفسوي النحوي بِفَسَا وهو نسيب أبي علي الفارسي. وفيها توفي أبو محمد الحسن بن يحيى العلوي النهرسابسي الملقب بالكافي وكان موته بالكوفة، وفيها في رجب جاء في غزنة سيلٌ عظيم أهلك الزرع والضرع وغرّق كثيراً من الناس لا يحصون، وخرّب الجسر الذي بناه عمرو بن الليث، وكان هذا الحادث عظيماً. وفيها في رمضان تصدق مسعود بن محمود بن سبكتكين في غزنة بألف ألف درهم وأدر على الفقراء من العلماء والرعايا إدرارات كثيرة.

---

(١) سورة الأحزاب ٢٥.

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

ذكر ملك مسعود بن محمود بن سبكتكين التيز ومكران[١]

في هذه السنة سيّر السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين عسكراً إلى التيز فملكها وما جاورها، وسبب ذلك أن صاحبها معدان توفي وخلف ولدين أبا العساكر وعيسى، فاستبد عيسى بالولاية والمال. فسار أبو العساكر إلى خراسان وطلب من مسعود النجدة فسيّر معه عسكراً وأمرهم بأخذ البلاد من عيسى أو الاتفاق مع أخيه على طاعته، فوصلوا اليها ودعوا عيسى الى الطاعة والموافقة فأبى وجمع جمعاً كثيراً بلغوا ثمانية عشر ألفاً وتقدم إليهم، فالتقوا فاستأمن كثيرٌ من أصحاب عيسى إلى أخيه أبي العساكر فانهزم عيسى. ثم عاد وحمل في نفر من أصحابه فتوسط المعركة فقتل واستولى أبو العساكر على البلاد ونهبها ثلاثة أيام فأجحف بأهلها.

ذكر ملك الروم مدينة الرَّها

في هذه السنة ملكَ الروم مدينة الرها. وكان سبب ذلك أن الرها كانت بيد نصر الدولة بن مروان كما ذكرناه، فلما قتل عطير الذي كان صاحبها شفع صالح بن مرداس صاحب حلب إلى نصر الدولة ليعيد الرها الى ابن عطير والى ابن شِبل بينهما نصفين فقبل شفاعته وسلمها إليهما، وكان له في الرها برجان حصينان أحدهما أكبر من الآخر فتسلم ابن عطير الكبير، وابن شبل الصغير وبقيت المدينة معهما إلى هذه السنة، فراسل ابن عطير أرمانوس ملك الروم وباعه حصته من الرها بعشرين ألف دينار وعدة قرى من جملتها قرية تعرف الى الآن بسنِّ ابن عطير وتسلموا البرج الذي له ودخلوا البلد

---

(١) التِيز: بكسر أوله بلدة على ساحل بحر مكران، ومكران بضم الميم في أوله وسكون الكاف وزاء وآخره نون.

فملكوه وهرب منه أصحاب ابن شبل . وقتل الروم المسلمين وخربوا المساجد ، وسمع نصر الدولة الخبر فسيّر جيشاً الى الرها فحصروها وفتحوها عنوة واعتصم من بها من الروم بالبرجين واحتمى النصارى بالبيعة التي لهم ـ وهي من أكبر البيع وأحسنها عمارة ـ فحصرهم المسلمون بها وأخرجوهم وقتلوا أكثرهم ونهبوا البلد وبقي الروم في البرجين ، وسير إليهم عسكراً نحو عشرة آلاف مقاتل فانهزم أصحاب ابن مروان من بين أيديهم ودخلوا البلد وما جاورهم من بلاد المسلمين ، وصالحهم ابن وثاب النميري على حران وسروج وحمل إليهم خراجاً .

ذكر ملك مسعود بن محمود كرمان وعود عسكره عنها

وفيها سارت عساكر خراسان إلى كرمان فملكوها ، وكانت للملك ابي كاليجار فاحتمى عسكره بمدينة بردسير وحصرهم الخراسانيون فيها وجرى بينهم عدة وقائع ، وأرسلوا الى الملك أبي كاليجار يطلبون المدد فسير إليهم العادل بهرام بن مافنّة في عسكر كثيف ، ثم إن الذين ببردسير خرجوا الى الخراسانية فواقعوهم واشتد القتال وصبروا لهم ، فأجلت الوقعة عن هزيمة الخراسانية وتبعهم الديلم حتى أبعدوا . ثم عادوا إلى بردسير ووصل العادل عقيب ذلك إلى جيرفت وسير عسكره الى الخراسانية ـ وهم بأطراف البلاد ـ فواقعوهم فانهزم الخراسانية ودخلوا المفازة عائدين إلى خراسان ، وأقام العادل بكرمان إلى أن أصلح أمورها وعاد الى فارس .

ذكر وفاة القادر بالله وشيء من سيرته وخلافة القائم بأمر الله

في هذه السنة في ذي الحجة[١] توفي الإمام القادر بالله أمير المؤمنين وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر[٢] ، وخلافته إحدى وأربعون سنة وثلاثة أشهر وعشرون يوماً ، وكانت الخلافة قبله قد طمع فيها الديلم والأتراك فلما وليها القادر بالله أعاد جِدّتها وجدّد ناموسها وألقىٰ الله هيبته في قلوب الخلق فأطاعوه أحسن طاعة وأتمها .

وكان حليماً كريماً خيراً يحب الخير وأهله ويأمر به وينهى عن الشر ويبغض أهله ، وكان حسن الاعتقاد صنف فيه كتاباً على مذهب السنة . ولما توفي صلى عليه ابنه القائم بأمر الله .

(١) توفي ليلة الاثنين حادي عشر ذي الحجة ودفن ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء .
(٢) زاد في البداية والنهاية « واحد عشر يوماً » ١٢ / ٣٣ .

وكان القادر بالله أبيض حسنَ الجسم ، كثّ اللحية طويلها يخضب ، وكان يخرج من داره في زي العامة ويزور قبور الصالحين كقبر معروف وغيره وإذا وصل اليه حال أمر فيه بالحق ، قال القاضي الحسين بن هارون : كان بالكرخ مُلكٌ ليتيم ـ وكان له فيه قيمة جيدة ـ فأرسل الى ابن حاجب النعمان ـ وهو حاجب القادر ـ يأمرني أن افك عنه الحجر ليشتري بعض أصحابه ذلك الملك فلم افعل فأرسل يستدعيني فقلت لغلامه : تقدمني حتى ألحقك وخفته فقصدت قبر معروف ودعوت الله أن يكفيني شره وهناك شيخ فقال لي : على من تدعو ؟ فذكرت له ذلك ووصلت الى ابن حاجب النعمان فاغلظ لي في القول ولم يقبل عذري فأتاه خادم برقعة ففتحها وقرأها وتغير لونه ونزل من الشدة فاعتذر إلي ثم قال : كتبت الى الخليفة قصتي ؟ فقلت : لا وعلمت أن ذلك الشيخ كان الخليفة .

وقيل: كان يقسم إفطاره كل ليلة ثلاثة أقسام: فقسم كان يتركه بين يديه وقسم يرسله إلى جامع الرصافة وقسم يرسله إلى جامع المدينة يفرق على المقيمين فيهما، فاتفق ان الفراش حمل ليلة الطعام إلى جامع المدينة ففرقه على الجماعة فأخذوا إلا شاباً فإنه رده. فلما صلوا المغرب خرج الشاب وتبعه الفراش، فوقف على باب فاستطعم فأطعموه كسيرات فأخذها وعاد إلى الجامع فقال له الفراش: ويحك ألا تستحي يُنفذ إليك خليفة الله بطعام حلال فترده وتخرج وتأخذ من الأبواب؟ فقال: والله ما رددته إلا لأنك عرضته على قبل المغرب وكنت غير محتاج إليه فلما احتجت طلبت، فعاد الفراش فأخبر الخليفة بذلك فبكى وقال له: راعِ مثل هذا واغتنم أخذه وأقمْ إلى وقت الافطار.

وقال أبو الحسن الأبهري : أرسلني بهاء الدولة الى القادر بالله في رسالة فسمعته ينشد .

سبقَ القضاءُ بكل ما هو كائنُ	والله يا هذا لِرزقكِ ضامنُ
تُعنىٰ بما يَفنىٰ وَتَتْرُك ما بِهِ	تغنى كأنكَ للحوادثِ آمن
أَوَ ما ترىٰ الدنيا ومصرع أهلها	فآعمل ليوم فراقها يا خائنُ
وآعلم بأنك لا أبا لكَ في الذي	أصبحتَ تجمَعُه لغيْرِكَ خَازِنُ
يا عامرَ الدنيا أتعمرُ منزلاً	لم يبقَ فيهِ معَ المنْيةِ ساكنُ

الموتُ شيء أنت تَعلْم أنهُ ... حق وأنتَ بذكرهِ مُتهاونُ
إن المنيةَ لاَ تُؤامِر من أتتْ ... في نفسه يوماً ولا تستأذنُ

فقلت : الحمدلله الذي وفق أمير المؤمنين لإنشاد مثل هذه الأبيات . فقال : بل لله المِنة إذ ألزمنا بذكره ووفقنا لشكره ، ألمْ تَسمع قول الحسن البصري في أهلِ المعاصي . هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم .

ومناقبه كثيرة .

ذكر خلافة القائم بأمر الله

لما ماتَ القادرُ بالله جلسَ في الخلافة ابنه القائم بأمر الله أبو جعفر عبدالله ، وجُددتْ له البيعة ، وكان أبوه قد بايع له بولاية العهد سنة إحدى وعشرين كما ذكرناه واستقرت الخلافة له . وأول من بايعه الشريف أبو القاسم المرتضى وأنشده :

فإما مضى جبلٌ وانقضى ... فمِنْكَ لنا جبلٌ قد رسَى
وإما فجعنا ببدرِ التمامِ ... فقد بقيَتْ منه شمسُ الضُّحى
لنا حزنٌ في محلِ السرورِ ... وكَمْ ضحك في خلالِ البكى[١]
فيا صارم أغمدَتْهُ يدٌ ... لنا بَعْدَكَ الصارم المُنتضى

وهي أكثر من هذا[٢] .

وأرسل القائم بأمر الله قاضي القضاة أبا الحسن الماوردي إلى الملك أبي كاليجار ليأخذ عليه البيعة ويخطب له في بلاده فأجاب وبايع وخطب له في بلاده وأرسل إليه هدايا جليلة وأموالاً كثيرة .

ذكر الفتنة ببغداد

في هذه السنة في ربيع الأول ، تجدّدت الفتنة ببغداد بين السنية والشيعة . وكان

---

(١) في البداية والنهاية « في محل البكا » ١٢/ ٣٤

(٢) ذكر في البداية والنهاية ١١/ ٣٤ بعد هذه الأبيات بيتين وهما : .

ولما حضرنا لعقد البياع ... عرفنا بهديك طرق الهدى
فقابلتنا بوقار المشيب ... كمالا وسنك سن الفتى

سبب ذلك أن الملقب بالمذكور أظهر العزم على الغزاة ، واستأذن الخليفة في ذلك فأذن له وكتب له منشوراً من دار الخلافة وأعطى علماً فاجتمع له لفيف كثير ، فسار واجتاز بباب الشعير وطاف الحراني وبين يديه الرجال بالسلاح فصاحوا بذكر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وقالوا : هذا يوم معاوي فنافرهم أهل الكرخ ورموهم وثارت الفتنة ونهبت دور اليهود لأنهم قيل عنهم أنهم أعانوا أهل الكرخ . فلما كان الغد اجتمع أهل السنة من الجانبين ومعهم كثير من الأتراك وقصدوا الكَرْخ فأحرقوا وهدموا الأسواق ، وأشرف أهل الكرخ على خطة عظيمة . وأنكر الخليفة ذلك إنكاراً شديداً ونسب إليهم تخريق علامته التي مع الغزاة ، فركب الوزير فوقعت في صدره آجرة فسقطت عمامته وقتل من أهل الكرخ جماعة ، وأحرق وخرب في هذه الفتنة سوق العروس ، وسوق الصفارين ، وسوق الأنماط ، وسوق الدقاقين وغيرها . واشتد الأمر فقتل العامة الكلالكي وكان ينظر في المعونة وأحرقوه . ووقع القتال في أصقاع البلد من جانبيه واقتتل أهل الكَرْخ ، ونهر طابق ، والقلائين ، وباب البصرة ، وفي الجانب الشرقي أهل سوق الثلاثاء ، وسوق يحيى ، وباب الطاق ، والأساكفة ، والرهادرة ، ودرب سليمان ، فقطع الجسر ليفرق بين الفريقين ، ودخل العيّارون البلد وكثَر الاستقفاء والعملات ليلاً ونهاراً ، وأظهر الجند كراهة الملك جلال الدولة وأرادوا قطع خطبته ، ففرق فيهم مالاً وحلف لهم فسكنوا . ثم عاودوا الشكوى الى الخليفة منه وطلبوا أن يأمر بقطع خطبته فلم يجبهم إلى ذلك ، فامتنع حينئذ جلال الدولة من الجلوس وضربه النوبة أوقات الصلوات وانصرف الطبالون لانقطاع الجاري لهم ودامت هذه الحال الى عيد الفطر فلم يضرب بوقٌ ولا طبلٌ ولا أظهرت الزينة وزاد الاختلاط ، ثم حدث في شوال فتنة بين أصحاب الأكسية ، وأصحاب الخلعات ـ وهما شيعة ـ وزاد الشرم ودام الى ذي الحجة فنودي في الكرخ بإخراج العيارين فخرجوا ، واعترض أهل باب البصرة قوماً من قُمْ أرادوا زيارة مشهد علي والحسين عليهما السلام فقتلوا منهم ثلاثة نفر ، وامتنعت زيارة مشهد موسى بن جعفر .

ذكر ملك الروم قلعة أفامية

في هذه السنة ملك الروم قلعة أفامية بالشام ، وسبب ملكها أن الظاهر خليفة مصر سيّر الى الشام الدزبري وزيره فملكه ، وقصد حسان بن المفرج الطائي فألح في

طلبه فهرب منه ودخل بلد الروم ولبس خلعه ملكهم وخرج من عنده ـ وعلى رأسه علم فيه صليبٌ ومعه عسكر كثير ـ فسار إلى أفامية فكبسها وغَنِم ما فيها وسبى أهلها وأسرهم وسير الدزبريّ إلى البلاد يستنفرُ الناس للغزو .

ذكر الوحشة بين بارسطغان وجلال الدولة

اجتمع أصاغر الغلمان هذه السنة إلى جلال الدولة وقالوا له : قد هلكنا فقراً وجوعاً وقد استبد القواد بالدولة والأموال عليك وعلينا وهذا بارسطغان ويلدرك قدأفقرانا وأفقراك أيضاً . فلما بلغهما ذلك امتنعا من الركوب إلى جلال الدولة واستوحشا ، وأرسل إليهما الغلمان يطالبونهما بمعلومهم فاعتذرا بضيق أيديهما عن ذلك ، وسارا الى المدائن فندم الأتراكُ على ذلك ، وأرسل إليهما جلال الدولة مؤيد الملك الرّخْجِيّ والمرتضى وغيرهما فرجعا ، وزاد تسحب الغلمان على جلال الدولة إلى أن نهبوا من داره فرشاً ، وآلاتَ ودوابَ وغير ذلك ، فركب وقت الهاجرة الى دار الخلافة ومعه نفرٌ قليل من الركابية والغلمان وجمع كثير من العامة ـ وهو سكران ـ فانزعج الخليفة من حضوره . فلما علم الحال أرسل اليه يأمره بالعودة الى داره ويطيب قلبه فقبل قربوس سرجه ومسح حائط الدار بيده وأمرها على وجهه وعاد الى داره والعامة معه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قبل قاضي القضاة أبو عبدالله بن ماكولا شهادة أبي الفضل محمد بن عبد العزيز بن الهادي ، والقاضي أبي الطيب الطبري . وأبي الحسين بن المهتدي . وشهد عنده أبو القاسم بن بشران وكان قد ترك الشهادة قبل ذلك .

وفيها فوض مسعود بن محمود بن سبكتكين إمارة الريّ وهمذان والجبال الى تاش فراش وكتب له إلى عامل نيسابور بإنفاق الأموال على حَشَمِهِ ، ففعل ذلك ، وسار إلى عمله ، وأساء السيرة فيه .

وفيها في رجب أخرج الملك جلال الدولة دوابه من الإصطبل وهي خمس عشرة دابة وسيبها في الميدان بغير سائس ولا حافظ ولا علف فعل ذلك لسببين ، أحدهما ، عدم العلف ، والثاني : أن الأتراك كانوا يلتمسون دوابه ويطلبونها كثيرا فضجر منهم فأخرجها وقال : هذه دوابي منها خمس لمركوبي والباقي لأصحابي ثم صرف حواشيه

وفراشيه وأتباعه وأغلق باب داره لانقطاع الجاري له . فثارت لذلك فتنة بين العامة والجند وعظم الأمر وظهر العيارون ، وفيها عزل عميد الدولة وزير جلال الدولة ووُزِّر بعده أبو الفتح محمد بن الفضل بن أردشير فبقي أياماً ولم يستقم أمره فعزل وَوُزِّر بعده أبو اسحاق ابراهيم بن أبي الحسين ـ وهو ابن أخي ابي الحسين السهلي وزير مأمون صاحب خوارزم ـ فبقي في الوزارة خمسة وخمسين يوماً وهرب . وفيها توفي عبد الوهاب بن علي بن نصر أبو نصر الفقيه المالكي بمصر وكان ببغداد ففارقها الى مصر عن ضائقة فأغناه المغاربة[1] .

---

(١) هو من ذرية مالك بن طوق الثعلبي صاحب الرحبة. ولد يوم الخميس السابع من شوال سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ببغداد وكان أبوه من أعيان الشهود العدول كان فقيهاً أديباً شاعراً ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه ـ وهو من مشايخه ـ قال: سمع أبا عبد الله العسكري . وعمر بن محمد بن سنبل . وأبا حفص بن شاهين، وحدث بشيء يسير وكتبت عنه وكان ثقة ولم يلق أحداً من المالكيين افقه منه. تولى القضاء ببادرايا، وباكسايا ـ وهما بلدانَ من أعمال العراق ـ صنف في مذهبه كتاب التلقين ـ وهو مع صغر حجمه من خيار الكتب وأكثرها فائدة ـ وكتاب المعونة في شرح الرسالة وغير ذلك عدة تصانيف، وخرج من بغداد كما قال المصنف لفاقة اصابته، ومن شعره في ذلك:

بغداد دار لأهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق

ظللت حيران أمشي في ازقتها ... كما أنني مصحف في بيت زنديق

ومات بمصر من أكلة اشتهاها فأكلها فصار يقول ـ وهو يتقلب من وجعه: لا اله إلا الله عندما عشنا متنا ليلة الاثنين الرابعة عشر من صفر ودفن بالقرافة الصغرى.

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

ذكر وثوب الأجناد بجلال الدولة وإخراجه من بغداد

في هذه السنة في ربيع الأول تجددت الفتنة بين جلال الدولة وبين الأتـراك، فأغلق بابه فجاءت الأتراك ونهبوا داره وسلبوا الكتّاب وأرباب الديوان ثيابهم ، وطلبوا الوزيرَ أبا إسحاق السهلي فهرب إلى حِلة كمال الدولة غريب بن محمد ، وخرج جلال الدولة إلى عكبرا في شهر ربيع الآخر. وخطب الأتراك ببغـداد للملك أبي كاليجـار وأرسلوا إليه يطلبونه وهو بالأهواز ، فمنعه العادل بن مافنة عن الإصعاد إلى أن يحضر بعض قوّادهم فلمّا رأوا امتناعه من الوصول إليهم ، أعادوا خطبة جلال الدولة وساروا إليه وسألوه العودَ إلى بغداد واعتذروا فعاد إليها بعد ثلاثة وأربعين يوماً ووزّر له أبو القاسم ابن ماكولا ثم عُزل ووزّر بعده عميد الدولة أبو سعد بن عبد الرحيم فبقي وزيراً أياماً ثم استتر، وسبب ذلك أن جلال الدولة تقدم إليه بالقبض على أبي المعمـر إبراهيم بن الحسين البسامي طمعاً في ماله ، فقبض عليه وجعله في داره فثار الأتراك وأرادوا منعه وقصدوا دارَ الوزير وأخذوه وضربوه وأخرجوه من داره حافياً ومزقوا ثيابه وأخذوا عمامته وقطّعوها وأخذوا خواتيمه من يده فدَمِيَتْ أصابعه . وكان جلال الدولة في الحمام فخرج مرتاعاً فركب وظهر لينظر ما الخبر ، فأكب الوزير يقبل الأرض ويذكر ما فُعل به فقال جلال الدولة : أنا ابن بهاء الدولة وقد فعل بي أكثر من هذا ، ثم أخذ من البسامي ألف دينار وأطلق واختفى الوزير .

ذكر انهزام علاء الدولة بن كاكوَيَهِ من عسكر مسعود بن محمود بن سبكتكين

قد ذكرنا انهزام علاء الدولة أبي جعفر من الريّ ومسيره عنها،فلما وصل إلى قلعة فردجان أقام بها لتندمل جراحه ومعه فَرْهاذ بن مَرداويج ، كان قد جاءه مدداً له ، وتوجهوا منها

إلى بَرْوَجُرد فسيّر تاش فرّاش مقدّم عسكر خراسان جيشاً إلى علاء الدولة واستعمل عليهم علي بن عمران فسار يقصُّ أثر علاء الدولة ، فلما قارب بروجرد صعد فِرْهاذ إلى قلعة سليموه ومضى أبو جعفر إلى سابور خواست ونزل عند الأكراد الجوْزَقان وملك عسكر خراسان بروجرد وراسل فِرْهاذ الأكراد الذين مع علي بن عمران واستمالهم فصاروا معه وأرادوا أن يفتكوا بعليّ فبلغه الخبر فركب ليلاً في خاصّته وسار نحو هَمَذَان، ونزل في الطريق بقرية تعرف بـ« كَسَبْ » وهي منيعة، فاستراح فيها فلحقه فرهاذ وعسكره والأكراد الذين صاروا معه وحصروه في القرية، فاستسلم وأيقن بالهلاك ، فأرسل الله تعالى ذلك اليوم مطراً وثلجاً فلم يمكنهم المقام عليه لأنّهم كانوا جريدة بغير خيام ولا آلة الشتاء ، فرحلوا عنه .

وراسل علي بن عمران الأمير تاش فرّاش يستنجده ويطلب العسكر إلى همذان، ثم اجتمع فرهاذ وعلاء الدولة ببروجرد واتفقا على قصد همذان. وسُيِّر علاء الدولة إلى أصبهان وبها ابن أخيه يطلبه وأمره بإحضار السّلاح والمال ففعل وسار ، فبلغ خبره علي ابن عمران فسار إليه من همذان جريدة فكبسه بجرباذقان وأسر كثيراً من عسكره وقتل منهم وغنم ما معه من سلاحٍ ومالٍ وغير ذلك ، ولما سار عليّ عن همذان دخلها علاء الدولة وملكها ظناً منه أن علياً سار منهزماً ، وسار علاء الدولة من همذان إلى كَرَج فأتاه خبر ابن أخيه ففتّ في عضده . وكان علي بن عمران قد سار بعد الوقعة إلى أصْبَهان طامعاً في الاستيلاء عليها وعلى مال علاء الدولة وأهله فتعذر عليه ذلك ومنعه أهلها والعسكر الذي فيها فعاد عنها فلقيه علاء الدولة وفرهاذ فاقتتلوا فانهزم منهما ، وأخذوا ما معه من الأسرى إلا أبا منصور بن أخي علاء الدّولة فإنّه كان قد سيَّره إلى تاش فراش وسار عليّ من المعركة منهزماً نحو تاش فراش فلقيه بكرجٍ فعاتبه على تأخّره عنه واتفقا على المسير إلى علاء الدولة وفرهاذ وكان قد نزل بجبل عند بروجرد متحصِّناً فيه فافترق تاش وعلي وقصداه من جهتين : أحدهما من خلفه والآخر من الطريق المستقيم، فلم يشعر إلا وقد خالطه العكسر، فانهزم علاء الدولة وفرهاذ وقتل كثير من رجالهما ، فمضى علاء الدولة إلى أصبهان وصعد فرهاذ إلى قلعة سَليمُوه فتحصَّن بها .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة توفِّي قدرخان ملك الترك بما وراء النهر .

وفيها ورد أحمد بن محمّد المتكدِري الفقيهُ الشافعيّ رسولاً مِن مسعود بن محمود ابن سبكتكين إلى القائم بأمر الله معزياً له بالقادر بالله ، وفيها نقل تابوت القادر بالله إلى المقبرة بالرصافة ، وشهده الخلق العظيم، وحجاج خراسان ، وكان يوماً مشهوداً .

وفيها كان بالبلاد غلاء شديد، واستسقى الناس فلم يُسقوا، وتبعه وباء عظيم ، وكان عامّاً في جميع البلاد بالعراق والموصل والشام وبلد الجبل وخراسان وغَزْنة والهند وغير ذلك ، وكَثُر الموت فدفن في أصبهان في عدة أيام أربعون ألف ميت ، وكثر الجدري في الناس فأحصي بالموصل أنّه مات به أربعة آلاف صبي ، ولم تَخْلُ دار من مصيبة لعموم المصائب وكثرة الموت ، وممّن جدَّر القائم بأمر الله وسلم .

وفيها جمع نائب نصر الدولة بن مروان بالجزيرة جمعاً ينيف على عشرة آلاف رجل وغزا من يقاربه من الأرمن وأوقع بهم وأثخن فيهم وغنم وسبى كثيراً ، وعاد ظافراً منصوراً .

وفيها كان بين أهل تونس من افريقية خلف ، فسار المعز بن باديس إليهم بنفسه فأصلح بينهم وسكَّن الفتنة وعاد .

وفيها اجتمع ناس كثير من الشيعة بافريقية وساروا إلى أعمال نفطة ، فاستولوا على بلد منها وسكنوه ، فجرّد إليهم المعزُّ عسكراً فدخلوا البلاد وحاربوا الشيعة وقتلوهم أجمعين .

وفيها خرجت العرب على حاج البصرة ونهبوهم وحجّ الناس من سائر البلاد إلاَّ من العراق .

وفيها توفي أبو الحسن بن رضوان المصري النحوي في رجب .

وفيها قتل الملك أبو كاليجار صندلاً الخصي ، وكان قد استولى على المملكة وليس لأبي كاليجار معه غير الاسم .

وفيها توفيّ علي بن أحمد بن الحسن بن محمد بن نعيم أبو الحسن النعيمي البصري : حدث عن جماعة وكان حافظاً شاعراً فقيهاً على مذهب الشافعي .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وأربعمائة

ذكر عود مسعود إلى غزنة والفتن بالري وبلد الجبل

في هذه السنة، في رجب، عاد الملك مسعود بن محمود بن سبُكْتَكِين من نَيْسابُور إلى غَزْنَة وبلاد الهند، وكان سبب ذلك أنه لمّا كان قد استقرَّ له الملك بعد أبيه أقرَّ بما كان قد فتحه أبوه من الهند نائباً يسمّى أحمد ينالتِكِين، وقد كان أبوه محمود استنابه بها ثقة بجلده ونهضته فرست قدمه فيها، وظهرت كفايته، ثم إنّ مسعوداً بعد فراغه من تقرير قواعد الملك والقبض على عمه يوسف والمخالفين له، سار إلى خراسان عازماً على قصد العراق، فلما أبعد عصى ذلك النائب بالهند فاضطر مسعود إلى العود فأرسل إلى علاء الدولة بن كاكويه وأمره على أصبهان بقرار يؤدِّيه كل سنة. وكان علاء الدولة قد أرسل يطلب ذلك فأجابه إليه وأقر ابن قابوس بن وشمكير على جرجان وطبرستان على مالٍ يؤديه إليه، وسير أبا سهل الحمدوني إلى الريّ للنظر في أمور هذه البلاد الجبلية والقيام بحفظها، وعاد إلى الهند فأصلحَ الفاسدَ وأعاد المخالِفَ إلى طاعته وفتح قلعةَ حصينة تُسمّى سَرُستي على ما نذكره، وقد كان أبوه حصرها غير مرّة فلم يتهيأ له فتحها، ولمّا سار أبو سهل إلى الريّ أحسن إلى الناس وأظهر العدل، فأزال الأقساط والمصادرات، وكان تاش فرّاش قد ملأ البلاد ظلماً وجوراً حتى تمنى الناس الخلاص منهم ومن دولتهم وخربت البلاد وتفرق أهلها فلما ولي الحمدوني وأحسن وعدل عادت البلاد فعمرت والرعية أمِنَتْ؛ وكان الإرجاف شديداً بالعراق لمّا كان الملك مسعود بنيسابور، فلما عاد سكن الناس واطمأنوا.

ذكر ظفر مسعود بصاحب ساوَة[1] وقتله

فيها قبض عسكر السّلطان مسعود بن محمود على شَهرَيُوش بن وَلكين فأمر به مسعود فقُتِل وصُلِب على سور ساوَة ، وكان سبب ذلك أن شهريوش كان صاحب ساوة وقم وتلك النواحي ، فلمّا اشتغل مسعود بأخيه محمد بعد موت والده جمع شهريوش جمعاً وسار إلى الريّ محاصراً لها فلم يتم ما أراده ، وجاءت العساكر فعاد عنها .

ثم في هذه السنة اعترض الحجاج الواردين من خُراسان وعمَّهم أذاه وأخذ منهم ما لم تجر به عادة وأساء إليهم وبلغ ذلك إلى مسعود فتقدم إلى تاش فراش وإلى أبي الطيب طاهر بن عبدالله خليفته معه يطلب شهريوش وقصده أين كان واستنفاد الوسع في قتاله ، فسارت العساكر في أثره فاحتمى بقلعة تقارب قمّ تُسمَّىٰ فستُق وهي حصينةٌ عاليةٌ وثيقةُ البنيان فأحاطوا به وأخذوه ، وكتبوا إلى مسعود في أمره ؛ فأمرهم بصلبه على سور ساوة .

ذكر استيلاء جلال الدولة على البصرة وخروجها عن طاعته

في هذه السنة سارت عساكر جلال الدولة مع ولده الملك العزيز فدخلوا البصرة في جمادى الأولى ، وكان سبب ذلك أن بختيار مُتولي البصرة توفّي ، فقام بعده ظهير الدّين أبو القاسم خال ولده لجلدٍ كان فيه وكفاية وهو في طاعة الملك أبي كاليجار ، ودام كذلك ، فقيل لأبي كاليجار إنّ أبا القاسم ليس لك من طاعته غير الاسم ولو رمت عزله لتعذَّر عليك ، وبلغ ذلك أبا القاسم فاستعدّ للامتناع وأرسل أبو كاليجار إليه ليعزله فامتنع ، وأظهر طاعة جلال الدولة ، وخطب له وأرسل إلى ابنه وهو بواسط يطلبه ، فانحدر إليه في عساكر أبيه التي كانت معه بواسط ودخلوا البصرة وأقاموا بها وأخرجوا عساكر أبي كاليجار منها وبقي الملك العزيز بالبصرة مع أبي القاسم إلى أن دخلت سنة خمس وعشرين وليس له معه أمر والحكم إلى أبي القاسم، ثمّ إنّه أراد القبض على بعض الدَّيلم فهرب ودخل دار

---

(١) ساوة : بعد الألف واو مفتوحة بعدها هاء ساكنة ، مدينة حسنة بين الري وهمذان في وسط ، بينها وبين كل واحد من همذان والري ثلاثون فرسخاً .

الملك العزيز مستجيراً ، فاجتمع الدَّيْلم إليه وشكوا من أبي القاسم فصادف شكواهم صدراً موغراً حنقاً عليه لسوء صحبته، فأجابهم إلى ما أرادوه من إخراجه عن البصرة، واجتمعوا وعلم أبو القاسم بذلك فامتنع بالأبلّة وجمع أصحابه وجرى بين الفريقين حروب كثيرة انجلت عن خروج العزيز عن البصرة وعوده إلى واسط وعود أبي القاسم إلى طاعة أبي كاليجار .

ذكر إخراج جلال الدولة من دار المملكة وإعادته إليها

في هذه السنة في رمضان شغب الجند على جلال الدولة وقبضوا عليه ثم أخرجوه من داره ثم سألوه ليعود إليها فعاد ، وسبب ذلك أنه استقدم الوزير أبا القاسم من غير أن يعلموا ، فلمّا قدم ظنُّوا أنه إنّما ورد للتعرُّض إلى أموالهم ونعمهم فاستوحشوا واجتمعوا إلى داره وهجموا عليه وأخرجوه إلى مسجد هناك ، فوكلوا به فيه ، ثمّ إنّهم أسمعوه ما يكره ونهبوا بعض ما في داره ، فلما وكلوا به جاء بعض القوَّاد في جماعةٍ من الجند ومن انضاف إليه من العامَّةِ والعيّارين فأخرجه من المسجد وأعاده إلى داره فنقل جلال الدَّولة ولده وحرمه وما بقي له إلى الجانب الغربي وعبر هو في الليل إلى الكَرْخ، فلقِيَه أهل الكرخ بالدُّعاء فنزل بدار المرتضى وعبر الوزير أبو القاسم معه ثمَّ إنَّ الجند اختلفوا فقال بعضهم نخرجه من بلادنا ونملِّكُ غيره، وقال بعضهم، ليس من بني بويه غيره وغير أبي كاليجار وذلك قد عاد إلى بلاده ولا بد من مداراة هذا فأرسلوا إليه يقولون له نريد أن تنحدر عنّا إلى واسط وأنت ملكنا وتترك عندنا بعض أولادك الأصاغِر، فأجابهم إلى ذلك وأرسل سرّاً إلى الغلمان الأصاغر فاستمالهم وإلى كل واحد من الأكابر وقال إنّما أثق بك وأسكن إليك واستمالهم أيضاً فعبروا إليه وقبَّلوا الأرض بين يديه وسألوه العود إلى دار الملك فعاد وحلف لهم على إخلاص النيّة والإحسان إليهم وحلفوا له على المناصحة واستقر في داره .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة تُوفِّي الوزير أحمد بن الحسن الميمَندِي وزير مسعود بن سبكتكين ، ووزّر بعده أبو نصر أحمد بن علي بن عبد الصمد وكان وزير هارون التُونتاش صاحب خوارزم ، ووزر بعده لهارون ابنه عبد الجبار ، وفيها ثار

العيَّـارون ببغداد وأخـذوا أموال النـاس ظاهـراً وعظُم الأمر على أهـل البلد وطمـع المفسدون إلى حدّ أنَّ بعض القواد الكبار أخذ أربعةً من العيارين فجاء عقيدهم وأخذ من أصحاب القائد أربعة وحضر باب داره ودق عليـه الباب فكلمـه من داخل فقـال العقيد : قد أخذت من أصحابك أربعة فإن أطلقت من عندك أطلقت أنا مَن عندي وإلا قتلتُهم وأحرقْتُ دارَك، فأطلقهم القائد.

وفيها تأخر الحاجُّ من خراسان، وفيهـا خرج حجَّـاج البصرة بخفيـر فغدر بهم ونهبهم.

وفيها في جمادى الأولى توفي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن البيضاوي الفقيه الشافعي عن نيِّفٍ وثمانين سنة.

وفيها في شوال توفي أبو الحسن بن السماك القاضي عن خمس وتسعين سنة.

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وأربعمائة

ذكر فتح قلعة سرستي وغيرها من بلد الهند

في هـذه السنـة ، فتـح السلطان مسعـود بن محمـود بن سبكتكين قلعـة سـرستي وما جـاورهـا من بلد الهنـد ، وكـان سبب ذلـك مـا ذكـرنـاه من عصيـان نـائبه بـالهند أحمـد ينالتكين عليـه ومسيره إليـه ،فلمّاعـاد أحمـد إلى طـاعته أقـام بتلك البـلاد طويـلاً حتى أمنت واستقـرّت ، وقصـد قلعـة سَـرُستي وهي من أمنـع حصون الهند وأحصنها فحصرها وقد كان أبوه حصرها غير مرَّةٍ فلم يتهيأ له فتحها، فلما حصرها مسعود راسله صاحبها وبذل له مالا على الصُّلح فأجابه إلى ذلك وكان فيها قوم من التجار المسلمين فعزم صاحبها على أخذ أموالهم وحملهـا إلى مسعود من جملة القرار عليه ، فكتب التُّجار رقعةً في نشَّابة ورموا بها إليه يُعرِّفونه فيها ضعف الهنود بها وأنه إن صابرهم ملكها ، فرجع عن الصلح إلى الحرب وطمَّ خندقها بالشجر وقصب السكر وغيره . وفتح الله عليه وقتل كل من فيها وسبى ذراريهم وأخذ ما جاورها من البلاد وكان عازماً على طول المقام والجهاد فأتاه من خراسان خبر الغزو، فعاد على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر حصر قلعة بالهند أيضاً

لمـا ملك مسعـود قلعـة سـرستى رحـل عـنهـا إلـى قلعـة نَـغْسَـى ، فـوصل إليهـا عاشـر صفر وحصـرها فـرآها عـالية لا تـرام يرتـد البصر دونهـا وهـو حسير . إلاَّ أنه أقام عليها يحصرُها فخرجت عجوز ساحرة فتكلمت باللسان الهندي طويلاً وأخذت مكنسةً فبلّتها بالمـاء ورشته منهـا إلى جهة عسكـر المسلمين فمرض وأصبح لا يقدر أن يرفع رأسه وضعفت قوته ضعفاً شديداً فرحلَ عن القلعة لشدة المرض فحين فارقها زال ما كان به وأقبلت الصحة والعافية إليه وسار نحو غَزنة .

ذكر الفتنة بنيسابور

لمَّا اشتدَّ أمر الأتراك بخُراسان ـ على ما نذكره ـ تجمَّع كثيرٌ من المفسدين وأهل العبث والشرّ وكان أوّل من أثار الشرَّ أهل أَبْيُورد وطُوس واجتمع معهم خلق كثير وساروا إلى نيسابور لينهبوها . وكان الوالي عليها قد سار عنها إلى الملك مسعود فخافهم خوفاً عظيماً وأيقنوا بالهلاك. فبينما هم يترقبون البوار والاستئصال وذهاب الأنفس والأموال إذ وصل إليهم أمير كرمَان في ثلاثمائة فارسٍ قدم متوجهاً إلى مسعود أيضاً فاستغاث به المسلمون وسألوه أن يقيم عندهم ليكف عنهم الأذى ، فأقام عليهم وقاتل معهم ، وعظُم الأمر، واشتدّت الحرب وكان الظفر له ولأهل نيسابور ، فانهزم أهل طُوس وأَبيورد ومن تبعهم وأخذتهم السيوف من كلِّ جانبٍ وعمل بهم أمير كَرمان أعمالاً عظيمةً وأثخن فيهم وأسر كثيراً منهم وصلبهم على الأشجار وفي الطرق ، فقيل إنه عدم من أهل طوس عشرون ألف رجل، ثم إن أمير كرمان أحضر زعماء قرى طوس وأخذ أولادهم وإخوانهم وغيرهم من أهليهم رهائن فأودعهم السجون وقال : إن اعترض منكم واحد إلى أهل نيسابور أو غيرهم أو قطع طريقاً فأولادكم وإخوانكم ورهائنكم مأخوذون بجناياتكم ، فسكن الناس وفرَّج الله عن أهل نيسابور بما لم يكن في حسابهم .

ذكر الحرب بين علاء الدولة وعسكر خراسان

في هذه السنة اجتمع علاء الدولة بن كاكويه وفرهاذ بن مِرْدَاوَيْج ، واتَّفق على قتال عسكر مسعود بن محمود سبكتكين ، وكانت العساكر قد خرجت من خراسان مع أبي سهلٍ الحمدوني ، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً صبر فيه الفريقان ، ثمَّ انهزم علاء الدَّولة وقتل فرهاذ واحتمى علاء الدولة بجبال بين أصبهان وجر باذقان ، ونزل عسكر مسعود بكَرَج وأرسل أبو سهل إلى علاء الدَّولة يقول له ليبذل المال ويُراجع الطَّاعة لِيُقِرَّه على ما بقي من البلاد ويصلح حاله مع مسعود، فتردَّدت الرُّسل فلم يستقر بينهم أمر فسار أبو سهل إلى أصبهان فملكها ، وانهزم علاء الدولة من بين يديه لما خاف الطَّلب إلى ايدج وهي للملك أبي كاليجار ، ولمّا استولى أبو سهل على أصبهان نهب خزائن علاء الدّولة وأمواله . وكان أبو علي بن سينا في خدمة علاء الدولة فأخذت كتبه وحُمِلت إلى غَزْنَة، فجُعِلَتْ في خزائن كتبها

إلى أن أحرقها عساكر الحسين بن الحُسين الغوري على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكرُ الحرب بين نور الدولة دُبيس وأخيه ثابت

في هذه السَّنة ، كانت حرب شديدة بين دبيس بن علي بن مزيد وأخيه أبي قوّام ثابت بن علي بن مزيد . وسبب ذلك أنَّ ثابتاً كان يعتضد بالبساسيري ويتقرَّب إليه ، فلمّا كان سنة أربع وعشرين وأربعمائة سار البساسيري معه إلى قتال أخيه دبيس فدخلوا النيل واستولوا عليه وعلى أعمال نور الدّولة ، فسيّر نور الدّولة إليهم طائفة من أصحابه فقتلوهم فانهزموا ، فلمّا رأى دبيس هزيمة أصحابه سار عن بلده وبقي ثابت فيه إلى الآن ، فاجتمع دبيس وأبو المغر اعناز بن المغر وبنو أسد وخفاجة وأعانه أبو كامل منصور بن قراد وساروا جريدة لإعادة دبيس إلى بلده وأعماله وتركوا حللهم بين خصا وجربى ، فلمَّا ساروا لقيهم ثابت عند جرجرايا ، وكانت بينهم حرب قُتل فيها جماعةٌ من الفريقين ثمَّ تراسَلوا واصطلحوا ليعود دبيس إلى أعماله ويقطع أخاه ثابتاً أقطاعاً ، وتحالفوا على ذلك وسار البساسيري نجدة لثابت، فلمَّا وصل إلى النعمانيّة سمِع بصلحهم فعاد إلى بغداد .

ذكر ملك الروم قلعة بركوى

هذه قلعةٌ متاخمة للأرمن في يد أبي الهيجاء بن ربيب الدولة ابن أخت وهودان بن مملان ، فتنافر هو وخاله فأرسل خاله إلى الرُّوم فأطمعهم فيها فسيَّر الملك إليها جمعاً كثيراً فملكوها فبلغ الخبر إلى الخليفة فأرسل إلى أبي الهيجاء وخاله من يصلح بينهما ليتفقا على استعادة القلعة فاصطلحا ولم يتمكنا من استعادتها ، واجتمع إليهما خلق كثيرٌ من المتطوعة فلم يقدروا على ذلك لثبات قدم الرُّوم بها .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة استوزر جلال الدَّولة عميد الدَّولة أبا سعد بن عبد الرحيم وهي الوزارة الخامسة ، وكان قبله في الوزارة ابن ماكولا ، ففارقها وسار إلى عكبرا فرده جلال الدَّولة إلى الوزارة وعزل أبا سعد فبقي أياماً ثمَّ فارقها إلى أوانا ، وفيها استخلف البساسيري في حماية الجانب الغربي ببغداد لأنَّ العيَّارين اشتدَّ أمرهم وعظُم فسادهُم وعجز عنهم نُوَّاب السلطان فاستعملوا البساسيري لكفايته ونهضته .

وفيها توفي أبو سنان غريب بن محمد بن مقن في شهر ربيع الآخر في كرخ سامرّا وكان يلقَّب سيف الدولة وكان قد ضرب دراهم سمّاها السيفية ، وقام بالأمر بعده ابنه ابو الريّان وخلفَ خمسمائة ألف دينار وأمر فنـودي : قد أحللت كـل من لي عنده شيء فحللوني كذلك فحلَّلوه وكان عمره سبعين سنة .

وفيها توفِّي بدران بن المقلد وقصد ولده عمه قرواشا فأقرَّ عليه حاله وماله وولاية نصيبين وكان بنو نُمَيْر قد طمِعوا فيها وحصروها فسار إليهم ابن بدران فدفعهم عنها .

وفيها توفِّي أرمانوس ملك الروم وملك بعده رجل صيرفي ليس من بيت الملك، وإنما بنت قسطنطين اختارته .

وفيها كثُرت الزَّلازل بمصر والشَّام وكان أكثرُها بالرملة ، فإنَّ أهلها فارقوا منازلهم عدَّة أيام وانهدم منها نحو ثلثها وهلك تحت الهدم خلق كثير، وفيها كان بإفريقية مجاعة شديدة وغلاء.

وفيها قبض قرواش على البرجمي العيّار وغرَّقه ، وكان سبب ذلك أنَّ قرواشاً قبض على ابن القلعي عامل عكبرا فحضر البرجمي العيار عند قرواش مخاطباً في أمره لمودَّة بينهما ، فأخذه قرواش وقبض عليه فبذل مالاً كثيراً ، ليُطلقه فلم يفعل وغرقه . وكان هذا البرجمي قد عظُم شأنُه وزاد شرُّه وكبس عدَّة مخازن بالجانب الشرقي وكبس دار المرتضى ودار ابن عديسة وهي مجاورة دار الوزير وثار العامَّة بالخطيب يوم الجمعة وقالوا : إمـا أن تخطُبَ للبـرجمي وإلا فلا تخـطب لسلطان ولا غيره وأهلكَ النَّـاس ببغداد ، وحكاياته كثيرة ، وكان مع هذا فيه فتوة وله مروءة لم يعرض إلى امرأة ولا إلى من يستسلم إليه .

وفيها هبت ريح سوداء بنصِيبين فقلعت من بساتينها كثيراً من الأشجار ، وكان في بعض البساتين قصرٌ مبنيٌّ بجصٍّ وآجر وكلس فقلعته من أصله .

وفيها كثُر الموت بالخوانيق في كثيرٍ من بلاد العراق والشَّام والموصل وخوزستان وغيرها حتى كانت الدار يُسدُّ بابها لموت أهلها .

وفيها في ذي القعدة انقضَّ كوكب هال منظره الناس وبعده بليلتين انقضَّ شهابٌ

آخر أعظم منه كأنَّه البرق ملاصقٌ الأرض وغلب على ضوء المشاعل ومكث طويلاً حتى غاب أثره.

وفيها توفي أبو العبّاس الأبيوردي الفقيه الشافعي قاضي البصرة، وأبو بكر محمد ابن أحمد بن غالب البرقاني المحدِّث الإمام المشهور وكانت وفاته في رجب، والحسين بن عبد الله بن يحيى أبو علي البندنيجي الفقيه الشافعي وهو من أصحاب أبي حامد الإسفرايني، وعبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحرث بن أسد أبو الفرج التميمي الفقيه الحنبلي.

ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة

ذكر حال الخلافة والسلطنة ببغداد

في هذه السنة انحلَّ أمرُ الخلافة والسَّلطنة ببغداد حتّى إنَّ بعضَ الجند خرجوا إلى قرية يحيى ، فلقيهم أكراد فأخذوا دوابهم فعادوا إلى قراح الخليفة القائم بأمر الله فنهَبُوا شيئاً من ثمرته وقالوا للمارين فيه : أنتم عرفتم حال الأكراد ولم تعلِمونا . فسمع الخليفة الحالَ فعظُم عليه ولم يقدِر جلال الدولة على أخذ أولئك الأكراد لعجزه ووهنه واجتهد في تسليم الجند إلى نائب الخليفة فلم يمكنه ذلك ، فتقدَّم الخليفة إلى القضاة بترك القضاء والامتناع عنه وإلى الشهود بترك الشهادة وإلى الفقهاء بترك الفتوى ، فلمَّا رأى جلال الدَّولة ذلك سأل أولئك الأجناد ليجيبوه إلى أن يحملَهم إلى ديوانِ الخلافة ففعلوا ، فلمّا وصلوا إلى دار الخلافة أطلقوا وعظُم أمر العيَّارين وصاروا يأخذون الأموال ليلاً ونهاراً ولا مانع لهم ، لأنَّ الجند يحمون على السُّلطان ونُوَّابه والسلطان عاجزٌ عن قهرهم ، وانتشر العربُ في البلاد فنهبوا النَّواحي وقطعوا الطريق وبلغوا إلى أطراف بغداد حتى وصلوا إلى جامع المنصور وأخذوا ثياب النِّساء في المقابر .

ذكر إظهار أحمد ينالتكين العصيان وقتله

في سنة خمس وعشرين عاد مسعود بن محمود من الهند لقتال الغزّ ، كما ذكرناه ، فعاد أحمد ينالتيكن إلى إظهار العصيان ببلاد الهند وجمع الجموع وقصد البلاد بالأذى ، فسيَّر إليه مسعود جيشاً كثيفاً ، وكانت ملوكُ الهند تمنعه من الدُّخول إلى بلادهم وتسُدُّ منافذ هربه ، ولمَّا وصل الجيش المنقذُ إليه قاتلهم فانهزم ومضى هارباً إلى الملتان ، وقصد بعضَ ملوك الهند بمدينة بهاطية ومعه

جمعٌ كثيرٌ من عساكره الَّذين سلموا ، فلم يكن لذلك الملك قدرةٌ على منعه وطلب منه سفناً ليعبرَ نهر السِّندِ فأحضر له السُّفنَ وكان في وسط النَّهر جزيرةٌ ظَنَّها أحمد ومن معهُ مُتَّصلة بالبرِّ من الجانب الآخر ولم يعلموا أنَّ الماء محيطٌ بها فتقدَّم ملكُ الهند إلى أصحاب السُّفن بإنزالهم في الجزيرة والعود عنهم ففعلُوا ذلك وبقي أحمد ومن معه فيها وليس معهم طعامٌ إلا ما معهم فَبقُوا بها تسعة أيام ففني زادُهم وأكلوا دوابهم وضعُفَت قواهم ، فأرادوا خوض الماءِ فلم يتمكّنوا منهُ لعمقِه وشدَّة الوحل فيه فعبر الهند إليهم عسكره في السفن وهم على تلك الحال فأوقعوا بهم وقتلوا أكثرهُم وأخذوا ولداً لأحمد أسيراً فلمَّا رآه أحمد على تلك الحال قتَلَ نفسه واستوعب أصحابه القتلَ والأسرَ والغرق .

ذكر ملك مسعود جرجان وطبرستان

كان الملك مسعود قد أقرّ دارا بن مَنُوجَهْر بن قابوس على جُرْجَان وطَبرِسْتَان وتزوَّج أيضاً بابنة أبي كاليجار القُوهي مقدَّم جيش دارا والقيِّم بتدبير أمره استمالة فلما سار إلى الهند منعوا ما كان استقرَّ عليهم من المال وراسلوا علاء الدَّولة بن كاكويه وفرهاذ بالاجتماع على العصيان والمخالفة وقوَّى عزمَهُم على ذلك ما بلغهم من خروج الغزِّ بخُراسان ، فلما عاد مسعود من الهند وأجلى الغزَّ وهزمهم سار إلى جرجان فاستولى عليها وملكها وسار إلى آمل طبرستان وقد فارقها أصحابها واجتمعوا بالغياض والأشجار الملتفة الضيقة المدخل الوعرة المسلك ، فسار إليهم واقتحمها عليهم فهزمهم وأسر منهم وقتل ثُمَّ راسله دارا وأبو كاليجار وطلبوا منه العفو وتقرير البلاد عليهم فأجابهم إلى ذلك وحملوا من الأموال ما كان عليهم وعاد إلى خراسان .

ذكر مسير ابن وثاب والروم إلى بلد ابن مروان

فيها جمع ابن وثَّاب النُّمَيْرِي جمعاً كثيراً من العرب وغيرهم واستنجد من بالرّها من الرُّوم فسار معه منهم جيش كثيف ، وقصد بلد نصر الدَّولة بن مروان ونهب وأخرب فجمع ابن مروان جموعه وعساكره واستمدَّ قرواشا وغيره وأتَتْهُ الجنود من كلِّ ناحية ، فلما رأى ابن وثّاب ذلك وأنَّه لا يتمُّ له غرض عاد عن بلاده ، وأرسل ابن مروان إلى ملك الروم يعاتبه على نقض

الهدنة وفسخ الصلح الذي كان بينهما ، وراسل أصحاب الأطراف يستنجدهم للغزاة فكَثر جمعُهُ مِنَ الجند والمُتَطَوِّعة وعزم على قصد الرُّها ومحاصرتها ، فوردت رسلُ ملك الروم يعتذر ويحلف أنَّه لم يعلم بما كان وأرسل إلى عسكره الَّذين بالرُّها والمقدَّم عليهم يُنكر ذلك وأهدى إلى نصر الدَّولة هديَّة سنيَّةً فترك ما كان عازماً عليه من الغزو وفَرَّقَ العساكر المجتمعة عنده .

ذكر عدة حوادث

فيها خرج أبو سعد وزير جلال الدولة إلى أبي الشَّوك مفارقاً للوزارة ووزر بعده أبو القاسم، وكثرت مطالبات الجند فهرب فأُخرج وحُمِل إلى دار المملكة مكشوف الرَّأس في قميصٍ خفيف ، وكانت وزارته هذه شهرين وثمانية أيّام ، وعاد أبو سعد بن عبد الرَّحيم إلى الوزارة .

وفيها في ذي الحجَّة وثبَ الحسن بن أبي البركات بن ثمَّال الخفاجيّ بعمِّه علي ابن ثمَّال أمير بني خفاجة فقتله وقام بإمارة بني خفاجة.

وفيها جمعت الرُّوم وسارت إلى ولاية حَلَب فخرج إليهم صاحبُها شبل الدَّولة بن صالح بن مِرْدَاس فتصافوا واقتتلوا فانهزمتِ الرُّوم وتبعهم إلى عزاز وغنم غنائم كثيرة وعاد سالماً . وفيها قصدت خفاجة الكوفة ومقدَّمُهم الحسن بن أبي البركات بن ثمال فنهبوها وأرادوا تخريبها ومنَعُوا النخل من الماء فهلك أكثرُه.

وفيها هرب الزكي أبو علي النهر سابسي من محبِسِه، وكان قرواش قد اعتقله بالمُوصل فبقي سنتين إلى الآن ولم يحجَّ هذه السَّنة من العراق أحد.

وفي هذه السنة توفِّي أحمد بن كُلَيب الأديب الشاعر الاندلسي وحديثه مع أسلم بن أحمد بن سعيد مشهور ، وكان يهواه فقال فيه :

أسلمني في هوى * أسلمُ هذا الرَّشا * غزالٌ له مقلة * يصيبُ بها من يَشَا
وشى بيننا حاسدٌ * سيُسأَل عمّا وشىٰ * ولو شاء أن يرتشىٰ * على الوصل روحي ارتشىٰ

ومات كمداً من هواه .

وتوفِّي في جمادى الأولى منها أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد الأديب الأندلسي ، ومن شِعره :

إنَّ الكـريم إذا نـالتـه مَخْمَصَـةٌ أبـدى إلى النَّـاس شبعـاً وهـو طيَّـانُ
يحني الضُّلوعِ على مثلِ اللَّظى حرقـاً والـوجـه غمـر بمـاء البشـرِ مـلآنُ

وله أيضاً :

كـتبـتُ لـهـا إنَّـني عـاشـق على مهـرقِ اللثم بـالنَّـاظـرِ
فـردّتْ عـليّ جـوابَ الهـوى بـأحـور عن مـائـه حـائـرِ
مـنعـمـة نـطقتْ بـالـجفـونِ فـدلتْ على دقـةِ الـخـاطـرِ
كـأنَّ فـؤادي إذا أعْـرَضـت تـعـلَّق في مـخـلبي طـائـرِ

وفيها توفِّيَ أبو المعالي بن سخطة العلويّ النقيب بالبصرة ، وأبو محمد بن معية العلوي بها أيضاً، وأبو علي الحسين بن أحمد بن شاذان المحدّث الأشعري مذهباً، وكان مولده ببغداد سنة سبعٍ وثلاثين وثلاثمائة وحمزة بن يوسف الجرجاني وكان من أهل الحديث .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وأربعمائة

ذكر وثوب الجند بجلال الدولة

في هذه السنة ثار الجند ببغداد بجلال الدولة وأرادوا إخراجه منها ، فاستنظرهم ثلاثة أيام فلم ينظرُوه ورمُوه بالآجُر فأصابه بعضُهُم واجتمع الغلمانُ فردُّوهم منه فخرج من باب لطيف في سماريَةِ متنكراً ، وصعد راجلاً منها إلى دار المرتضى بالكَرْخِ وخرج من دار المرتضى وسار إلى رافع بن الحسين بن مقن بتكريت وكسر الأتراك أبوابَ داره ودخلُوها ونهبوها وقلَعُوا كثيراً من ساجِها وأبوابها فأرسل الخليفة إليه وقرَّر أمر الجند وأعاده إلى بغداد.

ذكر الحرب بين أبي السهل الحمدوني وعلاء الدَّولة

في هذه السَّنة سار طائفةٌ من العساكر الخراسانيَّة التي مع الوزير أبي سهل الحمدوني بأصبهان يطلبون الميرة فوضع عليهم علاء الدَّولة من أطمعهم في الامتياز من النَّواحي القريبة منه فساروا إليها ولا يعلمون قربه منهم ، فلمّا أتاه خبرهم خرج إليهم وأوقع بهم وغنم ما معهم وقوِي طمعه بذلك فجمع جمعاً من الدَّيلَمِ وغيرهم وسار إلى أصبَهَان وبها أبو سهل في عساكر مسعود بن سبكتكِين فخرجوا إليه وقاتلوه فغدر الأتراكُ بعلاء الدَّولة فانهزم ونُهِبَ سواده فسار إلى بروجرد ومنها إلى الطِّرْم فلم يقبله ابن السلار وقال لا قدرة لي على مباينة الخراسانية فتركه وسار عنه .

ذكر وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر

في هذه السَّنة في منتصف شعبان توفِّي الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي بن أبي علي المنصور الحاكم ، الخليفة العلويُّ بمصر وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة وكانت خلافته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة عشر يوماً ،

وكان له مصر والشّام والخطبة له بافريقية وكان جميل السيرة حسن السِّياسة منصفاً للرَّعيَّة إلَّا أنَّه مشتغلٌ بلذَّاتِهِ محبٌّ للدِّعة والرَّاحة قد فوَّض الأمور إلى وزيره أبي القاسم علي بن أحمد الجُرجائي لمعرفته بكفايته وأمانته ، ولمَّا مات ولي بعده ابنه أبو تميم معدّ، ولُقِّب المستنصر بالله ، ومولده بالقاهرة سنة عشر وأربعمائة ، وفي أيامه كانت قصة البَساسِيري وخطب له ببغداد سنة خمسين وأربعمائة وكان الحاكم في دولته بدر بن عبد الله الجمَّال الملقَّب بالأفضل أمير الجيوش ، وكان عادلاً حسن السِّيرة ، وفي سنة تسعٍ وسبعين وصل الحسن بن الصباح الإسماعيلي في زيٍّ تاجرٍ إلى المستنصر بالله وخاطبه في إقامته الدَّعوة له بخراسان وبلاد العجم فأذن له في ذلك فعاد ودعا إليه سرّاً وقال للمستنصر : من إمامي بعدك ؟ فقال : ابني نزار ، والإسماعيلية يعتقدون إمامة نزار ، وسيرد كيف صرف الأمر عنه سنة سبع وثمانين إن شاء الله تعالى .

ذكر فتح السويداء وربض الرها

في رجب من هذه السَّنة اجتمعَ ابن وثّاب وابن عُطَير وتصاهرا وجمعا وأمدَّهما نصر الدَّولة بن مروان بعسكرٍ كثيف ساروا جميعهم إلى السُّويداء وكان الروم قد أحدثوا عمارتها في ذلك الوقت واجتمع إليها أهل القرى المجاورة لها فحضرها المسلمون وفتحوها عنوة وقتلوا فيها ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل وغنموا ما فيها وسَبُوا خلقاً كثيراً وقصدوا الرُّها فحصروها وقطعوا الميرة عنها حتّى بلغ المكوك الحنطة ديناراً .واشتدَّ الأمر فخرج البطريق الذي فيها متخفياً ولحق بملك الرُّوم وعرَّفه الحال ، فسيَّر معه خمسة آلاف فارسٍ فعاد بهم فعرف ابن وثَّاب ومقدَّم عساكر نصر الدَّولة الحال فكمنا لهم ، فلمَّا قاربوهم خرج الكمين عليهم فقُتل من الرُّوم خلقٌ كثيرٌ وأسر مثلهم وأُسر البطريق وحُمل إلى باب الرُّها وقالوا لمن فيها : إمَّا أن تفتحوا البلد لنا وإما قتلنا البطريق والأسرى الَّذين معه ، ففتحوا البلد للعجز عن حفظه وتحصَّن أجناد الروم بالقلعة ودخل المسلمون المدينة وغنموا ما فيها وامتلأت أيديهم من الغنائم والسَّبي وأكثروا القتل وأرسل ابن وثّاب إلى آمد مائة وستين راحلة عليها رؤوس القتلى وأقام محاصراً للقلعة ثمّ إنّ حسّان بن الجرَّاح الطائي سار في خمسة آلاف فارس من العرب والرُّوم نجدة لمن بالرُّها فسمع ابن وثّاب بقربه فسار إليه مُجدّاً ليلقاه قبل وصوله فخرج من الرها من الروم إلى حرَّان فقاتلهم أهلها. وسمع ابن وثّاب الخبر فعاد مسرعاً

فوقع على الرُّوم فقتل منهم كثيراً وعاد المنهزمون إلى الرُّها .

ذكر غدر السناسنة وأخذ الحاج وإعادة ما أخذوه

في هذه السَّنة ورد خلقٌ كثيرٌ من أذربيجان وخُراسانَ وطبرستان وغيرها من البلاد يريدون الحجَّ وجعلوا طريقهم على أرمينية وخلاط ، فوردوا إلى آني(١) ووسطانَ فثار بهم الأرمن من تلك البلاد وأعانهم السناسِنة وهم من الأرمن أيضاً إلَّا أنهم لهم حصون منيعة تجاور خلاط وهم صلح مع صاحب خلاط ، ولم تزل هذه الحصون بأيديهم منفردين بها إلا أنهم متعاهدون إلى سنة ثمانين وخمسمائة ، فملكها المسلمون منهم وأزالُوهم عنها، على ما نذكره إن شاء الله تعالى ، فلمَّا اتَّفقوا مع الأرمن من رعِيَّة البلاد وأخذوا الحاجَّ فقتلوا منهم كثيراً وأسروا وسبوا ونهبوا الأموال وجلوا ذلك أجمع إلى الروم . وطمع الأرمن في تلك البلاد فسمع نصر الدَّولة بن مروان الخبر فجمع العساكر وعزم على غزوهم فلمَّا سمعوا ذلك ورأوا جدَّهُ فيه راسله ملك السَّناسنة وبذل إعادة جميع ما أخذ أصحابه وإطلاق الأسرى والسبي فأجابهم إلى الصلح وعاد عنهم لحصانة قلاعهم وكثرة المضايق في بلادهم ، ولأنهم بالقرب من الرُّوم فخافَ أن يستنجدوهم ويمتنِعوا بهم فصالحهم .

ذكر الحرب بين المعز وزنانة

في هذه السنة اجتمعت زنانَةُ بإفريقية وزحفت في خيلها ورجلها يريدون مدينة المنصورة فلقيهم جيوش المعز بن باديس صاحبها بموضع يقال له الجفْنَة قريبٌ من القيروان ، فاقتتلُوا قتالاً شديداً وانهزمت عساكر المعزّ ففارقت المعركة وهم على حامية ، ثم عاودوا القتال وحرَّض بعضهم بعضاً فصبرت صنهاجة وانهزمت زِنانة هزيمة قبيحة وقتل منهم عددٌ كثيرٌ وأسِر خلقٌ عظيم وتُعْرَف هذه الوقعة بوقعة الجفنة وهي مشهورة لعظمها عندهم .

ذكر عدة حوادث

في هذه السَّنة في رجب انقضَّ كوكبٌ عظيمٌ غلب نوره على نور الشَّمسِ

---

(١) اني بالنون المكسورة : قلعة حصينة ومدينة بأرض أرمينية بين خلاط وكنجة .

وشوهد في آخرها مثلَ التِّنين يضربُ إلى السَّواد وبقيَ ساعة وذهب .

وفيها كانت ظلمةٌ عظيمةٌ اشتدَّت ، حَتى إنَّ الإنسان كان لا يبصر جليسَهُ وأخذ بأنفاس الخَلق . فلو تأخَّر انكشافها لهلك أكثرهم .

وفيها قُبِض على الوزير أبي سعد بن عبد الرحيم وزير جلال الدَّولة وهي الوزارة السادسة ؛ وفيها في رمضان توفي رافع بن الحسين بن مقن وكان حازماً شجاعاً وخلف بتكريت ما يزيد على خمسمائة ألف دينار فملكها ابن أخيه خميس بن ثعلب وكان طريداً في أيّام عمه ، وحمل إلى جلال الدَّولة ثمانين ألف دينار فأصلح بها الجند وكانت يده قد قطعها بعض عبيد بني عمه كان يشرب معه ، فجرى بينه وبين آخر خصومة وجردوا سيوفهم فقام رافع ليصلح بينهم فضرب العبدُ يده فقطعها غلطاً ولرافع فيها شعرٌ ولم تمنعه من قتال ، عمِلَ له كفّاً أخرى يمسك بها العنان ويقاتل ، وله شعرٌ جيِّدٌ من ذلك قولُهُ :

لهـا ريقـة أستغفـر الله إنَّهـا	ألذُّ وأشهى في النفوس من الخمرِ
وصـارمُ طـرفٍ لا يـزايـلُ جفنـه	ولم أرَ سيفـاً قط في جفنِهِ يَفْـري
فقلتُ لها والعيسُ تحدُجُ بالضُّحى	أعدِّي لفقدي ما استطعت من الصبرِ
سـأنفق ريعـانَ الشبيبـةِ آنفـاً	على طلبِ العلياءِ أو طلبِ الأجرِ
أليسَ من الخُسـران أنَّ ليـاليـا	تمرُّ بلا نفعٍ وتُحْسَبُ مِنْ عُمْرِيَ

وفيها في صَفَرْ أمر القائم بأمر الله بتركِ التعامل بالدَّنانير المغربيَّة وأمر الشهود أن لا يشهَدُوا في كتاب ابتياع ولا غيره يذكر فيها هذا الصنف من الذهب ، فعدل النَّاسُ إلى القادريَّة والسَّابورية والقاسانية .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وأربعمائة

ذكر الفتنة بين جلال الدَّولة وبين بارسطغان

في هذه السَّنة كانت الفتنة بين جلال الدَّولة وبين بارسطغان وهو من أكابرِ الأمراء ، ويلقَّب حاجب الحجَّاب وكان سبب ذلك أنَّ جلال الدَّولة نسبه إلى فساد الأتراك ، والأتراك نسبوه إلى أخذ الأموال فخاف على نفسه فالتجأ إلى دار الخلافة في رجب من السَّنة الخالية ، وتردَّدتِ الرسل بين جلال الدَّولة والقائم بأمر الله في أمره فدافع الخليفة عنه وبارسطغان يراسل الملك أبا كاليجار ، فأرسل أبو كاليجار جيشاً فوصلوا إلى واسط واتَّفق معهم عسكر واسط وأخرجوا الملكَ العزيز بن جلال الدَّولة فأصعد إلى أبيه وكشف بارسطغان القناع فاستتبع أصاغر المماليك ونادوا بشعار أبي كاليجار وأخرجوا جلال الدَّولة من بغداد فسار إلى أَوَانا[١] ومعه البساسيري وأخرجَ بارسطغان الوزير أبا الفضلِ العبَّاس بن الحسن ابن فسانجس فنظر في الأمور نيابةً عن الملك أبي كاليجار، وأرسل بارسطغان إلى الخليفة يطلبُ الخطبة لأبي كاليجار ، فاحتجَّ بعهود جلالِ الدَّولة فأكره الخطباء على الخطبة لأبي كاليجار ففعلوا، وجرى بين الفريقين مناوشاتٌ وسار الأجناد الواسطيُّون إلى بارسطغان ببغدادَ فكانوا معه ، وتنقَّلت الحالُ بينَ جلال الدولة وبارسطغان فعاد جلال الدَّولة إلى بغداد ونزل بالجانب الغربيِّ ومعه قَرْواش بن المقلِّد العقيلي ودبيس ابن عليّ بن مزيد الأسديّ وخطب لجلال الدّولة به وبالجانب الشرقيِّ لأبي كاليجار وأعان أبو الشَّوك وأبو الفَوَارس منصور بن الحسين بارسطغان على طاعة أبي كاليجار ، ثمَّ سار جلال الدَّولة إلى الأنبار وسار قرواش إلى الموصل وقبض بارسطغان على ابن

---

(١) أوانا ـ بالفتح والنون: بليدة كثيرة البساتين والشجر، نزهة، من نواحي دُجيل بغداد، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت ، وكثيراً ما يذكرها الشعراء الخلعاء في أشعارهم .

فسانجس ، فعاد منصور بن الحُسَين إلى بلدِهِ وأتى الخبر إلى بارسطغان بعَوْدِ الملك أبي كاليجار إلى فارس ففارقه الدَّيلم الَّذين جاؤوا نجدة له ، فضَعُفَ أمره فدفع ماله وحرمه إلى دار الخلافة وانحدر إلى واسط ، وعاد جلال الدولة إلى بغداد وأرسل البساسيري والمرشد وبني خفاجة في أثره ، فتبعهم جلال الدَّولة ودبيس بن علي بن مزيد فلحقوه بالخيزرانيَّة فقاتلوه فسقط عن فرسه فأخذ أسيراً وحُمل إلى جلال الدَّولة فقتلَهُ وحمل رأسَهُ وكان عمره نحوَ سبعين سنة . وسار جلالُ الدَّولة إلى واسط فملَكَها وأصْعَدَ إلى بغداد فضعُفَ أمر الأتراك وطمع فيهم الأعراب واستولوا على إقطاعاتهم ، فلم يقدروا على كفِّ أيديهم عنها وكانت مدَّة بارسطغان من حين كاشف جلال الدَّولة إلى أن قُتِل ستة أشهرٍ وعشرة أيام .

ذكر الصُّلح بين جلال الدَّولة وأبي كاليجار والمصاهرة بينهما

في هذه السَّنة تردَّدت الرُّسل بين جلالِ الدَّولة وابن أخيه أبي كاليجار سلطان الدَّولة في الصُّلحِ والاتفاق وزوال الخلف ، وكان الرُّسل أقضى القضاة أبا الحسن الماوَردي وأبا عبد الله المردوستي وغيرهما فاتَّفقا على الصُّلح وحلفَ كلُّ واحدٍ من الملِكَين لصاحبه ، وأرسل الخليفة القائم بأمر الله إلى أبي كاليجار الخلع النَّفيسة ، ووُقِع العقد لأبي منصور بن أبي كاليجار على ابنة جلال الدَّولة ، وكان الصِّداق خمسين ألف دينار قاسانية .

ذكر عدّة حوادث

فيها توفِّي أبو القاسم عليّ بن الحسين بن مكرم صاحب عمان ، وكان جواداً مُمدحاً ، وقام ابنه مقامه .

وفيها توفِّي الأمير أبو عبد الله الحسين بن سلامة أمير تُهامة باليمن ووُلِّيَ ابنه بعده فعصِي عليه خادمٌ كان لوالده وأراد أن يملك فجرى بينهما حروبٌ كثيرةٌ تمادت أيامها ففارق أهل تُهامَة أوطانهم إلى غير مملكة ولد الحسين هرباً من الشرِّ وتفاقم الأمر .

وفيها توفِّي مهيار الشاعر ، وكان مجوسياً فأسلم سنة أربع وتسعين وثلاثمائة ، وصحب الشَّريف الرضيّ . وقال له أبو القاسم بن برهان : يا مهيار، قد انتقلت

بإسلامك في النار من زاوية إلى زاوية . قال : كيف ؟ قال : لأنك كنت مجوسيًّاً فصرت تسبُّ أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وسلم في شعرك .

وفيها توفِّي أبو الحسين القدُّوري الفقيه الحنفي ، والحاجب أبو الحسين هبة الله ابن الحسين المعروف بابن أخت الفاضل وكان من أهل الأدب وله شعرٌ جيِّد، وأبو علي بن أبي الريان بمطِير أباذ ومولدهُ سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، وقد مدحه الرضي وابن نباتة وغيرهما .

وفيها عاود المعز بن باديس حربَ زناتة بإفريقية فهزمهم وأكثر القتل فيهم وخرب مساكنهم وقصورهم . وفي شعبان توفِّي أبو علي بن سينا الحكيم الفيلسوف المشهور صاحب التَّصانيف السَّائرة على مذاهب الفلاسفة ؛ وكان موته بأصبهانْ، وكان يخدُم علاء الدَّولة أبا جعفر بن كاكويه ، ولا شكَّ أنَّ أبا جعفر كان فاسِدَ الاعتقاد ، فلهذا أقدم ابن سينا على تصانيفه في الإلحاد والردِّ على الشرائع في بلده .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وأربعمائة

ذكر محاصرة الأبْخَاز تَفِليس[1] وعودهم عنها

في هذه السَّنة حصر ملك الأبخاز مدينة تَفْلِيس وامتنع أهلُها عليه فأقام عليهم محاصراً ومضيِّقاً فنفدت الأقواتُ وانقطعت الميرة فأنفذ أهلها إلى أذربيجان يستنفرون المسلمين ويسألونهم إعانتهم ؛ فلمَّا وصل الغزُّ إلى أذربيجان وجمع الأبخاز بقربهم وبما فعلوا بالأرمن رحلوا عن تفليس مجفلين خوفاً ؛ ولمَّا رأى وهوذان صاحب أذربيجان قوَّة الغز وأنه لا طاقة له بهم لاطفهم وصاهرهُم واستعان بهم ؛ وقد تقدَّم ذكر ذلك .

ذكر ما فعله طغرلبك بخراسان

في هذه السَّنة دخل ركن الدِّين أبو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق مدينةنيسابور مالكاً لها ؛ وكان سبب ذلك أنّ الغزَّ السلجُقِيَّة لمَّا ظهروا بخراسان وأفسدوا ونهبوا وخرَّبوا البلاد وسبُوا على ما ذكرناه وسَمِعَ الملك مسعود بن محمود بن سبكْتكِين الخبر فسيَّر إليهم حاجبه سباشي في ثلاثين ألف مقاتل ، فسار إليهم من غَزنَةَ فلمَّا بلغ خُراسان ثُقُلَ على ما سلم من البلاد بالإقامات ، فخرَّب السَّالم من تخريب الغز فأقام مدة سنةٍ على المدافعة والمطاولة ، لكنّه كان يتبع أثرهم إذا بعُدوا ويرجِع عنهم إذا أقبلوا استعمالاً للمحاجزة وإشفاقاً من المحاربة ؛ حتى

---

(١) الأبخاز : بالفتح ثم السكون والخاء المعجمة وألف وزاي : اسم ناحية من جبل القَبْق المتصل بباب الأبواب ، وهي جبال صعبة المسلك وعرة لا مجال للخيل فيها ، وتجاور بلاد اللاّن يسكنها أمة من النصارى يقال لهم الكرج .

وتفليس : بفتح أوله ويكسر بلد بأرمينية الأولى وبعض يقول بأرّان، وهي قصبة ناحية جرزان قرب باب الأبواب .

إذا كان في هذه السنة وهو بقريةٍ بظاهر سَرَخَسْ والغزُّ بظاهر مَرْو مع طغرلبك وقد بلغهم خبره ، أسروا إليه وقاتلوه يوم وصلوا فلمَّا جنهَّمُ الليلُ أخذ سباشي ما خفَّ من مالٍ وهرب في خواصِّه وترك خِيَمَهُ ونيرانه على حالها . قيل فعل ذلك مواطئاً للغزِّ على الهزيمة فلمَّا أسفر الصبح عرف الباقون من عسكره خبره فانهزموا واستولى الغزُّ على ما وجدُوه فيمعسكرهم من سوادهم . وقتلوا من الهنود الَّذين تخلفوا مقتلةً عظيمةً ، وأسرى داود أخو طغرلبك وهو والد السلطان ألب أرسلان إلى نيسابور . وسمع أبو سهل الحمدوني ومن معه بها ففارقوها ووصل داود ومن معه إليها فدخلوها بغير قتال ولم يغيِّروا شيئاً من أمورها ، ووصل بعدهم طغرلبك ثم وصلت إليهم رسل الخليفة في ذلك الوقت وكان قد أرسل إليهم وإلى الَّذين بالريِّ وهمدان وبلد الجبل ينهاهم عن النهب والقتل والإخراب ويعظهم ، فأكرموا الرُّسل وعظَّموهم وخدموهم . وخاطب داود طغرلبك في نهب البلد فمنعه فامتنع ، واحتجَّ بشهر رمضان فلمَّا انسلخ رمضان صمَّم داود على نهبه فمنعه طغرلبك واحتجَّ عليه برسل الخليفة وكتابه فلم يلتفت داود إليه وقوي عزمه على النهب ؛ فأخرج طغرلبك سكِّيناً ، وقال له : والله لئن نهبتَ شيئاً لأقتلنَّ نفسي . فكَفَّ عن ذلك وعَدَلَ إلى التقسيط فقسَّط على أهل نَيْسابُور نحو ثلاثين ألف دينار وفرَّقها في أصحابه وأقام طَغْرَلبك بدار الإمارة وجلس على سرير الملك مسعود وصار يقعُدُ للمظالم يومين في الأسبوع ، على قاعدة ولاة خراسان وسيَّر أخاه داود إلى سَرْخَسْ فملكها ثمَّ استولوا على سائر بلاد خراسان سوى بَلخ وكانوا يخطبون للملك مسعود على سبيل المغالطة وكانوا ثلاثة أخوة : طغرلبك وداود ويبغو. وكان ينال واسمه ابراهيم أخا طغرلبك وداود لأمِّهما ثمَّ خرج مسعود من غَزْنَة وكان ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر مخاطبة جلال الدَّولة بملك الملوك

في هذه السَّنة سأل جلال الدَّولة الخليفة القائم بأمر الله ليخاطب بملك الملوك فامتنع ثمَّ أجاب إليه إذا أفتى الفقهاء بجوازه فكتب فتوى إلى الفُقهاء في ذلك فأفتى القاضي أبو الطَّيِّب الطَّبري والقاضي أبو عبدالله الصيمري والقاضي ابن البيْضَاوي وأبو القاسم الكَرْخي بجوازه . وامتنع منه قاضي القضاة أبو الحسن الماوَرْدِي وجرى بينه وبين من أفتى بجوازه مراجعات وخطب لجلال

الدَّولة بملك الملوك. وكان الماوردي من أخصِّ النّاس بجلال الدَّولة وكان يتردَّد إلى دار المملكة كلَّ يوم ، فلمَّا أفتى بهذه الفتيا انقطع ولزم بيته خائفاً ، وأقام منقطعاً من شهر رمضان إلى يوم عيد النَّحر ، فاستدعاه جلال الدَّولة فحضر خائفاً فأدخله وحده وقال له : قد علم كلُّ أحدٍ أنَّك من أكثر الفقهاء مالاً وجاهاً وقرباً منا ؛ وقد خالفتهُم فيما خالفَ هواي ؛ ولم تفعل ذلك إلا لعدم المحاباة منك واتِّباع الحق ، وقد بان لي موضعك من الدِّين ومكانك من العلم وجعلت جزاء ذلك إكرامك بأن أدخلتك إليَّ وحدك وجعلتُ إذن الحاضرين إليك ليتحققوا عَوْدِي إلى ما تحب. فشكره ودعا له وأذِنَ لكلِّ من حضر بالخدمة والانصراف .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قُتِل شبل الدَّولة نصر بن صالح بن مِرْداس صاحبُ حلب قتلَهُ الدزبري وعساكر مصر وملكوا حلب. وفيها أنكر العلماء على أبي يَعْلى بن الفرَّاء الحنبلي ما ضمَّنه كتابه من صفات الله سبحانه وتعالى المُشعرة بأنَّه يعتقد التجسُّم وحضر أبو الحسن القزويني الزَّاهد بجامع المنصور وتكلَّم في ذلك تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً .

وفيها صالح ابن وثّاب النمَيري صاحب حرَّان الرُّوم الذين بالرُّها لعجزه عنهم وسلَّم إليهم ربضَ الرُّها وكان تسلمه على ما ذكرناه أولاً فنزلوا من الحصن الذي للبلد إليه وكثر الرُّوم بها وخاف المسلمون على حرَّان منهم وعمَرَ الرُّوم الرُّها العمارة الحسنة، وحصَّنوها.

وفيها هادن المستنصر بالله الخليفةالعلوي صاحب مصر ملك الروم ، وشرط عليه إطلاق خمسة آلاف أسير ، وشرط الرُّوم عليه أن يعمِّروا بيعة قمامة فأرسل الملك إليها من عمرها وأخرج عليها مالاً جليلاً .

وفي هذه السنة سارت عساكر المعزّ بن باديس بإفريقية إلى بلد الزَّاب ففتحوا مدينة تسمَّى بُورِس وقتلوا من البربر خلقاً كثيراً وفُتِح من بلاد زناتة قلعةٌ تسمَّى كروم . وفيها توفي اسحاق بن ابراهيم بن مخلد أبو الفضل المعروف بابن الباقر حي في ربيع الآخر .

ثم دخلت سنة ثلاثين وأربعمائة

ذكر وصول الملك مسعود من غزنة إلى خراسان وإجلاء السُّلجقية عنها

في صفر من هذه السَّنة وصل الملك مسعود إلى بَلخ من غزنة وزوَّج ابنه من ابنة بعض ملوك الخلفية كان يتقي جانبه وأقطع خوارِزم لشاهملك الجنديّ فسار إليها وبها خوارزِمشاه إسماعيل بن التُّونتاش فجمع أصحابه ولقي شاهملك وقاتله ودامت الحرب بينهما مدّة شهر وانهزم إسماعيلُ والتجأ إلى طغرلبك وأخيه داود السُّلجقية وملك شاهملك خوارزم وكان مسير مسعود من غزنة أول سنة ثمانٍ وعشرين وسبب خروجه ما وصل إليه من أخبار الغز وما فعلوه بالبلاد وأهلها من الإخرابِ والقتل والسبي والاستيلاء وأقام ببلخ حتى أراح واستراح وفرغ من أمر خوارِزم والخانية. ثمَ أمدّ سباشي الحاجب بعسكرٍ ليتقوَّى بهم ويهتمَّ بأمر الغز واستئصالهم فلم يكن عنده من الكفاية ما يقهرهم بل أخلد إلى المطاولة التي هي عادته وسار مسعود بن سبكتكين من بلخ بنفسه وقصد سَرْخَس فتجنَّبَ الغزّ لقاءه وعدلوا إلى المراوغة والمخاتلة وأظهروا العزمَ على دخول المفازة التي بين مروٍ وخوارزم فبينما عساكر مسعود تتبعهم وتطلبهم إذ لقُوا طائفة منهم فقاتلوهم وظفروا بهم فقتلوا منهم. ثم إنه واقعهم بنفسه في شعبان من هذه السنة وقعة استظهر فيها عليهم فأبعدوا عنه ثم عاودوا القرب منه بنواحي مرو فواقعهم وقعة أخرى قتل منهم نحو ألف وخمسمائة قتيل وهرب الباقون فدخلوا البرية التي يحتمون بها وثار أهل نَيْسَابُور بمن عندهم منهم فقتلوا بعضاً وانهزم الباقون إلى أصحابهم بالبرِّية، وعدل مسعود إلى هراة ليتأهَّب في العساكر للمسير خلفهم وطلبهم أين كانوا فعاد طغرلبك إلى الأطراف النَّائية عن مسعود فنهبهم وانحنى فيها وكان النَّاس قد تراجعوا فملؤوا أيديهم من الغنائم فحينئذ سار مسعود يطلبه فلمَّا قاربه انزاحَ طغرلبك من بين يديه إلى استوا وأقام بها وكان الزَّمان شتاءً ظنَّاً منه أنَّ الثلج والبرد يمنع عنه فطلبه مسعود إليها ففارقه طغرلبك وسلك الطريق

على طُوس ، واحتمى بجبالٍ منيعةٍ ومضايِقَ صعبةِ المسلك فسيَّر مسعود في طلبه وزيره أحمد بن محمَّد بن عبد الصمد في عساكر كثيرةٍ فطوى المراحل إليه جريدة. فلمَّا رأى طغرلبك قربه منه فارق مكانه إلى نواحي أبيورْد[١] وكان مسعود قد سار ليقطعه عن جهة إن أرادها فَلقِيَ طغرلبك مقدِّمته فواقَعَهُم فانتصروا عليه واستأمن من أصحابه جماعةً كثيرةً ورأى الطَّلب له من كلِّ جانب فعاود دخول المفازة إلى خَوَارِزْم وأوغلَ فيها فلمَّا فارق الغزّ خراسان قصد مسعود جبلاً من جبال طُوس منيعاً لا يرام وكان أهله قد وافقوا الغزّ وأفسدوا فلمَّا فارق الغزُّ تلك البلاد تحصَّن هؤلاء بجبلهم ثقةً منهم بحصانته وامتناعه فسرى مسعود إليهم جريدة فلم يرعهم إلَّا وقد خالطهم فتركُوا أهلهم وأموالهم وصعدوا إلى قمّة الجبل واعتصمُوا بها وامتنعوا وغنِمَ عسكر مسعود أموالهم وما ادَّخروه ثمَّ أمر مسعود أصحابه أن يزحفوا إليهم في قمّة الجبل وباشر هو القتال بنفسه فزحف النّاس إليهم وقاتلوهم قتالاً لم يرَوا مثله وكان الزَّمان شتاء والثلج على الجبل كثيراً فهلك من العسكر في مخازِمِ الجبل وشعابِه كثيرٌ ثمّ انهم ظفِروا بأهله وأكثروا فيهم القتل والأسر وفرغوا منهم وأراحوا المسلمين من شرِّهم وسار مسعود إلى نَيْسَابُور في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ليُريح ويستريح وينتظر الربيع ليسير خلف الغزِّ ويطلبهم في المفاوز التي احتموا بها وكانت هذه الوقعة وإجلاء الغزّ عن خراسان سنة إحدى وثلاثين على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر ملك أبي الشوك مدينة خولنجان[٢]

كان حسام الدولة أبو الشَّوك قد فتح قَرْمِيسِين[٣] من أعمال الجبل وقبض على صاحبها وهو من الأكراد القُوهية فسار أخوه إلى قلعة أرنبة فاعتصم

(١) أبيورد : بفتح أوله وكسر ثانيه وياء ساكنة وفتح الواو وسكون الراء ودال مهملة : مدينة بخراسان بين سرخس ونسا .

(٢) خُولَنْجَان : بضم الخاء وسكون ثانيه وبعد اللام المفتوحة نون ثم جيم وآخره نون : اسم موضع وهو في الأصل اسم عقّار هندي .

(٣) قَرْميسين : بالفتح ثم السكون وكسر الميم وياء مثناة من تحت وسين مهملة وياء أخرى ساكنة ونون : وهو تعريب كرمان شاهان بلد معروف بينه وبين همذان ثلاثون فرسخاً قرب الدِّينور .

بها من أبي الشَّوك وجعل أصحابه في مدينة خولنجان يحفظونها منه أيضاً فلمَّا كان الآن ، سيَّر أبو الشَّوك عسكراً إلى خُولنجَان فحصروها فلم يظفَرُوا منها بشيء فأمر العسكر فعاد فأمِن من في البلد بعود العسكر عنها، ثم جهز عسكراً آخرَ جريدة لم يعلم بهم أحد وسيَّرهم ليومهم وأمرهم بنهب ربضِ قلعة أرنبة وقتل من ظفروا به والإتمام لوقتهم إلى خُولنجان ليسبقوا خبرهم إليها ففعلوا ذلك ووصلوا إليها ومن بها غير متأهِّبين فاقتتلوا شيئاً من قتال ثمَّ استسلم من بالمدينة إليهم فتسلموها وتحصَّن من كان بها من الأجنادِ في قلعة في وسط البلد فحصرها أصحابُ أبي الشَّوك فملكوها في ذي القعدة من هذه السَّنة .

ذكر الخطبة العبَّاسية بحرّان والرَّقة

في هذه السنة خطب شبيب بن وثَّاب النُّمَيْري صاحبُ حرَّان والرَقَة للإمام القائِم بأمرِ الله وقطع خطبة المُسْتَنْصِر بالله العلويّ ، وكان سببها أنَّ نصر الدولة بن مروان كان قد بلغه عن الدّزبري نائب العلويين بالشام أنَّه يتهدَّدهُ ويريد قصد بلاده فراسلَ قَرْوَاشاً صاحب الموصل وطلب منه عسكراً ، وراسل شبيباً النُّمَيْري يدعوه إلى الموافقة يحذِّره من المغاربة فأجابه إلى ذلك وقطع الخطبة العلويَّة وأقام الخطبة العبَّاسيَّة فأرسل إليه الدزبري يتهدَّده ثمَّ أعاد الخطبة العلويَّة بحرّان في ذي الحجة من السَّنة .

ذكر عدة حوادث

فيها توفِّي مؤيِّد الملك أبو علي الحسين بن الحسن الرَّخجي وكانَ وزيراً لملوك بني بُوَيه ثم ترك الوزارة وكان في عطلته يتقدَّم على الوزراء . وفيها أيضاً توفِّي أبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوي أميرُ مكَّة .

وفيها توفِّي الوزير أبو القاسم بن ماكولا محبوساً بهيت وكان مقامه في الحبس سنتين وخمسة أشهر ومولده سنة خمس وستين وثلاثمائة، وكان وزير جلال الدَّولة وهو والد الأمير أبي نصر مصنِّف كتاب الإكمال في المؤتلف والمختلف « وكان جلال الدَّولة سلَّمه إلى قَرْواش فحبسه بهيت وفيها سقط الثلج ببغداد لستٍّ بقِين من ربيع الأوَّل ، فارتفع على الأرض شبراً ورماه النَّاس عن السطوح إلى الشَّوارِع وجمد الماء ستَّة أيامٍ متواليةٍ وكان أوّل ذلك الثالث والعشرين من كانون الثاني . وتوفِّي هذه السنة أبو نعيم

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني الحافظ وأبو الرضا الفضل بن منصور ابن الظَّريف الفارقي الأمير الشاعر له ديوانٌ حسنٌ وشعره جيِّد فمنه :

ومخطَّفِ الخصرِ مطبوعٌ على صلفٍ ... عشقتُـه ودواعي البيـنِ تَعـشقُـهُ
وكيفَ أطمـعُ منـه في مُـواصلةٍ ... وكـلَّ يـومٍ لنـا شمـلٌ يُفَـرِّقُـهُ
وقـد تسامَـحَ قلبي في مُواصلتي ... على السّلوِّ ولكن مَنْ يُـصَـدِّقُـهُ
أهـابُـهُ وهـو طلقُ الـوجـهِ مبتسم ... وكيف يطمِعُني في السَّيف رَوْنَقهُ

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة

في هذه السَّنة فتح الملك مسعود بن محمود بن سبكْتكِين قلعةً بخُراسان كانت بيد الغزِّ وقُتِل فيها جماعة منهم وكانت بينه وبينهم وقعاتٌ أجلت عن فراقهم خراسان إلى البرية ، وقد ذكرناه سنة ثلاثين .

ذكر مُلك الملك أبي كاليجار البصرة

في هذه السنة سيَّر الملك أبو كاليجار عساكره مع العادل أبي منصور بن مافنة إلى البصرة فملكها في صَفَرْ، وكانت بيد الظَّهير أبي القاسم ، وقد ذكرنا، أنّه وليَها بعد بُخْتِيَار وأنَّه عصى على أبي كاليجار مرّة وصار في طاعة جلال الدَّولة ثمَّ فارق طاعته وعاد إلى طاعة الملك أبي كاليجار وكان يترك محاققته ومعارضته فيما يفعله ، ويضمن الظَّهير أن يحمل إلى أبي كاليجار كلَّ سنة سبعين ألف دينار وكثرت أمواله ودامت أيامه وثبت قدمه وطار اسمه ، واتّفق أنَّه تعرَّض إلى أملاك أبي الحسن بن أبي القاسم بن مكرم صاحب عمان وأمواله ، وكاتب أبو الحسن الملك أبا كاليجار وبذل له زيادة ثلاثين ألف دينار في ضمان البصرة كل سنة وجرى الحديث في قصد البصرة فصادف قلباً موغراً من الظَّهير فحصلت الإجابة وجهَّز الملكُ العساكر مع العادل أبي منصور فسار إليها وحصرها. وسارت العساكر من عمان أيضاً في البحر وحصرت البصرة وملكت. وأخذ الظهير وقبض عليه وأخذ جميع ماله وقرَّر عليه مائة ألف وعشرة آلاف دينار يحملها في إحدى عشر يوماً بعد تسعين ألف دينار أُخذت منه قبلها ووصل الملك أبو كاليجار إلى البصرة فأقام بها ثمَّ عاد إلى الأهواز وجعل ولده عز الملوك فيها ومعه الوزير أبو الفرج بن فسانجس ولمَّا سار أبو كاليجار عن البصرة أخذ معه الظَّهير إلى الأهواز .

ذكر ما جرى بعمان بعد موت أبي القاسم بن مكرم

لمّا توفي أبو القاسم بنُ مكرم خلَّف أربعة بنين : أبو الجيش والمهذب وأبو محمد

وآخر صغير ، فولي بعده ابنه أبو الجيش وأقرَّ علي بن هطّال المنُوجاني صاحب جيش أبيه على قاعدته وأكرمه وبالغ في احترامه فكان إذا جاء إليه قام له، فأنكر هذه الحال عليه أخُوه المهذَّب فطعن علي بن هطَّال وبلغه ذلك فأضمر له سوءاً واستأذن أبا الجيش في أن يُحضر أخاه المهذب لدعوةٍ عملها له فأذن له في ذلك فلمَّا حضرَ المهذَّبُ عنده خدمه وبالغ في خدمته فلمَّا أكل وشرب وانتشى وعمل السكرُ فيه قال له ابن هطّال : إنَّ أخاك أبا الجيش فيه ضعفٌ وعجزٌ عن الأمر ، والرَّأي أنَّنا نقوم معك وتصير أنت الأمير وخدعه فمال إلى هذا الحديث فأخذ ابن هطال خطه مِمَّا يفوِّض إليه وبما يُعطِيه من الأعمال إذا عمل معه هذا الأمر فلمَّا كان الغدُ حضر ابن هطَّالٍ عند أبي الجيش وقال له إنَّ أخاك كان قد أفسد كثيراً من أصحابك عليك وتحدَّث معي واستمالني فلم أوافقه فلهذا كان يذمُّني ويقع فيّ وهذا خطه بما استقرَّ هذه الليلة . فلما رأى خطّ أخيه أمره بالقبض عليه ففعل ذلك واعتقله ثم وضع عليه من خنقه وألقى جثته إلى منخفضٍ من الأرض وأظهر أنَّه سقط فمات ، ثم توفِّي أبو الجيش بعد ذلك بيسير وأراد ابن هطالٍ أن يأخذ أخاه أبا محمد فيوليه عمان ثمَّ يقتله فلمْ تُخرِجْهُ إليه والدته وقالت له : أنت تتولّى الأمور وهذا صغير لا يصلح لها، ففعل ذلك وأساء السِّيرة وصادر التُّجار وأخذ الأموال وبلغ ما كان منه مع بني مكرم إلى الملك أبي كاليجار والعادل أبي منصور بن مافنة فأعظما الأمر واستكبراه وشدَّ العادل في الأمر وكاتب نائباً كان لأبي القاسم بن مكرم بجبالِ عمان يُقال له المرتَضى وأمره بقصد ابن هطَّال، وجهَّز العساكر من البصرة لتسير إلى مساعدة المرتضى فجمع المرتضى الخلقَ وتسارعوا إليه وخرجوا عن طاعة ابن هطّال وضعُف أمرُه واستولى المرتَضى على أكثر البلاد ثمَّ وضعوا خادماً كان لابن مكرم وقد التحق بابن هطَّال على قتله وساعده على ذلك فراشٌ كان له فلمّا سمع العادلُ بقتله سيَّر إلى عمان من أخرج أبا محمَّد بن مكرم ورتَّبه في الإمارة وكان قد استقرَّ أنّ الأمر لأبي محمد في هذه السنة .

ذكر الحرب بين أبي الفتح بن أبي الشوك وبين عمِّه مهلهَل

في هذه السَّنة كان بين أبي الفتح بن أبي الشَّوك وبين عمِّه مهلهل حربٌ شديدة وكان سبب ذلك أنَّ أبا الفتح كان نائباً عن والده في الدِّينَوَر وقد عظم محلُّه وافتتح عدَّة قلاعٍ وحمى أعماله من الغزو قتل فيهم فأعجب بنفسه وصار لا يقبل أمر والده ، فلمَّا كان هذه السنة في شعبان سار إلى قلعة بلوار ليفتحها وكان فيها زوجة صاحبها وكان من

الأكراد فعلمت أنَّها تعجز عن حفظها فراسلت مهلهل بن محمد بن عنّاز وهو بحلله في نواحي الصامغان واستدعته لتسلِّم إليه القلعة فسأل الرسول عن أبي الفتح هل هو بنفسه على القلعة أم عسكره ، فأخبره أنّه عاد عنها وبقي عسكره فسار مهلهل إليها فلمَّا وصل رأى أبا الفتح قد عاد إلى القلعة فقصد موضعاً يوهم أبا الفتح أنّه لم يرد هذه القلعة ثم رجع عائداً وتبعه أبو الفتح ولحقه وتراءت الفئتان فعاد مهلهَل إليه فاقتتلوا فرأى أبو الفتح من أصحابه تغيُّراً فخافهم فولّى منهزماً وتبعه أصحابه في الهزيمة وقتل عسكر مهلهل من كان في عسكر أبي الفتح من الرجَّالة وساروُا في أثر المُنهزمين يقتلون ويأسرون ووقف فرس أبي الفتح به فأسر وأُحضر عند عمِّه مهلهل فضربه عدة مقارع وقيَّده وحبَسه عنده وعاد ، ثمَّ إنَّ أبا الشَّوك جمع عساكِرَهُ وسار إلى شَهْرَزُور وحصرها وقصد بلاد أخيه ليخلِّص ابنه أبا الفتح فطال الأمر ولم يُخَلِّص ابنه . وحمل مهلهَل اللجاج على أن استدعى علاء الدَّولة بن كاكويه إلى بلد أبي الفتح فدخل الدِّينَوَر وقرميسين وأساء إلى أهلها وظلمهم وملكها ، وكان ذلك سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة .

ذكر شغب الأتراك على جلال الدَّولة ببغداد

في هذه السنة شغب الأتراك على الملك جلال الدولة ببغداد، وأخرجوا خيامهم إلى ظاهر البلد ثمَّ أوقعوا النَّهب في عدَّة مواضع فخافهم جلال الدَّولة فعبر خيامه إلى الجانب الغربيِّ وتردَّدت الرُّسل بينهم في الصُّلح وأراد الرحيل عن بغداد فمنعه أصحابُه فراسل دَبِيس بن مَزِيد وقرواشاً صاحب الموصل وغيرهما وجمع عنده العساكِرَ فاستقرَّت القواعدُ بينهم وعاد إلى داره وطمع الأتراك وآذوا النَّاس ونهبوا وقتلوا وفَسُدَتِ الأمور بالكلِّية إلى حدٍّ لا يُرجى صلاحه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السَّنة في جمادى الآخرة وُلد للخليفة القائم بأمر الله ولدُه أبو العبّاس وهو ذخيرةُ الدِّين .

وفيها تُوفِّي شبيب بن وثاب النُّمَيري صاحبُ الرَّقة وسَرُوج وحَرَّان .

وفيها تُوفِّي أبو نصر بن مشكان كاتب الإنشاء لمحمود بن سبكتكين ولولده مسعود وكان من الكتَّاب المفلقين رأيت له كتابةً في غاية الجودة .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة

ذكر ابتداء الدولة السَّلجوقية وسياقة أخبارهم متتابعة

في هذه السنة اشتدَّ ملك السُّلطان طغرلبك محمَّد وأخيه جغري بـك داود ابني ميكائيل بن سلجوق بن تُقاق ، فنذكر أوّلاً حال آبائه ثمَّ نذكر حاله كيف ينقلب حتى صار سلطاناً على أنَّني قد ذكرتُ أكثرَ أخبارهم متقدِّمـة على السنين وإنَّما أوردنـاها هُهُنـا مجموعةً لترد سياقاً واحداً فهي أحسنُ فأقول : فأمّا تقّاق فمعناه القوس الجديد، وكان شهماً ذا رأي وتدبير وكان مقدَّم الأتراك الغزّ ومرجِعُهُم إليه ، لا يخالفون له قولاً ولا يتعدّون أمراً فاتَّفق يوماً من الأيام أن ملك التُّرك الذي يُقال له بَيْغو جمع عساكره وأراد المسيرَ إلى بلاد الإسلام فنهاه تُقاق عن ذلك وطال الخطاب بينهُما فيه فأغلظ له ملكُ التُّرك الكلامَ فلطمه تقاق فشَجَّ رأسهُ فأحاط به خدمُ ملكِ التُّرك وأرادوا أخذَهُ فمانعهم وقاتلهم واجتمع معه من أصحابه من منعه فتفرَّقوا عنهُ ثمَّ صَلحَ الأمرُ بينهما وأقام تقّاق عنده وولد له سلجوق فإنّه لمّا كبُرَ ظهرت عليه أمارات النَّجابة ومخايلُ التقدُّم فقرَّبه ملك التُّرك وقدَّمه ولقّبه سباشي ومعناه قائد الجيش. وكانت امرأة الملك تخوِّفه من سلجوق لما ترى من تقدُّمه وطاعة الناس له والانقياد إليه وأغرته بقتله وبالغت في ذلك، وسمع سلجوق الخبر فسار بجماعته كلهم ومن يطيعه من دار الحرب إلى ديار الإسلام ، وسعد بالإيمان ومجاورة المسلمين وازداد حاله علوّاً وأمرةً وطاعةً وأقام بنواحي جند ، وأدام غزوَ كُفَّار التُّرك وكان ملكهم يأخذ الخراج من المسلمين في تلك الدِّيار وطرد سلجوق عمَّاله منها وصفت للمسلمين ثمَّ إنَّ بعض ملوك السامانية كان هارون بن أيْلَك الخان قد استَوْلى على بعض أطرافِ بلاده فأرسل إلى سلجوق يستمدُّه فأمدَّه بابنه أرسلان في جمع من أصحابه فقوّى بهم السَّاماني على هارون واستردَّ ما أخذه منه ، وعاد أرسلان إلى أبيه .

وكان لسلجوق من الأولاد: أرسلان وميكائيل وموسى. وتوفّي سلجوق بجند وكان عمره مائة سنة وسبع سنين ودُفِنَ هُناك وبقيَ أولاده فغزا ميكائيل بعض بلاد الكُفَّار الأتراك فقاتل وباشر القتال بنفسه فاستشهَدَ في سبيل الله،وخلَّفَ من الأولاد بيغو وطغرلبك محمَّداً وجغري بك داود فأطاعهم عشائرهم ووقفوا عند أمرهم ونهيهم ونزلوا بالقرب من بخارى على عشرين فرسخاً منها فخافهم أميرُ بُخارى فأساء جوارهم وأراد إهلاكهم والإيقاع بهم فالتَجَؤوا إلى بغراخان ملك تركِسْتَان وأقاموا في بلاده واحتموا به وامتنعوا واستقرَّ الأمرُ بين طغرلبك وَأخيه داود أنّهما لا يجتمعان عند بغراخان إنَّما يحضره عند أحدهما ويقيم الآخر في أهله خوفاً من مكر يمكره بهم فبقوا كذلك. ثمّ إنّ بغراخان اجتهد في اجتماعهما عنده فلم يفعلا فقبض على طغرلبك وأسره فثار داود في عشائره ومن يتبعه وقصد بغراخان ليخلِّص أخاه فأنفذ إليه بغراخان عسكراً فاقتتلوا فانهزم عسكر بغراخان وكثر القتلُ فيهم وخلَّص أخاه من الأسر وانصرفوا إلى جَنَد وهي قريب بخارى فأقاموا هناك فلمّا انقرضت دولة السَّامانية وملك أيلَك الخان بخارى عظُم محلّ أرسلان بن سلجوق عمّ داود وطغرلبك بما وراء النَّهر وكان علي تكين في حبس أرسلان خان فهرب وهو أخو أيلك الخان ولحق ببخارى واستولى عليها واتَّفق مع أرسلان بن سلجوق فامتنعا واستفحل أمرهما وقصدهما أيلك أخو أرسلان خان وقاتلهُما فهزماه وبقيا ببخارى.

وكان علي تكين يُكثِر معارضة يمين الدَّولة محمود بن سبكتكين فيما يجاوره في بلاده ويقطع الطريق على رسله المتردِّدين إلى ملوكِ التُّرك فلمّا عبر محمود جيحون على ما ذكرناه هرب علي تكين من بخارى، وأما أرسلان بن سلجوق وجماعته فانَّهم دخلوا المفازة والرَّمل فاحتمُوا من محمود فرأى محمود قوَّة السَّلجوقية وما لهم من الشَّوكة وكثرة العدد فكاتب أرسلان بن سلجوق واستماله ورغَّبه فورد إليه فقبض يمين الدولة عليه في الحال ولم يُمهِله وسجنه في قلعة ونهب خِركاهاته واستشار فيما يفعل بأهله وعشيرته فأشار أرسلان الجاذِبْ وهو من أكبرِ خواصِّ محمود بأن يقطع أباهِمَهُم لئلَّا يرموا بالنَّشَّاب أو يغرقوا في جيحون. فقال له: ما أنت إلا قاسي القلب ثمَّ أمر بهم فعبروا نهر جيحون ففرَّقهم في نواحي خُراسان ووضع عليهم الخراج فجار العمّال عليهم وامتدَّت الأيدي إلى أموالهم وأولادهم فانفصل منهم أكثر من ألفي رجل وساروا إلى كَرَمَان ومنها إلى أصبهان، وجرى بينهم وبين صاحبها علاء الدَّولة بن كاكويه حربٌ قد ذكرناها

فساروا من أصبهان إلى أذرْبيجان وهؤلاء جماعة أرسلان فأمّا أولادُ اخـوته فـإنَّ علياً تكمين صاحب بخارى أعمل الحِيَل في الظَّفر بهم فأرسل إلى يوسف بن موسى بن سلجوق وهو ابن عمٍّ طغرلبك محمَّد وجغري بـك داود ووعده الإحسـان وبالـغ في استمالته وطلب منه الحضور عنده ففعل ففوَّض إليه علي تكين التقـدُّم على جميع الأتراك الذين في ولايته وأقطعه اقطاعاً كثيرة ولُقِّب بالأمير إينانج بيغو وكان الباعث له على ما فعله به وبعشيـرته وأصحـابه على طغـرلبك وداود ابني عمِّـه ويفرِّق كلمتهم ويضرب بعضهم ببعض فعلِمُوا مُراده فلم يُطعه يوسف إلى شيءٍ ممّا أراده منه ، فلمّا رأى علي تكين أن مَكره لم يعمل في يوسف ولم يبلُغ به غـرضاً ، أمـر بقتله فقُتِل يوسف ، تولى قتله أمير من أمراء علي تكين اسمه ألب قرا . فلمّا قُتل عظُم ذلك على طغرلبك وأخيه داود وجميع عشائرهما ولبسوا ثياب الحداد وجمعا من الأتراك من قدروا على جمعه للأخذ بثأره وجمع علي تكـين أيضاً جيوشه وسيّرها إليهم فانهزم عسكر علي تكين. وكان قد وُلـد السلطان ألب أرسلان بن داود أوّل محـرم سنة عشـرين وأربعمائة قبل الحرب فتبرَّكوا به وتيمنوا بطلعتِهِ أو قيل في مولده غير ذلك فلمَّا كان سنة إحدى وعشرين قصد طغرلبك وداود. .[1] ألب قرا الَّذي قَتَلَ يوسف ابن عمِّهما فقتلاه وأوقعا بطائفةٍ من عسكر علي تكين فقتلا منها نحـو ألفِ رجل فجمـع علي تكين عسكره وقصدهم هو وأولاده، ومن حمل السِّلاح من أصحابه وتبعهم من أهل البلاد خلقٌ كثير فقصدوهم من كلِّ جانبٍ وأوقعـوا بهم وقعةً عـظيمةً قُتِـل كثيرٌ من عسـاكر السلجوقية وأُخـذت أموالهم وأولادهم وسَبُـوا كثيراً من نسـائهم وذراريهم فألجـأتهم الضَّرورة إلى العبور إلى خراسان فلمَّا عبروا جِيحُون كتبَ إليهم خوارزمشاه هارون بن التونتاش يستدعيهم ليتَّفقوا معه وتكون أيديهم واحدةً ، فسار طغرلبك وأخوه داود وبيغو إليه وخيَّموا بظاهرِ خوارزم سنة ستٍّ وعشرين ووثقوا به واطمأنّوا إليه فغدر بهم فوضع عليهم الأمير شاهمُلك فكبَسهم ومعه عسكرٌ من هارون فأكثر القتل فيهم والنهبَ والسبيَ ، وارتكبَ من الغدرَ خطَّةً شنيعةً فسار عن خـوارزم بجمُوعهم إلى مفـازة نَسا وقصـدوا مَرْوَ في هذه السَّنة أيضاً ولم يتعرضوا لأحد بشرّ وبقي أولادهم وذراريهم في اسر. وكان الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين هذه السنة بطبرستان قد ملكها كما ذكرناه فراسلوه

---

(١) بياض في الأصل .

وطلبوا منه الأمان وضمنوا أنَّهم يقصدون الطائفة التي تفسِد في بلاده ويدفعونهم عنها ويقاتلونهم ويكونون من أعظم أعوانه عليهم وعلى غيرهم . فقبض على الرُّسل وجهَّز عسكراً جراراً إليهم مع إيلتُغْدِي حاجِبه وغيرهم من الأمراء الأكابر فساروا إليهم والتقوا عند نَسَا في شعبان من السَّنة واقتتلوا وعظُم الأمر وانهزم السَّلجُوقيَّة وغنِمَتْ أموالهم فجرى بين عسكر مسعود منازعةٌ في الغنيمة أدَّت إلى القتال واتَّفق في تلك الحال أنَّ السَّلجوقية لمَّا انهزَمُوا قال لهم داود إنَّ العسكر الآن قد نزلوا واطمأنُّوا وآمنوا الطَّلب، والرأيُ أن نقصدَهم لعلّنا نبلغ منهم غرضاً . فعادوا فوصلوا إليهم وهم على تلك الحال من الاختلاف وقتال بعضهم بعضاً فأوقعوا بهم وقَتَلُوا منهم وأسرُوا واستردُّوا ما أخذوا من أموالهم ورجالهم وعاد المنهزمون من العسكر إلى الملك مسعود وهو بنيسابور فندِم على ردِّه طاعتهم وعلم أن هيبتهم قد تمكَّنت من قلوب عساكره وأنَّهم قد طمعوا بهذه الهزيمة وتجرَّؤوا على قتال العساكر السُّلطانية بعد الخوف الشَّديد وخاف من أخوات هذه الحادثة فأرسل إليهم يتهدَّدهم ويتوعَّدهم فقال طغرلبك لإمام صلاته: اكتُب إلى السُّلطان ﴿قلِ اللهم مالكَ الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممَّن تشاء وتعزُّ من تشاءوتذلُّ من تشاء بيدك الخيرُ إنَّك على كلِّ شيءٍ قدير ﴾[1]ولا تزد على هذا. فكتب ما قال. فلمَّا ورد الكتاب على مسعود أمر فكتب إليهم كتاباً مملوءاً من المواعيد الجميلة وسيَّر معه الخلع النَّفيسة وأمرَهم بالرَّحيل إلى آمل الشط وهي مدينة على جيحون ونهاهم عن الشرِّ والفساد وأقطع دهستان لداود ونسا لطغرلبك وفراوة لبيغو ولقَّب كل واحدٍ منهم بالدِّهقان فاستخفُّوا بالرَّسول والخلع وقالوا للرسول : لو علمنا أنَّ السُّلطان يُبقي علينا إذا قَدِر لأطعناه ولكنَّا نعلم أنه متى ظفر بنا أهلكنا لما عملناه وأسلفناه فنحن لا نطيعه ولا نثق إليه ، وأفسدوا ثم كفُّوا وتركُوا ذلك فقالوا : إن كان لنا قدرة على الانتصاف من السلطان وإلَّا فلا حاجة بنا إلى إهلاك العالم ونهبِ أموالهم وأرسلوا إلى مسعود يخادعونه، بإظهار الطَّاعة له والكفِّ عن الشرِّ ويسألونه أن يطلقَ عمَّهم أرسلان ابن سلجوق من الحبس، فأجابهم إلى ذلك فأحضرهُ عنده بِبَلخ وأمره بمراسلة بني أخيه بيغو وطغرلبك وداود يأمرهم بالاستقامة والكفِّ عن الشرِّ فأرسل إليهم رسولاً يأمرهم بذلك وأرسل معه إشفاً وأمره بتسليمه إليهم فلمَّا وصل الرَّسول وأدَّى الرِّسالة وسلَّم إليهم الإشفا نفروا واستوحشوا وعادوا إلى أمرهم الأوَّل في الغارة والشرِّ فأعاده مسعود إلى

---

(١) آل عمران ٢٦ .

محبسه وسار إلى غزنة فقصد السَّلجوقيـة بلخ وَنَيْسابـور وطُوس وجَـوْزجَانْ على مـا ذكرناه .

وأقام داوُد بمدينة مروْ وانهزَمت عساكرُ السُّلطان مسعود منهم مرَّةً بعد مرَّةٍ واستولى الرُّعب على أصحابه لا سيّما مع بُعده إلى غزنة فتوالت كتبُ نُوَّابه وعمَّاله إليه يستغيثون به ويشكون إليه ويذكرون ما يفعل السَّلجوقية في البلاد وهو لا يجيبهم ولا يتوَجَّه إليهم وأعرض عن خراسان والسّلجوقية واشتغل بأمور بلاد الهند ، فلمَّا اشتدَّ أمرُهم بخُرَاسان وَعَظُمَتْ حالهم اجتمَعَ وزراء مسعود وأربابُ الرَّأي في دولته وقالوا له : إنَّ قلَّة المبالاة بخراسان من أعظم سعادة السَّلجوقية وبها يملكون البلاد ويستقيمُ لهم الملك ونحن نعلم وكلُّ عاقل أنَّهم إذا تُركوا على هذه الحال استولوا على خراسان سريعاً ثم سارُوا منها إلى غزنةَ وحينئذٍ لا ينفعُنا حركاتنا ولا نتمكن من البطالة والاشتغال باللّعبِ واللَّهو والطّرب ، فاستيقظ من رقدته وأبصر رُشده بعد غفلته وجهَّزَ العساكر الكثيرة مع أكبر أميرٍ عنده يُعَرفُ بسَبَاشِي وكان حاجِبُه وقد سيَّره قبلُ إلى الغزّ العراقِية وقد تقدَّم ذكرُ ذلكَ وسيَّر معه أميراً كبيراً اسمه مِرْدَاوِيج بن بَشو وكان سبَاشِي جباناً فأقام بُهرَاة ونَيْسَابُور ثمَّ أغارَ بغتةً على مروْ وبها داود فسار مُجِدّاً فوصَل إليها في ثلاثةِ أيام فأصابَ جيوشه ودوابه التعب والكلال فانهزمَ داود بين يديه ولحقه العسكر فحمل عليه صاحب جَوْزَجَان فقاتله داود فقتِل صاحبُ جَوْزَجَانْ وانهزمت عساكِرُه فعظُم قتله على سباشي وكلٍّ من معـه ووقعت عليهم الذلة وقَوِيَت نفوسُ السَّلجوقية وزاد طمعهُم وعاد داود إلى مروْ فأحسن السِّيرة في أهلها وخُطب له فيها أوّل جمعة في رجب سنة ثمانٍ وعشرين وأربعمائة ولقِّب في الخُطبة بملكِ الملوك وسباشي يُمادي الأيَّام ويرحلُ من منزلٍ إلى منزلٍ والسَّلجُوقية يراوِغُونَه مراوغة الثَّعلب فقيل إنَّه كان يفعل ذلك جُبناً وخوراً وقيل بل راسله السّلجوقيةُ واستمالوهُ ورغَّبوه فنفس عنهم وتراخى في تتبعهم والله أعلم .

ولمّا طال مُقامُ سباشي وعساكره والسلجوقية بخُراسان والبـلاد منهوبـةٌ والدمـاءُ مسفوكة قلَّت الميرةُ والأقواتُ على العساكر خاصة فأما السَّلجوقية فلا يبالون بذلـك لأنهم يقنعون بالقليل فاضطر سباشي إلى مباشرة الحرب وترك المحاجزةِ فسار إلى داود وتقدَّم داود إليه فالتقوا في شعبان سنة ثمانٍ وعشرين على باب سَرْخَس ولداود منجمٌ يُقال له الصومَعي فأشار على داود بالقتال وضمِنَ له الظفر وأشهَدَ على نفسه أنَّه إن أخطأ

فدمُه مباحٌ له فاقتتل العسكران فلم يثبت عسكر سباشي وانهزموا أقبحَ هزيمةٍ وساروا أخزى مسيرٍ إلى هراة فتبعهم داود وعسكره إلى طُوس يأخذونهم باليدِ وكفوا عن القتل وغنموا أموالَهُم فكانت هذه الوقعة هي الوقعة التي ملك السَّلجوقية بعدها خراسان ودخلوا قصباتَ البلاد فدخل طغرلبك نيسابور وسكن الشاذياخ وخُطبَ له فيها في شعبان بالسُّلطان المعظَّم وفرَّقُوا النوَّاب في النَّواحي. وسار داود إلى هرَاة ففارقها سباشي ومضى إلى غزنَةَ فعاتبه مسعود وحجبه وقال له ضيَّعت العساكر وطاولت الأيّامَ حتَّى قوِيَ أمر العدوِّ وصفا لهم مشرَبُهُم وتمكنوا من البلاد ما أرادوا فاعتذر بأنّ القوم تفرَّقوا ثلاثَ فرقٍ كلمّا تبعت فرقة سارت بينْ يديّ وخلفي الفريقان في البلاد يفعلون ما أرادوا فاضطر مسعود إلى المسير إلى خُراسان فجمع العساكر وفرَّق فيهم الأموال العَظيمة وسار عن غزنة في جيوش يضيقُ بها الفضاء ومعه من الفِيَلة عددٌ كثيرٌ فوصَلَ إلى بلخ وقصده داود إليها أيضاً ونزل قريباً منها فدخلها يوماً . ريده في طائفةٍ يسيرة على حين غفلةٍ من العساكر فأخذ الفيل الكبير الذي على باب دار الملك مسعود وأخذ معه عدَّة جنائبٍ فعظُم قدره في النفوس وازداد العسكرُ هيبة له. ثمّ سار مسعود من بلخ أوّل شهر رمضان سنة تسعٍ وعشرين وأربعمائة ومعه مائة ألف فارس سوى الأتباع وسار على جَوْزَجان فأخذ واليها الَّذي كان بها للسَّلجوقية فصلَبَهُ وسار منها فوصل إلى مَرْو الشاهجَانْ .

وسار داود إلى سرخس واجتمَعَ هو وأخوَاهُ طغرلبك وبيغو فأرسَلَ مسعود إليهم رسُلاً في الصُّلح فسار في الجواب بيغو فأكرَمَهُ مسعود وخلع عليه وكان مضمونُ رِسَالَتِهِ : إنَّا لا نثقُ بمصالحتك بعد ما فعلنا هذه الأفعال التي سخطتها كلَّ فعل منها موبق مهلكٌ وآيسوه من الصُّلح فسار مسعود من مروْ إلى هراة وقصد داود مرو فامتنع أهلُها عليه فحصرها سبعةَ أشهرٍ وضيَّقَ عليهِمْ وألحَّ في قتالهم فملكها فلمَّا سمع مسعودٌ هذا الخبر سقطَ في يديه وسار من هراة إلى نَيْسابور ثمَّ منها إلى سَرخَسْ وكلَّما تبع السلجوقية إلى مكان ساروا منه إلى غيره ولم يزل كذلك فأدركهم الشِّتاء فأقاموا بنَيْسابُور ينتظرون الرَّبيع فلمَّا جاء الرَّبيع كان الملك مسعود مشغولاً بلهوه وشُربه ، فتقضَّى الربيع والأمرُ كذلك فلمّا جاء الصيف عاتبه وُزراؤه وخواصُّه على إهماله أمر عدوِّه فسَارَ من نَيْسابُور إلى مروْ يطلُبُ السَّلجُوقية فدخلوا البرِّية فدخلها وراءهم مرحَلَتين والعسكرُ الَّذي له قد ضجروا من طُول سفرهم وبيكارِهِمْ وسئِمُوا الشدَّ والتَّرَحُّل فإنّهم كان لهم في السَّفر نحو ثلاثِ

سنين بعضها مع سباشي وبعضُها مع الملك مسعود فلمّا دخل البرِّية نزل منزلاً قليلَ الماءِ والحرّ شديدٌ فلم يكف الماء للسلطان وحواشيه وكان داود في معظم السَّلجوقية بإزائه وغيره من عشيرته مقابل ساقة عساكره يتخطَّفُون من تخلَّف منهم فاتفق لما يريده الله تعالى أنّ حواشي مسعود اختصَمُوا هُمْ وجمعٌ من العسكرِ على الماء وازدَحَمُوا وجَرى بينهُم فتنةٌ حتى صار بعضهم يُقاتل بعضاً ، وبعضُهم نهبَ بعضاً فاستوحش لذلك أمراء العسكر ومشى بعضُهُم إلى بعضٍ في التخلي عن مسعود ، فعلم داود ما هم فيه من الاختلاف فتقدَّم إليهم وحمل عليهم وهم في ذلك التنازع والقتال والنّهبِ فولّوا منهزمين لا يلوي أولٌ على آخر ، وكثر القتلُ فيهم والسُّلطان مسعود ووزيره يناديانهم ويأمرانهم بالعودِ فلا يرجعون وتمَّت الهزيمةُ على العسكر وثبت مسعود فقيل له ما تنتظر قد فارقك أصحابُك وأنت في برِّية مُهلكة وبين يديك عدوٌّ وخلفك عدوّ ولا وجه للمُقامِ فمضى منهزماً ومعه نحو مائة فارسٍ فتبعه فارسٌ من السَّلجوقية فعطف عليه مسعود فقتله وصار لا يقف على شيءٍ حتى أتى غرَشتان.

وأمّا السَّلجوقيَّة فإنَّهم غنِموا من العسكر المسعوديِّ ما لا يدخل تحت الإِحصاء وقَسَمه داود على أصحابه وآثرهم على نفسه ونزل في سرادِقِ مسعود وقعد على كرسيِّه ولم ينزل عسكرُه ثلاثة أيامٍ عن ظهورِ دوابِّهم لا يفارقونها إلَّا لما لا بـدّ لهم منهُ من مأكولٍ ومشروب وغير ذلك خوفاً من عود العسكر وأطلق الأسرى وأطلق خراجَ سنةٍ كاملة وسارَ طغرلبك إلى نَيْسَابور فملَكَها ودخل إليها آخر سنة إحدى وثلاثين وأوّل سنة اثنتين وثلاثين ونهَبَ أصحابه النّاس فقيل عنهُ إنَّه رأى لوزينجا فأكله وقال هذا قَطْمَاجٌ طيِّب إلا أنَّه لا ثوم فيه ورأى الغزُّ الكافور فظنُّوه مِلْحاً وقالوا هذا ملحُ مرو نقل عنهم أشياء من هذا كثيراً . وكان العيَّارون قد عظُم ضررُهم واشتدَّ أمرُهم وزادت البليَّة بهم على أهل نَيْسابور فهم ينهبون الأموال ويقتلون النُّفوس ويرتكِبون الفروج الحرام ويفعلون كلَّ ما يُريدونه لا يردَعُهُم عن ذلكَ رادع ولا يَزجرهُم زاجر فلمّا دخل طغرلبك البلد خافه العيَّارون وكفّوا عمَّا كانوا يفعلون وسكن الناس واطمأنوا واستولى السَّلجوقية حينئذٍ على جميع البلاد فسار بيغو إلى هراة فدخلها وسار داود إلى بلخ وبها التونتاق الحاجب والياً عليها لمسعود فأرسل إليه داود يطلبُ منه تسلِيمَ البلد إليه ويُعرِّفُهُ عجزَ صاحبه عن نصْرَتِه فسجن التونتاق الرُّسل فنازله داود وحصرَ المدينة فأرسل التونتاق إلى مسعود وهو بغزنة

يعرِّفه الحال وما هو فيه من ضيق الحصار فجهَّز مسعود العساكر الكثيرة وسيّرها، فجاءت طائفةٌ منهم إلى الرخج وبها جَمعٌ من السَّلجوقية فقاتلوهم فانهزم السلجوقية وقتل منهم ثمانمائة رجلٍ وأُسر كثيرٌ وخلا ذلك الصقعُ منهم وسار طائفةٌ منهم إلى هَرَاة وبها بيغو فقاتلوه ودفعوه عنها ثُمَّ إنَّ مسعوداً سيَّر ولده مودوداً في عسكرٍ كثير مدداً لهذه العساكر فقُتِلَ مسعود وهو بخراسان على ما نذكره إن شاء الله تعالى ، فساروا عن غزنة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة فلمّا قاربوا بلخ سيّر داود طائفةً من عسكره فأوقعوا بطلائع مودود فانهزمت الطَّلائع وتبعَهُم عسكرُ داود فلمّا أحسَّ بهم عسكر مودود رجعوا إلى ورائهم وأقاموا فلمَّا سمع التونتاق صاحب بلخ الخبر أطاعَ داود وسلّم إليه البلد ووطِىءَ بِسَاطَهُ .

ذكر قبض السلطان مسعود وقتله وملك أخيه محمد

قد ذكرنا عودَ مسعود بن محمود بن سبكتكين إلى غَزْنَةَ من خُرَاسان فوصلها في شوَّال سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وقبضَ على سباشي وغيره من الأمراء كما ذكرناه ، وأثبت غيرهم وسيَّر ولده مَوْدُود إلى خراسان في جيش كثيفٍ ليمنع السَّلجوقية عنها فسار مودود إلى بلخ ليردَّ عنها داود أخا طغرلبك وجعل أبوه مسعود معه وزيرهُ أبا نصر أحمد بن مُحمّد بن عبد الصَّمد يدبِّر الأمور وكان مسيرهم من غَزْنَةَ في ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وسار مسعود بعدهم بسبعة أيام يريد بلاد الهند ليشتُو بها على عادة والده ، فلمّا سار أخذ معه أخاه مُحمداً مسمولاً واستصحب الخزائن وكان عازماً على الاستنجاد بالهند على قتال السَّلجوقية ثقةً بعُهُودهم فلمَّا عبر سيحُون وهو نهر كبيرٌ نحو دِجْلَة وعبر بعضُ الخزائن اجتمع أنوشتكين البلخي وجمع من الغلمان الدّارية ونهبوا ما تخلَّف من الخزانة ، وأقاموا أخاه محمداً ثالث عشر ربيع الآخر ، وسلّموا عليه بالإمارة فامتنع من قبول ذلك فتهدّدوه وأكرهـوه فأجـاب وبقي مسعود فيمن معـه من العسكر وحفظ نفسـه فالتقى الجمعان منتصف ربيع الآخر فاقتتلوا وعظُم الخطب على الطائفتين ثمّ انهزم عسكر مسعود وتحصَّن هو في رباط ماريكلة فحصره أخوه فامتنع عليه فقالت له أمه إنَّ مكانك لا يعصمك ، ولأن تخرج إليهم بعهد خير من أن يأخذوك قهراً فخرج إليهم فقبضوا عليه فقال له أخوه محمد والله لا قابلتك على فعلك بي ولا عاملتك إلاَّ بالجميل فانظر أين تريد أن تقيم حتى أحملك إليه ومعك أولادك وحرمك فاختار قلعـة كيكي

فأنفذه إليها محفوظاً وأمر بإكرامه وصيانته وأرسل مسعود إلى أخيه محمّد يطلب منه مالاً ينفقه فأنفذ له خمسمائة درهم فبكى مسعود وقال كان بالأمس حكمي على ثلاثة آلاف حمل من الخزائن واليومَ لا أملك الدِّرهم الفرد فأعطاه الرسول من ماله ألف دينار فقبلها وكانت سبب سعادة الرَّسول لأنه لمّا ملك مودود بن مسعود بالغ في الإحسان إليه .

ثم انَّ محمّداً فوَّض أمر دولته إلى ولدِهِ أحمد وكان فيه خبطٌ وهوج، فاتَّفق هو وابن عمِّه يوسف بن سبكتكين وابن عليّ خويشاوند على قتل مسعود ليصفو الملك له ولوالده ، فدخل إلى أبيه ، فطلب خاتمه ليختم به بعض الخزائن فأعطاه فسار بها إلى القلعة وأعطوا الخاتم لمستحفظها وقالوا معنا رسالةٌ إلى مسعود فأدخلهم إليه فقتلوه فلمَّا علم محمَّد بذلك ساءه وشقَّ عليه وأنكره وقيل إنَّ مسعوداً لمَّا حُبِس دخل عليه ولدا أخيه محمد واسم أحدهما عبد الرَّحمن والآخر عبد الرَّحيم فمدَّ عبد الرحمن يده فأخذ القَلَنسُوَة من رأس عمِّه مسعود فمدَّ عبد الرحيم يده وأخذ القلنسوة من أخيه وأنكر عليه ذلك وسبَّه وقبَّلها وتركها على رأس عمِّه فنجا بذلك عبد الرحيم من القتل والأسر لمَّا ملك مودود بن مسعود على ما نذكره إن شاء الله تعالى ، ثُمَّ إنَّ محمداً أغراه ولده أحمد بقتل عمِّه مسعود فأمر بذلك وأرسل إليه من قتله وألقاه في بئر وسدَّ رأسها وقيل بل ألقي في بئرٍ حياً وسدَّ رأسها فمات والله أعلم . فلمّا مات كتب محمد إلى ابن أخيه مودود وهو بخراسان يقول إنَّ والدك قتل قصاصاً قتله أولاد أحمد ينالتكتين بلا رضاً منِّي ، فأجاب مودود : يقول أطال الله بقاء الأمير القاسم ورزق ، ورزق ولده المعتوه أحمد عقلاً يعيش به فقد ركب أمراً عظيماً وأقدم على إراقة دم ملك مثل والدي الذي لقَّبه أمير المؤمنين سيِّد الملوك والسَّلاطين ، وستعلمون في أيِّ حتفٍ تورَّطتُم ، وأيِّ شرٍّ تأبطتم ، وسيعلم الذين ظَلَمُوا أيَّ منقلب ينقلبون :

نفلِّق هــامــاً مِن رجــالٍ أعــزَّةٍ عليـنــا وهُم كــانــوا أعقَّ وأظلَمـا

وطمِعَ جندُ محمَّدٍ فيه وزالت عنهم هيبتُه فمدُّوا أيديهم إلى أموال الرَّعايا فنهبُوها ، فخربت البلادُ وجلا أهلها لا سيّما مدينة برشاوُور فإنَّها هلكَ أهلُها ونُهِبَتْ أموالهُم وكان المملوكُ بها يُباعُ بدينارٍ ويباعُ الخمرُ كل مَنٍّ بدينار . ثم رحل محمّد عنها لليلَتَيْن بقِيَتا من رَجَب وكان ما نذكُره إن شاء الله تعالى .

وكان السُّلطان مسعود شجاعاً كريماً ذا فضائل كثيرةٍ محباً للعلماء كثير الإحسان إليهم والتَّقرُّب لهم صنَّفُوا له التصانيف الكثيرة في فنون العلوم ، وكان كثيرَ الصدقة والإحسان إلى أهل الحاجة تصدَّق مرَّة في شهر رمضان بألف ألف درهم وأكثر الإدرارات والصلات وعمَّر كثيراً من المساجد في ممالكه وكانت صنائعه ظاهرة مشهورةً تسير بها الرُّكبان مع عفَّةٍ عن أموال رعاياه وأجاز الشُّعراء بجوائز عظيمةٍ ، أعطى شاعراً على قصيدة ألف دينار وأعطى آخر بكلِّ بيتٍ ألف درهم وكان يكتب خطّاً حسناً وكان مُلكه عظيماً فسيحاً ، ملَكَ أصْبهَان والرَّيّ وهمذَانْ وما يَلِيها مِنَ البلاد ومَلَكَ طبرستان وجُرْجَان وخُرَاسان وخوارِزْم وبلاد الرّوان وكرمَانْ وسجِسْتان والسِّند والرخج وغزنَة وبلاد الغُور والهند ومَلَك كثيراً منها وأطاعه أهل البرِّ والبحر ومناقبه كثيرةٌ وقد صُنِّفت فيها التَّصانيف المشهورة فلا حاجةَ إلى الإطالة بذكرها .

ذكر ملك مودود بن مسعود وقتله عمِّه محمداً

لما قتل الملك مسعُود وصل الخبرُ إلى ابنه مودُود وهو بخُراسان فعاد مجداً في عساكره إلى غَزْنَةَ فتصافَى هو وعمُّه محمد في ثالث شعبان فانهزم محمّد وعسكره وقبض عليه وعلى ولده أحمد وأنوشتكين الخصي البلخي وابن علي خويشاوند فقتلهم وقتل أولاد عمِّه جميعهم إلاَّ عبد الرَّحيم لإنكاره على أخيه عبد الرحمن ما فعله بعمِّه مسعود وبني موضع الوقعة قريةً ورباطاً وسمّاها فتح آباذ وقتل كلَّ من له في القبض على والده صُنع وعاد إلى غزنة فدخلها في ثالث وعشرين شعبان سنة اثنتين وثلاثين واستوزر أبا نصر وزير أبيه وأظهر العدل وحسنَ السِّيرة وسلك سيرة جدِّه محمود وكان داود أخو طغرلبك قد ملك مدينة بلخ واستباحها كما ذكرناه ومودود مقابله فتجدَّد قتلُ مسعود فعاد ليقضي الله أمراً كان مفعولاً . فلمَّا تجدَّد هذا الظفر لمودود ثار أهل هراة بمن عندهم من الغزّ السَّلجوقية فأخرَجُوهم وحفظُوها لمودود واستقرَّ الأمرُ لمودود بغزنَة ولم يبقَ له همّ إلا أمر أخيه مجدود فإنَّ أباهُ قد سيّرَهُ إلى الهند سنة ستٍّ وعشرين فخاف أن يخالف عليه فأتاه خبرهُ أنَّهُ قصَدَ : لهاوور، وملتان فملَكَهما وأخذ الأموال وجمع بهما العساكر وأظهر الخلاف على أخيه فندب إليه مودود جيشاً ليمنعوه ويقاتلوه وعرض مجدود عسكره للمسير وحضر عيد الأضحى فبقي بعدة ثلاثة أيام وأصبح ميتاً بلهاوور لا يدرى كيف كان موته وأطاعت البلاد بأسرها مودوداً ورست قدمه وثبت ملكه ولما سمعت الغز

السلجوقية ذلك خافوه واستشعروا منه وراسله ملك الترك بما وراء النهر بالانقياد والمتابعة .

ذكر الخلف بين جلال الدولة وقرواش صاحب الموصل

في هذه السنة اختلف جلال الدولة ملك العراق وقَرْواش بن المقلِّد العقيلي صاحب الموصل وكان سبب ذلك أنَّ قرواشا كان قد أنفذ عسكراً سنة إحدى وثلاثين فحصروا خميسَ بن ثعلب بتكريت وجرى بينَ الطائفتين حربٌ شديدةٌ في ذي العقدة منها فأرسل خميس ولده إلى الملك جلال الدَّولة وبذل بذولاً كثيرةً ليكُفَّ عنه قرواشا فأجابه إلى ذلك وأرسل إلى قرواش يأمره بالكفِّ عنه فغالط ولم يفعل وسار بنفسه ونزل عليه يُحاصره فتأثَّر جلالُ الدَّولة منه ثمَّ إنَّه أرسل كتباً إلى الأتراكِ ببغداد يفسِدهُم وأشار عليهم بالشَّغب على الملك وإثارة الفتنة معه فوصَلَ خبرها إلى جلال الدولة وأشياء أخر كانت هذه هي الأصل ، فأرسل جلالُ الدَّولة أبا الحرث أرسلان البَساسيري في صفر من سنة اثنتين وثلاثين ليقبض على نائب قرواش بالسندية فسار ومعه جماعة من الأتراك وتبعه جمع من العرب فرأى في طريقه جمالاً لبني عيسى فتسرع إليها الأتراك والعرب فأخذوا منها قطعةً وأوغل الأتراكُ في الطَّلب وبلغ الخبرُ إلى العرب وركِبُوا وتبعوا الأتراك وجرى بين الطائفتين حربٌ انهزمَ فيها الأتراك وأُسِر منهم جماعةٌ وعاد المنهزمون فاخبروا البساسيري بكثرةِ العرب فعاد ولم يصلِ إلى مقصده وسار طائفة من بني عيسى فكمنوا بين صرصر وبغداد ليفسدوا في السَّواد فاتَّفق أن وصل بعضُ أكابر القُوَّاد الأتراك فخرجوا عليه فقتلوه وجماعة من أصحابه وحملُوا إلى بغداد فارتج البلد واستحكمت الوحشة بين جلالِ الدَّولة وقَرْوَاشَ فَجَمَعَ جلال الدَّولة العساكر وسار إلى الأنبار وهي لقرواش على عزم أخذها منه وغيرها من إقطاعه بالعراق . فلمَّا وصلوا إلى الأنبار أغلَقَت وقاتلهم أصحابُ قَرْوَاش وسارَ قرواش من تكريت إلى خصَّةٍ على عزمِ القتال فلمَّا نزل الملك جلال الدَّولة على الأنبار قلَّت عليهم العُلوفة فسار جماعةٌ مِنَ العسكرِ والعربِ إلى الحديثة ليمتاروا منها فخرجَ عليهم عندها جمع كثيرٌ من العرب فأوقعوا بهم فانهزم بعضُهم وعادوا إلى العسكر ونهبت العرب ما معهم من الدَّواب التي تحمل الميرة وبقي المُرشِد أبو الوفاء وهو المقدَّمُ على العسكر الذين ساروا لإحضار الميرة وثبت معه جماعة ووصل الخبرُ إلى جلالِ الدَّولة أنَّ المرشد أبا الوفاء يُقاتِلُ وأخبر سلامته وصَبْرَهُ

للعرب وأنَّهم يقاتلونه وهو يطلب النجدة فسار الملك إليه بعسكرٍ فوصلوا وقد عجز العرب عن الوصول إليه وعادوا عنه بعد أن حملوا عليه وعلى من معه عدَّة حملات صبر لها في قلّةٍ من معه ثم اختلفت عقيل على قرواش فراسل جلال الدَّولة وطلب رضاه وبذل له بذلاً أصْلَحه به وعاد إلى طاعته فتحالفا وعاد كلٌّ إلى مكانه .

ذكر ملك أبي الشَّوك دقوقا

كانت دقوقا لأبي الماجد المهلهَل بن محمّد بن عنّاز فسيَّر إليها أخوه حُسام الدَّولة أبو الشَّوك ولده سعديا فحاصَرَها فقاتله من بها ، ثمَّ سار أبو الشَّوك إليها فجدَّ في حصارها ونقَّب سورها ودخلها عنوةً ونهب أصحابه بعض البلدِ وأخَذُوا سلاحَ الأكراد وثيابَهُم وأقامَ حسامُ الدَّولة بالبلد ليلةً وعاد خوفاً على البندنيجين وحَلْوَانْ فإنَّ أخاه سِرْخَابُ بن مُحمَّد بن عَنَّاز كان قد أغار على عِدَّةِ مواضع من ولايته وحالف أبا الفتح بن وَرَّام والجاوَانِيَّة عليه فأشفَقَ من ذلك وأرسل إلى جلالِ الدَّولة يطلب منه نجدةً فسيَّر إليه عسكراً امتنع بهم .

ذكر الحرب بين عسكر مصر والرُّوم

في هذه السَّنة كانت وقعة بين عسكر المصريين سيّره الدّزْبريّ وبين الرُّوم فظفِر المسلمون وكان سببُ ذلك أنَّ ملك الرُّوم قد هادنه المُستَنْصِر بالله العلويّ صاحبُ مصر على ما ذكرناه فلمّا كان الآن شرعَ يُراسِلُ ابن صالح بن مرداس ويستميله وراسله قبله صالِح ليَتقَوّى به على الدِّزَبْري خوفاً أن يأخذ منه الرِّقة فبلغ ذلك الدِّزبري فتهدد ابن صالح فاعتذر وجحد ثمّ إنَّ جمعاً من بني جعفر بن كلاب دخلوا ولاية فامية فعاثوا فيها ونهبوا عدَّة قرى فخرج عليهم جمعٌ من الرُّوم فقاتلوهم وأوقعوا بهم ونكؤوا فيهم وأزالوهم عن بلادهم وبلغ ذلك الناظر بحلب فأخرج من بها من تجَّار الفرنج وأرسل إلى المتولِّي بأنطاكية يأمره بإخراج من عندهم من تجّار المسلمين فأغلظ للرسول وأراد قتله ثم تركه فأرسل النَّاظر بِحَلَبْ إلى الدِّزْبري يُعرِّفَهُ الحال وأنّ القومَ على التجهُّزِ لقصدِ البلاد فجهَّزَ الدِّزْبري جيشاً وسيَّرَهُ على مُقَدَّمَتِه فاتَّفَقَ أنهم لقُوا جيشاً للروم ، وقد خرجوا لمثل ما خرج إليه هؤلاء والتقى الفريقان بين مدينةِ حماة وفامية واشتد القتال بينهم ، ثمَّ إنَّ الله نصر المسلمين وأذلَّ الكافرين فانهزموا وقتل منهم عدَّة كثيرة وأسر ابن

عمٌّ للملك بذلوا في فِداثه مالاً جزيلاً وعدَّةً وافرةً من أسراء المسلمين وانكفَّ الرومُ عن الأَذى بعدها .

ذكر الخلف بين المعزِّ وبني حماد

في هذه السنَّة خالف أولاد حماد على المعزِّ بن باديس صاحب إفريقية وعادوا إلى ما كانوا عليه من العصيان والخلاف عليه فسار إليهم المعزُّ وجمع العساكر وحشدها وحصر قلعتهم المعروفة بقلعة حمّاد وضيَّق عليهم وأقام عليهم نحو سنتين .

ذكر صلح أبي الشَّوك وعلاء الدولة

وفيها سار مهلهل أخو أبي الشَّوك إلى علاء الدَّولة بن كاكويه واستصرخه واستعان به على أخيه أبي الشَّوك فسار معه ، فلمَّا بلغ قرميسين رجع أبو الشَّوك إلى حلوان فعرف علاء الدولة رجُوعه فسار يتبعه ، حتى بلغ المرج وقرب من أبي الشَّوك فعزم أبو الشَّوك على قصدِ قلعة السَّيروان والتَّحصن بها ثمَّ تجلَّد وأرسل إلى علاءِ الدَّولة أنَّني لم أتصَرَّف من بين يديك إلّا مراقبةً لك وإعظاماً لقدرِكَ واستعطافاً لك فإذا اضطرَرْتَني إلى ما لا أجد بدّاً منه كان العذر قائماً لي فيه فإنْ ظفرتُ بكَ طَمِعَ فيكَ الأعداءُ وإن ظفرتَ بي سلَّمَتُ قلاعي وبلادي إلى الملك جلال الدَّولة ، فأجابه علاء الدَّولة إلى الصُّلح على أن يكون له الدّينور وعاد فلحقه المرضُ في طريقه وتوفّي على ما نذكره إن شاءَ الله تعالى .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السَّنة كان بإفريقية غلاءٌ شديد وسببه عدم الأمطار فسُمِّيت سنة الغبار ودام ذلك إلى سنة أربع وثلاثين فخرج النّاسُ فاستسقُوا .

وفيها توفّي قزل أمير الغزِّ العراقية بالري ودفن بناحية من أعمالها . وفيها توفي صاعِد بن محمد أبو العلاء النَّيْسَابُوري ثمَّ الاستوائي قاضي نَيْسَابور ، وكان عالماً فقيهاً حَنَفِيّاً انتهت اليه رياسةُ الحنفيَّة بخُرَاسَانْ .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة

ذكر وفاة علاء الدولة بن كاكويه

في هذه السنة في المحرم توفِّي علاء الدولة أبو جعفر بن دَشْمنْزيار المعروف بابن كاكويه بعد عوده من بلد أبي الشوك ، وإنما قيلَ له كاكويه لأنه ابن خال مجد الدَّولة بن بُويه والخال بلغتهم كاكويه وقام بأصبهان ابنه ظهير الدِّين أبو منصور فرامرز مقامه وهوَ أكبر أولاده وأطاعه الجند بها فسار ولده أبو كاليجار كرشاسف إلى نهاوند فأقام بها وحفِظها وضَبَطَ أعمالَ الجَبَلِ وأخذها لنَفْسِه فأمسك عنه أخوه أبو منصور فرامرز ثمَّ إنَّ مستحفظاً لعلاء الدَّولة بقلعة نَطَنْزْ أرسل أبو منصور إليه يطلب شيئاً مما عنده من الأموال والذخائر ، فامتنع وأظهر العصيان فسار إليه أبو منصور وأخوه الأصغر أبو حرب ليأخذا القلعة منه كيف أمكن ، فصعد أبو حرب إليها ووافق المستحفظ على العصيان ، فعاد أبو منصور إلى أصبَهَان وأرسل أبو حرب إلى الغزّ السّلجوقية بالريّ يستنجدهم فسار طائفة منهم إلى قاجان فدخلوها ونهبوها وسلموها إلى أبي حرب وعادوا إلى الريّ فسيّر إليها أبو منصور عسكراً ليستنقذها من أخيه ، فجمع أبو حرب الأكراد وغيرهم وجعل عليهم صاحباً له وسيّرهم إلى أصبهان ليملكوها بزعمه فسيّر إليهم أخوه أبو منصور عسكراً فالتقوا وانهزم عسكر أبي حرب وأسرَ جماعة منهم وتقدّم أصحابُ أبي منصور فحصروا أبا حرب فلمَّا رأى الحال وخاف نزل منها متخفِّياً وسار إلى شيراز إلى الملك أبي كاليجار صاحب فارس والعراق فحسن له قصد أصبهان وأخذها من أخيه فسار الملك إليها وحصرها وبها الأمير أبو منصور فامتنع عليه وجرى بين الفريقين عدَّةُ وقائع كان آخر الأمر الصلح على أن يبقى أبو منصور بأصبهان وتقرّر عليه مال وعاد أبو حرب إلى قلعة نطنز واشتد الحصار عليه فأرسل إلى أخيه يطلُبُ المصالحة فاصطلحا على أن يُعطي أخاه ما في القلعة ويبقى بها على حاله ، ثمّ إنّ إبراهيم ينال خرج إلى

الريِّ على ما نذكره وأرسل إلى أبي منصور فرامرز يطلب منه الموادعة فلم يُجِبْه وسار فرامرز إلى هَمَذَانْ وبرْوَجَرْد فملكهُما ثمّ اصطلح هو وأخوه كرشاسف وأقطعه همذان وخطب لأبي منصور على منابر بلاد كرشاسف ، واتفّقت كلمتهما وكان المدبِّر لأمرهما ألكيا أبو الفتح الحسن بن عبدالله وهو الذِّي سعى في جمع كلمتهما .

ذكر ملك طغرلبك جرجان وطبرستان

في هذه السنة ملك طغرلبك جُرجَان وطَبَرسْتَان وسبَبُ ذلك أنَّ أنو شِرْوَان بن مَنُوجَهر بن قابوس بن وشمَكِير صاحِبها قبضَ على أبي كاليجار بن ويهان القُوهي صاحب جيشه وزوج أمه بمساعدة أمِّه عليه فعلم حينئذ طغرَلْبك أنَّ البلادَ لا مانع له عنها فسار إليها وقصد جُرْجان ومعه مرداويج بن بسو فلمّا نازلها فتح له المقيم بها فدخلها وقرّر على أهلها مائة ألف دينار صلحاً وسلماً إلى مرداويج بن بسو وقرّر عليه خمسين ألف دينار كل سنة عن جميع الأعمال وعاد إلى نيسابور وقصد مرداويج أنو شروان بسارية ، وكان بها فاصطلحا على أنْ ضَمِنَ أنو شروان له ثلاثين ألف دينار وأُقِيمَت الخطبة لطغرلبك في البلاد كلِّها وتزوج مرداويج بوالدة أنو شروان وبقيَ أنو شِرْوان يتصرف بأمرِ مرداويج لا يخالِفهُ في شيء ألبتّة .

ذكر أحوال ملوك الروم

نذكر ههنا أحوالَ الرُّوم من عهد بسيل إلى الآن فنقولُ من عادة ملوك الرُّوم أنْ يَرْكَبُوا أيام الأعياد إلى البيعَةِ المخْصُوصَة بذلك العيد فإذا اجتاز الملك بالأسْواق شاهده النَّاسُ وبأيديهم المداخنُ يُبَخرون فيها فركِبَ والد بَسِيل وقِسْطَنْطِين في بعض الأعياد وكان لبعضِ أكابر الرُّوم بنتٌ جميلة فخرجت تشاهد الملكَ فلمَّا مرَّ بها استحسنها فأمر من يسأل عنها فلمّا عرفها خطبها وتزوَّجها وأحبَّها وولدت منه بسيل وقسطنطين وتوفِّي وهُما صغيران فتزوَّجت بعده بمدَّةٍ طويلة تقفور فكره كلُّ واحدٍ منهما صاحبه فعملت على قتله فراسلت الشمَشْقِيقْ في ذلك فقصد قسطنطينية متخفِّياً فأدخلته إلى دار الملك واتفقا وقتلاهُ ليلاً وأحضرت البطارقة متفرِّقين وأعطتهُم الأموالَ ودعتهم إلى تمليك الشمشقِيق ففعلوا ولم تُصْبِحْ إلاّ وقد فرغَتْ مِمَّا تريد ولم يجر خلف وتزَوجَتْ الشمشقيق وأقامت معه سنةً فخافها واحتال عليها وأخرجها إلى دير بعيد وحمل ولديها معها فأقامت

فيه سنة ثمَّ أحضرت راهباً ووهبته مالاً وأمرته بقصد قُسْطنْطِينيَة والمقام بكنيسة الملك والاقتصار على قدر القوت فإذا وُفِّق بِهِ الملكُ وأرادَ القِرْبَانَ من يَدِهِ ليلةَ العيد سَقَاهُ سُمّاً ففعل الرّاهب ذلك فلمّا كان ليلة العيد سارت ومعها ولداها ووصلت قسطنطينية في اليوم الذي توفي فيه الشمشقيق فملك ولدَها بسيل ودبّرت هي الأمر لصغره فلمّا كبر بَسِيل قصد بلد البلغار وتُوُفِّيَتْ وهو هناك فبلغه وفاتها فأمر خادماً له أن يدبِّر الأمور في غيبته ودام قتاله لبلغار أربعين سنة فظفروا به فعاد مهزوماً وأقام بالقسطنطينية يتجهَّزُ للعود فعاد إليهم فظفِر بهم وقتل مِلِكَهُم وسبى أهله وأولادَهُ وملك بلاده ونقلَ أهلها إلى الرُّوم وأسكن البلادَ طائِفَةً من الرُّوم وهؤلاء البلغار غير الطائفة المسلمة فإنَّ هَؤُلاء أقربُ إلى بلد الروم من المسلمين بنحو شَهْرَيْن وكلاهما يُسَمَّى بلغار .

وكان بسيل عاد لأحسن السِّيرة ودام ملكه نيِّفاً وسبعين سنةً وتُوُفي ولم يخلف ولداً فملك أخوه قسطنطين وبقيَ إلى أنْ تُوُفِّي . ولم يخلِّف غير ثلاث بناتٍ فملكت الكُبرى وتزوَّجت أرمَانُوس وهو من أقارب الملك ، وملَّكَتْهُ فبقيَ مدَّة وهو الّذي ملك الرَّها من المسلمين . وكان لأرمانوس صاحبٌ له يخدمه قبل ملكه من أولاد بعض الصَّيارف اسمه ميخائيل فلمّا ملك حكمه في داره مالت زوجة أرمانوس إليـه وعملا الحيلة في قتـل أرمانوس ، فمرض أرمانوس ، فأدخلاه إلى الحمّام كارهاً وخنقاه وأظهرا أنَّه مات في الحمّام وملكت زوجَتَهُ ميخائيل وتزوَّجته على كرهٍ من الرُّوم وعرض لميخائيل صرعٌ لازمه وشوَّه صورته فعهَدَ بالملكِ بعده إلى ابن أختٍ له إِسمه ميخائيل أيضاً ، فلمّا تُوُفِّي ملك ابن اخته وأحسن السِّيرة وقبض على أهل خاله وإخوته وهم أخواله وضرب الدنانير في هذه السنة وهي سنةُ ثلاثٍ وثلاثين ثمّ أحضَرَ زَوْجَتـهُ بنت الملك وطلب منها أن تترهَّب وتنزع نَفْسَهَا من الملك فأبت فضربها وسيَّرها إلى جزيرة في البحر ثُمَّ عزم على القبضِ على البطرك والاستراحة من تحكمه عليه ، فإنَّه كان لا يقدر على مخالفته فطلب إليه أن يعمل له طعاماً في دير ذكره بظاهر القسطنطينية ليحضر عنده ، فأجابه إلى ذلك وخرج إلى الدَّير ليعمل ما قال الملك فأرسل الملك جماعةً من الرُّوس والبُلغار ووافقهم على قتله سرّاً فقصدُوه ليلاً وحصروه في الدَّير فبـذل لهم مالاً كثيـراً وخرج متخفّياً وقصد البيعةَ التي يسكُنَها وضرَبَ النَّاقُوس فاجتمعَ الرُّوم عليه ودعاهم إلى عزلِ الملك فأجابُوه إلى ذلك وحَصَرُوا الملك في دار ، فأرسل الملك إلى زوجته وأحضرها

من الجزيرة التي نفاها إليها ورغب في أن ترد عنه فلم تفعل ، وأخرجته إلى بيعة يترهَّبُ فيها ثمَّ إنَّ البطرك والرُّوم نزعوا زوجته من الملك وملَّكوا أختاً لها صغيرةً واسمها تُذُورة وجعلوا معها خدمَ أبيها يدبِّرون الملك وكحلوا ميخائيل ، ووقعت الحرب بالقسطنطينية بين من يتعصَّب له وبين من يتعصب لتذورة والبطرك ، فظفر أصحاب تَذُورة بهم ونهبوا أموالهم ثمّ إنَّ الرُّوم افتقروا إلى ملكٍ يدبِّرُهم فكتبوا أسماءَ جماعةٍ يَصلُحُون للمُلكِ في رقاع ووضعوها في بنادق طين وأمروا من يخرج منها بندقة وهو لا يعرف باسم من فيها فخرج اسم قسطنطين فملكوه وتزوجته الملكة الكبيرة واستنزلت اختها الصغيرة تَذُورة عن الملك بمال بذلته لها واستقرَّ في الملك سنة أربع وثلاثين فخرج عليه فيها خارجي من الرُّوم اسمه أرميناس ودعا إلى نفسه فكثُر جمعه حتَّى زادوا على عشرين ألفاً فأهم قسطنطين أمره وسيَّر إليه جيشاً كثيفاً فظفروا بالخارجيّ وقتلوه وحملوا رأسه إلى القسطنطينيَّة وأُسر من أعيان أصحابه مائة رجلٍ فشهروا في البلد ثمَّ أُطلقوا وأُعطوا نفقةً وأمروا بالانصراف إلى أيِّ جهةٍ أرادُوا .

ذكر فساد حال الدِّزْبَري بالشام وما صار الأمر إليه بالبلاد

في هذه السنة فسُد أمر أنوشتكين الدِّزْبَرِي نائب المستنصر بالله صاحب مصر بالشّام ، وقد كان كبيراً على مخدومه بما يراهُ من تعظيم الملوك له وهيبة الرُّوم منه وكان الوزير أبو القاسم الجرجراي يقصدُه وَيَحْسدُهُ إلاَّ أنَّه لا يجدُ طريقاً إلى الوقيعة فيه ثمَّ اتفق أنَّه سعى بكاتب للدّزْبَري اسمه أبو سعد وقيل عنه إنه تستميل صاحبه إلى غير جهة المصريين فكُوتب الدِّزبري بإبعاده فلم يفعل واستَوْحَشُوا منه ووضع الجرجَراي حاجب الدزبري وغيره على مخالفته ثمَّ إنَّ جماعةً من الأجناد قصدُوا مصر وشكوا إلى الجرجراي منه فعرّفهم سوءَ رأيه فيه وأعادهم إلى دمشق وأمرَهُم بإفساد الجندِ عليه ففعلوا ذلكَ وأحسَّ الدِّزبري بما يجري فأظهر ما في نفسه وأحضر نائب الجرجراي عنده وأمر بإهانته وضربه ثم إنّه أطلق لطائفةٍ من العسكرِ يلزمون خدمته أرزاقهم ومنع الباقين فحرَّك ما في نفوسهم وقوّى طمعهم فيه بما كُوتبوا به من مصر ، فأظهروا الشغب عليه وقصدُوا قصره وهو بظاهر البلد وتبعهم من العامّة من يريد النهب فاقتتلوا . فعلِمَ الدِّزْبَرِيّ ضعفَهُ وعجزه عنهُم ففارَقَ مكانه واستَصْحَبَ أربعين غلاماً له وما أمكنه من الدَّواب والأثاث والأموال ونهبَ الباقي وسار إلى بعلبكَّ فمنعه مُسْتَحْفِظُها

وأخذ ما أمكنه أخذُه من مال الدِّزبري وتبِعَهُ طائفةٌ من الجنْدِ يقفون أثره وينهبون ما يقدرون عليه وسار إلى مدينة حماة فمنع عنها وقوتل وكاتب المقلِّد بن مُنَقِّذ الكَنانِي الكَفَرْطابي واستدعاه فأجابَهُ وحضرَ عِنْدهُ في نحو ألفي رجل من كفرطاب وغيرها فاحتمى به ، وسار إلى حلب ودخلها وأقام بها مدَّةً وتُوفِّي في منتصفِ جمادى الأولى من هذه السنة ، فلمّا تُوُفِّي فسد أمر بلاد الشَّام وانتشرت الأمور بها وزال النظام وطمِعَت العربُ وخَرَجوا في نواحيه ، فخرجَ حسَّان بن المفرِّج الطّائي بفلسطين ، وخرج معزُّ الدّولة بن صالح الكلابي بحَلَبْ وقصدَها وحصَرها وملك المدينة واستمنع أصحابُ الدِّزبَري بالقلعة وكتبوا إلى مصر يطلبون النَّجدَة فلم يفعلوا واشتغل عساكر دمشق ومقدَّمهم الحُسَيْن بن أحمد الذّي ولي أمر دمشق بعد الدّزْبَري بحرب حسّان ووقع الموت في الذّين في القلعة فسلّمُوها إلى معزّ الدَّولة بالأمان .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة سير الملك أبو كاليجار من فارس عسكراً في البحر إلى عمان ، وكان قد عصى من بها فوصل العسكر إلى صحار ، مدينة عمان فملكوها واستعادوا الخارجين عن الطاعة ، واستقرت الأمور بها وعادت العساكرُ إلى فارس وفيها قصد أبو نصر بن الهيثم الصّليق من البطائح فملكها ونهبها ثم استقرَّ أمرُها على مالٍ يؤدّيه إلى جلال الدَّولة وفيها توفِّي أبو منصور بهرامْ بن منافية وهو الملقب بالعادل وزير الملك أبي كاليجار ومولده سنة ستٍّ وستِّين وثلاثمائة ، وكان حسن السِّيرة ؛ وبنى دار الكتب بفيروزاباذ وجعل فيها سبعة آلاف مجلّد ؛ فلمّا مات وزر بعده مهذّب الدّولة أبو منصور هبة الله بن أحمد الفسوي. وفيها وصل جماعة من البلغار إلى بغداد يريدون الحجّ فأقيم لهم من الدِّيوان الإقامات الوافرة ، فسُئِل بعضهم من أيِّ الأمم هم البُلغار فقال هُم قومٌ تولدوا بين التُّرك والصَّقالبة وبلدهم في أقصى التُّرك وكانوا كُفَّاراً فأسلموا عن قريبٍ وهم على مذهب أبي حنيفَة رضي الله تعالى عنه.

وفيها توفي ميخائيل ملك الروم ، وملك بعده ابن اخيه ميخائيل أيضاً .

وفيها في جمادى الآخرة تُوُفِّي أبو الحسن محمّد بن جعفر الجهرَمِي الشاعر وهو القائل :

يـا ويـحَ قـلبي مـن تَقـلُّبِـهِ   أبـداً يـحـنُّ إلـى مُـعَـذِّبـه
قـالـوا كـتمتَ هـواه عن جلدٍ   لـو أنَّ لي رمـقـاً لـبحتُ بـهِ
بـأبي حبِيبـاً غيـرَ مكتـرثٍ   عـني ويُـكـثـرُ مـن تَعَـتُّبـه
حسبي رضـاه من الـحيـاةِ ومـا   قـلقي ومـوتـي مـن تـغـضُّبـه

وكان بينه وبين المطرّز مهاجاة.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة

ذكر ملك طغرلبك مدينة خوارزم

قد تقدَّم أنَّ خوارزم كانت من جملة مملكة محمود بن سبكتكين ، فلمّا توفِّي وملك بعده ابنه مسعود كانت له وكان فيها التونتاش حاجب أبيه محمود وهو من أكابر أمرائه يتولّاها لمحمود ومسعود بعده ولمّا كان مسعود مشغولاً بقصد أخيه محمّد لأخذ الملك قصد الأمير علي تكين صاحب ما وراء النهر أطرافَ بلادِهِ وشعَّثها فلمَّا فرغ مسعود من أمر أخيه واستقر الملك له كاتب التونتاش في سنة أربع وعشرين بقصد أعمال علي تكين وأخذ بخارى وسمرقند وأمدّه بجيشٍ كثيفٍ ، فعَبَرَ جيحون وفتح من بلاد علي تكين ما أراد وانحازَ علي تكين مِنْ بين يديه وأقامَ التونتاش بالبلاد التّي فتحها فرأى دخلَهَا لا يفي بما تحتاج عساكره لأنّه كان يريدُ يكون في جمع كثير يمتنع بهم على التُّرك فكاتب مسعوداً في ذلك واستأذنه في العود إلى خوارزم فأذن له ، فلمّا عاد لحقه علي تكين على غرَّةٍ وكبسه فانهزم علي تكين وصعد إلى قلعة دبوسية فحصره التونتاش وكاد يأخذه فراسله علي تكين واستعطفه وضرَع إليه فرحل عنه وعاد إلى خوارزم وأصاب التونتاش في هذه الوقعة جِراحة ، فلمّا عاد إلى خوارزم مرض منها وتوفِّي وخلَّف من الأولاد ثلاثة بنين : هارون ورشيد وإسماعيل ، فلما تُوفِّي ضبط البلد وزيره أبو نصر ، أحمد بن محمد بن عبد الصمد وحفظ الخزائن وغيرها ، وأعلم مسعود الخبر فولّى ابنه الأكبر هارون خوارزم وسيَّره إليها وكان عنده، واتَّفَقَ أن الميْمَندي وزير مسعود توفّي فاستحضر أبا نصر بن محمّد بن عبد الصَّمد واستوزره ، فاستتاب أبو نصر عند هارون ابنه عبد الجبَّار وجعله وزيره ، فجرى بينه وبين هارون منافرة أسرها هارون في نفسه وحسّن له أصحابه القبض على عبد الجبار والعصيان على مسعود ، فأظهر العصيان في شهر رمضان سنة خمس وعشرين ، وأراد قتل عبد الجبَّار فاختفى منه فقال أعداء أبيه

للملك مسعود ، إنَّ أبا نصر قد واطأ هارون على العِصيان وإنَّما اختفى ابنه حيلةً ومكراً فاستَوْحش منه إلّا أنّه لم يُظهر ذلك له .

وعزم مسعود على الخروج من غزنة إلى خوارزم فسار عن غزنة والزمان شتاء فلم يمكنه قصد خوارزم فسار إلى جرجان طالباً أنو شِروان بن مَنُوجَهْر ليُقابله على ما ظهر منه عند اشتغال مسعود بِقتال أحمد ينالتكين ببلادِ الهند فلمّا كان ببلاد جرجانْ أتاهُ كتابُ عبدِ الجبّارْ بن أبي نصر بقتل هارون وإعادة البلد إلى طاعته . وكان عبد الجبّار في بدء استتاره يعمل على قتل هارون ووضع جماعة على الفتك به فقتلوه عند خروجه إلى الصيد . وقام عبد الجبار بحفظ البلد فلمّا وقف مسعود على كتاب عبد الجبار علم أنَّ الذي قيل عن أبيه كان باطلاً فعاد إلى الثّقة به وبقي عبد الجبار أيّاماً يسيرة فوثب به غلمان هارون فقتلوه وولّوا البلد اسماعيل بن التونتاش وقامَ بأمره شُكْر خادِمُ أبيه وعَصُوا على مسْعُود فكتب مسعود إلى شاهْمَلِك بن علي أحدَ أصحابِ الأطراف بنواحي خوارزم بقصد خوارزم وأخذها فسَارَ إليها فقاتله شكر وإسماعيل ومنعوه عن البلد فهزمهما وملك البلد فسارا إلى طغرلبك وداود السلجقيين والتجآ إليهما وطلبا المعونة منهما ، فسار داود معهما إلى خَوارِزْم فلقيَهُم شاهملك وقاتلهم فهَزَمَهُم .

ولمّا جرى على مسعود من القتل ما جرى وملك مودود دخل شاهملك في طاعته وصافاه وتمسك كلُّ واحد منهما بصاحبه ، ثمَّ إنَّ طغرَلبكْ سار إلى خَوارِزْم فَحصَرَها وملكها واستولى عليها وانهزم شاهْمَلِك بين يديه واستصحب أمواله وذخائره ومضى في المفازة إلى دِهِستان، ثمَّ انتقل عنها إلى طبس ، ثمَّ إلى أطراف كَرمان ، ثمَّ إلى أعمال القيزو مكران ، فلمّا وصل إلى هناك علم خلاصه ببعده وأمن في نفسه فعرف خبره أرتاش أخو إبراهيم ينال وهو ابن عم طغرلبك فقصده في أربعة آلاف فارس ، فأوقع به وأسره وأخذ ما معه ثمَّ عاد به فسلّمه إلى داود وحصل هو بما غنم من أمواله ، وعاد بعد ذلك إلى باذغيس المقاربة لهراة ، وأقام على محاصرة هراة لأنهم إلى هذه الغاية كانوا مقيمين على الامتناع والاعتصام ببلدهم ، والثّبات على طاعة مودود بن مسعود ، فقاتلهم أهلُ هُراة وحفظوا بلدهم مع خراب سوادهم وإنّما حملهم على ذلك الحرب خوفاً من الغزّ .

ذكر قصد إبراهيم ينال همذان وما كان منه

قد ذِكرنا خروج إبراهيم ينال من خراسان إلى الريّ واستيلاءه عليها ، فلمّا استقرّ أمرُها سار عنها وملك البلاد المجاورة لها ، ثمّ انتقل إلى بروجرد فملكها ، ثم قصد همذان وكان بها أبو كاليجار كرشَاسِفّ بن علاء الدولة صاحبها ففارقها إلى سابور خواست ، ونزلَ إبراهيم ينال على همذان وأراد دخولها ، فقال له أهلها : إن كنتَ تُريدُ الطَّاعَةَ وما يَطْلُبُه السُّلطان من الرَّعيّة ، فنحن باذلوه وداخلون تحته فاطلب أولاً هذا المخالف عليك الذي كان عِنْدَنَا ـ يَعْنُون كُرشَاسف ـ فإنّا لانأمَنُ عودَهُ إلينا فإذا ملكته أو دفعته كنّا لك فكفَّ عنهُمْ وسار إلى كرشاسف بعد أن أخذ من أهل البلد مالاً فلمّا قارب سابور خواست صعِد كرشاسف إلى القلعة فتحصَّن بها وحصر إبراهيم البلد فقاتله أهله خوفاً من الغزِّ فلم يكن لهم طاقة على دفعهم فملك البلد قهراً ونهبَ الغز أهله وفعلوا الأفاعيلَ القبيحة بِهم ، ثمَّ عادوا بما غنموه إلى الرَّي فرأوا طغرلبك قد وردها ، ولما فارق إبراهيم والغزّ همذان نزل كرشاسف إليها ، فأقام بها إلى أن وصل طَغْرَلْبِك إلى الرّيّ فسار إليه إبراهيم ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر خروج طغرلبك إلى الري وملك بلد الجبل

في هذه السنة خرج طغرلبك من خراسان إلى الري بعد فراغه من خوارزم وجرجان وطبرستان . فلما سمع أخوه إبراهيم ينال بقدومه سار إليه فلقيه وتسلم طغرلبك الريّ منه وتسلَّم غيرها من بلد الجبل وسار إبراهيم إلى سجستان وأخذ طغرلبك أيضاً قلعة طبرك من مجد الدولة بن بويه ، وأقام عنده مكرَّماً وأمر طغرلبك بعمارة الريّ وكانت قد خربت فوجد في دار الإمارة مراكب ذهب مجوهرة وبرنيتين صيني مملوءة جوهراً ومالاً كثيراً وغير ذلك ، وكان كامرو يُهادي طغرلبك وهو بخُرَاسَان ويخدمه وخدم أخاه إبراهيم لمّا كان بالريّ فلمّا حضر عنده وأهدى له هدايا كثيرة من أنواع شتّى وهو يظنُّ أن طغرلبك يزيد في إقطاعه ، ويرعى له ما تقدم من خدمته له فخاب ظنّه ، وقرّر على ما بيده كل سنة سبعة وعشرين ألف دينار ، ثمّ سار الى قزوين ، فامتنع عليه اهلها فزحف اليهم ، ورماهُم بالسِّهام والحجارة فلم يقدروا أن يقفوا على السور ؛ وقتل من أهل البلد برشق وأخذ ثلاثمائة وخمسين رجلاً ، فلمّا رأى كامرو ومرداويج بن بَسّو ذلك خافوا أن يملك البلد عنوة وينهب فمنعوا النّاس من القتال وأصلحوا الحال على ثمانين

ألف دينار وصار صاحبها في طاعته ، ثمّ إنّه أرسل الى كوكتاش وبُوقا وغيرهما من أمراء الغزّ الّذين تقدَّم خروجهم يمنيهم ويدعوهم إلى الحضور في خدمته ، فلمّا وصل رسوله إليهم ساروا حتّى نزلوا على نهر بنواحي زنجان ثمَّ أعادوا رسوله وقالوا له قل له قد علمنا أن غرضك أن تجمعنا لتفيض علينا ، والخوف منك أبعدنا عنك ، وقد نزلنا ههنا فإن أردتنا قصدنا خَراسان أو الرُّوم ولا تجتمع بك أبداً ؛ وأرسل طغرلبك إلى ملك الدَّيْلَم يدعوه إلى الطّاعة ويطلب منه مالا ففعل ذلك وحمل إليه مالاً وعروضاً وأرسل أيضاً إلى سلار الطرم يدعوه إلى خدمته ويطالبه بحمل مائتي ألف دينار فاستقرَّ الحال بينهما على الطّاعة وشيء من المال وأرسل سريةً إلى أصبهان وبها أبو منصور فرامرز بن علاء الدَّوْلة فأغارت على أعمالها وعادت مسالمة ، وخرج طغرلبك من الريّ وأظهر قصد أصبهان فراسله فرامرز وصانعه بمال فعاد عنه وسار إلى همذان فملكها من صاحبها كرشاسِف بن علاء الدولة ، وكان قد نزل إليه وهو بالرّيّ بعد أن راسله طغرلبك غير مرّة وسار معه من الرّيّ إلى ابهروزنجان فأخذ منه همذان وتفرق أصحابه عنه وطلب منه طغرلبك تسليم قلعة كنكور فأرسل إلى من بها بالتّسليم فلم يفعلوا وقالوا لرسل طغرلبك قل لصاحبك والله لو قطعته قطعاً ما سلمناها إليك فقال له طغرلبك ما امتنعوا إلاّ بأمرك ورأيك فاصعد إليهم وأقم معهم ولا تفارق موضعك حتّى آذن لَك ، ثمَّ عاد إلى الرَّي واستناب بهمذان ناصراً العلويَّ وكان كرشاسف قد قبضَ عليه فأخرجه طغرلبك وولاّه الرَّيَّ وأمره بمساعدة من يجعله في البلد وكان معه مرداويج بن بسُّو نائبه في جرجان وطبرستان ، فمات ، وقام ولده جُسْتَان مقامه فسار طغرلبك إلى جرجان فعزل جستان عنها ، واستعمل على جرجان أسفار ، وهو من خواص منوجهر بن قابوس ، فلمّا فرغ أمر جرجان وطبرستان سار إلى دهستان فحصرها وبها صاحبها كاميار معتصماً بها لحصانتها .

ذكر مسير عساكر طغرلبك إلى كرمان[1]

وسيَّر طغرلبك طائفة من أصحابه إلى كَرمان مع أخيه إبراهيم ينال بعد أن دخل الرَّيَّ وقيل إنّ إبراهيم لم يقصد كرمان وإنّما قصد سجستان ، وكان مقدم العساكر

---

(١) كَرمان : بالفتح ثم السكون وربما كسرت والفتح أشهر بالصحة : وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران والبحر من وراء البَلوص .

التي سارت إلى كرمان غيره ، فلما وصلوا إلى أطراف كرمان نهبوا ، ولم يُقْدِموا على التوغُّل فيها فلم يروا من العساكر من يكفهم فتوسَّطوها وملكوا عدَّة مواضع منها ونهبوها ؛ فبلغ الخبر إلى الملك أبي كاليجار صاحبها فسيَّر وزيره مهذِّب الدولة في العساكر الكثيرة وأمره بالجدِّ في المسير ليدركهم قبل أن يملكوا جيرفت[1] وكانوا يحاصرونها فطوى المراحل حتّى قاربهم فرحلوا عن جيرفت ونزلوا على ستة فراسخ منها ؛ وجاء مهذّب الدولة فنزلها وارسل ليحمل الميرة إلى العسكر فخرجت الغزّ إلى الجمال والبغال والميرة ليأخذوها ، وسمع مهذّب الدّولة ذلك فسيَّر طائفة من العسكر لمنعهم فتواقعوا واقتتلوا وتكاثر الغزُّ فسمع مهذِّب الدَّولة الخبر فسار في العساكر إلى المعركة وهم يقتتلون ، وقد ثبتت كل طائفة لصاحبها ، واشتدَّ القتال إلى حدّ أنَّ بعض الغزِّ رمى فرس بعض أصحاب أبي كاليجار بسهم فوقع فيه وطعنه صاحب الفرس برمح فأصاب فرس الغزيّ وحمل الغزيّ على صاحب الفرس فضربه ضربةً قطعت يده وحمل عليه صاحب الفرس وهو على هذه الحالة فضربه بسيفه فقطعه قطعتين وسقطا إلى الأرض قتيلين والفرسان قتيلين . وهذه حالة لم يدون عن مقدّمي الشجعان أحسن منها ، فلمّا وصل مهذب الدولة الى المعركة انهزم الغزُّ وتركوا ما كانوا ينهبوه ودخلوا المفازة وتبعهم الدَّيلم إلى رأس الحد ، وعادوا إلى كرمان فأصلحوا ما فسد منها .

ذكر الوحشة بين القائم بأمر الله أمير المؤمنين وجلال الدولة

في هذه السَّنة افتتحت الجوالي في المحرّم ببغداد فأنفذ الملك جلال الدّولة فأخذ ما تحصّل منها وكانت العادة أن يحمل ما يحصل منها إلى الخلفاء لا تعارضهم فيها الملوك ، فلمّا فعل جلال الدّولة ذلك عظُم الأمر فيه على القائم بأمر الله واشتدّ عليه وأرسل مع أقضى القضاة أبي الحسن الماوَرْدي في ذلك وتكرّرت الرسائل فلم يصغ جلال الدولة لذلك وأخذ الجوالي فجمع الخليفة الهاشميين بالدار والرّجالة وتقدّم بإصلاح الطيّار والزَّبازب ، وأرسل إلى أصحاب الأطراف والقضاة بما عزم عليه وأظهر العزم على مفارقة بغداد ، فلم يتمّ ذلك وحدث وحشة من الجهتين فاقتضت الحال أنّ الملك يترك معارضة النُّواب الإمامية فيها في السنة الآتية .

---

(١) جيرفت : بالكسر ثم السكون وفتح الراء وسكون الفاء : مدينة بكرمان في الأقليم الثالث وهي مدينة كبيرة جليلة من أعيان مدن كرمان .

ذكر محاصرة شهرزور وغيرها

في هذه السّنة سار أبو الشَّوك إلى شهرزور فحصرها ونهبها وأحرقها وخرّب قراها وشوادها وحصر قلعة تيرانشاه فدفعه أبو القاسم بن عياض عنها ، ووعده أن يخلِّص ولده أبا الفتح من أخيه مهلهل وأن يصلح بينهما . وكان مهلهَل قد سار من شهرزور لمّا بلغه أن أخاه أبا الشّوك يريد قصدها ، وقصد نواحي سندة وغيرها من ولايات أبي الشَّوك فنهبها وأحرقها وهلكت الرَّعيّة في الجهتين ثمَّ إنَّ أبا الشَّوك راسل أبا القاسم بن عيَّاض ينتجزه ما وعده به من تخليص ولده والشرُّوط التي تقرّرت بينهما ، فأجابه بأنَّ مهلهلاً غير مجيب إليه ، فعند ذلك سار أبو الشّوك من حلوان إلى الصامغان ونهبها ونهب الولاية التّي لمهلهل جميعها فانزاح مهلهل من بين يديه وتردّدت الرّسُل بينهما فاصطلحا على دغل ودخل وعاد أبو الشَّوك .

ذكر خروج سكين بمصر

في هذه السّنة في رجب خرج بمصر إنسان اسمه سكِّين ، كان يشبه الحاكم صاحب مصر ، فادّعى أنّه الحاكم وقد رجع بعد موته فاتبّعه جمع ممّن يعتقد رجعة الحاكم ، فاغتنموا خلو دار الخليفة بمصر من الجند وقصدوها مع سكين نصف النّهار فدخلوا الدِّهليز فوثب مَنْ هناك من الجند فقال لهم أصحابه : إنّه الحاكم فارتاعوا لذلك ثمّ ارتابوا به فقبضوا على سكين ووقع الصّوت واقتتلوا فتراجع الجند إلى القصر والحرب قائمةٌ ، فقتل من أصحابه جماعة وأُسر الباقون وصُلِبُوا أحياءً ورماهم الجندُ بالنَّشّاب حتّى ماتوا .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة كانت زلزلة عظيمة بمدينة تبريز هدمت قلعتها وسورها ودورها وأسواقها ، وأكثر دار الإمارة وسلم الأمير لأنّه كان في بعض البساتين فأحصى من هلك من أهل البلد فكانوا قريباً من خمسين ألفاً . ولبسَ الأميرُ السّواد والمسُوح لعظم المصيبة وعزم على الصُّعود إلى بعض قلاعه خوفاً من توجه الغزِّ السّلجوقية إليه ، وأخبر بذلك أبو جعفر بن الرقي العلوي النّقيب بالموصل .

وفيها قتل قرواش كاتبه أبا الفتح بن المفرِّج صبراً . وفيها توفي عبدالله بن أحمد

أبو ذر الهروي الحافظ أقام بمكّة وتزّوج من العرب وأقام بالسَّروات وكان يحجُّ كل سنةٍ يحدث في الموسم ويعود إلى أهله وصحب القاضي أبا بكر الباقِلاّني . وفيها توفّي عمر بن إبراهيم بن سعيد الزَّهري من ولد سعد بن أبي وقاص وكان فقيهاً شافعياً .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة

ذكر إخراج المسلمين والنّصارى الغرباء من القسطنطينية

في هذه السَّنة أخرج ملك الرُّوم الغرباء من المسلمين والنَّصارى وسائر الأنواع من القسطنطينية وسبب ذلكِ أنّه وقع الخبر بالقسطنطينية أنّ قسطنطين قتل ابنتي الملك المتقدِّم اللتين قد صار الملك فيهما الآن ، فاجتمع أهلُ البلد وأثاروا الفتنة وطمعوا في النَّهب فأشرف عليهم قسطنطين وسألهم عن السَبب في ذلك فقالوا قتلت الملكتين وأفسدت الملك فقال ما قتلتهما وأخرجهما حتّى رآهما الناس فسكنوا ثمّ إنّه سأل عن سبب ذلك فقيل له إنّه فعل الغرباء وأشاروا بإبعادهم وأمرَ فنودِيَ أن لا يقيم أحد ورد البلد منذ ثلاثين سنة فمن أقام بعد ثلاثة أيام كحل فخرج منها أكثر من مائة ألف إنسان ولم يبقَ بها أكثر من اثني عشر نفساً ضمنهم الرُّوم فتركهم .

ذكر وفاة جلال الدولة وملك أبي كاليجار

في هذه السّنة في سادس شعبان تُوُفِّي الملك جلال الدّولة أبو طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ببغداد وكان مرضه ورماً في كبده ، وبقي عدة أيام مريضاً وتُوُفِّي وكان مولده سنة ثلاثٍ وثمانين وثلاثمائة ، وملكه ببغداد ست عشرة سنة وأحد عشر شهراً ودفن بداره ومن علم سيرته وضعفه واستيلاء الجند والنواب عليه ودوام ملكه إلى هذه الغاية علم أنّ الله على كلّ شيءٍ قدير يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممَّن يشاء ، وكان يزور الصَّالحين ويقرب منهم وزار مرَّة مشهَدي علي والحسين عليهما السلام ، وكان يمشي حافياً قبل أن يصل إلى كلِّ مشهد منهما نحو فرسَخ ، يفعل ذلك تديناً ولمّا توفي انتقل الوزير كمال الملك بن عبد الرَّحيم وأصحاب الملك الأكابر إلى باب المراتب وحريم دار الخلافة خوفاً من نهب الأتراك والعامة ذورهم ، فاجتمع قوّادُ

العسكر تحت دار المملكة ومنعوا الناس من نهبها ولما توفي كان ولده الأكبر الملك العزيز أبو منصور بواسط على عادته فكاتبه الأجناد بالطاعة وشرطوا عليه تعجيل ما جرت به العادة من حقِّ البيعة فتردَّدت المراسلات بينهما في مقداره وتأخيره لفقده ، وبلغ موته إلى الملك أبي كاليجار بن سلطان الدّولة بن بهاء الدّولة ، فكاتب القوّاد والأجناد ورغَّبهم في المال وكثرته وتعجيله فمالوا إليه وعدلوا عن الملك العزيز . وأمّا الملك العزيز فإنّه أصعد إلى بغداد لمّا قرب الملك أبو كاليجار منها ، على ما نذكره سنة ستٍّ وثلاثين عازماً على قصد بغداد ومعه عسكره فلمّا بلغ النعمانية غدَر به عسكره ورجعوا إلى واسط وخَطَبوا لأبي كاليجار فلمّا رأى ذلك مضى إلى نور الدّولة دبيس بن مزيد لأنّه بلغه ميل جند بغداد إلى أبي كاليجار وسار من عند دبيس إلى قرواش بن المقلّد فاجتمع به بقرية خصّة من أعمال بغداد ، وسار معه إلى الموصل ثمّ فارقه وقصد أبا الشّوك لأنّه حموه فلمّا وصل إلى أبي الشوك غدر به وألزمه بطلاق ابنته ، ففعل وصار عنه إلى ابراهيم ينال أخي طغرلبك وتنقّلت به الأحوال حتّى قدم بغداد في نفر يسير عازماً على استمالة العسكر ، وأخذ الملك فثار به أصحاب الملك أبي كاليجار فقتل بعض من عنده وسار هو مختفياً ، فقصد نصرَ الدّولة بن مروان فتوفي عنده بميافارقين ، وحمِل إلى بغداد ودُفِنَ عند أبيه بمقابر قُرَيْش في مشهد باب التِّبن سنة إحدى وأربعين .

وقد ذكر الشَّيخ أبو الفرج بن الجوزي أنّه آخر ملوك بني بويه وليس كذلك فإنّه ملك بعدَهُ أبو كاليجار ثمَّ الملك الرَّحيم بن أبي كاليجار وهو آخرهم على ما تراه وأما الملك أبو كاليجار فلم تزل الرُّسل تتردَّد بينه وبين عسكر بغداد حتّى استقرّ الأمرُ له وحلفوا وخطبوا له ببغداد في صفر من سنة ستٍّ وثلاثين وأربعمائة على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر حال أبي الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين

في هذه السنة سيّرَ الملك أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين عسكراً مع حاجب له إلى نواحي خُراسان فأرسل إليهم داود أخو طغرلبك وهو صاحب خراسان ولده ألب أرسلان في عسكر فالتقوا واقتتلوا فكان الظفر للملك ألب أرسلان وعاد عسكر غزنة منهزما .

وفيها أيضاً في صفر ، سار جمع من الغز الى نواحي بست وفعلوا ما عرف منهم

من النَّهب والشَّر فسيَّر إليهم أبو الفتح مودود عسكراً فالتقوا بوِلاية بست واقتتلوا قتالاً شديداً انهزم الغزُّ فيه وظفر عسكر مودود وأكثروا فيهم القتل والأسر .

ذكر ملك مودود عدة حصون من بلد الهند

في هذه السَّنة اجتمع ثلاثة ملوك من ملوكِ الهند وقصدوا لهاوور وحصروها ، فجمع مقدَّم العساكر الإسلامية بتلك الدِّيار من عنده منهم وأرسل إلى صاحبه مودود يستنجده فسيّر اليه العساكر فاتّفق أنّ بعض أولئك الملوك فارقهم وعاد إلى طاعة مودود فرحل الملكان الآخران إلى بلادهما فسارت العساكر الإسلاميّة إلى أحدهما ويعرف بدوبال هرباته فانهزم منهم ، وصعِد إلى قلعة له منيعة هو وعساكره فاحتموا بها وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين ألف راجل وحصرهم المسلمون وضيَّقوا عليهم وأكثروا القتل فيهم فطلب الهنود الأمان على تسليم الحصن فامتنع المسلمون من إجابتهم إلى ذلك إلّا بعد أن يضيفوا إليه باقي حصون ذلك الملك الذي لهم ، فحملهم الخوف وعدم الأقوات على إجابتهم إلى ما طلبوا وتسلَّموا الجميع ، وغنم المسلمون الأموال وأطلقوا ما في الحصون من أسرى المسلمين وكانوا نحو خمسة آلاف نفر . فلمّا فرغوا من هذه الناحية ، قصدوا ولاية الملك الثّاني واسمه ثابت بالرَّيّ فتقدَّم إليهم ولقيهم فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزمت الهنود وأجلت المعركة عن قتل ملكهم وخمسة آلافِ قتيلٍ وجريح وأُسِر ضُعَفَاؤُهُم وغَنِمَ المُسلمون أموالهم وسلاحهم ودوابهم فلمّا رأى باقي الملوك مِن الهند ما لقي هؤلاء أذعنوا بالطّاعة وحملوا الأموال وطلبوا الأمان والإقرار على بلادهم فأُجيبوا إلى ذلك .

ذكر الخلف بين الملك أبي كاليجار وفرامرز بن علاء الدّولة

في هذه السّنة نكث الأمير أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة بن كاكويه ، صاحب أصبهان العهد الذي بينه وبين الملك أبي كاليجار ، وسيّر عسكراً إلى نواحي كرمان فملكوا منها حصنين وغنِموا ما فيها ، فأرسل الملك أبو كاليجار إليه في إعادتهما وإزالة الاعتراض عنهما فلم يفعل فجهَّز عسكراً وسيَّره إلى أبرقوه فحَصَرَها وملكها فانزعج فرامرز لذلك وجهَّز عسكراً كثيراً وسيَّره إليهم فسمع الملك أبو كاليجار بذلك فسيَّر عسكراً ثانياً مدداً لعسكره الأول والتقى العسكران فاقتتلوا وصبروا ثمّ انهزم عسكر

اصبهان وأُسِر مقدَّمُهُم الأمير إسحاق بن ينال واستردَّ نوَّاب أبي كاليجار ما كانوا أخذوه من كرمان .

ذكر أخبار الترك بما وراء النهر

في هذه السَّنة في صفر ، أسلم من كفّار التُّرك الذين كانوا يطرقون بلاد الإسلام بنواحي بلاساغون وكاشغار ويُغيرون ويُعينون عشرة آلاف خركاة وضحُّوا يوم عيد الأضحى بعشرين ألف رأس غنم وكفى الله المسلمين شرّهم . وكانوا يصيِّفون بنواحي بلغار ويُشتّون بنواحي بلاساغون فلمّا أسلموا تفرّقوا في البلاد فكان في كل ناحية ألف خركاة وأقل وأكثر لأمنهم فإنهم إنّما كانوا يجتمعون ليحمي بعضهم بعضاً من المسلمين وبقي من الأتراك من لم يُسلم تتروخطا ، وهم بنواحي الصِّين . وكان صاحب بلاساغون وبلاد التُّرك شرف الدَّولة وفيه دين وقد قنع من إخوته وأقاربه بالطّاعة وقسَّم البلاد بينهم فأعطى أخاه أصلان تكين كثيراً من بلاد الترك وأعطى أخاه بغراخان طراز وإسبيجاب وأعطى عمَّه طغاخان فرغانة بأسرها وأعطى ابن علي تكين بخارى وسمرقند وغيرهما وقنع هو ببلاساغون وكاشغر .

ذكر أخبار الروم والقسطنطينية

في هذه السَّنة في صفر أيضاً ورد إلى القسطنطينية عدد كثير من الرُّوس في البحر وراسلوا قسطنطين ملك الرُّوم بما لم تجربه عادتهم فاجتمعت الرُّوم على حربهم وكان بعضهم قد فارق المراكب إلى البرِّ وبعضُهُم فيها فألقَى الرُّوم في مراكبهم النَّار فلم يهتدوا إلى إطفائها فهلك كثيرٌ منهم بالحرق والغرق وأمّا الّذين على البرّ فقاتلوا وأبلوا وصبروا ثمَّ انهزموا فلم يكن لهم ملجأ فمن استسلم أولاً استرقَّ وسلِم ومن امتنع حتّى أُخذ قهراً قطع الرُّوم أيمانهم وطيف بهم في البلد ولم يسلم منهم إلا اليسير مع ابن ملك الرُّوسية وكفى الرُّوم شرهم .

ذكر طاعة المعزِّ بإفريقية للقائم بأمر الله

في هذه السنة أظهر المعزُّ ببلاد إفريقية الدُّعاء للدَّولة العبَّاسيَّة وخطب للإمام القائم بأمر الله أميرِ المؤمنين ووردت عليه الخِلعُ والتقليد ببلاد إفريقية وجميع ما يفتحه وفي أوَّل الكتاب الّذي مع الرُّسل من عبدالله ووليِّه أبي جعفر القائم بأمر الله أمير

المؤمنين إلى الملك الأوحد ثقة الإسلام وشرف الإمام وعُمدة الأنام ناصر دين الله قاهر أعداء الله ومؤيد سنّة رسول الله ﷺ أبي تميم المعز بن باديس بن المنصور ولي أمير المؤمنين بولاية جميع المغرب ، وما افتتحه بسيف أمير المؤمنين وهو طويلٌ وأرسل إليه سيف وفرس وأعلام على طريق القسطنطينية ، فوصل ذلك في يوم الجمعة فدخل به إلى الجامع والخطيب ابن الفاكاة على المنبر يخطب الخطبة الثانية فدخلت الأعلام فقال هذا لواء الحمد يجمعكم وهذا معزُّ الدِّين يسمعكم وأستغفر الله لي ولكم وقُطِعت الخطبة للعلويين من ذلك الوقت وأُحرقت أعلامُهُم .

ذكر عدة حوادث

في هذه السَّنة جرت حرب بين ابن الهيثم صاحب البطيحة وبين الأجناد من الغزّ والدَّيلم فأحرق الجامدة وغيرها وخطب الجند للملك أبي كاليجار . وفيها ارسل الخليفة القائم بأمر الله أقضى القضاة أبا الحسن علي محمد بن حبيب الماوردي الفقيه الشَّافعي إلى السلطان طغرلبك قبل وفاة جلال الدَّولة وأمره أن يقرِّر الصلح بين طغرلبك والملك جلال الدَّولة وأبي كاليجار ، فسار إليه وهو بجرجان فلقيه طغرلبك على أربعة فراسخ إجلالاً لرسالة الخليفة ، وعاد الماوردي سنة ستٍّ وثلاثين وأخبر عن طاعة طغرلبك للخليفة وتعظيمه لأوامره ووقوفه عنده .

وفيها توفي عبدالله بن عبدالله بن أحمد بن عثمان بن الفرج بن الأزهر أبو القاسم بن أبي الفتح الأزهري الصيرفي المعروف بابن السَّواري شيخ الخطباء أبي بكر ، وكان إماماً في الحديث ومن تلامذته الخطيبُ البغدادي .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وأربعمائة

ذكر قتل الإسماعيلية بما وراء النهر

في هذه السَّنة أوقع بغراخان صاحب ما وراء النَّهر بجمع كثير من الإسماعيلية، وكان سببُ ذلك أن نفراً منهم قصدوا ما وراء النَّهر ودعوا إلى طاعة المستنصر بالله العلويّ صاحب مِصْر فتبعهم جمعٌ كثير وأظهروا مذاهبَ أنكرها أهل تلك البلاد وسمع ملكها بغراخان خبرهم وأراد الإيقاع بهم فخاف أن يسلم منه بعضُ مَن أجابهم أهل تلك البلاد فأظهر لبعضهم أنَّه يميل إليهم ويريد الدُّخول في مذاهبهم وأعلمهم ذلك وأحضرهم مجالسه ولم يزل حتّى علم جميع من أجابهم إلى مقالتهم فحينئذ قتل من بحضرته منهم وكتب إلى سائر البلاد بقتل من فيها ففعل بهم ما أمر وسلمت تلك البلاد منهم .

ذكر الخطبة للملك أبي كاليجار وإصعاده إلى بغداد

قد ذكرنا لما تُوفي الملك جلال الدَّولة ما كان من مراسلة الجند الملك أبا كاليجار والخطبة له فلمّا استقرت القواعد بينه وبينهم أرسل أموالاً فُرِّقت على الجند ببغداد وعلى أولادهم وأرسل عشرة آلاف دينار للخليفة ومعها هدايا كثيرة فخُطب له ببغداد في صَفَر وخطب له أيضاً أبو الشَّوك في بلاده ودبيس بن مزيد ببلاده ونصر الدَّولة بن مروان بديار بكر ولقّبه الخليفة محيي الدين وسار إلى بغداد في مائة فارس من أصحابه لئلا تخافه الأتراك ، فلمّا وصل إلى النعمانية لقِيَه دبيس بن مزيد ومضى إلى زيارة المشهدين بالكوفة وكربلاء ودخل إلى بغداد في شهر رمضان ومعه وزيره ذو السَّعادات أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن فسابحس ووعده الخليفة القائم بأمر الله أن يستقبله فاستعفى من ذلك وأخرج عميد الدَّولة أبا سعد بن عبد الرحيم وأخاه كمال

الملك وزيرَيْ جلال الدَّولة من بغداد قضى أبو سعد إلى تكريت وزُيِّنت بغداد لقدومه وأمر فخلع على أصحاب الجيوش وهم البساسيري والنشاووري والهمّام أبو اللقاء وجرى من وِلاة العرض تقديمٌ لبعض الجند وتأخير فشغب بعضهم وقتلوا واحداً من ولاة العرض بِمرأى من الملك أبي كاليجار فنزل في سميرية بمنكور وانحدر خوفاً من انخراق الهيبة وأصعد بفم الصُّلح ، وفي رمضان منها توفي أبو القاسم علي بن أحمد الجرجراي وزير الظّاهر والمستنصر الخليفتين وكان فيه كفاية وشهامة وأمانة وصلى عليه المستنصر بالله .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة نزل الأمير أبو كاليجار كرشاسف بن علاء الدَّولة من كنكور وقصد همذان فملكها ، وأزاح عنها نوّاب السُّلطان طغرلبك وخطب للملك أبي كاليجار وصار في طاعته ، وفيها أمر الملك أبو كاليجار ببناء سور مدينة شيراز فَبُنِيَ وأحكم بناؤه وكان دوره اثني عشر ألف ذراع وعرضه ثمانية أذرع وله أحد عشر باباً وفرغ منه سنة أربعين وأربعمائة .

وفيها نقل تابوت جلال الدّولة من داره إلى مشهد باب التبن إلى تربة له هناك وفيها استوزر السلطان طغرلبك وزيره أبا القاسم عليّ بن عبدالله الجويني وهو أوّل وزير وزر له ثم وزر له بعده رئيس الرؤساء أبو عبدالله الحسين بن علي بن ميكائيل ثمَّ وزر له بعده نظام الملك أبو محمد الحسن بن محمد الدَّهستاني وهو أوَّلُ من لقِّب نظام الملك ، ثمّ وزر له بعده عميد الملك الكندري وهو أشهرهم ، وإنّما اشتهر لأنّ طغرلبك في أيّامه عظمت دولته ووصل إلى العراق وخطب له بالسّلطنة وسيرد من أخباره ما فيه الكفاية فلا حاجة إلى ذكرها هُهُنا . وفيها توفي الشّريف المرتضى أبو القاسم علي أخو الرِّضى في آخر ربيع الأول ومولده سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وولي نقابة العلويين بعده أبو أحمد عدنان ابن أخيه الرضى .

وفيها تُوفيّ القاضي أبو عبدالله الحسين بن علي بن محمد الصيمري وهو شيخ أصحاب أبي حنيفة في زمانه ومن جملة تلامذته القاضي أبو عبدالله الدامغاني ومولده سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وولي بعده قضاء الكرخ القاضي أبو الطيِّب الطبري

مضافاً إلى ما كان يتولاّه من القضاء بباب الطّاق ، وفيها توفي القاضي أبو الحسن عبد الوهاب بن منصور بن المشتري قاضي خوزستان وفارس وكان شافعيَّ المذهب وفيها أيضاً تُوفِّي أبو الحسين محمد بن علي البصري المتكلِّم صاحب التّصانيف المشهورة .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة

ذكر وصول إبراهيم ينال إلى همذان وبلد الجبل

في هذه السَّنة أمر السلطان طغرلبك أخاه إبراهيم ينال بالخروج إلى بلد الجبل وملكها فسار إليها من كرمان ، وقصد همذان وبها كرشاسف بن علاء الدَّولة ففارقها خوفاً ودخلها ينال فملكها ، والتحق كرشاسف بالأكراد الجوزقان ، وكان أبو الشَّوك حينئذ بالدِّينور فسار عنها إلى قَرميسين خوفاً وإشفاقاً من ينال فقوي طمع ينال حينئذ في البلاد وسار إلى الدِّينور فملكها ، ورتب أمورها وسار منها يطلب قرميسين ، فلما سمع أبو الشَّوك به سار إلى حلوان[١] وترك بقرميسين من في عسكره من الدَّيلم والأكراد الشادنجان ليمنعوها ويحفظوها ، ووافاهم ينال جريدة فقاتلوه فدفعوه عنها فانصرف عنهم وعاد بخركاهاته وحلله فقاتلوه فضعفوا عنه وعجزوا عن منعه ، فملك البلد في رجب عنوة وقتل من العساكر جماعة كثيرة وأخذ أموال من سلم من القتل وسلاحهم وطردهم ولحقوا بأبي الشَّوك ونهب البلد وقتل وسبى كثيراً من أهله ، ولمّا سمع أبو الشَّوك ذلك سيَّر أهله وأمواله وسلاحه من حلوان إلى قلعة السيروان[٢] وأقام جريدة في عسكره ، ثمّ انَّ ينال سار إلى الصَيْمَرة[٣] في شعبان فملكها ونهبها وأوْقَع بالأكراد

---

(١) حلوان : حلوان العراق ؛ وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد ، وهي في الإقليم الرابع ، قال أبو زيد : أما حلوان فإنها مدينة عامرة ليس بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسر من رأى أكبر منها .

(٢) السيروان : بكسر أوله ، كورة بالجبل وهي كورة ماسبذان ، وقيل : بل هي كورة برأسها ملاصقة لماسبذان .

(٣) صيمرة : بالفتح ثم السكون وفتح الميم ثم راء ، وهي في موضعين : أحدهما بالبصرة على فم نهر معقل . والثانية : بلد بين دياز الجبل وديارخوزستان وهي مدينة بمهرجان قُذق.

المجاورين لها من الجوزقان فانهزموا. وكان كرشاسف بن علاء الدَّولة نازلاً عندهم فسار هو وهم إلى شهاب الدَّولة أبي الفوارس منصور بن الحسين، ثمَّ إن إبراهيم ينال سار إلى حلوان، وقد فارقها أبو الشَّوك ولحق بقلعة السِّيروَان فوصل إليها إبراهيم آخر شعبان وقد جلا أهلها عنها وتفرّقوا في البلاد فنهبها وأحرقها وأحرق دار أبي الشَّوك وانصرف بعد أن اجتاحها ودرسها. وتوجه طائفة من الغزِّ إلى خانقين في إثر جماعة من أهل حلوان كانوا ساروا بأهليهم وأولادهم وأموالهم فأدركوهم وظفروا بهم وغنموا ما معهم وانتشر الغزُّ في تلك النواحي فبلغوا مايدشت وما يليها فنهبوها وأغاروا عليها. سمع الملك أبو كاليجار هذه الأخبار، أزعجته وأقلقته وكان بخوزستان فعزم على المسير، ودفع ينال ومن معه من الغزِّ عن البلاد، فأمر عساكره بالتَّجَهُّز للسَّفر إليهم فعجزوا عن الحركة لكثرة ما مات من دوابهم، فلمّا تحقَّق ذلك سار نحو بلاد فارس فحمل العسكر أثقالهم على الحمير.

ذكر عدة حوادث

في هذه السَّنة في المحرَّم خطب للملك أبي كاليجار باصبهان وأعمالها وعاد الأمير أبو منصور بن علاء الدَّولة إلى طاعته، وكان سبب ذلك أنَّه لما عصى على الملك أبي كاليجار وقصد كرمان على ما ذكرناه والتجأ إلى طاعة طغرلبك لم يبلغ ما كان يؤمِّله من طغرلبك، فلمّا عاد طغرلبك إلى خراسان خاف أبو منصور من الملك أبي كاليجار فراسله في العود إلى طاعته فأجابه إلى ذلك واصطلحا.

وفيها اصطلح أبو الشَّوك وأخوه مهلهل. وكانا متقاطعين من حين أسر مهلهل أبا الفتح بن أبي الشَّوك وموت أبي الفتح في سجنه، فلمّا كان الآن وخافا من الغزِّ تراسلا في الصلح واعتذر مهلهل وأرسل ولده أبا الغنائم إلى أبي الشَّوك وحلف له أنَّ أبا الفتح توفِّي حتف أنفه من غير قتل. وقال: هذا ولدي تقتله عوضه، فرضي أبو الشَّوك وأحسن إلى أبي الغنائم وردَّه إلى أبيه واصطلحا واتَّفقا. وفيها في جمادى الأولى خلع الخليفة عَلَى أبي القاسم علي بن الحسن بن المسلمة واستوزره ولقبه رئيس الرؤساء وهو ابتداء حاله، وكان السَّبب في ذلك أن ذا السّعادات بن فسانجس وزير الملك أبي كاليجار كان يسيء الرَّأي في عميد الرُّؤساء وزير الخليفة فطلب من الخليفة أن يَعزلَهُ فعزله، واستوزر رئيس الرُّؤساء نيابة ثمّ خلع عليه وجلس في الدِّست. وفيها في شعبان سار

سرخاب بن محمد بن عناز أخو أبي الشَّوك إلى البندنتجين وبها سعدي بن أبي الشّوك ففارقها سعدي ولحق بأبيه ونهب سرخاب بعضها ، وكان أبو الشّوك قد أخذ بلد سرخاب ما عدا دزديلويه وهما متباينان لذلك .

وفيها في آخر رمضان توفِّي أبو الشوك فارس بن محمد بن عنَّاز بقلعة السَّيروان وكان مرض لمّا سار إلى السيروان من حلوان ، ولما تُوفِّي غدر الأكراد بابنـه سعدي وصاروا مع عمِّه مهلهل ، فعند ذلك مضى سعدي إلى إبراهيم ينال وأتى بالغزِّ على ما نذكره إن شاء الله تعالى . وفيها قُتِل عيسى بن موسى الهذباني صاحب أربل ، وكان خرج إلى الصيد فقتله ابنا أخٍ له وسارا إلى قلعة أربل فملكاها . وكان سلار بن موسى أخو المقتول نازلاً على قرواش بن المقلّد صاحب الموصل لنفرة كانت بينه وبين أخيه فلمّا قتل سار قرواش مع السلار إلى أربل فملكها وسلَّمها إلى السَّلار وعاد قرواش إلى الموصل . وفيها كانت ببغداد فتنةٌ بين أهل الكرخ وباب البصرة وقتال اشتدّ قتل فيه جماعة . وفيها وقع البلاء والوباء في الخيل فهلك من عسكر الملك أبي كاليجار اثنا عشر ألف فرس ، وعمَّ ذلك البلاد ، وفيها توفي علي بن محمد بن نصر أبو الحسن الكاتب بواسط صاحب الرّسائل المشهورة .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة

ذكر ملك مهلهل قرميسين والدينور

في هذه السَّنة ملك مهلهل بن محمد بن عنّاز مدينة قرميسين والدِّينور وسبب ذلك أنَّ إبراهيم ينال كان قد استعمل عند عوده من حلوان على قرميسين بدر بن طاهر بن هلال ، فلمّا ملك مهلهل بعد موت أخيه أبي الشَّوك سار إلى مايدشت ونزل بها ثمَّ توجَّه نحو قرميسين فانصرف عنها بدر فملكها مهلهل وسيَّر ابنه محمداً إلى الدِّينور وبها عساكر ينال فاقتتلوا ، فقتل بين الفريقين جماعة وانهزم أصحاب ينال وملك محمّد البلد .

ذكر اتصال سعدي بن أبي الشوك بإبراهيم ينال وما كان منه

في هذه السنة في شهر ربيع الأوّل فارق سعدي بن أبي الشَّوك عمَّه مهلهلاً ولحق بإبراهيم ينال فصار معه ، وسبب ذلك أنَّ عمَّه تزوَّج أمه وأهمل جانبه واحتقره ، وكذلك أيضاً قصَّر في مراعاة الأكراد الشاذنجان فراسل سعدي إبراهيم ينال في اللحاق به فأذن له في ذلك ووعده أن يملكَهُ ما كان لأبيه مشار إليه في جماعة من الأكراد الشاذنجان ، فقوي بهم فأكرمه ينال ، وضمَّ إليه جمعاً من الغزّ وسيَّره إلى حلوان فملكها وخطب فيها لإبراهيم ينال في شهر ربيع الأوّل وأقام بها أياماً ، ورجع الى مايَدِشْت فسار عمُّهُ مهلهل إلى حلوان فملكها وقطع منها خطبة يَنَال ، فلمَّا سمع سعدي بذلك سار إلى حلوان ففارقها عمُّه مهلهل إلى ناحية بلُوطة وملك سعدي حلوان وسار إلى عمِّه سرخاب فكبسه ونهب ما كان معه وسيَّر جمعاً إلى البندنيجين فاستولوا عليها وقبضوا على نائب سرخاب بها ونهبوا بعضها وانهزم سرخاب فصعد إلى قلعة دزديلويه ، ثمَّ عاد سعدي إلى قِرميسين ، فسيَّر عمُّه مهلهل ابنه بدراً إلى حلوان فملكها ، فجمع سعدي وأكثر وعاد إلى حلوان ، ففارقها من كان بها من أصحاب عمِّه ، إلاّ من كان بالقلعة وملكها

سعدي ، وكان قد صحبه كثير من الغزّ فسار بهم منها إلى عمّه مهلهل وترك بها من يحفظها ، فلما علم عمُّه بقربه منه سار بين يديه إلى قلعة تيرانشاه بقرب شهرزور فاحتمى بها .

وملك الغزّ كثيراً من النواحي والمواشي وغنموا كثيراً من الأموال والدّواب ، فلمّا رأى سعدي تحصُّن عمّه منه خاف على من خلفه بحلوان ، فعاد عازماً على محاصرة القلعة فمضى وحصرها ، وقاتله من بها من أصحاب عمّه ونهب الغزّ حلوان وفتكوا فيها وافتضُّوا الأبكار وأحرقوا المساكن وتفرَّق الناس ، وفعلوا في تلك النواحي جميعها أقبح فعل ، ولمّا سمع أصحاب الملك أبي كاليجار ووزيره هذه الأخبار ندبوا العساكر إلى الخروج إلى مهلهل ومساعدته على ابن أخيه ودفعه عن هذه الأعمال فلم يفعلوا ، ثُمّ إنَّ سعدي أقطع أبا الفتح بن ورام البندنيجين واتّفقا واجتمعا على قصد عمه سرخاب بن محمد بن عناز وحصره بقلعة دزديلويه فسار فيمن معهما من العساكر فلما قاربوا القلعة دخلوا في مضيق هناك من غير أن يجعلوا لهم طليعة طمعاً فيه ، وإدلالاً بقوّتهم ، وكان سرخاب قد جعل على رأس الجبل على فم المضيق جمعاً من الأكراد ، فلما دخلوا المضيق لقيهم سرخاب ، وكان قد نزل من القلعة فاقتتلوا وعادوا ليخرجوا من المضيق فتقطّرت بهم خيلهم فسقطوا عنها ورماهم الأكراد الذين على الجبل فوهنوا وأسر سعدي وأبو الفتح بن ورام وغيرهما من الرؤوس وتفرّق الغز والأكراد من تلك النواحي بعد أن كانوا قد توطنوها وملكوها .

ذكر حصار طغرلبك أصبهان

في هذه السنة حصر طغرلبك مدينة اصبهان وبها صاحبها أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة فضيق عليه ولم يظفر من البلد بطائل ، ثم اصطلحوا على مال يحمله فرامرز بن علاء الدولة لطغرلبك وخطب له بأصبهان وأعمالها .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة خرج من الترك من بلد التّبت خلق لا يحصون كثرة فراسلوا أرسلان خان صاحب بلاساغون يشكرونه على حسن سيرته في رعيّته ولم يكن منهم تعرّض إلى مملكته ولكنّهم أقاموا بها وراسلهم ودعاهم إلا الإسلام فلم يجيبوا ولم ينفروا منه .

وفيهـا توفي أبـو الحسن الخيشي النَحوي في ذي الحجـة وله نيّف وتسعـون سنة . وفيها انحـدر علاء الـدين أبو الغنـائم بن الوزيـر ذي السّعادات إلى البـطائح وحصرها وبها صاحبها أبو نصر بن الهيثم وضيّق عليه واجتمع مع جمع كثير . وفيها في ذي القعدة توفي عبدالله بن يوسف أبو محمد الجُوَيْني والد إمام الحرمَيْن أبي المعالي وكان إماماً في الشافعية تفقّه على أبي الطيّب سهل بن محمد الصعلوكي وكان عالماً بالأدب وغيره من العلوم وهو من بني سنبس : بطن من طيىء .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة

ذكر صلح الملك أبي كاليجار والسلطان طغرلبك

في هذه السَّنة أرسل الملك أبو كاليجار إلى السلطان ركن الدين طغرلبك في الصّلح فأجابه إليه واصطلحا وكتب طغرلبك إلى أخيه ينال يأمره بالكف عمّا وراء ما بيده ، واستقرّ الحال بينهما أن يتزوّج طغرلبك بابنة أبي كاليجار ، ويتزوج الأمير أبو منصور بن أبي كاليجار بابنة الملك داود أخي طغرلبك ، وجرى العقد في شهر ربيع الآخر من هذه السنة .

ذكر القبض على سرخاب أخي أبي الشوك

في هذه السنة قبض الأكراد اللرية وجماعة من عسكر سرخاب عليه لأنّه أساء السّيرة معهم ووترهم فقبضوا عليه وحملوه إلى إبراهيم ينال فقلع إحدى عينيه وطالبه بإطلاق سعدي بن أبي الشّوك فلم يفعل ، وكان أبو العسكر بن سرخاب قد غاضبه لمّا قبض على سعدى واعتزله كراهية لفعله ، فلمّا أسر أبوه سرخاب سار إلى القلعة وأخرج سعدى ابن عمه وفكّ قيوده وأحسن إليه وأطلقه وأخذ عليه بطرح ما مضى والسعي في خلاص والده سرخاب فسار سعدي واجتمع عليه خلق كثير من الأكراد ووصل إلى إبراهيم ينال فلم يجد عنده الذي أراد ففارقه وعاد إلى الدسكرة وكاتب الخليفة ونوّاب الملك أبي كاليجار بالعود إلى الطاعة وأقام بها .

ذكر ملك إبراهيم ينال قلعة كنكور وغيرها

في هذه السّنة سار إبراهيم ينال إلى قلعة كنكور ، وبها عكبر بن فارس صاحب كرشاسف ابن علاء الدولة يحفظها له فامتنع عكبر بها إلى أن فنيت ذخائره وكانت قليلة ، فلمّا نفذت الذخائر عمد إلى بيوت الطعام التي في القلعة وملأها تراباً وحجارة

وسدّ أبوابها ونثر من داخل الأبواب شيئاً من طعام وعلى رأس التّراب والحجارة ، كذلك أيضاً ، وراسل إبراهيم في تسليم القلعة إليه على أن يؤمنه على من بها من الرّجال وما بها من الأموال فأرسل إليه إبراهيم يمتنع عليه من ترك المال ، فأخذ عكبر رسول إبراهيم فطوّفه على البيوت التي فيها الطعام وفتح مواضع من المسدود فرآها مملوءة فظنها طعاماً وقال له عكبر : ما راسلت صاحبك خوفاً من المطاولة ولا إشفاقاً من نفاذ الميرة ، لكنّني أحببت الدّخول في طاعته فإن بذل لي الأمان على ما طلبته لي وللأمير كرشاسف وأمواله ولمن بالقلعة سلمت اليه وكفيته مؤنة المقام . فلمّا عاد الرسول إلى إبـراهيم وأخبره أجابه إلى ما طلب ونزل عكبر وتسلّمها إبراهيم فلمّا صعد إلى القلعة انكشفت الحيلة وسار عكبر بمن معه إلى قلعة سرماج وصعد إليها ولمّا ملك ينال كنكور عاد إلى همذان فسيّر جيشاً لأخذ قلاع سرخاب ، واستعمل عليهم نسيباً لـه اسمه احمـد وسلّم إليه سرخاباً ليفتح به قلاعه فسار به إلى قلعة كلكان فامتنعت عليـه ، فساروا إلى قلعة دزديلويه فحصروها وامتدت طائفة منهم إلى البندنيجين فنهبوها في جمادى الآخرة ، وفعلوا الأفاعيل القبيحة من النهب والقتل وافتراش النساء والعقوبة على تخليص الأموال فمـات منهم جماعـة لشدّة الضـرب ، وسارت طـائفة منهم إلى أبي الفتـح بن ورام فانصرف عنهم خوفاً منهم وترك حلله بحالها وقصد أن يشتغلوا بنهب حلله فيعود عليهم فلم يُعرِّجوا على النّهب وتبعوه فلشدّة خوفه أن يظفروا به ويأخذوه قاتلهم فظفر بهم وقتل وأسر جماعة منهم وغنم ما معهم ورجع الباقون .

وأرسل إلى بغداد يطلب نجدة خوفاً من عودهم فلم ينجدوه لعـدم الهيبة وقلة إمساك الأمر فعبر بنو ورام دجلة إلى الجانب الغربي ، ثم إنّ الغزّ أسرُوا إلى سعدي بن أبي الشّوك في رجب وهو نازل على فَرْسَخَيْن من باجسرى وكبسوه فانهزم هو ومن معه لا يلوي الأخ على أخيه ولا الوالد على ولده فقتل منهم خلق كثير وغنم الغزّ أموالهم ونهبوا تلك الأعمال . وكان سعدي قد أنزل مالاً من قلعة السَّيْرَوَان فوصله تلك الليلة فغنمه الغزّ إلّا قليلاً منه سلم معه ونجا سعدي من الوقعة بجُرَيْعة الذقن،ونهب الغزّ الدِّسكرة وباجسري والهارونية وقصر سابور وجميع تلك الأعمال ووصل الخبر إلى بغداد بأن إبراهيم ينال عازم على قصد بغداد فارتاع النّاس ، واجتمع الأمراء والقواد إلى الأمير أبي منصور بن الملك أبي كاليجار ليجتمعوا ويسيروا إليه ويمنعوه واتفقوا على ذلك فلم يخرج غير خيم الأمير أبي منصور والوزير ونفر يسير وتخلّف الباقون ، وهلك من أهل

تلك النواحي المنهوبة خلق كثير ، فمنهم من قُتِل ومنهم من غرق ومنهم من قتله البرد .
ووصل سعدى إلى ديالي[١] ثم سار منها إلى أبي الأغر دبيس بن مزيد فأقام عنده ثمّ إنّ إبراهيم ينال سار إلى السيروان فحصر القلعة وضيّق على من بها ، وأرسل سريّة نهبت البلاد وانتهت إلى مكان بينه وبين تكريت عشرة فراسخ ، ودخل بغداد من أهل طريق خراسان خلق كثير وذكروا من حالهم ما أبكى العيون ثم سلّمها إليه مستحفظها بعد أن أمنه على نفسه وماله ، وأخذ منها ينال من بقايا خلفه سعدى شيئاً كثيراً ولمّا فتحها استخلف فيها مقدّماً كبيراً من أصحابه يقال له سخت كمان وانصرف إلى حلوان وعاد منها إلى همذان ومعه بدر ومالك ابنا مهلهل فأكرمهما ، ثمّ إنّ صاحب قلعة سرماج توفّي وهو من ولد بدر بن حسنويه وسُلِّمت القلعة بعده إلى إبراهيم ينال وسيّر إبراهيم ينال وزيره إلى شهرزور ، فأخذها وملكها فهرب منه مهلهل فأبعد في الهرب . ثم نزل أحمد على قلعة تيرانشاه وحاصرها ونقَّب عليها عدة نقوب ثم إنَّ مهلهلاً راسل أهل شهرزور يعدهم بالمسير إليهم في جمع كثير ويأمرهم بالوثوب بمن عندهم من الغزّ ففعلوا وقتلوا منهم . وسمع أحمد بن طاهر فعاد إليهم وأوقع بهم ونهبهم وقتل كثيراً منهم ، ثم إنّ الغزَّ المقيمين بالبندنيجين ومن معهم ساروا إلى براز الروز وتقدموا إلى نهر السّليل فاقتتلوا هم وأبو دلف القاسم بن محمد الجاواني قتالاً شديداً ظفر فيها أبو دلف وانهزم الغزّ وأُخذ ما معهم وسار في ذي الحجة جمعٌ من الغزّ إلى بلد علي بن القاسم الكردي فأغاروا وعاثوا فأخذ عليهم المضيق وأوقع بهم وقتل كثيراً منهم وارتجع ما غنموه من بلده .

ذكر استيلاء أبي كاليجار على البطيحة

في هذه السنة اشتدّ الحصار من عسكر الملك أبي كاليجار على أبي نصر بن الهيثم صاحب البطيحة فجنح إلى الصُّلح فاشتط عليه أبو الغنائم بن الوزير ذي السعادات ثم استأمن نفر من أصحاب أبي نصر وملّاحيه إلى أبي الغنائم وأخبروه بضعف أبي نصر وعزمه على الانتقال من مكانه فحفظ الطُّرق عليه ، فلما كان خامس صَفر جرت وقعة كبيرة بين الفريقين واشتدَّ القتال فظفر أبو الغنائم ، وقتل من البطائحيين

---

(١) ديالي ـ بفتح أوله وإمالة اللام ـ : نهر كبير بقرب بغداد وهو نهر يعقوبا الأعظم يجري في جنبها ؛ وهو الحدّ بين طريق خراسان والخالص وهو نهر تامرا بعينه .

جماعة كثيرة وغرق منهم سفن كثيرة وتفرَّقوا في الآجام ومضى ابن الهيثم ناجياً بنفسه في زبزب وملكت داره ونهب ما فيها .

ذكر ظهور الأصفر وأسره

في هذه السنة ظهر الأصفر التّغلبي برأس عين وادّعى أنه من المـذكورين في الكتب ، واستغوى قوماً بمخاريق وضعها وجمع جمعاً وغزا نواحي الرّوم فظفر وغنم وعاد وظهر حديثه وقوي ناموسه وعاود الغزو في عدد أكثر من العدد الأوّل ودخل نواحي الرُّوم وأوغل وغنم أضعاف ما غنمه أوّلاً حتى بيعت الجارية الجميلة بالثّمن البخس وتسامع النَّاس به فقصدوه وكثر جمعه واشتدَّت شوكته وثقلت على الرُّوم وطأته فأرسل ملك الرُّوم إلى نصر الدّولة بن مروان يقول له إنّك عالم بما بيننا من الموادعة وقد فعل هذا الرجل هذه الأفاعيل ، فإن كنتَ قد رجعت عن المهادنة فعرّفنا لندبر أمرنا بحسبه . واتفق في ذلك الوقت أن وصل رسول من الأصفر إلى نصر الدولة أيضاً ينكر عليه ترك الغزو والميل إلى الدِّعة ، فساءه ذلك أيضاً واستدعى قوماً من بني نُمير وقال لهم إنّ هذا الرجل قد أثار الرُّوم علينا ولا قدرة لنا عليهم وبذل لهم بذلاً على الفتك به فساروا إليه فقربهم ولازموه فركب يوماً غير متحرز فأبعد وهم معه فعطفوا عليه وأخذوه وحملوه إلى نصر الدولة بن مروان فاعتقله وتلافى أمر الروم .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة تجددت الهدنة بين صاحب مصر وبين الروم وحمل كلّ واحـد منهما لصاحبه هدية عظيمة ، وفيها كان ببغداد والموصل وسائر البلاد العراقية والجزرية غلاء عظيم حتّى أكل الناس الميتة وتبعه وباء شديد مات فيه كثير من الناس حتّى خلت الأسواق وزادت أثمان ما يحتاج إليه المرضى حتى بيع المن من الشراب بنصف دينار ومن اللوز بخمسة عشر قيراطاً والرُّمانة بقيراطين والخيارة بقيراط وأشباه ذلك .

وفيها جمع الأمير أبو كاليجار فنا خسرو بن مجد الدولة بن بويه جمعاً وسار إلى آمد فدخلها وساعده أهلها وأوقع بمن كان فيها من أصحاب طغرلبك فقتل وأسر وعرف طغرلبك ذلك فسار عن الرّي قاصداً إليه ومتوجِّهاً إلى قتاله ، وفيها توفِّي عميد الدولة أبو سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم بجزيرة ابن عمر في ذي القعدة وله شعر حسن

ووزر لجلال الدولة عدة دفعات. وفيها سيَّر المعزّ بن باديس صاحب إفريقية أسطولاً إلى جزائر القسطنطينية فظفر وغنم وعاد . وفيها اقتتلت طوائف من تلكاتة قاتل بعضهم بعضاً وكان بينهم حرب صبروا فيها فقتل منهم خلق كثير ، وفيها قبض الملك أبو كاليجار على وزيره محمد بن جعفر بن أبي الفرج الملقّب بذي السّعادات بن فسانجس وسجنه وهرب ولده أبو الغنائم وبقي الوزير مسجوناً إلى أن مات في شهر رمضان سنة أربعين وقيل أرسل إليه أبو كاليجار من قتله وعمره إحدى وخمسون سنة وللوزير ذي السّعادات مكاتبات حسنة وشعر جيد منه :

أودِّعكم وإني ذو اكتئاب ... وأرحل عنكم والقلب آبي
وإن فراقكم في كل حال ... لأوجع من مفارقةِ الشباب
أسيرُ وما ذممت لكم جواراً ... ولا ملت منازلكم ركابي
واشكر كلما أوطنت داراً ... ليالينا القصار بلا اجتناب
وأذكركم إذا هبّت جنوب ... فتذكرني غرارات التصابي
لكم منّي المودة في اغتراب ... وأنتم إلف نفسي في اقترابي

وهو أطول من هذا .

ولمّا قبض ذو السعادات استوزر أبو كاليجار كمال الملك أبا المعالي بن عبد الرحيم . وفيها تُوفّي أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب المعروف بالمطرز الشاعر وله شعر جيّد فمن قوله في الزهد:

يا عبد كم لك من ذنب ومعصية ... إن كنت ناسيها فالله أحصاها
لا بدّ يا عبد من يوم تقوم به ... ووقفة لك يدمي القلب ذكراها
إذا عرضت على قلبي نذكرها ... وساء ظني فقلت استغفر الله

وفيها مات أبو الخطاب الجبلي الشاعر ومضى إلى الشام ولقي المعرّي وعاد ضريراً وله شعر منه قوله :

ما حكم الحب فهو ممتثل ... وما جناه الحبيب محتمل
تهوى وتشكو الضنا وكل هوى ... لا ينحل الجسم فهو منتحل

وفيها توفي أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن الخلال الحافظ ومولده سنة

اثنتين وخمسين وثلاثمائة سمع أبا بكر القطيعي وغيره ومن أصحابه الخطيب أبو بكر الحافظ .

وفيها قتل الفقيه أحمد الولوالجي وهو من أعيان الفقهاء الحنفية، إلّا أنه كان يُكثر الوقيعة في الأئمة والعلماءوسلك طريق الرياضة وفسد دماغه فقتل بين مرو وسرخس في ذي الحجة .

ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة

ذكر رحيل عسكر ينال عن تيرانشاه وعود مهلهل إلى شهرزور

قد ذكرنا في السنة المتقدمة استيلاء أحمد بن طاهر وزير ينال على شهر زور ومحاصرته قلعة تيرانشاه ولم يزل يحاصرها إلى الآن فوقع في عسكره الوباء وكثر الموت فأرسل إلى صاحبه ينال يستمده ويطلب إنجاده ويعرِّفه كثرة الوباء عنده ، فأمره بالرحيل عنها فسار إلى مايدشت فلمّا سمع مهلهل ذلك سيّر أحد أولاده إلى شهرزور فملكها وانزعج الغزّ الذين بالسِّيروان وخافوا ، ثمّ سار جمع من عسكر بغداد إلى حلوان وحصروا قلعتها فلم يظفروا بها فنهبوا تلك الأعمال وأتوا على ما تخلف من الغزِّ فخربت الأعمال بالكلِّية وسار مهلهل ومعه أهله وأمواله إلى بغداد فأنزلهم بباب المراتب بدار الخلافة خوفاً من الغزّ وعاد إلى حلله وبينه وبين بغداد ستّة فراسخ ، وسار جمع من عسكر بغداد إلى البندنيجين وبها جمع من الغزّ مع عكبر بن أحمد بن عيّاض فتواقعوا واقتتلوا فانهزم عسكر بغداد وقتل منهم جماعة وأسر جماعة قتلوا أيضاً صبراً .

ذكر غزو إبراهيم ينال الروم

في هذه السنة غزا إبراهيم ينال الرّوم فظفر بهم وغنم وكان سبب ذلك أنّ خلقاً كثيراً من الغزّ ممّا وراء النهر قدموا عليه فقال لهم : بلادي تضيق عن مقامكم والقيام بما تحتاجون إليه والرأي أن تمضوا إلى غزو الروم وتجاهدوا في سبيل الله وتغنموا وأنا سائر على أثركم ومساعد لكم على أمركم . ففعلوا وساروا بين يديه وتبعهم فوصلوا إلى سلاز كرد وأردن الرّوم وقاليقلا وبلغوا طرابزون وتلك النّواحي كلها ولقيهم عسكر عظيم للرّوم والأبخاز يبلغون خمسين ألفاً فاقتتلوا واشتدّ القتال بينهم وكانت بينهم عدّة وقائع تارة يظفر هؤلاء وتارة هؤلاء وكان آخر الأمر الظفر للمسلمين فأكثروا القتل في

الروم وهزموهم وأسروا جماعة كثيرة من بطارقتهم . وممن أُسر قاريط ملك الأبخاز فبذل في نفسه ثلاثمائة ألف دينار وهدايا بمائة ألف فلم يُجبه إلى ذلك ولم يزل يجوس تلك البلاد وينهبها إلى أن بقي بينه وبين القسطنطينية خمسة عشر يوماً واستولى المسلمون على تلك النواحي فنهبوها وغنموا ما فيها وسبوا أكثر من مائة ألف رأس وأخذوا من الدّواب والبغال والغنائم والأموال ما لا يقع عليه الإحصاء وقيل إنّ الغنائم حملت على عشرة آلاف عجلة وإنّ في جملة الغنيمة تسعة عشر ألف درع وكان قد دخل بلد الروم جمع من الغز يقدمهم إنسان نسيب طغرلبك فلم يؤثر كبير أثر وقتل من أصحابه جماعة وعاد ودخل بعده إبراهيم ينال ففعل هذا الذي ذكرناه .

ذكر موت الملك أبي كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم

في هذه السنة تُوفّي الملك أبو كاليجار المرزبان بن سلطان الدّولة بن بهاء الدّولة بن عضد الدّولة بن بويه ، رابع جمادى الأولى بمدينة جناب من كرمان . وكان سبب مسيره إليها أنه كان قد عول في ولاية كرمان حرباً وخراباً على بهرام بن لشكرستان الدّيلمي وقرر عليه مالاً فتراخى بهرام في تحرير الأمر وأخلّه إلى المغالطة والمدافعة ، فشرع حينئذ أبو كاليجار في إعمال الحيلة عليه وأخذ قلعة بردسير من يده وهي معقله الذي يحتمي به ويعوّل عليه ، فراسل بعض من بها من الأجناد وأفسدهم فعلم بهم بهرام فقتلهم وزاد نفوره واستشعاره وأظهر ذلك فسار إليه الملك أبو كاليجار في ربيع الآخر فبلغ قصر مجاشع فوجد في حلقه خشونة فلم يبال بها وشرب وتصيّد وأكل من كبد غزال مشوي واشتدّت علته ولحقه حمّى وضعف عن الركوب ولم يمكنه المقام لعدم الميرة بذلك المنزل فحمل في محفة على أعناق الرجال إلى مدينة جناب فتوفي بها وكان عمره أربعين سنة وشهوراً ، وكان ملكه بالعراق بعد وفاة جلال الدولة أربع سنين وشهرين ونيفاً وعشرين يوماً .

ولما توفي نهب الأتراك من العسكر الخزائن والسلاح والدّواب وانتقل ولده أبو منصور فلاستون إلى مخيّم الوزير أبي منصور ، وكانت منفردة عن العسكر فأقام عنده ، وأراد الأتراك نهب الوزير والأمير فمنعهم الدّيلم ، وعادوا إلى شيراز فملكها الأمير أبو منصور واستشعر الوزير فصعد إلى قلعة خرمة فامتنع بها ، فلما وصل خبر وفاته إلى بغداد وبها ولده الملك الرَّحيم أبو نصر خره فيروز أحضر الجند واستحلفهم وراسل

الخليفة القائم بأمر الله في معنى الخطبة له وتلقيبه بالملك الرحيم وتردَّدت الرُّسل بينهم في ذلك إلى أن أجيب إلى ملتمسه سوى الملك الرحيم فإن الخليفة امتنع من إجابته ، وقال لا يجوز أن يلقّب بأخصّ صفات الله تعالى ، واستقر ملكه بالعراق وخوزستان والبصرة ، وكان بالبصرة أخوه أبو علي بن أبي كاليجار وخلف أبو كاليجار من الأولاد الملك الرحيم والأمير أبا منصور فلاستون وأبا طالب كامرو وأبا المظفر بهرام وأبا علي كيخسرو وأبا سعد خسرو شاه وثلاثة بنين أصاغر ، فاستولى ابنه أبو منصور على شيراز فسيّر إليه الملك الرّحيم أخاه أبا سعد في عسكر فملكوا شيراز وخطبوا للملك الرّحيم وقبضوا على الأمير أبي منصور ووالدته وكان ذلك في شوّال .

ذكر محاصرة العساكر المصرية مدينة حلب

في جمادى الآخرة وصلت عساكر مصر إلى حلب في جمع كثير فحصروها وبها معز الدولة أبو علوان ثمال بن صالح الكلابي ، فجمع جمعاً كثيراً بلغوا خمسة آلاف فارس وراجل فلمّا نزلوا على حلب خرج إليهم ثمال وقاتلهم قتالاً شديداً صبر فيه لهم إلى الليل ثمّ دخل البلد ، فلمّا كان الغد اقتتلوا إلى آخر النهار ، وصبر أيضاً ثمال وكذلك أيضاً اليوم الثالث فلمّا رأى المصريون صبر ثمال وكانوا ظنّوا أنّ أحداً لا يقوم بين أيديهم رحلوا عن البلد فاتفق أنّ تلك الليلة جاء مطر عظيم لم يرَ الناس مثله فجاءت المدود إلى منزلهم فبلغ الماء ما يقارب قامتين ولو لم يرحلوا لغرقوا ثمّ رحلوا إلى الشام الأعلى .

ذكر الخلف بين قرواش والأكراد الحميدية والهذبانية

في هذه السنة اختلف قرواش والأكراد الحميديّة والهذبانيّة ، وكان للحميديّة عدّة حصون تجاور الموصل منها العقر وما قاربها وللهذبانية قلعة اربل وأعمالها ، وكان صاحب العقر حينئذ أبا الحسن بن عيسكان الحميدي وصاحب اربل أبو الحسن بن موسك الهذباني وله أخ اسمه أبو علي بن موسك فأعانه الحميدي على أخذ اربل من أخيه أبي الحسن فملكها منه وأخذ صاحبها أبا الحسن أسيراً وكان قرواش وأخوه زعيم الدّولة أبو كامل بالعراق مشغولين ، فلمّا عاد إلى الموصل وقد سخطا هذه الحالة لم يظهراها وأرسل قرواش يطلب من الحميدي والهذباني نجدة له على نصر الدولة بن مروان فأمّا

أبو الحسن الحميدي فسار إليه بنفسه وأمّا أبو علي الهذباني فأرسل أخاه واصطلح قرواش ونصر الدّولة وقبض على أبي الحسن الحميدي ثمّ صانعه على إطلاق أبي الحسن الهذباني الّذي كان صاحب اربل ، وأخذ اربل من أخيه أبي علي وتسليمها إليه فإن امتنع أبو علي ، كان عوناً عليه فأجاب إلى ذلك ورهن عليه أهله وأولاده وثلاث قلاع من حصونه إلى أن يتسلّم اربل وأطلق من الحبس وكان أخٌ له قد استولى على قلاعه فخرج إليها وأخذها منه وعاد إلى قرواش وأخيه زعيم الدَّولة فوثقا به وأطلقا أهله ثمّ إنّه راسل أبا عليّ صاحب اربل في تسليمها فأجاب الى ذلك وحضر بالموصل ليسلم اربل إلى أخيه أبي الحسن فقال الحميدي لقرواش وأخيه إنني قد وفيت بعهدي فتُسَلِّمان إليّ حصوني فسلّما إليه قلاعه وسار هو وأبو الحسن وأبو علي الهذباني إلى اربل ليسلّماها إلى أبي الحسن فغدرا به في الطريق وكان قد أحسّ بالشر فتخلّف عنهما وسيّر معهما أصحابه ليتسلموا اربل فقبضا على أصحابه وطلبوه ليقبضوه فهرب إلى الموصل وتأكدت الوحشة حينئذ بين الأكراد وقرواش وأخيه وتقاطعوا وأضمر كل منهم الشرّ لصاحبه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة سار الملك الرّحيم من بغداد إلى خوزستان فلقيَه من بها من الجند وأطاعوه، وفيهم كرشَاسف بن علاء الدولة الذي صاحب همذان وكنكور فإنّه كان انتقل إلى الملك أبي كاليجار بعد أن استولى ينال على أعماله، ولمّا مات أبو كاليجار سار الملك العزيز بن الملك جلال الدولة إلى البصرة طمعاً في مُلكها ، فلقيه من بها من الجند وقاتلوه وهزموه فعاد عنها ، وكان قبل ذلك عند قرواش ثمّ عند ينال ولما استمع باستقامة الأمور للملك الرّحيم ، انقطع أمله ولمّا سار الملك الرّحيم عن بغداد كثُرَت الفتن بها ودامت بين أهل باب الأزج والأساكِفة وهم السّنية فأحرقوا عقاراً كثيراً .

وفيها سار سعدي بن أبي الشوك من حلّة دبيس بن مزيد إلى إبراهيم ينال بعد أن راسله وتوثّق منه وتقرّر بينهما أنّه كلّ ما يملكه سعدي مما ليس بيد ينال ونوابه فهو له فسار سعدي إلى الدِّسكرة وجرى بينه وبين من بها من عسكر بغداد حرب انهزموا منه وملكها وما يليها فسيّر إليها عسكر ثان من بغداد، فقتل مقدمهم وهزمهم وسار من الدِّسكرة وتوسَّط تلك الأعمال بالقرب من بَعقوبا ونهب أصحابه البلاد وخطبوا لإبراهيم ينال .

وفيها كان ابتداء الوحشة بين معتمد الدّولة قرواش بن المقلّد وبين أخيه زعيم الدّولة أبي كامل بن المقلد فانضاف قريش بن بدران بن المقلّد إلى عمّه قرواش وجمع جمعاً وقاتل عمّه أبا كامل فظفر وانهزم أبو كامل ولم يزل قريش يغري قرواشاً بأخيه حتى تأكّدت الوحشة وتفاقم الشرُّ بينهما . وفيها خطب للأمير أبي العبّاس محمد بن القائم بأمر الله بولاية العهد، ولُقِّب ذخيرة الدِّين وولي عهد المسلمين وفيها في رمضان قتل الأميراقسنقر بهمذان قتله الباطنية لأنّه كان كثير الغزو اليهم والقتل فيهم والنّهب لأموالهم والتّخريب لبلادهم فلمّا كان الآن قصد إنساناً من الزُّهاد ليزوره فوثب عليه جماعة من الإسماعيلية فقتلوه .

وفيها تُوفي أبو الحسن محمد بن الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله ، وكان من الصالحين ورواة الحديث وأوصى أن يدفن بجوار احمد بن حنبل ومولده سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وأبو طالب محمد بن محمد بن غيلان البزّاز ومولده سنة سبع وأربعين وثلاثمائة روى عن أبي بكر الشّافعي وغيره وتوفي في شوّال وهو راوي الأحاديث المعروفة بالغيلانيات التي خرجها الدارقطني له وهي من أعلى الحديث وأحسنه وعبيد الله بن عمر بن أحمد بن عثمان أبو القاسم الواعظ المعروف بابن شاهين ومولده سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .

وفيها كان الغلاء والوباء عاماً في البلاد جميعها بمكّة والعراق والموصل والجزيرة والشّام ومصر وغيرها من البلاد. وفيها قبض بمصر على الوزير فخر الملك صدقة بن يوسف وقتل وكان أوّل أمره يهوديّاً فأسلم واتصل بالدِّزبري وخدمه بالشّام ثم خافه فعاد إلى مصر وخدم الجرجرائي الوزير ونفق عليه فلمّا توفِّي الجرجرائي استوْزره المستنصر إلى الآن ، ثمّ قتله واستوزر القاضي أبا محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري في ذي القعدة(١) .

---

(١) وفيها دار السور على شيراز ، وكان دوره اثني عشر ألف ذراع ، وارتفاعه ثمانية أذرع ، وفيه أحد عشر بابا . وفيها اقتتل الروافض وأهل السنة ، وجرت ببغداد فتن عظيمة ، ولم يحج أحد من أهل العراق في هذه السنة .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وأربعمائة

ذكر ظهور الخلف بين قرواش وأخيه أبي كامل وصلحهما

في هذه السنة ظهر الخلف بين معتمد الدّولة قرواش وبين أخيه زعيم الدّولة أبي كامل ظهوراً آل إلى المحاربة وقد تقدّم سبب ذلك فلمّا اشتدّ الأمر وفسد الحال فساداً لا يمكن إصلاحه جمع كل منهما جمعاً لمحاربة صاحبه وسار قرواش في المحرَّم وعبر دجلة بنواحي بلد وجاءه سليمان بن نصر الدّولة بن مروان وأبو الحسن بن عيسكان الحميدي وغيرهما من الأكراد وساروا إلى معلثابا فأخربوا المدينة ونهبوها ونزلوا بالمغيثة وجاء أبو كامل فيمن معه من العرب وآل المسيب فنزلوا بمرج بابنيثا وبين الطائفتين نحو فرسخ واقتتلوا يوم السبت ثاني عشر المحرم وافترقوا من غير ظفر . ثمّ اقتتلوا يوم الأحد كذلك ولم يلابس الحرب سليمان بن مروان بل كان ناحية ووافقه أبو الحسن الحميدي وساروا عن قرواش وفارقه جمع من العرب وقصدوا أخاه فضعف أمر قرواش ، وبقي في حلّته وليس معه إلاّ نفر يسير فركبت العرب من أصحاب أبي كامل لقصده فمنعهم وأسفر الصّبح يوم الاثنين وقد تسرّع بعضهم ونهب بعضاً من عرب قرواش وجاء أبو كامل إلى قرواش واجتمع به ونقله إلى حلَّته وأحسن عشرته ثمّ أنفذه إلى الموصل محجوراً عليه وجعل معه بعض زوجاته في دار وكان ممّا فتَّ في عضد قرواش وأضعف نفسه أنه كان قد قبض على قوم من الصّيادين بالأنبار لسوء طريقهم وفسادهم فهرب الباقون منهم وبقي بعضهم بالسندية فلمّا كان الآن سار جماعة منهم إلى الأنبار وتسلَّقوا السور ليلة خامس المحرم من هذه السنة وقتلوا حارسه ، وفتحوا الباب ونادوا بشعار أبي كامل فانضاف إليهم أهلوهم وأصدقاؤهم ومن له هوى في أبي كامل فكثروا وثار بهم أصحاب قرواش فاقتتلوا فظفروا وقتلوا من أصحاب معتمد الدَّولة قرواش جماعة وهرب الباقون فبلغه خبر استيلاء أخيه ولم يبلغه عود أصحابه، ثمّ إنّ المسيّب وأمراء العرب كاتبوا أبا

كامل ما يعجز عنه واشتطُّوا عليه فخاف أن يؤول الأمر بهم إلى طاعة قرواش وإعادته إلى مملكته فبادرهم إليه وقبّل يده وقال له : إنني وإن كنت أخاك فإنني عبدك وما جرى هذا إلا بسبب من أفسد رأيك فيّ وأشعرك الوحشة مني والآن فأنت الأمير وأنا الطائع لأمرك والتابع لك . فقال له قرواش : بل أنت الأخ والأمر لك مسلم وأنت أقوم بـه منّي . وصلح الحال بينهما وعاد قرواش إلى التّصرف على حكم اختياره وكان أبو كامل قد أقطع بلال بن غريب بن مقن حربي[1] وأوانا فلما اصطلح أبو كامل وقرواش أرسلا إلى حربي من منع بلالاً عنها فتظاهر بلال بالخلاف عليهما وجمع إلى نفسه جمعاً وقاتل أصحاب قرواش وأخذ حربي وأوانا بغير اختيارهما فانحدر قرواش من الموصل إليها، وحصرها وأخذها .

ذكر مسير الملك الرّحيم إلى شيراز وعوده عنها

في هذه السنة في المحرم سار الملك الرّحيم من الأهواز إلى بلاد فارس فوصلها وخرج عسكر شيراز إلى خدمته ، ونزل بالقرب من شيراز ليدخل البلد، ثمّ إنّ الأتراك الشيرازيين والبغداديين اختلفوا وجرى بينهم مناوشة استظهر فيها البغداديون وعادوا إلى العراق فاضطرّ الملك الرّحيم إلى المسير معهم لأنه لم يكن يثق إلى الأتراك الشّيرازية ، وكان دَيْلم بلاد فارس قد مالوا إلى أخيه فولاستون وهو بقلعة اصطخر فهو أيضاً منحرف عنهم ، فاضطرّ إلى صحبة البغداديين ، فعاد في ربيع الأوّل من هذه السنة إلى الأهواز ، وقام بها واستخلف بارجان أخويه : أبا سعد وأبا طالب ووقع الخلف بفارس فإنّ الأمير أبا منصور فولاستون كان قد خلص وصار بقلعة اصْطَخْر واجتمع معه جماعة من أعيان العسكر الفارسي ، فلما عاد الملك الرّحيم إلى الأهواز انبسط في البلاد وقصده كثير من العساكر واستولى على بلاد فارس ثمّ سار إلى أرجان عازماً على قصدِ الأهواز وأخذِها .

---

(١) حربي ـ مقصور والعامة تتلفظ به مما لا ـبليدة في أقصى دجيل بين بغداد وتكريت مقابل الحظيرة تنسج فيها الثياب القطنية الغليظة وتحمل الى سائر البلاد . وقد نسب إليها قوم من أهل العلم والنباهة : منهم أبو الحسن علي بن رشيد بن أحمد بن محمد بن حسين الحربوي . سمع أبا الوقت السجزي وشهد بغداد وأقام بها وصار وكيل الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء وكان حسن الخط على طريقة أبي عبدالله بن مقلة وكتب الكثير وكان محباً للكتب . مات ببغداد في ثامن عشر شوال سنة ٦٠٥ ودفن بباب حرب .

ذكر الحرب بين البساسيري وعقيل

في هذه السّنة سار جمع من بني عقيل إلى بلد العجم من أعمال العراق وبادوريا فنهبوهما وأخذوا من الأموال الكثير ، وكانا في إقطاع البساسيري فسار من بغداد بعد عوده من فارس إليهم ، فالتقوا هم وزعيم الدّولة أبو كامل بن المقلّد واقتتلوا قتالاً شديداً ، أبلى الفريقان فيه بلاءً حسناً وصبر صبراً جميلاً وقتل جماعة من الفريقين .

ذكر الوحشة بين طغرلبك وأخيه ابراهيم ينال

في هذه السنة استوحش ابراهيم ينال من أخيه السلطان طغرلبك ، وكان سبب ذلك أنّ طغرلبك طلب من ابراهيم ينال أن يسلّم إليه مدينة هَمَذَان والقلاع التي بيده من بلد الجبل فامتنع من ذلك واتهم وزيره أبا علي بالسّعي بينهما في الفساد فقبض عليه وأمر به فضرب بين يديه وسمل إحدى عينيه وقطع شفتيه وسار عن طغرلبك وجمع جمعاً من عسكره والتقيا ، وكان بين العسكرين قتال شديد انهزم ينال وعاد منهزماً فسار طغرلبك في أثره فملك قلاعه وبلاده جميعها وتحصّن إبراهيم ينال بقلعة سرماج وامتنع على أخيه فحصره طغرلبك فيها وكانت عساكره قد بلغت مائة ألف من أنواع العسكر ، وقاتله فملكها في أربعة أيام وهي من أحصن القلاع وأمنعها واستنزل ينال منها مقهوراً وأرسل إلى نصر الدولة بن مروان يطلب منه إقامة الخطبة له في بلاده فأطاعه وخطب له في سائر ديار بكر وراسل ملك الرُّوم طغرلبك وارسل إليه هديَّةً عظيمةً وطلب منه المعاهدة فأجابه إلى ذلك وأرسل ملك الرُّوم إلى ابن مروان يسأله أن يسعى في فداء ملك الأبخاز المقدَّم ذكره فأرسل نصرُ الدولة شيخ الإسلام أبا عبد الله بن مروان في المعنى إلى السلطان طغرلبك فأطلقه بغير فداء فعظم ذلك عنده وعند ملك الروم ، وأرسل عوضه من الهدايا شيئاً كثيراً وعمروا مسجد القسطنطينية وأقاموا فيه الصّلاة والخطبة لطغرلبك ودان حينئذ النّاس كلّهم له ، وعظم شأنه وتمكّن ملكه وثبت ، ولما نزل ينال إلى طغرلبك أكرمه وأحسن إليه وردّ عليه كثيراً مما أخذ منه وخيّره بين أن يقطعه بلاداً يسير إليها وبين أن يقيم معه فاختار المقام معه .

ذكر الحرب بين دبيس بن مزيد وعسكر واسط

في هذه السّنة كانت حرب شديدة بين نور الدّولة دبيس بن مزيد وبين الأتراك

الواسطيين وسبب ذلك أن الملك الرّحيم أقطع نور الدّولة حماية نهر الصّلة ونهر الفضل وهما من أقطاع الواسطيين فسار إليها ووليها فسمع عسكر واسط ذلك فسخطوه واجتمعوا وساروا إلى نور الدولة ليقاتلوه ويدفعوه عنها وأرسلوا إليه يتهدّدونه ، فأعاد الجواب يقول إنّ الملك أقطعني هذا فنرسل إليه أنا وأنتم فبأيّ شيء أمر رضينا به فسبُّوه وساروا مجدِّين إليه فأرسل إلى طريقهم طائفة من عسكره فلقوهم وكمن لهم ، فلمّا التقوا استجرهم العرب إلى أن جاوزوا الكمين وخرج عليهم الكمين فأوقعوا بهم وقتلوا منهم جماعة كثيرة وأسروا كثيراً وجرح مثلهم وتمّت الهزيمة على الواسطيين وغنم نور الدولة أموالهم ودوابهم وساروا إلى واسط فنزلوا بالقرب منها ، وأرسل الواسطيون إلى بغداد يستنجدون جندها ويبذلون للبساسيري أن يدفع عنهم نور الدّولة ويأخذ نهر الصلة ونهر الفضل لنفسه .

ذكر وفاة مودود بن مسعود وملك عمه عبد الرشيد

في هذه السنة في العشرين من رجب توفّي أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين ، صاحب غزنة وعمره تسع وعشرون سنة ؛ وملكه تسع سنين وعشرة أشهر، وكان موته بغَزْنة ، وكان قد كاتب أصحاب الأطراف في سائر البلاد ، ودعاهم إلى نصرته وإمداده بالعساكر وبذل لهم الأموال الكثيرة وتفويض أعمال خراسان ونواحيها إليهم على قدر مراتبهم فأجابوا إلى ذلك منهم أبو كاليجار صاحب أصبهان فإنّه جمع عساكره وسار في المفازة فهلك كثير من عسكره ومرض وعاد، ومنهم خاقان ملك التّرك فإنه سار إلى ترمذ ونهب وخرب وصادر أهل تلك الأعمال وسارت طائفة أخرى ممّا وراء النّهر إلى خوارزم وسار مودود من غزنة فلم يسر غير مرحلة واحدة حتّى عارضه قُولَنْج اشتدَّ عليه فعاد إلى غزنة مريضاً وسيّر وزيره أبا الفتح عبد الرّزّاق بن أحمد الميمَندِي إلى سجستان في جيش كثيف لأخذها من الغزّ واشتدت العلة بمودود ، فتوفي وقام في الملك بعده ولده ، فبقي خمسة أيام ، ثم عدل الناس عنه إلى عمه علي بن مسعود، وكان مودود لمّا ملك قبض على عمّه عبد الرّشيد بن محمود وسجنه في قلعة ميدين بطريق بست ، فلمّا توفي كان وزيره قد قارب هذه القلعة ، فنزل عبد الرشيد إلى العسكر ودعاهم إلى طاعته فأجابوه وعادوا معه إلى غزنة ، فلما قاربها هرب عنها علي بن مسعود، وملك عبد الرشيد واستقر الأمر له ولقّب شمس دين الله سيف الدولة ،

وقيل جمال الدّولة ، ودفع الله شر مودود عن داود. وهذه السّعادة التي تقتل الأعداء بغير سلاح ولا أجناد.

ذكر استيلاء البساسيري على الأنبار

في هذه السنة أيضاً في ذي القعدة ملك البساسيري الأنبار ودخلها أصحابه وكان سبب ملكها أن قرواشاً أساء السِّيرة في أهلها ومدَّ يده إلى أموالهم فسار جماعة من أهلها إلى البساسيري ببغداد وسألوه أن ينفذ معهم عسكراً يسلِّمون إليه الأنبار فأجابهم إلى ذلك وسيّر معهم جيْشاً فتسلّموا الأنبار ولحقهم البساسيري وأحسن إلى أهلها وعدل فيهم ولم يمكن أحداً من أصحابه أن يأخذ الرّطل الخبز بغير ثمنه وأقام فيها إلى أن أصلح حالها وقرّر قواعدها وعاد إلى بغداد.

ذكر انهزام الملك الرحيم من عسكر فارس

في هذه السنة عاد الملك الرّحيم من الأهواز إلى رامهرمز في ذي القعدة فلما وصل إلى وادي الملح لقيه عسكر فارس واقتتلوا قتالاً شديداً فغدر بالملك الرحيم بعض عسكره وانهزم هو وجميع العسكر ووصل إلى بصنا[1] ومعه أخواه أبو سعد وأبو طالب وسار منها إلى واسط وسار عسكر فارس إلى الأهواز فملكوها وخيَّموا بظاهرها .

ذكر عدة حوادث

وفيها وصل عسكر من مصر إلى حلب وبها صاحبها ثمال بن صالح بن مرداس فخافهم لكثرتهم فانصرف عنها فملكها المصريون . وفيها في ذي القعدة ارتفعت سحابة سوداء مظلمة ليلاً فزادت ظلمتها على ظلمة الليل ، وظهر في جوانب السماء كالنّار المضطرمة وهبّت معها ريح شديدة قلعت رواشن دار الخليفة وشاهد الناس من ذلك ما أزعجهم وخوّفهم فلزموا الدُّعاء والتضرع فانكشفت في باقي الليل .

---

(١) بصنا ـ بالفتح ثم الكسر وتشديد النون ـ مدينة من نواحي الأهواز صغيرة وجميع رجالهم ونسائهم يغزلون الصوف وينسجون الأنماط والستور البصنية ويكتبون عليها « بصنأ » وقد تعمل ببرذون وكليوان وغيرهما من المدن المجاورة لبصنا وتدلس بستور بصنا والمعدن بصني ولهم نهر يسمونه « دجلة بصنا » .

وفيها في شعبان سار البساسيري من بغداد إلى طريق خراسان وقصد ناحية الدّزدار وملكها وغنم ما فيها وكان سعدي بن أبي الشّوك قد ملكها وقد عمل لها سوراً وحصّنها وجعلها معقلاً يتحصّن فيه ويدّخر بها كلّ ما يغنمه فأخذه البساسيري جميعه. وفيها منع أهل الكرخ من النَّوحِ وفعل ما جرت عادتهم بفعله يوم عاشوراء فلم يقبلوا وفعلوا ذلك فجرى بينهم وبين السّنية فتنة عظيمة قتل فيها وجرح كثير من الناس ولم ينفصل الشرّ بينهم حتّى عبر الأتراك وضربوا خيامهم عندهم فكفُّوا حينئذ ثمّ شرع أهل الكرخ في بناء سور على الكرخ ، فلمّا رآهم السّنية من القلائين ومن يجري مجراهم شرعوا في بناء سور على سوق القلائين وأخرج الطائفتان في العمارة مالاً جليلاً وجرت بينهما فتن كثيرة وبطلت الأسواق وزاد الشرّ حتّى انتقل كثير من الجانب الغربيّ الى الجانب الشرقيّ فأقاموا به . وتقدّم الخليفة إلى أبي محمد بن النسوي بالعبور وإصلاح الحال وكف الشر فسمع أهل الجانب الغربي ذلك فاجتمع السنّية والشّيعة على المنع منه وأذّنوا في القلائين وغيرها بحيّ على خير العمل وأذّنوا في الكرخ الصلاة خير من النّوم وأظهروا الترحُّم على الصحابة فبطل عبوره .

وفيها توفي أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله الصوري الحافظ كان إماماً صحب عبد الغني بن سعيد وتخرّج به ومن تلامذته الخطيب أبو بكر. وفيها توفي الملك العزيز أبو بكر منصور بن جلال الدولة ، وقد ذكرنا تنقّل الأحوال به فيما تقدم وله شعر حسن . وفيها توفي أحمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن العتيقي نسب إلى جدّ له يسمّى عتيقاً ومولده سنة سبع وستين وثلاثمائة ، وفيها تُوفِّي أبو القاسم عبد الوهاب بن أقضى القضاة أبي الحسن الماوردي وكانت شهادته سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وقبلها القاضي في بيت النُّوبة ولم يفعل ذلك مع غيره وإنّما فعل معه هذا احتراماً لأبيه .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة

ذكر ملك طغرلبك أصبهان

كان أبو منصور بن علاء الدّولة صاحب أصبهان غير ثابت على طريقة واحدة مع السلطان طغرلبك كان يكثر التلوّن معه تارة يطيعه وينحاز إليه وتارة ينحرف عنه ويطيع الملك الرّحيم، فأضمر له طغرلبك سوءاً فلمّا عاد هذه الدفعة من خراسان لأخذ البلاد الجبلية من أخيه إبراهيم ينال واستولى عليها على ما ذكرناه عدل إلى أصبهان عازماً على أخذها من أبي منصور فسمع ذلك فتحصّن ببلده واحتمى بأسواره ونازله طغرلبك في المحرّم وأقام على محاصرته نحو سنة وكثرت الحروب بينهما إلا أنّ طغرلبك قد استولى على سواد البلد وأرسل سريةً من عسكره نحو فارس فبلغوا إلى البيضاء فأغاروا على السّواد هناك وعادوا غانمين ولمّا طال الحصار على أصبهان وأخرب أعمالها ضاق الأمر بصاحبها وأهلها وأرسلوا إليه يبذلون له الطّاعة والمال فلم يجبهم إلى ذلك ولم يقنع منهم إلاّ بتسليم البلد فصبروا حتّى نفدت الأقوات وامتنع الصبر وانقطعت المواد واضطر الناس حتى نقضوا الجامع وأخذوا أخشابه لشدة الحاجة إلى الحطب فحيث بلغ بهم الحال إلى هذا الحدّ خضعوا له واستكانوا وسلّموا البلد إليه، فدخله وأخرج أجناده منه وأقطعهم في بلاد الجبل وأحسن إلى الرعيّة وأقطع صاحبها أبا منصور ناحِيَتَيْ يَزْد[1] وأبرقويه وتمكّن من أصبهان ودخلها في المحرّم من سنة ثلاث وأربعين وآستطابها ونقل ما كان له بالريّ من مال وذخائر وسلاح إليها وجعلها دار مقامه وخرب قطعة من سورها وقال: إنما يحتاج إلى الأسوار من تضعف قوته فأما من حصنه عساكره وسيفه فلا حاجة له إليها.

---

(١) يَزد: مدينة متوسطة بين نيسابور وشيراز وأصبهان معدودة في أعمال فارس.

ذكر عود عساكر فارس من الأهواز وعود الرحيم إليها

في هذه السنة في المحرم عادت عساكر فارس التي مع الأمير أبي منصور صاحبها عن الأهواز إلى فارس.

وسبب هذا العود أن الأجناد اختلفوا وشغبوا واستطالوا وعاد بعضهم إلى فارس بغير أمر صاحبهم وأقام بعضهم معه وسار بعضهم إلى الملك الرحيم وهو بالأهواز يطلبونه ليعود إليهم فعاد فيمن عنده من العساكر وأرسل إلى بغداد يأمر العساكر التي فيها بالحضور عنده ليسير بهم إلى فارس فلما وصل إلى الأهواز لقيه العساكر مقرين بالطاعة وأخبروه بطاعة عساكر فارس وأنهم ينتظرون قدومه فدخل الأهواز في شهر ربيع الآخر فتوقف بالأهواز ينتظر عساكر بغداد ثم سار عنها إلى عساكر مكرم فملكها وأقام بها.

ذكر استيلاء زعيم الدولة على مملكة أخيه قرواش

في هذه السنة في جمادىٰ الأولى استولى زعيم الدولة أبو كامل بركة بن المقلد على أخيه قرواش وحجر عليه ومنعه من التصرف على اختياره، وسبب ذلك أن قرواشاً كان قد أنف من تحكم أخيه في البلاد وأنه قد صار لا حكم له فعمل على الانحدار إلى بغداد ومفارقة أخيه وسار عن الموصل فشق ذلك على بركة وعظم عنده ثم أرسل إليه نفراً من أعيان أصحابه يشيرون عليه بالعود واجتماع الكلمة ويحذرونه من الفرقة والاختلاف فلما بلغوه ذلك امتنع عليهم فقالوا أنت ممنوع عن فعلك والرأي لك القبول والعود ما دامت الرغبة إليك فعلم حينئذ أنه يمنع قهراً فأجاب إلى العود على شرط أن يسكن دار الإمارة بالموصل، وسار معهم فلما قارب حلة أخيه زعيم الدولة لقيه وأنزله عنده فهرب أصحابه وأهله خوفاً فأمنهم زعيم الدولة وحضر عنده وخدمه وأظهر له الخدمة وجعل عليه من يمنعه من التصرف على اختياره.

ذكر استيلاء الغز على مدينة فسا

وفيها في جُمادىٰ الاولى سار الملك ألب أرسلان بن داود أخي طغرلبك من مدينة مرو بخراسان وقصد بلاد فارس في المفازة فلم يعلم به أحد ولا أعلم عمه طغرلبك فوصل إلى مدينة فسا، فانصرف النائب بها من بين يديه ودخلها ألب أرسلان فقتل من

الديلم بها ألف رجل وعدداً كثيراً من العامة ونهبوا ما قدره ألف ألف دينار وأسروا ثلاثة آلاف إنسان وكان الأمر عظيماً فلما فرغوا من ذلك عادوا إلى خراسان ولم يلبثوا خوفاً من طغرلبك أن يرسل إليهم ويأخذ ما غنموه منهم .

ذكر استيلاء الخوارج على عمان

في هذه السنة استولى الخوارج المقيمون بجبال عمان على مدينة تلك الولاية وسبب ذلك أن صاحبها الأمير أبا المظفر بن الملك أبي كاليجار كان مقيماً بها ومعه خادم له قد استولى على الأمور وحكم على البلاد وأساء السيرة في أهلها ، فأخذ أموالهم فنفروا منه وأبغضوه وعرف إنسان من الخوارج يقال له ابن راشد الحال فجمع من عنده منهم وقصد المدينة ، فخرج إليه الأمير أبو المظفر في عساكره فالتقوا واقتتلوا فانهزمت الخوارج وعادوا إلى موضعهم وأقام ابن راشد مدة يجمع ويحتشد ثم سار ثانياً وقاتله الديلم فأعانه أهل البلد لسوء سيرة الديلم فيهم ، فانهزم الديلم وملك ابن راشد البلد وقتل الخادم وكثيراً من الديلم وقبض على الأمير أبي المظفر وسيره إلى جباله مستظهراً عليه وسجن معه كل من خط بقلم من الديلم وأصحاب الأعمال وأخرب دار الإمارة وقال : هذه أحق دار بالخراب وأظهر العدل وأسقط المكوس واقتصر على رفع عشر ما يرد إليهم وخطب لنفسه وتلقب بالراشد بالله ولبس الصوف وبنى موضعاً على شكل مسجد، وقد كان هذا الرجل تحرك أيضاً أيام القاسم بن مكرم فسير إليه أبو القاسم من منعه وحصره وأزال طمعه .

ذكر دخول العرب إلى إفريقية

في هذه السنة دخلت العرب إلى إفريقية وسبب ذلك أن المعز بن باديس كان خطب للقائم بأمر الله الخليفة العباسي ، وقطع خطبة المستنصر العلوي صاحب مصر سنة أربعين وأربعمائة فلما فعل ذلك كتب إليه المستنصر العلوي يتهدده فأغلظ المعز في الجواب ، ثم إن المستنصر استوزر الحسن بن علي اليازوري ولم يكن من أهل الوزارة إنما كان من أهل التبانة والفلاحة فلم يخاطبه المعز كما كان يخاطب من قبله من الوزراء كان يخاطبهم بعبده فخاطب اليازوري بصنيعته فعظم ذلك عليه وعاتبه فلم يرجع إلى ما يحب ، فأكثر الوقيعة في المعز وأغرى به المستنصر وشرعوا في إرسال العرب إلى

الغرب فأصلحوا بني زغبة ورياح وكان بينهم حروب وحقود وأعطوهم مالاً وأمروهم بقصد بلاد القيروان وملكوهم كل ما يفتحونه ووعدوهم بالمدد والعدد فدخلت العرب إلى إفريقية وكتب اليازوري إلى المعز ، أما بعد : فقد أرسلنا إليكم خيولاً فحولاً وحملنا عليها رجالاً كهولاً ليقضي الله أمراًكان مفعولاً ، فلما حلوا أرض برقة وما والاها وجدوا بلاداً كثيرة المرعى خالية من الأهل لأن زناتة كانوا أهلها فأبادهم المعز فأقامت العرب بها واستوطنتها وعاثوا في أطراف البلاد، وبلغ ذلك المعز فاحتقرهم ، وكان المعز لمَّا رأى تقاعد صنهاجة عن قتال زناتة اشترى العبيد وأوسع لهم في العطاء فاجتمع له ثلاثون ألف مملوك .

وكانت العرب زغبة قد ملكت مدينة طرابلس سنة ست وأربعين فتتابعت رياح والأسبج وبنو عدي إلى إفريقية وقطعوا السبيل وعاثوا في الأرض وأرادوا الوصول إلى القيروان، فقال مؤنس بن يحيى المرداسي : ليس المبادرة عندي برأي ، فقالوا : كيف تحب أن تصنع فأخذ بساطاً فبسطه ، ثم قال لهم : من يدخل إلى وسط البساط من غير أن يمشي عليه ؟ قالوا : لا نقدر على ذلك ، قال : فهكذا القيروان خذوا شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى إلا القيروان فخذوها حينئذ فقالوا : إنك لشيخ العرب وأميرها وأنت المقدم علينا ولسنا نقطع أمراً دونك ، ثم قدم أمراء العرب إلى المعز فأكرمهم وبذل لهم شيئاً كثيراً ، فلما خرجوا من عنده لم يجازوه بما فعل من الإحسان بل شنوا الغارات وقطعوا الطريق وأفسدوا الزروع وقطعوا الثمار وحاصروا المدن فضاق بالناس الأمر ، وساءت أحوالهم وانقطعت أسفارهم ونزل بافريقية بلاء لم ينزل بها مثله قط فحينئذ احتفل المعز وجمع عساكره فكانوا ثلاثين ألف فارس ومثلها رجالة وسار حتى أتى جندران وهو جبل بينه وبين القيروان ثلاثة أيام ، وكانت عدة العرب ثلاثة آلاف فارس، فلما رأت العرب عساكر صنهاجة والعبيد مع المعز هالهم ذلك وعظم عليهم ، فقال لهم مؤنس بن يحيى : ما هذا يوم فرار ، فقالوا : أين نطعن هؤلاء وقد لبسوا الكذاغندات والمغافر ؟ قال: في أعينهم ، فسُمِّي ذلك اليوم (يوم العين) والتحم القتال واشتدت الحرب ، فاتفقت صنهاجة على الهزيمة وترك المعز مع العبيد حتى يرى فعلهم ويقتل أكثرهم ، فعند ذلك يرجعون على العرب فانهزمت صنهاجة وثبت العبيد مع المعز فكثر القتل فيهم ، قتل منهم خلق كثير وأرادت صنهاجة الرجوع على

العرب فلم يمكنهم ذلك واستمرت الهزيمة ، وقتل من صنهاجة أمة عظيمة ودخل المعز القيروان مهزوماً على كثرة من معه وأخذت العرب الخيل والخيام وما فيها من مال وغيره ، وفيه يقول بعض الشعراء :

وإن ابن باديس لأفضل مالك ... ولكن لعمري ما لديه رجال
ثلاثون ألفاً منهم غلبتهم ... ثلاث آلاف إن ذا لمحال

ولما كان يوم النحر من هذه السنة جمع المعز سبعة وعشرين ألف فارس وسار إلى العرب جريدة وسبق خبره وهجم عليهم وهم في صلاة العيد فركبت العرب خيولهم وحملت فانهزمت صنهاجة ، فقتل منهم عالم كثير ، ثم جمع المعز وخرج بنفسه في صنهاجة وزناتة في جمع كثير . فلما أشرف على بيوت العرب وهو قبلي جبل جندران انتشب القتال واشتعلت نيران الحرب، وكانت العرب سبعة آلاف فارس فانهزمت صنهاجة وولى كل رجل منهم إلى منزله وانهزمت زناتة وثبت المعز فيمن معه من عبيده ثباتاً عظيماً لم يسمع بمثله ، ثم انهزم وعاد إلى المنصورية وأُحصي من قتل من صنهاجة ذلك اليوم فكانوا ثلاثة آلاف وثلاثمائة ، ثم أقبلت العرب حتى نزلت بمصلى القيروان ووقعت الحرب فقتل من المنصورية ورقادة خلق كثير ، فلما رأى ذلك المعز أباحهم دخول القيروان لما يحتاجون إليه من بيع وشراء ، فلما دخلوا استطالت عليهم العامة ووقعت بينهم حرب كان سببها فتنة بين إنسان عربي وآخر عامي ؛ وكانت الغلبة للعرب وفي سنة أربع وأربعين بنى سور زويلة والقيروان .

وفي سنة ست وأربعين حاصرت العرب القيروان وملك مؤنس بن يحيى مدينة باجة وأشار المعز على الرعية بالانتقال إلى المهدية لعجزه عن حمايتهم من العرب ، وشرعت العرب في هدم الحصون والقصور وقطعوا الثمار وخربوا الأنهار ، وأقام المعز والناس ينتقلون إلى المهدية إلى سنة تسع وأربعين فعندها انتقل المعز الى المهدية في شعبان فتلقاه ابنه تميم ومشى بين يديه ، وكان أبوه قد ولاه المهدية سنة خمس وأربعين ؛ فأقام بها إلى أن قدم أبوه الآن ، وفي رمضان من سنة تسع وأربعين نهبت العرب القيروان ؛ وفي سنة خمسين خرج بلكين ومعه من العرب لحرب زناتة فقاتلهم فانهزمت زناتة وقتل منها عدد كثير ، وفي سنة ثلاث وخمسين وقعت الحرب بين العرب وهوارة فانهزمت هوارة وقتل منها الكثير ؛ وفي سنة ثلاث وخمسين قتل أهل تقيوس من

العرب مائتين وخمسين رجلاً وسبب ذلك أن العرب دخلت المدينة متسوقة فقتل رجل من العرب رجلاً متقدماً من أهل البلد لأنه سمعه يثني على المعز ويدعو له فلما قتل ثار أهل البلد بالعرب فقتلوا منهم العدد المذكور ؛ وكان ينبغي أن يأتي كل شيء من ذلك في السنة التي حدث فيها ، وإنما أوردناه متتابعاً ليكون أحسن لسياقته فإنه إذا انقطع وتخللته الحوادث في السنين لم يفهم .

ذكر عدة حوادث

فيها سار المهلهل بن محمد بن عناز أخو أبي الشوك إلى السلطان طغرلبك فأحسن إليه وأقره على أقطاعه ومن جملته السيروان ودقوقا وشهرزور والصامغان ، وشفعه في أخيه سرخاب بن محمد بن عناز وكان محبوساً عند طغرلبك وسار سرخاب إلى قلعة الماهكي وهي له وأقطع سعدي بن أبي الشوك الراوندين . وفيها قبض المستنصر بمصر على أبي البركات عم أبي القاسم الجرجراني واستوزر القاضي أبا محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري ويازور من أعمال الرملة ، وفيها توفي محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله أبو الحسين ، ومولده سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وفيها في شعبان توفي أبو الحسن علي بن عمر القزويني الزاهد وكان من الصالحين ، روى الحديث والحكايات والأشعار وروى عن ابن نباتة شيئاً من شعره فمن ذلك قال ابن نباتة :

وإذا عجزت عن العدو فداره وامزج له إن المزاج وفاق
فالنار بالماء الذي هو ضدها تعطي النضاج وطبعها الإحراق

وفيها في ذي القعدة توفي أبو القاسم عمر بن ثابت النحوي الضرير المعروف بالثمانيني[1] .

(١) الثمانيني النحوي الضرير : شارح « اللمع » كان في غاية العلم بالنحو .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة

ذكر نهب سرّق والحرب الكائنة عندها وملك الرحيم رامهرمز

فيها في المحرم اجتمع جمع كثير من العرب والأكراد وقصدوا سرق من خوزستان ونهبوها ونهبوا دورق ومقدمهم مطارد بن منصور ومذكور بن نزار فأرسل إليهم الملك الرحيم جيشاً ولقوهم بين سرق ودورق فاقتتلوا ، فقتل مطارد وأسر ولده وكثر القتل فيهم واستنقذوا ما نهبوه ونجا الباقون على أقبح صورة من الجراح والنهب فلما تم هذا الفتح للملك الرحيم انتقل من عسكر مكرم متقدماً إلى قنطرة أربق ومعه دبيس بن مزيد والبساسيري وغيرهما . ثم إن الأمير أبا منصور صاحب فارس وهزارسب بن بنكير ومنصور بن الحسين الأسدي ومن معهما من الديلم والأتراك ساروا من أرجان يطلبون تستر ، فسبقهم الرحيم إليها وحال بينهم وبينها ، والتقت الطلائع فكان الظفر لعسكر الرحيم ثم إن الأرجاف وقع في عسكر هزارسب بوفاة الأمير أبي منصور بن الملك أبي كاليجار بمدينة شيراز فسقط في أيديهم وعادوا وقصد كثير منهم الملك الرحيم فصاروا معه فسيّر قطعة من الجيش إلى رامهرمز وبها أصحاب هزارسب وقد أفسدوا في تلك الأعمال فلما وصل إليها عسكر الرحيم خرج أولئك الى قتالهم فاقتتلوا قتالاً شديداً أكثر فيه القتل والجراح ، ثم انهزم أصحاب هزارسب فدخلوا البلد وحصروا فيه ثم ملك البلد عنوة ونهب وأسر جماعة من العساكر التي فيه وهرب كثير منهم إلى هزارسب وهو بايذج وملك الملك الرحيم البلد في ربيع الأول من هذه السنة .

ذكر ملك الملك الرحيم اصطخر وشيراز

في هذه السنة سيَّر الملك الرحيم أخاه الأمير أبا سعد في جيش إلى بلاد فارس وكان سبب ذلك أن المقيم في قلعة اصطخر وهو أبو نصر بن خسرو كان له أخوان قبض

عليهما هزارسب بن بنكير بأمر الأمير أبي منصور فكتب إلى الملك الرحيم يبذل له الطاعة والمساعدة ويطلب أن يسير إليه أخاه ليملكه بلاد فارس فسير إليه أخاه أبا سعد في جيش فوصل إلى دولتا باذ فأتاه كثير من عساكر فارس الديلم والترك والعرب والأكراد ، وسار منها إلى قلعة اصطخر فنزل إليه صاحبها أبو نصر فلقيه وأصعده إلى القلعة وحمل له وللعساكر التي معه الإقامات والخلع وغيرها ، ثم سارا منها إلى قلعة بهندر فحصروها وأتاه كتب بعض مستحفظي البلاد الفارسية بالطاعة منها مستحفظ درابجرد وغيرها ثم سار إلى شيراز فملكها في رمضان ، فلما سمع أخوه الأمير أبو منصور وهزارسب ومنصور بن الحسين الأسدي ذلك ساروا في عسكرهم إلى الملك الرحيم فهزموه على ما نذكره إن شاء الله تعالى ، وفارق الأهواز الى واسط ثم عطفوا من الأهواز إلى شيراز لاجلاء الأمير أبي سعد عنها ، فلما قاربوها لقيهم أبو سعد وقاتلهم فهزمهم فالتجؤوا إلى جبل قلعة بهندر وتكررت الحروب بين الطائفتين إلى منتصف شوّال فتقدمت طائفة من عسكر أبي سعد فاقتتلوا عامة النهار ثم عادوا ، فلما كان الغد التقى العسكران جميعاً واقتتلوا فانهزم عسكر الأمير أبي منصور وظفر أبو سعد وقتل منهم خلقاً كثيراً واستأمن إليه كثير منهم وصعد أبو منصور إلى قلعة بهندر واحتمى بها وأقام إلى أن عاد إلى ملكه على ما نذكره إن شاء الله تعالى ، ولما فارق الأمير أبو منصور الأهواز أعيدت الخطبة للملك الرحيم وأرسل من بها من الجند يستدعونه إليهم .

ذكر انهزام الملك الرحيم بالأهواز

لما انصرف الأمير أبو منصور وهزارسب ومن معهم من منزلهم قريب تستر على ما ذكرناه مضوا إلى أيذج وأقاموا فيها وخافوا الملك الرحيم واستضعفوا نفوسهم عن مقاومته ، فاتفق رأيهم على أن راسلوا السلطان طغرلبك وبذلوا له الطاعة وطلبوا منه المساعدة فأرسل إليهم عسكراً كثيراً وكان قد ملك أصبهان وفرغ باله منها وعرف الملك الرحيم ذلك وقد فارقه كثير من عسكره منهم البساسيري ونور الدولة دبيس بن مزيد والعرب والاكراد وبقي في الديلم الأهوازية وطائفة قليلة من الأتراك البغداديين كانوا وصلوا إليه أخيراً ، فقرر رأيه على أن عاد من عسكر مكرم إلى الأهواز لأنها أحصن وينتظر بالمقام فيها وصول العساكر ورأى أن يرسل أخاه الأمير أبا سعد إلى فارس حيث طلب إلى اصطخر على ما ذكرناه وسيّر معه جمعاً صالحاً من العساكر ظناً منه أن أخاه إذا

وصل إلى فارس، وملكت قلعة اصطخر انزعج الأمير أبو منصور وهزارسب ومن معهما واشتغلوا بتلك النواحي عنه فازداد قلقاً وضعفاً فلم يلتفت أولئك إلى الأمير أبي سعد بل ساروا مجدين إلى الأهواز فوصلوها أواخر ربيع الآخر ووقعت الحرب بين الفريقين يومين متتابعين كثر فيهما القتال واشتد فانهزم الملك الرحيم وسار في نفر قليل إلى واسط ولقي في طريقه مشقة وسلم واستقر بواسط فيمن لحق به من المنهزمين ونهبت الأهواز وأحرق فيها عدة محال وفقد في الوقعة الوزير كمال الملك أبو المعالي بن عبد الرحيم وزير الملك الرحيم فلم يعرف له خبر.

ذكر الفتنة بين العامة ببغداد وإحراق المشهد على ساكنيه السلام

في هذه السنة في صفر تجددت الفتنة ببغداد بين السنية والشيعة، وعظمت أضعاف ما كانت قديماً، فكان الاتفاق الذي ذكرناه في السنة الماضية غير مأمون الانتقاض لما في الصدور من الإِحَن. وكان سبب هذه الفتنة أن أهل الكرخ شرعوا في عمل باب السماكين وأهل القلائين في عمل ما بقي من باب مسعود، ففرغ أهل الكرخ وعملوا أبراجاً كتبوا عليها بالذهب محمد وعلي خير البشر وأنكر السنية ذلك وادعوا أن المكتوب محمد وعلي خير البشر فمن رضي فقد شكر ومن أبى فقد كفر، وأنكر أهل الكرخ الزيادة وقالوا ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا فأرسل الخليفة القائم بأمر الله أبا تمام نقيب العباسيين ونقيب العلويين وهو عدنان بن الرضي لكشف الحال وإنهائه فكتبا بتصديق قول الكرخيين فأمر حينئذ الخليفة ونواب الرحيم بكف القتال فلم يقبلوا، وانتدب ابن المذهب القاضي والزهيري وغيرهما من الحنابلة أصحاب عبد الصمد بحمل العامة على الإغراق في الفتنة، فأمسك نواب الملك الرحيم عن كفهم غيظاً من رئيس الرؤساء لميله إلى الحنابلة ومنع هؤلاء السنية من حمل الماء من دجلة إلى الكرخ. وكان نهر عيسى قد انفتحَ بثقُه فعظم الأمر عليهم وانتدب جماعة منهم وقصدوا دجلة وحملوا الماء وجعلوه في الظروف وصبوا عليه ماء الورد ونادوا الماء للسبيل فأغروا بهم السنية وتشدد رئيس الرؤساء على الشيعة فمحوا خير البشر وكتبوا عليهما السلام، فقالت السنية: لا نرضى إلا أن يقلع الآجر الذي عليه محمد وعلي وأن لا يؤذن حي على خير العمل وامتنع الشيعة من ذلك ودام القتال إلى ثالث ربيع الأول وقتل فيه رجل هاشمي من السنية فحمله أهله على نعش وطافوا به في

الحربية وباب البصرة وسائر محال السنة واستنفروا الناس للأخذ بثأره ثم دفنوه عند أحمد بن حنبل وقد اجتمع معهم خلق كثير أضعاف ما تقدم. فلما رجعوا من دفنه قصدوا مشهد باب التبن فأغلق بابه فنقبوا في سورها وتهددوا البواب فخافهم وفتح الباب فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضة وستور وغير ذلك ، ونهبوا ما في الترب والدور وأدركهم الليل فعادوا فلما كان الغد كثر الجمع فقصدوا المشهد وأحرقوا جميع الترب والأراج واحترق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمد بن علي والجوار والقبتان الساج اللتان عليهما ، واحترق ما يقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بني بويه معن الدولة وجلال الدولة ومن قبور الوزراء والرؤساء وقبر جعفر بن أبي جعفر المنصور وقبر الأمين محمد بن الرشيد وقبر أمه زبيدة وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجر في الدنيا مثله ، فلما كان الغد خامس الشهر عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمد بن علي لينقلوهما إلى مقبرة أحمد بن حنبل فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر فجاء الحفر إلى جانبه وسمع أبو تمام نقيب العباسيين وغيره من الهاشميين والسنية الخبر فجاؤوا ومنعوا عن ذلك وقصد أهل الكرخ إلى خان الفقهاء الحنفيين فنهبوه ، وقتلوا مدرس الحنفية أبا سعد السرخسي وأحرقوا الخان ودور الفقهاء وتعدت الفتنة إلى الجانب الشرقي فاقتتل أهل باب الطاق وسوق بج والأساكفة .وغيرهم . ولما انتهى خبر إحراق المشهد إلى نور الدولة دبيس بن مزيد عظم عليه واشتد وبلغ منه كل مبلغ لأنه وأهل بيته وسائر أعماله من النيل وتلك الولاية كلهم شيعة فقطعت في أعماله خطبة الإمام القائم بأمر الله فَروسِلَ في ذلك وعُوتِبَ فاعتذر بأن أهل ولايته شيعة واتفقوا على ذلك فلم يمكنه أن يشق عليهم كما أن الخليفة لم يمكنه كف السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا وأعاد الخطبة إلى حالها .

ذكر عصيان بني قرة على المستنصر بالله بمصر

في هذه السنة في شعبان عصى بنو قرة بمصر على المستنصر بالله الخليفة العلوي ، وكان سبب ذلك أنه أمر عليهم رجلاً منهم يقال له المقرب وقدمه فنفروا من ذلك وكرهوه واستعفوا منه فلم يعزله عنهم فكاشفوا بالخلاف والعصيان وأقاموا بالجيزة مقابل مصر ، وتظاهروا بالفساد فعبر إليهم المستنصر بالله جيشاً يقاتلهم ويكفهم فقاتلهم بنو قرة فانهزم الجيش وكثر القتل فيهم فانتقل بنو قرة إلى طرف البر فعظم الأمر على

المستنصر بالله وجمع العرب من طيء وكلب وغيرهما من العساكر وسيرهم في أثر بني قرة ، فأدركوهم بالبحيرة فواقعوهم في ذي القعدة واشتد القتال وكثر القتل في بني قرة وانهزموا وعاد العسكر إلى مصر وتركوا في مقابل بني قرة طائفة منهم لتردَّ بني قرة إن أرادوا التعرض في البلاد وكفى الله شرهم .

ذكر وفاة زعيم الدولة وإمارة قريش بن بدران

في هذه السنة في شهر رمضان توفي زعيم الدولة أبو كامل بركة بن المقلد بتكريت وكان انحدر إليها في حلله قاصداً نحو العراق لينازع النواب به عن الملك الرحيم وينهب البلاد فلما بلغها انتقض عليه جرح كان أصابه من الغز لما ملكوا الموصل فتوفي ، ودفن بمشهد الخضر بتكريت واجتمعت العرب من أصحابه على تأمير علم الدين أبي المعالي قريش بن بدران بن المقلد فعاد بالحلل والعرب إلى الموصل وأرسل إلى عمه قرواش وهو تحت الاعتقال يعلمه بوفاة زعيم الدولة وقيامه بالإمارة وأنه يتصرف على اختياره ويقوم بالأمر نيابة عنه ، فلما وصل قريش إلى الموصل جرى بينه وبين عمه قرواش منازعة ضعف فيها قرواش ، وقوي ابن اخيه ومالت العرب إليه واستقرت الإمارة له وعاد عمه إلى ما كان عليه من الاعتقال الجميل والاقتصار به على قليل من الحاشية والنساء والنفقة ثم نقلها إلى قلعة الجراحية من أعمال الموصل فاعتقل بها .

ذكر عدة حوادث

ظهر ببغداد يوم الأربعاء سابع صفر وقت العصر كوكب غلب نوره على نور الشمس له ذؤابة نحو ذراعين وسار سيراً بطيئاً ثم انقض والناس يشاهدونه . وفيها في رمضان أرسل السلطان طغرلبك إلى الخليفة جواباً عن رسالة الخليفة إليه وشكراً لإنعام الخليفة عليه بالخلع والألقاب وأرسل معه طغرلبك إلى الخليفة عشرة آلاف دينار عيناً وأعلاقاً نفيسة من الجواهر والثياب والطيب وغير ذلك ، وأرسل خمسة آلاف دينار للحاشية وألفي دينار لرئيس الرؤساء وأنزل الخليفة الرسل بباب المراتب وأمر بإكرامهم ولما جاء العيد أظهر أجناد بغداد الزينة الرائقة والخيول النفيسة والتجافيف الحسنة وأرادوا إظهار قوتهم عند الرسل .

وفيها عاد الغز أصحاب الملك داود أخي طغرلبك عن كرمان وسبب عودهم أن

عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة سار إلى خراسان فالتقى هو والملك داود واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم داود فاقتضى الحال عود أصحابه عن كرمان . وفيها أيضاً عاد السلطان طغرلبك عن أصبهان إلى الري ، وفيها توفي أبو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة بن كاكويه بالأهواز ، وكان قد استخلفه بها الأمير أبو منصور عند عوده عنها إلى شيراز ، فلما توفي خطب للملك الرحيم بالأهواز ، وفيها توفي أبو عبد الله الحسين بن المرتضى الموسوي، وفيها في ربيع الأول توفي أبو الحسن محمد بن محمد البصروي الشاعر وهو منسوب إلى قرية تسمى بصرى قريب عكبرا وكان صاحب نادرة قال له رجل شربت البارحة ماء كثيراً فاحتجت إلى القيام كل ساعة كأني جدي فقال له لم تصغر نفسك (ومن شعره) :

تـرى الـدنيـا وزينتهَـا فتصبـو ... ومـا يخلو مـن الشهـوات قلب
فضـول العيشِ أكثـرهـا همـوم ... وأكـثـرُ مـا يَضـركَ مـا تـحب
فـلا يَغـرركَ زُخـرفُ مـا تـراه ... وعـيشُ لـيـنِ الأعـطافِ رطب
إذا مـا بـلغـة جـاءتـك عفـواً ... فخـذهـا فـالغنىٰ مـرعىٰ وشـرب
إذا اتـفقَ الـقـليـلُ وفـيـه سلم ... فـلا تـردَّ الكثيـرَ وفيـه حـرب

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة

ذكر قتل عبد الرشيد صاحب غزنة وملك فرخ زاد

في هذه السنة قتل عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان سبب ذلك أن حاجباً لمودود ابن أخيه مسعود اسمه طغرل وكان مودود قد قدمه ونوه باسمه وزوجه أخته ، فلما توفي مودود وملك عبد الرشيد أجرى طغرل على عادته في تقدمه وجعله حاجب حجابه فأشار عليه طغرل بقصد الغز وإجلائهم من خراسان ، فتوقف استبعاداً لذلك فألح عليه طغرل فسيره في ألف فارس ، فسار نحو سجستان وبها أبو الفضل نائباً عن بيغو فأقام طغرل على حصار قلعة طاق ، وأرسل إلى أبي الفضل يدعوه إلى طاعة عبد الرشيد ، فقال له انني نائب عن بيغو وليس من الدين والمروءة خيانته فاقصده فإذا فرغت منه سلمت إليك فقام على حصار طاق أربعين يوماً فلم يتهيأ له فتحها . وكتب أبو الفضل إلى بيغو يعرفه حال طغرل فسار إلى سجستان ليمنع عنها طغرل ، ثم إن طغرل ضجر من مقامه على حصار طاق فسار نحو مدينة سجستان ، فلما كان على نحو فرسخ منها كمن بحيث لا يراه أحد لعلة يجدها وفرصة ينتهزها فسمع أصوات دبادب وبوقات فخرج وسأل بعض من على الطريق ، فأخبره أن بيغو قد وصل فعاد إلى أصحابه وأخبرهم وقال لهم : ليس لنا إلا أن نلقى القوم ونموت تحت السيوف أعزة فإنه لا سبيل لنا إلى الهرب لكثرتهم وقلّتنا فخرجوا من مكمنهم فلما رآهم بيغو سأل أبا الفضل عنهم ، فأخبره أنه طغرل فاستقل من معه وسيّر طائفة من أصحابه لقتالهم ، فلما رآهم طغرل لم يعرّج عليهم ، بل أقْحَمَ فرسه نهراً هناك فعبره وقصد بيغو ومن معه فقاتلهم وهزمهم طغرل وغنم ما معهم ثم عطف على الفريق الآخر فصنع بهم مثل ذلك وأم بيغو وأبو الفضل نحو هراة وتبعهم طغرل نحو فرسخين ، وعاد إلى المدينة فملكها .

وكتب إلى عبد الرشيد بما كان منه ، ويطلب الإمداد ليسير إلى خراسان فأمده

بعدة كثيرة من الفرسان فوصلوا إليه فاشتد بهم وأقام مديدة ، ثم حدث نفسه بالعود إلى غزنة والاستيلاء عليها ، فأعلم أصحابه ذلك وأحسن إليهم ، واستوثق منهم ورحل إلى غزنة طاوياً للمراحل كأنما أمره فلما صار على خمسة فراسخ من غزنة أرسل إلى عبد الرشيد مخادعاً له يعلمه أن العسكر خالفوا عليه وطلبوا الزيادة في العطاء وأنهم عادوا بقلوب متغيرة ومستوحشة ، فلما وقف على ذلك جمع أصحابه وأهل ثقته وأعلمهم الخبر فحذروه منه وقالوا له : إن الأمر قد أعجل عن الاستعداد وليس غير الصعود إلى القلعة والتحصن بها فصعد إلى قلعة غزنة وامتنع بها ووافى طغرل من الغد إلى البلد ، ونزل في دار الإمارة وراسل المقيمين بالقلعة في تسليم عبد الرشيد ووعدهم ورغبهم إن فعلوا وتهددهم إن امتنعوا فسلموه إليه فأخذه طغرل فقتله واستولى على البلد وتزوج ابنة مسعود كرهاً . وكان في الأعمال الهندية أمير يسمى خرخيز ومعه عسكر كثير ، فلما قتل طغرل عبد الرشيد واستولى على الأمر كتب إليه ودعاه إلى الموافقة والمساعدة على ارتجاع الأعمال من أيدي الغز ووعده على ذلك . وبذل البذول الكثيرة فلم يرض فعله وأنكره وامتعض منه وأغلظ له في الجواب ، وكتب إلى ابنة مسعود بن محمود زوجة طغرل ووجوه القواد ينكر ذلك عليهم ، ويوبخهم على إغضائهم وصبرهم على ما فعله طغرل من قتل ملكهم وابن ملكهم ويحثهم على الأخذ بثأره . فلما وقفوا على كتبه عرفوا غلطهم ودخل جماعة منهم على طغرل ووقفوا بين يديه فضربه أحدهم بسيفه وتبعه الباقون فقتله ، وورد خرخيز الحاجب بعد خمسة أيام وأظهر الحزن على عبد الرشيد وذم طغرل ومن تابعه على فعله وجمع وجوه القواد وأعيان أهل البلد وقال لهم لقد عرفتم ما جرى مما خولفت به الديانة والأمانة وأنا تابع ولا بد للأمر من سائس فاذكروا ما عندكم من ذلك ، فأشاروا بولاية فرخزاد بن مسعود بن محمود وكان محبوساً في بعض القلاع فأحضر وأجلس بدار الإمارة وأقام خرخيز بين يديه يدبر الأمور وأخذ من أعان على قتل عبد الرشيد فقتله فلما سمع داود أخو طغرلبك صاحب خراسان قتل عبد الرشيد جمع عساكره وسار إلى غزنة . فخرج إليه خرخيز ومنعه وقاتله فانهزم داود وغنم ما كان معه ولما استقر ملك فرخزاد وثبت قدمه جهز جيشاً جراراً إلى خراسان فاستقبلهم الأمير كلسارغ ، وهو من أعظم الأمراء فقاتلهم وصبر لهم فظفروا به وانهزم أصحابه عنه وأخذ أسيراً وأسر معه كثير من عسكر خراسان ووجوههم وأمرائهم ، فجمع ألب أرسلان عسكراً كثيراً وسير والده داود في ذلك العسكر إلى

الجيش الذي أسروا كلسارغ فقاتلهم وهزمهم وأسر جماعة من أعيان العسكر فأطلق فرخزاد الأسرى وخلع على كلسارغ وأطلقه .

ذكر وصول الغز إلى فارس وانهزامهم عنها

في هذه السنة وصل أصحاب السلطان طغرلبك إلى فارس وبلغوا إلى شيراز ونزلوا بالبيضاء واجتمع معهم العادل أبو منصور الذي كان وزير الأمير أبي منصور الملك أبي كاليجار ودبر أمرهم فقبضوا عليه وأخذوا منه ثلاث قلاع وهي قلعة كبزة وقلعة جويم وقلعة بهندر فأقاموا بها وسار من الغز نحو مائتي رجل إلى الأمير أبي سعد أخي الملك الرحيم وصاروا معه وراسل أبو سعد الذين بالقلاع المذكورة فاستمالهم فأطاعوه وسلموا القلاع إليه وصاروا في خدمته واجتمع العسكر الشيرازي وعليهم الظهير أبو نصر وأوقعوا بالغز بباب شيراز فانهزم الغز وأسر تاج الدين نصر بن هبة الله بن أحمد وكان من المقدمين عند الغز فلما انهزم الغز وسار العسكر الشيرازي إلى فسا ، وكان قد تغلب عليها بعض السفل وقوي أمره لاشتغال العساكر بالغز فأزالوا المتغلب عليها واستعادوها

ذكر الحرب بين قريش وأخيه المقلد

في هذه السنة جرى خلف بين علم الدين قريش بن بدران وبين أخيه المقلد وكان قريش قد نقل عمه قرواشاً إلى قلعة الجراحية من أعمال الموصل وسجنه بها وارتحل بطلب العراق فجرى بينه وبين أخيه المقلد منازعة أدت إلى الاختلاف ، فسار المقلد إلى نور الدولة دبيس بن مزيد ملتجئاً إليه فحمل أخاه الغيظ منه على أن نهب حلته وعاد إلى الموصل واختلت أحواله واختلفت العرب عليه وأخرج نواب الملك الرحيم ببغداد إلى ما كان بيد قريش من العراق بالجانب الشرقي من عكبرا والعلث وغيرهما من قبض غلته وسلم الجانب الغربي من أوانا ونهر بيطر إلى أبي الهندي بلال بن غريب . ثم إن قريشاً استمال العرب وأصلحهم فأذعنوا له بعد وفاة عمه قرواش فإنه توفي هذه الأيام وانحدر إلى العراق ليستعيد ما أخذ منه فوصل إلى الصالحية وسير بعض أصحابه إلى ناحية الحظيرة وما والاها فنهبوا ما هناك وعادوا فلقوا كامل بن محمد بن المسيب صاحب الحظيرة فأوقع بهم وقاتلهم فأرسلوا إلى قريش يعرفونه الحال فسار إليهم في عدة كثيرة من العرب والأكراد فانهزم كامل وتبعه قريش فلم يلحقه فقصد حلل بلال بن غريب وهي خالية من الرجال فنهبها وقاتله بلال وأبلى بلاءً حسناً فجرح ثم انهزم ،

وراسل قريش نواب الملك الرحيم يبذل الطاعة ويطلب تقرير ما كان له عليه فأجابوه إلى ذلك على كره لقوته وضعفهم واشتغال الملك الرحيم بخوزستان عنهم فاستقر أمره وقوي شأنه .

ذكر وفاة قرواش

في هذه السنة مستهل رجب توفي معتمد الدولة أبو المنيع قرواش بن المقلد العقيلي الذي كان صاحب الموصل محبوساً بقلعة الجراحية من أعمال الموصل على ما ذكرناه قبل وحمل ميتاً إلى الموصل ودُفن بتل توبة من مدينة نينوى شرقي الموصل ، وكان من رجال العرب وذوي العقل منهم وله شعر حسن فمن ذلك ما ذكره أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزي في دمية القصر من شعره :

لله در النائبات فإنها ... صدأ النفوس وصيقل الأحرار
ما كنت إلا زبرة فطبعنني ... سيفاً وأطلق شفرتي وغراري

وذكر له ايضاً :

من كان يحمدُ أو يذمُ موروثاً ... لمال من آبائه وجدوده
إني امرؤ لله شكر وحده ... شكراً كثيراً جالباً لمزيده
لي أشقر سمح العنان مغاور ... يعطيك ما يرضيك من مجهوده
ومهند عضب إذا جردته ... خلت البروق تموج في تجريده
ومثقف لدن السنان كأنما ... أم المنايا ركبت في عوده
وبذا حويت المال إلا أنني ... سلطت جود يدي على تبديده

قيل إنه جمع بين أختين في نكاحه فقيل له إن الشريعة تحرم هذا فقال : وأي شيء عندنا تجيزه الشريعة ، وقال مرة ما في رقبتي غير خمسة أو ستة من البادية قتلتهم وأما الحاضرة فلا يعبأ الله بهم .

ذكر استيلاء الملك الرحيم على البصرة

في هذه السنة في شعبان سير الملك الرحيم جيشاً مع الوزير والبساسيري إلى البصرة وبها أخوه أبو علي بن أبي كاليجار فحصروه بها فأخرج عسكره في السفن

وفيها، في ذي القعدة، توفّي أبو الفتح المظفّر[1] بن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المُسلمة، وكان بيته مجمع الفُضلاء وأهل الدّين، ومن جملة من كان عنده إلى أن توفّي الشيخ أبو إسحاق الشيرازيُّ.

وفيها توفّي أبو الفرج سهل بن بِشْر[2] بن أحمد الإسْفَرايينيُّ، وهو من أعيان المحدّثين.

(١) انظر عن (المظفر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩١ هـ) ص ١٠٧، ١٠٨ رقم ٤٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) في (ب) «شير». والمثبت هو الصحيح. انظر عنه في تاريخ الإسلام(وفيات ٤٩١ هـ) ص ٩٣، ٩٤ رقم ٢٣ وفيه مصادر ترجمَته.

٤٩٢
ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة

ذكر عصيان الأمير أُنَر[١] وقتله

لمّا سار السلطان بركيارُق إلى خُراسان ولّى الأميرَ أُنَر[١] بلاد فارس جميعها، وكانت قد تغلّب عليها الشوانكارة[٢] على اختلاف بطونهم وقبائلهم، واستعانوا بصاحب كَرمَان إيران شاه[٣] بن قاورت[٤]، فاجتمعوا، وصافّوا الأمير أُنَر، وكسروه، وعاد مفلولاً إلى أصبهان، وأرسل إلى السلطان يستأذنه في اللّحاق به إلى خُراسان، فأمره بالمُقام ببلد الجبال، وولاّه إمارة العراق، وكاتب العساكر المجاورة له بطاعته. فأقام بأصبهان، (وسار منها إلى أقطاعه بأَذَرْبَيْجان، وعاد وقد انتشر أمر الباطنيّة بأصبهان، فندب نفسه لقتالهم)[٥]، وحصر قلعة على جبل أصبهان.

واتّصل به مؤيّد المُلْك بن نظام المُلْك، وكان ببغداذ، فسار منها إلى الحلّة، فأكرمه صَدَقَة، وسار من عنده إلى الأمير أُنَر، فلمّا اجتمع بالأمير أُنَر خوّفه هو وغيره من السلطان بركيارق، وعظّموا عليه الاجتماع به، وحسّنوا له البُعد عنه، وأشاروا عليه بمكاتبة غِياث الدين محمّد بن ملكشاه، وهو إذ ذاك بكَنْجَةَ، فعزم على المخالفة للسلطان، وتحدّث فيه، فظهر ذلك، فزاد خوفه من السلطان، فجمع من العساكر المعروفين بالشجاعة نحو عشرة آلاف فارس، وسار من أصبهان إلى الريّ، وأرسل إلى السلطان يقول: إنّه مملوك، ومطيع، إن سلّم إليه مجد المُلْك البلاسانيّ، وإن لم يسلّمه إليه فهو عاصٍ خارج عن الطاعة.

---

(١) في (ب) «أنز»، وكذا في أصل المخطوط من تاريخ الإسلام. وفي نهاية الأرب ٣٤١/٢٦ «أتسز».

(٢) في (ب) «الشوانكار»، وفي الباريسية: «شوانكارة».

(٣) في (ب) «انران شاه»، والباريسية: «انر بن شاه».

(٤) في تاريخ الإسلام: «قاروت».

(٥) في (ب): «فهرب الى قتالهم».

فبينما هو يُفْطِر، وكانت عادته [أن] يصوم أيّاماً من الأسبوع، فلمّا قارب الفراغ من الإفطار هجم عليه ثلاثة نفر من الأتراك المولّدين بخُوارزم، وهم من جُملة خيله، فصدم أحدهم المِشْعَل فألقاه، وصدم الآخر الشمعة فأطفأها، وضربه الثالث بالسكّين فقتله، وقتل معه جانْداره، واختلط الناس في الظُّلْمة، ونهبوا خزائنه، وتفرّق عسكره، وبقي مُلقىً فلم يوجد ما يُحمل عليه، ثم حُمل إلى داره بأصبهان، ودُفن بها.

ووصل خبر قتله إلى السلطان بركيارق، وهو بخُوارِ الرَّيّ، قد خرج من خُراسان عازماً على قتاله، وهو على غاية الحذر من قتاله وعاقبة أمره، وفرح مجد المُلك البلاسانيُّ بقتله، وكان له مثل يومه عن قريب، وكان عمر أُنَر سبعاً[1] وثلاثين سنة، وكان كثير الصوم والصلاة والخير[2] والمحبّة للصالحين[3].

ذكر ملك الفرنج، لعنهم الله، البيت المقدّس

كان البيت المقدّس لتاج الدولة تُتُش، وأقطعه للأمير سُقمان[4] بن أُرتُق التركمانيّ، فلمّا ظفر الفرنج بالأتراك على أنطاكية، وقتلوا فيهم، ضعُفوا، وتفرّقوا، فلمّا رأى المصريّون ضعف الأتراك ساروا إليه، ومقدّمهم الأفضل بن بدر الجماليُّ، وحصروه، وبه الأمير سُقمان، وإيلغازي ابنا أُرتُق، وابن عمّهما سونج، وابن أخيهما ياقوتي، ونصبوا[5] عليه نيّفاً وأربعين منجنيقاً، فهدموا مواضع من سوره، وقاتلهم أهل البلد، فدام القتال[6] والحصار نيّفاً وأربعين يوماً، وملكوه بالأمان في شعبان سنة تسعٍ وثمانين وأربعمائة.

وأحسن الأفضل إلى سُقمان وإيلغازي ومَن معهما، وأجزل لهم العطاء، وسيّرهم فساروا إلى دمشق، ثم عبروا[7] الفرات، فأقام سُقمان ببلد الرُّها وسار إيلغازي إلى العراق، واستناب المصريّون فيه رجلاً يُعرف بافتخار الدولة، وبقي فيه إلى الآن. فقصده

---

(١) في الأوربية: «سبع».
(٢) من الباريسية.
(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٢ هـ) ص ١٥، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٠، ٢١، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤١، ٣٤٢.
(٤) في الباريسية: «سكمان».
(٥) في الأوربية: «ونصب».
(٦) في الباريسية: «المنجنيق».
(٧) في الأصل: «عبر».

الفرنج، بعد أن حصروا عكّا، فلم يقدروا عليها، فلمّا وصلوا إليه حصروه نيّفاً وأربعين يوماً، ونصبوا عليه برجَيْن أحدهما من ناحية صِهيَوْن، وأحرقه المسلمون، وقتلوا كلّ من به.

فلمّا فرغوا من إحراقه أتاهم المستغيث بأنّ المدينة قد مُلكتْ من الجانب الآخر، وملكوها من جهة الشمال[١] منه ضَحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان، وركب الناسَ السيفُ، ولبث الفرنج في البلدة أُسبوعاً يقتلون فيه المسلمين، واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود، فاعتصموا به، وقاتلوا فيه ثلاثة أيّام، فبذل لهم الفرنج الأمان، فسلّموه إليهم، ووفى[٢] لهم الفرنج، وخرجوا ليلاً إلى عَسْقَلان فأقاموا بها.

وقتل الفرنج، بالمسجد الأقصى، ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كثيرة من أئمّة المسلمين، وعلمائهم، وعُبّادهم، وزُهّادهم، ممّن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف، وأخذوا من عند الصخرة نيّفاً وأربعين قِنديلاً من الفضّة، وزن كلّ قِنديل ثلاثة آلاف وستّمائة درهم، وأخذوا تَنّوراً من فضّة وزنه أربعون[٣] رِطلاً بالشامي، وأخذوا من القناديل الصغار[٤] مائة وخمسين قنديلاً (نُقْرة، ومن الذهب نيّفاً وعشرين قنديلاً)[٥]، وغنموا منه ما لا يقع عليها الإحصاء.

وورد المستَنفرون من الشام، في رمضان، إلى بغداذ صُحبة القاضي أبي سعد الهَرَويّ، فأوردوا في الديوان كلاماً أبكى العيون، وأوجع القلوب، وقاموا بالجامع يوم الجمعة، فاستغاثوا، وبكوا وأبكوا[٦]، وذُكر ما دهم المسلمين بذلك البلد الشريف المعظَّم مِن قتْل الرجال، وسبْي الحريم والأولاد، ونهب الأموال، فلشدّة ما أصابهم أفطروا، فأمر الخليفة أن يُسَيّر القاضي أبو محمّد الدّامغانيُّ، وأبو بكر الشاشيُّ، وأبو القاسم الزّنجانيُّ، وأبو الوفا بن عُقيل، وأبو سعد الحُلوانيُّ، وأبو الحسين بن سماك[٧]، فساروا إلى حُلوان، (فبلغهم قتل)[٨] مجد المُلك البلاسانيّ، على ما نذكره، فعادوا من

---

(١) في الأوربية: «الشماليّ».

(٢) في الأوربية: «ووفا».

(٣) في الأوربية: «أربعين».

(٤) في الأوربية: «الصفار».

(٥) من (ب).

(٦) من (ب).

(٧) في (ب): «السماك».

(٨) في الباريسية: «فمنعهم».

غير بلوغ أرَب، ولا قضاء حاجة[1].

واختلف السلاطين على ما نذكره، فتمكّن الفرنج من البلاد، فقال أبو المظفّر الآبِيوردِيُّ، في هذا المعنى، أبياتاً منها:

مَزَجْنَا دِماءً بالدُّموعِ السَّواجمِ، فلم يَبقَ منّا عُرضةٌ[2] للمَراحمِ

وشرُّ سلاحِ المَرْءِ دَمعٌ يُفيضُهُ[3]، إذا الحربُ شُبّتْ نارُها بالصَّوارمِ

فإيهاً، بني الإسلامِ، إنّ وراءكم وقائعَ يُلحِقْنَ الذُّرى بالمنَاسِمِ

أتَهْويمةٌ في ظلّ أمْنٍ وغِبطةٍ، وعيشٍ كَنُوّارِ الخَميلةِ ناعمِ

وكيفَ تنامُ العَينُ ملءَ جُفونِها، على هَفَواتٍ[4] أيقظَتْ كلَّ نائمِ

وإخوانُكم بالشام يُضحي[5] مَقيلُهم ظُهورَ المَذاكي، أو بُطونَ القَشاعِمِ

تَسُومُهُمُ الرُّومُ الهَوانَ، وأنتُمُ تَجُرُّونَ ذَيلَ الخَفْضِ فِعلَ المُسالمِ

وكَم من دماءٍ قد أُبيحَت، ومن دُمىً[6] تَوارَى حياءً حُسْنُها بالمَعاصِمِ

بحيثُ السيوفُ البيضُ مُحْمَرَّةُ الظُّبى وسُمْرُ العَوالي دامياتُ اللَّهاذِمِ

وبينَ اختلاسِ الطَّعْنِ والضَّربِ وقفةٌ[7] تَظَلُّ لها الوِلْدانُ شيبَ القَوادِمِ

وتلكَ حروبٌ مَن يَغِبْ عن غِمارِها ليسلَمَ، يَقرَعْ بَعدَها سِنَّ نادِمِ

سَلَلْنَ بأيدي المُشركينَ قَواضباً، ستُغْمَدُ منهم في الطُّلى والجَماجمِ

يَكادُ[8] لَهُنَّ المُستَجِنُّ[9] بطيبةٍ يُنادي بأعلَى الصَّوتِ يا آلَ هاشِمِ

---

(١) انظر عن سقوط بيت المقدس في: ذيل تاريخ دمشق ١٣٧، والمنتظم ٩/ ١٠٥(١٧/ ٤٧)، وتاريخ مختصر الدول ١٩٧، ووفيات الأعيان ١/ ١٧٩، والمختصر لأبي الفداء ٢/ ٢١١، وأعمال الفرنجة ١١٨، ١١٩، والألكسيا لأنا كومنينا ١٦٦، وتاريخ الرهاوي ٢/ ٤٥٩، والعبر ٣/ ٣٣٢، ودول الإسلام ٢/ ٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٢ هـ.) ص ١٥ـ ١٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١١، ومرآة الجنان ٣/ ١٥٤ و ١٥٨، والإعلام والتبيين ١١، ومآثر الإنافة٢/ ١٥، واتعاظ الحنفا ٣/ ٢٣، وتاريخ الخلفاء ٤٢٧، والجوهر الثمين ١٩٩، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٢١، وشذرات الذهب ٣/ ٣٩٧، وأخبار الدول ٢/ ١٦٧، وتاريخ الأزمنة ٨٩، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٥٦ـ ٢٥٨.

(٢) في الأوربية: «عرصة».

(٣) في البداية والنهاية: «يريقه».

(٤) في (ب) وتاريخ ابن الوردي : «هبوات». وفي الباريسية: «هعوات» وفي المنتظم «هنوات».

(٥) في الباريسية: «نضحي».

(٦) في المختصر «ومن دم».

(٧) في (ب) «وقعة».

(٨) في المنتظم، والنجوم الزاهرة «وكاد».

(٩) في البداية والنهاية: «المستجير».

أرَى أُمّتي لا يَشْرَعُونَ إلى العِدَى رماحَهم، والدِّينُ واهي الدَّعائمِ
ويَجتَنِبُونَ النارَ خَوفاً من الرَّدَى، ولا يَحسَبُون العارَ ضَربةَ لازِمِ
أترضى صَناديدُ الأعاريب بالأذَى، ويُغضي[1] على ذُلٍّ كُماةُ الأعاجمِ

ومنها:

فَليتهُمُ، إذ لم يَذُودوا[2] حَميّةً عن الدِّين، ضنّوا غَيرةً بالمَحارمِ
وإنْ زهدوا في الأجر، إذ حَمس الوَغى، فهَلاّ أتَوْه رَغبةً في الغَنائمِ
لَئن أذعنَتْ تلك الخَياشيمُ للبُرَى، فلا عَطَسُوا[3] إلاّ بأجْدعَ راغِمِ
دَعَوْناكُمُ، والحربُ ترنُو مُلِحّةً إلينا، بألحاظ النّسورِ القَشَاعِمِ
تُراقبُ فينا غارةً عَربيّةً، تُطِيلُ عليها الرُّومُ عَضَّ الأباهمِ
فإنْ أنتُمُ لم تَغضَبُوا بعدَ هذِهِ، رمَيْنَا إلى أعدائِنا بالجَرائمِ[4]

ذكر الحرب بين المصريّين والفرنج

في هذه السنة، (في رمضان)[5]، كانت وقعة بين العساكر المصريّة والفرنج، وسببها أنّ المصريّين لمّا بلغهم ما تمّ على أهل القُدس، جمع الأفضل أميرُ الجيوش العساكر، وحشد، وسار إلى عَسْقَلان، وأرسل إلى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا، ويتهدّدهم، فأعادوا الرسول بالجواب ورحلوا على[6] أثره، وطلعوا على المصريّين، عُقَيْب وصول الرسول، ولم يكن عند المصريّين خبرٌ من وصولهم، ولا من حركتهم، ولم يكونوا على أُهْبةِ القتال، فنادوا إلى ركوب خيولهم، ولبسوا أسلحتهم، وأعجلهم الفرنج، فهزموهم، وقتلوا منهم من قُتل، وغنموا ما في المعسكر من مال وسلاح وغير ذلك.

وانهزم الأفضل، فدخل عَسقّلان[7]، ومضى جماعة من المنهزمين فاستتروا بشجر

(١) في (ب): «ويقضي» وفي تاريخ ابن الوردي «تقضي».
(٢) في تاريخ الإسلام «يردّوا».
(٣) في (ب): «عطشوا».
(٤) انظر الأبيات أو بعضها في: المنتظم ١٠٨/٩(٤٧/١٧، ٤٨)، والمختصر ١١/٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٢ هـ.) ص ١٨، ١٩، وتاريخ ابن الوردي ١١/٢، والنجوم الزاهرة ١٥١/٥، وتاريخ الخلفاء ٤٢٧، ٤٢٨، والبداية والنهاية ١٥٦/١٢، ١٥٧.
(٥) من (ب).
(٦) في (ب): «في».
(٧) من الباريسية.

الجُمّيز، وكان هناك كثيراً، فأحرق الفرَنج بعضَ الشّجَر، حتّى هلَك مَن فيه، وقتلوا مَن خرج منه، وعاد الأفضل في خواصّه إلى مصر، ونازل الفرَنجُ عَسْقَلان، وضايقوها، فبذل لهم أهلها قطيعة اثني عشر ألف دينار، وقيل عشرين ألف دينار، ثم عادوا إلى القُدس[١].

ذكر ابتداء ظهور السلطان محمّد بن ملكشاه

كان السلطان محمّد وسَنجَر أخوين[٢] لأمّ وأبٍ، أمّهما أمّ ولد، ولمّا مات أبوه ملكشاه كان محمّد معه ببغداذ، فسار مع أخيه محمود، وتركان خاتون زوجة والده إلى أصبهان، ولمّا حصر بركيارُق أصبهان خرج محمّد متخفّياً، ومضى إلى والدته، وهي في عسكر أخيه بركيارُق، وقصد أخاه السلطان بركيارق، وسار معه إلى بغداذ سنة ستّ وثمانين وأربعمائة، وأقطعه بركيارق كَنْجَةَ وأعمالها، وجعل معه أتابكاً له الأمير قتلغ[٣] تكين، فلمّا قوي محمّد قتله، واستولى على جميع أعمال أرّان الذي من جملته كَنْجَة، فعرف ذلك الوقت شهامة محمّد.

وكان السلطان[٤] ملكشاه قد أخذ تلك البلاد من فضلون بن أبي الأسوار الروادي، وسلّمها إلى سرهنك ساوتكين الخادم، وأقطع فضلون أسْتَراباذ، وعاد فضلون ضمن بلاده، ثم عصى فيها لمّا قوي، فأرسل السلطان إليه الأمير بُوزان، فحاربه وأسره، وأقطع بلاده لجماعة منهم: ياغي[٥] سيان، صاحب أنطاكية، ولمّا مات ياغي[٥] سيان عاد ولده إلى ولاية أبيه في هذه البلاد، وتوفّي فضلون ببغداذ سنة أربعٍ وثمانين [وأربعمائة] وهو على غايةٍ من الإضاقة في مسجد على دجلة.

وقد ذكرنا فيما تقدّم تنقل الأحوال بمؤيّد المُلك عُبيد الله بن نظام المُلك، وأنّه كان عند الأمير أُنَر، فحسّن له عصيان السلطان بركْيارُق. فلمّا قُتل أُنَر سار إلى الملك محمّد، فأشار عليه بمخالفة أخيه، والسعي في طلب السلطنة، ففعل ذلك، وقطع خطبة بركيارق(من بلاده)[٦]، وخطب لنفسه بالسلطنة واستوزر مؤيّد الملك.

---

(١) تاريخ الزمان ١٢٥، ذيل تاريخ دمشق ١٣٧، أعمال الفرنجة ١٢٤، دول الإسلام ٢/٢١، تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٢ هـ.) ص ١٩، ٢٠، الإعلام والتبيين ١١، الجوهر الثمين ١٩٩، النجوم الزاهرة ٥/١٤٩.

(٢) في الأوربية: «أخوان».

(٣) في (ب): «صالح».

(٤) في الباريسية زيادة: «محمد بن».

(٥) في طبعة صادر ١٠/٢٨٧«باغي».

(٦) من الباريسية.

واتّفق قتل مجد الملك البلاسانيّ[1]، واستيحاش العسكر من السلطان بركْيارُق، وفارقوه وساروا نحو السلطان محمّد، فلقوه بخُرَّقان، فصاروا معه، وساروا نحو الرَّيّ.

وكان السلطان بركْيارُق لمّا فارقه عسكره سار مُجِدّاً إلى الرَّيّ، فأتاه بها الأمير ينّال بن أنوشتكين الحسامي، وهو من أكابر الأمراء، ووصل إليه أيضاً عزّ المُلك منصور بن نظام المُلك، وأمّه ابنة ملك الأبخاز، ومعه عساكر جمّة، فبلغه مسير أخيه محمّد إليه في العساكر، فسار من الريّ إلى أصفهان، فلم يفتح أهلها له الأبواب، فسار إلى خُوزِسْتان، على ما نذكره.

وورد السلطان محمّد إلى الريّ ثاني ذي القعدة، فوجد زُبيدة خاتون والدة أخيه السلطان بركْيارُق قد تخلّفت بعد ابنها، فأخذها مؤيّد المُلك وسجنها في القلعة، وأخذ خطّها بخمسة آلاف دينار، وأراد قتلها، وأشار عليه ثقاته أن لايفعل ذلك، فلم يقبل منهم، وقالوا له: العسكر محبّون لولدها، وإنّما استوحشوا منه لأجلها، ومتى قُتلت عدلوا عليه[2]، فلا تغترّ بهؤلاء الجُند، فإنهم غدروا بمن أحسن إليهم أوثق ما كان بهم، فلم يُصْغِ إلى قولهم، ورفعها إلى القلعة، وخُنقت، وكان عمرها اثنتين وأربعين سنة. فلمّا أسر السلطان بركْيارُق مؤيّد المُلك رأى خطّه في تذكرته بخمسة آلاف دينار، فكان أعظم الأسباب في قتله[3].

ذكر الخطبة ببغداذ للملك محمّد

لمّا قوي أمر السلطان محمّد سار إليه سعد الدولة كوهرائين من بغداذ، وكان قد استوحش من السلطان بركْيارُق، فاجتمع هو وكربوقا، صاحب الموصل، وجكرمش، صاحب الجزيرة[4]، وسُرخاب بن بدر، صاحب كِنْكَوَر، وغيرها، فساروا إلى السلطان محمّد، فلقوه بقُمّ، فردّ سعد الدولة إلى بغداذ، وخلع عليه، وسار كربوقا وجكرمش في خدمته إلى أصبهان، ولمّا وصل كوهرائين إلى بغداذ خاطب الخليفة في الخطبة للسلطان محمّد، فأجاب إلى ذلك، وخُطب له يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجّة،

---

(١) في نهاية الأرب، وتاريخ الإسلام «الباسلاني» وفي تاريخ ابن خلدون: «البارسلاني» و «الباسلاني». (٣/ ٤٨٢) و (٥/ ٢٢).

(٢) في (ب): «اليه».

(٣) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤٢، المختصر ٢/ ٢١٢، دول الإسلام ٢/ ٢٢، تاريخ الإسلام ٢٠، ٢١، مرآة الجنان ٣/ ١٥٤، البداية والنهاية ١٢/ ١٥٧، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٢.

(٤) في (ب): «جزيرة ابن عمر».

ولُقّب «غياب الدنيا والدين»[١].

ذكر قتل مجد الملك البلاسانيّ

قد ذكرنا تحكّم مجد المُلك أبي الفضل أسعد بن محمّد في دولة السّلطان بركْيارُق، وتمكّنه منها. فلمّا بلغ الغاية التي لامزيدَ عليها جاءته نكبات الدنيا ومصائبها من حيث لايحتسب.

وأمّا سبب قتله، فإنّ الباطنيّة لمّا توالى منهم قتلُ الأمراء الأكابر من الدولة السلطانيّة، نسبوا ذلك إليه، وأنه هو الذي وضعهم على قتل من قتلوه، وعظّم ذلك قتلُ الأمير بُرْسُق، فاتّهم أولادُه زنكي واقبوري وغيرهما، مجدَ المُلك بقتله، وفارقوا السلطان.

(وسار السلطان إلى زَنجَان لأنه بلغه خروج السلطان محمّد)[٢] عليه، على ما ذكرناه، فطمع حينئذٍ الأمراء، فأرسل أمير آخر، وبلكابك، وطغايرك بن اليزن[٣]، وغيرهم، إلى الأمراء بني بُرسُق يستحضرونهم إليهم ليتّفقوا معهم على مطالبة السلطان بتسليم مجد المُلك إليهم ليقتلوه، فحضروا عندهم، فأرسلوا إلى السلطان بركْيارُق، وهم بِسِجَاس، مدينة قريبة من هَمذان، يلتمسون تسليمه إليهم، ووافقهم على ذلك العسكر جميعه، وقالوا: إن سُلّم إلينا فنحن العبيد الملازمون للخدمة، وإنْ منعنا فارقنا، وأخذناه قهراً. فمنع السلطان منه، فأرسل مجد المُلك إلى السلطان يقول له: المصلحة أن تحفظ أمراء دولتك، وتقتلني أنت لئلاّ يقتلني القوم فيكون فيه وهنٌ على دولتك. فلم تَطبْ نفس السلطان بقتله، وأرسل إليهم يستحلفهم على حِفْظِ نفسه، وحبسه في بعض القلاع، فلمّا حلفوا سلّمه إليهم، فقتله الغلمان قبل أن يصل إليهم، فسكنت الفتنة.

ومن العجب أنه كان لايفارقه كَفنُه سَفَراً وحَضَراً، ففي بعض الأيّام فتح خازنه صندوقاً، فرأى الكفَن، فقال: وما أصنع بهذا؟ إنّ أمري لايؤول إلى كفن، والله ما أبقى إلاّ طريحاً على الأرض. فكان كذلك، ورُبّ كلمةٍ تقول لقائلها دَعْني.

ولمّ قُتل حُمل رأسه إلى مؤيّد[٤] المُلك بن نظام المُلك. وكان مجد المُلك خيّراً،

---

(١) تاريخ الزمان ١٢٥، نهاية الأرب ٢٦/٣٤٣، المختصر ٢/٢١٢، العبر ٣/٣٣٣، دول الإسلام ٢/٢٢، تاريخ الإسلام ٢١، تاريخ ابن الوردي ٢/١١، تاريخ الخلفاء ٤٢٨.

(٢) في (ب) « محمود ومؤيد الملك».

(٣) في الباريسية: «النزن»، وفي (ب): «النون».

(٤) في الأوربية: «يؤيد».

كثير الصلاة بالليل، كثير الصدقة، لاسيّما على العلويّين وأرباب البيوتات[1]، وكان يكره سفك الدماء، وكان يتشيَّع إلاّ أنّه كان يذكر الصحابة ذِكراً حسناً، ويعلن من يسبّهم. ولمّا قُتل أرسل الأمراء يقولون للسلطان: المصلحة أن تعود إلى الريّ، ونحن نمضي إلى أخيك فنقاتله ونقضي هذا المهمّ. فسار بعد امتناع، وتبعه مائتا فارس لا غير، ونهب العسكر سُرادق السلطان ووالدته وجميع أصحابه، وعاد إلى الريّ، وسار العسكر إلى السلطان محمّد[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في شعبان، وصل إلْكِيا أبو الحسن عليُّ بن محمّد الطبريُّ المعروف بالهرّاس، الفقيه الشافعيُّ، ولقبُه عماد الدين شمس الإسلام، برسالة من السلطان بركْيارُق إلى الخليفة، وهو من أصحاب إمام الحرمَيْن أبي المعالي الجوَينيّ، ومولده سنة خمسين وأربعمائة، واعتنى بأمره مجد المُلك البلاسانيُّ، وقام له الوزير عميد الدولة بن جَهِير لمّا دخل عليه.

وفيها قُتل أبو القاسم ابن إمام الحرمَيْن(أبي المعالي الجُوَيْنيّ)[3] بنَيسابور، وكان خطيبها، واتّهم العامّة أبا البركات الثعلبيّ بأنّه هو الذي سعى في قتله،فوثبوا به فقتلوه وأكلوا لحمه.

وفيها كان بخُراسان غلاء شديد، تعذّرت فيه الأقوات، ودام سنتَيْن، وكان سببه أنّ البرد أهلك الزروع جميعها، ولحق الناس بعده وباء جارف، فمات منهم(خلق كثير)[4] عجزوا عن دفنهم لكثرتهم[5].

[الوفيات]

وفيها، في شعبان، توفّي أبو الغنائم الفارقيُّ[6]، الفقيه الشافعيُّ، بجزيرة ابن عُمَر، وكان إماماً فاضلاً زاهداً.

---

(١) في (ب): «البيوت».

(٢) انظر عن (البلاساني) في: المناقب المزيدية ٤٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٨٠ رقم ١٠٠، وتاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٢ هـ.) ص ١٣٤، ١٣٥ رقم ٩٢.

(٣) من الباريسية.

(٤) من الباريسية وفيها زيادة «من».

(٥) المنتظم ٩/ ١٠٩، تاريخ الإسلام ٢١، البداية والنهاية ١٢/ ١٥٧.

(٦) تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٢ هـ.) ص ١٣٥ رقم ٩٣.

وفيها، في صفر، توفّي أبو عبد الله الحسين بن طلحة النعاليُّ، وعمره نحو تسعين سنة، وكان عالي الإسناد في الحديث، وقيل توفّي سنة ثلاثٍ وتسعين [وأربعمائة][1].

وفيها، في شعبان، توفّي أبو غالب محمّد بن عليّ بن عبد الواحد بن الصبّاغ[2] الفقيه الشافعيُّ، تفقه على ابن عمّه أبي نصر، وكان حسن الخُلق، متواضعاً.

---

(١) وبها ورّخه الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام ص ١٤٨ ـ ١٥٠ رقم ١١٨ وغيره من المؤرخين الذين ذكرت مصادرهم بالحاشية رقم (٤).

(٢) انظر عن (ابن الصّبّاغ) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٢ هـ.) ص ١٣٤ رقم ٩١.

٤٩٣
ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة

ذكر إعادة خطبة السلطان بركْيارُق ببغداذ

في هذه السنة أُعيدت الخطبة للسلطان بركْيارُق ببغداذ.

وسبب ذلك أنّ بركْيارُق سار في العام الماضي(من الريّ)[١] إلى خُوزستان، فدخلها وجميع من معه على حالٍ سيّئة؛ وكان أمير عسكره حينئذ ينّال بن أنوشتكين الحُساميُّ، وأتاه غيره من الأمراء، وسار إلى واسط،فظلم عسكره الناس، ونهبوا البلاد، واتّصل به الأمير صدقة بن مَزْيد، صاحب الحِلّة، ووثب على السلطان قوم ليقتلوه، فأُخذوا وأُحضروا بين يديه، فاعترفوا أنّ الأمير سرمز، شِحنة أصبهان، وضعهم على قتله، فقُتل أحدهم، وحُبس الباقون، وسار إلى بغداذ، فدخلها سابع عشر صفر، وخُطب له ببغداذ يوم الجمعة منتصف صفر قبل وصوله بيومَيْن.

وكان سعد الدولة كوهرائين بالشفيعي، وهوفي طاعة السلطان محمّد، فسار إلى داي[٢] مَرْج، ومعه إيلغازي بن أُرتُق وغيره من الأمراء، فأرسل إلى مؤيد المُلك والسلطان محمّد يستحثهما على الوصول إليه، فأرسلا إليه كربوقا، صاحب الموصل، وجكرمش، صاحب جزيرة ابن عُمر، فأمّا جكرمش فاستأذن كوهرائين في العود إلى بلده، وقال إنّه قد اختلّت الأحوال[٣]، فأذن له، وبقي مع كوهرائين جماعة من الأمراء، فاتّفقوا على أن يصدروا عن رأيٍ واحدٍ لايختلفون، ثم اتّفقت آراؤهم على أن كتبوا إلى السلطان بركْيارُق يقولون له: اخرج إلينا، فما فينا مَن يقاتلك[٤].

---

(١) من الباريسية.

(٢) من الباريسية.

(٣) في الباريسية: «أحواله».

(٤) في (ب): «يقابلك».

وكان الذي أشار بذا[1] كربوقا، وقال لكوهرائين: إننا لم نظفر من محمّد ومؤيّد المُلك بطائل؛ وكان منحرفاً عن مؤيّد المُلك. فسار بركْيارُق إليهم؛ فترجّلوا، وقبّلوا الأرض، وعادوا معه إلى بغداذ، وأعاد إلى[2] كوهرائين جميع ما كان أخذ له من سلاح ودوابّ وغير ذلك، واستوزر بركْيارُق ببغداذ الأعزّ أبا المحاسن عبد الجليل بن عليّ بن محمّد الدِّهِستانيّ، وقبض على عميد الدولة ابن جَهِير، وزير الخليفة، وطالبه بالحاصل من ديار بكر والموصل لمّا تولاّها هو وأبوه أيام ملكشاه، فاستقرّ الأمر على مائة ألف دينار وستّين ألف دينار يحملها إليه، وخلع الخليفة على السلطان بركْيارُق[3].

ذكر الوقعة بين السلطانين بركيارُق ومحمّد وإعادة خطبة محمّد ببغداذ

في هذه السنة سار بركْيارُق من بغداذ على شَهرزور، فأقام بها ثلاثة أيام،والتحق [بِهِ] عالَم كثير من التركمان وغيرهم، فسار نحو أخيه السلطان محمّد ليحاربه، فكاتبه رئيس هَمَذان ليسير إليها ويأخذ أقطاع الأمراء الذين مع أخيه، فلم يفعل، وسار نحو أخيه، فوقعت الحرب بينهم رابع رجب، وهو المصافّ الأوّل بين بركيارُق وأخيه السلطان محمّد بإسْبِيذْرُوذَ، ومعناه النهر الأبيض، وهو على عدّة فراسخ من هَمَذان.

وكان مع محمّد نحو عشرين ألف مقاتل، وكان محمّد في القلب، ومعه الأمير سرمز، وعلى ميمنته أمير آخُر، وابنه إياز، وعلى ميسرته مؤيّد المُلك، والنظاميّة، وكان السلطان بركْيارُق في القلب، ووزيره الأعزّ أبو المحاسن، وعلى ميمنته كوهرائين وعزّ الدولة بن صدقة بن مَزْيَد، وسُرخاب بن بدر، وعلى ميسرته كربوقا وغيره، فحمل كوهرائين من ميمنة بركْيارُق على ميسرة محمّد، وبها مؤيّد المُلك، والنظاميّة، فانهزموا، ودخل عسكر بركْيارُق في خيامهم، فنهبوهم، وحملت ميمنة محمّد على ميسرة بركْيارُق، فانهزمت الميسرة، وانضافت ميمنة محمّد إليه في القلب على بركْيارُق ومَنْ معه، فانهزم بركْيارُق، ووقف محمّد مكانه، وعاد كوهرائين من طلب المنهزمين الذين انهزموا بين يديْه، وكبا به فرسه، فأتاه خُراسانيّ فقتله، وأخذ رأسه، وتفرقت عساكر بركْيارُق، وبقي في خمسين فارساً.

---

(١) في (ب): «بهذا».
(٢) من (ب).
(٣) المنتظم ٩/١١٣(١٧/ ٥٢، ٥٣)، تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٣ هـ.) ص ٢٢.

وأمّا وزيره الأعزّ أبو المحاسن فإنه أُخذ أسيراً، فأكرمه مؤيّد المُلك بن نظام المُلك، ونصب له خِيَماً وخزكاة، وحمل إليه الفُرش والكسوة، وضمّنه عمادة بغداذ، وأعاده إليها، وأمره بالمخاطبة في إعادة الخطبة للسلطان محمّد ببغداذ، فلمّا وصل إليها خاطب في ذلك، فأُجيب إليه، وخُطب له يوم الجمعة رابع عشر رجب[1].

ذكر قتل سعد الدولة كوهرائين

في هذه السنة، في رجب، قُتل سعد الدولة كوهرائين في الحرب المذكورة قبلُ، وكان ابتداء أمره أنّه كان خادماً للملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بُوَيْه، انتقل إليه(من امرأة)[2] من قُرقُوب بخُوزِستان، وكان إذا توجّه إلى الأهواز حضر عندها، واستعرض حوائجها، وأصاب أهلُها منه خيراً كثيراً، فأرسله أبو كاليجار مع ابنه أبي نصر إلى بغداذ، فلمّا قبض عليه السلطان طُغرُلْبَك مضى معه إلى قلعة طَبَرَك، فلمّا مات أبو نصر انتقل إلى خدمة السلطان ألب أرسلان، ووقاه بنفسه لمّا جرحه يوسف الخُوارزميُّ.

وكان ألب أرسلان قد أقطعه واسط، وجعله شِحنة لبغداذ، فلمّا قُتل ألب أرسلان أرسله ابنه ملكشاه إلى بغداذ، فأحضر له الخِلَع والتقليد، ورأى ما لم يره خادم قبله من نفوذ الأمر، وتمام القدرة، وطاعة أعيان الأمراء، وخدمتهم إيّاه، وكان حليماً، كريماً، حسن السيرة، لم يصادر أحداً من أهل ولايته، ومناقبه كثيرة[3].

ذكر حال السلطان بركْيارُق بعد الهزيمة وانهزامه من أخيه سنجر أيضاً وقتل أمير داذ حبشي

لمّا انهزم السلطان بركْيارُق من أخيه السلطان محمّد سار قليلاً وهو في خمسين فارساً، ونزل عُتُمَةَ، واستراح، وقصد الرَّيّ، وأرسل إلى من كان يعلم أنه يريده، ويؤثر دولته، فاستدعاه، فاجتمع معه جمع صالح، فسار إلى إسْفَرَايين، وكاتب أمير داذَ حبشي بن ألْتُونتاق، وهو بدامَغان، يستدعيه، فأجابه يشير عليه بالمُقام بنَيسابور حتّى يأتيه، وكان بيده حينئذٍ أكثر خُراسان وطَبَرستان وجُرجان، فلمّا وصل بركْيارُق إلى

---

(١) المنتظم ٩/١١٣(١٧/٥٣)، تاريخ مختصر الدول ١٩٧، نهاية الأرب ٢٦/٣٤٥، العبر ٣/٣٣٥، دول الإسلام ٢/٢٢، تاريخ الإسلام ٢٢/٢٣.

(٢) من (ب).

(٣) المنتظم ٩/١١٥، ١١٦ رقم ١٧٣ (١٧/٥٦، ٥٧ رقم ٣١٩٤)، دول الإسلام ٢/٢٢، تاريخ الإسلام ٢٣، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٨٣ و٥/٢٤ وفيه: «كوهراس».

نَيسابور قبض على رؤسائها، وخرج بهم، وأطلقهم بعد ذلك. وتمسّك بعميد خُرسان أبي محمّد، وأبي القاسم بن أبي المعالي الجوينيّ. فأمّا أبو القاسم فمات مسموماً في قبضه. وقد تقدّم أنه قُتل سنة اثنتين وتسعين[وأربعمائة].

وعاد بركْيارُق فاستدعى[1] أمير داذَ، فاعتذر بقصد السلطان سَنجَر بلاده في عساكر بَلْخ، ويسأل السلطان بركْيارُق أن يصل إليه ليعينه على الملك سَنجَر، ولم يُعْلموا الأصاغرَ لئلاّ ينهزموا.

وكان مع أمير[2] داذَ عشرون ألف فارس، فيهم من رجّالة الباطنيّة خمسة آلاف، ووقع المصافّ بين بركْيارُق وأخيه سَنجَر خارج النُّوشَجان؛ وكان الأمير بزغش في ميمنة سنجَر، والأمير كندكز في ميسرته، والأمير رُستم في القلب، فحمل بركْيارُق على رستم فطعنه فقتله، وانهزم أصحابه وأصحاب سَنجَر، واشتغل العسكر بالنهب، فحمل عليهم بزغش وكندكز، فقتلا المنهزمين، وانهزم الرجّالة إلى مضيق بين جبلَيْن، فأرسل عليهم الماء فأهلكهم، ووقعت الهزيمة على أصحاب بركْيارُق، وكان قد أخذ والدة أخيه سنجر لمَّا انهزم أصحابه أوّلاً، فخافت أن يقتلها بأمّه، فأحضرها وطيّب قلبها، وقال: إنّما أخذتُك حتى يطلق أخي سنجَر مَنْ عنده من الأسرى، ولستِ كفؤاً لوالدتي حتّى أقتلَك. فلمّا أطلق سَنجَر الأسرى أطلقها بركْيارُق.

وهرب أمير داذَ إلى بعض القُرى، وأخذه بعض التركمان، فأعطاه في نفسه مائة ألف دينار، فلم يطلقه، وحمله إلى بزغش فقتله.

وسار بركيارق[3] إلى جُرجَان ثم إلى دَامغَان، وسار في البرّيّة، ورؤي[4] في بعض المواضع ومعه سبعة عشر فارساً، وجمّازة واحدة[5]، ثم كَثُر جَمْعه، وصار معه ثلاثة آلاف فارس، منهم: جاولي سقاووا، وغيره، وساروا إلى أصبهان بمكاتبة من أهلها، فسمع السلطان محمّد، فسبقه إليها، فعاد إلى سُمَيْرَمَ[6].

---

(١) في الأوربية: «استدعى».
(٢) في الأوربية: «الأمير».
(٣) من الباريسية.
(٤) في الأوربية: «ورأى».
(٥) الى هنا ينتهي النقص في نسخة (أ).
(٦) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤٥، ٣٤٦، المختصر ٢/ ٢١٢، العبر ٣/ ٣٣٥، دول الإسلام ٢/ ٢٢، تاريخ الإسلام ٢٣، ٢٤، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٣، ٤٨٤ و ٥/ ٢٤.

ذكر فتح تميم بن المعزّ مدينة سفاقُس

في هذه السنة فتح تميم بن المعزّ مدينة سفاقُس، وكان صاحبها حَمّو[١] قد عاد فتغلّب[٢] عليها، واشتدّ أمره بوزيرٍ كان عنده قد قصده، وهو من كُتّاب المعزّ، كان حسن الرأي والتدبير، فاستقامت به دولته، وعظُم شأنه، فأرسل إليه تميم يطلبه ليستخدمه، ووعده، وبالغ في استمالته، فلم يقبل، فسيّر تميم جيشاً إلى حصار سفاقُس، وأمر الأمير الذي جعله مقدّم الجيش أن يهدم ما حول المدينة ويحرقه، ويقطع الأشجار سوى ما يتعلّق بذلك الوزير فإنّه لا يتعرّض له، ويبالغ في صيانته، ففعل ذلك، فلمّا رأى حمّو[٣] ما فعل بأملاك الناس، ما عدا الوزير، اتّهمه، فقتله، فانحلّ نظام دولته، وتسلّم عسكر تميم المدينة، وخرج حمّو منها، وقصد مكن بن كامل الدّهمانيّ، فأقام عنده، فأحسن إليه، ولم يزل عنده حتّى مات[٤].

ذكر عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة ووفاته

لمّا أطلق مؤيّدُ الدولة، وزيرُ السلطان محمّد، الأعزَّ أبا المحاسن، وزيرَ بركْيارُق، وضمّنه عمادة بغداذ، أمره أن يخاطب الخليفة بعزل وزيره عميد الدولة بن جَهِير، فسار من العسكر، وسمع عميد الدولة الخبر، فأمر أَصْبَهْبذ صباوة بن خُمَارِتكين بالخروج إلى طريق الأعزّ وقتله.

وكان أَصْبَهْبذُ قد حضر الحرب مع بركْيارُق، ولمّا انهزم العسكر قصد بغداذ، فخرج إلى الطريق الأعزّ أبي المحاسن، فلقيه قريباً من بَعْقُوبَا، فأوقع بمن معه، والتجأ الأعزّ إلى القرية واحتمى، فلمّا رأى أصبهبذ صباوة ذلك أرسل إليه يقول له: إنّك وزير السلطان بركْيارُق، وأنا مملوكه، فإن كنتَ على خدْمته فاخرُج إلينا حتى نسير إلى بغداذ ونُقيم الخطبة للسلطان، وأنت الصاحب الذي لا يُخَالَفُ[٥]، وإن لم تُجِبْ إلى هذا، فما بيننا غير السيف. فأجابه الأعزّ إلى ذلك، واجتمعا، فعرّفه صباوة الذي أمره به عميد الدولة من قتله، وباتا تلك الليلة، وأرسل الأعزّ إلى الأمير إيلغازي بن أُرتُق، وكان قد

---

(١) في الباريسية: «جمق»، وفي (أ) و(ب): «حمر».

(٢) في الأوربية: «تغلّب».

(٣) في (أ): «حمر»، وفي (ب): «حموماً».

(٤) البيان المغرب ١/ ٣٠٢، تاريخ الإسلام ٢٤.

(٥) في (أ): «تخالف».

ورد في صُحبته، وفارقه نحو الراذان، فحضر في الليل، فانقطع حينئذٍ أمل صباوة منه، وفارقه.

وسارالأعزّ إلى بغداذ وخاطب في عزل عميد الدولة، فعُزل في رمضان، وأُخذ من ماله خمسة وعشرون ألف دينار، وقُبض عليه وعلى إخوته، وبقي معزولاً إلى سادس عشر شوّال، فتوفّي محبوساً في دار الخلافة؛ ومولده في المحرّم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وكان عاقلاً، كريماً، حليماً، إلاّ أنه كان عظيم الكِبَر، يكاد يُعَدّ كلامه عدّاً، وكان إذا كلّم إنساناً كلمات يسيرة هُنِّيء ذلك الرجل بكلامه[1].

ذكر ظفر المسلمين بالفرنج

في ذي القعدة من هذه السنة لقي كُمُشْتِكين بن الدّانِشْمَند[2] طايلو، وإنّما قيل له ابن الدانشمند لأنّ أباه كان معلّماً للتركمان وتقلّبت به الأحوال،(حتّى ملك)[3]، وهو صاحب مَلَطْيَة وسِيواس وغيرهما، بيمُنْد[4] الفرنجيَّ، وهو من مقدّمي الفرنج، قريب مَلَطْيَةَ،وكان صاحبها قد كاتبه، واستقدمه إليه، فورد عليه في خمسة آلاف، فلقيهم ابن الدّانِشْمَنْد، فانهزم بيمُنْد[4] وأُسر.

ثم وصل من البحر سبعة قمامصةٍ من الفرنج، وأرادوا تخليص بيمُنْد، فأتوا إلى قلعة تسمّى[5] أنكوريّةَ، فأخذوها وقتلوا من بها من المسلمين، وساروا إلى قلعة أخرى فيها إسماعيل بن الدّانِشْمَنْد، وحصروها، فجمع ابن الدّانِشْمَنْد جَمْعاً كثيراً، ولقي الفرنج، وجعل له كميناً، وقاتلهم، وخرج الكمين عليهم، فلم يُفْلِتْ أحدٌ من الفرنج، وكانوا ثلاثمائة ألف، غير ثلاثة آلاف هربوا ليلاً وأفلتوا مجروحين.

وسار ابن الدّانِشْمَنْد إلى مَلَطْيَة، فملكها وأسر صاحبها، ثم خرج إليه عسكر الفرنج من أنطاكية، فلقِيهم وكسرهم، وكانت هذه الوقائع في شهور قريبة[6].

---

(١) انظر عن (عميد الدولة الوزير) في تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٣ هـ.) ص ١٦٥ ـ ١٧٠ رقم ١٤٧ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) جاء في المختصر لأبي الفداء ٢/ ٢١٢: وقيل له ابن الدانشمند لأن أباه كان معلّم التركمان، والمعلّم عندهم اسمه الدانشمند.

(٣) من(ب).

(٤) هو «بوهيموند».

(٥) من الباريسية.

(٦) تاريخ حلب (تحقيق زعرور) ٣٦٠ (تحقيق سويم) ٢٦، المنتظم ١٧/ ٥٥، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٥٩،

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة زاد أمر العيّارين بالجانب الغربيّ من بغداذ، في شعبان، وعظُم ضررهم، فأمر الخليفة كمالَ الدولة يُمن بتهذيب البلد، فأخذ جماعة من أعيانهم، وطلب الباقين فهربوا[١].

وفيها أيضاً انحلّت الأسعار بالعراق، وكان كُرّ الحنطة قد بلغ سبعين[٢] ديناراً[٣]، وربّما زاد كثيراً في بعض الأوقات، وانقطعت الأمطار، ويبست الأنهار، وكثُر الموت. حتى عجزوا عن دفن الموتى، فحُمل في بعض الأوقات ستة أموات على نعش واحد، وعدمت الأدوية والعقاقير[٤].

وفيها، في رجب، سار بيمُنْد الفرنجيُّ، صاحب أنطاكية، إلى قلعة أفَامِيَة، فحصرها، وقاتل أهلَها أيّاماً، وأفسد زروعها(ثم رحل عنها)[٥].

وفيها، في آخر رمضان، قُتل الأمير بلكابك سرمز[٦] بأصبهان، بدار السلطان محمّد، وكان كثير الاحتياط من الباطنيّة لا يفارقه لُبسُ الدِّرع ومَن يمنع عنه، ففي ذلك اليوم لم يلبسْ درعاً، ودخل دار السلطان في قلّة، فقتله الباطنيّة، فقُتل واحد ونجا آخر[٧].

[الوفيات]

وفيها توفّي أبو الحسن البِسطاميُّ[٨] الصوفيُّ، ورباطه مشهور على دجلة غربيّ بغداذ، بناه أبو الغنائم بن المحلبان.

وفيها مات أبو نصر بن أبي عبد الله بن جَرْدة، وأصْله من عُكْبَرا، وإليه يُنسب مسجد ابن جَرْدة، وخَرابة ابن جردة ببغداذ.

= المختصر ٢/ ٢١٢، العبر ٣/ ٣٣٥، تاريخ الإسلام ٢٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١١، مرآة الجنان ٣/ ١٥٥، و«أنكورية» هي مدينة أنقرة عاصمة الجمهورية التركية الآن.

(١) المنتظم ١٧/ ٥٤.
(٢) في الباريسية: «تسعين».
(٣) في الأوربية: «دينار».
(٤) المنتظم ١٧/ ٥٤.
(٥) من (ب). والخبر في: ذيل تاريخ دمشق ١٣٨.
(٦) في المنتظم: «شحنة إصبهان».
(٧) المنتظم ١٧/ ٥٤، ٥٥.
(٨) انظر عن (البسطامي) في: المنتظم ١٧/ ٥٧ رقم ٣٦٩٦.

وفيها توفّي أبو عليّ يحيى بن جَزْلَة[1] الطبيب، وكان نصرانياً فأسلم، وهو مصنّف كتاب المنهاج.

وفيها، في شوّال، توفّي عبد الرزّاق الصوفيُّ، الغزنويُّ[2]، المقيم برباط عَتّاب، وحجّ عدّة حجّات على التجريد، ولم يخلّف ما تكفّن فيه، فقالت زوجتُه: إذا متَّ افتضحنا، قال: لِمَ نفتضح؟ قالت: لأنّك ليس لك ما تُكفّن فيه. فقال: إنّما أفتضح إذا خلّفتُ ما أُكفّن فيه.

وفيها، في رمضان، توفّي عزّ الدولة أبو المكارم محمّد بن سيف الدّولة صدقة بن مَزْيد[3].

---

(١) انظر عن (ابن جزلة) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٣ هـ.) ص ١٧٤، ١٧٥ رقم ١٥٦ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (الغزنوي) في: المنتظم ١٧/ ٥٧ رقم ٣٦٩٥، والبداية والنهاية ١٢/ ١٥٨.

(٣) انظر عنه في: المنتظم ١٧/ ٦٠، ٦١ رقم ٣٧٠٥.

٤٩٤
ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة

ذكر الحرب بيْن السلطانين بركيارُق ومحمّد وقتل مؤيّد الملك

في هذه السنة، ثالث جمادى الآخرة، كان المصافّ الثاني بين السلطان بركْيارُق والسلطان محمّد، وقد ذكرنا سنة ثلاثٍ وتسعين [وأربعمائة] انهزم السلطان بركْيارُق من أخيه السلطان محمّد، وتنقّلَهُ في البلاد، إلى أصبهان، وإنّه لم يدخلها، وسار منها إلى خُوزِستان، وأتى عسكرَ مُكرَم، فأتاه الأميران زنكي وألْبكي ابنا بُرْسُق[١]، وصارا معه، وأقام بها شهرَيْن، وسار منها إلى همذان، فاتّصل به الأمير إياز.

وكان سبب ذلك أنّ أمير آخُر قد مات مُذْ قريب، فاتّهم إياز مؤيّد المُلك بأنّه سقاه السمّ، وقوّى ذلك عنده أنّ وزير أمير آخُر هرب عُقَيْب موته، فازداد ظنّ إياز باتّهامه، فظفر بالوزير، فقتله.

وكان إياز قد اتّخذه أمير آخُر ولداً، واتّصل به العسكر[٢]، ووصّى له بجميع ماله، فحين استوحش لهذا السبب كاتب السلطان بركْيارُق، واتّصل به، ومعه خمسة آلاف فارس،(وصار من جملة)[٣] عسكره.

وسار السلطان محمّد إلى لقاء أخيه، فلمّا تقارب العسكران استأمن الأمير سُرخاب بن كَيْخسرو، صاحب آوة، إلى السلطان بركْيارُق، فأكرمه، ووقع المصاف ثالث جمادى الآخرة، وكان مع السلطان بركْيارُق، خمسون ألفاً، ومع أخيه السلطان

---

(١) في (أ): «برشق».

(٢) من الباريسية.

(٣) (٣)في (أ) و(ب): «من».

محمّد خمسة عشر ألفاً، فالتقوا، فاقتتلوا يومَهم أجمع، وكان النفر بعد النفر يستأمنون من عسكر محمّد إلى بركْيارُق، فيُحسن إليهم.

ومن العجب الدّالّ على الظفر أنّ رجّالة بركْيارُق احتاجوا إلى تراس، فوصل إليه يوم المصافّ بكرةً اثنا عشر حملاً سلاحاً من همَذان منها ثمانية أحمال تراس، ففُرّقت فيهم، فلمّا وصلت نزل السلطان بركْيارُق، وصلّى ركعتَيْن شكراً لله تعالى.

ولم يزل القتال بينهم إلى آخر النهار، فانهزم السلطان محمّد وعسكره، وأُسر مؤيّد المُلك، أسره غلام لمجد المُلك البلاسانيّ وأُحضر عند السلطان بركْيارُق، فسبّه، وأوقفه[1] على ما اعتمده معه(من سبّ والدته مرّةً، ونسبته إلى مذهب الباطنيّة أخرى، ومن حمْل أخيه محمّد)[2] على عصيانه، والخروج عن طاعته إلى غير ذلك، ومؤيّد المُلك ساكت لا يُعيد كلمة، فقتله بركْيارُق بيده، وأُلقي على الأرض عدّة أيّام، حتّى سأل الأمير إياز في دفنه، فأذِن فيه، فحُمل إلى أبيه بأصبهان فدُفن معه.

وكان بخيلاً، سيّيء السيرة مع الأمراء، ألاّ أنّه كان كثير المكر والحِيَل في إصلاح أمر المُلك، وكان عمره لمّا قُتل نحو خمسين سنة.

وكان السلطان بركْيارُق قد استوزر في صفر الأعزّ أبا المحاسن عبد الجليل بن عليّ الدِّهِستانيّ، فلمّا قُتل مؤيّد المُلك أرسل الوزير أبو المحاسن رسولاً إلى بغداذ، وهو أبو إبراهيم الأَسداباذي[3]، لأخذ أموال مؤيّد المُلك، فنزل ببغداذ بدار مؤيّد المُلك، وسُلّم إليه محمّد الشرابيُّ، وهو ابن خالة مؤيّد المُلك، فأُخذت منه الأموال والجواهر بعد مكروه[4] أصابه، وعذاب ناله، وأُخذ له ذخائر من مواضع أُخَر ببلاد العجم منها: قطعة بَلَخش، وزنها واحد وأربعون[5] مثقالاً.

ولمّا فرغ السلطان بركْيارُق من هذه الوقعة سار إلى الرّيّ، فوصل إليه قِوام الدولة كربوقا، صاحب الموصل، ونور الدولة دُبَيْس بن صدقة بن مَزْيَد[6].

---

(١) من (ب).
(٢) من (ب).
(٣) في (أ): «الاسترابادي»، وفي (ب): «الإسابادي».
(٤) في (ب): «نكد».
(٥) في الأوربية: «أحد وأربعين».
(٦) ذيل تاريخ دمشق ١٣٩، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤٧، المختصر ٢/ ٢١٣، العبر ٣/ ٣٣٧، دول الإسلام ٢/ ٢٣، تاريخ الإسلام ٢٦، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٤ و ٥/ ٢٤، ٢٥، النجوم الزاهرة ٥/ ١٦٧.

ذكر حال السلطان محمّد بعد الهزيمة واجتماعه بأخيه الملك سَنجَر

لمّا انهزم السلطان محمّد، سار طالباً خُراسان إلى أخيه سَنجَر، وهما لأمّ واحدة، فأقام بجُرجان، وراسل أخاه يطلب منه مالاً وكسوة، وغير ذلك، فسيّر إليه ما طلب، وتردّدت الرسل بينهما، حتّى تحالفا واتّفقا.

ولم يكن بقي مع السلطان محمّد غير أميرَيْن في نحو[1] ثلاثمائة فارس، فلمّا استقرّت القواعد بينهما سار الملك سَنجَر من خُراسان في عساكره نحو أخيه السلطان محمّد، فاجتمعا بجُرجان، وسارا منها إلى دَامغان، فخرّبها العسكر الخُراسانيُّ، ومضى أهلها هاربين إلى قلعة كردكوه، وخرّب العسكر ما قدروا عليه من البلاد، وعمّ الغلاء تلك الأصقاع، حتّى أكل الناس الميتة والكلاب، وأكل الناس بعضهم بعضاً، وسارا إلى الريّ، فلمّا وصلا إليها انضمّ إليهما النِّظاميّة وغيرهم، فكثر جمعهما، وعظُمت شوكتهما، وتمكّنت من القلوب هيبتهما[2].

ذكر ما فعله السلطان بركْيارُق ودخوله بغداذ

لمّا كان السلطان بركْيارُق بالريّ، بعد انهزام أخيه محمّد، اجتمعت عليه العساكر الكثيرة، فصار معه نَحو مائة ألف فارس، ثم إنّهم ضاقت عليهم الميرة، فتفرّقت العساكر، فعاد دُبيس بن صَدَقة إلى أبيه، وخرج الملك مودود بن إسماعيل بن ياقوتي بأَذَرْبيجان، فسيّر إليه قوام الدولة كربوقا في عشرة آلاف فارس، واستأذن الأمير إياز في أن يقصد داره بهَمَذان يصوم بها شهر رمضان، ويعود بعد الفِطْر، فأذِن له، وتفرّقت العساكر لمثل ذلك، وبقي في العدد القليل.

فلمّا بلغه أنّ أخوَيْه قد جمعا الجموع وحشدا الجنود[3]، وأنّهما لمّا بلغهما قلّة من معه جدّا في المسير إليه، وطويا المنازل ليعاجلاه، قبل أن يجمع جموعه وعساكره، فلمّا قارباه سار من مكانه، وقد طمع فيه من كان يهابه، وأيِس منه من كان يرجوه، فقصد نحو همَذان ليجتمع هو وإياز، فبلغه أنّ إياز[4] قد راسل السلطان محمّداً ليكون

---

(١) في (أ) و(ب): «ونحو».

(٢) تاريخ مختصر الدول ١٩٧، نهاية الأرب ٢٦/٣٤٧، العبر ٣/٣٣٧، تاريخ الإسلام ٢٦، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٥.

(٣) في (ب) «الحشود».

(٤) في (أ): «إيازاً».

معه ومن جملة أعوانه، خوفاً على ولايته، وهي همذان وغيرها، فلمّا سمع ذلك عاد عنها، وقصد خُوزِستان، فلمّا قرب من تُستَر كاتب الأمراء بني برسق[1] يستدعيهم إليه، فلم يحضروا لمّا علموا أنّ إياز[2] لم يحضر، وللخوف من السلطان محمّد، فسار نحو العراق، فلمّا بلغ حُلوان أتاه رسول الأمير إياز يسأل التوقّف ليصل إليه.

وسبب ذلك أنّ إياز[2] راسل السلطان محمّداً في الانضمام إليه[3]، والمصير في جملة عسكره، فلم يقبله، وسيّر العساكر إلى همَذان، ففارقها منهزماً. ولحِق بالسلطان بركْيارُق، (فأقام السلطان بركْيارُق)[4] بحُلوان، ووصل إليه إياز، وساروا جميعهم إلى بغداذ.

وأخذ عسكر محمّد ما تخلّف للأمير إياز بهَمذان من مال، ودوابّ، وبَرْك، وغير ذلك، فإنّه أُعجل عنه، وكان من جملته خمسمائة حِصان عربيّة، قيل: كان يُساوي كلّ حصان منها ما بين ثلاثمائة دينار إلى خمسمائة دينار، ونهبوا داره، وصادروا جماعة من أصحابه، وصودر رئيس همَذان بمائة ألف دينار.

ولمّا وصل إياز إلى بركْيارُق تكاملت عدّتهم خمسة آلاف فارس، وقد ذهبت خيامهم وثَقَلهم، ووصل بركْيارُق إلى بغداذ سابع عشر ذي القعدة، وأرسل الخليفة إلى طريقه يلتقيه أمين[5] الدولة بن موصلايا في الموكب[6].

ولمّا كان عيد الأضحى نفّذ الخليفة منبراً إلى دار السلطان، وخطب عليه الشريف أبو الكرم، وصلّى صلاة العيد، ولم يحضر بركْيارُق لأنّه كان مريضاً.

وضاقت الأموال على بركْيارُق، فلم يكن عنده ما يُخرجه على نفسه وعلى عساكره، فأرسل إلى الخليفة يشكو الضائقة وقلّة المال، ويطلب أن يُعان بما يخرجه، فتقرّر الأمر بعد المراجعات على خمسين ألف دينار، حملها الخليفة إليه، ومدّ بركْيارُق وأصحابه أيديهم إلى أموال الناس، فعمّ ضررهم، وتمنّى أهل البلاد زوالهم عنهم، ودعتهم الضرورة إلى أن ارتكبوا خطّة شنعاء، وذلك أنّه قدم عليهم أبو محمّد عُبيد الله بن

---

(١) في (أ): «برشق».
(٢) في (أ): «إيازاً».
(٣) من (ب).
(٤) من (أ).
(٥) في (أ) و(ب): «أمير».
(٦) في (أ) و(ب): «المراكب».

منصور، المعروف بابن صُلَيحة[1]، قاضي جَبَلَة من بلاد الشام وصاحبها، منهزماً من الفرنج، على ما نذكره، ومعه أموال جليلة المقدار، فأخذوها منه[2].

ذكر خلاف صدقة بن مَزْيَد على بركْيارُق

في هذه السنة خرج الأمير صَدَقَة بن منصور بن دُبَيْس بن مَزْيَد، صَاحِب الحِلّة، عن طاعة السلطان بركْيارُق، وقطع خطبته من بلاده، وخطب فيها للسلطان محمّد.

وسبب ذلك أنّ الوزير الأعزّ أبا المحاسن الدِّهِستانيّ، وزير السلطان بركْيارُق، أرسل إلى صَدَقة يقول له: قد تخلّف عندك لخزانة السلطان ألف ألف دينار، وكذا وكذا ديناراً لسنين كثير، فإنْ أرسلتَها، وإلاّ سيّرنا العساكر إلى بلادك وأخذناها منك، فلمّا سمع هذه الرسالة قطع الخطبة، وخطب لمحمّد.

فلمّا وصل السلطان بركْيارُق إلى بغداذ على هذه الحال أرسل إليه مرّة بعد مرّة يدعوه إلى الحُضور عنده، فلم يُجِبْ إلى ذلك، فأرسل إليه الأمير إياز يشير عليه بقصد خدمة السلطان، ويضمن له كلّ ما[3] يريده، فقال: لا أحضر، ولا أطيع السلطان، إلاّ إذا سلّم وزيره أبا المحاسن إليّ، وإن لم يفعلْ فلا يتصوّر منّي الحضور عنده أبداً، ويكون في ذلك ما يكون، فإن سلّمه إليّ، فأنا العبد المخلص في العبوديّة بالحُسن والطاعة. فلم يُجِبْ إلى ذلك، فتمّ على مقاطعته، وأرسل إلى الكوفة، وطرد عنها النائب بها عن السلطان واستضافها إليه[4].

ذكر وصول السلطان محمّد إلى بغداذ ورحيل السلطان بركيارُق عنها

في هذه السنة، في السابع والعشرين [من] ذي الحجّة، وصل السلطان محمّد وسَنْجَر إلى بغداذ، وكان السلطان محمّد لمّا استولى على همَذان وغيرها سار إلى بغداذ، فلمّا وصل إلى حُلوان سار إليه إيلغازي بن أُرتق في عساكره، وخدمه، وأحسن في الخدمة، وكان عسكر محمّد يزيد على عشرة آلاف فارس سوى الأتباع.

---

(١) في الباريسية: «صلنجة».

(٢) نهاية الأرب ٢٦/٣٤٨، المختصر ٢/٢١٣، العبر ٣/٣٣٧، ٣٣٨، دول الإسلام ٢/٢٣، تاريخ الإسلام ٢٧، تاريخ ابن خلدون ٥/٢٥.

(٣) في الأوربية: «كلّما».

(٤) نهاية الأرب: ٢٦/٣٤٨، تاريخ الإسلام ٢٧، البداية والنهاية ١٢/١٦٠.

فلمّا وصلت الأخبار بذلك كان بركْيارُق على شدّة من المرض، يُرجف عليه خواصّه بُكرة وعشيّاً، فماج أصحابه، وخافوا، واضطّربوا، وحاروا، وعبروا به في محفّة إلى الجانب الغربيّ، فنزلوا بالرَّملة، ولم يبقَ في بركْيارُق غير روح يتردّد، وتيقّن أصحابه موته، وتشاوروا في كفنه، وموضع دفنه.

فبينما هم كذلك إذ قال لهم: إني أجد نفسي قد قويت، وحركتي قد تزايدت؛ فطابت نفوسهم، وساروا، وقد وصل العسكر الآخر، فتراءى الجَمعان بينهما دجلة، وجرى بينهما مراماة[1] وسباب، وكان أكثر ما يسبّهم عسكر محمّد يا باطنيّة، يُعَيّرونهم بذلك، ونهبوا البلاد في طريقهم إلى أن وصلوا إلى واسط.

ووصل السلطان محمّد إلى بغداذ، فنزل بدار المملكة، فبرز إليه توقيع الخليفة المستظهر بالله يتضمّن الامتعاض من سوء سيرة بركْيارُق ومن معه، والاستبشار بقدومه، وخُطب له بالديوان، ونزل الملك سَنجَر بدار كوهرائين، وكان محمّد قد استوزر بعد مؤيّد المُلك خطير[2] الملك أبا منصور محمّد بن الحسين، وقدِم إليه في المحرّم سنة خمس وتسعين [وأربعمائة] الأمير سيف الدولة صَدَقة، وخرج الخلْق كلّهم إلى لقائه[3].

ذكر حال قاضي جبلة

هو أبو محمّد عبيد[4] الله بن منصور المعروف بابن صُلَيْحة، وكان والده رئيسها أيّام كان الروم مالكين لها على المسلمين، يقضي بينهم، فلمّا ضعُف أمر الروم، وملكها المسلمون، وصارت تحت حكم جلال[5] الملك أبي الحسن عليّ بن عمّار، صاحب طرابُلُس، كان منصور على عادته في الحكم فيها. فلمّا توفّي منصور قام ابنه أبو محمّد مقامه، وأحبّ الجنديّة، واختار الجُند، فظهرت شهامته، فأراد ابن عمّار أن يقبض عليه، فاستشعر منه، وعصى عليه، وأقام الخطبة العبّاسيّة، فبذل ابن عمّار لدُقاق بن تُتُش مالاً ليقصده ويحصره، ففعل، وحصره، فلم يظفر منه بشيء، وأصيب صاحبه أتابَك طُغْتِكين بنُشّابة في ركبته وبقي أثرها.

---

(١) في (أ): «مراسلة»، وفي(ب): «مراسلات».

(٢) في (أ) و(ب): «خطيب».

(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٤٠، نهاية الأرب ٢٦/٣٤٧، ٣٤٨، المختصر ٢/٢١٣، دول الإسلام ٢/ ٢٣، تاريخ الإسلام ٢٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٢، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٥.

(٤) في الباريسية، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٣٨٥ «عبد».

(٥) في (أ) و(ب): «جمال».

وبقي أبو محمّد بها مطاعاً إلى أن جاء الفرنج، لعنهم الله، فحصروها، فأظهر[١] أنّ السلطان بركيارُق قد توجّه إلى الشام، وشاع هذا، فرحل الفرنج، فلمّا تحقّقوا اشتغال السلطان عنهم عاودوا[٢] حصاره، فأظهر أنّ المصريّين قد توجّهوا لحربهم، فرحلوا ثانياً، ثم عادوا، فقرّر مع النصارى الذين بها أن يراسلوا الفرنجَ، ويواعدوهم إلى برج من أبراج البلد ليسلّموه إليهم ويملكوا البلد، فلمّا أتتهم الرسالة جهّزوا نحو[٣] ثلاثمائة رجل من أعيانهم وشجعانهم، فتقدّموا إلى ذلك البرج، فلم يزالوا يرقون في الحبال، واحداً بعد واحد[٤]، وكلّما صار عند ابن صُلَيْحة، وهو على السور، رجل منهم قتله إلى أن قتلهم أجمعين، فلمّا أصبحوا رمى[٥] الرؤوس إليهم فرحلوا عنه.

وحصروه مرّة أخرى، ونصبوا على البلد برج خشب، وهدموا برجاً من أبراجه، وأصبحوا وقد بناه أبو محمّد، ثم نقب في السور نقوباً، وخرج من الباب وقاتلهم، فانهزم منهم، وتبعوه، فخرج أصحابه من تلك النقوب، فأتوا الفرنجَ من ظهورهم، فولّوا منهزمين وأُسر مقدّمهم[٦] المعروف بكُنْد اصطبل[٧]، فافتدى نفسه بمال جزيل.

ثمّ علم أنّهم لا يقعدون عن طلبه، وليس له من يمنعهم عنه، فأرسل إلى طُغْتِكين أتابَك يلتمس منه إنفاذ من يثق به ليسلّم إليه ثغر جَبلَة، ويحميه ليصل هو إلى دمشق بماله وأهله، فأجابه إلى ما التمس، وسيّر إليه ولده تاج الملوك بوري، فسلّم إليه البلد، ورحل إلى دمشق، وسأله أن يسيّره إلى بغداذ، ففعل، وسيّره ومعه من يحميه إلى أن وصل إلى الأنبار.

ولمّا صار بدمشق أرسل ابن عمّار صاحب طرابلس إلى الملك دُقاق، وقال: سَلّم إليّ ابن صُلَيْحة عُرياناً، وخُذْ ماله أجمع، وأنا أعطيك ثلاثمائة ألف دينار؛ فلم يفعل. فلمّا وصل إلى الأنبار أقام بها أيّاماً، ثم سار إلى بغداذ، وبها السلطان بركيارُق، فلمّا وصل أحضره الوزير الأعزّ أبو المحاسن عنده، وقال له: السلطان محتاجٌ، والعساكر

---

(١) في (أ): «فأظهروا».
(٢) في (أ) و (ب): «عادوا إلى».
(٣) من (ب).
(٤) في الباريسية: «آخر».
(٥) في الأوربية: «رما».
(٦) في (ب): «فارسهم».
(٧) في الباريسية: «أصطبل». وكند اصطبل أو اسطبل، معرّب اللفظ اللاتيني المركّب Comes Stabuli ومعناه في مصطلح العصور الوسطى الأوربية: حاكم القلعة وحارسها. (السلوك ج ١ ق ٩٦/٣ حاشية ٣).

يطالبونه بما ليس عنده، ونريد منك ثلاثين ألف دينار، وتكون له[1] مِنَّةٌ عظيمة، تستحقّ بها المكافأة والشكرَ. فقال: السمع والطاعة؛ ولم يطلب أن يَحُطَّ[2] شيئاً، وقال: إنَّ رَحلي ومالي في الأنبار بالدّار التي نزلتها؛ فأرسل الوزير إليها جماعة، فوجدوا فيها مالاً كثيراً، وأعلاقاً نفيسة، فمن جملة ذلك ألف ومائة قطعة مصاغٍ عجيب الصنعة، ومن الملابس والعمائم التي لا يوجد مثلها شيء كثير.

كان ينبغي أن نذكر هذه الحوادث التي بعد انهزام السلطان محمّد إلى ها هنا، بعد قتل الباطنيّة، فإنّها كانت أواخر السنة، وكان قتلهم في شعبان، وإنّما قدّمناها لنتبع بعضُ الحادثة بعضاً لا يفصل بينها شيء.

وأمّا تاج الملوك بوري، فإنّه لمّا ملك جَبَلَة، وتمكّن منها، أساء السيرة هو وأصحابه مع أهلها، وفعلوا بهم أفعالاً أنكروها، فراسلوا القاضي فخر المُلك[3] أبا عليّ عمّار[4] بن محمّد بن عمّار صاحب طرابلس، وشكوا إليه ما يفعل بهم، وطلبوا منه أن يرسل إليهم بعض أصحابه ليسلّموا إليه البلد، ففعل ذلك، وسيّر إليهم عسكراً[5]، فدخلوا جَبَلَة، واجتمعوا بأهلها، وقاتلوا تاج الملوك ومَن معه، فانهزم الأتراك، وملك عسكر ابن عمّار جَبلَة، وأخذوا تاج الملوك أسيراً، وحملوه إلى طرابلس، فأكرمه ابن عمّار، وأحسن إليه، وسيّره إلى أبيه بدمشق، واعتذر إليه، وعرّفه صورة الحال، وأنّه خاف أن يملك الفرنج جَبلَة[6].

ذكر قتل الباطنيّة

في هذه السنة، في شعبان، أمر السلطان بركْيارُق بقتل الباطنيّة، وهم الإسماعيليّة وهم الذين كانوا قديماً يسمّون قرامطة[7]، ونحن نبتدىء بأوّل أمرهم الآن ثم بسبب قتلهم.

---

(1) في (ب): «منك».

(2) في الباريسية: (يحفظ).

(3) هو أخو جلال الملك الذي توفي سنة ٤٩٢ هـ.

(4) من الباريسية.

(5) في (ب) زيادة: «وافراً».

(6) ذيل تاريخ دمشق ١٣٩، معجم البلدان ٢/ ١٠٥، المختصر ٢/ ٢١٣، تاريخ الإسلام ٣٧، ٣٨، مرآة الزمان ج ١٢ ق ٣/ ٢٣٤ أ، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٢، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٥، وانظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري ـ ج ١/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيّين ٢٠٠ ـ ٢٠٤.

(7) من (أ).

فأوّل ما عُرف من أحوالهم، أعني هذه الدعوة الأخيرة التي اشتهرت بالباطنية، والإسماعيليّة، في أيّام السلطان ملكشاه، فإنّه[١] اجتمع منهم ثمانية عشر رجلاً، فصلّوا صلاة العيد في ساوة، ففطن بهم الشُّحنة، فأخذهم وحبسهم، ثم سئل فيهم فأطلقهم، فهذا أوّل اجتماع كان لهم.

ثم إنّهم دعوا مؤذّناً من أهل ساوة كان مقيماً بأصبهان، فلم يجبهم إلى دعوتهم، فخافوه أن[٢] ينمّ عليهم، فقتلوه، فهو أوّل قتيل لهم، وأوّل دم أراقوه[٣]، فبلغ[٤] خبره إلى نظام المُلك، فأمر بأخذ من يُتّهم بقتله، فوقعت التهمة على نجّار اسمه طاهرٌ، فقُتل، ومُثّل به، وجرّوا برِجله في الأسواق، فهو أوّل قتيل منهم، وكان والده واعظاً، وقدِم إلى بغداذ مع السلطان بركْيارُق سنة ستّ وثمانين [وأربعمائة] فحظي[٥] منه، ثم قصد البصرة فوليَ القضاء بها، ثم توجّه في رسالة إلى كَرْمان، فقتله العامّة في الفتنة التي جرت، وذكروا أنّه باطنيّ.

ثم إنّ الباطنيّة قتلوا نظام المُلك، وهي أوّل فتكة[٦] مشهورة كانت لهم، وقالوا: قتل نجّاراً فقتلناه به.

وأوّل موضع غلبوا عليه وتحصّنوا به بلدٌ عند قَايِنَ، كان متقدّمهُ على مذهبهم، فاجتمعوا عنده، وقَووا به، فاجتازت بهم قافلة عظيمة من كَرمان إلى قاين، فخرج عليهم ومعه أصحابه والباطنيّة، فقتل أهلَ القفل أجمعين، ولم ينجُ منهم غير رجل تركمانيّ، فوصل إلى قاينَ[٧] فأخبر بالقصّة، فتسارع أهلها مع القاضي[٨] الكرماني[٩] إلى جهادهم، فلم يقدروا عليهم.

ثم قُتل نظام المُلك، ومات السلطان ملكشاه، فعظُم أمرهم، واشتدّت شوكتهم، وقويت أطماعهم.

---

(١) في(ب): «فإنهم».
(٢) في الأوربية: «لا».
(٣) من الباريسية.
(٤) في (ب): «فبلح».
(٥) في (أ) و (ب): «فحضي».
(٦) في (أ) و (ب): «قتلة».
(٧) في (أ): «كرمان».
(٨) زاد في (أ): «علي».
(٩) في (أ) و (ب): «التركماني».

وكان سبب قوّتهم بأصبهان أنّ السلطان بركيارُق لمّا حصر أصبهان، وبها أخوه محمود[١]، وأُمّه خاتون الجلاليّة، وعاد عنهم ظهرت مقالة الباطنيّة بها، وانتشرت، وكانوا متفرّقين في المحالّ، فاجتمعوا، وصاروا يسرقون مَن قدروا عليه من مخالفيهم ويقتلونهم؛ فعلوا هذا بخلق كثير، وزاد الأمر، حتى إنّ الإنسان كان إذا تأخّر عن بيته عن الوقت المعتاد تيقّنوا قتله، وقعدوا للعزاء به، فحذر الناس، وصاروا لا ينفرد أحد، وأخذوا في بعض الأيّام مؤذّناً، أخذه جارٌ له باطنيّ، فقام أهله للنياحة عليه، فأصعده الباطنيّة إلى سطح داره وأروه أهله كيف يلطمون ويبكون، وهو لا يقدر [أن] يتكلّم خوفاً منهم.

ذكر ما فعل بهم العامّة بأصبهان

لمّا عمّت هذه المصيبة الناس بأصبهان، أذن الله تعالىٰ في هتك أستارهم، والانتقام منهم، فاتّفق أن رجلاً دخل دار صديق له، فرأى فيها ثياباً، ومداسات، وملابس لم يعهدها، فخرج من عنده، وتحدّث بما كان، فكشف الناسُ عنها، فعلموا أنّها[٢] من المقتولين.

وثار[٣] الناس كافّة يبحثون عمّن قُتل منهم، ويستكشفون، فظهروا على الدورب التي هم فيها، وإنّهم كانو إذا اجتاز بهم إنسان أخذوه إلى دار منهم وقتلوه وألقوه في بئر في الدار قد صُنعت لذلك.

وكان على باب دربٍ منها رجلٌ ضرير، فإذا اجتاز به إنسان يسأله أن يقوده[٤] خطوات إلى باب الدرب، فيفعل ذلك، فإذا دخل الدرب أُخذ وقُتل، فتجرّد للانتقام منهم أبو القاسم مسعود بن محمّد الخُجَنْدِيُّ، الفقيه الشافعيُّ، وجمع الجمّ الغفير[٥] بالأسلحة، وأمر بحفر أخاديد، وأوقد فيها النيران، وجعل العامّة يأتون بالباطنيّة أفواجاً ومنفردين، فيلقون في النار، وجعلوا إنساناً على أخاديد النيران، وسمّوه مالكاً، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً[٦].

---

(١) في (أ) و (ب): «محمد».
(٢) في الأوربية: «أنه».
(٣) في الباريسية: (وسار).
(٤) في (أ) و (ب): «يقود به».
(٥) في الباريسية: «جماعة».
(٦) في المنتظم ٩/ ١٢٠ (١٧/ ٦٣)، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٥٢، دول الإسلام ٢/ ٢٣، تاريخ الإسلام ٢٨، ٢٩.

ذكر قلاعهم التي استولوا عليها ببلاد العجم

واستولوا على عدّة حصون منها قلعة أصبهان، وهذه القلعة لم تكن قديماً، وإنّما بناها السلطان ملكشاه.

وسبب بنائها أنّه كان قد أتاه رجل من مقدّمي الروم، فأسلم وصار معه، فاتّفق أنّه سار[1] يوماً إلى الصيد، فهرب منه كلبٌ حسن الصيد، وصعد هذا الجبل، فتبعه السلطان والروميُّ معه، فوجده موضعَ القلعة، فقال له (الروميُّ) لو أنّ عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصناً ننتفع به؛ فأمر ببناء القلعة، ومنع منها نظام المُلك، فلم يُقبل قوله، فلمّا فرغتْ جعل فيها دزْداراً.

فلمّا انقضت أيّام السلطان ملكشاه، وصارت أصبهان بيد خاتون أزالت الدزْدار، وجعلت غيره فيها، وهو إنسان ديلميٌّ اسمه زيار، فمات، وصار بالقلعة إنسان خُوزيٌّ، فاتّصل به أحمد بن عطّاش، وكان الباطنيّة قد ألبسوه تاجاً[2]، وجمعوا له أموالاً، وقدّموه عليهم مع جهله، وإنّما كان أبوه مقدّماً فيهم، فلمّا اتّصل بالدزْدار بقي معه، ووثق به، وقلّده الأمور، فلمّا توفّي الدزْدار، استولى أحمد بن عطّاش عليها، ونال المسلمين منه ضرر عظيم من أخْذ الأموال، وقتْل النفوس، وقطع الطريق، والخوف الدائم، فكانوا يقولون: إنّ قلعةً يدلّ عليها كلبٌ، ويشير بها كافر لا بدّ وأن يكون خاتمة أمرها الشرّ.

ومنها أَلَمُوت، وهي من نواحي قَزوين، قيل إنّ ملكاً من ملوك الديلم كان كثير التصيّد، فأرسل يوماً عُقاباً، وتبعه، فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة، فوجده موضعاً حصيناً، فأمر ببناء قلعة عليه، فسمّاها أَلَهْ مُوت، ومعناه بلسان الديلم: تعليم العُقاب، ويقال لذلك الموضع وما يجاوره طالقان.

وفيها قلاع حصينة أشهرها أَلَمُوت، وكانت هذه النواحي في ضمان شرفشاه الجَعْفريّ، وقد استناب فيها رجلاً علويّاً، فيه بلهٌ وسلامة صَدْرٍ.

وكان الحسن بن الصبّاح رجلاً شهماً، كافياً، عالماً بالهندسة، والحساب، والنجوم، والسحر، وغير ذلك؛ وكان رئيس الريّ إنسان يقال له أبو مُسلم، وهو صهر نظام المُلك، فاتّهم الحسن بن الصبّاح بدخول جماعة من دُعاة المصريّين عليه، فخافه

---

(١) في (ب) زيادة: «معه».

(٢) في (ب) زيادة: «واجتمعوا».

ابن الصبّاح، وكان نظام المُلك يكرمه، وقال له يوماً من طريق الفراسة: عن قريب يُضلّ[1] هذا الرجل ضعفاء العوامّ؛ فلمّا هرب الحسن من أبي مسلم طلبه فلم يدركه.

وكان الحسن من جملة تلامذة ابن عطّاش، الطبيب الذي ملك قلعة أصبهان، ومضى ابن الصبّاح فطاف البلاد، ووصل إلى مصر، ودخل على المستنصر صاحبها، فأكرمه، وأعطاه مالاً، وأمره أن يدعو الناس إلى إمامته، فقال له الحسن: فمَنِ الإمامُ بعدك؟ فأشار إلى ابنه نِزار؛ وعاد من مصر إلى الشام، والجزيرة، وديار بكر، والروم، ورجع إلى خُراسان، ودخل كاشْغَر، وما وراء النهر، يطوف على قوم يُضلّهم، فلمّا رأى قلعة أَلَمُوت، واختبر أهل تلك النواحي، أقام عندهم، وطمع في إغوائهم، ودعاهم في السرّ، وأظهر الزهد، ولبس المِسْحَ[2] فتبِعه أكثرهم، والعلويُّ صاحب القلعة حسن الظنّ فيه، يجلس إليه يتبرّك به، فلمّا أحكم الحسن أمره، دخل يوماً على العلويّ بالقلعة، فقال له ابن الصبّاح: اخرج من هذه القلعة؛ فتبسّم العلويُّ، وظنّه يمزح، فأمر ابن الصبّاح بعض أصحابه[3] بإخراج العلويّ، فأخرجوه[4] إلى دامغان، وأعطاه ماله وملك القلعة.

ولمّا بلغ الخبر إلى نظام المُلك بعث عسكراً إلى قلعة أَلَمُوت، فحصروه فيها، وأخذوا عليه الطرق، فضاق ذَرْعه بالحصر، فأرسل مَن قتل نظام المُلك، فلمّا قُتل رجع العسكر عنها.

ثمّ إنّ السلطان محمّد بن ملكشاه جهّز نحوها العساكر، فحصرها، وسيرِد ذكر ذلك إن شاء الله تعالىٰ.

ومنها طَبَسُ، وبعض قُهِسْتانَ، وكان سبب ملكهم لها أن قُهِسْتانَ كان قد بقي فيها بقايا من بني سيمجور، أمراء خُراسان، أيّام السامانيّة، وكان قد بقي من نسلهم رجل يقال له المُنَوّر، وكان رئيساً مُطاعاً عند الخاصّة والعامّة، فلمّا وليَ كلسارغ قُهِسْتَانَ ظلم الناس وعسفهم، وأراد أُختاً للمنوّر بغير حلّ، فحمل ذلك المنوّر على أن التجأ إلى الإسماعيليّة، وصار معهم، فعظُم حالهم في قُهِسْتان، واستولوا عليها ومن جملتها (خُورُ، وخُوسف)[5]، وزوزن، وقاين، وتُون، وتلك الأطراف المجاورة لها.

---

(١) في (أ) و (ب): «يصل».
(٢) في (أ) و (ب): «المسوح».
(٣) من الباريسية.
(٤) في الباريسية: «فأخرج».
(٥) من (أ) و (ب).

ومنها قلعة وَسْنَمكُوه[1]، ملكوها، وهي بقرب أبهَر، سنة أربع وثمانين [وأربعمائة]، وتأذّى بهم الناس، لا سيّما أهل أبهَر، فاستغاثوا بالسلطان بركْيارُق، فجعل عليها من يحاصرها، فحوصرت ثمانية أشهر، وأُخذت منهم سنة تسعٍ وثمانين [وأربعمائة]، وقُتل كلّ من بها عن آخرهم.

ومنها قلعة خالنجان على خمسة فراسخ من أصبهان، كانت لمؤيّد المُلك بن نظام المُلك، وانتقلت إلى جاولي سقاووا، فجعل بها إنساناً تركيّاً، فصادقه نجّارٌ باطني، وأهدى له هديّة جميلة، ولزِمه حتّى وثق به، وسلّم إليه مفاتيح القلعة، فعمل دعوةً للتركيّ وأصحابه، فسقاهم الخمر، فأسكرهم، واستدعى ابن عطّاش، فجاء في جماعة من أصحابه، فسلّم إليهم القلعة، فقتلوا من بها سوى التركيّ فإنّه هرب؛ وقوي ابن عطّاش بها، وصار له على أهل أصبهان القطائع الكثيرة.

ومن قلاعهم المذكورة أُستُونَاوَنْدُ، وهي بين الرَّيّ وآمل، ملكوها بعد ملكشاه، نزل منها صاحبها، فقُتل وأُخذت منه.

ومنها أَرْدَهْنُ، وملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن بن الصبّاح.

ومنها كُردكوه وهي مشهورة.

ومنها قلعة الناظر بخُوزستان؛ وقلعة الطُّنبُور وبينها[2] وبين أرّجان فرسخان أخذها[3] أبو حمزة الإسكاف، وهو من أهل أرَّجان، سافر إلى مصر، وعاد داعيةً لهم.

وقلعة[4] خلادخان[5]، وهي بين فارس وخُوزستان، وأقام بها المفسدون نحو مائتَيْ سنة يقطعون الطريق حتّى فتحها عضُد الدولة بن بُوَيْه، وقتل من بها[6].

فلمّا صارت الدولة لملكشاه أقطعها الأمير أُنَر[7]، فجع بها دزداراً، فأنفذ إليه الباطنية الذين بأرَّجان يطلبون منه بَيْعها فأبى[8]، فقالوا له: نحن نرسل إليك من يناظرك

---

(١) في (أ): «وسمكوه». وفي (ب): «وسيمكوه».
(٢) في (أ) و (ب): «بينهما».
(٣) في (ب): «أخذهما».
(٤) في (أ) و (ب): «بقلعة».
(٥) في الباريسية: «حلادحان»، وفي (ب): «خلاوخان».
(٦) في (أ) و (ب) زيادة: «قال».
(٧) في (أ) و (ب): «أنز».
(٨) في الأوربية: «فأبا».

حتّى يظهر لك الحقّ؛ فأجابهم إلى ذلك، فأرسلوا إليه إنساناً ديلمياً يناظره، وكان للدزدار مملوك قد ربّاه، وسلّم إليه مفاتيح القلعة، فاستماله الباطنيُّ، فأجابه إلى القبض على صاحبه، وتسليم القلعة إليهم. فقبض عليه، وسلّم القلعة[1] إليهم، ثم أطلقه، واستولوا بعد ذلك على عدّة قلاع هذه أشهرها[2].

ذكر ما فعله جاولي سقاووا بالباطنيّة

في هذه السنة قتل جاولي سقاووا خلقاً كثيراً منهم.

وسبب ذلك أنّ هذا الأمير كانت ولايته للبلاد التي بين رامَهُرْمُز وأَرَّجان.

فلمّا ملك الباطنيّة القلاع المذكورة بخُوزِستان وفارِسَ، وعظُم شرّهم، وقطعوا الطريق بتلك البلاد، واقف جماعة من أصحابه، حتّى أظهروا الشغب عليه، وفارقوه، وقصدوا الباطنيّة، وأظهروا أنّهم معهم. وعلى رأيهم، فأقاموا عندهم حتّى وثقوا بهم.

ثم أظهر جاولي أنّ الأمراء بني بُرْسُق يريدون قصده وأخذ بلاده، وأنّه عازم على مفارقتها لعجزه عنهم، والمسير إلى هَمَذان، فلمّا ظهر ذلك وسار قال مَن عند الباطنيّة من أصحابه [مِمّن] لهم الرأي: إنّنا نخرج إلى طريقه ونأخذه وما[3] معه من الأموال؛ فساروا إليه في ثلاثمائة من أعيانهم وصناديدهم، فلمّا التقوا صار من معهم من أصحاب جاولي عليهم، ووضعوا السيف فيهم فلم يفلت منهم سوى ثلاثة نفر، صعدوا إلى الجبل وهربوا، وغنم جاولي ما معهم من دوابّ، وسلاح، وغير ذلك.

ذكر قتل صاحب كرمان الباطنيّ (وملك غيره)[4]

كان تيرانشاه[5] بن تورانشاه[6] بن قاوَرت[7] بك هو الذي قتل الأتراك الإسماعيليّة، وليسوا منسوبين[8] إلى هذه الطائفة الباطنيّة، إنما نُسبوا إلى أمير اسمه

---

(١) حتى هنا في نسخة (أ).

(٢) نهاية الأرب ٢٦/٣٥٣، المختصر ٢/ ٢١٤، تاريخ الإسلام ٣٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٣.

(٣) في الباريسية: «ونأخذ ما».

(٤) من الباريسية.

(٥) ورد الاسم بعدّة صيَغ: «ديرانساه»، و «سيرانشاه»، و «بيرانشاه»، و «تيرانشي».

(٦) في (أ) و (ب): «مورانشاه».

(٧) في تاريخ الإسلام ٣٤: «قاروت».

(٨) في الأوربية: «منسوبون».

إسماعيل، وكانوا من أهل السُّنّة قتلَ منهم أَلفَيْ رجل صبراً، وقطع أيدي أَلفَيْن، ووفد[١] عليه إنسان يقال له: أبو زُرْعَةَ، كان كاتباً بخُوزستان، فحسّن له مذهب الباطنيّة، فأجاب إليه.

وكان عنده فقيه حنفيّ يقال له: أحمد بن الحسين البَلْخيُّ، كان مطاعاً في الناس، فأحضره عندَه ليلاً، وأطال الجلوس معه، فلمّا خرج من عنده أتبعه بمن قتله، فلمّا أصبح الناس دخلوا عليه، وفيهم صاحب جيشه، فقال لتيرانشاه: أيّها الملك من قتل هذا الفقيه؟ فقال: أنت شِحنة البلد، تسألني مَن قتله؟ فقال: أنا أعرف قاتله! ونهض من عنده، ففارقه في ثلاثمائة فارس، وسار إلى أصبهان (فأرسل في أثره أَلفَيْ فارس ليردّوه، فقاتلهم، وهزمهم، وسار إلى أصبهان)[٢]، وبها السلطان محمّد ومؤيّد الملك، فأكرمه السلطان، وقال: أنت والد الملوك.

وامتعض عسكر كَرمان بعد مسيره، واجتمعوا، وقاتلوه تيرانشاه، وأخرجوه عن مدينة بَرْدَسيرَ (التي هي مدينة كَرمان)[٢]، فلمّا فارقها اتّفق القاضي والجُند، وأقاموا أرسلانشاه بن كرمانشاه بن قاورت بك، وسار تيرانشاه إلى مدينة بُمّ من كَرمان، فحاربه أهلها ومنعوه منها، وفيها أمير يُعرف بمحمّد بهستون، فأرسل أرسلانشاه جَيْشاً حصروا القَلعة، فقال محمّد بهستون لتيرانشاه: انصرف عنّي، فلستُ أرى الغدر بك، وأنا رجل مسلم، ومقامك عندي يؤذيني، وأُتّهم بك في ديني. فلمّا عزم على الخروج أرسل محمّد بهستون إلى مقدّم الجيش الذين يحاصرونهم يُعلمه بمسير تيرانشاه، فجرّد عسكراً إلى طريقه، فخرجوا عليه، وأخذوه وما معه، وأخذوا أيضاً أبا زُرْعة، فأرسل أرسلانشاه فقتلهما، وتسلّم جميع بلاد كَرمان[٣].

ذكر السبب في قتل بركيارُق الباطنيّة

لمّا اشتدّ أمر الباطنيّة وقويت شوكتهم، وكثُر عددهم، صار بينهم وبين أعدائهم ذحولٌ وإحنٌ، فلمّا قتلوا جماعة من الأمراء الأكابر، وكان أكثر من قتلوا مَنْ هو في طاعة محمّد، مخالفٌ للسلطان بركْيارُق، مثل شِحنة أصبهان سرمز، وأرغش، وكمش[٤] النظاميّين، وصهره، وغيرهم، نسب أعداء بركْيارُق ذلك إليه، واتّهموه بالميل إليهم.

---

(١) في الأوربية: «ونفق».
(٢) من الباريسية.
(٣) تاريخ الإسلام ٣٤.
(٤) في (أ) و (ب): «وكجمح».

فلمّا ظفر السلطان بركْيارُق، وهزم أخاه السلطان محمّداً، وقتل مؤيّدَ المُلك وزيره، انبسط جماعة منهم في العسكر، واستغووا كثيراً منهم، وأدخلوهم في مذهبهم، وكادوا يظهرون بالكثرة والقوّة، وحصل بالعسكر منهم طائفة من وجوههم، وزاد أمرهم، فصاروا يتهدّدون من لا يوافقهم بالقتل، فصار يخافهم من يخالفهم، حتى إنّهم لم يتجاسر أحدٌ منهم، لا أمير ولا متقدّمٌ، على الخروج من منزله حاسراً بل يلبس تحت ثيابه دِرعاً. حتّى إنّ الوزير الأعزّ أبا المحاسن كان يلبس زرَديّة تحت ثيابه، واستأذن السلطانَ بركْيارُق خواصُّه في الدُّخول[1] عليه بسلاحهم، وعرّفوه خوفهم ممّن يقاتلهم، فأَذِن لهم في ذلك.

وأشاروا على السلطان أن يفتك بهم قبل أن يعجز عن تلافي أمرهم، وأعلموه ما يتّهمه الناس به من الميل إلى مذهبهم، حتّى إنّ عسكر أخيه السلطان محمّد يشنّعون بذلك، وكانوا في المصافّ يكبّرون عليهم، ويقولون: يا باطنيّة، فاجتمعت هذه البواعث كلّها، فأذِن السلطان في قتلهم، والفتك بهم، وركب هو والعسكر معه، وطلبوهم، وأخذوا جماعةً من خيامهم ولم يفلت منهم إلاّ من لم يُعرف.

وكان ممّن اتُّهم بأنّه مقدّمهم الأمير محمّد بن دشمنزيار بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكوَيْه، صاحب يَزْد، فهرب، وسار يومه وليلته، فلمّا كان اليوم الثاني وُجد في العسكر قد ضلّ الطريق ولا يشعر، فقُتل، وهذا موضع المثل: أتتك بحائن رِجلاه، ونُهبت خيامُه، فوُجد عنده السلاح المعدّ، وأُخرج الجماعة المتّهمون إلى الميدان فقتلوا، وقتل منهم جماعة براء لم يكونوا منهم سعى بهم أعداؤهم، وفيمن قُتل ولد كيقباذ، مستحفظ تكريت، فلم يغيّر والده خطبة بركْيارُق، ولكن شرع في تحصين القلعة وعمارتها، ونقض جامع البلد، وكان يقاربها، لئلاّ يؤتى منه، وجعل بيعةً في البلد جامعاً، وصلّى الناس فيه.

وكتب إلى بغداذ بالقبض على أبي إبراهيم الأسَدَاباذيّ الذي كان قد وصل إليها رسولاً من بركْيارُق ليأخذ مال مؤيّد المُلك، وكان من أعيانهم ورؤوسهم، فأُخذ وحُبس، فلمّا أرادوا قتله قال: هبوا أنّكم قتلتموني، أتقدرون على قتل مَن بالقلاع والمدن؟ فقُتل، ولم يصلّ عليه أحدٌ، وأُلقي خارج السور، وكان له ولد كبير قُتل بالعسكر معهم.

وقد كان أهل عانَةَ نُسبوا إلى هذا المذهب قديماً، فأُنهي حالهم إلى الوزير أبي

---

(١) في الأوربية: «الوخدل».

شجاع أيّام المقتدي بأمر الله، فأحضرهم إلى بغداذ، فسأل مشايخهم على الذي يقال فيهم، فأنكروا وجحدوا، فأطلقهم.

واتُّهم أيضاً إلْكَيَّا الهرّاس، المدرّس بالنظاميّة، بأنّه باطنيّ، ونُقل ذلك عنه إلى السلطان محمّد، فأمر بالقبض عليه، فأرسل المستظهر بالله من استخلصه، وشهد له بصحّة الاعتقاد، وعُلُوّ الدرجة في العلم، فأُطلق(١).

ذكر حصر الأمير بزغش(٢) قُهستان وطَبَس

في هذه السنة جمع الأمير بزغش، وهو أكبر أمير مع السلطان سَنجَر، جموعاً كثيرة، وقوّاهم بالمال والسلاح، وسار إلى بلد الإسماعيليّة، فنهبه، وخرّبه، وقتل فيهم فأكثر، وحصر طَبَس، وضيّق عليها، ورماها بالمنجنيق، فخرّب كثيراً من سورها، وضعُف من بها، ولم يبقَ إلاّ أخذها، (فأرسلوا إليه الرّشا الكثيرة، واستنزلوه عمّا كان يريده منهم)(٣)، فرحل عنهم وتركهم، فعاودوا عمارة ما انهدم من سورها، وملأوها ذخائر من سلاح وأقوات وغير ذلك، ثم عاودهم بزغش سنة سبعَ وتسعين [وأربعمائة]، فكان ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ(٤).

ذكر ما ملك الفرنج من الشام

فيها سار كُنْدُفْري(٥)، (ملك الفرنج)(٦) بالشام، وهو صاحب البيت المقدّس، إلى مدينة عكّة، بساحل الشام، فحصرها، فأصابه سهم فقتله، وكان قد عمّر مدينة يافا وسلّمها إلى قُمّص من الفرنج اسمه طَنكَري، فلمّا قُتل كُنْدُفري سار أخوه بَغْدَوين إلى البيت المقدّس في خمسمائة فارس وراجل، فبلغ الملك دُقاق، صاحب دمشق خبره، فنهض إليه في عسكره، ومعه الأمير جناح الدولة في جموعه، فقاتله، فنُصِر على الفرنج.

---

(١) نهاية الأرب ٢٦/٣٥٤، ٣٥٥، المختصر ٢/٢١٤، تاريخ الإسلام ٣٤، ٣٥، تاريخ ابن الوردي ٢/١٣، النجوم الزاهرة ٥/١٦٦.

(٢) في (ب): «برغش».

(٣) من (أ).

(٤) تاريخ الإسلام ٣٥.

(٥) هو الدوق غودفري godfirey من مقاطعة بويّون Bouillon في بلجيكا. (قصة الحضارة لول ديورنت ٤/٢٠، ٢١).

(٦) من (أ) و (ب).

وفيها ملك الفرنج مدينة سَرُوج من بلاد الجزيرة، وسبب ذلك أنّ الفرنج كانوا قد ملكوا مدينة الرُّها بمكاتبة من أهلها لأنّ أكثرهم أرمن، وليس بها من المسلمين إلاّ القليل، فلمّا كان الآن جمع سُقمان بسَروج جمعاً كثيراً من التركمان، وزحف إليهم، فلقوه وقاتلوه، فهزموه في ربيع الأوّل. فلمّا تمّت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج إلى سَروج، فحصروها وتسلّموها، وقتلوا كثيراً من أهلها، وسَبَوْا حريمَهم، ونهبوا أموالهم، ولم يسلم إلاّ من مضى منهزماً[1].

وفيها ملك الفرنج مدينة حَيْفا[2]، وهي بالقرب من عكّة على ساحل البحر، ملكوها عَنوةً، وملكوا أَرْسُوفَ بالأمان، وأخرجوا أهلها منها.

وفيها، في رجب، ملكوا مدينة قَيْساريّة بالسيف، وقتلوا أهلها، ونهبوا ما فيها[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في شهر رمضان، تقدّم الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر، وأن يُصلّى فيه صلاة التراويح، ولم تكن جرت بذلك عادة، وأمر بالجهر ببسم الله الرحمٰن الرحيم، وهذا أيضاً لم تجرِ به عادة، وإنّما تُرك الجهر بالبَسْملة في جوامع بغداذ لأنّ العلويّين أصحاب مصر كانوا يجهرون بها، فتُرك ذلك مخالفة لهم لا اتّباعاً لمذهب (أحمد الإمام)[4]، وأمر أيضاً بالقنوت على مذهب الشافعيّ، فلمّا كانت اللّيلة التاسعة والعشرون ختم في جامع القصر، وازدحم الناس عنده، وكان زعيم الرؤساء أبو القاسم عليُّ بن فخر الدولة بن جَهِير أخو عميد الدولة قد أُطلق من الاعتقال، فاختلط بالناس، وخرج إلى ظاهر بغداذ من ثلمةٍ في السور، وسار إلى سيف الدولة صدقة بن مَزْيَد، فاستقبله وأنزله وأكرمه[5].

---

(١) تاريخ حلب (زعرور) ٣٦٠ (سويم) ٢٦، ذيل تاريخ دمشق ٣٨، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٦٠، تاريخ سلاطين المماليك ٢٣١، العبر ٣/٣٣٨، دول الإسلام ٢/ ٢٤، تاريخ الإسلام ٣٦، الإعلام والتبيين ١٢، ١٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٠، شذرات الذهب ٣/ ٤٠٠.

(٢) تاريخ حلب ٣٦١ (٢٦)، ذيل تاريخ دمشق ١٣٩، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٥ و ٢٨/ ٢٦٠، العبر ٣/ ٣٣٨، دول الإسلام ٢/ ٢٤، تاريخ الإسلام ٣٦، إتعاظ الحنفا ٣/ ٢٦، تاريخ الخلفاء ٤٢٨.

(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٣٩، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٦ و ٢٨/ ٢٦٠، المختصر ٢/ ٢١٤، العبر ٣/ ٣٨٨، دول الإسلام ٢/ ٢٤، تاريخ الإسلام ٣٧، الدرّة المضية ٤٥٣، تاريخ سلاطين المماليك ٢٣٨، مرآة الجنان ٣/ ١٥٦، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٠، إتعاظ الحنفا ٣/ ٢٦ و ٢٧، النجوم الزاهرة ٥/ ١٦٧.

(٤) في الباريسية: «أحد».

(٥) تاريخ حلب ٣٦١ (٢٦)، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٦، تاريخ الإسلام ٣٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٠.

[الوفيات]

وفيها، في المحرّم، توفّي جمال الدولة أبو نصر[1] بن رئيس الرؤوساء بن المُسلمة، وهو أُستاذ دار الخليفة.

وفيه توفّي القاضي أحمد بن محمّد بن عبد الواحد أبو منصور بن الصبّاغ[2] الفقيه الشافعيّ، وأخذ الفقه عن ابن عمّه الشيخ أبي نصر بن الصبّاغ، وكان يصوم الدهر، وروى الحديث عن القاضي أبي الطيّب الطبريّ وغيره.

وفيه توفّي شرف الملك أبو سعد محمّد بن منصور المستوفي[3]، الخُوارزميُّ، بأصبهان، وكان مستوفياً في ديوان السلطان ملكشاه، فبذل مائة ألف دينار، حتّى ترك الاستيفاء، وبنى[4] مشهداً على قبر[5] أبي حنيفة، رحمة الله عليه، ومدرسةً بباب الطاق، ومدرسةً بمرو جميعها للحنفيين.

وفيها، في صفر، توفّي القاضي أبو المعالي عزيزي[6]، وكان شافعيّاً، أشعريّاً، وهو من جِيلان، وله مصنَّفات كثيرة حسنة، وكان ورعاً، وله مع أهل باب الأَزَج أخبار ظريفة، وكان قاضياً عليهم، وكان يُبغضونه (ويبغضهم).

وتوفّي أسعد[7] بن مسعود بن عليّ بن محمّد أبو إبراهيم العُتبيُّ من ولد عُتبة بن غَزْوَان. نَيسابوري[8]، وُلِد سنة أربعٍ وأربعمائة، وروى عن أبي بكر الحِيريّ[9] وغيره.

وتوفّي في صفر محمّد بن أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن محمّد بن طوق أبو الفضائل الرَّبَعيُّ[10] الموصليُّ الفقيه الشافعيُّ؛ تفقّه على أبي إسحاقِ الشيرازيّ؛ وسمع الحديث من أبي الطيّب الطبريّ وغيره، وكان ثقةً صالحاً.

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسن بن المسلمة. (تاريخ الإسلام ـ وفيات ٤٩٤ هـ. ص ١٩٩ رقم ١٩٠).

(٢) انظر عن (ابن الصباغ) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٤ هـ) ص ١٧٨، ١٧٩ رقم ١٦٠، وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (المستوفي) في: المنتظم ١٧/ ٧٢ رقم ٣٧١٩، والبداية والنهاية ١٢/ ١٦١.

(٤) في الأوربية: «وبنا».

(٥) في (أ) و (ب): «قبة».

(٦) انظر عن (عزيزي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٤ هـ) ص ١٩٠، ١٩١ رقم ١٧٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٧) انظر عن (أسعد) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٤ هـ) ص ١٨٠ رقم ١٦٢ وفيه مصادر ترجمته.

(٨) في (ب): «بنيسابور».

(٩) في (أ): «الخيري».

(١٠) انظر عن (الربعي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٤ هـ) ص ١٩٦، ١٩٧ رقم ١٨٦ وفيه مصادر ترجمه.

وتوفّي في ربيع الأوّل منها محمّد بن عليّ بن عُبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان بن وَدْعان[1] أبو نصر القاضي الموصليُّ، وهو صاحب «الأربعين الودعانيّة» وقد تكلّموا فيها، فقيل إنّه سرقها، وكانت تصنيف زيد بن رفاعة الهاشميّ، والغالب على حديثه المناكير.

وتوفّي فيها، في ربيع الأوّل، نصر بن أحمد بن عبد الله بن البَطِر[2] القاري أبو الخطّاب، ومولده سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة، سمع ابن رزقوَيهِ وغيره، وصارت إليه الرحلة لعُلُوّ إسناده، وكان سماعه صحيحاً.

---

(١) أنظر عن (ابن ودعان) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٤ هـ) ص ١٩٩ ـ ٢٠١ رقم ١٩١ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (ابن البطر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٤ هـ) ص ٢٠٤ ـ ٢٠٧ رقم ١٩٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٤٩٥
ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة

ذكر وفاة المستعلي بالله وولاية الآمر بأحكام الله

في هذه السنة توفّي المستعلي بالله أبو القاسم أحمد بن مَعَدّ المستنصر بالله العلويُّ، الخليفة المصريُّ، لسبع عشرة خلتْ من صفر، وكان مولده في العشرين من شعبان سنة سبع وستّين وأربعمائة، وكانت خلافته سبع سنين وقريب شهرَيْن، وكان المدبّر لدولته الأفضل(١).

ولمّا توفّي وليَ بعده ابنه أبو عليّ المنصور، ومولده ثالث عشر المحرّم سنة تسعين وأربعمائة، وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبوه، وله خمس سنين وأربعة أيّام، ولُقّب الآمر بأحكام الله، ولم يكن [بين] من تسمّى بالخلافة قطّ أصغر منه ومن المستنصر، وكان المستنصر أكبر من هذا، ولم يقدر [أن] يركب وحده على الفرس لصِغر سنّه، وقام بتدبير دولته الأفضل ابن أمير الجيوش أحسن قيام، ولم يزل كذلك يدبّر الأمر إلى أن قُتل سنة خمس عشرة وخمسمائة(٢).

ذكر الحرب بين السلطان بركْيارُق
والسلطان محمّد والصُّلح بينهما

في هذه السنة، في صفر، كان المصافّ الثالث بين السلطانين بركْيارُق ومحمّد.

قد ذكرنا سنة أربع وتسعين [وأربعمائة] قدوم السلطان محمّد إلى بغداذ، ورحيل

---

(١) انظر عن (المستعلي بالله) في: تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٥ هـ) ص ٤١، وفي (وفيات ٤٩٥ هـ) ص ٢٠٩، ٢١٠ رقم ٢٠٤ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) ذيل تاريخ دمشق ١٤١، تاريخ مختصر الدول ٢٩٧، أخبار الدول المنقطعة ٨٧، المختصر ٢/ ٢١٥، الدرّة المضيّة ٤٦١، الإشارة إلى من نال الوزارة ٦٠، دول الإسلام ٢/ ٢٤، تاريخ الإسلام ٤١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٣.

السلطان بركْيارُق عنها إلى واسط مريضاً، فأقام السلطان محمّد ببغداذ إلى سابع عشر المحرّم من هذه السنة، وسار عنها هو وأخوه السلطان[1] سَنجَر عائدين إلى بلادهما[2]، وسَنجَر يقصد خُراسان[3]، والسلطان محمّد يقصد همَذان. فلمّا سار محمّد عن بغداذ وصلت الأخبار أنّ بركْيارُق قد اعترض خاصّ الخليفة بواسط[4] وسُمع منه في حقّ الخليفة ما يقبح نقلُه، فأرسل الخليفة وأعاد السلطانَ محمّداً إلى بغداذ، وذكر له ما نُقل إليه، وعزم على الحركة مع محمّد إلى قتال بركيارُق، فقال السلطان محمّد: لا حاجة إلى حركة أمير المؤمنين، فإنّي أقوم في هذا القيام المرضي. وسار عائداً، ورتّب ببغداذ أبا المعالي (المفضّل بن عبد الرزّاق في جباية الأموال وإيلغازي)[5] شِحنةً.

وكان لمّا دخل بغداذ قد خلّف عسكره بطريق خُراسان، فنهبوا البلاد وخرّبوها، فأخذهم السلطان محمّد معه، وجدّ السير إلى رُوذراور.

وأمّا السلطان بركْيارُق فقد تقدّم سنة أربع وتسعين [وأربعمائة] أنّه سار من بغداذ عند وصول محمّد إليها قاصداً إلى واسط، فلمّا سمع عسكر واسط بقربه منهم، خافوا منه، وأخذوا نساءَهم، وأولادهم، وأموالهم، وجمعوا السفن جميعها، وانحدروا إلى الزُّبَيدِيّة، فأقاموا هناك.

ووصل السلطان، وهو شديد المرض، يُحمل في محفّة، وقد هلك من دوابّ عسكره ومتاعهم الكثير، فإنّهم كانوا يجدّون السير خوفاً أن يتبعهم السلطان محمّد، أو الأمير صدقة، صاحب الحِلّة، فكانوا كلّما جازوا قنطرة هدموها، ليمتنع من يجتاز بها من اتّباعهم.

ولمّا وصلوا إلى واسط عُوفي بركْيارُق، ولم يكن له ولأصحابه همّة غير العبور من الجانب الغربيّ إلى الجانب الشرقيّ، فلم يجد[6] هناك سفينة، وكان الزمان شاتياً، شديد البرد، والماء زائداً[7]، وكان أهل البلد قد خافوهم، فلزِموا الجامع وبيوتهم، فخلت الطرق والأسواق من مجتازٍ فيها، فخرج القاضي أبو عليّ الفارقيّ إلى العسكر

---

(١) من الباريسية.
(٢) في الأوربية: «بلادهم».
(٣) في (أ) و (ب): «بلاده بخراسان».
(٤) من (أ) و (ب).
(٥) من (ب).
(٦) في (أ): «يجدوا».
(٧) في الأوربية: «زائد».

واجتمع بالأمير إياز، والوزير، واستعطفهما للخلق، وطلب إنفاذ[1] شِحنةٍ لتطمئنّ القلوب، فأجابوه إلى ملتمسه، وقالوا له: نريد أن تجمع لنا من يعبّر دوابنا في الماء، ونسبح[2] معها، فجمع لهم من شباب واسط، وأعطاهم الأجرة الوافرة، فعبّروا دوابّهم من الخيل والبغال والجمال، وكان الأمير إياز بنفسه يسوق الدوابّ، ويفعل ما يفعله الغلمان، ولم يكن معهم غير سفينة واحدة انحدرت مع السلطان من بغداذ، فعبّروا أموالهم ورحالهم[3] فيها. فلمّا صاروا في الجانب الشرقيّ اطمأنّوا ونهب العسكر البلد، فرجع القاضي وجدّد الخطاب في الكفّ عنهم، فأُجيب إلى ذلك، فأرسل معه مَنْ يمنع من النهب.

ثم إنّ عسكر واسط أرسلوا إلى السلطان بركْيارُق يطلبون الأمان ليحضروا الخدمة فأمّنهم، فحضر أكثرهم عنده، وساروا معه إلى بلاد بني بُرسُق، فحضروا أيضاً عنده وخدموه، واجتمعت العساكر عليه.

وبلغه مسير أخيه محمّد عن بغداذ، فسار يتبعه على نَهاوند، فأدركه بروذراوَر، وكان العسكران متقاربَيْن في العدّة، كلّ واحد منهما أربعة آلاف فارس من الأتراك، فتصافّوا، أوّلَ يوم، جميع النهار، ولم يجْر بينهم قتال لشدّة البرد، وعادوا في اليوم الثاني، ثم تواقفوا كذلك، ثم كان الرجل يخرج من أحد الصفّيْن فيخرج إليه من يقاتله، فإذا تقاربا اعتنق كلّ واحد منهما صاحبه، وسلّم عليه، ويعود عنه[4].

ثمّ خرج الأمير بلدجي[5] وغيره من عسكر محمّد إلى الأمير إياز والوزير الأعزّ، فاجتمعوا، واتّفقوا على الصلح، لما قد عمّ الناس من الضّرر، والملل، والوهن، فاستقرّت القاعدة أن يكون بركْيارُق السلطان، ومحمّد الملك، ويُضرب له ثلاث نُوَب، ويكون له من البلاد جَنْزَةُ وأعمالها، وأَذْربيجان، وديار بَكر، والجزيرة، والموصل، وأن يمدّه السلطان بركْيارُق بالعساكر، حتّى يفتح ما يمتنع عليه منها، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه، وانصرف الفريقان من المصافّ رابع ربيع الأوّل، وسار بركْيارُق إلى مرج

---

(١) من الباريسية.

(٢) في (أ) و (ب): «ويسبح».

(٣) في الباريسية: «ورجالهم».

(٤) زبدة التواريخ ١٦٤، المختصر ٢/ ٢١٥، العبر ٣/ ٣٤٠، دول الإسلام ٢/ ٢٤، تاريخ الإسلام ٤٢، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٦ و ٥/ ٢٧.

(٥) في (أ) و (أ): «بلداجي».

قُراتكين قاصداً ساوة، والسلطان محمّد إلى أسداباذ، وتفرّق هذا المصافّ وقصد كلّ أمير أقطاعه[١].

ذكر الحرب بين السلطان بركيارُق ومحمّد وانفساخ الصلح بينهما

في هذه السنة، في جمادى الأولى[٢]، كان المصافّ الرابع بين السلطان بركْيارُق وأخيه محمّد.

وكان سببه أنّ السلطان محمّداً سار من روذراوَر[٣]، من الوقعة المذكورة، إلى أَسَدَاباذ، ومنها إلى قَزوين، ونسب الأمراء الذين سعوا في ذلك الصلح إلى المخامرة عليه، والتقاعد به، فوضع رئيس قَزوين أن يتوسّل إليه بأولئك الأمراء ليحضر[٤] دعوته، فاستشفع الرئيس بهم إلى السلطان، فحضر دعوته، بعد أن امتنع، ووصّى خواصّه بحمل السلاح تحت أقبيتهم، وحضر الدعوة ومعه الأمير أيتكين، وبسمل[٥]، فقتل الأميرَ بسمل[٥]، (وهو من أكابر الأمراء)[٦]، وكحل الأميرَ أيتكين.

وكان الأمير ينّال بن أنوشتكين الحُساميّ قد فارق بركْيارُقَ، وأقام مجاهداً للباطنيّة الذين في القلاع والجبال، فقصد الآن السلطان محمّداً، وسار معه إلى الرَّيّ يضرب النُّوَب الخمس، واجتمعت إليه العساكر، وأقام ثمانية أيّام، ووافاه أخوه السلطان بركْيارُق في اليوم التاسع، ووقع بينهما المصافّ عند الرَّيّ، وكانت عدّة العسكرَيْن متقاربة كلّ عسكر منهما عشرة آلاف فارس، فلمّا اصطفّوا حمل الأمير سُرخاب بن كَيخَسْرو الديلميُّ، صاحب أبَة[٧]، على الأمير يَنّال، فهزمه، وتبَعه في الهزيمة جميع عسكر محمّد، وتفرّقوا، ومضى معظمهم نحو طَبَرِستان، ولم يُقْتَلْ في هذا المصافّ غير رجل واحد قُتل صبراً.

---

(١) نهاية الأرب ٢٦/٣٤٩، المختصر ٢/٢١٥، العبر ٣/٣٤٠، تاريخ الإسلام ٤٢، دول الإسلام ٢/٢٤، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٨٦ و ٥/٢٧.

(٢) في (أ) و (ب) زيادة: «أيضاً».

(٣) في (أ) و (ب): «روذوار».

(٤) في (أ) و (ب): «ليحضروا».

(٥) في (أ): «بسمك»، وفي تاريخ ابن خلدون ٥/٢٨ «يشمك»، وفي تاريخ الإسلام ٤٢ «سمل»، وانظر دول الإسلام ٢/٢٤.

(٦) من (أ) و (ب).

(٧) في (أ) و (ب): «أوة».

ومضَى قطعة من المنهزمين نحو قَزوين، ونُهبت خزائن محمّد، ومضى في نفر يسير إلى أصبهان، وحمل هو عَلمه بيده ليتبعه أصحابه، وسار في طلبه الأمير أُلْبكي بن برسق[١]، والأمير إياز إلى قُمّ، وتتبّع السلطان برْكيارُق أصحاب أخيه محمّد، وأخذ أموالهم[٢].

ذكر حصار السلطان محمّد بأصبهان

لمّا انهزم السلطان محمّد من الوقعة التي ذكرناها بالريّ، مضى إلى أصبهان في سبعين فارساً، والبلد في حكمه، وفيه نائبه، ومعه من الأمراء الأمير ينّال، (وغيره من الأمراء)[٣]، ودخل المدينة في ربيع الأوّل، وأمر بتجديد ما تشعّث من السور، وهذا السور هو الذي بناه علاء الدولة بن كاكَوَيْه سنة تسع وعشرين وأربعمائة، عند خوفه من طُغْرُلْبك، وأمر محمّد بتعميق الخندق حتى صعِدَ الماء فيه، وسلّم إلى كلّ أمير باباً، وكان معه في البلد ألف ومائة فارس وخمس مائة راجل، ونصب المجانيق.

ولمّا علم السلطان برْكيارُق بمسير أخيه محمّد إلى أصبهان سار يتبعه، فوصلها[٤] في جمادى الأولى، وعساكره كثيرة، تزيد على خمسة عشر ألف فارس، ومعها مائة ألف من الحواشي، وأقام يحاصر البلد، وضيّق عليه.

وكان السلطان محمّد يدور كلّ ليلة على سور البلد ثلاث دفعات، فلمّا زاد الأمر في الحصار، أخرج الضعفاء والفقراء من البلد، حتّى خلت المحالّ، وعُدمت الأقوات، وأكل الناس الخيل، والجِمال، وغير ذلك، وقلّت الأموال، فاضطرّ السلطان محمّد إلى أن يستقرض من أعيان البلد فأخذ مالاً عظيماً، ثم عاود الجُندُ الطلب، فقسّط على أهل البلد شيئاً آخر، وأخذه منهم بالشدّة والعنف، ولم تزل الأسعار تغلو، حتّى بلغ عشرة أمنان[٥] من الحنطة بدينار، وأربعة أرطال لحماً بدينار، وكلّ مائة رطل تبناً بأربعة دنانير، ورخصت الأمتعة وهانت لعدم الطالب.

وكانت الأسعار، في عسكر برْكيارُق، رخيصةً، فبقي الحصار على البلد إلى عاشر

---

(١) في (أ): «برشق».

(٢) زبدة التواريخ ١٦٤، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤٩، المختصر ٢/ ٢١٥، العبر ٣/ ٣٤٠، دول الإسلام ٢/ ٢٤، ٢٥، تاريخ الإسلام ٤٢، ٤٣.

(٣) من (ب).

(٤) في (أ) و (ب): «فوصل إليها».

(٥) في الأوربية: «أمنا».

ذي الحجّة، فلمّا رأى السلطان محمّد أنّه لا قدرة له على الدفع عن البلد، وكلّما جاء أمره يضعف، قوّى عزمه[1] على مفارقته وقصْد جهةٍ أخرى، يجمع فيها العساكر، ويعود يدفع الخصم عن الحصار، فسار عن البلد في مائة وخمسين فارساً، ومعه الأمير ينّال، واستخلف بالبلد جماعة من الأمراء الكبار في باقي العسكر، فلمّا فارق العسكرَ والبلد لم يكن في دوابّهم ما (يدوم على السير)[2]، لقلّة[3] العلف في الحصار، فنزل على ستّة فراسخ.

فلمّا سمع بركْيارُق بمسيره سيّر وراءه الأمير إياز في عسكر كثير، وأمره بالجدّ في السّير في طلبه، فقيل: إنّ محمّداً سبقهم، فلم يدركوه، فرجعوا، وقيل: بل أدركوه، فأرسل إلى الأمير إياز يقول: أنت تعلم أنّني[4] لي في رقبتك عهود وأيمان ما نُقِضَتْ، ولم يكن منّي إليك ما تبالغ في أذاي. فعاد عنه، وأرسل له خَيْلاً، وأخذ علَمَه، والجَتْر، وثلاثة أحمال دنانير، وعاد إلى بركْيارُق، فدخل إليه، وأعلام أخيه السلطان محمّد منكوسة، فأنكر بركْيارُق ذلك، وقال: إن كان قد أساء، فلا ينبغي أن يعتمد معه هذا. (فأخبره الخبر)[5]، فاستحسن ذلك منه.

فلمّا فارق محمّد أصبهان اجتمع من المفسدين، والسواديّة، ومن يريد النهب، ما يزيد على مائة ألف فارس، وزحفوا إلى البلد بالسلاليم، والدّبّابات، وطمّوا الخندق بالتبن، والتصقوا بالسور، وصعِد الناس في السلاليم فقاتلهم أهل البلد قتال من يريد [أن] يحمي حريمه وماله، فعادوا خائبين، فحينئذٍ أشار الأمراء على بركْيارُق بالرحيل، فرحل ثامن عشر ذي الحجّة من السنة، واستخلف على البلد القديم، الذي يقال له شَهرِسْتان، ترشك الصوابيّ في ألف فارس مع ابنه ملكشاه، وسار إلى همَذان؛ وكان هذا من أعجب ما سُطر أنّ سلطاناً محصوراً قد تقطّعت موادّه، وهو يُخْطَب له في أكثر البلاد، ثم يخلص من الحصر الشديد، وينجو من العساكر الكثيرة التي كلّها قد شرع إليه رُمحه، وفوّق إليه سهمه[6].

---

(١) في الباريسية: «أمر».

(٢) في الباريسية: «يدفع».

(٣) في الأوربية: «العلة».

(٤) في الباريسية و ب: «أن».

(٥) من (أ).

(٦) نهاية الأرب ٢٦/٣٤٩، ٣٥٠، المختصر ٢/٢١٥، العبر ٣/٣٤٠، دول الإسلام ٢/٢٥، تاريخ الإسلام ٤٢، ٤٣، تاريخ ابن الوردي ٢/١٣، البداية والنهاية ١٢/١٦٢، ١٦٣، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٨٧ و ٥/٢٨.

ذكر قتل الوزير الأعزّ ووزارة الخطير أبي منصور

في هذه السنة، ثاني عشر صفر، قُتل الوزير الأعزّ أبو المحاسن عبد الجليل بن محمّد الدِّهِسْتانيُّ، وزير السلطان بركْيارُق على أصبهان، وكان مع بركْيارُق محاصراً لها، فركب هذا اليوم من خيمته إلى خدمة السلطان، فجاء شابٌّ أشقر، قيل: إنّه كان من غلمان أبي سعيد الحدّاد، وكان الوزير قتله في العام الماضي، فانتهز الفرصة فيه، وقيل: كان باطنيّاً، فجرحه عدّة جراحات، (فتفرّق أصحابه عنه، ثم عادوا إليه، فجرح أقربهم منه جراحات)[1]، أثخنته، وعاد إلى الوزير فتركه بآخر رمق[2].

وكان كريماً، واسع الصدر، حسن الخُلُق، كثير العمارة، ونفر الناس منه لأنّه دخل في الوزارة، وقد تغيّرت القوانين، ولم يبقَ دخلٌ ولا مال، ففعل للضرورة ما خافه الناس بسببه.

وكان حسن المعاملة مع التجّار، فاستغنى به خَلق كثير، فكانوا يسألونه ليعاملهم، فلمّا قُتل ضاع منهم مال كثير.

حُكي أنّ بعض التجّار باعه متاعاً بألف دينار، فقال له: خذ بها حنطة من الراذان خمسين كرّاً، كلّ كرّ بعشرين ديناراً؛ فامتنع التاجر من أخذها، وقال: لا أريد غير الدنانير. فلمّا كان من الغد دخل إليه التاجر، فقال له: يُهنئك، يا فلان! فقال: وما هو؟ قال: خبر حنطتك؛ فقال: ما لي حنطة، ولا أريدها؛ قال: بلى، وقد بيعت كلّ كرّ بخمسين ديناراً؛ فقال: أنا لم أتقبّل بها! فقال الوزير: ما كنتُ أفسخ عقداً عقدتُهُ. قال: فخرجتُ، وأخذتُ ثمن الحنطة ألفَيْن وخمسمائة دينار، وأضفتُ إليها مثلها وعاملته، فقُتل فضاع الجميع.

وكان قد نفق عليه عمل الكيمياء، واختصّ به إنسان كيميائيّ، فكان يَعِده الشهرَ بعد الشهر، والحَوْلَ بعد الحَوْل، وقال له بعض أصحابه، وقد أحاله عليك بكرّ حنطة، فاستزاده: لو كان صادقاً في عمله، لما كان يستزيد من القدر القليل؛ وقُتل ولم يصحّ له منه[3] شيء.

ولمّا قتل الأعزّ أبو المحاسن وَزَر بعده الوزير الخطير أبو منصور المَيْبُذيُّ الذي كان وزير السلطان محمّد.

---

(١) من (أ) و (ب).

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٥ هـ) ص ٤٥، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٨٧ و ٥/٢٨.

(٣) من (أ) و (ب).

وكان سبب فراقه لوزارة محمّد أنّه كان معه بأصبهان، وبركْيارُق يحاصره، وقد سلّم إليه محمّدٌ باباً من أبوابها ليحفظها، فقال له الأمير يَنّال بن أنوشتكين: كنتَ قد كلّفتَنا[1]، ونحن بالريّ، لنقصد همذان، وقلتَ: أنا أقيم بالعسكر من مالي، وأحصل لهم ما يقوم بهم، ولا بدّ من ذلك. فقال له الخطير: أنا أفعل ذلك. فلمّا كان اللّيل فارق البلد، وخرج من الباب الذي كان مُسَلَّماً إليه، وقصد بلده مَيْبُذ، وأقام بقلعتها متحصّناً، فأرسل إليه السلطان بركْيارُق وحصره، فنزل منها مستأمناً، فحُمل على بغلٍ بإكافٍ إلى العسكر، فوصله في طريقه قَتْل الوزير الأعزّ، وكتاب السلطان له بالأمان، وطُيّب قلبه، فلمّا وصل إلى العسكر خلع عليه واستوزره[2].

حادثة يُعْتبَر بها

في سنة ثلاثٍ وتسعين [وأربعمائة] بيع رحلُ بني جَهِير ودُورهم بباب العامّة، ووصل ثمن ذلك إلى مؤيّد المُلك، ثمَّ قُتِل في سنة أربعٍ وتسعين مؤيّد المُلك، وبِيع ماله وبَركه، وأُخذ الجميع إلى الوزير الأعزّ، وقُتل الوَزير الأعزّ، هٰذه السنّة، وبِيع رَحْله، واقتُسمت أمواله، وأخذ السلطان ومن وليَ بعده أكثرها، وتفرّقت أيدي سبا، وهذا عاقبة خدمة الملوك.

ذكر الفتنة بين إيلغازي وعامّة بغداذ

في هذه السنة، في رجب، كانت فتنة شديدة بين عسكر الأمير إيلغازي بن أُرتُق، شِحنة بغداذ، وبين عامّتها.

وسببها أنّ إيلغازي كان بطريق خُراسان، فعاد إلى بغداذ. لمّا وصل أتى جماعة من أصحابه إلى دجلة، فنادوا ملاّحاً ليعبر بهم، فتأخّر، فرماه أحدهم بنشّابة، فوقعت في مَشْعره فمات، فأخذ العامّة القاتل، وقصدوا باب النُّوبي، فلقيهم ولد إيلغازي مع جماعة، فاستنقذوه، ورجمهم العامّة بسوق الثلاثاء، فمضى إلى أبيه مستغيثاً، فأخذ حاجبُ الباب من له في هذه الحادثة عملٌ فلم يُقنع إيلغازيْ ذلك، فعبر بأصحابه إلى محلّة الملاّحين، المعروفة بمربّعة القطّانين، ويتبعهم خلق كثير، فنهبوا ما وجدوا وقدروا عليه، فعطف عليهم العيّارون فقتلوا أكثرهم.

ونزل من سَلِم في السفن ليعبروا دجلة، فلمّا توسّطوها ألقَى الملاّحون أنفسهم في

---

(١) في (أ) و (ب): «كاتبتنا».

(٢) زبدة التواريخ ١٦٦، تاريخ دولة آل سلجوق ٩٦ ـ ١١٤، تاريخ الإسلام ٤٥، تاريخ ابن خلدون ٢٨/٥.

الماء وتركوهم فغرقوا، فكان الغريق أكثر من القتيل، وجمع إيلغازي التركمان، وأراد نهب الجانب الغربيّ، فأرسل إليه الخليفة قاضي القضاة، والكيا الهرّاس، المدرّس بالنظاميّة، فمنعاه من ذلك، فامتنع[1].

ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها

في هذه السنة، في العشرين من شوّال، قصد الأمير إسماعيل، صاحب البصرة، مدينة واسط للاستيلاء عليها.

ونحن نبتدىء بذِكر إسماعيل، وتنقّل الأحوال به إلى أن ملك البصرة، وهو إسماعيل بن سلانجق، وكان إليه في إيّام ملكشاه شِحنكيّة الريّ، ولمّا وليها كان أهل الريّ والرُّستاقيّة قد أعيَوا مَنْ وليهم، وعجز الوُلاة عنهم، فسلك معهم طريقاً أصلحهم بها، وقتل منهم مقتلة عظيمة فتهذّبوا بها، وأرسل مِن شعورهم إلى السلطان ما عمل منه مقاودَ وشُكُلاً للدوابّ، ثم عُزل عنها.

ثمّ إنّ السلطان بركْيارُق أقطع البصرة للأمير قماج، فأرسل إليها هذا الأمير إسماعيل نائباً عنه، فلمّا فارق قماج بركْيارُق، وانتقل إلى خُراسان، حدّثته نفسه بالتغلّب على البصرة، والاستبداد، فانحدر مهذّب الدولة بن أبي الجبر[2] من البطيحة إليه ليحاربه، ومعه معقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الأسَديّ، صاحب الجزيرة الدُّبيسيّة، فأقبلا في جَمْعٍ كثير من السفن والخيل، ووصلوا إلى مَطَارَا.

فبينما معقل يقاتل قريباً من القلعة التي بناها ينّال بمَطَارَا، وجدّدها إسماعيل وأحكمها، أتاه سهم غَربٍ فقتله، فعاد ابن أبي الجبر إلى البطيحة، وأخذ إسماعيل سفنه، وذلك سنة إحدى وتسعين [وأربعمائة]، فاستمدّ ابن أبي الجبر كوهرائين، فأمدّه بأبي الحسن الهَرَويّ، وعبّاس بن أبي الجبر، فلقياه، فكسرهما، وأسرهما، وأطلق عبّاساً على مال أرسله أبوه، واصطلحا.

وأمّا الهرويّ فبقي في حبسه مدّةً، ثم أطلقه على خمسة آلاف دينار، فلم يصحّ له منها شيء.

وقوي حال إسماعيل، فبنى[3] قلعة بالأُبُلّة، وقلعة بالشاطىء مقابل مَطَارَا، وصار

---

(١) تاريخ الإسلام ٤٥، ٤٦، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٧، ٤٨٨.
(٢) في (أ): «الخير».
(٣) في الأوربية: «فبنا».

مخوفَ الجانب وأمن البصريّون به، وأسقط شيئاً من المكوس، واتّسعتْ إمارته باشتغال السلاطين، وملك المَشَان، واستضافها إلى ما بيده.

فلمّا كان هذه السنة كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم إليه، فقوي طمعه في واسط، فأصعد في السفن إلى نَهْرَابان[١]، وراسلهم في التسليم، فامتنعوا من ذلك، وقالوا: راسلناك، وقد رأينا غير ذلك الرأي. فأصعد إلى الجانب الشرقيّ، فخيّم تحت النخيل، وسفنه بين يديْه، وخيّم جُند واسط حِذاءه، وراسلهم، ووعدهم، وهم لا يجيبونه[٢].

واتّفقت العامّة مع الجُند، وشتموه أقبح شتم، فلمّا أيس منهم عاد إلى البصرة، وساروا بإزائه من الجانب الآخر، فوصل إلى العَمَر، وعبّر طائفة من أصحابه فوق البلد، وهو يظنّ أنّ البلد خالٍ[٣]، وأنّ الناس قد خرجوا منه، لمّا رأى كثرة مَن بإزائه، فيوقع الحريق في البلد، فإذا رجع الأتراك عاد هو من ورائهم، فكان ظنّه خائباً لأنّ العامّة كانوا على دجلة، أوّلهم في البلد، وآخرهم مع الأتراك بإزائه[٤].

فلمّا عبر أصحابه عاد الأتراك عليهم، ومعهم العامّة، فقتلوا منهم ثلاثين رجلاً، وأسروا خلقاً كثيراً، وألقى الباقون أنفسهم في الماء، فأتاه من ذلك مصيبة لم يظنّها، وصار[٥] أعيان أصحابه مأسورين، وعاد إلى البصرة، وكان عوده من سعادته، فإنّه كان قد قصد الأمير أبو سعد محمّد بن مُضَر بن محمود[٦] (البصرة ذلك الوقت)[٧]، وله أعمال واسعة، منها: نصف عُمان، وجَنّابَة، وسِيراف، وجزيرة بني نَفِيس.

وكان سبب قصده إيّاها أنّه كان قد صار مع إسماعيل إنسان يُعرف بجعفرك، وآخر اسمه زنجوَيْه، والثالث بأبي الفضل الأُبُلّيّ، فأطمعوه في أن يعمل مراكب يرسل فيها مقاتلةً في البحر إلى أبي سعد هذا وغيره، فعمل نيّفاً وعشرين قطعةً، فلمّا علم أبو سعد الحال، أرسل جماعة كثيرة من أصحابه في نحو خمسين قطعة، فأتوا إلى دجلة البصرة، وذلك في السنة الخالية، فأقاموا بها محاربين[٨]، وظفروا بطائفة من أصحاب إسماعيل،

---

(١) في (أ) و (ب): «نهراجان».
(٢) في (أ) و (ب): «يحسرونه»، وفي (أ): «العلّه يخشونه».
(٣) في الأوربية: «خالياً».
(٤) في (أ) و (ب) زيادة: «فتوقع الحريق في البلد».
(٥) في (أ) و (ب): «وعاد».
(٦) في الباريسية: «محمويه».
(٧) من الباريسية.
(٨) في (أ): «غارتين»، و (ب): «غاريين».

وقتلوا صاحب قلعة الأُبُلّة، وكاتبوا بني بُرسُق[1] بخُوزستان يطلبون أن يرسلوا عسكراً ليساعدوهم على أخذ البصرة، فتمادى الجواب، وركن الطائفتان إلى الصلح، على أن يسلّم إليهم إسماعيل جعفرك ورفيقه، ويُقطعهم مواضع ذكروها من أعمال البصرة.

فلمّا رجعوا لم يفعل شيئاً من ذلك، وأخذ مركبَيْن لقوم من أصحاب أبي سعد، فحمله ذلك على أن سار بنفسه في قطعٍ كثيرة تزيد على مائة قِطعة بين كبيرة وصغيرة، ووصل إلى فوهة نهر الأُبُلّة.

وخرج عسكر إسماعيل في عدّة مراكب، ووقع القتال بينهم، وكان البحريّون في نحو عشرة آلاف، وإسماعيل في سبعمائة، وأصعد البحريّون في دجلة، فأحرقوا عدّة مواضع، وتفرّق عسكر إسماعيل، فبعضه بالأُبُلّة، وبعضه بنهر الديْر، وبعضه في مواضع أُخر.

فلمّا ضعُف إسماعيل عن مقاومة أبي سعد طلب من وكيل[2] الخليفة، على ما يتعلّق بديوانه من البلاد، أن يسعى في الصلح، فأرسل إليه في ذلك، فأعاد الجواب يذكر قُبح ما عامله به إسماعيل مرّة بعد أخرى، وتكرّرت الرسائل بينهم، فأجاب إلى الصُّلح، فاصطلحا، واجتمعا، وعاد أبو سعد إلى بلاده، وحمل كلّ واحد منهما لصاحبه هديّة جميلة.

ذكر وفاة كربوقا وملك موسى التركمانيّ الموصل وجكرمش بعده وملك سُقمان الحصن

في هذه السنة، في ذي القعدة، تُوفّي قوام الدولة كربوقا[3]، عند مدينة خُوَيّ، وكان السلطان بركْيارُق قد أرسله في العام الماضي إلى أَذَرْبيجان، كما ذكرناه، فاستولى على أكثرها، وأتى إلى خُوَيّ، فمرض بها ثلاثة عشر يوماً، وكان معه أَصْبَهْبَذْ صباوة بن خُمارتكِين، وسُنْقُرْجَهْ، فوصّى إلى سُنْقُرْجَهْ، وأمر الأتراك بطاعته، وأخذ له على عسكره العهد، ومات على أربعة فراسخ من خُوَيّ، ولُفّ في زليّة لعدم ما يكفّن فيه ودُفن بخُوَيّ.

وسار سُنْقُرْجَهْ وأكثر العسكر إلى الموصل فتسلّمها، فأقام بها ثلاثة أيام، وكان

---

(١) في (أ): «برشق».

(٢) في (أ) و (ب): «ديوان».

(٣) يرد بعدّة صِيَغ: «كبربوقا»، و «كربوغا» و «كربوقا».

أعيان الموصل قد كاتبوا موسى التركمانيّ، وهو بحصن كِيفا ينوب عن كربوقا فيها، وسألوه أن يبادر إليهم ليسلّموا إليه البلد، فسار مجدّاً، فسمع سُنْقرجَهْ بوصوله، فظنّ أنّه جاء إليه خدمةً له، فخرج ليستقبله في أهل البلد، فلمّا تقاربا نزل كلّ واحد منهما لصاحبه عن فرسه، واعتنقه، وبكيا على قوام الدولة، فتسايرا[١].

فقال سُنْقُرْجَهْ لموسى في جملة حديثه: أنا مقصودي من جميع ما كان لصاحبنا المخَدّة؛ والمنصبُ، والأموال، والولايات لكم وبحكمكم.

فقال موسى: مَنْ نحن حتّى يكون لنا مناصب ودسوتٌ؟ الأمرُ في هذا إلى السلطان يرتّب فيه من يريد، ويولّي من يختار.

وجرى بينهما محاوراتٌ، فجذب سُنْقُرْجَهْ سيفه وضربه صفحاً على رأسه فجرحه، فألقى موسى نفسه إلى الأرض، وجذب سُنْقُرْجَهْ فألقاه إلى الأرض، وكان مع موسى ولد منصور بن مروان الذي كان أبوه صاحب ديار بكر، فجذب سكّيناً وضرب بها رأس سُنْقُرْجَهْ فأبانه، ودخل موسى البلد، وخلع على أصحاب سُنْقُرْجَهْ، وطيّب نفوسهم فصارت الولاية له.

ولمّا سمع شمس الدولة جكرمِش، صاحب جزيرة ابن عُمَر، الخبر قصد نَصِيبين وتسلّمها، وسار موسى قاصداً إلى الجزيرة، فلمّا قارب جكرمِشَ غدر بموسى عسكره، وصاروا مع جكرمِش، فعاد موسى إلى الموصل، وقصده جكرمِش، وحصره مدّةً طويلة، فاستعان موسى بالأمير سقمان بن أُرتُق، وهو يومئذٍ بديار بكر، وأعطاه حصن كِيفا وعشرة آلاف دينار، فسار سُقْمان إليه، فرحل جكرمِش عنه.

وخرج موسى لاستقبال سُقمان، فلمّا كان موسى عند قرية تسمّى كَرَاثا، وثب[٢] عليه عدّة من الغلمان القواميّة، فقتلوه: رماه أحدهم بنشّابة فقتله، فعاد أصحابه منهزمين، ودُفن على تلّ هناك يُعرف الآن بتلّ موسى، ورجع الأمير سُقمان إلى الحصن، فملكها وهي بيد أولاده إلى يومنا هذا، سنة[٣] عشرين وستّمائة، وصاحبها حينئذٍ غازي[٤] بن قُرا أرسلان بن داود بن سُقمان بن أُرتُق.

---

(١) من الباريسية.

(٢) في الأوربية: «فوثب».

(٣) في (أ) و (ب) زيادة: «خمس و».

(٤) في (أ): «محمود بن محمد»، وفي (ب) زيادة: «ابن».

وقصد جكرمِش الموصل وحصرها أياماً، ثم تسلّمها صُلحاً، وأحسن السّيرة فيها، وأخذ القواميّة الذين قتلوا موسى، فقتلهم واستولى بعد ذلك على الخابور، وملك العرب والأكراد، فأطاعوه[١].

ذكر حال صَنْجيل الفرنجيّ وما كان منه في حصار طرابلس

كان صَنْجيل الفرنجيّ، لعنه الله، قد لقي قِلج أرسلان بن سليمان بن قُتُلْمِش، صاحب قونية، وكان صَنجيل في مائة ألف مقاتل، وكان قِلج أرسلان في عددٍ قليل[٢]، فاقتتلوا، فانهزم الفرنج وقُتل منهم كثير، وأُسر كثير، وعاد قِلج أرسلان بالغنائم، والظَّفَر الذي لم يحسبه.

ومضى صَنْجيل مهزوماً في ثلاثمائة، فوصل إلى الشام، فأرسل فخر المُلك[٣] بن عمّار صاحب طرابلس، إلى الأمير ياخز[٤]، خليفة جناح الدولة على حمص، فإلى الملك دُقاق بن تُتُش، يقول: من الصواب أن يعاجل صَنْجيل إذا[٥] هو في هذه العدّة القريبة؛ فخرج الأمير ياخز[٤] بنفسه، وسيّر دُقاق أَلفَيْ مقاتل، وأتتهم الأمداد[٦] من طرابلس، فاجتمعوا على باب طرابلس، وصافّوا صَنْجيل هناك، فأخرج مائة من عسكره إلى أهل طرابلس، ومائة إلى عسكر دمشق، وخمسين إلى عسكر حمص، وبقي هو في خمسين.

فأمّا عسكر حمص فإنّهم انكسروا عند المشاهدة، وولّوا منهزمين، وتبعهم عسكر دمشق.

وأمّا أهل طرابلس فإنّهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم، فلمّا شاهد ذلك صَنْجيل حمل في المائتَيْن الباقيتين، فكسروا أهل طرابلس، وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل، ونازل صَنْجيل طرابلس وحصرها.

---

(١) التاريخ الباهر ١٦، الروضتين ١/ ٦٧، المختصر ٢/ ٢١٥، تاريخ الإسلام ٤٦، ٤٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٠.

(٢) في (أ) و (ب): «يسير»، وفي الباريسية: «قسريب».

(٣) في (أ) و (ب): «الدولة».

(٤) في الباريسية: «ناجر».

(٥) في (أ) و (ب): «أن».

(٦) في (أ) و (ب): «الأمراء».

وأتاه أهل الجبل فأعانوه على حصارها، وكذلك أهل السواد، وأكثرهم نصارى، فقاتل من بها أشدّ قتال، فقُتل من الفرنج ثلاثمائة، ثم إنّه هادنهم على مال وخيل، فرحل عنهم إلى مدينة أنطَرسُوسَ، وهي من أعمال طرابلس، فحصرها، وفتحها، وقتل من بها من المسلمين، ورحل إلى حصن الطُوبان[1]، وهو يقارب رَفَنِيَّةَ، ومقدّمه يقال له ابن العريض، فقاتلهم، فنُصر عليه أهل الحصن، وأسر ابن العريض منه فارساً من أكابر فرسانه، فبذل صَنْجيل في فدائه عشرة آلاف دينار وألف أسير، فلم يُجِبْه ابن العريض إلى ذلك[2].

---

(١) في الباريسية: «المصوبان».

(٢) هذا الخبر يستدعي التوقف لأمرين، الأول: أن الموقعة ربّما جرت عند أنطرطوس وليس طرابلس. والثاني: تغلّب خمسين من الإفرنج على ألفين من العسكر الحمصي، وتغلّب مائة آخرين على عسكر دمشق، ثم تغلّب مائتين من الافرنج على عسكر طرابلس وقتل سبعة آلاف رجل؟

يقول ابن العبري: «وكان سان جيل في طرسوس، وبلغ العرب أن جنوده قليلون، فأجمعوا على مبارزته وأقبلوا من طرابلس ودمشق وحمص، ولم يكن مع سان جيل إلا ثلاثمائة فارس لا غير، وجّه المائة منهم نحو الدماشقة، والمائة نحو الطرابلسيين، والخمسين نحو الحمصيّين، وأبقى الخمسين لمؤآزرته. ولمّا التقى الصفّان لاذ الحمصيون والدمشقيّون بالفرار نحو الجبال، وكانوا أكثر من خمسة آلاف، وظلّ الطرابلسيّون وهم ثلاثة آلاف، فشدّ عليهم سان جيل في من معه وهم خمسون، وطحطحهم، وتتبّع المنهزمين، وقتل من العرب نحو سبعة آلاف، وغادر قيليقية إلى طرابلس وشدّ عليها واحتلّ أنطرطس وفتك بكلٍ من بها من العرب. ودوّخ عدّة قلاع». (تاريخ الزمان ١٢٧).

ويذكر كلٌ من «ابن القلانسي» و «سبط ابن الجوزي» أن القتال مع الإفرنج كان عند أنطرطوس وليس عند طرابلس. وقد جاء عند ابن القلانسي:

«ووردت مكاتبات فخر الملك بن عمّار صاحب طرابلس يلتمس فيها المعونة على دفع ابن صنجيل النازل في عسكره من الإفرنج على طرابلس ويستصرخ بالعسكر الدمشقي، ويستغيث بهم، فأجيب إلى ما التمس، ونهض العسكر نحوه، وقد استدعى الأمير جناح الدولة صاحب حمص، فوصل أيضاً في عسكره، فاجتمعوا في عدد وافر وقصدوا ناحية أنطرطوس، ونهد الفرنج إليهم في جمعهم وحشدهم، وتقارب الجيشان والتقيا هناك، فانفلّ عسكر المسلمين من عسكر المشركين وقُتل منهم الخلق الكثير، وقفل من سلم إلى دمشق وحمص بعد فقْد من فُقِد منهم ووصلوا في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة». (ذيل تاريخ دمشق ١٤٠، ١٤١، مرآة الزمان ج ١٢/ ق ٣/ ورقة ٢٤٦أ).

وجاء في (تاريخ ابن الراهب ٧٢) إنه كان مع جند المسلمين «جُند حلب».

وجاء في (الإعلام والتبيّين ١٤) أن صنجيل وصل إلى بلاد الشام في ثلاثمائة ألف وحاصر طرابلس! وأقول: هذا وهَم.

وانظر نهاية الأرب ٢٨/ ٢٦١، ٢٦٢، والمختصر ٢/ ٢١٦، وتاريخ الإسلام ٤٨، ٤٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، وكتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري (ط ٢) ج ١/ ٤٠٢ ـ ٤٠٤، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ٢٠٥ ـ ٢٠٨ وفيه مناقشة للموضوع.

ذكر ما فعله الفرنج

في هذه السنة أطلق الدَّانشِمَنْدُ بيمندَ الفرنجيَّ، صاحب أنطاكية، وكان قد أسره، وقد تقدّم ذكر ذلك، وأخذ منه مائة ألف دينار، وشرط عليه إطلاق ابنة ياغي[1] سيان الذي كان صاحب أنطاكية، وكانت في أسره.

ولمّا خلص بيمُنْد من أسره عاد إلى أنطاكية، فقويت نفوس أهلها به، ولم يستقرّ حتى أرسل إلى أهل العواصم وقِنَّسْرِينَ وما جاورها يطالبهم بالإتاوة، فورد على المسلمين من ذلك ما طمس المعالم التي بناها الدانشِمَنْد.

وفيها سار صَنْجيل إلى حصن الأكراد فحصره، فجمع جناح الدولة عسكره ليسير إليه ويكبسه فقتله باطنيٌّ بالمسجد الجامع، فقيل: إنّ الملك رضوان ربيبه وضع عليه مَن قتله، فلمّا قُتل صبّح صَنْجيل حمص من الغد، ونازلها، وحصر أهلها، وملك أعمالها.

ونزل القُمّص على عكّة في جمادى الآخرة، وضيّق عليها، وكاد يأخذها، ونصب عليها المنجنيقات والأبراج، وكان له في البحر ستّ عشرة قطعة، فاجتمع المسلمون من سائر السواحل، وأتوا إلى منجنيقاتهم، وأبراجهم[2]، فأحرقوها، وأحرقوا سفنهم أيضاً، وكان ذلك نصراً عجيباً أذلّ الله به الكفّار[3].

وفيها صار القُمّص الفرنجيُّ، صاحب الرُّها، إلى بيروت من ساحل الشام، وحصرها وضايقها، وأطال المقام عليها، فلم يرَ فيها طمعاً فرحل عنها[4].

وفيها، في رجب، خرجت عساكر مصر إلى عَسْقَلان ليمنعوا الفرنج عمّا بقي في أيديهم من البلاد الشاميّة، فسمع بهم بردويل، صاحب القدس، فسار إليهم في سبعمائة فارس، وقاتلهم، فنصر الله المسلمين، وانهزم الفرنج، وكثُر القتل فيهم، وانهزم بردويل، فاختفى في أَجَمَة قصب، فأُحرقت تلك الأَجَمَة، ولحقت النار بعض جسده[5]، ونجا منها إلى الرَّملة، فتبِعه المسلمون، وأحاطوا به فتنكّر[6]، وخرج منها إلى يافا، وكثُر القتل والأسر في أصحابه.

---

(١) في طبعة صادر ١٠/ ٣٤٥: «باغي»، وفي الباريسية: «ناغي».

(٢) من (ب)، وفي (أ): «وأبراجتهم».

(٣) نهاية الأرب ٢٨/ ٣٤٥، لمختصر ٢/ ٢١٦، تاريخ الإسلام ٤٩، ٥٠، دول الإسلام ٢/ ٢٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، الإعلام والتبيين ١٤.

(٤) ذيل تاريخ دمشق ١٤٠، دول الإسلام ٢/ ٢٥، تاريخ الإسلام ٥٠، الإعلام والتبيين ١٤.

(٥) في (ب): «جنده».

(٦) في (أ) و (ب): «فسار».

ذكر عَود قلعة خُفْتِيذْ كان[1] إلى سُرخاب بن بدر

في هذه السنة عادت قلعة خُفْتِيذْ كانَ[1] إلى الأمير سُرخاب بن بدر بن مهلهِل.

وكان سبب أخذها منه أنّ القرابلي، وهو من (قبيل من)[2] التركمان يقال لهم سَلغُر، كان قد أتى إلى بلد سُرخاب، فمنعه من المراعي، وقتل جماعة من أصحابه، فمضى قرابلي إلى التركمان، واستجاش بهم، وجاء في عسكر كثير، فلقِيه سُرخاب وقاتله، فقتل قرابلي من أصحابه الأكراد قريباً من ألفَيْ رجل، وانهزم سُرخاب إلى بعض جباله في عشرين رجلاً.

فلمّا سمع المستحفظان بقلعة خُفْتِيذْ كانَ ذلك، وكانا رجلَيْن حدّثتهما أنفسهما بالاستيلاء عليها، وكان بها ذخائره، وأمواله، وقدرها يزيد على ألفَيْ ألف دينار، فتملّكاها، واجتاز بها السلطان برْكيارُق، فأنفذا إليه مائتَيْ ألف دينار، واستولى التركمان على جميع بلاد سُرخاب بن بدر، سوى دَقُوقا وشَهْرَزور، فلمّا كان هذا الوقت قتل أحد المستحفظَيْن الآخَر، وأرسل إلى سُرخاب يطلب منه الأمان ليسلّم إليه القلعة، فأمّنه على نفسه، وعلى ما حصل بيده من أموالها، فسلّمها إليه ووفى[3] له.

ذكر قتل قدرخان صاحب سَمَرْقَنْد

قد ذكرنا قبل قُدوم الملك سَنجَر مع أخيه السلطان محمّد إلى بغداذ وعوده[4] إلى خُراسان، فلمّا وصل إلى نَيسابور خطب لأخيه محمّد بخُراسان جميعها، ولمّا كان ببغداذ طمع قدرخان جبريل بن عمر، صاحب سَمَرْقَنْد، في خُراسان لبعده عنها، وجمع عساكر تملأ الأرض، قيل: كانوا مائة ألف مقاتل فيهم مسلمون وكفّار، وقصد بلاد سَنجَر.

وكان أمير من أمراء سَنجَر، اسمه كُنْدُغْدي، قد كاتب قَدرخانَ بالأخبار، وأعلمه مرض سَنجَر، بعد عوده إلى بلاده، وأنّه قد أشفى على الهلاك، وقوّى طمعه بالاختلاف الواقع بين السلطانَيْن برْكيارُق ومحمّد، وبشدّة[5] عداوة برْكيارُق لسَنجَر، وأشار عليه

---

(١) في (أ): «حقيدكان»، وفي (ب): «حقييدكان».
(٢) من (أ) و (ب).
(٣) في الأوربية: «ووفا».
(٤) في (أ) و (ب): «وعود سنجر».
(٥) في الأوربية: «ولشدة».

بالسرعة مهما[1] الاختلاف واقع، وأنه متى أسرع مَلَكَ خُراسان والعراق. فبادر قدرخان وأقدم، وقصد البلاد، فبلغ السلطان[2] سنجر الخبر، وكان قد عوفي، فبادر وسار نحوه قاصداً قتاله ومنعه عن البلاد، وكان من جملة من معه كُنْدُغْدي[3] المذكور، وهو لا يتّهمه بشيء ممّا فعل، فوصل إلى بلْخ في ستّة آلاف فارس، فبقي بينه وبين قدرخان نحو خمسة أيّام، فهرب كُنْدُغدي إلى قدرخان، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه عى الاتّفاق والمناصحة، وسار من عنده إلى تِرمِذ، فملكها. وكان الباعث للكُنْدُغدي على ما فعل (حسده للأمير)[4] بزغش على منزلته.

ثم تقدّم قدرخان، لمّا تدانَى[5] العسكران أرسل سنجَر يذكّر قدرخان العهود والمواثيق القديمة، فلم يصْغِ إلى قوله، وأذكى سنجَر العيون والجواسيس على قدرخان، فكان لا يخفى عنه شيء من خبره، فأتاه من أخبره أنّه نزل بالقرب من بَلْخ، وأنّه خرج متصيّداً في ثلاثمائة فارس، فندب سنجَر، عند ذلك، الأمير بزغش لقصده، فسار إليه، فلحقه وهو على تلك الحال، فقاتله، فلم يصبر من مع قدرخان، فانهزموا، وأسر كُنْدُغدي وقدرخانَ، وأحضرهما عند سنجَر، فأمّا قدرخان فإنّه قبّل الأرض واعتذر، فقال له سنجَر: إن خدمتَنا، أو لم تخدمنا، فما جزاؤك إلاّ السيف؛ ثم أمر به فقُتل.

فلمّا سمع كُنْدُغْدي الخبر نجا بنفسه، ونزل في قناة، ومشى فيها فرسخَيْن تحت الأرض، على ما به من النِّقْرِس، وقتل فيها حيّتَيْن عظيمتَيْن، وسبق أصحابه إلى مخرجها، وسار منها في ثلاثمائة فارس إلى غزنة.

وقيل: بل جمع سنجَر عساكر كثيرة، والتقى هو وقدرخان، (وجرى بينهما مصافّ، وقتال عظيم، أكثر فيه القتل فيهم، فانهزم قدرخان)[6] وعسكره، وحُمل أسيراً إلى سنجَر، فقتله، وحصر تِرْمِذ، وبها كُنْدُغْدي، فطلب الأمان، فأمّنه سنجر، ونزل إليه، وسلّم ترمذ، فأمره سنجَر بمفارقة بلاده، فسار إلى غَزْنَة، فلمّا وصل إليها أكرمه صاحبها علاء الدولة، وحلّ عنده المحلّ الكبير.

---

(١) في (ب): «فأدام».
(٢) من الباريسية.
(٣) في (أ): «كون طوغدي».
(٤) في (أ) و (ب): «الأمير».
(٥) في (أ) و (ب): «ترامى»، وفي الأوربية: «تدانا».
(٦) من (ب).

واتّفق أنّ صاحب غَزْنَة عزم على قصد أوتان[١]، وهي جبال منيعة، على أربعين فرسخاً من غَزْنَة، وقد عصى عليه فيها قوم، وتحصّنوا بمعاقلها، ووعورة مسالكها، فقاتلهم عسكر[٢] علاء الدولة، فلم يظفروا منهم بطائل، فتقدّم كُنْدُغْدي منفرداً عنهم، فأبلى بلاءً حسناً، ونُصر عليهم، وأخذ غنائمهم، وحملها إلى علاء الدولة، فلم يقبل منها شيئاً، ووفّرها عليه، فغضب العسكر، وحسدوه على ذلك، وعلى قربه من صاحبهم، ونفاقه عليه، فأشاروا بقبضه، وقالوا: إنّا لا نأمن أن يقصد بعض الأماكن فيفعل في أمر الدولة ما لا يمكن تلافيه، فقال: قد تحقّقتُ قصدكم، ولكن بمن أقبض عليه؟ فإنّي أخاف أن آمركم بالقبض عليه، فينالكم منه ما تفتضحون به. فقالوا: الصواب أن تولّيه ولاية ويُقبض[٣] عليه إذا سار إليها، فولاّه حصنَيْن جرت عادته أن يسجن فيهما من يخاف جانبه، فسار إليهما.

فلمّا قاربهما عرف ما يراد منه، فأحرق جميع ماله، ونحر جماله، وسار جريدة، وكان في مدّة مقامه بغَزْنَة يسأل عن الطرق وتشعّبها[٤]، فإنّه ندم على قصد تلك الجهة، فلمّا سار سأل راعياً عن الطريق التي يريدها، فدلّه، فأخذه معه خوفاً أن يكون قد غرّه، ولم يزل سائراً إلى أن وصل إلى قريب هَراة، فمات هناك، وهو (من مماليك تُتُش)[٥] بن ألب أرسلان الذي كحله أخوه ملكشاه، وسجنه بتكْريت، وقد تقدّم ذكر حادثته[٦].

ذكر ملك محمّد خان سمرقند

في هذه السنة أحضر السلطان[٧] سَنجَر محمّداً أرسلان خان بن سليمان بن داود بُغْراخان، من مَرْوَ، وملّكه سَمَرْقَنْد، بعد قتل قدرخان، وكان محمّد خان هذا من أولاد الخانيّة بما وراء النهر، وأُمّه ابنة السلطان ملكشاه، فدفع[٨] عن ملك آبائه، فقصد مَرْوَ، وأقام بها إلى الآن.

---

(١) في (أ) والباريسية: «أويان».
(٢) من الباريسية.
(٣) في (أ): «وتقبض».
(٤) في (أ): «وشعبها».
(٥) في (أ) و(ب): «تكش».
(٦) في (أ) و(ب): «حديثه»، والخبر في: دول الإسلام ٢/ ٢٥، وتاريخ الإسلام ٥٠، ٥١.
(٧) من الباريسية.
(٨) في (أ) و(ب): «فرقع».

فلمّا قُتل قدرخان ولاّه سنجَر أعماله، وسيّر معه العساكر الكثيرة، فعبروا النهر، فأطاعه العساكر بتلك البلاد جميعها، وعظُم شأنه، وكثُرت جموعه، إلاّ أنه انتصب له أمير اسمه هاغُوبك، وزاحمه في المُلك، فطمع فيه، فجرى له معه حروب احتاج في بعضها إلى الاستنجاد بعساكر سَنْجَر، على ما نذكره بعدُ إن شاء الله تعالىٰ.

ولمّا ملك محمّد خان البلاد أحسن إلى الرعايا بوصيّة من سَنجَر، وحقن الدماء، وصار بابه مقصداً، وجنابه ملجأ[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، خرج تاج الرؤساء ابن أخت أمين الدولة أبي سعد بن الموصلايا إلى الحلّة السّيفيّة، مستجيراً بسيف الدولة صدقة.

وسبب ذلك أنّ الوزير الأعزّ وزير السلطان بركْيارُق كان يُنسب إليه أنّه هو الذي يميل جانب الخليفة إلى السلطان محمّد، فسار خائفاً، واعتزل خاله أمين الدولة الديوان، وجلس في داره، فلمّا قُتل الوزير الأعزّ، على ما ذكرناه، عاد تاج الرؤساء من الحلّة إلى بغداذ، وعاد خاله إلى منصبه.

وفي ربيع الأوّل أيضاً ورد العميد المهذّب أبو المجد، أخو الوزير الأعزّ، إلى بغداذ، نائباً عن أخيه، ظنّاً منه أنّ إيلغازي لا يخالفهم، حيث كان بركْيارُق ومحمّد قد اتّفقا، كما ذكرناه، فقبض عليه إيلغازي، ولم يتغيّر عن طاعة محمّد.

وفيها، في جمادىٰ الأولى، ورد إلى بغداذ ابن تُكش بن ألب أرسلان، وكان قد استولى على الموصل، فخدعه من كان بها، حتّى سار عنها إلى بغداذ، فلمّا وصل إليها زوّجه إيلغازي بن أُرتُق ابنته.

وفيها، في شهر رمضان، استوزر الخليفة سديد الملك أبا المعالي بن عبد الرزّاق، ولقّب عَضُد الدّين[2].

وفيها، في صفر، قتل الرَّبَعيّون[3] بهيت قاضي البلد أبا عليّ بن المثنّى، وكان ورعاً، فقيهاً، حنفيّاً، من أصحاب القاضي أبي عبد الله الدامغانيّ، وكان هذا القاضي

---

(١) تاريخ الإسلام ٥١.
(٢) المنتظم ١٧/ ٧٦.
(٣) في الأروبية: «الريعيون».

على ما جرت به عادة القضاة هناك من الدخول[1] بين القبائل، فنسبوه في ذلك إلى التحامل عليهم، فقتله أحدهم، فندِم الباقون على قتله وقد فات الأمرُ.

وفيها بنى[2] سيف الدولة صدقة بن مَزْيَد الحِلّة بالجامعيْن، وسكنها، وإنّما كان يسكن هو وآباؤه قبله في البيوت العربيّة[3].

وفي جمادى الأولى قُتل المؤيّد بن شرف الدولة مُسلم بن قُريش أمير بني عُقَيْل، قتله بنو نُمير عند هَيت قِصاصاً.

[الوفيات]

وفيها توفّي القاضي البَنْدَنِيجيُّ الضرير[4]، الفقيه الشافعيُّ، انتقل إلى مكّة، فجاور بها أربعين سنة يدرّس الفقه، ويسمع الحديث، ويشتغل بالعبادة.

وفيها توفّي أبو عبد الله الحسين بن محمّد الطبري[5] بأصبهان، وكان يدرّس (فقه الشافعيّ)[6] بالمدرسة النظاميّة، وقد جاوز تسعين سنة، وهو من أصحاب أبي إسحاق.

وفيها توفّي الأمير منظور بن عُمارة الحسينيُّ، أمير المدينة، على ساكنها السلام، وقام ولده مقامَهُ، وهو من ولد المهنّا، وقد كان قَتَلَ المعمار الذي أنفذه مجد الملك البلاسانيّ لعمارة القبّة التي على قبر الحسن بن عليّ والعبّاس، رضي الله عنهما، وكان من أهل قُمّ، فلمّا قُتل البلاسانيّ قتله منظور بعد أن أمّنه، وكان قد هرب منه إلى مكّة، فأرسل إليه بأمانه.

---

(١) في (أ) و(ب): «القبول».
(٢) في الأوربية: «بنا».
(٣) المنتظم ١٧/٧٦.
(٤) هو محمد بن هبة الله بن ثابت. انظر عنه في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٥ هـ) ص ٢٢٤، ٢٢٥ رقم ٢٢٩، وفيه حشدت مصادر ترجمته.
(٥) انظر عن (الطبري) في: تاريخ الإسلام ٢١٢، ٢١٣ رقم ٣٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢١٠ رقم ١٢٨.
(٦) من الباريسية.

٤٩٦
ثم دخلت سنة ستّ وتسعين وأربعمائة

ذكر استيلاء يَنّال على الرَّيّ وأخذها منه
ووصوله إلى بغداذ

كانت الخطبة بالرَّيّ للسلطان بركْيارُق، فلمّا خرج السلطان محمّد من أصبهان، على ما ذكرناه، ومعه ينّال بن أنوشتكين الحُساميُّ، استأذنه في قصد الرَّيّ وإقامة الخطبة له بها، فأذِن له، فسار هو وأخوه عليُّ بن أنوشتكين، (فوصلا إليها في صفر، فأطاع من بها من نوّاب بركْيارُق، وخطب لمحمّد بالرَّيّ، واستولى)[١] ينّال على البلد، وعسف أهله، وصادرهم بمائتَيْ ألف دينار، وأقام بها إلى النصف من ربيع الأوّل، فورد إليه الأمير بُرْسُق[٢] بن بُرْسُق[٢] من عند السلطان بركْيارُق، فوقع القتال بينهم على باب الريّ، فانهزم ينّال وأخوه عليّ.

فأمّا عليّ فعاد إلى ولايته قَزوِين، وسلك ينّال الجبال، فقُتل من أصحابه كثير، وتشتّتوا، فأتى[٣] إلى بغداذ في سبعمائة رجل، فأكرمه الخليفة، واجتمع هو وإيلغازي وسُقْمان ابنا أُرتُق بمشهد أبي حنيفة، وتحالفوا على مناصحة السلطان محمّد، وساروا إلى سيف الدولة صدقة، فحلف لهم أيضاً على ذلك، وعادوا[٤].

ذكر ما فعله يَنّال بالعراق

قد ذكرنا وصول ينّال بن أنوشتكين إلى بغداذ قبلُ. فلمّا استقرّ ببغداذ ظلم الناس

---

(١) من (ب).
(٢) في (ب): «برشق»، وكذا في (أ).
(٣) في الأصل: «فأتوا».
(٤) تاريخ الإسلام ٥٣، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٨ و ٥/ ٣١.

بالبلاد جميعاً، وصادرهم، واستطال أصحابه على العامّة بالضرب والقتل والتقسيط، وصادر العُمّال.

فأرسل إليه الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن الدامغانيّ ينهاه عن ذلك، ويقبّح عنده ما يرتكبه من الظلم والعدوان، وتردّد أيضاً إلى إيلغازي، وكان ينّال قد تزوّج هذه الأيام بأخته، وهي التي كانت زوجة تاج الدولة تُتُش، حتّى توسّط الأمر معه فمضوا إليه[1]، وحلّفوه على الطاعة، وترْك ظلم الرعيّة، وكفّ أصحابه، ومنْعهم، فحلف، ولم يقف على اليمين، ونكث ودام على الظلم وسوء السيرة.

فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة صدقة، وعرّفه ما يفعله ينّال من نهب الأموال، وسفْك الدماء، وطلب منه أن يحضر بنفسه ليكفّ ينّال، فسار من حِلّته في رمضان، ووصل بغداذ رابع شوّال، وضرب خيامه بالنجميّ، واجتمع هو وينّال، وإيلغازي، ونوّاب ديوان الخليفة، وتقرّرت القواعد على مالٍ يأخذه ويرحل عن العراق، فطلب ينّال المهلة، فعاد صَدَقَة عاشر شوّال إلى حِلّته، وترك ولده دُبيساً ببغداذ ليمنعه من الظلم والتعدّي عمّا استقرّ الأمر عليه، فبقي ينّال إلى مستهلّ ذي القعدة، وسار إلى أوَانَا، فنهب، وقطع الطريق، وعسف الناس، وبالغ في الفعل القبيح، وأقطع القُرى لأصحابه، فأرسل الخليفة إلى صَدَقَة في ذلك، فأرسل ألف فارس، وساروا إليه ومعهم جماعة من أصحاب الخليفة، وإيلغازي، شِحنة بغداذ، فلمّا سمع ينّال بقربهم منه عبر دجلة، وسار إلى باجِسْرَى[2] وشعثها، وقصد شَهرَابَانَ، فمنعه أهلها، فقاتلهم، فقُتل بينهم قتلى، ورحل عنهم، وسار إلى أَذَرْبيجان قاصداً إلى السلطان محمّد، وعاد دُبَيْس بن صَدَقَة، وإيلغازي (شِحنة بغداذ)[3]، إلى مواضعهم[4].

ذكر وصول كُمُشْتِكِين القَيْصريّ شِحنة إلى بغداذ والفتنة بينه وبين إيلغازي وسُقمان وصَدَقَة

في هذه السنة، منتصف ربيع الأوّل، ورد كُمُشْتِكِين القيصريّ إلى بغداذ، شِحنةً، أرسله إليها السلطان بركْيارُق، وقد ذكرنا في السنة المتقدمة رحيل بركْيارُق من[5]

---

(١) من (ب).

(٢) في (أ): «تاخسرئي»، وفي (ب): «باحسروا».

(٣) من الباريسية.

(٤) تاريخ الإسلام ٥٣، المنتظم ٩/ ١٣٥ (١٧/ ٨٠، ٨١)، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٩.

(٥) في (أ) زيادة: «على».

أصبهان إلى همذان، فلمّا وصلها أرسل إلى بغداذ كُمُشْتِكِين شحنةً، فلمّا سمع إيلغازي، وهو شِحنة ببغداذ، للسلطان محمّد، أرسل إلى أخيه سُقمان بن أُرتُق، صاحب حصن كِيفا، يستدعيه إليه ليعتضد به على منعه، وسار إلى سيف الدولة صَدَقة بالحِلّة، واجتمع به، وسأله تجديد عهد في دفع من يقصده من جهة بركْيارُق، فأجابه إلى ذلك وحلف له، فعاد إيلغازي.

وورد سُقمان في عساكر، ونهب في طريقه تَكْريت، وسبب تمكّنه منها أنّه أرسل جماعة من التركمان إلى تكريت، معهم أحمال جبن، وسمن، وعسل، فباعوا ما معهم، وأظهروا أن سُقمان قد عاد عن الانحدار، فاطمأنّ أهل البلد، ووثب التركمان، تلك الليلة، على الحرّاس فقتلوهم، وفتحوا الأبواب، وورد إليها سُقمان، ودخلها ونهبها، ولمّا وصل إلى بغداذ نزل بالرَّمْلَة.

وأمّا كُمُشْتِكِين فوصل، أوّل ربيع الأوّل، إلى قرميسين، وأرسل إلى من له هوًى مع بركْيارُق، وأعلمهم بقُربه منهم، فخرج إليه جماعة منهم، فلقوه بالبَنْدَنِيجَيْنِ، وأعلموه الأحوال، وأشاروا عليه بالمعاجلة، فأسرع السير، فوصل إلى بغداذ منتصف ربيع الأوّل، ففارق إيلغازي داره، واجتمع بأخيه سُقمان، وأصعدا من الرحلة، ونهبا بعض قرى دُجَيْل، فسار طائفة من عسكر كُمُشْتِكِين وراءهما، ثم عادوا عنهما، وخُطب للسلطان بركْيارُق ببغداذ، فأرسل كُمُشْتِكِين القيصريّ إلى سيف الدولة صَدَقة، ومعه حاجب من ديوان الخليفة، في طاعة بركْيارُق، فلم يجب إلى ذلك، وكشف القناع ببغداذ[1] في مخالفته، وسار من الحِلّة إلى جسر صَرْصَر، فقُطعتْ خطبة بركْيارُق ببغداذ، ولم يُذْكَر على منابرها أحدٌ من السلاطين، واقتصر الخطباء على الدعاء للخليفة لا غير.

ولمّا وصل سيف الدولة إلى صَرْصَر أرسل إلى إيلغازي وسُقمان، وكانا بحَرْبى، يعرّفهما أنّه قد أتى لنصرتهما، فعادا ونهبا دُجَيْلاً، ولم يبقيا على قرية كبيرة ولاصغيرة، وأُخذت الأموال، وافتضّت الأبكار، ونهب العرب والأكراد الذين مع سيف الدولة بنهر ملك، إلاّ أنهم لم يُنقل عنهم مثل التركمان من أخذ النساء والفساد معهنّ، لكنّهم استقصوا في أخذ الأموال بالضرب، والإحراق[2]، وبطلت معايش الناس، وغلت الأسعار، فكان الخبز يساوي عشرة أرطال بقيراط فصار ثلاثة أرطال بقيراط، وجميع الاشياء كذلك.

---

(١) من الباريسية.

(٢) في (أ) و (ب): «والأخراق».

فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة في الإصلاح، فلم تستقرّ قاعدة، وعاد إيلغازي وسُقمان ومعهما دُبَيْس بن سيف الدولة صَدَقَة من دُجَيْل، فخيمّوا بالرملة، فقصدهم جماعة كثيرة من العامة، فقاتلوهم، فقُتل من العامّة أربعة نفر، وأُخذ منهم جماعة، فأُطلقوا بعد أن أُخذت أسلحتهم، وازداد الأمر شدّةً على الناس، فأرسل الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن بن الدامغانيّ، وتاج الرؤساء بن الموصلايا إلى سيف الدولة يأمره[١] الكفّ عن الأمر الذي هو ملابسه، ويعرّفه ما الناس فيه، ويعظّم الأمر عليه، فأظهر طاعة الخليفة، إنْ أخرج القيصريَّ من بغداذ، وإلاّ فليس غير السيف، وأرعد وأبرق.

لمّا عاد الرسول استقرّ الأمر على إخراج القيصريّ من بغداذ، ففارقها ثاني عشر ربيع الآخر، وسار إلى النَّهروان، وعاد سيف الدولة إلى بلده، وأُعيدت خطبة السلطان محمّد ببغداذ، وسار القيصريُّ إلى واسط، فخاف الناس منه، وأرادوا الانحدار منها[٢] ليأمنوا، فمنعهم القيصريُّ، وخطب لبركْيارُق بواسط، ونهبوا كثيراً من سوادها.

فلمّا سمع صَدَقَة ذلك سار إلى واسط، فدخلها، وعدل في أهلها، وكفّ عسكره عن أذاهم، ووصل إليه إيلغازي بواسط، وفارقها القيصريُّ، ونزل متحصّناً بدِجلة فقيل لسيف الدولة: أنّ هناك مخاضة، فسار إليها بعسكره وقد لبسوا السلاح، فلمّا رآهم عسكر القيصريّ تفرّقوا عنه، وبقي في خواصّ أصحابه، فطلب الأمان من سيف الدولة، فأمّنه، فحضر عنده، فأكرمه، وقال له: قد سمنتَ؛ قال: وتركتَنا نسمن؟ أخرجتَنا من بغداذ، ثم من واسط، ونحن لا نعقل.

ثم بذل صَدَقَة الأمان لجميع عسكر واسط، ومن كان مع القيصريّ، سوى رجلَيْن، فعادا إليه فأمّنهما[٣]، وعاد القيصريُّ إلى بركْيارُق، وأُعيدت خطبة السلطان محمّد بواسط؛ وخُطب بعده لسيف الدولة وإيلغازي، واستناب كلّ واحد منهما فيها ولدَهُ، وعادا عنها في العشرين من جُمادى الأولى، وأمِن أهل واسط ممّا كانوا يخافونه.

فأمّا إيلغازي فإنّه أصعد إلى بغداذ، وأمّا سيف الدولة صَدَقَة فإنّه عاد إلى الحِلّة، وأرسل ولده الأصغر منصوراً مع إيلغازي إلى المستظهر بالله يسأله الرضا عنه، فإنّه كان قد سخط بسبب هذه الحادثة، فوصل إلى بغداذ، وخاطب في ذلك، فأُجيب إليه[٤].

---

(١) في (أ) و (ب): «يأمرونه».

(٢) في الباريسية: «منه».

(٣) في الأوربية: «فعادوا إليه فأمنهم».

(٤) تاريخ الإسلام ٥٤، البداية والنهاية ١٢/١٦٣.

ذكر استيلاء صدقة على هَيت

كانت مدينة هَيت لشرف الدولة مسلم بن قريش[١]، أقطعه إيّاها السلطان ألب أرسلان، ولم تزل معه حتّى قُتل، فنظر فيها عمداء بغداذ إلى أن مات السلطان ملكشاه، ثم أخذها أخوه تُتُش بن ألب أرسلان. فلمّا استولى السلطان بركْيارُق أقطعها لبهاء الدولة ثروان(بن وهب)[٢] بن وُهَيْبة، وأقام هو وجماعة من بني عُقَيْل عند سيف الدّولة صَدَقَة، وكانا متصافيَيْن[٣]، وكان صَدَقَة يزوره كثيراً ثم تنافرا.

وكان سبب ذلك أنّ صَدَقَة زوّج بنتاً له من ابن عمّه، وكان ثروان قد خطبها فلم يُجِبْه إلى ذلك، فتحالفت عُقَيْل، وهم في حِلّة سيف الدولة، أن يكونوا يداً واحدة عليه، فأنكر صَدَقَة ذلك، وحجّ ثروان عُقَيْبَ ذلك وعاد مريضاً، فوكّل به صدقة، وقال: (لابدْ من هَيْت؛ فأرسل ثروان حاجبه، وكتب خطّه بتسليم البلد إليه.

وكان بهَيت حينئذٍ)[٤] محمّد بن رافع بن رفاع[٥] بن ضُبيعة بن مالك بن مقلّد بن جعفر، وأرسل صدقة ابنه دُبَيْساً مع الحاجب ليتسلمها فلم يسلّم إليه محمّد، فعاد دُبَيْس إلى أبيه، فلمّا أخذ صَدَقَة واسطاً، هذه النوبة،أصعد في عسكره إلى هَيت، فخرج إليه منصور بن كثير ابن أخي ثروان، ومعه جماعة من أصحابه، فلقوا سيف الدولة، وحاربوه ساعة من النهار.

ثمّ إنّ جماعة من الرَّبَعيّين[٦] فتحوا لسيف الدولة البلد، فدخله أصحابه، فلمّا رأى ذلك منصور ومن معه سلّموا البلد إليه، فملكه يوم نزوله، وخلع على منصور وجماعة من وجوه[٧] أصحابه، وعاد إلى حِلّته، واستخلف عليه ابن عمّه ثابت بن كامل.

ذكر الحرب بين بركْيارُق ومحمّد

في هذه السنة، ثامن جمادى الآخرة، كان المصافّ الخامس بين السلطان بركْيارُق والسلطان محمّد.

---

(١) في (أ): «فراس».
(٢) من (أ) و (ب).
(٣) في (ب): «متضامنين».
(٤) من (ب).
(٥) في الباريسية: «دفاع»، والمثبت من (ب).
(٦) في (أ) و (ب): «الدبيسيين».
(٧) من الباريسية.

وكانت كَنْجَةُ وبلاد أرَّان جميعها للسلطان محمّد، وبها عسكره، ومقدّمهم الأمير غزغلي، فلمّا طال مقام محمّد بأصبهان محصوراً توجّه غزغلي والأمير منصور بن نظام المُلك وابن أخيه محمّد بن مؤيّد المُلك بن نظام المُلك قاصدين لنصرته، ليراهم بعين الطاعة.

وكان آخر ما تُقام فيه الخطبة لمحمّد زَنْجَان ممّا يلي أذربِيجان، فوصلوا إلى الريّ في العشرين من ذي الحجّة سنة خمسٍ وتسعين [وأربعمائة]، ففارقه عسكر بركْيارُق، (ودخلوه وأقاموا)[١] به ثلاثة أيّام.

ووصلهم الخبر بخروج السلطان محمّد من أصبهان، وأنّه وصل إلى ساوة، فساروا إليه، ولحِقوه بهمَذان ومعه ينّال وعليّ ابنا أنوشتكين الحساميّ، فبلغ عددهم[٢] ستّة آلاف فارس، فأقاموا بها إلى أواخر المحرّم، فأتاهم الخبر بأنّ السلطان بركْيارُق قد أتاهم، فتلوّنوا في رأيهم، فسار ينّال وعليّ ابنا أنوشتكين إلى الرَّيّ، على ما ذكرناه، وعزم السلطان محمّد على التوجّه إلى شَرْوان، فوصل إلى أرْدَبِيل، فأرسل إليه الملك[٣] مودود بن إسماعيل بن ياقوتي، صاحب بعض أَذَرْبيجان، وكانت قبله لأبيه إسماعيل بن ياقوتي، وهو خال السلطان بركْيارُق، وكانت أخته زوجة السلطان محمّد، وهو مطالب السلطان بركْيارُق بثأر أبيه، وقد تقدّم مقتله أوّل دولة بركْيارُق، وقال له: ينبغي أن تقدم إلينا لتجتمع كلمتنا على طاعتك، وقتال خصمنا؛ فسار إليه مُجِدّاً، وتصيّد في طريقه بين أرْدَبِيل وبَيْلَقَانَ، وانفرد عن عسكره، فوثب عليه نَمِر، وهو غافل، فجرح السلطان محمّداً في عضده، فأخذ سكّيناً وشقّ بها جوف النَمِر فألقاه عن فرسه ونجا.

ثم أنّ مودود بن إسماعيل تُوفّي في النصف من ربيع الأوّل، وعمره اثنتان وعشرون[٤] سنة، ولمّا بلغ بركْيارُق اجتماع السلطان محمّد والملك مودود سار غير متوقّف، فوصل بعد موت مودود، وكان عسكر مودود قد اجتمعوا على طاعة السلطان محمّد، وحلفوا له، وفيهم سكمان القُبْطيّ، ومحمّد بن ياغي[٥] سيان[٦]، الذي كان

---

(١) في (أ) و (ب): «ودخله عسكر محمد وأقام».
(٢) في الأوربية: «عنهم».
(٣) في الباريسية: «الأمير».
(٤) في الأوربية: «اثنتين وعشرين».
(٥) في طبعة صادر ١٠/ ٣٦٠: «باغي».
(٦) في (أ): «سبان».

أبوه صاحب أنطاكية، وقزل أرسلان بن السبع الأحمر، فلمّا وصل برکْيارُق وقعت الحرب بينهما على باب خُوَيّ من أَذَرْبيجان عند غروب الشمس، ودامت إلى العشاء الآخرة.

فاتّفق أنّ الأمير إياز أخذ معه خمسمائة فارس مستريحين، وحمل بهم، وقد أعيا العسكر من الجهتَيْن، على عسكر السلطان محمّد، فكسرهم[(١)]، وولّوا الأدبار لا يلوي أحد على أحد.

فأمّا السلطان بركْيارُق، فإنه قصد جبلاً بين مَراغة وتبريز، كثير العُشْب والماء[(٢)]، فأقام به أيّاماً، وسار إلى زَنْجان.

وأمّا السلطان محمّد فإنّه سار مع جماعة إلى أرجيش، من بلاد أرمينية، على أربعين فرسخاً من الوقعة، وهي من أعمال خِلاط، من جملة أقطاع الأمير سُكْمان القُبطيّ، وسار منها إلى خِلاط، واتّصل به الأمير عليّ صاحب أرْزَن الروم، وتوجّه إلى آنى، وصاحبها منوجهر أخو فضلون الروادي، ومنها سار إلى تِبرِيز(من أذربيجان)[(٣)]. وسنذكر باقي أخبارهم سنة سبعٍ وتسعين[وأربعمائة] عند صُلحهم إن شاء الله[(٤)].

وكان الأمير محمّد بن مؤيّد المُلك بن نظام المُلك مع السلطان محمّد في هذه الوقعة، فمرّ منهزماً، ودخل ديار بكر، وانحدر منها إلى جزيرة ابن عُمَر، وسار منها إلى بغداذ، وكان في حياة أبيه يقيم ببغداذ في سوق المدرسة، فاتّصلت الشكاوى منه إلى أبيه، فكتب إلى كوهرائين بالقبض[(٥)] عليه، فاستجار بدار الخلافة، وتوجّه سنة اثنتين وتسعين[وأربعمائة] إلى مجد المُلك البلاسانيّ، ووالده حينئذٍ بكَنْجَة عند السلطان محمّد، قبل أن يخطب لنفسه بالسلطنة، وتوجّه بعدِ قتل[(٦)] مجد المُلك إلى والده، وقد صار وزير السلطان محمّد، وخطب لمحمّد بالسلطنة، وبقي بعد قتل والده، واتّصل بالسلطان محمّد، وحضر معه هذه الحرب فانهزم.

---

(١) في (أ): «فهزمهم»، وفي (ب): «فهزموهم».
(٢) من الباريسية.
(٣) من الباريسية.
(٤) المختصر ٢/٢١٦، العبر ٣/٣٤٣، دول الإسلام ٢/٢٦، تاريخ الإسلام ٥٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، البداية والنهاية ١٢/١٦٣، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٨٩ و ٥/٣١.
(٥) في الباريسية: «ليقبض».
(٦) من الباريسية.

ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبي سعد بن الموصلايا في الوزارة

في هذه السنة، منتصف رجب، قُبض على الوزير سديد المُلك أبي المعالي، وزير الخليفة، وحُبس في دارٍ بدار الخلافة، وكان أهله قد وردوا عليه من أصبهان، فنُقلوا إليه، وكان محبسه جميلاً.

وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة، فإنّه قضى[1] عمره في أعمال السلاطين، وليس لهم هذه القواعد، ولمّا قُبض عاد أمين الدولة بن الموصلايا إلى النظر في الديوان.

ومن عجيب ما جرى من الكلام الذي وقع بعد أيّام أنّ سديد المُلك كان يسكن في دار عميدِ الدولة بن جَهِير، وجلس فيها مجلساً عامّاً يحضره الناس لوعظ المؤيّد عيسى الغَزْنويّ، فأنشدوا أبياتاً ارتجلها:

سديد الملكِ سُدْتَ وخُضتَ بحراً ... عميقَ اللُّجّ فاحفَظْ فيه رُوحَكْ
وأحْيِ مَعالمَ الخَيراتِ واجعَلْ ... لِسانَ الصِّدقِ في الدُّنيا فُتُوحَكْ
وفي الماضين مُعْتَبَرٌ فأسرِجْ ... مَرُوحَك في السلامة أو جَموحَكْ

ثم قال سديد المُلك: مَن شرب من مرقة السلطان احترقت شفتاه، ولو بعد زمان؛ ثم أشار إلى الدار وقرأ: ﴿**وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيفَ فَعَلْنَا بِهِمْ**﴾[2]، فقبض على الوزير بعد أيّام[3].

ذكر ملك الملك دُقاق مدينة الرَّحبة

في هذه السنة، في شعبان، ملك الملك دُقاق بن تُتُش، صاحب دمشق، مدينة الرَّحْبة، وكانت بيد إنسان اسمه قايماز من مماليك السلطان ألبْ أرسلان، فلمّا قُتل كربوقا استولى عليها، فسار دُقاق وطُغتكين أتابكه إليه، وحصراه بها، ثم رحل عنه[4].

---

(١) في الأوربية: «قضا».

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٤٥.

(٣) تاريخ الإسلام ٥٤، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٩٠ (باختصار شديد).

(٤) ذيل تاريخ دمشق ١٤٢، زبدة الحلب ٢/ ١٤٧، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٤، نهاية الأرب ٢٧/ ٧٣، المختصر ٢/ ٢١٦، الدرّة المضية ٤٦٢، تاريخ سلاطين المماليك ٣، العبر ٣/ ٣٤٣، دول الإسلام ٢/ ٢٦، تاريخ الإسلام ٥٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، مرآة الجنان ٣/ ١٥٩، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٣.

وتوفّي قايماز هذه السنة في صفر، وقام مقامه غلامٌ تركيّ اسمه حسن، فأبعد عنه كثيراً من جُنده، وخطب لنفسه، وخاف من دُقاق، فاستظهر، وأخذ جماعة من السالاريّة الذين يخافهم، فقبض عليهم، وقتل جماعة من أعيان البلد وحبس آخرين وصادرهم. فتوجّه دُقاق إليه وحصره، فسلّم العامة البلد إليه، واعتصم حسن بالقلعة، فأمّنه دُقاق، فسلّم القلعة إليه، فأقطعه إقطاعاً كثيراً بالشام، وقرّر أمر الرَّحْبة، وأحسن إلى أهلها، وجعل فيها من يحفظها، ورحل عنها إلى دمشق.

ذكر أخبار الفرنج بالشام

كان الأفضل أمير الجيوش بمصر قد أنفذ مملوكاً لأبيه، لَقَبُهُ سعد الدولة، ويُعرف بالطواشي[١]، إلى الشام لحرب الفرنج، فلقيهم بين الرَّمْلة ويافا، ومقدّم الفرنج يُعرف ببَغْدوين، لعنه الله تعالى، وتصافّوا واقتتلوا، فحملت الفرنج حملة صادقة، فانهزم المسلمون.

وكان المنجّمون يقولون لسعد الدولة: إنّك تموت مُتردِّياً؛ فكان يحذر من ركوب الخيل، حتّى إنّه وليَ بيروت، وأرضها مفروشة بالبلاط، فقلعه خوفاً أن يزلق به فرسه، أو يعثُر، فلم ينفعه الحذر عند نزول[٢] القدر، فلمّا كانت هذه الوقعة انهزم، فتردّى به فرسه، فسقط ميّتاً، وملك الفرنج خِيَمَه وجميع ما للمسلمين.

فأرسل الأفضل بعده ابنه شرف المعالي في جمْع كثير، فالتقوا هم والفرنج بيَازُورَ، بقرب الرَّملة، فانهزم الفرنج، وقُتل منهم مقتلة عظيمة، وعاد من سلم منهم مغلولين، فلمّا رأى بَغْدوين شدّة الأمر، وخاف القتل والأسر، ألقى نفسه في الحشيش واختفى فيه، فلمّا أبعد المسلمون خرج منه إلى الرَّملة. وسار شرف المعالي بن الأفضل من المعركة، ونزل على قصر بالرَّملة، وبه سبعمائة من أعيان الفرنج، وفيهم بَغْدوين، فخرج متخفّياً إلى يافا، وقاتل ابن الأفضل من بقي خمسة عشر يوماً، (ثم أخذهم)[٣]، فقتل منهم أربعمائة صبراً، وأسر ثلاثمائة إلى مصر.

ثم اختلف أصحابه في مقصدهم، فقال قوم: نقصد البيت المقدّس ونتملّكه؛ وقال قوم: نقصد يافا ونملكها[٤].

---

(١) في (ب): «بالقواسي».
(٢) في (ب): «حلول».
(٣) من (أ) و (ب).
(٤) في الأوربية: «ونملكه».

فبينما هم في هذا الاختلاف، إذ وصل إلى الفرنج خلق كثير في البحر، قاصدين زيارة البيت المقدّس، فندبهم بغدوين للغزو معه، فساروا إلى عَسْقَلان، وبها شرف المعالي، فلم يكن يقوى بحربهم، فلطف الله تعالى بالمسلمين، فرأى الفرنج البحريّة حصانة عَسْقَلان، وخافوا البيات، فرحلوا إلى يافا، وعاد ولد الأفضل إلى أبيه، فسيّر رجلاً يقال له تاج العجم(في البرّ وهو)[1] من أكبر[1] مماليك أبيه، وجهّز معه أربعة آلاف فارس، وسيّر في البحر رجلاً يقال له القاضي ابن قادوس، في الأسطول، فنزل الأسطول على يافا، ونزل تاج العجم على عَسقلان، فاستدعاه ابن قادوس إليه ليتّفقا على حرب الفرنج، فقال تاج العجم: ما يمكنني أن أنزل إليك إلاّ بأمر الأفضل؛ ولم يحضر عنده، ولا أعانه، فأرسل القادوسيُّ إلى قاضي عسقلان، وشهودها، وأعيانها، وأخذ خطوطهم بأنّه أقام على يافا عشرين يوماً، واستدعى تاج العجم، فلم يأته، ولا أرسل رجلاً، فلمّا وقف الأفضل على الحال أرسل مَنْ قبض على تاج العجم، وأرسل رجلاً، لَقَبُه جمال المُلك، فأسكنه عَسقلان، وجعله متقدّم العساكر الشاميّة.

وخرجت هذه السنة وبيد الفرنج، لعنهم الله، البيت المقدّس، وفلسطين، ما عدا عَسقلان، ولهم أيضاً يافا، وأرسُوفُ، وقَيساريّةُ، وحَيفا، وطَبريّةُ، واللاّذِقِيّة[2]، وأنطاكيّةُ، ولهم بالجزيرة الرُّها، وسَروج[3].

وكان صَنْجيل يحاصر مدينة طرابلس الشام، والموادّ تأتيها، وبها فخر المُلك بن عمّار، وكان يرسل أصحابه في المراكب يغيرون على البلاد التي بيد الفرنج، ويقتلون من وجدوا، وقصد بذلك أن يخلو السواد ممّن يزرع لتقلّ المرادّ من الفرنج فيرحلوا عنه[4].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، سادس المحرّم، توفّيت بنت أمير المؤمنين القائم بأمر الله، التي كانت زوجة السلطان طُغْرُلْبك، وكانت موصوفة بالدّين، وكثْرة الصدقة، وكان الخليفة المستظهر بالله قد ألزمها بيتها، لأنّه أُبلغ عنها أنها تسعى في إزالة دولته[5].

---

(١) من (ب).

(٢) في الأوربية: «ولاذقية».

(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٤٢، ١٤٣، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٥، العبر ٣/ ٣٤٣، دول الإسلام ٢/ ٢٦، تاريخ الإسلام ٥٥، الإعلام والتبيين ١٤/ ١٥، إتعاظ الحنفا ٣/ ٢٦ و ٣٢.

(٤) تاريخ الإسلام ٥٥.

(٥) المنتظم ١٧/ ٨٣ رقم ٣٧٣٦، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٣.

وفيها، في شعبان أيضاً، استوزر المستظهر بالله زعيم الرؤساء أبا القاسم بن جَهِير، واستقدمه من الحِلّة من عند سيف الدولة صَدَقَة، وقد ذكرنا(في السنة المتقدّمة)[1] سبب مسيره إليها، فلمّا قدم إلى بغداذ خرج كلّ أرباب الدولة فاستقبلوه، وخُلع عليه الخِلع التامّة، وأُجلس[2] في الديوان ولُقّب قِوام الدين[3].

وفيه[4] أيضاً قُتل أبو المظفّر بن الخُجَنْدِيّ بالرَّيّ، وكان يعِظُ الناس، فقتله رجل علويّ حين نزل من كرسيّه، وقُتل العلويُّ ودُفن الخُجَنْدِيّ بالجامع، وأصل بيت الخُجَنْدِيّ من مدينة خُجَنْدَة، بما وراء النهر، ويُنسبون إلى المهلّب بن أبي صُفرة، وكان نظام المُلك قد سمع أبا بكر محمّد بن ثابت الخُجَنْديُّ يعظ بمَرْوَ، فأعجبه كلامه، وعرف محلّه من الفِقه والعلم، فحمله إلى أصبهان، وصار مدرِّساً بمدرسته بها، فنال جاهاً عريضاً، ودنيا واسعة، وكان نظام المُلك يتردّد إليه ويزوره[5].

وفيها جمع ساغربك[6]، بما وراء النهر، جموعاً كثيرة، وهو من أولاد الخانيّة، وقصد محمّد خان الذي ملّكه السلطان سَنجَر سَمَرْقَنْد، ونازعه في ملكها، فضعُف محمّد خان عنه، فأرسل إلى السلطان سَنجَر يستنجده، فسار إلى سَمَرقَنْد، فأبعد عنه ساغربك[6]، وخافه، واحتمى منه، وأرسل يطلب الأمان من سنجَر، والعفو، فأجابه إلى ما طلب، وحضر ساغربك[7] عنده، وقرّر الصُّلح بينه وبين محمّد خان، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه، وعاد إلى خُراسان، فوصل إلى مَرو في ربيع الأوّل سنة سبعٍ وتسعين وأربعمائة.

[الوفيات]

وفيها توفّي أبو المعالي [الرجل][8] الصالح، ساكن باب الطاق، وكان مُقِلاً من الدنيا، له كرامات ظاهرة[9].

---

(١) من الباريسية.
(٢) في (أ) و (ب): «وجلس».
(٣) المنتظم ١٧/ ٨٠، ٨١.
(٤) في (أ) و (ب): «وفيها».
(٥) المنتظم ١٧/ ٨٣ رقم ٣٧٣٥.
(٦) في (أ): «ساغوبك»، و (ب): «ساغونك».
(٧) في (أ) و (ب): «ساغوبك».
(٨) إضافة من (أ) و (ب).
(٩) انظر عن (أبي المعالي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٦ هـ.) ص ٢٤١ رقم ٢٥٥، وفيه مصادر ترجمته، وهو باسم «معالي العابد».

٤٩٧
ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة

ذكر ملك بَلْك بن بهرام بن أُرتق مدينة عانة

في هذه السنة، في المحرّم، استولى بَلْك بن بهرام بن أُرتُق، وهو ابن أخي إيلغازي بن أُرتُق، على مدينة عانة، والحديثة، وكان له مدينة سَروج، فأخذها الفرنج منه، فسار عنها إلى عانة وأخذها من بني يَعيش بن عيسى بن خِلاط، فقصد بنو يَعيش سيف الدولة صدقة بن مَزْيد، ومعهم مشايخهم، فسألوه الإصعاد إليها، وأن يتسلّمها منهم، ففعل وأصعد معهم.

فرحل التركمان وبهرام عنها، وأخذ صدقة رهائنهم، وعاد إلى حِلّته، فرجع بَلك إليها ومعه ألفا رجل من التركمان، فمانعه أصحابه قليلاً، واستدلّ على المخاضة إليها، فخاضها وعبر، وملكهم ونهبهم، وسبى[1] جميع حُرَمهم وانحدر طالباً هَيت من الجانب الشاميّ، فبلغ إلى قريب منها، ثم رجع من يومه، ولمّا سمع صدقة جهّز العساكر، ثم أعادهم عند عود بلك.

ذكر غارة الفرنج على الرَّقّة وقلعة جَعْبَر

في هذه السنة، في صفر، أغار الفرنج من الرُّها على مرج الرَّقّة وقلعة جَعْبَر، وكانوا لمّا خرجوا من الرُّها افترقوا فرقتَيْن، وأبعدوا يوماً واحداً تكون الغارة على البلدَيْن فيه، ففعلوا ما استقرّ بينهم، وأغاروا، واستاقوا المواشي، وأسروا مَن وقع بأيديهم من المسلمين، فكانت القلعة[2] والرَّقّة لسالم بن مالك بن بدران بن المقلّد بن المسيّب سلّمها إليه السلطان ملكشاه سنة تسعٍ[3] وسبعين [وأربعمائة]، وقد ذكرناه فيها.

---

(١) في الأوربية: «وسبا».

(٢) في (ب): «قلعة جعبر»، وفي الباريسية: : «الوقعة».

(٣) في (ب): «سبع».

ذكر الصلح بين السلطان بركْيارُق ومحمّد

في هذه السنة، في ربيع الآخر، وقع الصُّلح بين السلطانَيْن بركْيارُق ومحمّد ابنَيْ ملكشاه.

وكان سببه أنّ الحروب تطاولت بينهما، وعمّ الفساد، فصارت الأموال منهوبة، والدماء مسفوكة، والبلاد مخرّبةً، والقرى محرقةً، والسلطنة مطموعاً[١] فيها، محكوماً عليها، وأصبح الملوك مقهورين، بعد أن كانوا قاهرين، وكان الأمراء الأكابر يؤثرون ذلك ويختارونه[٢] ليدوم تحكّمهم، وانبساطهم، وإدلالهم.

وكان السلطان بركْيارُق حينئذٍ بالريّ والخطبة له بها، وبالجبل، وطَبَرِستان، وخُوزستان، وفارس، وديار بكر، والجزيرة، وبالحَرَمَيْن الشريفَيْن.

وكان السلطان محمّد بأَذَربيجان، والخطبة له فيها[٣]، وببلاد أرانيّة، وأرمينية، وأصبهان، والعراق، كلّها ما عدا تكريت.

وأمّا أعمال البطائح فيُخطب ببعضها لبركْيارُق، وببعضها لمحمّد.

وأمّا خُراسان فإنّ السلطان سَنجَر كان يُخطب له في جميعها، وهي من حدود جُرجان إلى ما وراء النهر، ولأخيه السلطان محمّد.

فلمّا رأى السلطان بركْيارُق المال عنده معدوماً، والطمع من العسكر زائداً، أرسل القاضي أبا المظفّر الجُرجانيّ الحنفيّ، وأبا الفرج أحمد بن عبد الغفّار الهمَذانيّ، المعروف بصاحب قُراتِكين، إلى أخيه محمّد في تقرير قواعد الصلح، فساروا إليه، وهو بالقرب من مراغَة، فذكرا له ما أُرسلا فيه، ورغّبَاه في الصلح وفضيلته، وما شمل البلاد من الخراب، وطمع عدوّ الإسلام في أطراف الأرض. فأجاب إلى ذلك، وأرسل فيه رُسلاً، واستقرّ الأمر، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه، وتقرّرت القاعدة: أنّ السلطان بركيارق لا يعترض[٤] أخاه محمداً في الطبل، وأن لا يذكر معه على سائر البلاد التي صارت له، وأن لا يكاتب أحدهما الآخر بل تكون المكاتبة من الوزيرَيْن، ولا يعارض أحد من العسكر في قصد أيّهما شاء، وأن يكون للسلطان محمّد من النهر المعروف

---

(١) في الأوربية: «مطموعة»، وفي (أ) و (ب): «مطموعاً».

(٢) في الأوربية: «ويخترونه».

(٣) في الأوربية: «فيه».

(٤) في الأوربية: «يتعرض».

بإسبِيذَرُوذَ، إلى باب الأبواب، وديار بكر، والجزيرة، والموصل، والشام، ويكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة صدقة.

فأجاب برکْيارُق إلى هذا، وزال الخُلْف، والشغب، وأرسل السلطان محمّد إلى أصحابه بأصبهان يأمرهم بالانصراف عن البلد، وتسليمه إلى أصحاب أخيه، (وسار السلطان برکْيارُق إلى أصبهان، فلمّا سلّمها إليه[1] أصحاب أخيه)[2] دعاهم إلى أن يكونوا معه، وفي خدمته، فامتنعوا، ورأوا لزوم خدمة صاحبهم، فسمّاهم أهل العسكرَيْن جميعاً: أهل الوفاء، وتوجّهوا من أصبهان، ومعهم حريم السلْطان محمّد، إليه، وأكرمهم برکْيارُق، وحمل لأهل أخيه المال الكثير، ومن الدوابّ ثلاثمائة جَمَل، ومائة وعشرين بغلاً، تحمل الثَّقَل، وسيّر معهم العساكر يخدمونهم.

ولما وصلت رسل السلطان برکْيارُق إلى الخليفة المستظهر بالله بالصُّلح، وما استقرّت القواعد عليه، حضر إيلغازي بالديوان، وسأل في إقامة الخطبة لبرکْيارُق، فأُجيب إلى ذلك، وخُطب له بالديوان يوم الخميس تاسع عشر جُمادى الأولى، وخُطب له، من الغد، بالجوامع، وخُطب له أيضاً بواسط.

ولمّا خطب إيلغازي ببغداذ لبرکْيارُق، وصار في جملته، أرسل الأمير صَدَقَة إلى الخليفة يقول: كان أمير المؤمنين ينسب إليَّ[3] كلّ ما[4] يتجدّد من إيلغازي من إخلال[5] بواجب الخدمة، وشرط الطاعة، ومن اطّراح المراقبة، والآن، فقد أبدى[6] صفحته للسلطان[7] الذي استنابه، وأنا غير صابرٍ على ذلك، بل أسير لإخراجه عن بغداذ.

فلمّا سمع إيلغازي ذلك شرع في جمع التركمان، وورد صَدَقَة بغداذ، فنزل مقابل التاج، وقبّل الأرض، ونزل في مخيّمه بالجانب الغربيّ، ففارق إيلغازي بغداذ إلى بَعقُوبا، وأرسل إلى صَدَقَة يعتذر من طاعته لبرکْيارُق بالصُّلح الواقع، وأنّ إقطاعه حُلوان وغيرها في جملة بلاده، وأنّ بغداد التي هو شِحنةٌ فيها قد صارت له، فذلك الذي أدخله في طاعته. فرضي عنه صدقة، وعاد إلى الحِلّة.

---

(١) في الأوربية: «سلمه».
(٢) من (أ) و (ب).
(٣) من الباريسية.
(٤) في الأوربية: «كلّما».
(٥) في (أ) و (ب): «إخلاله».
(٦) في الأوربية: «أبداً».
(٧) في (أ) و (ب): «السلطانه».

وفي ذي القعدة سُيّرت الخِلع من الخليفة للسلطان بركْيارُق، وللأمير إياز، ولوزير بركْيارُق، وهو الخطير، والعهد بالسلطنة، وحلفوا جميعهم للخليفة وعادوا[١].

ذكر ملك الفرنج جُبَيْل وعكّا من الشام

في هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج إلى مدينة اللاّذِقِيّة[٢]، فيها التجّار، والأجناد، والحجّاج، وغير ذلك، واستعان[٣] بهم صَنْجِيل الفرنجيُّ على حصار طرابلس، فحصروها معه برّاً وبحراً، وضايقوها، وقاتلوها أيّاماً، فلم يروا فيها مطمعاً، فرحلوا عنها إلى مدينة جُبَيْل، فحصروها، وقاتلوا عليها[٤] قتالاً شديداً. لمّا رأى أهلها عجزهم عن الفرنج أخذوا أماناً، وسلّموا البلد إليهم، فلم تف[٥] الفرنج لهم بالأمان، وأخذوا أموالهم، واستنقذوها[٦] بالعقوبات وأنواع العذاب[٧].

فلمّا فرغوا من جُبيل ساروا إلى مدينة عكّا، استنجدهم الملك بغدوين، (ملك الفرنج)[٨] صاحب القدس على حصارها، فنازلوها، وحصروها في البرّ والبحر.

وكان الوالي بها اسمه بنا، ويُعرف بزهر الدولة الجيوشيّ، نسبة إلى ملك الجيوش الأفضل، فقاتلهم أشدّ قتال، فزحفوا إليه غير مرّة، فعجز عن حفظ البلد، فخرج منه، وملك الفرنج البلد بالسيف قهراً، وفعلوا بأهله الأفعال الشنيعة، وسار الوالي به إلى دمشق، فأقام بها، ثم عاد إلى مصر، واعتذر إلى الأفضل فقبل عُذره[٩].

---

(١) المنتظم ٩/١٣٨ (١٧/ ٨٠ ـ ٨٥)، تاريخ مختصر الدول ١٩٧، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٨، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٥٠، ٣٥١، المختصر ٢/٢١٦، ٢١٧، العبر ٣/ ٣٤٥، دول الإسلام ٢/ ٢٦، تاريخ الإسلام ٥٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، مآثر الإنافة ٢/ ١٣، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٩٠، ٤٩١ و ٥/ ٣٢، النجوم الزاهرة ٥/ ١٨٧، ١٨٨، تاريخ الخلفاء ٤٢٨، ٤٢٩.

(٢) في الأوربية: «لاذقية».

(٣) في (أ): «واستغاث».

(٤) في (ب): «أهلها».

(٥) في (أ) و (ب): «يف».

(٦) في الباريسية: «واستنفدوا أحوالهم».

(٧) تاريخ حلب ٣٦٢ (٢٨)، ذيل تاريخ دمشق ١٤٣، معجم البلدان ٤/ ٥٩، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٩، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٦ و ٢٨/ ٢٦٣، المختصر ٢/ ٢١٧، العبر ٣/ ٣٤٥، دول الإسلام ٢/ ٢٧، تاريخ الإسلام ٥٨، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، ١٥، الإعلام والتبيين ١٥، مآثر الإنافة ٢/ ١٦، شذرات الذهب ٣/ ٤٠٤، وفيه: «جبل» بدل «جبيل». وانظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري ١/ ٤٠٦، ٤٠٧.

(٨) من الباريسية.

(٩) تاريخ حلب ٣٦٢ (٢٨)، ذيل تاريخ دمشق ١٤٤، أخبار مصر لابن ميسر ٤١، أخبار الدول المنقطعة =

ذكر غزو سُقمان وجكرمِش الفرنج

لمّا استطال الفرنج، خذلهم الله تعالى، بما ملكوه من بلاد الإسلام، واتّفق لهم اشتغال عساكر الإسلام، وملوكه، بقتال بعضهم بعضاً، تفرّقت حينئذ بالمسلمين الآراء، واختلفت الأهواء، وتمزّقت الأموال.

وكانت حرّان لمملوك من مماليك ملكشاه اسمه قراجه[1]، فاستخلف عليها إنساناً يقال له محمد الأصبهانيُّ، وخرج في العام الماضي، فعصى الأصبهانيُّ على قراجه، وأعانه أهل البلد لظلم قراجه.

وكان الأصبهانيُّ جَلداً، شهماً، فلم يترك بحَرَّان من أصحاب قراجه سوى غلام تركيّ يُعرف بجاولي، وجعله أصْفَهْسَلار العسكر، وأنِس به، فجلس معه يوماً للشرب فاتّفق جاولي مع خادم له[2] على قتله فقتلاه وهو سكران. فعند ذلك سار الفرنج إلى حرّان وحصروها.

فلمّا سمع معين الدولة سُقمان، وشمس الدولة جكرمِش ذلك، وكان بينهما حرب، وسُقمان يطالبه بقتل ابن أخيه، وكلّ منهما يستعد للقاء صاحبه، وأنا أذكر سبب قتل جكرمِش له، إن شاء الله تعالى، أرسل[3] كلّ منهما إلى صاحبه يدعوه إلى الاجتماع معه لتلافي أمر حَرّان، ويعلمه أنّه قد بذل نفسه لله تعالى، وثوابه، فكلّ واحد منهما أجاب صاحبه إلى ما طلب منه، وساروا، فاجتمعا على الخابور، وتحالفا، وسارا إلى لقاء الفرنج.

وكان مع سُقمان سبعة آلاف فارس من التركمان، ومع جكرمِش ثلاثة آلاف فارس من الترك، والعرب، والأكراد، فالتقوا على نهر البَلِيخ، وكان المصافّ بينهم هناك، فاقتتلوا، فأظهر المسلمون الانهزام، فتبِعهم الفرنج نحو فرسخَيْن، فعاد عليهم المسلمون فقتلوهم كيف شاؤوا، وامتلأت أيدي التركمان من الغنائم، ووصلوا إلى الأموال

= ٨٧، مرآة الزمان ج ٨ ق ٩/١، نهاية الأرب ٢٥٦/٢٣ و ٢٦٣/٢٨، المختصر ٢١٧/٢، تاريخ الرهاوي ٤٦٧/٢ ـ ٤٦٩، الدرّة المضية ٤٦٣، العبر ٣٤٥/٣، دول الإسلام ٢٧/٢، تاريخ سلاطين المماليك ٢٣، تاريخ ابن الوردي ١٥/٢، الإعلام والتبيين ١٥، مآثر الإنافة ١٦/٢، إتعاظ الحنفا ٣٤/٣ و ٣٦، النجوم الزاهرة ١٨٨/٥، شذرات الذهب ٤٠٤/٣، تاريخ الأزمنة ٩٥.

(١) في (أ) و (ب): «قراجا».

(٢) من (ب).

(٣) في الأوربية: «فأرسل».

العظيمة، لأنّ سواد الفرنج كان قريباً، وكان بيمُند، صاحب أنطاكية، وطَنْكِري[١]، صاحب الساحل، قد انفردا[٢] وراء جبل ليأتيا المسلمين من وراء ظهورهم، إذا اشتدّت الحرب، فلمّا خرجا رأيا الفرنج منهزمين، وسوادهم منهوباً، فأقاما إلى الليل، وهربا، فتبعهما المسلمون، وقتلوا من أصحابهما كثيراً، وأسروا كذلك، وأفلتا في ستّة فرسان.

وكان القُمّص بردويل، صاحب الرُّها، قد انهزم مع جماعة من قمامصتهم، وخاضوا نهر البَلِيخ، فوَحِلَت خيولهم، فجاء تركمانيّ[٣] من أصحاب سُقمان فأخذهم[٤]، وحملَ بردويل إلى خيم صاحبه، وقد سار فيمن معه لاتّباع بيمُنْد، فرأى أصحاب جكرمِش أنّ أصحاب سُقمان قد استولوا على مال الفرنج، ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل، فقالوا لجكرمِش: أيّ منزلة تكون لنا عند الناس، وعند التركمان إذا انصرفوا[٥] بالغنائم دوننا؟ وحسّنوا له أخذ القُمّص، فأنفذ فأخذ القُمّص من خيم سُقمان، فلمّا عاد سُقمان شقّ عليه الأمر، وركب أصحابه للقتال، فردّهم، وقال لهم: لايقوم فرح المسلمين في هذه الغزاة بغمّهم باختلافنا، ولا أؤثر شفاء غيظي بشماتة الأعداء بالمسلمين. ورحل لوقته، وأخذ سلاح الفرنج، وراياتهم، وألبس أصحابه لبسهم، وأركبهم خيلهم، وجعل يأتي حصون شَيْحَان[٦]، وبها الفرنج، فيخرجون ظنّاً منهم أنّ أصحابهم نُصروا، فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم، فعل ذلك بعدّة حصون.

وأما جكرمِش فإنّه سار إلى حرّان، فتسلمها، واستخلف بها صاحبه، وسار إلى الرُّها، فحصرها خمسة عشر يوماً، وعاد إلى الموصل ومعه القُمّص الذي أخذه من خيام سُقمان، ففاداه بخمسة وثلاثين ديناراً، ومائة وستّين أسيراً من المسلمين، وكان عدّة القتلى من الفرنج يقارب اثني عشر ألف قتيل[٧].

---

(١) في (أ) و (ب): «تنكري».
(٢) في الأوربية: «انفرد».
(٣) في الأوربية: «تركمان».
(٤) في الأصل: «فأخذوهم».
(٥) في (ب): «أفردوا».
(٦) في الباريسية: «سحىل»، وفي (ب): «سحمان».
(٧) تاريخ الفارقي ٢٧٤ (حوادث سنة ٤٧٩ هـ.)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٩، ١٠، المختصر ٢/ ٢١٧، العبر ٣/ ٣٤٥، ٣٤٦ دول الإسلام ٢/ ٢٧، تاريخ الإسلام ٥٩، ٦٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٥، الإعلام والتبيين ١٥، مرآة الجنان ٣/ ١٦٠، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٣، شذرات الذهب ٣/ ٤٠٤، تاريخ الأزمنة ٩٧.

ذكر وفاة دُقاق وملك ولده

في هذه السنة، في شهر رمضان توفّي الملك دقاق بن تُتُش بن ألب أرسلان، صاحب دمشق، وخطب أتابكه طُغْتِكِين لولدٍ له صغير، له سنة واحدة، وجعل اسم المملكة فيه، ثم قطع خطبته لبكتاش[1] بن تُتُش، عمّ هذا الطفل، في ذي الحجّة، وله من العمر اثنتا عشرة[2] سنة.

ثم إنّ طُغْتِكِين أشار عليه بقصد الرَّحبة، فخرج إليها فملكها وعاد، فمنعه طُغْتكين من دخول البلد، فمضى إلى حصون له، وأعاد طُغْتِكين خطبة الطفل ولد دُقاق.

وقيل أنّ سبب استيحاش بكتاش من طُغْتِكِين أنّ والدته خوّفته منه، وقالت: إنّه زوج والدة دُقاق، وهي لا تتركه حتّى تقتلك ويستقيم المُلك لولدها؛ فخاف، ثم إنّه حسّن له من كان يحسد طُغْتكين مفارقة دمشق، وقصْد بعلبكّ، وجمع الرجال، والاستنجاد بالفرنج، والعَوْد إلى دمشق، وأخْذها من طُغْتكين، فخرج من دمشق سِرّاً في صفر سنة ثمانٍ وتسعين[وأربعمائة]، ولحِقه الأمير أيتكين الحلبيُّ، وهو من جملة من قرّر مع بكتاش ذلك، وهو صاحب بُصْرَى، فعاثا في نواحي[3] حَوران، ولحِق بهما[4] كلّ من يريد الفساد، وراسلا بغدوين ملك الفرنج يستنجدانه، فأجابهما إلى ذلك، وسار إليهما[5] فاجتمعا به، وقرّرا القواعد معه، وأقاما عنده مدّةً، فلم يريا منه[6] غير التحريض على الإفساد في أعمال دمشق، وتخريبها، فلمّا يئسا من نصره عادا من عنده، وتوجّها في البرّية إلى الرَّحْبة، فملكها بكتاش وعاد عنها.

واستقام أمر طُغْتِكِين بدمشق واستبدّ بالأمر، وأحسن إلى الناس، وبثّ فيهم العدل، فسُرّوا به سروراً كثيراً[7].

---

(١) في (أ) و (ب): «اليلناس»، و « بكتاش»، و «بكباش»، و «يلياس».

(٢) في الأوربية: «عشر».

(٣) في الأوربية: «ناحية».

(٤) في الأوربية: «بها».

(٥) في الأوربية: «إليه».

(٦) في الباريسية: «عنده».

(٧) تاريخ حلب ٣٦٢ (٢٨)، ذيل تاريخ دمشق ١٤٤، تاريخ الفارقي ٢٧١ (حوادث سنة ٤٩٨ هـ.)، مرآة الزمان ج ٨ ق ٩/١ و ١١، زبدة الحلب ٢/ ١٥٠، نهاية الأرب ٢٧/ ٧٤، المختصر ٢/٢١٧، الدرّة المضية ٤٦٣، العبر ٣/٣٤٧، دول الإسلام ٢/ ٢٧، تاريخ الإسلام ٦٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٥، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٣، ١٦٤، مرآة الجنان ٣/ ١٦٠، النجوم الزاهرة ٥/ ١٨٩، وانظر كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيّين ٢٦٣، ٢٦٤.

ذكر استيلاء صدقة على واسِط

في هذه السنة، في شوّال، انحدر سيف الدولة صدقة بن مَزْيَد من الحِلّة إلى واسِط في عسكر كثير، وأمر فنودي بها في الأتراك: من أقام فقد بَرِئَتْ منه الذمّة؛ فسار جماعة منهم إلى بركيارق، وجماعة إلى بغداذ، وصار مع صدقة جماعة منهم، ثم إنّه أحضر مهذّب الدولة بن أبي الجبر[١]، صاحب البطيحة، فضمّنه البلد لمدّة، آخرها آخر السنة، بخمسين ألف دينار، وعاد إلى الحِلّة، وأقام مهذّب الدولة بواسِط إلى سادس ذي القعدة، وانحدر[٢] إلى بلده.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، أُطلق سديد الملك أبو المعالي من الاعتقال، وهو الذي كان وزير الخليفة، ولمّا أُطلق هرب إلى الحِلّة السّيفيّة، ومنها إلى السلطان بركْيارق، فولاّه الإشراف على ممالكه.

وفيها توفّي أمين الدولة أبو سعد العلاء[٣] بن الحسن بن الموصلايا، فجأةً، وكان قد أضرّ، وكان بليغاً فصيحاً، وكان ابتداء خدمته للقائم بأمر الله سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، خدم الخلفاء خمساً[٤] وستّين سنة، كلّ يوم تزداد منزلته، حتّى تاب عن الوزارة، وكان نَصرانياً، فأسلم سنة أربع وثمانين[وأربعمائة]، وكان كثير الصدقة، جميل المحضر، صالح النيّة، ووقف أملاكه على أبواب البرّ؛ ومكاتباته مشهورة حسنة؛ ولمّا مات خُلع على ابن أخته أبي نصر، ولُقّب« نظام الحضرتَيْن»، وقُلّد ديوان الإنشاء[٥].

وفيها كانت ببغداذ بين العامّة فتَن كثيرة، وانتشر العيّارون[٦].

وفيها قُتل أبو نُعَيْم بن ساوة[٧] الطبيب الواسطيُّ، وكان من الحُذّاق في الطبّ، وله فيه إصابات[٨] حسنة.

---

(١) في (أ): «الخير».
(٢) في (أ) و (ب): «وعاد منحدراً».
(٣) من الباريسية.
(٤) في الأوربية: «خمس».
(٥) انظر عن (ابن الموصلايا) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٧ هـ.) ص ٢٦٠ ـ ٢٦٣ وفيه مصادر ترجمته.
(٦) انظر: المنتظم ١٧/ ٨٤.
(٧) في (أ) و (ب): «رساده».
(٨) في (ب): «اختيارات».

وفيها عزل السلطان سَنجَر وزيرَهُ المجير أبا الفتح الطُّغرائيّ، وسبب ذلك أنّ الأمير بزغش، وهو أصْفَهْسَلار العسكر السَّنجريّ، ألقي إليه ملطّف فيه: لا يتمّ لك أمرٌ مع هذا السلطان، ووقع إلى سنجَر، لا يتمّ لك أمر مع الأمير بزغش، مع كثرة جموعه، فجمع بزغش أصحاب العمائم، وعرض عليهم الملطّفَيْن، فاتّفقوا على كاتب الطُّغرائيّ، وظهرت عليه فقُتل[1]، وقبض سَنجَر على الطُّغرائيّ، وأراد قتله، فمنعه بزغش، وقال: له حقُ خدمةٍ؛ فأبعده إلى غَزْنة. وفيها جمع بزغش كثيراً من عساكر خُراسان، وأتاه[2] كثير من المتطوّعة، وسار إلى قتال الإسماعيلية، فقصد طَبَس، وهي لهم، فخربها وما جاورها من القلاع والقُرى، وأكثر فيهم القتل، والنهب، والسبي، وفعل بهم الأفعال العظيمة، ثم أنّ أصحاب سنجَر أشاروا بأن يؤمَّنوا[3]، ويُشرط عليهم أنهم لا يبنون حصناً، ولا يشترون سلاحاً، ولا يدْعون أحداً إلى عقائدهم، فسخط كثير من الناس هذا الأمان، وهذا الصلح، ونقموه على سَنجَر؛ ثم إنّ بزغش، بعد عوده من هذه الغزاة، توفّي، وكانت خاتمة أمره[4] الجهاد، وحمه الله.

[الوفيات]

وفي هذه السنة توفّي أبو بكر[أحمد بن علي بن الحسين][5] بن زكريّاء الطُّرَيْثيثيُّ، وكان صوفيّاً محدّثاً مشهوراً.

وفي رجب توفّي القاضي أبو الحسين[6] أحمد بن محمّد الثقفيُّ، قاضي الكوفة، ومولده في ربيع الأوّل سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وهو من ولد عُرْوة بن مسعود، ومن تلاميذ القاضي الدامغانيّ، ووليَ القضاء بعده ابنه أبو البركات.

---

(١) في (أ): «فقبل وضمن».
(٢) من الباريسية.
(٣) في (أ): «يزينوا»، وفي (ب): «يرموا».
(٤) في (أ) و (ب): «أعماله».
(٥) في طبعة صادر ١٠/ ٣٧٩، «أبو بكر علي بن أحمد بن زكرياء»، وهو غلط، والتصويب من تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٧ هـ.) ص ٢٤٧، ٢٤٨ رقم ٢٦٤ وفيه مصادر ترجمته.
(٦) في تاريخ الإسلام ٢٤٦ رقم ٢٦٢ «أبو الحسن».

وفي ربيع الآخر توفّي أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن البُسريّ[1] البندار[2]، المحدّث، ومولده سنة أربعٍ وأربعمائة[3].

---

(١) انظر عن (ابن البُسْري) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٧ هـ.)، ص ٢٥٥ رقم ٢٧٥ وفيه مصادر ترجمته. وقد وقع في الطباعة خطأً: «البسيري».

(٢) من (أ) و (ب).

(٣) في الأنساب ٢/٢١٢، وتاريخ الإسلام ٢٥٥، وُلد سنة تسع أو عشر.

٤٩٨
ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة

ذكر وفاة السلطان بركيارُق

في هذه السنة، ثاني ربيع الآخر، توفّي السلطان بركْيارُق بن ملكشاه[١]، وكان قد مرض بأصبهان بالسلّ، والبواسير، فسار منها في مَحفّة طالباً بغداذ، فلمّا وصل إلى بَرُوجِرْدَ ضعُف عن الحركة، فأقام بها أربعين يوماً، فاشتدّ مرضه، فلمّا أيس من نفسه خلع على ولده ملكشاه، وعُمره حينئذٍ أربع سنين وثمانية أشهر، وخلع على الأمير إياز، وأحضر جماعة الأمراء، وأعلمهم أنّه قد جعل ابنه وليَّ عهده في السلطنة، وجعل الأمير إياز أتابكه، وأمرهم بالطاعة لهما، ومساعدتهما على حفظ السلطنة لولده، والذَّبّ عنها، فأجابوا كلّهم بالسمع والطاعة، وبَذْل النفوس والأموال في حِفْظ ولده وسلطنته عليه، واستحلفهم على ذلك، فحلفوا، وأمرهم بالمسير إلى بغداذ، فساروا، فلمّا كانوا على اثني عشر فرسخاً من بَرُوجِرُدَ وصلهم خبر وفاته، وكان بركْيارُق قد تخلّف على عزم العَود إلى أصبهان فعاجلته منيّته.

فلمّا سمع الأمير إياز بموته أمر وزيرَه الخطير المبيذيّ وغيره بأن يسيروا مع تابوته إلى أصبهان، فحُمل إليها، ودُفن في تربة جدّدتْها له سُرّيّته، ثم ماتت بعد أيام، فدُفنت بإزائه، وأحضر إياز السرادقات، والخيام، والجتر، والشمسة، وجميع ما يحتاج إليه السلطان، فجعله برسم ولده ملكشاه.

ذكر عمره وشيء من سيرته

لمّا توفّي بركيارُق كان عمره خمساً[٢] وعشرين سنة، ومدّة وقوع اسم السلطنة

---

(١) انظر عن (السلطان بركيارق) في: تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٨ هـ.)، ص ٦٣ وفيه حشدت مصادره.
(٢) في الأوربية: «خمس».

عليه اثنتي عشرة[١] سنة وأربعة أشهر، وقاسى من الحروب واختلاف الأمور عليه ما لم يقاسيه أحد، واختلفت به الأحوال بين رخاء وشدّة، ومُلك وزواله، وأشرف، في عدّة نُوَب، بعد إسلام[٢] النعمة، على ذهاب المهجة[٣].

ولمّا قوي أمره، في ذلك الوقت، وأطاعه المخالفون، وانقادوا له، أدركته منيّته، ولم يُهْزَمْ في حروبه غير مرّة واحدة، وكان أُمراؤه قد طمعوا فيه للاختلاف الواقع، حتّى إنّهم كانوا يطلبون نوّابه ليقتلوهم،فلا يمكنه الدفع عنهم، وكان متى خُطب له ببغداذ وقع الغلاء، ووقفت المعايش والمكاسب، وكان أهلها مع ذلك يحبّونه، ويختارون سلطانه.

وقد ذكرنا من تغلّب الأحوال به ما وقفتُ عليه، ومن أعجبها دخوله أصبهان هارباً من عمّه تُتُش، فمكّنه عسكر أخيه محمود صاحبها من دخولها ليقبضوا عليه، فاتّفق أنّ أخاه محموداً مات، فاضطرّوا إلى أن يملّكوه، وهذا من أحسن الفرج بعد الشدّة.

وكان حليماً، صبوراً، عاقلاً، كثير المداراة[٤]، حَسَن القدرة، لايبالغ في العقوبة، وكان عفوه أكثر من عقوبته[٥].

ذكر الخطبة لملكشاه بن بركيارُق

في هذه السنة خُطب لملكشاه بن بركيارُق بالديوان يوم الخميس سلْخ ربيع الآخر، وخُطب له(بجوامع بغداذ)[٦] من الغد، يوم الجمعة.

وكان سبب ذلك أنّ إيلغازي، شِحنة بغداذ، سار في المحرّم إلى السلطان بركْيارُق، وهو بأصبهان، يحثّه على الوصول إلى بغداذ، ورحل مع بركْيارُق، فلمّا مات بركْيارُق سار مع ولده ملكشاه والأمير إياز إلى بغداذ، فوصلوها سابع عشر ربيع الآخر، ولقوا في طريقهم برداً شديداً لم يشاهدوا مثله، بحيث أنّهم لم يقدروا على الماء لجموده.

---

(١) في الأوربية: «عشر».
(٢) في (أ) و (ب): «أسلاب».
(٣) في (أ) و (ب): «المنجه».
(٤) في الأوربية: «المدراة».
(٥) انظر ترجمة (بركيارق) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٨ هـ.) ص ٢٧٣، ٢٧٤، وفيه حشدت مصادر ترجمته.
(٦) في الباريسية: «ببغداد».

وخرج الوزير أبو القاسم عليُّ بن جَهِير، فلقيهم من دَيَالى، وكانوا خمسة آلاف فارس، وحضر إيلغازي، والأمير طغايرك، بالديوان، وخاطبوا في إقامة الخطبة لملكشاه بن بركيارُق، فأُجيب إليها، وخُطب له، ولُقب بألقاب جدّه ملكشاه، وهي جلال الدولة، وغيره من الألقاب، ونثرت الدنانير عند الخطبة له.

ذكر حصر السلطان محمّد جكرمش بالموصل

لمّا اصطلح السلطان بركيارُق والسلطان محمّد، كما ذكرناه في السنة الخالية، وسلّم محمّد مدينة أصبهان إلى بركيارُق، وسار إليها، أقام محمّد بتِبريزَ من أَذَربيجان إلى أن وصل أصحابه الذين بأصبهان، فلمّا وصلوا استوزر سعدَ المُلك أبا المحاسن لحسْن أثره[الذي] كان في حِفْظ أصبهان، وأقام إلى صفر من هذه السنة، وسار إلى مَراغة، ثم إلى إربِل يريد قصد جكرمِش، صاحب الموصل، ليأخذ بلاده.

فلمّا سمع جكرمِش بمسيره إليه جدّد سور الموصِل، ورمّ ما احتاج إلى إصلاح، وأمر أهل السواد بدخول البلد، وأذِن لأصحابه في نهب من لم يدخل.

وحصر محمّد المدينة، وأرسل إلى جكرمِش يذكر له الصُّلح بينه وبين أخيه، وأنّ في جملة ما استقرّ أن تكون الموصل[١] وبلاد الجزيرة له، وعرض عليه الكتب من بركيارُق إليه بذلك، والأيمان على تسليمها إليه، وقال له: أنّ أطعتَ فأنا لا آخذها منك، بل أُقرّها بيدك، وتكون الخطبة لي بها. فقال جكرمِش: إنّ كُتُبَ السلطان وردت إليّ، بعد الصلح، تأمرني أن لا أُسلّم البلد إلى غيره.

فلمّا رأى محمّد امتناعه باكره القتال، وزحف إليه بالنّقّابين، والدبابات، وقاتل أهل البلد أشدّ قتال، وقتلوا خلقاً كثيراً لمحبّتهم لجكرمِش لحسْن سيرته فيهم، فأمر جكرمِش ففُتح في السور أبواب لطاف يخرج منها الرجّالة يقاتلون، فكانوا يكثرون القتل في العسكر، ثم زحف محمّد مرّة، فنقب في السور أصحابه، وأدركهم الليل، فأصبحوا وقد عمره أهل البلد، وشحنوه بالمقاتلة، وكانت الأسعار عندهم رخيصة في الحصار: كانت الحنطة تساوي كلّ ثلاثين مكّوكاً بدينار، (والشعير [كلّ] خمسين مكوكاً بدينار)[٢].

وكان بعض عسكر جكرمِش قد اجتمعوا بتلّ يَعْفَر، فكانوا يغيرون[٣] على أطراف

(١) في (أ) زيادة: «وديار بكر».

(٢) من (أ) و (ب).

(٣) في الأوربية: «يغرون».

العسكر، ويمنعون الميرة عنهم، فدام القتال عليهم إلى عاشر جُمادى الأولى، فوصل الخبر إلى جكرمِش بوفاة بركْيارُق، فأحضر أهل البلد، واستشارهم فيما يفعله بعد موت السلطان، فقالوا: أموالنا وأرواحنا بين يدَيْك، وأنت أعرف بشأنك، فاستشِر الجُندَ، فهم أعرف بذلك. فاستشار أُمراءه، فقالوا: لمّا كان السلطان حيّاً قد كنّا على الامتناع، ولم يتمكّن أحد من طروق بلدنا، وحيث توفّي فليس للناس اليوم سلطان غير هذا، والدخول تحت طاعته أولى.

فأرسل إلى محمّد يبذل الطاعة، ويطلب وزيره سعد المُلك ليدخل إليه، فحضر الوزير عنده، وأخذ بيده، فقال: المصلحة أن تحضر الساعة عند السلطان، فإنّه لا يخالفك في جميع ما تلتمسه؛ وأخذ بيده وقام، فسار معه جكرمِش، فلمّا رآه أهل الموصِل قد توجّه إلى السلطان، جعلوا يبكون، ويضجّون، ويَحْثون التراب على رؤوسهم، فلمّا دخل على السلطان محمّد أقبل عليه، وأكرمه، وعانقه، ولم يمكّنه من الجلوس، وقال: ارجع إلى رعيّتك، فإنّ قلوبهم إليك، وهم متطلّعون إلى عَودك؛ فقبّل الأرض وعاد ومعه جماعة من خواصّ السلطان، وسأل السلطان من الغد أن يدخل البلد ليزيّن له، فامتنع من ذلك، فعمل سِماطاً، بظاهر الموصل، عظيماً، وحمل إلى السلطان من الهدايا والتُّحف ولوزيره أشياء جليلة المقدار[1].

ذكر وصول السلطان إلى بغداذ وصلحه مع ابن أخيه الأمير إياز

لمّا وصل خبر وفاة السلطان بركْيارُق إلى أخيه السلطان محمّد، وهو يحاصر الموصل، جلس للعزاء، وأصلح جكرمِش، صاحب الموصل، كما ذكرناه، وسار إلى بغداذ ومعه سُكْمان القُطبيُّ، وهو يُنسب إلى قُطْب الدولة إسماعيل بن ياقوتي بن داود، وإسماعيل ابن عمّ ملكشاه، وسار معه جكرمِش وغيرهما من الأمراء.

وكان سيف الدولة صَدَقَة، صاحب الحِلّة، قد جمع خلقاً كثيراً من العساكر، فبلغت عدّتهم خمسة عشر ألف فارس، وعشرة آلاف راجل، وأرسل ولدَيْه بدران ودُبَيْساً إلى السلطان محمّد يستحثّه على المجيء إلى بغداذ، فاستصحبهما معه إلى بغداذ.

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ١٤٧، دول الإسلام ٢/ ٢٧، ٢٨، تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٨ هـ.) ص ٦٣، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٤.

فلمّا سمع الأمير إياز بمسيره إليه خرج هو والعسكر الذي معه من الدُّور، ونصبوا الخيام بالزاهر، خارج بغداذ، وجمع الأمراء، واستشارهم فيما يفعله، فبذلوا له الطاعة واليمين على قتاله وحربه، ومنْعه عن السلطنة، والاتّفاق معه على طاعة ملكشاه بن بركْيارُق.

وكان أشدّهم في ذلك ينّال وصَباوة، فإنهما بالغا[1] في الإطماع في السلطان محمّد، والمنع له عن السلطنة[2]، فلمّا تفرّقوا قال له وزيره الصفيّ[3] أبو المحاسن: يامولانا إنّ حياتي مقرونة بثبات نعمتك ودولتك، وأنا أكثر التزاماً بك من هؤلاء، وليس الرأي ما أشاروا به، فإنّ كلامهم يقصد أن يسلك طريقاً، وأن يقيم سوقاً لنفسه بك، وأكثرهم يناوئك في المنزلة، وإنّما يقعد بهم عن منازعتك قلّة العدد والمال؛ والصواب مصالحة السلطان محمّد وطاعته، وهو يُقرّك على إقطاعك، ويزيدك عليه مهما أردتَ.

فتردّد رأي الأمير إياز بين الصُّلح والمباينة، إلاّ أنّ حركته في المباينة ظاهرةٌ، وجمع السفن التي ببغداذ عنده، وضبط المشارع من متطرّقٍ إلى عسكره وإلى البلد.

ووصل السلطان محمّد إلى بغداذ يوم الجمعة لثمانٍ بقين من جُمادى الأولى، ونزل عند الجانب الغربيّ[4] بأعلى بغداذ، وخطب له بالجانب الغربيّ، ولملكشاه بن بركْيارُق بالجانب الشرقيّ؛ وأمّا جامع المنصور فأنّ الخطيب قال فيه: اللّهمّ أصلح سلطان العالم! وسكت.

وخاف الناس من امتداد الشرّ والنهب، فركب إياز في عسكَره، وهم عازمون على الحرب[5]، وسار إلى أن أشرف على عسكر السلطان محمّد، وعاد إلى مخيّمه، فدعا الأمراء إلى اليمين مرّة ثانية على المخالصة لملكشاه، فأجاب البعض، وتوقّف البعض، وقالوا: قد حلفنا مرّة، ولا فائدة في إعادة اليمين، لأنّنا إن وفينا بالأولى وفينا بالثانية، وإن لم نفِ بالأولى فلاَ نَفي[6] بالثانية.

فأمر إياز حينئذ وزيره الصفيّ أبا المحاسن بالعبور إلى السلطان محمّد في الصلح،

---

(١) في الأوربية: «فإنهم بالغوا».
(٢) من (ب).
(٣) في (أ) و (ب): «الصيفي».
(٤) في (أ) و (ب) زيادة: «عند بيعة وريا».
(٥) هنا ينتهي النص في نسخة (أ).
(٦) في الأوربية: «نَفِ».

وتسليم السلطنة إليه، وترْك منازعته فيها؛ فعبر يوم السبت لسبعٍ بقين من الشهر إلى عسكر محمّد، واجتمع بوزيره سعد المُلك أبي المحاسن سعد بن محمّد، فعرّفه ما جاء فيه، فحضرا عند السلطان محمّد، وأدّى الصفيّ رسالة صاحبه إياز، واعتذاره[1] عمّا كان منه أيّام بركْيارُق، فأجابه محمّد جواباً لطيفاً سكّن به قلبه وطيّب نفسه، وأجاب إلى ما التمس منه من اليمين.

فلمّا كان الغد حضر قاضي القضاة، والنقيبان، والصفيّ وزير إياز، عند السلطان محمّد، فقال له وزيره سعد المُلك: إنّ إياز يخاف لما تقدّم منه، وهو يطلب العهد لملكشاه ابن أخيك، ولنفسه، وللأمراء الذين معه. فقال السلطان: أمّا ملكشاه فأنّه ولدي، ولا فرق بيني وبين أخي، وأمّا إياز والأمراء فأحلف لهم، إلاّ ينّالَ الحُساميّ وصبَاوة؛ فاستحلفه إلْكِيَا الهرّاس، مدرّس النظاميّة، على ذلك، وحضر الجماعة اليمين. فلمّا كان من الغد حضر الأمير إياز عند السلطان محمّد، فلقيه وزير السلطان، والناس كافّةً[2]، ووصل سيف الدولة صَدَقَة، ذلك الوقت، ودخلا جميعاً إلى السلطان، فأكرمهما، وأحسن إليهما، وقيل بل ركب السلطان ولقيهما، ووقف أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره[3]، وأقام السلطان ببغداذ إلى شعبان، وسار إلى أصبهان، وفعل فيها ما سنذكره، إن شاء الله تعالى[4].

ذكر قتل الأمير إياز

في هذه السنة، ثالث عشر جُمادى الآخرة، قُتل الأمير إياز، قتله السلطان محمّد.

وسبب ذلك أنّ إياز لمّا سلّم السلطنة إلى السلطان محمّد صار في جملته، واستحلفه لنفسه، فلمّا كان ثامن جُمادى الآخرة عمل دعوة عظيمة في داره، وهي دار كوهرائين، ودعا السلطان إليها، وقدّم له شيئاً كثيراً من جملته الحبل[5] البُلْخُش[6] الذي أُخذ من تركة مؤيّد الملك بن نظام الملك، وقد تقدّم ذكر ذلك، وحضر مع السلطان سيف الدولة صدقة بن مَزْيَد.

---

(١) في الأوربية: «واعتذار».

(٢) في الأوربية: «وكافّة الناس».

(٣) في الأوربية: «ايساره».

(٤) نهاية الأرب ٢٦/٣٥٨، المختصر ٢/٢١٨، دول الإسلام ٢/٢٨، تاريخ الإسلام ٦٤، البداية والنهاية ١٢/١٦٤، تاريخ ابن الوردي ٢/١٥، مآثر الإنافة ٢/١٤، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٩٢.

(٥) في الأوربية: «الجبل».

(٦) البُلْخُش: جوهر يُجلب من بُلخُشان. (معجم الألفاظ الفارسيّة المعرّبة، لأدي شير، ص ٢٦).

وكان من الاتّفاق الرديء أنّ إياز تقدّم إلى غلمانه ليلبسوا السلاح من خزانته، ليعرضهم على السلطان، فدخل عليهم رجل من أبهر يتطايب معهم، ويضحكون منه، مع كونه يتصوّف، فقالوا له: لابدّ(من أن)[1] نُلبسك درعاً ونعرضك(فألبسوه الدرع تحت قميصه، وتناولوه بأيديهم، وهو يسألهم أن يكفّوا عنه، فلم يفعلوا، فلشدّة ما فعلوا به هرب منهم، ودخل بين خواصّ السلطان معتصماً بهم، فرآه السلطان مذعوراً، وعليه لباس عظيم، فاستراب به، فقال لغلام له بالتركيّة ليلمسه من غير أن يعلم أحد، ففعل، فرأى الدرع تحت قميصه، فأعلم السلطان بذلك، فاستشعر، وقال: إذا كان أصحاب العمائم قد لبسوا السلاح، فكيف الأجناد! وقوي استشعاره لكونه في داره، وفي قبضته، فنهض وفارق الدار وعاد إلى داره.

فلمّا كان ثالث عشر الشهر استدعى السلطان الأمير صدقة، وإياز، وجكرمش، وغيرهم من الأمراء، فلمّا حضروا أرسل إليهم: أنّه بلغنا أنّ قلج أرسلان بن سليمان بن قُتلمِش قصد ديار بكر ليتملّكها، وسيّر منها إلى الجزيرة، وينبغي أن تجتمع آراؤهم على من يسير إله ليمنعه ويقاتله. فقال الجماعة: ليس لهذا غير الأمير إياز؛ فقال إياز: ينبغي أن نجتمع أنا وسيف الدولة صدقة بن مَزْيَد على هذا الأمر، والدَّفع(لهذا القاصد؛ فقيل ذلك للسلطان، فأعاد الجواب بستدعي إياز، وصدقة، والوزير سعد الملك)[2] ليُحرّر الأمر في حضرته، فنهضوا ليدخلوا إليه.

وكان قد أعدّ جماعة من خواصّه ليقتلوا إياز إذا دخل إليه، فلمّا دخلوا ضرب أحدهم رأسه فأبانه. فأمّا صدقة فغطّى وجهه بكمّه، وأمّا الوزير فإنّه غُشي عليه، ولُفّ إياز في مسح وأُلقي على الطريق عند دار المملكة، وركب عسكر إياز، فنهبوا ما قدروا عليه من داره، فأرسل السلطان مَن حماها من النهب، وتفرّق أصحابه من يومهم، وكان زوال تلك النعمة العظيمة، والدولة الكبيرة، في لحظة، بسبب هزل ومزاح، فلمّا كان من الغد كفّنه قوم من المتطوّعة، ودفنوه في المقابر المجاورة لقبر أبي حنيفة، رحمه الله.

وكان عمره قد جاوز أربعين سنة، وهو من جملة مماليك السلطان ملكشاه، ثم صار بعد موته في جملة أمير آخُر، فاتّخذه ولداً، وكان غزير المروّة، شجاعاً، حسن الرأي في الحرب.

---

(١) في الأوربية: «ممّا».

(٢) في (ب): «بهما».

وأمّا وزيره الصفيّ فإنّه اختفى، ثم أُخذ وحُمل إلى دار الوزير سعد المُلك، ثم قُتل في رمضان وعمره ستّ وثلاثون[١] سنة، وكان من بيت رئاسة بهمَذان[٢].

ذكر وفاة سُقمان بن أُرتق

كان فخر المُلك بن عمّار، صاحب طرابلس، قد كاتب سُقمان يستدعيه إلى نُصرته على الفرنج، وبذل له المعونة بالمال والرجال، فبينما هو يتجهّز للمسير أتاه كتاب طُغْتِكين، صاحب دمشق، يخبره أنّه مريض قد أشفى على الموت، وإنّه يخاف إن مات، وليس بدمشق من يحميها، أن يملكها الفرنج، ويستدعيه ليوصّي إليه، وبما يعتمده في حفظ البلد. فلمّا رأى ذلك أسرع في السير عازماً على أخذ دمشق، وقَصْد الفرنج في طرابلس، وإبعادهم عنها، فوصل إلى القريتَيْن.

واتّصل خبره بطُغْتِكين، فخاف عاقبة ما صنع، ولقوّة فِكره زاد مرضه. ولامه أصحابه على ما فرَّط في تدبيره وخوّفوه عاقبة(ما فعل)[٣]، وقالوا له: قد رأيتَ سيّدك تاج الدولة لمّا استدعاه إلى دمشق ليمنعه[٤] كيف قتله حين وقعت عينه عليه.

فبينما هم يديرون الرأي بأيّ حيلةٍ يردّونه أتاهم الخبر بأنّه وصل القريتَيْن، ومات، وحمله أصحابه وعادوا به، فأتاهم فرج لم يحتسبوه[٥]،(وكان مرضه الذي مات به الخوانيق، يعتريه)[٦] دائماً، فأشار عليه أصحابه بالعود إلى حصن كِيفا، فامتنع، وقال: بل أسير، فإنْ عوفيتُ تممتُ ما عزمتُ عليه، ولا يراني الله تثاقلتُ عن قتال الكُفار خوفاً من الموت، وإنْ أدركني أجلي كنتُ شهيداً سائراً في الجهاد. فساروا، فاعتقل لسانه يومَيْن، ومات في صفر، وبقي ابنه إبراهيم في أصحابه، وجُعل في تابوت وحُمل إلى الحصن، وكان حازماً داهياً، ذا رأي، كثير الخير، وقد ذكرنا سبب أخذه لحصن كِيفا[٧].

---

(١) في الأوربية: «وثلاثين».

(٢) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٩٠، المختصر ٢/ ٢١٨، تاريخ الإسلام ٦٥، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٥.

(٣) في (ب): «أمره».

(٤) من (ب).

(٥) في الأوربية: «يحسبونه».

(٦) في الباريسية: «وكانت تعتريه».

(٧) ذيل تاريخ دمشق ١٤٦، ١٤٧، المختصر ٢/ ٢١٩، الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ٢/ ٥٣٣، و ٥٥٥، تاريخ الإسلام ٦٦، ٦٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦.

وأمّا مُلكه ماردِين، فإنْ كربوقا خرج من الموصل، فقصد آمِد، وحارب صاحبها، فاستنجد صاحبها، وهو تركمانيّ، بسُقمان، فحضر عنده، وصافّ كربوقا.

وكان عماد الدين زنكي بن آقسَنْقَر، حينئذ، صبياً قد حضر مع كربوقا، ومعه جماعة كثيرة من أصحاب أبيه، فلمّا اشتدّ القتال ظهر سُقمان، فألقى أصحاب آقسنقر زنكي ولد صاحبهم بين أرجل الخيل، وقالوا: قاتلوا عن ابن صاحبكم! فقاتلوا حينئذٍ قتالاً شديداً، فانهزم سُقمان، وأسروا ابن أخيه ياقوتي بن أُرتُق، فسجنه كربوقا بقلعة ماردين، وكان صاحبها إنساناً[1] مغنيّاً للسلطان بركْيارُق، فطلب منه ماردين وأعمالها، فأقطعه إيّاها، فبقي ياقوتي في حبسه مدّةً، فمضت زوجة أُرتُق إلى كربوقا وسألته[2] إطلاقه، فأطلقه، فنزل عند ماردِين، وكانت قد أعجبته، فأقام ليعمل في تملّكها والاستيلاء عليها.

وكان مَن عندَ ماردِين من الأكراد قد طمعوا في صاحبها المغنّي، وأغاروا على أعمال ماردين عدّة دفعات، فراسله ياقوتي يقول: قد صار بيننا مودّة وصداقة، وأُريد أن أعمّر بلدك بأن أمنع عنه الأكراد، وأغير[3] على الأماكن، وآخذ الأموال أُنفقها في بلدك وأُقيم في الرَبَض فأذِن له في ذلك، فجعل يغير[4] من باب خِلاط إلى بغداذ، فصار ينزل معه بعض أجناد القلعة، طلباً للكسب، وهو يكرمهم، ولا يعترضهم، فأمِنوا إليه.

فاتفق أنّ في بعض الأوقات نزل معه[5] أكثرهم، فلمّا عادوا من الغارة أمر بقبضهم وتقييدهم، وسبَقَهم إلى القلعة، ونادى من بها من أهليهم: إن فتحتم الباب، وإلاّ ضربتُ أعناقهم؛ فامتنعوا، فقتل إنساناً منهم، فسلّم القلعة مَن بها إليه وبقي بها.

ثم أنّه جمع جمعاً وسار إلى نَصِيبين، وأغار على بلد جزيرة ابن عُمَر، وهي لجكرمِش، فلمّا عاد أصحابه بالغَنيمة أتاهم جكرمِش، وكان ياقوتي قد أصابه مرض عجز معه عن لبس السلاح، وركوب الخيل، فحُمل إلى فرسه فركبه، وأصابه سهم فسقط منه، فأتاه جكرمِش، وهو يجود[6] بنفسه، فبكى عليه، وقال له: ما حملك على

---

(١) من الباريسية.
(٢) في (ب) زيادة: «في».
(٣) في (ب): «وأعبر».
(٤) في (ب): «نعبر».
(٥) من (ب).
(٦) في الأوربية: «مجود».

ما صنعتَ يا ياقوتي؟ فلم يجبه، فمات، ومضت زوجة أُرتُق إلى ابنها سُقمان، وجمعت التركمان، وطلبت بثأر ابن ابنها، وحصر سُقمان نصِيبين، وهي لجكرمِش، فسيّر جكرمِش إلى سُقمان مالاً كثيراً سِرّاً، فأخذه ورضي، وقال: أنّه قُتل في الحرب، ولا يُعْرَف قاتله.

وملك ماردين بعد ياقوتي أخوه عليّ، وصار في طاعة جكرمِش، واستخلف بها أميراً اسمه عليّ أيضاً، فأرسل عليّ الوالي بماردين إلى سُقمان يقول له : ابن أخيك يريد أن يسلّم ماردين إلى جكرمِش؛ فسار سُقمان بنفسه وتسلّمها، فجاء إليه عليّ ابن أخيه وطلب إعادة القلعة إليه، فقال: إنّما أخذتُها لئلاّ يخرب البيت؛ فأقطعه جبل جُور، ونقله إليه.

وكان جكرمش يعطي عليّاً كلّ سنة عشرين ألف دينار، فلمّا أخذ عمّه سُقمان ماردين منه، أرسل عليّ إلى جكرمِش يطلب منه المال، فقال: إنّما كنتُ أعطيتُك احتراماً لماردين، وخوفاً من مجاورتك، والآن فاصنع ما أنت صانع، فلا قدرة لك عليّ.

ذكر حال الباطنيّة هذه السنة بخراسان

في هذه السنة سار جمع كثير من الإسماعيلية من طُرَيْثيث، عن بعض أعمال بَيْهَق، وشاعت[1] الغارة في تلك النواحي، وأكثروا القتل في أهلها، والنهب لأموالهم، والسبي لنسائهم، ولم يقفوا على الهدنة المتقدّمة.

وفي هذه السنة اشتدّ أمرهم، وقويت شوكتهم، ولم يكفّوا أيديهم عمّن يريدون قتله، لاشتغال السلاطين عنهم. فمن جملة فعلهم: أنّ قفل الحاجّ تجمّع، هذه السنة، ممّا وراء النهر، وخُراسان، والهند، وغيرها من البلاد، فوصلوا إلى خُوارِ الرّيّ، فأتاهم الباطنيّة وقت السَّحَر، فوضعوا فيهم السيف، وقتلوهم كيف شاؤوا، وغنموا أموالهم ودوابّهم، ولم يتركوا شيئاً.

وقتلوا هذه السنة أبا جعفر بن المشاط، وهو من شيوخ الشافعيّة، أخذ الفقه عن الخُجَنْديّ، وكان يدرّس بالرّيّ، ويعظ الناس، فلمّا نزل من كُرسيّه أتاه باطنيّ فقتله[2].

---

(١) في الأوربية: «وساعت».
(٢) تاريخ الإسلام ٦٧.

ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام

في هذه السنة، في شعبان، كانت وقعة بين طَنْكري[1] الفرنجيّ، صاحب أنطاكية، وبين الملك رضوان، صاحب حلب، انهزم فيها رضوان.

وسببها أنّ طَنْكري حصر حصن أرتاحَ، وبه نائب الملك رضوان، فضيّق الفرنج على المسلمين، فأرسل النائب بالحصن إلى رضوان يعرّفه ما هو فيه من الحصر (الذي أضعف نفسه)[2] ويطلب النجدة، فسار رضوان في عسكر كثير من الخيالة، وسبعة آلاف من الرجّالة، منهم ثلاثة آلاف من المتطوّعة، فساروا حتّى وصلوا إلى قِنَّسْرِين، وبينهم وبين الفرنج قليل، فلمّا رأى طَنْكري كثرة المسلمين أرسل إلى رضوان يطلب الصلح، فأراد أن يجيب، فمنعه أَصْبَهبذ صباوة، وكان قد قصده، وصار معه بعد قتل إياز، فامتنع من الصلح، واصطفّوا للحرب، فانهزمت الفرنج من غير قتال، ثم قالوا: نعود ونحمل عليهم حملةً واحدةً، فإن كانت لنا، وإلاّ انهزمنا؛ فحملوا على المسلمين فلم يثبتوا، وانهزموا، وقُتل منهم وأُسر كثير.

وأمّا الرجّالة فإنّهم قد دخلوا معسكر الفرنج لمّا انهزموا، فاشتغلوا بالنهب، فقتلهم الفرنج، ولم ينج إلاّ الشريد فأُخذ أسيراً، وهرب مَن في أرتاح إلى حلب، وملكه الفرنج، لعنهم الله تعالى، وهرب أَصْبَهْبذ صباوة إلى طُغتِكين أتابك بدمشق، فصار معه (ومن أصحابه[3])[4].

ذكر حرب الفرنج والمصريّين

في ذي الحجّة من هذه السنة كانت وقعة بين الفرنج والمسلمين كانوا فيها على السواء.

وسببها أنّ الأفضل، وزير صاحب مصر، كان قد سيَّر ولده شرف المعالي في

---

(١) في (ب): «نفكري».

(٢) من (ب).

(٣) ما بين القوسين من (ب).

(٤) الخبر في: تاريخ حلب للعظيمي ٣٦٢ (٢٨)، ذيل تاريخ دمشق ١٤٨، بغية الطالب (تراجم السلاجقة) ١٤٥، ١٤٦، زبدة الحلب ٢/ ١٥٠، المختصر ٢/ ٢٢٠، العبر ٣/ ٣٤٩، تاريخ الإسلام ٦٧، ٦٨، دول الإسلام ٢/ ٢٨، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦، الإعلام والتبيين ١٦ وفيه: «قلعة أوتاج»، وهو تصحيف.

السنة الخالية إلى الفرنج، فقهرهم، وأخذ الرَّملة منهم، ثم اختلف المصريّون والعرب، وادّعى كلّ واحد منهما أنّ الفتح له، فأتاهم سَرِيّة الفرنج، فتقاعد كلّ فريق منهما بالآخر، حتّى كاد الفرنج يَظهَرون علَيهم، فرحل عند ذلك شرف المعالي إلى أبيه بمصر، فنفّذ ولدَهُ الآخر، وهو سناء الملك حسين، في جماعة من الأمراء منهم جمال الملك، النائب بعسقلان للمصريّين، وأرسلوا إلى طُغتِكين أتابَك بدمشق يطلبون منه عسكراً، فأرسل إليهم أصْبَهْبذ صَباوة ومعه ألف وثلاثمائة فارس.

وكان المصريّون في خمسة آلاف، وقصَدَهم بَغدوين الفرنجيُّ، صاحب القدس، وعكّة، ويافا، في ألف وثلاثمائة فارس، وثمانية آلاف راجل، فوقع المصافّ بينهم بين عَسقّلان ويافا، فلم تظهر إحدى الطائفتَيْن على الأخرى، فقُتل من المسلمين ألف ومائتان، ومن الفرنج مثلهم، وقُتل جمال المُلك، أمير عسقلان.

فلمّا رأى المسلمون أنّهم قد تكافأوا في النكاية قطعوا الحرب وعادوا إلى عَسْقلان، وعاد صباوة إلى دمشق، وكان مع الفرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش[1] بن تُتُش، وكان طُغتِكين قد عدل في الملك إلى ولد أخيه دُقاق، وهو طفل، وقد ذكرناه، فدعاه ذلك إلى قصد الفرنج، والكون معهم[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عظُم فساد التركمان بطريق خُراسان من أعمال العراق، وقد كانوا قبل ذلك ينهبون الأموال، ويقطعون الطريق، إلاّ أنّهم عندهم مراقبة. فلمّا كانت هذه السنة اطّرحوا المراقبة، وعملوا الأعمال الشنيعة، فاستعمل إيلغازي بن أُرتُق، وهو شِحنة العراق، على ذلك البلد ابن أخيه بَلك بن بَهرام بن أُرتُق، وأمره بحفظه، ومَنْع الفساد عنه، فقام في ذلك القيام[3] المرضيّ، وحمى[4] البلاد، وكفّ الأيدي المتطاولة، وسار بَلك إلى حصن خَانيجارَ، وهو من أعمال سُرخاب بن بدر، فحصره وملكه.

وفيها، في شعبان، جعل السلطان محمّد قسيم الدولة سَنقَر البرسقيّ شِحنة

---

(١) في الباريسية و (ب): «بلتاش».

(٢) أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٤١، تاريخ دمشق ١٤٩، العبر ٣/ ٣٥٠، دول الإسلام ٢/ ٢٨، تاريخ الإسلام ٦٨، الإعلام والتبيين ١٦/ ١٧، إتعاظ الحنفا ٣/ ٣٥، تاريخ الأزمنة ٩٧.

(٣) في (ب): «المقام».

(٤) في الأوربية: «وحما».

بالعراق، وكان موصوفاً بالخير، والدين، وحسن العهد، لم يفارق محمّداً في حروبه كلّها[1].

وفيها أقطع السلطان محمّد الكوفة للأمير قايماز، وأوصى[2] صدقةَ أن يحمي أصحابه من خَفاجة، فأجاب إلى ذلك.

وفيها، في شهر رمضان، وصل السلطان محمّد إلى أصبهان، فأمّن أهلها، ووثقوا بزوال ما كان يشمَلهم من الخبط، والعسف، والمصادرة، وشتّان بين خروجه منها هارباً متخفياً، وعوده إليها سلطاناً متمكّناً، وعدل في أهلها، وأزال عنهم ما يكرهون، وكفّ الأيدي المتطرّقة إليهم من الجُند وغيرهم، فصارت[3] كلمة العاميّ أقوى من كلمة الجنديّ، ويد الجنديّ قاصرة عن العاميّ من هيبة السلطان وعدله[4].

وفيها كثر الجُدَري في كثير من البلدان، لاسيّما العراق، فإنّه كان به كلّه، ومات به من الصبيان ما لا يحصى، وتبِعه وباء كثير، وموت عظيم[5].

[الوفيات]

وتوفّي في هذه السنة، في شوّال،(أحمد بن)[6] محمّد بن أحمد أبو عليّ البَرَدَانيُّ[7]، الحافظ، ومولده سنة ستّ وعشرين وأربعمائة، سمع ابن غَيْلان والبرمكيَّ، والعشاريَّ وغيرهم.

وتوفّي أبو المعالي ثابت بن بُنْدار[8] بن إبراهيم البقّال، ومولده سنة ستّ عشر وأربعمائة، سمع أبا بكر البرقانيَّ، وأبا عليّ بن شاذان، وكانت وفاته في جُمادى الآخرة من هذه السنة.

---

(١) المنتظم ٩/١٤٣ (١٧/ ٩٢)، تاريخ الإسلام ٦٨.

(٢) في (ب) زيادة: «السلطان محمّد».

(٣) في الأوربية: «فصار».

(٤) تاريخ الإسلام ٦٨، ٦٩.

(٥) تاريخ الإسلام ٦٩، تاريخ الخلفاء ٤٢٩.

(٦) من (س).

(٧) انظر عن (البرداني) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٨ هـ.) ص ٢٧١، ٢٧٢ رقم ٢٩٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٨) في (ب): «مدار». وانظر عن (ابن بندار) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٨ هـ.) ص ٢٧٤، ٢٧٥ رقم ٣٠١ وفيه مصادر ترجمته.

وفي رابع جُمادى الأولى توفي أبو الحسن محمّد بن عليّ بن أبي الصقر[1]، الفقيه الشافعيُّ، ومولده سنة تسعٍ وأربعمائة، وكان أديباً، شاعراً، فمن قوله:

من قالَ لي جاهٌ ولي حشمةٌ ولي قبولٌ عندَ مَولانا
ولم يَعُد ذاكَ[2] بنفعٍ على صَدِيقِه لا كانَ مَن كانا[3]

وفيها أيضاً توفّي أبو نصر ابن أخت ابن الموصلايا[4]، وكان كاتباً للخليفة جيّد الكتابة، وكان عمره سبعين سنة، ولم يخلّف وارثاً لأنّه أسلم، وأهله نصارى، فلم يرثوه، وكان يبخَل، إلاّ أنّه كان كثير الصدقة؛ وأبو المؤيّد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغَزْنَويُّ، كان واعظاً، شاعراً، كاتباً، قدِم بغداذَ، ووعظ بها، ونصر مذهب الأشعريّ، وكان له قبولٌ عظيم، وخرج منها، فمات بإسْفَرَايين.

---

(١) انظر عن (ابن أبي الصقر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٨ هـ) ص ٢٨٦، ٢٨٧ رقم ٣١٧ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) في الأوربية: «ذلك».

(٣) البيتان في: المنتظم ٩/ ١٤٥ (١٧/ ٩٤)، ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٥٨.

(٤) انظر عن (ابن أخت ابن الموصلايا) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٨ هـ.) ص ٢٩١، ٢٩٢ رقم ٣٢٣ واسمه: «هبة الله بن الحسن»، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ج ١/ ١٣٢ ـ ١٣٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٨٠ رقم ١٤٠.

٤٩٩
ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة

ذكر خروج منكبرس على السلطان محمّد

في هذه السنة، في المحرّم، أظهر منكُبرس ابن الملك بوربرس[١] بن ألب أرسلان، وهو ابن عمّ السلطان محمّد، العصيان للسلطان محمّد والخلاف عليه.

وسبب ذلك: أنّه كان مقيماً بأصبهان، فلحِقته ضائقة شديدة، وانقطعت الموادّ عنه، فخرج منها وسار إلى نَهاوَنْد، فاجتمع عليه بها جماعة من العسكر، وظاهَرَه على أمره جماعة من الأمراء، وتغلّب على نَهاود، وخطب لنفسه بها، وكاتب الأمراء بني بُرْسُق يدعوهم (إلى طاعته ونصرته.

وكان السلطان محمّد قد قبض على زنكي بن بُرسق)[٢]، فكاتب زنكي إخوته، وحذّرهم من طاعة منكبرس، وما فيها من الأذى والخطر، وأمرهم بتدبير الأمر في القبض عليه.

فلمّا أتاهم كتاب أخيهم بذلك أرسلوا إلى منكبرس يبذلون له الطاعة والموافقة فسار إليهم، وساروا إليه، فاجتمعوا به، وقبضوا عليه بالقرب من أعمالهم؛ وهي بلد خُوزستان، وتفرّق أصحابه، وأخذوا منكبرس إلى أصبهان، فاعتقله السلطان مع بني عمّه تُكش، وأخرج زنْكي بن بُرسُق، وأعاده إلى مرتبته، واستنزله وإخوته عن أقطاعهم، وهي ليشتر[٣]، وسابورُ خُواستِ وغيرهما، ما بين الأهواز وهمَذان، وأقطعهم عِوضها الدّينَور وغيرها[٤].

---

(١) في (ب): «بوري برس».
(٢) من (ب).
(٣) في (ب): «الأسر».
(٤) المنتظم ٩/٣٤٦ (١٧/١٩٥)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/١٦، العبر ٣/٣٥٣، تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٩ هـ.) ص ٧٠، البداية والنهاية ١٢/١٦٥، النجوم الزاهرة ٥/١٩٢.

واتّفق أن ظهر بنَهاوند أيضاً، في هذه السنة، رجل من السواد ادّعى النبوّة، فأطاعه خلق كثير من السواديّة، واتّبعوه، وباعوا أملاكهم ودفعوا إليه أثمانها، فكان يُخرج ذلك جميعه، وسمّى أربعة من اصحابه: أبا بكر، وعُمَر، وعثمان، وعليّاً، وقُتل بنَهاوند، فكان أهلُها يقولون: ظهر عندنا، في مدّة شهرَيْن، اثنان ادّعى أحدهما النبوّة، والآخر المملكة، فلم يتمّ لواحد منهما أمره[1].

ذكر الحرب بين طُغتِكين والفرنج

في هذه السنة، في صفر، كانت وقعة بين طُغتِكين، صاحب دمشق، وبين قُمّص كبير[2] من قمامصة الفرنج.

وسبب ذلك: أنّه تكرّرت الحروب، والمغاورات، بين عسكر دمشق(وبَغدوين، فتارة لهؤلاء[وتارة له]، ففي آخر الأمر بنى[3] بَغدوين حصناً بينه وبين دمشق)[4] نحو يومَيْن، فخاف طُغتِكين من عاقبة ذلك، وما يحدث به من الضرر، فجمع عسكره وخرج إلى مقاتلتهم، فسار بغدوين ملك القُدس، وعكّا، وغيرهما، إلى هذا القُمّص ليعاضده، ويساعده على المسلمين، فعرّفه القُمّص غناه عنه، وأنّه قادر على مقارعة المسلمين إن قاتلوه، فعاد بغدَوين إلى عكاّ.

وتقدّم طُغتكِين إلى الفرنج، واقتتلوا، واشتد القتال، فانهزم أميران من عسكر دمشق، فتبعهما طُغتكِين وقتلهما، وانهزم الفرنج إلى حصنهم، فاحتموا به، فقال طُغتكِين: مَن[5] أحسن قتالهم وطلب منيّ أمراً فعلته معه، ومن أتاني بحجر[6] من حجارة الحصن أعطيته خمسة دنانير. فبذل الرجّالة نفوسهم، وصعدوا إلى الحصن وخرّبوه، وحملوا حجارته إلى طُغتكِين، فوفى[7] لهم بما وعدهم، وأمر بإلقاء الحجارة

(١) المنتظم ٩/ ١٤٥، ١٤٦، (١٧/ ٩٥)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٦، العبر ٣/ ٣٥٣، تاريخ الإسلام ٧٠، مرآة الجنان ٣/ ١٦١، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٥، النجوم الزاهرة ٥/ ١٩٢، تاريخ الخلفاء ٤٢٩، شذرات الذهب ٣/ ٤٠٩.

(٢) من الباريسية.

(٣) في الأوربية: «بنا».

(٤) من (ب).

(٥) في الأوربية: «١ ممن».

(٦) من الباريسية.

(٧) في الأوربية: «٢ فوفا».

في الوادي، وأسروا مَن بالحصن، فأمر بهم فقتلُوا كلهم، واستبقى الفرسان أسراء، وكانوا مائتَيْ فارس، ولم ينج ممّن كان في الحصن إلاّ القليل.

وعاد طُغتكِين إلى دمشق منصوراً، فزُيّن البلد أربعة أيّام. وخرج منها إلى رفَنِيَةَ، وهو من حصون الشام، وقد تغلّب عليه الفرنج، وصاحبه ابن أُخت صَنْجيل المقيم على حصار طرابلس، فحصره طُغتكِين، وملكه، وقتل به خمسمائة رجل من الفرنج[١].

ذكر الحرب بين عُبادة وخَفاجة

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين عُبادة وخَفاجة.

وسببها: أنّ رجلاً من عُبادة أخذ منه جماعة خَفاجة جمليَنْ، فجاء إليهم وطالبهم بهما[٢]، فلم يعطوه شيئاً، فأخذ منهم غارة[٣] أحد[٤] عشر بَعيراً، فلحِقته خَفاجة، وقتلوا من أصحابه رجلاً، وقطعوا يد آخر، وكان ذلك بالموقف من الحِلّة السيفية، ففرق[٥] بينهم أهلها.

فسمعت عُبادة الخبر، فتواعدت، وانحدرت إلى العراق للأخذ بثأرها، وساروا مع جماعة من أمرائهم، فبلغت عدّتهم سبعمائة فارس، وكانت خَفاجة دون هذه العدّة، فراسلتهم خَفاجة يبذلون الديّة ويصطلحون، فلم تُجبهم إلى ذلك عُبادة، وأشار به سيف الدولة صَدَقَة، فلم تقبل عُبادة، فالتقوا واقتتلوا بالقرب من الكُوفة، ومع عبادة الإبل والغنم بين البيوت، فكمّنت لهم خَفاجة ثلاثمائة فارس، وقاتلوهم مطاردةً من غير جدّ في القتال، فداموا كذلك ثلاثة أيّام، ثم إنّهم اشتدّ بينهم القتال، واختلطوا حتّى تركوا الرماح، وتضاربوا بالسيوف.

فبينما هم كذلك، وقد أعيا الفريقان من القتال، إذ طلع كمين خفاجة، وهم مستريحون[٦]، فانهزمت عُبادة، وانتصرت عليهم خَفاجة، وقُتل من وجوه عُبادة

---

(١) تاريخ حلب ٣٦٣ (٢٩)، ذيل تاريخ دمشق ١٤٩، العبر ٣/٣٥٣، تاريخ الإسلام ٧٠، ٧١، الإعلام والتبيين ١٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٥، إتعاظ الحنفا ٣/٣٧، النجوم الزاهرة ٥/١٩٢، شذرات الذهب ٣/ ٤٠٩.

(٢) في الأوربية: «بها».

(٣) في (ب): «عبادة».

(٤) في (ب): «أربعة».

(٥) في الباريسية: «ففارق».

(٦) في الأوربية: «مسترحون».

اثنا[١] عشر رجلاً، ومن خَفاجة جماعة، وغنمت خَفاجة الأموال من الخيل، والإبل، والغنم، والعبيد، والإماء.

وكان الأمير صَدَقَة بن مَزْيد قد أعان خفاجة سراً، فلمّا وصل المنهزمون إليه هنّأهم[٢] صَدَقَة بالسلامة، فقال له[٣] بعضهم: ما زلت أُقاتل، وأُضارب، وأنا طامع في الظفر بهم، حتّى رأيتُ فرسك الشقراء تحت أحدهم، فعلمتُ أنّهم أجلبوا علينا بخيلك ورَجلك، وأنّنا لاطاقة لنا بهم، فنُصروا علينا بمعونتك، وفلّونا بحدِّك، فلم(يُجِبه صَدَقَة)[٤].

ذكر ملك صَدقة البصرة

في هذه السنة، في جُمادى الأولى، انحدر سيف الدولة من الحِلّة إلى البصرة فملكها. وقد ذكرنا فيما تقدّم تمكُّن إسماعيل بن أرسلانجق من البصرة ونواحيها، وأقام بها عشر سنين نافذ الأمر، وازداد قوةً وتمكناً بالاختلاف الواقع بين السلاطين، وأخذ الأموال السلطانيّة؛ وكان قد راسل صدقةَ، وأظهر له أنّه في طاعته وموافقته. فلمّا استقرّ الأمر للسلطان محمّد أراد أن يرسل إلى البصرة مُقطعاً يأخذها من إسماعيل، فخاطب صدقة في معناه، حتّى أُقرّت البصرة عليه، فأنفذ السلطان عميداً إليها ليتولّى ما يتعلّق بالسلطان هناك،فمنعه إسماعيل، ولم يمكّنه[٥] من عمله، وفعل ما خرج به عن حدّ المجاملة، فأمر السلطان صدقةَ بقصده، وأَخْذ البصرة منه، فتحرك لذلك.

فاتّفق ظهور منكبرس، وخلافه على السلطان، وأنّه على قصد واسط؛ فسُرّ إسماعيل بذلك، وزاد انبساطه، وأرسل صدقة حاجباً له، وكان قبله قد خدم أباه وجدّه، إلى إسماعيل يأمره بتسليم الشرطة وأعمالها إلى مهذب الدّولة بن أبي الجبر[٦] لأنّها كانت في ضمانه، فوصل إلى الشرطة، وأخذ منها أربعمائة دينار، فأحضره إسماعيل وحبسه، وأخذ الدنانير منه، فلمّا رأى صدقة مكاشفته سار من حِلّته، وأظهر أنّه يريد قصد الرَّحبة، ثم جدّ السير إلى البصرة، فلم يشعر إسماعيل إلاّ بقربه منه، ففرّق

(١) في الأوربية: «اثني».
(٢) في الأوربية: «فهنأهم».
(٣) في الأوربية: «لهم».
(٤) في (ب): «فلم يجبهم صدقة إلى ذلك».
(٥) في الأوربية: «تمكّنه».
(٦) في (ب): «الخير».

أصحابه في القلاع التي استجدّها بمَطَارا ونَهر مَعْقِل، وغيرهما، واعتقل وجوه العبّاسيّين، والعلويّين، وقاضي البصرة، ومدرّسها، وأعيان أهلها.

ونازلهم صدقة، فجرى قتال بين طائفة من عسكره، وطائفة من البصريّين، قُتل فيه أبو النجم بن أبي القاسم الورّاميُّ، وهو ابن خال سيف الدولة صدقة، فممّا مُدح به سيف الدولة، ورُثي به أبو النجم بن أبي القاسم، قول بعضهم:

تَهَنَّ يا خيرَ من يَحمي حريمَ حِمىً فتحاً أَغَثْتَ به الدُّنيا مع الدِّينِ
رَكبتَ للبَصْرةِ[1] الغَرّاء في نُخَبٍ غُر كجَيشِ علي يومَ صِفّينِ
هَوى أبو النَّجمِ كالنَّجمِ المُنيرِ بها لكنّه كان رَجْماً للشَّياطينِ

وأقام صدقة محاصراً لإسماعيل بالبصرة، فأشار على سيف الدولة صدقة بعض أصحابه بالعود عنها، وأعلموه أنّهم لايظفرون بطائل، فأشار عليهم بالمقام، وقالوا: إن رحلنا كانت كسرةً؛ وكان رأي سيف الدولة المقام، وقال: إن تعذر عليّ فتح البصرة لم يطعني أحد، واستعجزني الناس.

ثم إن إسماعيل خرج من البلد، وقاتل صدقةَ، فسار بعض أصحاب صدقة إلى مكان آخر من البلد، ودخلوه، وقتلوا من السواديّة، الذين جمعهم إسماعيل، خلقاً كثيراً، وانهزم إسماعيل إلى قلعته بالجزيرة، فأدركه بعض أصحاب سيف الدولة وأراد قتله، ففداه[2] أحد غلمانه بنفسه، فوقعت الضربة فيه فأثخنته، فنُهبت البصرة، وغنم من معه من عرب البرّ، وغيرهم، ما فيها، ولم يسلم منهم إلاّ المحلة المجاورة لقبر طلحة والمِرْبَد، فإنّ العبّاسيّين دخلوا المدرسة النظاميّة وامتنعوا بها، وحموا المِرْبَد، وعمّت المصيبة لأهل البلد، سوى من ذكرنا، وامتنع إسماعيل بقلعته.

فاتّفق أنّ المهذّب بن أبي الجبر[3] انحدر في سفن كثيرة، وأخذ القلعة التي لإسماعيل بمَطَارا، وقتل بها خلقاً من أصحاب إسماعيل، وحمل إلى صدقة كثيراً فأطلقهم.

فلمّا علم إسماعيل بذلك أرسل إلى صدقة يطلب الأمان على نفسه، وأهله، وأمواله، فأجابه إلى ذلك، وأجّله سبعة أيّام، فأخذ كلّ ما[4] يمكنه حمله ممّا يعزّ عليه،

(١) في الأوربية: «البصرة».
(٢) في الأوربية: «فغداه».
(٣) في (ب): «الخير».
(٤) في الأوربية: «كلّما».

وما لم يقدر على حمله أهلكه بالماء وغيره، ونزل إلى سيف الدولة، وأمّن سيف الدولة أهل البصرة من كلّ أذىً، ورتّب عندهم شِحنةً، وعاد إلى الحلّة ثالث جمادى الآخرة، وكان مقامه بالبصرة ستّة عشر يوماً.

وأمّا إسماعيل فإنّه لمّا سار صدقة إلى الحلّة قصد هو الباسيان إلى أن وصله ماله في المراكب، وسار نحو فارس، وصار يتعنّت أصحابه، وزوجته، وقبض على جماعة من خواصّه وقال لهم: أنتم سقيتم ولدي أفراسياب السّم حتّى مات! وكان قد مات في صفر من هذه السنة، ففارقه كثير منهم، حتّى زوجته فارقته وسارت إلى بغداذ.

وأخذته الحُمّى، وقويت عليه، فلمّا بلغ رامَهُرْمُز انفرد في خيمته، ولم يظهر لأصحابه يوماً وليلة، فظهر لهم موته، فنهبوا ماله وتفرّقوا، فأرسل الأمير برامَهُرْمُزُ فردّهم وأخذ ما معهم من أمواله، ودُفن بالقرب من إيذَاجَ، وكان عمره قد جاوز خمسين سنة، وكانت سيرته قد حسنت في أهل البصرة أخيراً[١].

ذكر حصر رضوان نصيبين وعوده عنها

في هذه السنة، في شهر رمضان، حصر الملك رضوان بن تُتُش نَصِيبين.

وسبب ذلك: أنّه عزم على حرب الفرنج، واجتمع معه من الأمراء: إيلغازي بن أرتُق، الذي كان شِحنة بغداذ، وأصْبَهْبَذ صباوَة، وألبي بن أرسلان تاش، صاحب سِنجار، وهو صهر جَكَرْمِش، صاحب الموصل، فقال إيلغازي: الرأي أنّنا نقصد بلاد جكرمِش، وما والاها، فنملكها، ونتكثّر بعسكرها والأموال. ووافقه ألبي، فسار إلى نَصِيبين في عشرة الآف فارس، مستهلّ رمضان، وكان قد جعل فيها أميرَيْن من أصحابه في عسكر، فتحصّنوا بالبلد، وقاتلوا من وراء السور، فرُمي ألبي بن أرسلان تاش بنشّابة، فجُرح جرحاً شديداً، فعاد إلى سِنجار.

وأمّا جكرمِش، فإنّه بلغه الخبر بنزولهم على نَصِيبين، وهو بالحامّة[٢]، التي بالقرب من طَنْزَة، يتداوى (بمائها من)[٣] مرضه، فرحل[٤] إلى الموصل، وقد أجفل إليها أهل السواد، فخيّم على باب البلد، عازماً على حرب رضوان، واستعمل المخادعة

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٩ هـ.)، ص ٧٣.

(٢) في (ب): «بالجابية».

(٣) في الباريسية: «بجامتها».

(٤) في (ب): «فدخل».

فكاتب أعيانه عسكر رضوان، ورغّبهم، حتّي أفسد نيّاتهم، وتقدّم إلى أصحابه بنَصِيبين بخدمة الملك رضوان، وبإخراج الإقامات إليه مع الاحتراز[١] منه، وأرسل إلى رضوان يبذل له خدمته، والدخول في طاعته، ويقول له: أنّ السلطان محمّداً قد حصرني، ولم يبلغ منّي غرضاً، فترحّل عن صلح، وإن قبضتَ على إيلغازي الذي قد عرفتَ أنت وغيرك فساده وشرّه فأنا معك، ومُعينك بالرجال والأموال والسلاح.

فاتّفق هذا، ورضوان قد(تغيّرت نيّته)[٢] مع إيلغازي، فازداد تغيّراً، وعزم على قبضه، فاستدعاه يوماً، وقال له: هذه بلادٌ ممتنعة، وربّما استولى الفرنج على حلب، والمصلحة مصالحة جكرمِش، واستصحابه معنا، فإنّه يسير بعساكر كثيرة ظاهرة التجمّل، ونعود[٣] إلى قتال الفرنج، فإنّ ذلك ممّا يعود باجتماع شمل المسلمين. فقال له إيلغازي: إنّك جئت بحكمك، وأنت الآن بحكمي لا أمكّنك من المسير بدون أخذ هذه البلاد، فإن أقمتَ، وإلاّ بدأت بقتالك.

وكان إيلغازي قد قويتْ نفسه بكثرة من اجتمع عنده من التركمان، وكان الملك رضوان قد واعد قوماً من أصحابه ليقبضوا عليه، فلمّا جرى ما ذكرناه أمرهم رضوان فقبضوا عليه وقيّدوه، فلمّا سمع التركمان الحال أظهروا الخلاف والامتعاض، ففارقوا[٤] رضوان والتجأوا إلى سور المدينة، وأصعد إيلغازي إلى قلعتها، وخرج مَنْ بنَصِيبين من العسكر فأعانوه، فلمّا رأى التركمان ذلك تفرّقوا، ونهبوا ما قدروا عليه من المواشي وغيرها، ورحل رضوان من وقته وسار إلى حلب.

وكان جكرمِش قد رحل من الموصل قاصداً لحرب الفوم، لمّا بلغ تلّ يَعْفَر أتاه المبشّرون بانصراف رضوان على اختلاف وافتراق، فرحل عند ذلك إلى سِنجار، ووصلت إليه رسل رضوان[٥] تستدعي منه النجدة، ويعتدّ عليه ما فعل بإيلغازي، فأجابه مغالطة، ولم يفِ له بما وعده، ونازل سِنجار ليشفي غيظه من صهره ألبي بن أرسلان تاش بما اعتمده من معاداته، ومظاهرة أعدائه، وكان ألبي على شدّةٍ من المرض بالسهم الذي أصابه على نَصِيبين، فلمّا نزل جكرمِش عليها أمر ألبي أصحابه أنْ يحملوه إليه، فحملوه في محَفَة، فحضر عنده، وأخذ يَعتذر ممّا كان منه، وقال: جئتُ

---

(١) في الباريسية: «الاحتراس».
(٢) في الباريسية: «تغير».
(٣) في الباريسية: «ويعود».
(٤) في (ب): «وقابلوا».
(٥) في الباريسية: «سنجار».

مذنباً، فافعل بي ما تراه. فرّق له وأعاده إلى بلده، فلمّا عاد قضى[(١)] نحبه فلمّا مات عصى على جكرمِش من كان بسِنجار، وتمسّكوا بالبلد، فقاتلهم[(٢)] بقية رمضان، وشوّالاً، ولم يظفر منهم بشيء، فجاء تميرك أخو أرسلان تاش، عمّ ألبي، فأصلح حاله مع جكرمِش، وبذل له الخدمة، فعاد إلى الموصل.

ذكر ملك طغتكين بُصْرى

قد ذكرنا سنة سبع وتسعين[وأربعمائة] حال بكتاش[(٣)] بن تُتُش، وخروجه من دمشق، واتّصاله بالفرنج، ومعه أيتكين الحلبيُّ، صاحب بُصْرى، وسيْرهما إلى الرَّحْبة، وعودهما عنها، فلمّا ضعُفت أحوالهم سار طُغتِكين إلى بُصرى فحصرها، وبها أصحاب أيتكين، فراسلوا طُغتِكينَ، وبذلوا له التسليم إليه، بعد أجلٍ قرّروه بينهم، فأجابهم إلى ذلك، فرحل عنهم إلى دمشق، فلمّا انقضى الأجل، هذه السنة، تسلّمها، وأحسن إلى من بها، ووفى[(٤)] لهم بما وعدهم، وبالغ في إكرامهم، وكثُر الثناء عليه، والدعاء له، ومالت النفوس إليه، وأحبّوه[(٥)].

ذكر ملك الفرنج حصن أفامِيَةَ

في هذه السنة ملك الفرنج أفامِيَةَ من بلد الشام.

وسبب ذلك: أنّ خَلَفَ بن مُلاعب الكلابيّ كان متغلباً على حِمص، وكان الضرر به عظيماً، ورجاله يقطعون الطريق، فكثُر الحراميّة عنده، فأخذها منه تُتُش بن ألب أرسلان وأبعده عنها، فتقلّبت به الأحوال إلى أن دخل إلى مصر، فلم يلتفت إليه من بها، فأقام بها.

واتّفق أنّ المتولّي لأفامِية من جهة الملك رضوان أرسل إلى صاحب مصر، وكان يميل إلى مذهبهم، يستدعي منهم من يسلّم إليه الحصن، وهو من أمنع الحصون، وطلب ابن ملاعب منهم أن يكون هو المقيم به، وقال: إنّني أرغب في قتال الفرنج، وأُوثر الجهاد. فسلّموه إليه، وأخذوا رهائنه، فلمّا ملكه خلع طاعتهم ولم يرعَ حقّهم،

---

(١) في الأوربية: «قضا».
(٢) في الأوربية: «فقاتله».
(٣) في الباريسية: «بلتاش»، والمثبت من (ب).
(٤) في الأوربية: «ووفا».
(٥) ذيل تاريخ دمشق ١٤٥، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٣.

فأرسلوا إليه يتهدّدونه بما يفعلونه بولده الذي عندهم. فأعاد الجواب: إنّني لا أنزل من مكاني، وابعثوا إليّ ببعض أعضاء ولدي حتّى آكله؛ فأيِسوا من رجوعه إلى الطاعة، وأقام بأفامية يخيف السبيل، ويقطع الطريق، واجتمع عنده كثير من المفسدين، فكثرت أمواله.

ثم إنّ الفرنج ملكوا سَرْمِينَ، وهي من أعمال حلب، وأهلها[1] غُلاة في التشيّع، فلمّا ملكها[2] الفرنج تفرّق أهلها[3]، فتوجّه القاضي الذي بها[4] إلى ابن ملاعب وأقام عنده، فأكرمه، وأحبّه، ووثق به، فأعمل القاضي الحيلة عليه، وكتب إلى أبي طاهر، المعروف بالصائغ، وهو من أعيان أصحاب الملك رضوان، ووجوه الباطنيّة ودُعاتهم، ووافقهم على الفتك بابن مُلاعب، وأن يسلّم أفامية إلى الملك رضوان، فظهر شيء من هذا، فأتى إلى ابن مُلاعب أولاده، وكانوا قد تسلّلوا إليه من مصر، وقالوا له: قد بلَغَنا عن هذا القاضي كذا وكذا، والرأي أن تعاجله، وتحتاط لنفسك، فإن الأمر قد اشتهر وظهر. فأحضره ابن مُلاعب، فأتاه في كُمّه مصحَف، لأنه رأى أمارات الشرّ، (فقال له ابن ملاعب ما بلغه عنه)[5]، فقال له: أيّها الأمير، قد علم كلّ أحد أنّي أتيتُك خائفاً جائعاً، فأمَّنتَني، وأغنيتَني، وعزّزتَني، فصرتُ ذا مالٍ وجاهٍ، فإن كان بعض من حسدني على منزلتي منك، وما غمرني من نعمتك سعى بي إليك، فأسألك أن تأخذ جميع ما معي، وأخرج كما جئتُ. وحلف له على الوفاء والنصح، فقبل عذره وأمّنه.

وعاود القاضي مكاتبة أبي طاهر بن[6] الصائغ، وأشار عليه أن يوافق رضوان على إنفاذ ثلاثمائة رجل من أهل سرمين، وينفذ معهم خيلاً من خيول الفرنج، وسلاحاً من أسلحتهم، ورؤوساً من رؤوس الفرنج، ويأتوا[7] إلى ابن ملاعب ويظهروا[8] أنّهم غزاة ويشكوا[9] من سوء معاملة الملك رضوان وأصحابه لهم، وأنّهم فارقوه، فلقيهم طائفة

---

(١) في الأوربية: «وأهله».
(٢) في الأوربية: «ملكه».
(٣) في الأوربية: «أهله».
(٤) في الأوربية: «به».
(٥) من الباريسية.
(٦) من (ب).
(٧) في الأوربية: «ويأتون».
(٨) في الأوربية: «ويظهرون».
(٩) في الأوربية: «ويشكون».

من الفرنج، فظفروا بهم، ويحملوا[1] جميع ما معهم إليه، فإذا أذن لهم في المقام اتّفقت ارآؤهم على إعمال الحيلة عليه، ففعل ابن[2] الصائغ ذلك، ووصل القوم إلى أفامية، وقدِموا إلى ابن ملاعب بما معهم من الخيل وغيرها، فقبل ذلك منهم، وأمرهم بالمقام عنده، وأنزلهم في رَبَض أفامية.

فلمّا كان في بعض اللّيالي نام الحرّاس بالقلعة، فقام القاضي ومَن بالحصن من أهل سَرمِين، ودلّوا الحبال وأصعدوا أولئك القادمين جميعهم، وقصدوا أولاد ابن مُلاعب، وبني عمّه، وأصحابه، فقتلوهم، وأتى القاضي وجماعة معه إلى ابن ملاعب، وهو مع امرأته، فأحسّ بهم، فقال: مَن أنت؟ فقال: ملك الموت جئتُ لقبض روحك؟ فناشده الله، فلم يرجع عنه، وجرحه[3]، وقتله، وقتل أصحابه، وهرب ابناه، فقُتل أحدهما، والتحق الآخر بأبي الحسن بن مُنقِذ، صاحب شَيْزر، فحفظه لعهد كان بينهما.

ولمّا سمع ابن الصائغ خبر أفامية سار إليها، وهو لا يشك أنّها له، فقال له القاضي: أن وافقتَني، وأقمت معي، فبالرحب والسَّعَة، ونحن بحكمك، وإلاّ فارجع من حيث جئتَ. فأيِسَ ابن الصائغ منه، وكان أحد أولاد ابن ملاعب بدمشق عند طُغتكِين، غضبان على أبيه، فولاّه طُغتكِين حصناً، وضمِن على نفسه حفظ الطريق، فلم يفعل، وقطع الطريق، وأخذ القوافل، فاستغاثوا إلى طُغتكِين منه، فأرسل إليه مَنْ طلبه، فهرب إلى الفرنج، واستدعاهم إلى حصن أفامية، وقال: ليس فيه غير قوت شهرٍ؛ فأقاموا عليه يحاصرونه، فجاع أهله، وملكه الفرنج، وقتلوا القاضي المتغلّب عليه، وأخذوا الصائغ فقتلوه، وكان هو الذي أظهر مذهب الباطنيّة بالشام[4].

(هكذا ذكر بعضهم أنّ أبا طاهر الصائغ قتله الفرنج بأفامية، وقد قيل إنّ ابن بديع، رئيس حلب، قتله سنة سبع وخمسمائة، بعد وفاة رضوان، وقد ذكرناه هناك، والله أعلم)[5].

---

(١) في الأوربية: «ويحملون».

(٢) من (ب).

(٣) في (ب): «وضربه».

(٤) تاريخ حلب ٣٦٣ (٢٨/ ٢٩)، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٤١، ذيل تاريخ دمشق ١٥٠، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٢٩، ١٣٠، زبدة الحلب ٢/ ١٥١، ١٥٢، المختصر ٢/ ٢٢٠، دول الإسلام ٢/ ٢٨، تاريخ الإسلام ٧١ ـ ٧٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٧، إتعاظ الحنفا ٣/ ٣٦، النجوم الزاهرة ٥/ ١٩٢، شذرات الذهب ٣/ ٤٠٩.

(٥) ما بين القوسين من الباريسية.

ذكر نهب العرب البصرة

قد ذكرنا استيلاء الأمير صدقة على البصرة، وأنّه استناب بها مملوكاً كان لجدّه دُبَيْس بن مَزْيد، اسمه ألْتُونتاش، وجعل معه مائة وعشرين فارساً. فاجتمعت ربيعة والمنتفق ومن انضمّ إليها من العرب، وقصدوا البصرة في جمع كثير، فقاتلهم ألْتُونتاش، فأسروه، وانهزم أصحابه، ولم يقدر مَن بها على حفظها، فدخلوها بالسيف أواخر ذي القعدة، وأحرقوا الأسواق، والدُّور الحسان، ونهبوا ما قدروا عليه، وأقاموا ينهبون ويحرقون اثنين وثلاثين يوماً، وتشرّد[١] أهلها[٢] في السواد، ونُهبت خزانة كتب كانت موقوفة، وقفها القاضي أبو الفرج بن أبي البقاء.

وبلغ الخبر صدقة، فأرسل عسكراً، فوصلوا وقد فارقها العرب. ثم إنّ السلطان محمّداً أرسل شِحنةً وعميداً إلى البصرة، وأخذها من صدقة، وعاد أهلها إليها وشرعوا في عمارتها[٣].

ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج

كان صنجيل الفرنجيّ، لعنه الله، قد ملك مدينة جَبَلَةَ، وأقام على طرابلس يحصرها، فحيث لم يقدر أن يملكها، بنى بالقرب منها حصناً، وبنى[٤] تحته ربضاً، وأقام مُراصِداً لها، ومنتظراً وجود فرصة فيها، فخرج فخر المُلك أبو عليّ بن عمّار، صاحب طرابلس، فأحرق رَبَضَهَ، ووقف صَنْجيل على بعض سقوفه المحترقة، ومعه جماعة من القمامصة والفرسان، فانخسف بهم، فمرض صَنْجِيل من ذلك عشرة أيّام ومات، وحُمل إلى القدس فدُفن فيه[٥].

ثم إنّ ملك الروم أمر أصحابه باللاذقيّة ليحملوا الميرة إلى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس، فحملوها في البحر، فأخرج إليها فخر المُلك بن عمّار أُسطولاً، فجرى

---

(١) في (ب): «وفسد».
(٢) في الأوربية: «أهله».
(٣) تاريخ الإسلام ٧٣.
(٤) في الأوربية: «بنا».
(٥) العبر ٣/٣٥٣، تاريخ الإسلام ٧٣، تاريخ ابن الوردي ٢/١٧ وفيه قال ابن الوردي:

نقلوا صنجيل من نارِ ... إلى نارِ تضرّم
قبره إن كان في القدس ... ففي وادي جهنّم

وجاء في تاريخ الأزمنة للدويهي ٩٧ أن صنجيل دُفن عند جبل الغرب بشرق طرابلس.

بينهم وبين الروم قتال شديد، فظفر المسلمون بقطعة من الروم، فأخذوها، وأسروا من كان بها وعادوا.

ولم تزل الحرب بين أهل طرابلس والفرنج خمس سنين إلى هذا الوقت، فعدمت الأقوات به، وخاف أهله على نفوسهم وأولادهم وحُرَمهم، فجلا الفقراء، وافتقر الأغنياء، وظهر من ابن عمّار صبر عظيم، وشجاعة، ورأي سديد.

ومّما أضرّ بالمسلمين فيها أنّ صاحبها استنجد سُقمان بن أُرتُق، فجمع العساكر وسار إليه، فمات في الطريق، على ما ذكرناه، وإذا أراد الله أمراً هيّأ أسبابه.

وأجرى ابن عمّار الجرايات على الجُند والضَّعفى، فلمّا قلّت الأموال عنده شرع يقسّط على الناس ما يخرجه في باب الجهاد، فأخذ من رجليَنْ من الأغنياء مالاً مع غيرهما، فخرج الرجلان إلى الفرنج، وقالا: إنّ صاحبنا صادرنا، فخرجنا إليكم لنكون معكم؛ وذكرا لهم أنّه تأتيه الميرة من عرقَةَ والجبل، فجعل الفرنج جمعاً على ذلك الجانب يحفظه من دخول شيء إلى البلد، فأرسل ابن عمّار وبذل للفرنج مالاً كثيراً ليسلّموا الرجلَيْن إليه، فلم يفعلوا، فوضع عليهما من قتلهما غيلة[1].

وكانت طرابلس من أعظم بلاد الإسلام وأكثرها تجمّلاً وثروةً، فباع أهلها من الحُلى، والأواني الغريبة، ما لا حدّ عليه، حتّى بيع كلّ مائة درهم نُقرة بدينار. وشتّان بين هذه الحالة وبين حال الروم أيّام السلطان ألب أرسلان، وقد ذكرتُ ظفره بهم سنة ثلاث وستّين وأربعمائة، وقد كان بعض أصحابه، وهو كُمُشْتكِين دواتي، عميد المُلك، هرب منه خوفاً لمّا قُبض على صاحبه عميد المُلك، وسار إلى الرقّة فملكها، وصار معه كثير من التركمان، فيهم: الأفشين، وأحمد شاه، فقتلاه، وأرسلا أمواله إلى ألب أرسلان، ودخل الأفشين بلاد الروم، وقاتل الفردوس[2]، صاحب أنطاكية، فهزمه، وقتل من الروم خلقاً كثيراً.

وسار ملك الروم من القُسطنطينيّة إلى مَلَطْيَةَ، فدخل الأفشين بلاده، ووصل إلى عَمّوريَة، وقتل في غزاته مائة ألف آدمي، ولمّا عاد إلى بلاد الإسلام وتفرّق مَن معه خرج عليه عسكر الرُّها، وهي حينئذ للروم، ومعهم بنو نُمير من العرب، فقاتلهم، ومعه مائتا فارس، فهزمهم ونهبهم، ونهب بلاد الروم، فأرسل ملك الروم رسولاً إلى القائم

---

(١) في (ب) زيادة: «عندهم لعنهم الله».
(٢) في (ب): «الفروردس».

بأمر الله يسأله الصلح، فأرسل إلى ألب أرسلان في ذلك، فصالح الرومَ على مائة ألف دينار، وأربعة الآف ثوب أصنافاً[١]، وثلاثمائة رأس بغالا[٢]. فشتّان بين الحالتَيْن.

وأقول شتّان بين حال المرْذولين الذين استعجزهم، وبين حال الناس في زماننا هذا، وهو سنة(ستّ عشرة)[٣] وستمّائة مع الفرنج أيضاً والتتر، وسيرى ذلك مشروحاً، أن شاء الله تعالى، لتعلم الفرق، نسأل الله تعالى أن ييسّر للإسلام وأهله قائماً يقوم بنصرهم، وأن يدفع عنهم بمن أحبّ من خلقه، وما ذلك على الله بعزيز[٤].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ورد إلى بغداذ إنسان من الملثّمين، ملوك الغرب، قاصداً إلى دار الخلافة، فأُكرم، وكان معه إنسان يقال له الفقيه، من الملثّمين أيضاً، فوعظ الفقيه في جامع القصر[٥]، واجتمع له العالم العظيم، وكان يعِظ وهو متلثّم لا يظهر منه غير عينَيْه، وكان هذا الملثّم قد حضر مع ابن الأفضل، أمير الجيوش بمصر، وقعتَهُ مع الفرنج، وأبلى بلاء حسناً.

وكان سبب مجيئه إلى بغداذ: أنّ المغاربة كانوا يعتقدون في العلويّين، أصحاب مصر، الاعتقاد القبيح، إذا أرادوا الحجَّ، يعدلون عن مصر، وكان أمير الجيوش بدر والد الأفضل أراد إصلاحهم، فلم يميلوا إليه، ولا قاربوه. فأمر بقتل مَنْ ظفر به منهم، فلمّا ولِيَ ابنه الأفضل أحسن إليهم، واستعان بمن قاربه منهم على حرب الفرنج، وكان هذا من جملة مَنْ قاتل معه، فلمّا خالط المصريّين خاف العودة إلى بلاده، فقدم بغداذ، ثم عاد إلى دمشق، ولم يكن للمصريّين حرب مع الفرنج إلاّ وشهدها، فقُتل في بعضها شهيداً، وكان شجاعاً فتّاكاً مقداماً.

وفيها، في ربيع الآخر، ظهر كوكب في السماء له ذُؤابة، كقوس قُزَح، آخذة من المغرب إلى وسط السماء، وكان يُرى قريباً من الشمس قبل ظهوره ليلاً، وبقي يظهر عدّة ليالٍ، ثم غاب.

---

(١) في الأوربية: «أصناف».
(٢) في الأوربية: «بغال».
(٣) في (ب): «خمس وعشرين» وهذا غلط لأن المؤلّف ابن الأثير ـ رحمه الله ـ توفي سنة ٦٢٠ هـ.
(٤) في الأوربية: «العزيز». وانظر خبر طرابلس في: ذيل تاريخ دمشق ١٤٧، ومرآة الزمان (مخطوط) ج ١٢ ق ٣/ورقة ٢٥١ ب، (مطبوع) ج ٨ ق ١/ ١٣، وتلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٣/ ٢٦٥، وتاريخ الإسلام ٧٣، ٧٤، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ٢١٣، ٢١٤.
(٥) في (ب): «الذي بناه المنصور».

وفيها وصل الملك قلج أرسلان بن سليمان بن قُتلمِش، صاحب بلاد الروم، إلى الرُّها ليحصرها، وبها الفرنج، فراسله أصحاب جَكَرمِش المقيمون بحرَّان ليسلّموها إليه، فسار إليهم وتسلّم البلد، وفرح به الناس لأجل جهاد الفرنج، فأقام بحرَّان أيّاماً، ومرض مرضاً شديداً، أوجب عوده إلى مَلَطْيَةَ، فعاد مريضاً، وبقي أصحابه بحرّان.

[الوفيات]

وفي هذه السنة توفيّ الشيخ أبو منصور المقري، إمام مسجد ابن جردة[1]، وكان خيراً صالحاً.

وفيها قُتل القاضي أبو العلاء صاعد بن محمّد[2] النَّيسابوريّ الحنفيُّ بجامع أصبهان، قتله باطنيّ.

وفيها توفيّ أبو الفوارس الحسين بن عليّ بن الخازن[3]، صاحب الخطّ الجيّد، وعمره سبعون[4] سنة؛ قيل إنّه كتب خمسمائة ختمة[5].

وفيها، في المحرّم، توفّي القاضي أبو الفرج عُبيد الله بن الحسن[6]، قاضي البصرة، وله ثلاث وثمانون سنة، وكان من الفقهاء الشافعيّة المشهورين، تفقّه على الماوَرْديّ، وأبي إسحاق، وأخذ النحو عن الرَّقيّ، والدّهان، وابن بُرهان، وكان عفيفاً، مُقدَّماً عند الخلفاء والسلاطين.

وفيها، في المحرّم، توفيّ سهل بن أحمد بن عليّ الأرْغِيانِيُّ[7]، أبو الفتح الحاكم، تفقّه على الجُوَينيّ، وبرّز، ثم ترك المناظرة، وبنى رباطاً، واشتغل بالعبادة وقراءة القرآن.

---

(١) في تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٩ هـ.) ص ٢٩٥ رقم ٣٣١ «ابن جرادة». وانظر: غاية النهاية ١/ ٢٠٧ رقم ٩٥٢ وهو: «الحسن بن أحمد بن علي بن فتحان».

(٢) في طبعة صادر ١٠/ ٤١٥ «صاعد بن أبي محمّد»، والصحيح ما أثبتناه. وهذا قتل في سنة ٥٠٢ هـ. وسيعيده المؤلف ـ رحمه الله ـ هناك في (عدة حوادث).

(٣) في (ب): «الحارث».

(٤) في الأوربية: «سبعين».

(٥) سيعاد في وفيات ٥٠٢ هـ.

(٦) لم أجد له ترجمة.

(٧) انظر عن (الأرغياني) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٩ هـ.) ص ٢٩٧، ٢٩٨ رقم ٣٣٦ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

وفيها، في صفر، توفّي الأمير مهارش بن مجلّي[1] وله نحو ثمانين سنة[2]، وهو الذي كان الخليفة القائم عنده بالحَدِيثَة، وكان كثير الصلاة والصوم، يحبّ الخير وأهله؛(ولمّا توفيّ ملكَ الحَدِيثَةَ بعده ابنه سليمان)[3].

(١) فيٓ (ب) زيادة: «عكيب».
(٢) انظر عن (مهارش) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٩ هـ.) ص ٣٠٩ رقم ٣٥٠ وفيه مصادر ترجمته.
(٣) من (ب).

٥٠٠
ثم دخلت سنة خمسمائة

ذكر وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه عليّ

في هذه السنة توفّي أمير المسلمين يوسف بن تاشِفِين، ملك المغرب والأندلس، وكان حَسَن السيرة، خيّراً، عادلاً، يميل إلى أهل الدين والعلم، ويكرمهم، ويصدر عن رأيهم، ولمّا ملك الأندلس، على ما ذكرناه، جمع الفقهاء، وأحسن إليهم، فقالوا له: ينبغي أن تكون ولايتك من الخليفة لتجب طاعتك على الكافّة؛ فأرسل إلى الخليفة المستظهر بالله، أمير المؤمنين، رسولاً ومعه هدية كثيرة، وكتب معه كتاباً يذكر ما فتح الله من بلاد الفرنج، وما اعتمده من نصرة الإسلام، ويطلب تقليداً بولاية البلاد، فكتب له تقليد من ديوان الخلافة بما أراد، ولُقّب أمير المسلمين، وسُيّرت إليه الخِلع، فسُرّ بذلك سروراً كثيراً، وهو الذي بنى[1] مدينة مَرَّاكشُ للمرابطين، وبقي على ملكه إلى سنة خمسمائة، فتوفّي وملك بعده البلاد ولده عليُّ بن يوسف، وتلقّب أيضاً أمير المسلمين، فازداد في إكرام العلماء والوقوف عند إشارتهم، وكان إذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة، ولانَ قلبه لها، وظهر ذلك عليه.

وكان يوسف بن تاشفين حليماً، كريماً، ديّناً، خيّراً، يحبّ أهل العلم والدين، ويحكّمهم في بلاده؛ وكان يحبّ العفو والصفح عن الذنوب العظام، فمن ذلك أنّ ثلاثة نفر اجتمعوا، فتمنّى أحدهم ألف دينار يتّجر بها، وتمنّى الآخر عملاً يعمل[2] فيه لأمير المسلمين، وتمنّى الآخر زوجته النفزاويّة[3]، وكانت من أحسن النساء، ولها الحكم في بلاده، فبلغه الخبر، فأحضرهم، وأعطى متمنّي المال ألف دينار، واستعمل الآخر،

(١) في الأوربية: «بنا».
(٢) في الأوربية: «يعمله».
(٣) في الباريسية: «النفراوتة»، والمثبت من (ب).

وقال للذي تمنّى زوجته: يا جاهل! ما حملك على هذا الذي لا تصل إليه؟ ثم أرسله إليها، فتركتْه في خيمة ثلاثة أيّام تحمل إليه كلّ يوم طعاماً واحداً، ثم أحضرته وقالت له: ما أكلتَ هذه الأيّام؟ قال: طعاماً واحداً؛ فقالت: كلّ النساء شيء واحد. وأمرتْ له بمال وكسوة وأطلقتْه[1].

ذكر قتل فخر الملك بن نظام الملك

في هذه السنة قُتل فخر المُلك أبو المظفّر عليُّ بن نظام المُلك، يوم عاشوراء، وكان أكبر أولاده، وقد ذكرنا سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمائة وزارته للسلطان بركْيارُق، فلمّا فارق وزارته قصد نَيسابور، وأقام عند الملك سَنجَر بن ملكشاه، وَوَزَر له، وأصبح يوم عاشوراء صائماً، وقال لأصحابه: رأيتُ الليلة في المنام الحسين بن عليّ، عليه السّلام، وهو يقول: عجّل إلينا، وليكُنْ إفطارك عندنا؛ وقد اشتغل فكري به، ولا مَحِيد عن قضاء الله وقدره! وقالوا له: يحميك[2] الله، والصواب أن لا تخرج اليوم والليلة من دارك؛ فأقام يومه يصلّي، ويقرأ القرآن، وتصدّق بشيء كثير.

فلمّا كان وقت العصر خرج من الدار التي كان بها يريد دار النساء، فسمع صياح متظلّم، شديد الحُرْقة، وهو يقول: ذهب المسلمون، فلم يبقَ من يكشف مظلمة، ولا يأخذ بيد ملهوفٍ! فأحضره عنده، رحمةً له، فحضر فقال: ما حالك؟ فدفع إليه رقعة، فبينما فخر الملك يتأمّلها إذ ضربه بسكّين فقضى عليه، فمات، فحُمل الباطنيُّ إلى سَنجَر، فقرّره، فأقرّ على جماعة من أصحاب السلطان كذباً، وقال: إنّهم وضعوني على قتله؛ وأراد أن يقتل بيده وسعايته، فقتل مَن ذكر، وكان مكذوباً عليهم، ثم قتل الباطنيُّ بعدهم، وكان عمر فخر المُلك ستّاً[3] وستّين سنة[4].

ذكر ملك صدقة بن مَزْيد تكريت

في هذه السنة، في صفر، تسلّم الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن مَزْيد قلعة تَكْريت، وقد ذكرنا فيما تقدّم أنّها كانت لبني مقن العُقَيْليّين، وكانت إلى آخر سنة

---

(١) أنظر عن (ابن تاشفين) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٠ هـ.) ص ٣٢٩ ـ ٣٣٩ رقم ٣٦٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) في الأوربية: «يحثيك».

(٣) في الأوربية: «ست».

(٤) المنتظم ٩/١٤٨ (١٧/٩٩)، المختصر ٢/٢٢١، تاريخ الإسلام ٧٥، ٧٦، تاريخ ابن الوردي ٢/١٧، ١٨، البداية والنهاية ١٢/١٦٧، النجوم الزاهرة ٥/١٩٤.

سبعٍ وعشرين وأربعمائة بيد رافع بن الحسين بن مقن، فمات، ووليها ابن أخيه أبو منعة خميس بن تغلب بن حمّاد، ووجد بها خمسمائة ألف دينار سوى المصاغ، وتوفّي سنة خمسٍ وثلاثين وأربعمائة، ووليها ولده أبو غشّام.

فلمّا كان سنة أربعٍ وأربعين [وأربعمائة] وثب عليه عيسى فحبسه، وملك القلعة والأموال، فلمّا اجتاز به طُغْرُلبك سنة ثمانٍ وأربعين [وأربعماية] صالحه على بعض المال فرحل عنه.

وخافت زوجته أميرة، بعد موته، أن يعود أبو غشّام (فيملك القلعة)[١]، فقتلته، وكان قد بقي في الحبس أربع سنين، واستنابت في القلعة أبا الغنائم بن المحلبان، فسلّمها إلى أصحاب السلطان طُغْرُلبك، فسارت إلى الموصل، فقتلها ابن أبي غشّام بأبيه، وأخذ شرف الدولة مسلّم بن قريش مالها، وردّ طُغْرُلبك أمر القلعة إلى إنسان يُعرف بأبي العبّاس الرازيّ، فمات بها بعد ستّة أشهر، فملكها المهرباط، وهو أبو جعفر محمّد بن أحمد بن خُشْنام من بلد الثغر، فأقام بها إحدى وعشرين سنة ومات، ووليها ابنه سنتَيْن، وأخذتها منه تُركان خاتون، ووليها لها كوهرائين.

ثم ملكها بعد وفاة ملكشاه قسيم الدولة آقسنقَر، صاحب حلب، فلمّا قُتل صارت للأمير كُمُشْتِكين الجاندار، فجعل فيها رجلاً يُعرف بأبي المصارع، ثم عادت إلى كوهرائين إقطاعاً، ثم أخذها منه مجد المُلك البلاسانيُّ، فولّى فيها كيقُباذ بن هزارسب الديلميّ، فأقام بها اثنتي عشرة سنة، فظلم أهلها، وأساء السيرة، فلمّا اجتاز به سُقمان بن ارتُق سنة ستّ وتسعين [وأربعمائة] ونهبها، كان كيقُباذ ينهبها ليلاً، وسُقمان ينهبها نهاراً.

فلمّا استقرّ السلطان محمّد بعد موت أخيه بركْيارُق أقطعها للأمير آقسنقَر البرسقيّ، شِحنة بغداذ، فسار إليها وحصرها مدّة تزيد على سبعة أشهر، حتّى ضاق على كيقباذ الأمر، فراسل صدقةَ بن مَزْيَد ليسلّمها إليه، فسار إليها في صفر هذه السنة وتسلّمها منه، وانحدر البرسقيُّ ولم يملكها.

ومات كيقباذ بعد نزوله من القلعة بثمانيّة أيّام، وكان عمره ستّين سنة، واستناب صدقة بها ورّامَ بن أبي فِراس بن ورّام؛ وكان كيقباذ يُنسب إلى الباطنيّة، وكان موته من سعادة صدقة، فإنّه لو أقام عنده لعرّض صدقة لظنون الناس في اعتقاده ومذهبه[٢].

---

(١) من (ب).

(٢) من الباريسية.

ذكر الحرب بين عُبادة وخفَاجة

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، كانت حرب بين عُبادة وخَفاجة، فظفرت عُبادة، وأخذت بثأرها من خَفاجة.

وكان سبب ذلك أنّ سيف الدولة صدقة أرسل ولدَه بدران في جيش إلى طرف[1] بلاده ممّا يلي البطيحة ليحميها من خفاجة لأنّهم يؤذون أهل تلك النواحي، فقربوا منه، وتهدّدوا أهل البلاد، فكتب إلى أبيه يشكو منهم، ويعرّفه حالهم، فأحضر عُبادة، وكانت خفَاجة قد فعلت بهم العام الماضي ما ذكرناه، فلمّا حضروا عنده قال لهم ليتجهّزوا مع عسكره (ليأخذوا بثأرهم من خفَاجة، فساروا في مقدّم عسكره)[2]، فأدركوا حلّة من خَفاجة من بني كليب ليلاً، وهم غارّون، لم يشعروا بهم، فقالوا: مَنْ أنتم؟ فقالت: (عُبادة: نحن)[3] أصحاب لديون، فعلموا أنّهم عُبادة، فقاتلوهم، وصبرت خَفاجة، فبينما هم في القتال إذ سُمع طبل الجيش، فانهزموا، وقتلت منهم عُبادة جماعة، وكان فيهم عشرة من وجوههم، وتركوا حُرَمهم[4]، فأمر صدقة بحراستهنّ وحمايتهنّ، وأمر العسكر أن يؤثروا عُبادة بما غنموه من أموال خَفاجة، خلفاً لهم عمّا أُخذ منهم في العام الماضي.

وأصاب خفَاجة من مفارقة بلادها، ونهْب أموالها، وقتْل رجالها، أمر عظيم، وانتزحت إلى نواحي البصرة، وأقامت عُبادة في بلاد خفَاجة.

ولمّا انهزمت خفَاجة وتفرّقت ونُهبت أموالها، جاءت امرأة منهم إلى الأمير صدقة، فقالت له: إنّك سبيتَنا، وسلبتنا قوّتنا، وغرَّبتنا[5]، وأضعْت حُرمتنا، قابلك الله في نفسك، وجعل صورة أهلك كصورتنا. فكظم الغيظ واحتمل لها ذلك، وأعطاها أربعين جملاً، ولم يمض غير قليل حتّى قابل الله صدقةَ في نفسه وأولاده، فإنّ دُعاء الملهوف عند الله بمكان.

---

(١) في (ب): «أطراف».
(٢) من (ب).
(٣) من الباريسية.
(٤) في الأوربية: «حرمتهم».
(٥) في الباريسية: «عذبتنا».

ذكر مسير جاولي سقاوو إلى الموصل وأسر صاحبها جَكَرمِش

في هذه السنة، في المحرّم، أقطع السلطان محمّد جاولي سَقاوو الموصل، والأعمال التي بيد جَكَرمِش، وكان جاولي قبل هذا قد استولى على البلاد التي بين خُوزستان وفارس، وأقام بها سنين، وعمَّر قلاعها وحصّنها، وأساء السيرة في أهلها، وقطع أيديَهم وجدع أنوفَهم وسمل أعينَهم.

فلمّا تمكّن السلطان محمّد من السلطنة خافه جاولي، وأرسل السلطان إليه الأمير مودود بن التونتكين، فتحصّن منه جاولي، وحصره مودود ثمانية أشهر، فأرسل جاولي إلى السلطان: إنّني لا أنزل إلى مودود، فإن أرسلتَ غيره نزلتُ. فأرسل إليه خاتمه مع أمير آخَر، فنزل جاولي، وحضر الخدمة بأصبهان، فرأى من السلطان ما يحبّ، وأمره السلطان بالمسير إلى الفرنج ليأخذ البلاد منهم، وأقطعه الموصل وديار بكر[(١)] والجزيرة كلّها[(٢)].

وكان جَكَرمِش لمّا عاد من عند السلطان إلى بلاده، كما ذكرناه، وعدّ من نفسه الخدمة وحمّل المال، فلمّا استقرّ ببلاده لم يَفِ بما قال، وتثاقل في الخدمة وحمْل المال، فأقطع بلاده لجاولي، فجاء[(٣)] إلى بغداذ، وأقام بها إلى أوّل ربيع الأوّل، وسار إلى الموصل، وجعل طريقه على البوازيج، فملكها ونهبها أربعة أيّام، بعد أن أمّن أهلها، وحلف لهم أنّه يحميهم، فلمّا ملكها سار إلى[(٤)] إربل.

وأمّا جَكَرمِش فإنّه لمّا بلغه مسيره إلى بلاده كتب (في جمع العساكر، فأتاه)[(٥)] كتاب أبي الهيجاء بن موسك الكرديّ الهذبانيّ، صاحب إربل، يذكر استيلاء جاولي على البوازيج، ويقول له: إن لم تعجّل المجيء لنجتمع عليه ونمنعه، وإلاّ اضطرّرتُ إلى موافقته والمصير معه. فبادر جَكَرمِش وعبر إلى شرقيّ دِجلة، وسار في عسكر الموصل قبل اجتماع عساكره، وأرسل إليه أبو الهيجاء عسكره مع أولاده، فاجتمعوا بقرية باكَلْبَا[(٦)] من أعمال إربل.

---

(١) من الباريسية.
(٢) من (ب).
(٣) في (ب): «فسار».
(٤) في (ب): «نحو».
(٥) من الباريسية.
(٦) من (ب).

ووافاهم جاولي وهو في ألف فارس، وكان جَكَرمِش في ألفَيْ فارس، ولا يشكّ أنّه يأخذ جاولي باليد، فلمّا اصطفّوا للحرب حمل جاولي من القلب على قلب جَكَرمِش فانهزم من فيه، وبقي جَكَرمِش وحده لا يقدر على الهزيمة لفالج كان به، (فهو لا يقدر [أن] يركب)[1]، وإنّما يُحمل في محفّة، فلمّا انهزم أصحابه[2] قاتل عنه ركابيّ أسود قتالاً عظيماً، فقُتل، وقاتل معه واحد من أولاد الملك قاورت بك بن داود، اسمه أحمد، فقاتل بين يدَيْه، فطُعن فجُرح وانهزم، فمات بالموصل، ولم يقدر أصحاب جاولي على (الوصول إلى)[3] جكرمش، حتّى قُتل الركابيُّ الأسود فحينئذ أخذوه أسيراً وأحضروه عند جاولي، فأمر بحفظه وحراسته.

وكانت عساكر جكرمش التي استدعاها قد وصلت إلى الموصل بعد مسيره بيومَيْن، فساروا جرائد ليدركوا الحرب، فلقيهم المنهزمون ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ذكر حصر جاولي سقاوو الموصل وموت جكرمش

لمّا انهزم العسكر، وأُسر جَكَرمِش، وصل الخبر إلى الموصل، فأقعدوا في الأمر زنكي بن جَكَرمِش، وهو صبيّ عمره إحدى عشرة سنة، وخطبوا له، وأحضروا أعيان البلد، والتمسوا منهم المساعدة، فأجابوا إلى ذلك.

وكان مستحفظ القلعة مملوكاً لجكرمش اسمه غزغلي[4]، فقام في ذلك المقام المَرضي، وفرّق الأموال التي جمعها جَكَرمِش، والخيول، وغير ذلك على الجُند، وكاتب سيفَ الدولة صدقة، وقِلِج أرسلان، والبُرْسُقيّ، شِحنة بغداذ، بالمبادرة إليهم، ومنْع جاولي عنهم، ووعدوا كلاً منهم أن يسلّموا البلد إليه. فأمّا صدقة فلم يجبهم إلى ذلك، ورأى طاعة السلطان، وأمّا البرسقيّ وقلج أرسلان فنذكر حالهما.

ثم إنّ جاولي حصر الموصل، ومعه كرماوي[5] بن خُراسان التركمانيُّ، وغيره من الأمراء، وكثُر جمْعه، وأمر أن يُحمل جَكَرمِش كلّ يوم على بَغل وينادي[6] أصحابه بالموصِل ليسلّموا البلد ويخلّصوا صاحبهم مما هو فيه، ويأمرهم هو بذلك، فلا

---

(١) من (ب).

(٢) في الباريسية: «صاحبه».

(٣) من الباريسية.

(٤) في (ب): «قزعلي».

(٥) في (ب): «طرماوي».

(٦) في الأوربية: «وينادون».

يسمعون منه؛ وكان يسجنه في جُبّ، ويوكل به من يحفظه لئلاّ يُسرق، فأُخرج في بعض الأيّام ميّتاً، وعمره نحو ستّين سنة، وكان شأنه قد علا، ومنزلته قد عظمت، وكان قد شيّد سور الموصل وقوّاه، وبنى عليها فصيلاً، وحفر خندقها، وحصّنها غايةَ ما يقدر عليه.

وكان مع جَكَرمِش رجل من أعيان الموصل يقال له أبو طالب (بن كُسَيْرات)[1]، وبنو كُسَيرات إلى الآن بالموصل من أعيان أهلها، وكان أبو طالب قد تقدّم عند جَكَرمِش، وارتفعت منزلته، واستولى على أموره، وحضر معه الحرب، فلمّا أُسر جَكَرمِش هرب أبو طالب إلى إربل، وكان أولاد أبي الهيجاء، صاحب إربل، قد حضروا الحرب مع جَكَرمِش، وأسرهم جاولي، فأرسل إلى أبي الهيجاء يطلب ابن كُسَيْرات، فأطلقه وسيّره إليه، فأطلق جاولي بن أبي الهيجاء، فلمّا حضر ابن كُسَيْرات عند جاولي ضمن له فتح الموصل وبلاد جَكَرمِش، وتحصيل الأموال، فاعتقله اعتقالاً جميلاً.

وكان قاضي الموصل أبو القاسم بن ودعان[2] عدوّاً لأبي طالب، فأرسل إلى جاولي يقول له: إن قتلتَ أبا طالب سلّمتُ الموصل إليك، فقتله وأرسل رأسه إليه، فأظهر الشماتة به، وأخذ كثيراً من أمواله وودائعه، فثار به الأتراك غضباً لأبي طالب ولتفرده بما أخذ من أمواله، ، فقتلوه؛ وكان بينهما شهر واحد، وقد رأينا كثيراً، وسمعنا ما لا نحصيه [من] قُرب وفاة أحد المتعاديين بعد صاحبه[3].

ذكر الحرب بين ملك القُسطنطينيّة والفرنج

في هذه السنة كانت وحشة مستحكمة بين ملك الروم، صاحب القُسطنطينيّة، وبين بيمُند الفرنجيّ، فسار بيمنُد إلى بلد ملك الروم ونهبه، وعزم على قصده، فأرسل ملك الروم إلى الملك قِلِج أرسلان بن سليمان، صاحب قُونيَة وأقصرا وغيرهما من تلك البلاد، يستنجده، فأمدّه بجمع من عسكره، فقوي بهم، وتوجّه إلى بيمُند، فالتقوا وتصافّوا واقتتلوا، وصبر الفرنج بشجاعتهم، وصبر الروم ومن معهم لكثرتهم، ودامت الحرب، ثم أجّلت الوقعة عن هزيمة الفرنج، وأتى القتل على أكثرهم، وأُسر كثير منهم، والذين سلموا عادوا إلى بلادهم بالشام، وعاد عسكر قِلِج أرسلان إلى بلادهم

---

(١) من الباريسية.

(٢) في (ب): «ودعات».

(٣) انظر عن (جكرمش) في: لباب الآداب لأسامة بن منقذ ١٣٢، ١٣٣.

عازمين على المسير إلى صاحبهم بديار الجزيرة، فأتاهم خبر قتله[1]، على ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ، فتركوا الحركة وأقاموا.

ذكر ملك قلج أرسلان الموصل

قد ذكرنا أنّ أصحاب جَكَرمِش كتبوا إلى الأمير صدقة، وقسيم الدولة البُرْسُقي، والملك قِلِج أرسلان بن سليمان بن قُتلمِش السلجوقيّ، صاحب بلاد الروم، يستدعون كلاً منهم إليهم ليسلّموا البلد إليه. فأمّا صدقة فامتنع، ورأى طاعة السلطان[2]؛ وأمّا قِلِج أرسلان فإنّه سار في عساكره فلمّا سمع جاولي سقاوو بوصوله إلى نَصِيبين رحل عن الموصل؛ وأمّا البرسقيّ فإنّه كان شِحنة بغداذ، فسار منها إلى الموصل، فوصلها بعد رحيل جاولي عنها، فنزل بالجانب الشرقيّ فلم يلتفتْ أحد إليه، ولا أرسلوا إليه كلمة واحدة، فعاد في باقي[3] يومه.

ثم إنّ قِلج أرسلان لمّا وصل إلى نَصِيبين أقام بها حتى كثُر جمعه، فلمّا سمع جاولي بقربه رحل من الموصل إلى سِنجار، وأودع رحله بها، واتّصل به الأمير إيلغازي بن أُرتُق وجماعة من عسكر جَكَرمِش، فصار معه أربعة آلاف فارس. فأتاه كتاب الملك رضوان يستدعيه إلى الشام، ويقول له: إنّ الفرنج قد عجز مَن بالشام عن منعهم؛ فسار إلى الرَّحبة.

وأرسل أهل الموصل وعسكر جكرمش إلى قلج أرسلان، وهو بنَصِيبين فاستحلفوه لهم، فحلف، واستحلفهم على الطاعة له والمناصحة، وسار معهم إلى الموصل، فملكها في الخامس والعشرين من رجب، ونزل بالمُغْرِقةِ، وخرج إليه ولد جَكَرمِش وأصحابه، فخلع عليهم، وجلس على التَّخْت، (وأسقط السلطان محمّداً، وخطب لنفسه بعد الخليفة، وأحسن إلى العسكر)[4]، وأخذ القلعة من غزغلي[5]، مملوك جَكَرمِش، وجعل له فيها دَزْداراً، ورفع الرسوم المحدثة في الظلم، وعدل في الناس وتألّفهم، وقال: من سعى إليّ[6] بأحد قتلتُه؛ فلم يسعَ أحدٌ بأحد، وأقرّ القاضي

(١) ذيل تاريخ دمشق ١٥٦.
(٢) في (ب): «الخليفة».
(٣) من الباريسية.
(٤) من (ب).
(٥) في (أ): «فرعلي».
(٦) في الأوربية: «إليه».

أبا محمّد عبد الله بن القاسم بن الشهرزوريّ على القضاء بالموصل، وجعل الرئاسة لأبي البركات محمّد بن محمّد بن خميس، وهو والد شيخنا أبي الربيع سليمان.

وكان في جملة قلِج أرسلان الأمير إبراهيم بن ينّال التركمانيّ، صاحب آمد، ومحمّد بن جبق التركمانيُّ، صاحب حصن زياد، وهو خَرْتَبِرْتُ.

فأمّا إبراهيم بن ينّال فكان سبب ملكه لمدينة آمد أنّ تاج الدولة تُتُش، حين ملك ديار بكر، سلّمها إليه، فبقيت بيده؛ وأمّا محمّد بن جبق فكان سبب ملكه لحصن زياد (أنّ هذا الحصن)[1] كان بيد الفلادروس[2] الروميّ، ترجمان ملك الروم، وكانت الرُّها وأنطاكية من أعماله، فلمّا ملك سليمان بن قُتلمش، (والد قِلج أرسلان هذا)[3]، أنطاكية، وملك فخر الدولة بن جَهِير ديار بكر، ضعف الفلادروس عن إقامة ما يحتاج إليه حصن زياد من الميرة والإقامة، فأخذه جبق، وأسلم الفلادروس على يد السلطان ملكشاه، وأمّره على الرُّها، فلم يزل عليها حتّى مات وأخذها الأمير بُزان[4] بعده.

وكان بالقرب من حصن زياد حصن آخر بيد إنسان من الروم اسمه إفرنجي[5]، وكان يقطع الطريق، ويُكثر قتل المسلمين، فأرسل إليه جبق هدية، وخطب إليه مودّته، وأن يعين كلّ واحد منهما صاحبه، فأجابه إلى ذلك، فكان جبق يعين إفرنجيّ على قطع الطريق وغيره، وكذلك افرنجي يعين جبق، فلمّا وثِق كلّ واحدٍ بصاحبه أرسل إليه جبق: إني أريد قصد بعض الأماكن؛ وطلب أن يرسل إليه أصحابه، فأرسلهم إليه، فلمّا[6] ساروا معه في الطريق تقدّم بكتفهم، وحملهم إلى قلعة إفرنجيّ، وقال لأهليهم[7]: والله لئن لم تسلّموا إليّ إفرنجيّ لأضربنّ أعناقهم، ولآخذنّ الحصن عنوةً، ولأقتلنّكم على دم واحدٍ. ففتحوا له الحصن، وسلّموا إليه إفرنجيّ، فسلخه، وأخذ أمواله وسلاحه، وكان عظيماً، ومات جبق فوليَ بعده ابنه محمّد.

ذكر قتل قلج أرسلان وملك جاولي الموصل

قد ذكرنا أنّ قِلج أرسلان لمّا وصل إلى نَصِيبين سار جاولي عن المَوصِل إلى

(١) من (ب).
(٢) تصحّف في الأصل.
(٣) من الباريسية.
(٤) في (ب): «نزان».
(٥) في (ب): «فرنجي».
(٦) من الباريسية.
(٧) في (ب): «لأعيانهم».

سِنجار، ثم إلى الرَّحبة، فوصلها في رجب، وحصرها إلى الرابع والعشرين من شهر رمضان، وكان صاحبها حينئذٍ يُعرف بمحمّد بن السبّاق، وهو من بني شيبان، رتّبه بها الملك دُقاق لمّا فتحها، وأخذ ولده رهينةً، وحمله معه إلى دمشق، فلما توفّي أرسل هذا الشيبانيُّ قوماً سرقوا ولده وحملوه إليه، فلمّا وصل إليه خلع الطاعة للدمشقيّين، وخطب في بعض الأوقات لقلج أرسلان. فلمّا وصل إليها جاولي وحصرها، أرسل إلى الملك رضوان يعرّفه أنّه على الاجتماع به ومساعدته على من يحاربه، ويشرط[1] عليه أنّه إذا تسلّم البلاد سار معه ليكشف الفرنج عن بلاده، فلمّا استقرّت القاعدة بينهما حضر عنده رضوان، فاشتدّ الحصار على أهل البلد، وضاقت عليهم الأمور.

واتّفق جماعة كانوا بأحد الأبراج، وأرسلوا إلى جاولي، واستحلفوه على حفظهم وحراستهم، وأمروه أن يقصد البرج الذي هم فيه عند انتصاف الليل، ففعل ذلك، فرفع مَنْ في البرج أصحابه إليهم في الحبال، فضربوا بوقاتهم وطبولهم، فخذل مَن في البلد، ودخله أصحاب جاولي في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان، ونهبوه إلى الظهر، ثم أمر برفع النهب، ونزل إليه محمّد الشيبانيُّ صاحب البلد، وأطاعه، وصار معه.

ثم إنّ قِلج أرسلان لمّا فرغ من أمر الموصِل سار عنها إلى جاولي سقاوو ليحاربه، وجعل ابنه ملكشاه في دار الإمارة، وعمره إحدى عشرة سنة، ومعه أمير يدبّره وجماعة من العسكر، وكانت عدّة عسكره أربعة آلاف فارس بالعدّة الكاملة والخيل الجيّدة.

وسمع العسكر بقوّة جاولي، فاختلفوا، وكان أوّل مَن خالف عليه إبراهيم بن ينّال، صاحب آمد، فإنّه فارق خيامه وأثقاله وعاد من الخابور إلى بلده، وكذلك غيره، وعمل قِلج أرسلان على المطاولة لما بلغه من قوّة جاولي وكثرة جموعه، وأرسل إلى بلاده يطلب عساكره لأنّها كانت عند ملك الروم (نجدةً له على قتال الفرنج، كما ذكرناه، فلمّا وصل إلى الخابور بلغت عدّته خمسة آلاف)[2].

وكان مع جاولي أربعة آلاف، من جملتهم الملك رضوان، وجماعة من عسكره، إلاّ أنّ شجعانه أكثر، واغتنم جاولي قلّة عسكر قِلج أرسلان، فقاتله قبل وصول عساكره إليه، فالتقوا في العشرين من ذي القعدة، فحمل قلج أرسلان على القوم بنفسه، حتّى خالطهم، فضرب يد صاحب العَلَم فأبانها، ووصل إلى جاولي بنفسه، فضربه بالسيف،

---

(١) في (ب): «وشرط».

(٢) من (ب).

فقطع الكُزَاغَنْد ولم يصل إلى بدنه، وحمل أصحاب جاولي على أصحابه فهزموهم، واستباحوا ثَقَلهم وسوادهم، فلمّا رأى قِلج أرسلان انهزام عسكره علم أنّه إن أُسر فعل به فعْل مَنْ لم يترك للصلح موضعاً، لا سيّما وقد نازع السلطان في بلاده، واسم السلطنة، فألقى نفسه في الخابور، وحمى نفسه (من أصحاب جاولي)[١] بالنشّاب، فانحدر به الفرس إلى ماء عميق فغرق، وظهر بعد أيّام فدُفن بالشَّمْسَانِيّة[٢] وهي من قُرى الخابور.

وسار جاولي إلى الموصل، ولمّا وصل إليها فتح أهلها له بابها، ولم يتمكّن من بها من أصحاب قِلج أرسلان مِنْ مَنعهم، ونزل بظاهر البلد، وأخذ كلّ واحد من أصحاب جَكَرمِش الذين (حضروا الوقعة)[٣] مع قلج أرسلان (إلى جهة)[٤]. فلمّا ملك جاولي الموصل أعاد خطبة السلطان محمّد، وصادر جماعة مَن بها من أصحاب جَكَرمِش، وسار إلى جزيرة ابن عُمَر، وبها حبشيّ بن جَكَرمِش، ومعه أمير من غلمان أبيه اسمه غزغلي[٥]، فحصره مدّة، ثم إنّهم صالحوه، وحملوا إليه ستّة آلاف دينار، وغيرها من الدوابّ والثياب، ورحل عنهم إلى الموصل، وأرسل ملكشاه بن قِلج أرسلان إلى السلطان محمّد[٦].

ذكر أحوال الباطنية بأصبهان وقتل ابن عطّاش[٧]

في هذه السنة ملك السلطان محمّد القلعة التي كان الباطنيّة ملكوها بالقرب من أصبهان، واسمها شاه دَز، وقتل صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطّاش، وولده، وكانت هذه القلعة قد بناها ملكشاه، واستولى عليها بعده أحمد بن عبد الملك بن عطّاش.

وسبب ذلك أنّه اتّصل بدزْدار كان لها، فلمّا مات استولى أحمد عليها، وكان الباطنيّة بأصبهان قد ألبسوه تاجاً، وجمعوا له أموالاً، وإنّما فعلوا ذلك به لتقدّم أبيه

---

(١) من (ب).
(٢) في الأصل: «بالسمسمانية».
(٣) في (ب): «حصروا القلعة».
(٤) في (ب): «أخيه يأمن فيها».
(٥) في (ب): «فرعلي».
(٦) انظر عن (جاولي سقاوو) في: لباب الآداب ١٣٣.
(٧) في (ب): «عطاس»، ويرد في تاريخ الإسلام ٧، «غطاس».

عبد الملك في مذهبهم، فإنّه كان أديباً بليغاً، حسن الخطّ، سريع البديهة، عفيفاً، وابتُلي بحب هذا المذهب، وكان ابنه أحمد هذا جاهلاً لا يعرف شيئاً.

وقيل لابن الصبّاح، صاحب قلعة أَلَمُوتَ: لماذا تعظّم ابنَ عطّاش مع جهله؟ قال: لمكان أبيه، لأنّه كان أُستاذي.

وصار لابن عطّاش عدد كبير، (وبأس شديد)[1]، واستفحل أمره بالقلعة، فكان يرسل أصحابه لقطع الطريق، وأخْذ الأموال، وقتْل من قدروا (على قتله)[2]، فقتلوا خلقاً كثيراً لا يمكن إحصاؤهم، وجعلوا له على القُرى السلطانيّة وأملاك الناس ضرائب يأخذونها[3] ليكفّوا عنها الأذى، فتعذّر بذلك انتفاع السلطان بقُراه، والناس بأملاكهم، وتمشّى لهم الأمر بالخُلْف الواقع بين السلطانَيْن بركْيارُق ومحمّد.

فلمّا صفت السلطنة لمحمّد، ولم يبق له منازع، لم يكن عنده أمرٌ أهمّ من قصد الباطنيّة وحربهم، والانتصاف للمسلمين من جورهم وعسفهم، فرأى البداية بقلعة أصبهان التي بأيديهم، لأنّ الأذى بها أكثر، وهي متسلّطة على سرير ملكه، فخرج بنفسه فحاصرهم في سادس شعبان.

وكان قد عزم على الخروج أوّل رجب، فساء ذلك مَن يتعصّب لهم من العسكر، فأرجفوا أنّ قِلج أرسلان بن سليمان قد ورد بغداذ وملكها، وافتعلوا في ذلك مكاتبات، ثم أظهروا أنّ خللاً قد تجدّد بخُراسان، فتوقّف[4] السلطان لتحقيق الأمر، فلما ظهر بُطلانه عزم عزيمة مثله، وقصد حربهم، وصعد جبلاً[5] يقابل القلعة من غربيّها، ونصب له التخت في أعلاه، واجتمع له من أصبهان وسوادها لحربهم الأمم العظيمة للذحول التي يطالبونهم بها، وأحاطوا بجبل القلعة ودوره أربعة فراسخ، ورتّب الأمراء لقتالهم، فكان يقاتلهم كلّ يوم أمير، فضاق الأمر بهم، واشتدّ الحصار عليهم، وتعذّرت عندهم الأقْوات.

فلمّا اشتدّ الأمر عليهم كتبوا فتوى فيها: ما يقول السادة الفقهاء أئمّة الدين[6] في

---

(١) من الباريسية.
(٢) في (ب): «عليه».
(٣) في (ب): «أخذوه منهم».
(٤) في (ب): «فتركه».
(٥) في الأوربية: «جبل».
(٦) في الأوربية: «الذين».

قوم يؤمنون بالله وكُتُبه ورُسُله واليوم الآخر، وإنّ ما جاء به محمّد ﷺ حقّ وصدق، وإنّما يخالفون في الإمام: هل يجوز للسلطان مهادنتهم وموادعتهم، وأن يقبل طاعتهم، ويحرسهم من كلّ أذى؟ فأجاب أكثر الفقهاء بجواز ذلك، وتوقّف بعضهم، فجُمعوا للمناظرة، ومعهم أبو الحسن عليُّ بن عبد الرحمٰن السمنجانيّ، وهو من شيوخ الشافعيّة، فقال، بمحضر من الناس، يجب قتالهم، ولا يجوز[1] إقرارهم بمكانهم، ولا ينفعهم التلفّظ بالشهادتَين، فإنّهم يقال لهم: أخبرونا عن إمامكم، إذا أباح لكم ما حظر الشرع، أو حظره عليكم ما أباحه الشرع أتقبلون أمره؟ فإنّهم يقولون نعم، وحينئذ تباح دماؤهم بالإجماع. وطالت المناظرة في ذلك.

ثمّ إنّ الباطنيّة سألوا السلطان أن يُرسل إليهم من يناظرهم، وعيّنوا على أشخاص من العلماء منهم القاضي أبو العلاء صاعد بن يحيى، شيخ الحنفيّة بأصبهان، وقاضيها، وغيره، فصعدوا إليهم وناظروهم، وعادوا كما صعدوا، وإنّما كان قصدهم التعلّل والمطاولة، فلجّ حينئذ السلطان في حصرهم، فلمّا رأوا عين المحاقّة[2] أذعنوا إلى تسليم القلعة على أن يُعطوا عوضاً عنها قلعة خالنجان، وهي على سبعة فراسخ من أصبهان، وقالوا: إنّا نخاف على دمائنا وأموالنا من العامّة، فلا بدّ من مكان نحتمي به منهم؛ فأُشير على السلطان بإجابتهم (إلى ما طلبوا)[3]، فسألوا أن يؤخّرهم إلى[4] النوروز ليرحلوا إلى خالنجان ويسلّموا قلعتهم، وشرطوا أن لا يسمع قول متنصّح[5] فيهم، وإنْ قال أحدٌ عنهم شيئاً سلّمه إليهم، وأن ما أتاه منهم ردّه إليهم، فأجابهم إليه، وطلبوا أن يحمل إليهم من الإقامة ما يكفيهم يوماً يوم، فأُجيبوا إليه في كلّ هذا، وقصْدهم المطاولة انتظاراً لفتق أو حادث يتجدّد.

ورتّب لهم وزير السلطان سعد الملك ما يُحمل إليهم كلّ يوم من الطعام والفاكهة، وجميع ما يحتاجون إليه، فجعلوا هم يرسلون، ويبتاعون من الأطعمة ما يجمعونه ليمتنعوا في قلعتهم، ثم إنّهم وضعوا من أصحابهم من يقتل أميراً كان يبالغ في قتالهم، فوثبوا عليه وجرحوه، وسلم منهم، فحينئذ أمر السلطان بإخراب[6] قلعة

---

(١) في (ب): «يجب».
(٢) في الأوربية: «المحاقة».
(٣) في (ب): «لما سألوه».
(٤) في (ب) زيادة: «قرب».
(٥) في (ب): «مستنصح».
(٦) في (ب): «بتخريب».

خالنجان، وجدّد الحصار عليهم، فطلبوا أن ينزل بعضهم، ويرسل السلطان معهم من يحميهم إلى أن يصلوا إلى قلعة الناظر[1] بأرَّجان، وهي لهم، وينزل بعضهم، ويرسل معهم من يوصلهم إلى طَبَس[2]، وأن يقيم البقية منهم في ضِرس من القلعة، إلى أن يصل إليهم من يخبرهم بوصول أصحابهم، فينزلون حينئذ، ويرسل معهم من يوصلهم إلى ابن الصَّبّاح بقلعة ألمُوت، فأُجيبوا إلى ذلك، فنزل منهم إلى الناظر[1]، وإلى طَبَس[2]، وساروا، وتسلّم السلطان القلعة وخرّبها.

ثم إنّ الذين ساروا إلى قلعة الناظر وطَبَس وصل منهم من أخبر ابن عطّاش بوصولهم، فلم يسلّم السنَّ الذي بقي بيده، ورأى السلطان منه الغدر، والعود عن الذي قرّره، فأمر بالزحف إليه، فزحف الناس عامّة ثاني ذي القعدة، وكان قد قلّ عنده من يمنع ويقاتل، فظهر منهم صبر عظيم، وشجاعة زائدة، وكان قد استأمن إلى السلطان إنسان من أعيانهم، فقال لهم: إنّي أدلّكم على عورة لهم؛ فأتى بهم إلى جانب لذلك السنّ لهم لا يُرام، فقال لهم: اصعدوا من ها هنا؛ فقيل إنّهم قد ضبطوا هذا المكان وشحنوه بالرجال، فقال: إنّ الذي ترون أسلحة[3] وكزاغندات قد جعلوها كهيئة الرجال لقلّتهم عندهم.

وكان جميع من بقي ثمانين رجلاً، فزحف الناس من هناك، فصعدوا منه، وملكوا الموضع، وقُتل أكثر الباطنيّة، واختلط جماعة منهم مع من دخل، فخرجوا معهم، وأمّا ابن عطّاش فإنّه أُخذ أسيراً، فتُرك أسبوعاً، ثم إنّه أمر به فشُهر في جميع البلد، وسُلخ جلده، فتجلّد حتّى مات، وحُشي جلده تبناً، وقُتل ولده، وحُمل رأساهما إلى بغداذ، وألقت زوجته نفسها[4] من رأس القلعةَ فهلكت، (وكان معها جواهر نفيسة لم يوجد مثلها، فهلكت أيضاً وضاعت، وكانت مدّة البلوى بابن عطاش اثنتي عشرة سنة)[5].

ذكر الخُلْف بين سيف الدولة صدقة ومُهذّب الدولة صاحب البطيحة

في هذه السنة اختلف سيف الدولة صدقة بن مَزْيد، ومُهذّب الدولة السعيد بن أبي

---

(١) في (ب): «الناطنة».
(٢) في (ب): «بلس».
(٣) في الأوربية: «أسحلة».
(٤) في الأوربية: «نفسه».
(٥) من (ب). والخبر في: نهاية الأرب ٢٦/٣٦٢، ٣٦٣، والمختصر ٢/٢٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٠ هـ.) ص ٧٧ ـ ٧٩، والبداية والنهاية ١٢/١٦٧، والنجوم الزاهرة ٥/١٩٥.

الجبر[1]، صاحب البطيحة، وانضاف حمّاد بن أبي الجبر إلى صدقة، وأظهر معاداة ابن عمّه مهذّب الدولة، ثم اتفقوا.

وكان سبب ذلك أنّ صدقة لمّا أقطعه السلطان محمّد مدينة واسط ضمنها منه مهذّب الدولة، واستناب في الأعمال أولاده وأصحابه، فمدّوا أيديهم في الأموال، وفرّطوا فيها، وفرّقوها، فلمّا انقضت السنة طالبه صدقة بالمال، وحبسه، ثم سعى في خلاصه بدران بن صدقة، وهو صهر مهذّب الدولة، فأخرجه من الحبس وأعاده إلى بلده البطيحة.

وضمن حمّاد بن أبي الجبر واسط، فانحلّ على مهذبّ الدولة كثير من أمره، فآل الأمر إلى الاختلاف بعد الاتّفاق، فإنّ المصطنع إسماعيل، جدّ حمّاد، والمختص محمّداً، والد مهذّب الدولة، أخوان، وهما ابنا أبي الجبر، وكانت إليهما رئاسة أهلهما وجماعتهما[2]، فهلك المصطنع، وقام ابنه أبو السيّد المظفّر، والد حمّاد، مقامه وهلك المختصّ محمّد، وقام ابنه مهذّب الدولة مقامه، وصارا يتنازعان ابنَ الهيثم، صاحب البطيحة، ويقاتلانه إلى أن أخذه مهذّب الدولة، أيّام كوهرائين، وسلّمه إلى كوهرائين، فحمله إلى أصبهان، فهلك في طريقها. فعظم أمر مهذّب الدولة، وصيّره كوهرائين أمير البطيحة، فصار ابن عمّه وجماعةٌ تحت حكمه.

وكان حمّاد شاباً، فأكرمه مهذّب الدولة، (وزوّجه بنتاً له، وزاد في إقطاعه، فكثر ماله، فصار يحسد مهذّبِ الدولة)[3]، ويُضمر بغضَهُ، وربّما ظهر في بعض الأوقات؛ وكان مهذّب الدولة يداريه بجهده، فلمّا هلك كوهرائين انتقل حمّاد عن مهذّب الدولة، وأظهر[4] ما في نفسه، فاجتهد مهذّب الدولة في إعادته إلى ما كان، فلم يفعل، فسكت عنه، فجمع النفيس بن مهذّب الدولة جمعاً وقصد حمّاداً، فهرب منه إلى سيف الدولة بالحِلّة، فأعاده صدقة ومعه جماعة من الجُند، فحشد مهذّب الدولة، فأرسل حمّاد إلى صدقة يعرّفه ذلك، فأرسل إليه كثيراً من الجُند، فقوي عزم مهذّب الدولة على المحاربة لئلاً يظنّ به العجز، فأشار عليه أهله بترك الخروج من موضعه لحصانته، فلم يفعل، وسيّر سُفنه وأصحابه في الأنهر، فجعل حمّاد وأخوه له الكمناء، واندفعوا من بين أيديهم، فطمع أصحاب مهذّب الدولة وتبعوهم، فخرج عليهم الكمناء، فلم يسلم منهم

(١) في (ب): «الخير».
(٢) في الباريسية: «عنهما».
(٣) من (ب).
(٤) في (ب) زيادة: «بعض».

إلاّ من لم يحضر أجله، فقُتل منهم وأُسر خلق كثير، فقوي طمع حمّاد، وأرسل إلى صدقة يستنجده، فأرسل إليه مقدّم جيشه سعيد بن حُمَيد العمريّ، وغيره من المقدّمين، وجمعوا السفن ليقاتلوا مهذّب الدولة، فرأوا أمراً محكماً، فلم يمكنهم الدخول إليه.

وكان حمّاد بخيلاً، ومهذّب الدولة جواداً، فأرسل إلى سعيد بن حُمَيْد الإقامات الوافرة، والصلات الكثيرة، واستماله، فمال إليه، واجتمع به، وتقرّر الأمر على أن أرسل مهذّب الدولة ابنه النفيس إلى صدقة، فرضي عنه، وأصلح بينهم وبين حمّاد ابن عمّهم، وعادوا إلى حال حسنة من الاتّفاق، وكان صلْحهم في ذي الحجّة سنة خمسمائة.

ذكر قتل وزير السلطان ووزارة أحمد بن نظام المُلك

في شوّال من هذه السنة قبض السلطان محمّد على وزيره سعد المُلك أبي المحاسن، وأخذ ماله، وصلبه على باب أصبهان، وصلب معه أربعة نفر من أعيان أصحابه والمنتمين إليه؛ أمّا الوزير فنُسب إلى خيانة السلطان، وأمّا الأربعة فنُسبوا إلى اعتقاد الباطنية، وكانت مدّة وزارته سنَتَيْن وتسعة أشهر، وكان في ابتداء حاله يصحب تاج الملك أبا الغنائم، وتعطّل بعده، ثم استعمله مؤيّد المُلك بن نظام المُلك، فجعله على ديوان الإستيفاء، وخدم السلطان محمّد لمّا حصره أخوه السلطان بركْيارُق بأصبهان خدمة حسنة، ولمّا فارقها محمّد حفظها الحفْظَ التامّ، وقام المقام العظيم، فاستوزره محمّد، ووسّع له في الإقطاع، وحكّمه في دولته، ثم نكبه، وهذا آخر خدمة الملوك.

وما أحسن ما قال عبد الملك بن مروان: أنعم الناس عيشاً من له ما يكفيه، وزوجة تُرضيه، ولا يعرف أبوابَنا هذه الخبيثة فتؤذيه.

ولمّا قبض الوزير استشار السلطان في من يجعله وزيراً، فذُكر له جماعة، فقال السلطان: إنّ آبائي درُّوا[١] على نظام المُلك البركة، ولهم عليه[٢] الحقّ الكثير، وأولاده أغذياء[٣] نعمتنا، ولا معدل عنهم. فأمر لأبي نصر أحمد هذا بالوزارة، ولُقّب ألقاب أبيه: قوام الدين، نظام المُلك، صدر الإسلام.

وكان سبب قدومه إلى باب السلطان أنّه لمّا[٤] رأى انقراض دولة أهل بيته لزِم

---

(١) في الأوربية: «رأوا».
(٢) في الأوربية: «وله عليهم».
(٣) في الأوربية: «أغذيا».
(٤) في (ب): «كلما».

داره بهمذان، فاتّفق أنّ رئيس همذان، وهو الشريف أبو هاشم، آذاه، فسار إلى السلطان شاكياً منه ومتظلّماً، فقبض السلطان على الوزير، وأحمد هذا في الطريق، فلمّا وصل إليه ذكره، وخلع عليه خِلع الوزارة، وحكّمه، ومكّنه[(١)]، وقوي أمره، وهذا من الفرج بعد الشدّة، فإنّه حضر شاكياً، فصار حاكماً.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في صفر، عُزل الوزير أبو القاسم عليُّ بن جَهِير، وزير الخليفة، فقصد دار سيف الدولة (صدقة ببغداذ)[(٢)] (ملتجئاً إليها، وكانت ملجأً لكلّ ملهوف)[(٣)]، فأرسل إليه صدقة مَنْ أخذه إليه إلى الحِلّة، وكانت وزارته ثلاث سنين وخمسة أشهر وأيّاماً، وأمر الخليفة بنقض داره التي بباب العامّة، وفيها عِبْرةٌ، فإنّ أباه أبا نصر بن جَهِير بناها بأنقاض أملاك الناس، وأخذ، بسببها، أكثر ما[(٤)] دخل فيها، فخرِبَت عن قريب[(٥)].

ولمّا عُزل استنيب قاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغانيّ، ثم تقرّرت الوزارة في المحرّم من سنة إحدى وخمسمائة لأبي المعالي هبة الله بن محمّد بن المطّلب، وخُلع عليه فيه[(٦)].

[الوفيات]

وفيها، في شوّال، توفّي الأمير أبو الفوارس سُرخاب بن بدر بن مُهَلْهِل، المعروف بابن أبي الشوك الكرديّ، وكانت له أموال كثيرة، وخيول لا تحصى، وولّي الإمرة بعده أبو منصور بن بدر، وقام مقامه، وبقيت الإمارة في بيته مائة وثلاثين سنة، وقد تقدّم من أخباره ما فيه كفاية.

---

(١) من (ب).
(٢) من (ب).
(٣) من الباريسية.
(٤) في (ب): «مما».
(٥) المنتظم ٩/١٤٩ (١٧/١٠٠)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/١٨، نهاية الأرب ٢٣/٢٥٧، تاريخ الإسلام ٨٠، البداية والنهاية ١٢/١٦٧.
(٦) المنتظم ٩/١٥٠ (١٧/١٠٠)، نهاية الأرب ٢٣/٢٥٧، تاريخ الإسلام ٨٠.

وفي هذه السنة توفّي أبو الفتح[1] أحمد بن محمّد بن أحمد بن سعيد الحدّاد[2] الأصبهانيُّ ابن أخت عبد الرحمٰن بن أبي عبد الله بن مندة، ومولده سنة ثمان وأربعمائة، وكان مكثراً من الحديث، مشهوراً بالرواية.

وفيها توفّي أبو محمّد جعفر بن أحمد بن الحسين السرّاج[3] البغداذيُّ في صفر، وهو مكثر من الرواية، وله تصانيف حسنة، وأشعار لطيفة، وهو من أعيان الزمان.

وعبد الوهّاب بن محمّد بن عبد الوهّاب أبو محمّد الشيرازيّ[4]، الفقيه، وليَ التدريس بالنظاميّة ببغداذ سنة ثلاثٍ وثمانين وأربعمائة، وكان يروي الحديث أيضاً.

وأبو الحسين المبارك بن عبد الجبّار بن أحمد الصيرفيُّ المعروف بابن الطيوري[5] البغداذيّ، ومولده سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وكان مكثراً من الحديث، ثقة، صالحاً، عابداً.

وأبو الكرم المبارك بن الفاخر[6] بن محمّد بن يعقوب النحويّ، سمع الحديث من أبي الطيّب الطبريّ، والجوهريّ، وغيرهما، وكان إماماً في النحو واللغة.

---

(١) في (ب): «الفتوح».

(٢) من (ب)، ومن مصادر ترجمته التي ذكرتها في تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٠ هـ.) ص ٣١١، رقم ٣٥٣.

(٣) انظر عن (السرّاج) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٠ هـ.)، ص ٣١٥ ـ ٣١٨ رقم ٣٥٨، وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٤) انظر عن (الشيرازي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٠ هـ.) ص ٣٢٠ ـ ٣٢٣ رقم ٣٦٢ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) انظر عن (ابن الطيوري) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٠ هـ.) ص ٣٢٤ ـ ٣٢٧ رقم ٣٦٥، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٦) انظر عن (المبارك بن الفاخر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٠ هـ.) ص ٣٢٧، ٣٢٨ رقم ٣٦٦، وفي (وفيات ٥٠٥ هـ.) ص ١١٠ رقم ١١٥ وفيهما حشدت مصادر ترجمته.

٥٠١
ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة

ذكر قتل صدقة بن مَزْيد

في هذه السنة، في رجب، قُتل الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دُبَيْس بن مَزْيَد الأَسَديُّ، أمير العرب، وهو الذي بنى الحِلّة السيفية بالعراق، وكان قد عظُم شأنه، وعلا قدره، واتّسع جاهه، واستجار به صغار الناس وكبارهم، فأجارهم.

وكان كثير العناية بأمور السلطان محمّد، والتقوية ليده، والشدّ منه على أخيه بركْيارُق، حتّى إنّه جاهر بركْيارُق بالعداوة، ولم يبرح على مصافاة السلطان محمّد، وزاده محمّد إقطاعاً من جملته مدينة واسط، وأذِنَ له في أخذ البصرة. ثم أفسد ما بينهما العميد أبو جعفر محمّد بن الحسين البلْخيُّ، وقال[١] في جملة ما قال عنه: إنّ صدقة قد عظُم أمره، وزاد حاله، وكثُر إدلاله، ويبسط في الدولة حمايته على كلّ من يفرّ إليه من عند السلطان، وهذا لا تحتمله الملوك لأولادهم، ولو أرسلتَ بعض أصحابك لملك بلاده وأمواله.

ثم إنّه تعدّى ذلك حتّى طعن في اعتقاده، ونسبه وأهل بلده إلى مذهب الباطنيّة، وكذب[٢]، وإنّما كان مذهبه التشيّع لا غير، ووافق أرغونُ السعديُّ أبا جعفر العميد وانتهى ذلك إلى صدقة، وكانت زوجة أرغون بالحِلّة وأهله، فلم يؤآخذهم بشيء ممّا كان له أيضاً هناك [من] بقايا خراجٍ ببلده، فأمر صدقة أن يخلص ذلك إليه[٣] بأجمعه[٤] ويسلّم إلى زوجته.

---

(١) في (ب): «وكان».
(٢) من (ب).
(٣) من الباريسية.
(٤) في الأوربية: «بأجمع».

وأمّا سبب قتله فإنّ صدقة كان، كما ذكرنا، يستجير به كلّ خائف من خليفةٍ وسلطانٍ وغيرهما، وكان السلطان محمّد قد سخط على أبي دُلَف سُرخاب بن كَيخَسْرو، صاحب ساوة وآبة[1]، فهرب منه وقصد صدقة فاستجار به، فأجاره، فأرسل السلطان يطلب من صدقة أن يسلّمه إلى نوّابه، فلم يفعل، وأجاب: إنّني لاأمكّن منه بل أُحامي عنه، وأقول ما قاله أبو طالب لقُريش لمّا طلبوا منه رسول الله ﷺ:

ونُسلِمُه حتّى نُصرَّع حولَه ونَذهَلُ عن أبنائِنا والحلائلِ[2]

وظهر منه أمور أنكرها السلطان، فتوجّه إلى العراق ليتلافى هٰذا الأمر، فلمّا سمع صدقة استشار أصحابه في الذي يفعله، فأشار عليه ابن دُبَيْس بأن ينفذه إلى السلطان ومعه الأموال، والخيل، والتُّحف، ليستعطف له السلطان، وأشار سعيد بن حُمَيْد، صاحب جيش صدقة، بالمحاربة، وجمْع الجُند، وتفريق[3] المال فيهم، واستطال في القول، فمال صدقة إلى قوله، وجمع العساكر، واجتمع إليه عشرون ألف فارس، وثلاثون ألف راجل، فأرسل إليه المستظهر بالله يحذّره عاقبة أمره، وينهاه عن الخروج عن طاعة السلطان، ويعرض له توسّط الحال، فأجاب صدقة: إنّني على طاعة السلطان، لكن لا آمن على نفسي في الاجتماع به؛ وكان الرسول بذلك عن الخليفة نقيب النقباء عليّ بن طِراد الزينبيّ.

ثم أرسل السلطان أقضى القضاة أبا سعيد الهرويَّ إلى صدقة يطيّب قلبه، ويزيل خوفه، ويأمره بالانبساط على عادته، ويعرّفه عزمه على قصد الفرنج، ويأمره بالتجهّز للغزاة معه. فأجاب: إنّ السلطان قد أفسد أصحابُه قلبَه عليّ، وغيّروا حالي معه، وزال ما كان عليه في حقّي من الإنعام؛ وذكَرَ سالف خدمته ومناصحته، وقال سعيد بن حُميد، صاحب جيشه: لم يبقَ لنا في صُلح السلطان مطمع، ولَتَروُنّ[4] خيولنا بحُلوان[5]؛ وامتنع صدقة من الاجتماع بالسلطان.

ووصل السلطان إلى بغداذ في العشرين من ربيع الآخر، ومعه وزيره نظام المُلك أحمد بن نظام المُلك، وسيّر البُرسُقيَّ، شِحنة بغداذ، في جماعة من الأمراء إلى صَرْصَر، فنزلوا عليها.

---

(١) في (ب): «وآوة».

(٢) من قصيدة طويلة في سيرة ابن هشام (بتحقيقنا) ١/٣٠٧.

(٣) من (ب).

(٤) في الأصل مصحّفة «ولىرنر».

(٥) في الأصل مصحّفة «محلون».

وكان وصول السلطان، جريدةً، لا يبلغ عسكره ألفَيْ فارس، فلمّا تيقّن ببغداذ مكاشفة صدقة، أرسل إلى الأمراء يأمرهم بالوصول إليه، والجدّ في السير، وتعجيل ذلك، فوردوا إليه من كلّ جانب.

ثم وصل كتاب صدقة إلى الخليفة، في جمادى الأولى، يذكر أنّه واقف عند ما يُرسم له ويقرَّر من حاله مع السلطان، ومهما أمرتَه[1] من ذلك امتثله؛ فأنفذ الخليفة الكتاب إلى السلطان، فقال السلطان: أنا ممتثل ما يأمر به الخليفة، ولا مخالفة عندي. فأرسل الخليفة إلى صدقة يعرّفه إجابة السلطان إلى ما طلب منه، ويأمره بإنفاذ ثقته ليستوثق له، ويحلف السلطان على ما يقع الاتّفاق عليه. فعاد (صدقة عن ذلك الرأي، وقال: إذا رحل السلطان عن بغداذ)[2] أمددتُه بالمال والرجال، وما يحتاج إليه في الجهاد، وأمّا الآن، وهو ببغداذ، وعسكره بنهر الملك، فما عندي مال ولا غيره، وإنّ جاولي سقاوو، وأيلغازي بن أرتُق، قد أرسلا إليّ بالطاعة لي والموافقة معي على محاربة السلطان وغيره، ومتى أردتُهما وصلا إليّ (في عساكرهما.

وورد إلى)[3] السلطان قِرواش بن شرف الدولة، وكرماوي بن خُراسان التركمانيُّ، وأبو عمران فضل بن ربيعة بن حازم بن الجرّاح الطائيّ، وآباؤه كانوا أصحاب البَلْقَاء والبيت المقدّس منهم: حسّان بن المفرّج الذي مدحه التّهاميّ[4]؛ وكان فضل تارة مع الفرنج، وتارة مع المصريّين، فلمّا رآه طُغتِكين أتابَك على هذه الحال طرده من الشام، فلمّا طرده التجأ إلى صدقة وعاقده، فأكرمه صدقة، وأهدى له هدايا كثيرة منها سبعة آلاف دينار عيناً[5].

فلمّا كانت هذه الحادثة بين صدقة والسلطان سار في الطلائع، ثم هرب إلى السلطان، فلمّا وصل خلع عليه وعلى أصحابه، وأنزله دار صدقة ببغداذ، فلمّا سار السلطان إلى قتال صدقة استأذنه فضل في إتيان البريّة ليمنع صدقة من الهرب إن أراد ذلك، فأذن له، فعبر بالأنبار وكان آخر العهد به.

وأنفذ السلطان في جمادى الأولى إلى واسط الأمير محمّد بن بوقا التركمانيَّ، فأخرج عنها نائب صدقة، وأمّن الناس كلّهم، إلاّ أصحاب صدقة، فتفرّقوا، ولم يُنهب

(١) في (ب): «أمر به».
(٢) في الباريسية: «الجواب بأن السلطان إذا صار بالموصل».
(٣) من (ب).
(٤) انظر ديوان أبي الحسن التهامي، في مدح حسّان ص ١٤٣ و ١٥٥ و ١٩٢ (الطبعة الثانية).
(٥) من الباريسية.

أحد؛ وأنفذ خيله إلى بلد قُوسان، وهو من أعمال صدقة، فنهبه أقبح نهب، وأقام عدّة أيام، فأرسل صدقة إليه ثابت بن سلطان، وهو ابن عمّ صدقة، ومعه عسكر، فلمّا وصلوا إليها خرج منها الأتراك، وأقام ثابت بها، وبينه وبينهم دجلة.

ثم إنّ ابن بوقا عبّر جماعةً من الجُند ارتضاهم، وعرف شجاعتهم، فوقفوا على موضع مرتفع على نهر سالم، يكون ارتفاعه نحو خمسين ذراعاً، فقصدهم ثابت وعسكره فلم يقدروا أن يقربوا الترك من النشّاب، والمدد يأتيهم من ابن بوقا، وجُرح ثابت في وجهه، وكثُر الجراح في أصحابه، فانهزم هو ومَن معه، وتبِعهم الأتراك، فقتلوا منهم وأسروا، ونهب طائفة من الترك مدينة واسِط، واختلط بهم رجّالة ثابت، فنهبت معهم، فسمع ابن بوقا الخبر، فركب إليهم ومنعهم، وقد نهبوا بعض البلد، ونادى في الناس بالأمان، وأقطع السلطان، أواخر جُمادى الأولى، مدينة واسط لقسيم الدولة البُرْسُقيُّ وأمر ابن بوقا قصد بلد صدقة ونهْبه، فنهبوا فيه ما لا يُحدّ.

وأمّا السلطان محمّد، فإنّه سار عن بغداذ إلى الزَّعْفَرانيّة، ثاني جمادى الآخرة[١]، فأرسل إليه الخليفة وزيره مجد الدين بن المطّلب يأمره بالتوقّف، وترْك العجلة خوفاً على الرعيّة من القتل والنهب؛ وأشار قاضي أصبهان بذلك، واتّباع أمر الخليفة، فأجاب السلطان إلى ذلك، فأرسل الخليفة إلى صدقة نقيب النقباء عليَّ بن طِراد، وجمال الدولة مختصّاً الخادم، فسارا إلى صدقة فأبلغاه رسالة الخليفة يأمره بطاعة السلطان، وينهاه عن المخالفة، فاعتذر صدقة، وقال: ما خالفتُ الطاعة، ولا قطعتُ الخطبة في بلدي. وجهّز ابنَهُ دُبَيْساً ليسير معهما إلى السلطان.

(فبينما الرسل)[٢] وصدقة في هذا الحديث، إذ ورد الخبر أنّ طائفة من عسكر[٣] السلطان قد عبروا من مَطيراباذ، وأنّ الحرب بينهم وبين أصحاب صدقة قائمة على ساق، فتجلّد صدقة لأجل الرسل، وهو يشتهي الركوب إلى أصحابه خوفاً عليهم، وكان الرسل إذا سمعوا ذلك ينكرونه لأنهم قد تقدّموا إلى العسكر، عند عبورهم عليهم، أنّه لا يتعرّض أحد منهم إلى حرب، حتّى نعود[٤]، فإنّ الصلح قد قارب. فقال صدقة للرسول: كيف أثق أرسل ولدي الآن، وكيف آمن عليه، وقد جرى ما ترون؟ فإن

(١) في (ب): «الأولى».
(٢) من الباريسية.
(٣) في (ب): «أصحاب».
(٤) في (ب): «يعودوا».

تكفّلتم[1] بردّه إليّ أنفذتُه. فلم يتجاسروا على كفالته، فكتب[2] إلى الخليفة يعتذر عن إنفاذ ولده بما جرى.

وكان سبب هذه الوقعة أنّ عسكر السلطان لمّا رأوا الرسل اعتقدوا وقوع الصلح، فقال بعضهم: الرأي أنّنا ننهب شيئاً قبل الصلح؛ فأجاب البعض وامتنع البعض، فعبر من أجاب النهر، ولم يتأخّر من لم يجب لئلاّ يُنسب إلى خَوَرٍ وجُبن، ولئلاّ يتم على من عبر وهنٌ، فيكون عاره وأذاه عليهم، فعبروا بعدهم أيضاً، فأتاهم أصحاب صدقة وقاتلوهم، فكانت الهزيمة على الأتراك، وقُتل منهم جماعة كثيرة، وأُسر جماعة من أعيانهم وكثير من غيرهم، وغرق جماعة منهم: الأمير محمّد بن ياغي[3] سيان الذي كان أبوه صاحب أنطاكية؛ وكان عمره نيّفاً وعشرين سنة، وكان مُحِبّاً (للعلماء وأهل الدين)[4]، وبنى[5] بإقطاعه من أَذَرْبِيجان عدّة مدارس. ولم يَجسر[6] الأتراك على أن يعرّفوا السلطان بما أُخذ منهم من الأموال والدوابّ خوفاً منه، حيث فعلوا ذلك بغير أمره.

وطمع العرب بهذه الهزيمة، وظهر منهم الفخر والتيه والطمع، وأظهروا أنّهم باعوا كلّ أسير بدينار، وأنّ ثلاثة باعوا أسيراً بخمسة قراريط وأكلوا بها خبزاً وهريسة، وجعلوا ينادون: من يتغدّى بأسير، ويتعشّى بآخر؟ وظهر من الأتراك اضطّراب عظيم.

وأعاد الخليفة مكاتبة صدقة بتحرير أمر الصلح، فأجاب أنّه لا يخالف ما يؤمر به، وكتب صدقة أيضاً إلى السلطان يعتذر ممّا نُقل عنه، ومن الحرب التي كانت بين أصحابه وبين الأتراك، وأنّ جُند السلطان (عبرت إلى)[7] أصحابه، فمنعوا عن أنفسهم بغير علمه، وأنّه لم يحضر الحربَ، ولم ينزع يداً من طاعة، ولا قطع خطبته من بلده.

ولم يكن صدقة كاتبه قبل هذا الكتاب، فأرسل الخليفة نقيب النقباء، وأبا سعد الهرويَّ إلى صدقة، (فقصدا السلطان أوّلاً، وأخذا يده بالأمان لمن يقصده من أقارب صدقة، فلمّا وصلا إلى صدقة)[8] وقالا له عن الخليفة: إنّ إصلاح قلب السلطان

---

(١) في الأوربية: «تكلّفتم».
(٢) في (ب): «فأرسل».
(٣) في الأصل: «ناغي»، وفي طبعة صادر ١٠/ ٤٤٥ «ياغي».
(٤) في (ب): «للعلم والدين».
(٥) في الأوربية: «وبنا».
(٦) في (ب): «يتجاسر».
(٧) في (ب): «عزوا».
(٨) من الباريسية.

موقوف على إطلاق الأسرى، وردّ جميع ما أُخذ من العسكرالمنهزم، فأجاب أوّلاً بالخضوع والطاعة، ثم قال: لو قدرتُ على الرحيل من بين يدي السلطان فعلتُ، لكن ورائي مِن ظهري، وظهر أبي وجدّي، ثلاثمائة امرأة، ولا يحملهنّ مكان، ولو علمتُ أنّني إذا جئتُ السلطانَ مستسلماً قبلني واستخدمني لفعلتُ، لكنّني أخاف أنّه لا يُقيل عثرتي[1]، ولا يعفو عن زلّتي.

وأمّا ما نُهب فإنّ الخلق كثير، وعندي من لا أعرفه، وقد نهبوا ودخلوا البرّ، فلا طاقة لي عليهم، ولكنْ إن كان السلطان لا يعارضني فيما في يدي، ولا فيمن أجرتُه، وأن يقرّ سُرخاب بن كَيْخسرو على إقطاعه بساوة، وأن يتقدّم إلى ابن بوقا بإعادة ما نهب من بلادي، وأن يخرج وزير الخليفة يحلّفه بما أثق به من الأيمان على المحافظة فيما بيني وبينه، فحينئذ أخدم بالمال، وأدوس بساطه بعد ذلك.

فعادوا بهذا، ومعهم أبو منصور بن معروف رسول صدقة، فردّهم الخليفة، وأرسل السلطان معهم قاضي أصبهان أبا إسماعيل، فأمّا أبو إسماعيل فلم يصل إليه، وعاد من الطريق، وأصرّ صدقة على القول الأوّل. فحينئذ سار السلطان، ثامن رجب، من الزعفرانيّة، وسار صدقة في عساكره إلى قرية مَطَر، وأمر جنده بلبس السلاح، واستأمن ثابت بن سلطان بن دُبَيْس بن عليّ بن مَزْيَد، وهو ابن عمّ صدقة، إلى السلطان محمّد، وكان يحسد صدقة، وهو الذي تقدّم ذكره أنّه كان بواسط، فأكرمه السلطان، وأحسن إليه، ووعده الإقطاع.

ووردت العساكر إلى السلطان منهم: بنو بُرْسُق، وعلاء الدولة أبو كاليجار كرشاسب بن عليّ بن فرامرز، (أبي جعفر بن كاكاوَيْه وآباؤه كانوا أصحاب أصبهان، وفرامرز)[2] هو الذي سلّمها إلى طُغرلبك، وقُتل أبوه مع تُتُش.

وعبر عسكر السلطان دجلة، ولم يعبر هو، فصاروا مع صدقة على أرض واحدة، بينهما نهر، والتقوا تاسع عشر رجب، وكانت الريح في وجوه أصحاب السلطان، فلمّا التقوا صارت في ظهورهم، وفي وجوه أصحاب صدقة، ثم إنّ الأتراك رموا بالنشاب، فكان يخرج في كلّ رشقة عشرة آلاف نشّابة، فلم يقع سهم إلاّ في فرس أو فارس، وكان أصحاب صدقة كلّما حملوا منعهم النهر من الوصول إلى الأتراك والنشّاب، ومن عبر منهم لم يرجع، وتقاعدت عُبادة وخَفاجة، وجعل صدقة ينادي: يا آل خزيمة، يا آل

---

(١) في (ب): «عذري».

(٢) من (ب).

ناشرة، يا آل عوف؛ ووعد الأكراد بكلّ جميل لما ظهر من شجاعتهم، وكان راكباً على فرسه المهلوب[(١)]، ولم يكن لأحدٍ مثله، فجُرح الفَرَس ثلاث[(٢)] جِراحات، وأخذه الأمير أحمديل[(٣)] بعد قتل صدقة، فسيّره إلى بغداذ في سفينة، فمات في الطريق.

وكان لصدقة فَرَس آخر قد ركبه حاجبه أبو نصر بن تُفّاحة، فلمّا رأى الناس وقد غشوا صدقة هرب عليه، فناداه صدقة، فلم يُجِبه، وحمل صدقة على الأتراك، وضربه غلام منهم على وجهه فشوّهه، وجعل يقول: أنا ملك العرب، أنا صدقة! فأصابه سهم في ظهره، وأدركه غلام اسمه بزغش، كان أشلّ، فتعلّق به، وهو لا يعرفه، وجذبه عن فرسه، فسقط إلى الأرض هو والغلام، فعرفه صدقة، فقال: يا بزغش ارفِقْ. فضربه بالسيف فقتله، وأخذ رأسه وحمله إلى البُرْسُقيّ، فحمله إلى السلطان، فلمّا رآه عانقه[(٤)]، وأمر لبزغش بصلةٍ.

وبقي صدقة طريحاً إلى أن سار السلطان، فدفنه إنسان من المدائن. وكان عمره تسعاً[(٥)] وخمسين سنة، وكانت إمارته إحدى وعشرين سنة، وحُمل رأسه إلى بغداذ، وقُتل من أصحابه ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس، فيهم جماعة من أهل بيته، وقُتل من بني شيبان خمسة[(٦)] وتسعون رجلاً، وأُسر ابنه دُبَيْس بن صدقة، وسُرخاب بن كَيخسرو الديلميُّ الذي كانت هذه الحرب بسببه، فأُحضر بين يدي السلطان، فطلب الأمان، فقال: قد عاهدتُ الله أنّني لا أقتل أسيراً، فإنْ ثبت عليك أنّك باطنيّ قتلتُك؛ وأُسر سعيد بن حُمَيد العمريُّ، صاحب جيش صدقة. وهرب بدران بن صدقة إلى[(٧)] الحِلّة، فأخذ من المال وغيره ما أمكنه، وسيّر أمّه ونساءه إلى البطيحة إلى مهذّب الدولة أبي العبّاس أحمد بن أبي الجبر، وكان بدران صهر مهذب الدولة على ابنته، ونُهب من الأموال ما لا حدّ عليه.

وكان له من الكتب المنسوبة الخطّ شيء كثير، ألوف مجلّدات، وكان يحسن يقرأ، ولا يكتب، وكان جواداً، حليماً، صدوقاً، كثير البِرّ والإحسان، ما برح ملجأ

---

(١) في (ب): «المهلوف».
(٢) من (ب).
(٣) في (ب): «أحمد بك».
(٤) من الباريسية.
(٥) في الأوربية: «تسع».
(٦) في الأوربية: «خمس».
(٧) في (ب): «من».

لكلّ ملهوفٍ، يلقى من يقصده بالبرّ والتفضّل، ويبسط قاصديه، ويزورهم، وكان عادلاً، والرعايا معه في أمن ودعة، وكان عفيفاً لم يتزوج على امرأته، ولا تسرّى عليها، فما ظنك بغير هذا؟ ولم يصادر أحداً من نوّابه، ولا أخذهم بإساءةٍ قديمة، وكان أصحابه يودعون أموالهم[1] في خزانته، ويُدلّون عليه إدلال الولد على الوالد، ولم يُسمع برعيّة أحبّتْ أميرها (كحبّ رعيّته له)[2].

وكان متواضعاً، محتملاً، يحفظ الأشعار، ويبادر إلى النادرة، رحمه الله، لقد كان من محاسن الدنيا.

وعاد السلطان إلى بغداذ، ولم يصل إلى الحِلّة، وأرسل إلى البطيحة أماناً لزوجة صدقة، وأمرها بالظهور، فأصعدت إلى بغداذ، فأطلق السلطان ابنها دُبَيْساً، وأنفذ معه جماعة من الأمراء إلى لقائها، فلمّا لقيها ابنها بكيا بكاء شديداً، ولمّا وصلت إلى بغداذ أحضرها السلطان، واعتذر من قتْل زوجها، وقال: وددتُ أنّه حُمل إليّ حتّى كنتُ أفعل معه ما يعجَب الناس به من الجميل والإحسان، لكنّ الأقدار غلبتْني. واستحلف ابنها دُبَيساً أنّه لا يسعى بفساد[3].

ذكر وفاة تميم بن المعزّ صاحب إفريقية وولاية ابنه يحيى

في هذه السنة، في رجب، توفّي تميم بن المعزّ بن باديس، صاحب إفريقية، وكان شهماً، شجاعاً، ذكيّاً، له معرفة حسنة، وكان حليماً، كثير العفو عن الجرائم العظيمة، وله شِعر حسن، فمنه أنّه وقعت حرب بين طائفتَيْن من العرب، وهم عَديّ، ورياح، فقُتل رجل من رياح، ثم اصطلحوا، وأهدروا دمه، وكان صُلحهم ممّا يضرّ به وببلادِه، فقال أبياتاً يحرّض على الطلب بدمه، وهي:

مـتَـى كـانَـتْ دِمَـاؤُكُـمْ تُـطَـلُّ ... أَمَـا فِـيـكُـمْ بـثـأرٍ مُـسْـتَـقِـلُّ

أغـانـمُ ثـمّ سـالـمُ إن فَـشِـلْـتُـمْ ... فَـمـا كـانـت أوائـلـكـم تـذِلُّ

---

(١) في الأوربية: «أمواله».

(٢) في (ب): «مثله».

(٣) تاريخ حلب ٣٦٣ (٢٩)، المنتظم ٩/١٥٦، ١٥٧ (١٧/١٠٨، ١٠٩)، الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٠٧، ذيل تاريخ دمشق ١٥٩، تاريخ الفارقي ٢٧٤، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/٢٥، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٢٢، ٢٢٣، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٧، دول الإسلام ٢/٢٩، ٣٠، العبر ٤/١، تاريخ ابن الوردي ٢/١٨، ١٩، مرآة الجنان ٣/١٦٩، البداية والنهاية ١٢/١٦٩، تاريخ ابن خلدون ٥/٣٨، النجوم الزاهرة ٥/١٩٦، شذرات الذهب ٤/٢، وانظر ترجمة (صدقة) ومصادرها في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠١ هـ.) ص ٤٦، ٤٧ رقم ١١.

وَنِمتُمْ عن طِلابِ الثأرِ حتّى كأنّ العِزَّ فيكم مُضمَحِلُّ
وما كسّرتُمُ فيه العَوالي ولا بِيضٌ تُفَلُّ ولا تُسَلُّ

فعمد إخوة المقتول فقتلوا أميراً من عديّ، واشتدّ بينهم القتال، وكثُرت القتلى، حتّى أخرجوا بني عديّ من إفريقية.

قيل: إنّه اشترى جارية بثمن كثيرٍ فبلغه أنْ مولاها الذي باعها ذهب عقله وأسف على فراقها، فأحضره تميم إلى بين يدَيه، وأرسل الجارية إلى داره، ومعها من الكسوات، والأواني الفضّة، وغيرها، ومن الطيّب، وغيره، شيء كثير، ثم أمر مولاها بالانصراف، وهو لا يعلم بذلك، فلمّا وصل إلى داره ورآها على تلك الحال وقع مَغشِيّاً عليه لكثرة سروره، ثم أفاق. فلمّا كان الغد أخذ الثمن، وجميع ما كان معها، وحمله إلى دار تميم، فانتهره، وأمره بإعادة جميع ذلك إلى داره.

وكان له في البلاد أصحاب أخبار يُجري عليهم أرزاقاً سنيّة ليطالعوه بأحوال أصحابه لئلاّ يظلموا الناس، فكان بالقَيروان تاجر له مال وثروة، فذكر في بعض الأيّام التجّار تميماً، ودعوا له، وذلك التاجر حاضر، فترحّم على أبيه المعزّ، ولم يذكره، فرُفع ذلك إلى تميم، فأحضره إلى قصره وسأله: هل ظلمتُك؟ فقال: لا! قال: فهل ظلمك بعض أصحابي؟ قال: لا، قال: فَلِمَ أطلقت لسانك أمس بذمّي؟ فسكت، فقال: لولا أن يقال شَرِهَ في ماله لقتلتُك؛ ثم أمر به فصُفع في حضرته قليلاً[1]، ثم أطلقه فخرج، وأصحابه ينتظرونه، فسألوه عن خبره، فقال: أسرار الملوك لا تذاع؛ فصارت بإفريقية مثلاً.

ولمّا توفّي كان عمره تسعاً[2] وسبعين سنة، وكانت ولايته ستّاً[3] وأربعين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً، وخلّف من الذكور ما يزيد على مائة، ومن البنات ستّين بنتاً، ولمّا توفّي ملك بعده ابنه يحيى بن تميم، وكانت ولادته بالمهديّة لأربع بقين من ذي الحجّة سنة سبْعٍ وخمسين وأربعمائة، وكان عمره حين وليَ ثلاثاً[4] وأربعين سنة وستة أشهر وعشرين يوماً، ولمّا وليَ فرّق أموالاً جزيلة، وأحسن السيرة في الرعيّة[5].

---

(١) من (ب).
(٢) في الأوربية: «تسع».
(٣) في الأوربية: «ست».
(٤) في الأوربية: «ثلاث».
(٥) انظر عن (تميم بن المعزّ) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠١ هـ.) ص ٤٣ ـ ٤٥ رقم ٧، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

ذكر ملك يحيى قلعة قُلَيبية

لمّا ملك يحيى بن تميم بعد أبيه، جرّد عسكراً كثيفاً إلى قلعة قُلَيبية، وهي من أحصن قلاع إفريقية، فنزل عليها، وحصرها حصاراً شديداً، ولم يبرح حتّى فتحها وحصّنها، وكان أبوه تميم قد رام فتحها، فلم يقدر على ذلك، ولم يزل مظفّراً، منصوراً، لم يُهْزم له جيش.

ذكر قدوم ابن عمّار بغداذ مستنفراً

في هذه السنة، في شهر رمضان، وردّ القاضي فخر المُلك أبو عليّ بن عمّار، صاحب (طرابلس الشام، إلى بغداذ، قاصداً باب السلطان محمّد، مستنفراً)[1] على الفرنج، طالباً تسيير العساكر لإزاحتهم، والذي حثّه على ذلك أنّه لمّا طال حصر الفرنج لمدينة طرابلس، على ما ذكرناه، ضاقت عليه الأقوات وقلّت، واشتدّ الأمر عليه وعلى أهل البلد، فمنّ الله عليه، سنة خمسمائة، بميرة في البحر من جزيرة قبرس، وأنطاكية، وجزائر البنادقة، فاشتدّت قلوبهم وقووا على حفظ البلد، بعد أن كانوا استسلموا.

فلمّا بلغ فخر المُلك انتظام الأمور للسلطان محمّد وزوال كلّ مخالفٍ رأى لنفسه وللمسلمين قصده والانتصار[2] به، فاستناب بطرابلس ابن عمّه ذا المناقب[3]، وأمره بالمقام بها، ورتّب معه الأجناد برّاً وبحراً، وأعطاهم جامكيّة ستّة أشهر سلفاً، وجعل كلّ موضع إلى من يقوم بحفظه، بحيث أنّ ابن عمّه لا يحتاج إلى فعل شيء من ذلك، وسار إلى دمشق، فأظهر ابن عمّه الخلاف له، والعصيان عليه، (ونادى بشعار المصريّين؛ فلمّا عرف فخر المُلك ذلك كتب إلى أصحابه يأمرهم بالقبض عليه)[4]، وحَمْله إلى حِصن الخوابي، ففعلوا ما أمرهم.

وكان ابن عمّار قد استصحب معه من الهدايا ما لم يوجد عند ملك مثله من الأعلاق النفيسة، والأشياء الغريبة، والخيل الرائقة، فلمّا وصلها لقيه عسكرها، وطُغتِكين أتابَك، وخيّم على ظاهر البلد، وسأله طُغتِكين الدخول إليه، فدخل يوماً واحداً إلى الطعام، وأدخله حمّامَه، وسار عنها ومعه ولد طُغتِكين يشيّعه.

---

(١) من (ب).

(٢) في (ب): «والاستنصار».

(٣) وقيل: «أبو المناقب»، وقيل «عمّه». انظر حول ذلك في كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٤) من (ب).

فلمّا وصل إلى بغداذ أمر السلطان الأمراء كافّة[1] بتلقيه وإكرامه، وأرسل إليه شبّارته[2] وفيها دَسْته الذي يجلس عليه ليركب فيها، فلمّا نزل إليها قعد بين يدي موضع السلطان، فقال له من بها من خواصّ السلطان: قد أُمرنا أن يكون جلوسك في دَسْت السلطان؛ فلمّا دخل على السلطان أجلسه، وأكرمه، وأقبل عليه بحديثه[3].

وسيّر الخليفة خواصّه، وجماعة أرباب المناصب، فلقوه، وأنزله الخليفة وأجرى عليه الجراية العظيمة، وكذلك أيضاً فعل السلطان، وفعل معه ما لم يفعل مع الملوك الذين معهم أمثاله، وهذا جميعه ثمرة الجهاد في الدنيا، ولأجْرُ الآخرة أكبر.

ولـمّا اجتمع بالسلطان قدّم هديته، وسأله السلطان عن حاله، وما يعانيه في مجاهدة الكفّار، ويقاسيه من ركوب الخطوب في قتالهم، فذكر له حاله، وقوّة عدوّه، وطول حصره، (وطلب النجدة)[4]، وضمن أنّه إذا سُيّرت العساكر معه أوصل إليهم جميع ما يلتمسونه، فوعده السلطان بذلك، وحضر دار الخلافة، وذكر أيضاً نحواً ممّا ذكره عند السلطان، وحمل هدية جميلة نفيسة، وأقام إلى أن رحل السلطان عن بغداذ في شوّال، فأحضره عنده بالنهروان، وقد تقدّم إلى الأمير حسين بن أتابك قتلغ تكين ليسيّر معه العساكر التي سيّرها إلى الموصل مع الأمير مودود لقتال جاولي سقاوو، ليمضوا معه إلى الشام، وخلع عليه السلطان خِلعاً نفيسة، وأعطاه شيئاً كثيراً، وودّعه، وسار ومعه الأمير حسين فلم يُجْدِ ذلك نفعاً[5]، وكان ما نذكره بعدُ إن شاء الله تعالىٰ.

ثم إنّ فخر المُلك بن عمّار عاد إلى دمشق منتصف المحرّم سنة اثنتين وخمسمائة، فأقام بها أيّاماً، وتوجّه منها مع عسكرٍ من دمشق إلى جَبلَة، فدخلها وأطاعه أهلها[6].

---

(١) في الأوربية: «كافّة الأمراء».

(٢) الشبّارة: المركبة التي تُحمل على الأكتاف ويجلس فيها السلطان وخواصّه.

(٣) في (ب): «بخدمته».

(٤) من (ب).

(٥) تاريخ حلب ٣٦٣ (٢٩)، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٤٣، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٦٥، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٣، دول الإسلام ٢/ ٣٠، تاريخ الإسلام ٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٩، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٨، ٣٩، كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري ١/ ٤٢٥ ـ ٤٢٩، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ٢٢١ ـ ٢٢٥.

(٦) في الأوربية: «أهله». والخبر في: الإعتبار لابن منقذ ٩٦، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٦٧، ومرآة الزمان (مخطوط) ج ١٢ ق ٣/ ورقة ٢٦٠ ب، والأعلاق الخطيرة ٢/ ١١١، وتاريخ ابن الفرات ٨/ ٧٨، وتاريخ طرابلس ١/ ٤٢٩، ولبنان من السيادة الفاطمية ٢٢٥.

وأمّا أهل طرابلس، فإنّهم راسلوا الأفضل أمير الجيوش بمصر يلتمسون منه والياً يكون عندهم، ومعه الميرة في البحر، فسيّر إليهم شرفَ الدولة بن أبي الطيّب[1] والياً، ومعه الغلّة ممّا تحتاج إليه البلاد في الحصار، فلمّا صار فيها قبض على جماعة من أهل ابن عمّار وأصحابه، وأخذ ما وجده من ذخائره وآلاته وغير ذلك، وحمل الجميع إلى مصر في البحر[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في شعبان، أطلق السلطان محمّد الضرائب والمكوس[3]، ودار البيع، والاجتيازات، وغير ذلك ممّا يناسبه بالعراق، وكتُبت به الألواح، وجُعلت في الأسواق[4].

وفيها، في شهر رمضان، وليَ القاضي أبو العباس بن الرّطبي الحسبة ببغداذ[5].

وفيه أيضاً عزل الخليفة وزيره مجد الدين بن المطّلب برسالة من السلطان بذلك، ثم أُعيد إلى الوزارة بإذن السلطان[6]، وشرطه عليه شروطاً منها: العدل، وحسن السيرة، وأن لا يستعمل أحداً من أهل الذمّة[7].

وفيها عاد أصبهبذ صباوة من دمشق، وكان هرب عند قتل إياز، فلمّا قدِم أكرمه السلطان، وأقطعه رَحْبة مالك بن طَوْق.

وفيها، سابع شوّال، خرج السلطان إلى ظاهر بغداذ، عازماً على العود[8] إلى أصبهان، وكان مُقامه هذه المرّة خمسة أشهر وسبعة عشر يوماً.

---

(١) انظر الروايات حول اسمه في كتابنا: تاريخ طرابلس ١/ ٤٣٠، ولبنان من السيادة الفاطمية ٢٢٦.

(٢) ذيل تاريخ دمشق ١٦١، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٦٥، إتعاظ الحنفا ٣/ ٢٨، مرآة الزمان (مخطوط) ج ١٢ ق ٣/ ورقة ٢٦٠ ب، أخبار مصر ٢/ ٤٣، نثر الجمان للفيومي (مخطوط) ٢١/ ورقة ٣١٨ أ، تاريخ ابن الفرات ٨/ ٧٨، الأعلاق الخطيرة ج ٢ ق ٢/ ١١٠، مرآة الزمان (المطبوع) ج ٨ ق ١/ ٤٥ (حوادث ٥٠٧ هـ).

(٣) من الباريسية.

(٤) المنتظم ٩/ ١٥٥، ١٥٦ (١٧/ ١٠٧، ١٠٨، ذيل تاريخ دمشق ١٦٢، نهاية الأرب ٢٦/ ١٦٨)، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠١ هـ.) ص ٨.

(٥) المنتظم ١٧/ ١٠٩.

(٦) في (ب) زيادة: «محمد».

(٧) المنتظم ١٧/ ١٠٩.

(٨) في (ب): «الغزو».

وفيها، في ذي الحجّة، احترقت خرابة ابن جردة، فهلك فيها كثير من الناس، وأمّا الأمتعة، والأموال، وأثاث البيوت، فهلك ما لا حدّ عليه، وخلص خلق بنقب نقبوه في سور المحلّة إلى مقبرة (باب أبرز)[١]، وكان بها جماعة من اليهود، فلم ينقلوا شيئاً لتمسّكهم بسبتهم؛ وكان بعض أهله قد عبّروا إلى الجانب الغربيّ للفرجة، على عادتهم في السبت الذي يلي العيد، فعادوا فوجدوا بيوتهم قد خربت، وأهلهم قد احترقوا، وأموالهم قد هلكت.

ثم تبِع ذلك حريق في عدّة أماكن منها: درب القيّار، وقراح ابن رَزِين[٢]، فارتاع الناس لذلك، وبطّلوا معايشهم، وأقاموا ليلاً ونهاراً يحرسون بيوتهم في الدروب، وعلى السطوح، وجعلوا عندهم الماء المُعَدّ لإطفاء النار، فظهر أنّ سبب هذا الحريق أنّ جارية أحبّتْ رجلاً، فوافقته على المبيت عندها في دار مولاها سِرّاً، وأعدّت له ما يسرقه إذا خرج، ويأخذها هي أيضاً معه، فلمّا أخذها طرحَا النار في الدار، فخرجا، فأظهر الله عليهما، وعجّل الفضيحة لهما، فأُخذا وحُبسا[٣].

وفيها جمع بغدوين ملك الفرنج عسكره وقصد مدينة صور وحصرها، وأمر ببناء حصن عندها، على تلّ المَعشوقة، وقام شهراً محاصراً لها، فصانعه واليها على سبعة آلاف دينار، فأخذها ورحل عن المدينة[٤].

وقصد مدينة صيدا، فحصرها برّاً وبحراً ونصب عليها البرج الخشب، ووصل الأسطول المصريُّ في الدفع عنها، والحماية لمن فيها، فقاتلهم أُسطول الفرنج، فظهر المسلمون عليهم، (فاتّصل بالفرنج)[٥] مسير عسكر دمشق نجدةً لأهل صيدا، فرحلوا عنها بغير فائدة[٦].

---

(١) في (ب): «بإزائه».

(٢) في الأوربية: «زرين».

(٣) المنتظم ١٧/ ١٠٩.

(٤) انظر عن حصار صور في: تاريخ حلب ٣٦٣ (٢٩)، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢٥، وفيه: (تل المعسوفة»، وأخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٤٢، ٤٣، ودول الإسلام ٢/ ٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ٥٠١ هـ.) ص ٨، ٩، والإعلام والتبيين ١٧، واتعاظ الحنفا ٣/ ٣٨، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية ٢٧٧ و ٢٨٦.

(٥) في الباريسية: «مظهر للفرنج».

(٦) انظر عن حصار صيدا في: ذيل تاريخ دمشق ١٦٢، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢٥، ودول الإسلام ٢/ ٣٠، وتاريخ الإسلام ٩، والإعلام والتبيين ١٧، واتعاظ الحنفا ٣/ ٤٣، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية ٢٧٧، ٢٧٨.

وفيها ظهر كوكب عظيم له ذوائب، فبقي لياليَ[1] كثيرة ثم غاب.

[الوفيات]

توفّي في هذه السنة، في شعبان، إبراهيم بن ميّاس[2] بن مهدي أبو إسحاق القشيريُّ الدمشقيُّ، سمع الحديث الكثير من الخطيب البغداذيّ وغيره.

وتوفّي في ذي القعدة أبو سعيد[3] إسماعيل بن عمرو بن محمّد النَّيسابوريُّ المحدّث، كان يقرأ الحديث للغرباء، قرأ «صحيح مسلم» على عبد الغافر الفارسيّ عشرين مرّة.

(١) في الأوربية: «ليال».
(٢) انظر عن (ابن ميّاس) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠١ هـ.) ص ٤١ رقم ٤، وفيه مصادر ترجمته.
(٣) في الباريسية: «أبو سعد». والمثبت هو الصحيح كما في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠١ هـ.) ص ٤٢ رقم ٥، وفيه مصادر ترجمته.

٥٠٢
ثم دخلت سنة اثنتين وخمسمائة

ذكر استيلاء مودود وعسكر السلطان على الموصل وولاية مودود[١]

في هذه السنة، في صفر، استولى مودود والعسكر الذي أرسله السلطان معه، على مدينة الموصِل، وأخذوها من أصحاب جاولي سقاوو، وقد ذكرنا سنة خمسمائة استيلاء جاولي عليها، وما جرى بينه وبين جَكَرمِش، والملك قِلج أرسلان، وهلاكهما على يده، وصار معه بعد ذلك العسكر الكثير، والعدّة التامّة، والأموال الكثيرة، وكان السلطان محمّد قد جعل إليه ولاية كلّ بلد يفتحه، فاستولى على كثير من البلاد والأموال.

وكان سبب أخذ البلاد منه: أنّه لمّا استولى عليها، وعلى الأموال الكثيرة منها، لم يحمل إلى السلطان منها شيئاً، فلمّا وصل السلطان (إلى بغداذ)[٢]، لقصْد بلاد سيف الدولة صدقة، أرسل إلى جاولي يستدعيه إليه بالعساكر، وكرّر الرسل إليه، فلم يحضر، وغالط في الانحدار إليه، وأظهر أنّه (يخاف أن يجتمع به، ولم يقنَعْ بذلك، حتّى كاتب صدقةَ، وأظهر له أنّه)[٣] معه، ومُساعده على حرب السلطان، وأطمعه في الخلاف والعصيان.

فلمّا فرغ السلطان من أمر صدقة، وقتله، كما ذكرناه، تقدّم إلى الأمراء بني بُرسُق، وسكمان القُطْبيّ، ومودود بن ألْتونتِكين، وآقسنقَر البُرسُقيّ، ونصر بن مُهلهل بن

(١) من الباريسية.
(٢) من (ب).
(٣) من (ب).

أبي الشوك الكرديّ، وأبي الهيجاء، صاحب إربل، بالمسير إلى الموصِل، وبلاد جاولي، وأخذها منه، فتوجّهوا نحو الموصِل، فوجدوا جاولي عاصياً قد شيّد سور الموصل، وأحكم ما بناه جَكَرمِش، وأعدّ الميرة والأقوات والآلات، واستظهر على الأعيان بالموصل، فحبسهم، وأخرج من أحداثها ما يزيد على عشرين ألفاً، ونادى: متى اجتمع عاميّان على الحديث في هذا الأمر قتلتُهما؛ وخرج عن البلد، ونهب السواد.

وترك بالبلد زوجته ابنة بُرسُق، وأسكنها القلعة، ومعها ألف وخمسمائة فارس من الأتراك، سوى غيرهم، وسوى الرجّالة، ونزل العسكر عليها في شهر رمضان سنة إحدى وخمسمائة، وصادرت زوجته مَن بقي بالبلد، وعسفت نساء الخارجين عنه، وبالغت في الاحتراز عليهم، فأوحشهم ذلك، ودعاهم إلى الانحراف عنها، وقوتل أهل البلد قتالاً متتابعاً[١]، فتمادى الحصار بأهلها من خارج، والظلم منْ داخل إلى آخر المحرّم، والجُند بها يمنعون عاميّاً من القرب من السور.

فلمّا طال الأمر على الناس، اتّفق نفر من الجصّاصين، ومقدّمهم جصّاص يُعرف بالسعدي، على تسليم البلد، وتحالفوا على التساعد[٢]، وأتوا وقت صلاة الجمعة، والناس بالجامع، وصعدوا برجاً، وأغلقوا أبوابه، وقتلوا من به من الجُند، وكانوا نياماً، فلم يشعروا بشيء، حتّى قُتلوا، وأخذوا سلاحهم، وألقوهم إلى الأرض، وملكوا برجاً آخر.

ووقعت الصيحة، وقصدهم مائتا فارس من العسكر، ورموهم بالنشّاب، وهم يقاتلون، وينادون بشعار السلطان، فزحف عسكر السلطان إليهم، ودخلوا البلد من ناحيتهم، وملكوه، ودخله الأمير مودود، ونودي بالسكون والأمن، وأن يعود الناس إلى دورهم وأملاكهم، وأقامت زوجة جاولي بالقلعة ثمانية أيّام، وراسلت الأمير مودود في أن يفرج لها عن طريقها، وأن يحلف لها على الصيانة والحراسة، فحلف، وخرجت إلى أخيها (برسق بن)[٣] برسق، ومعها أموالها وما استولت عليه، (ووليَ مودود الموصل وما ينضاف إليها)[٤].

---

(١) في (ب): «شديداً».

(٢) في (ب): «المساعدة».

(٣) من الباريسية.

(٤) من الباريسية، والخبر في: التاريخ الباهر ١٦، ١٧، وتاريخ الفارقي ٢٧٥، وتاريخ الزمان لابن العبري ١٢٠، وتاريخ مختصر الدول، له ١٩٩، والروضتين ٦٨/١، والمختصر في أخبار البشر ٢٢٣/٢، =

ذكر حال جاولي مدّة الحصار

وأمّا جاولي فإنّه لمّا وصل[1] عسكر السلطان إلى الموصل، وحصرها، سار عنها، وأخذ معه القُمّص، صاحب الرُّها، الذي كان قد أسره سُقمان وأخذه منه جَكَرمِش، وقد ذكرنا ذلك، وسار إلى نَصِيبين، وهي حينئذ للأمير إيلغازي بن أُرتُق، وراسله، وسأله الاجتماع به، واستدعاه إلى مُعاضدته، وأن يكونا يداً واحدة، وأعلمه أنّ خوفهما من السلطان ينبغي أن يجمعهما على الاحتماء منه. فلم يجبه إيلغازي إلى ذلك، ورحل عن نَصِيبين، ورتّب بها ولده، وأمره بحفظها من جاولي، وأن يقاتله إن قصده، وسار إلى ماردين.

فلمّا سمع جاولي ذلك عدل عن نَصِيبين، وقصد دارا، وأرسل إلى إيلغازي ثانياً في المعاني، وسار بعد الرسول، فبينما رسوله عند إيلغازي بماردين، لم يشعر إلاّ وجاولي معه في القلعة وحده، وقصد أن يتألّفه ويستميله، فلمّا رآه إيلغازي قام إليه وخدمه؛ ولمّا رأى جاولي مُحْسناً للظن فيه، غير مستشعرٍ منه، لم يجد إلى دفعه سبيلاً، فنزل معه، وعسكرا بظاهر نَصِيبين، وسارا منها إلى سِنجار، وحاصراها مدّةً، فلم يجبهما صاحبها إلى صُلح، فتركاه وسارا نحو الرَّحبة، وإيلغازي يُظهر لجاولي المساعدة، ويبطن الخلاف، وينتظر فرصة لينصرف عنه، فلمّا وصلا إلى عرابان، من الخابور، هرب إيلغازي ليلاً وقصد نَصِيبين.

ذكر إطلاق جاولي للقُمّص الفرنجيّ

لمّا هرب إيلغازي من جاولي سار جاولي إلى الرَّحبة، فلمّا وصل إلى مَاكِسِينَ أطلق القُمّص الفرنجيّ، الذي كان أسيراً بالموصل، وأخذه معه، واسمه بردويل، وكان صاحب الرُّها وسَروج وغيرهما، وبقي في الحبس إلى الآن، وبذل الأموال الكثيرة، فلم يُطْلَقْ، فلمّا كان الآن أطلقه جاولي، وخلع عليه، وكان مُقامه في السجن ما يقارب خمس سنين، وقرّر عليه أن يفدي نفسه بمالٍ، وأن يطلق أسرى المسلمين الذين في سجنه، وأن ينصره متى أراد ذلك منه بنفسه وعسكره وماله.

فلمّا اتّفقا على ذلك سيّر القُمّص إلى قلعة جَعْبَر، وسلّمه إلى صاحبها سالم بن

= ونهاية الأرب ٣٦٩/٢٦، والعبر ٣/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٢ هـ.) ص ١٠، وتاريخ ابن الوردي ١٩/٢، والدرّة المضية ٤٧٢، وتاريخ ابن خلدون ٣٩/٥.

(١) في الباريسية: «قصد».

مالك، حتّى ورد عليه ابن خالته جُوسلين، وهو من فرسان الفرنج وشجعانها، وهو صاحب تَلّ باشِر وغيره، وكان أُسر مع القمّص في تلك الوقعة، ففدى نفسه بعشرين ألف دينار، فلمّا وصل جوسلين إلى قلعة جَعْبَر أقام رهينةً عوض القمّص، وأُطلق القمّص، وسار إلى أنطاكية، وأخذ جاولي جوسلين من قلعة جَعْبَر فأطلقه، وأخذ عوضه أخا زوجته، وأخا زوجة القمّص، وسيّره إلى القمّص ليقوى به، وليحثّه على إطلاق الأسرى، وإنفاذ المال وما ضمنه، فلمّا وصل جوسلين إلى مَنبِج أغار عليها ونهبها، وكان معه جماعة من أصحاب جاولي، فأنكروا عليه ذلك، ونسبوه إلى الغدر، فقال: إنّ هذه المدينة ليست لكم[1].

ذكر ما جرى بين هذا القُمّص وبين صاحب أنطاكية

لمّا أُطلق القمّص وسار إلى أنطاكية أعطاه طَنْكري[2] صاحبها ثلاثين ألف دينار، وخيلاً، وسلاحاً، وثياباً، وغير لك؛ وكان طَنكري قد أخذ الرُّها من أصحاب القمّص حين أُسر، فخاطبه الآن في ردّها عليه، فلم يفعل، فخرج من عنده إلى تلّ باشر، فلمّا قدم عليه جوسلين، وقد أطلقه جاولي، سرّه ذلك، وفرح به.

وسار إليهما طَنْكري، صاحب أنطاكية، بعساكره ليحاربهما، قبل أن يقوى أمرهما، ويجمعا عسكراً، ويلتحق بهما جاولي وينجدهما، فكانوا يقتتلون، فإذا فرغوا من القتال اجتمعوا وأكل بعضهم مع بعض وتحادثوا.

وأطلق القمّص من الأسرى المسلمين مائة وستّين أسيراً كلّهم من سواد حلب، وكساهم وسيّرهم.

وعاد طَنْكري إلى أنطاكية من غير فصل حال في معنى الرُّها، فسار القمّص وجوسلين وأغارا على حصون طَنْكري، صاحب أنطاكية، والتجأا إلى ولاية كواسيل، وهو رجل أرمنيّ، ومعه خلق كثير من المرتدّين وغيرهم، وهو صاحب رَعْبَان[3]، وكَيسُوم، وغيرهما[4] من القلاع، شماليّ حلب، فأنجد القمّصَ بألف فارس من المرتدّين، وألفَيْ راجل، فقصدهم طَنكري، فتنازعوا في أمر الرُّها، فتوسّط بينهم

---

(١) انظر: لباب الآداب ١٣٣، ١٣٤.

(٢) في (ب): «تنكري».

(٣) من الباريسية.

(٤) في الباريسية: «وغيرها».

البَطْرك[1] الذي لهم، وهو عندهم كالإمام الذي للمسلمين، لا يخالف أمره، وشهد جماعة من المطارنة[2] والقِسّيسين: أنّ بيمُند خال طَنكري قال له، لمّا أراد ركوب البحر، والعود إلى بلاده، ليعيد الرُّها إلى القمّص، إذا خلص من الأسر، فأعادها عليه طَنكري تاسع صفر، وعبر القمّص الفرات، ليسلّم إلى أصحاب جاولي المال، والأسرى، فأطلق في طريقه خلقاً كثيراً من الأسرى من حَرّان وغيرها[3].

وكان بسَروج ثلاثمائة مسلم ضَعْفَى، فعمّر أصحاب جاولي مساجدهم، وكان رئيس سَروج مُسلماً قد ارتدّ، فسمعه أصحاب جاولي يقول في الإسلام قولاً شنيعاً، فضربوه، وجرى بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع، فذكر ذلك للقُمّص، فقال: هذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين؛ فقتله.

ذكر حال جاولي بعد إطلاق القُمّص

لما أَطلق جاولي القُمّصَ بماكِسِين سار إلى الرَّحْبة، فأتاه أبو النجم بدران، وأبو كامل منصور، ابنا سيف الدولة صدقة، وكانا[4]، بعد قتل أبيهما بقلعة جَعْبَر، عند سالم بن مالك، فتعاهدوا على المساعدة والمعاضدة، ووعدهما أنّه يسير معهما إلى الحِلّة، وعزموا أن يقدّموا عليهم بكتاش[5] بن تكش بن ألب أرسلان. فوصل إليهم، وهم على هذا العزم، أصبَهْبذ صباوة، وكان قد قصد السلطان فأقطعه الرَّحبة وقد ذكرناه، فاجتمع بجاولي، وأشار عليه أن يقصد الشام، فإنّ بلاده خالية من الأجناد، والفرنج قد استولوا على كثير منها، وعرّفه أنّه متى قصد العراق، والسلطان بها، أو قريباً منها، لم يأمن شرّاً يصل إليه. فقبل قوله، وأصعد عن الرَّحبة، فوصل إليه رسل سالم بن مالك، صاحب قلعة جَعْبَر، يستغيث به من بني نُمير، وكانت الرَّقّة بيد ولده عليّ بن سالم، فوثب جوشن النُّميريُّ، ومعه جماعة من بني نُمير، فقتل عليّاً وملك الرَّقّة.

فبلغ ذلك الملك رضوان، فسار من حلب إلى صِفّين، فصادف تسعين رجلاً من الفرنج معهم مال من فدية القُمّص، صاحب الرُّها، قد سيّره إلى جاولي، فأخذه،

(١) في (ب): «البترك».
(٢) في (ب): «البطارقة».
(٣) انظر: لباب الآداب ١٣٤.
(٤) في الأوربية: «وكان».
(٥) في الباريسية: «بلتاش».

وأسر[١] عدداً منهم، وأتى الرَّقة، فصالحه بنو نُمير على مال، فرحل عنهم[٢] إلى حلب، فاستنجد سالم بن مالك جاولي، وسأله أن يرحل إلى الرَّقة ويأخذها، ووعده بما يحتاج إليه. فقصد الرَّقة، وحصرها سبعين يوماً، فضمن له بنو نُمَير مالاً وخيلاً، فأرسل إلى سالم: إنّني في أمر أهمّ من هذا، وأنا بإزاء عدوّ، ويجب التشاغل[٣] به دون غيره، وأنا عازم على الانحدار إلى العراق، فإنْ تمّ أمري فالرَّقة وغيرها لك، ولا أشتغل عن هذا المهمّ بحصار خمسة نفر من بني نُمير.

ووصل إلى جاولي الأمير حسين بن أتابَك[٤] قتلغ تِكِين، وكان أبوه أتابَك السلطان محمّد، فقتله، وتقدّم ولده هذا عند السلطان، واختصّ به، فسيّره السلطان مع فخر المُلك بن عمّار ليصلح الحال مع جاولي، (ويأمر العساكر بالمسير مع ابن عمّار إلى جهاد الكفّار، فحضر عند جاولي، وأمر)[٥] بتسليم البلاد، وطيّب قلبه عن السلطان، وضمن الجميل، إذا سلّم البلاد، وأظهر الطاعة والعبوديّة، فقال جاولي: أنا مملوك السلطان، وفي طاعته؛ وحمل إليه مالاً وثياباً لها مقدار جليل، وقال له: سِرْ إلى الموصل ورحّل العسكر عنها، فإني أرسل معك من يسلّم ولدي إليك رهينة، وينفذ السلطان إليها من يتولّى أمرها وجباية أموالها؛ ففعل حسين ذلك، وسار ومعه صاحب جاولي، فلمّا وصلا إلى العسكر الذي على الموصل، وكانوا لم يفتحوها بعد، أمرهم حسين بالرحيل، فكلّهم أجاب، إلاّ الأمير مودود فإنّه قال: لا أرحل إلاّ بأمر السلطان؛ وقبض على صاحب جاولي، وأقام (على الموصل)[٦]، حتّى فتحها كما ذكرناه.

وعاد حسين بن قتلغ تِكين إلى السلطان، فأحسن النيابة عن جاولي عنده، وسار جاولي إلى مدينة بالِس، فوصلها ثالث عشر صفر، فاحتمى أهلُها منه، وهرب مَنْ بها من أصحاب الملك رضوان، صاحب حلب، فحصرها خمسة أيّام، وملكها بعد أن نقب برجاً من أبراجها، فوقع على النقّابين[٧]، فقتل منهم جماعة، وملك البلد، وصلب جماعة من أعيانه عند النقب، وأحضر القاضي محمّد بن عبد العزيز بن إلياس فقتله، وكان فقيهاً صالحاً، ونهب البلد، وأخذ منه مالاً كثيراً.

---

(١) في (ب): «وأسروا».
(٢) من (ب).
(٣) في الأوربية: «الشاغل».
(٤) من (ب).
(٥) من الباريسية، وفيها: «يأمره».
(٦) في الباريسية: «بالموصل».
(٧) في (ب): «من نقب».

ذكر الحرب بين جاولي والفرنج

وفي هذه السنة، في صفر، كان المصافّ بين جاولي سقاوو وبين طَنكري الفرنجيّ، صاحب أنطاكية.

وسبب ذلك أنّ الملك رضوان كتب إلى طَنكري، صاحب أنطاكية، يعرّفه ما هو جاولي عليه من الغدر، والمكر، والخداع، ويحذره منه، ويُعلمه أنّه على قصد حلب، وأنّه إن ملكها لا يبقى للفرنج معه بالشام مقام، وطلب منه النُّصرة، والاتّفاق على منعه. فأجابه طَنكري إلى منعه وبرز من أنطاكية، فأرسل إليه رضوان ستّمائة فارس، فلمّا سمع جاولي الخبر أرسل إلى القُمّص، صاحب الرُّها، يستدعيه إلى مساعدته، وأطلق له ما بقي عليه من مال المفاداة، فسار إلى جاولي فلحق به، وهو على مَنبِج، فوصل الخبر إليه، وهو على هذه الحال، بأنّ الموصل قد استولى عليها عسكر السلطان، وملكوا خزائنه وأمواله، فاشتدّ ذلك عليه، وفارقه كثير من أصحابه منهم أتابك زنكي بن آقسنقَر، وبكتاش النهاونديُّ، وبقي جاولي في ألف فارس، (وانضمّ إليه خلق من المطوّعة، فنزل بتلّ باشر.

وقاربهم طنكري، وهو في ألف وخمسمائة فارس)[1] من الفرنج، وستّمائة من أصحاب الملك رضوان، سوى الرَّجّالة، فجعل جاولي في ميمنته الأمير أقسيان، والأمير ألْتُونتاش الأبريَّ[2]، وغيرهما، وفي الميسرة الأمير بدران بن صدقة، وأصبهبذ صباوة، وسُنقر دراز، وفي القلب القُمّص بغدوين، وجوسلين الفرنجيّين، ووقعت الحرب، فحمل أصحاب أنطاكية على القمّص، صاحب الرُّها، واشتدّ القتال، فأزاح طَنكري القلب عن موضعه، وحملت ميسرة جاولي على رجّالة صاحب أنطاكية، فقتلت منهم خلقاً كثيراً، ولم يبق غير هزيمة صاحب أنطاكية، فحينئذٍ عمد أصحاب جاولي إلى جنائب القمّص، وجوسلين، وغيرهما من الفرنج، فركبوها وانهزموا، فمضى[3] جاولي[4] وراءهم ليردّهم، فلم يرجعوا، وكانت طاعته قد زالت عنهم حين أُخذت الموصل منه، فلمّا رأى أنّهم لا يعودون معه أهمّته نفسه، وخاف من المقام، فانهزم، وانهزم باقي عسكره.

---

(١) من (ب).

(٢) مصحّف في الأصل.

(٣) في الأوربية: «فمضا».

(٤) في (ب) زيادة: «إلى».

فأمّا أصبهبذ صباوة فسار نحو الشام، وأمّا بدران بن صدقة فسار إلى قلعة جَعْبَر، وأمّا ابن جَكَرمِش فقصد جزيرة ابن عُمَر، وأمّا جاولي فقصد الرَّحْبة؛ وقُتل من المسلمين خلق كثير، ونهَب صاحب أنطاكية أموالهم وأثقالهم، وعظُم البلاء عليهم من الفرنج، وهرب القمّص وجوسلين إلى تلّ باشر والتجأ إليهما خلق كثير من المسلمين، ففعلا معهم الجميل، وداويا الجرحى، وكسوَا العُراة، وسيّراهم إلى بلادهم[١].

ذكر عود جاولي إلى السلطان

لمّا انهزم جاولي سقاوو قصد الرَّحبة، لمّا قاربها بات دونها في عدّة فوارس، فاتّفق أنّ طائفة من عسكر الأمير مودود، الذين[٢] أخذوا الموصل مِنه، أغاروا على قوم من العرب يجاورون الرَّحبة، فقاربوا جاولي ولا يشعرون به، ولو علموا لأخذوه.

فلمّا رأى الحال كذلك، علم أنّه لا يقدر [أن] يقيم بالجزيرة، ولا بالشام، ولا يقدر على شيء يحفظ به نفسه ويرجع إليه، ويداوي به مرضه، غير قصد باب السلطان محمّد عن رغبة واختيار، وكان واثقاً بالأمير حسين بن قُتْلُغْتِكين، فرحل من مكانه وهو خائفٌ حَذِرٌ، قد أخفى شخصه وكتم أمره، وسار إلى عسكر السلطان، وكان بالقرب من أصبهان، فوصل إليه في سبعة عشر يوماً من مكانه لجدّه في السيْر، فلمّا وصل المعسكرَ قصد الأمير حسيناً[٣]، فحمله إلى السلطان، فدخل إليه وكفنُهُ تحت يده، فأمّنه، وأتاه الأمراء يهنّونه بذلك، وطلب منه السلطان الملك[٤] بكتاش[٥] بن تكش، فسلّمه إليه، فاعتقله بأصبهان[٦].

ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج والهُدنة بعدها

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين طُغتِكين أتابك والفرنج، وسببها أنّ طُغتكِين سار إلى طَبَرِيّة، وقد وصل إليها ابن أخت بغدوين الفرنجيّ، ملك القدس، فتحاربا واقتتلا، وكان طُغتِكين في ألفَيْ فارس، وكثير من الرَّجّالة، وكان ابن أخت ملك الفرنج في أربعمائة فارس، وألفَيْ راجل.

---

(١) تاريخ الزمان ١٣١، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٢ هـ.) ص ١٢.
(٢) في الأوربية: «الذي».
(٣) في الأوربية: «حسين».
(٤) من (ب).
(٥) في الأصل: «المتاش».
(٦) تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٢ هـ.) ص ١٢، ١٣.

فلمّا اشتدّ القتال انهزم المسلمون، فترجّل طُغتِكين، ونادى بالمسلمين، وشجّعهم، (فعاودوا الحرب)[1]، وكسروا الفرنج، وأسروا ابن أخت الملك، وحُمل إلى طُغتِكين، فعرض طُغتِكِين عليه الإسلام، فامتنع منه، وبذل في فداء نفسه ثلاثين ألف دينار، وإطلاق خمسمائة أسير، فلم يقنع طُغتِكين منه بغير الإسلام، فلمّا لم يُجِبْ قتله بيده، وأرسل إلى الخليفة والسلطان الأسرى، ثم اصطلح طُغتِكين وبغدوين ملك الفرنج على وضع الحرب أربع سنين، وكان ذلك من لُطف الله تعالىٰ بالمسلمين، ولولا هذه الهدنة لكان الفرنج بلغوا من المسلمين، بعد الهزيمة الآتي ذكرها، أمراً عظيماً[2].

ذكر انهزام طغتكين من الفرنج

في هذه السنة، في شعبان، انهزم أتابك طُغتِكين من الفرنج.

وسبب ذلك أنّ حصن عِرْقَة، وهو من أعمال طرابلس، كان بيد غلام للقاضي فخر المُلك أبي عليّ بن عمّار، صاحب طرابلس، وهو من الحصون المَنيعة، فعصى[3] على مولاه، فضاق به القُوت، وانقطعت عنه الميرة، لطول مُكث الفرنج في نواحيه، فأرسل إلى أتابك طُغتِكين، صاحب دمشق، وقال له: أرسلْ من يتسلّم هذا الحصن منّي، قد عجزتُ عن حفظه، ولأن يأخذَهُ المسلمون خير لي دنيا وآخرة من أنْ يأخذَهُ الفرنجُ. فبعث إليه طُغتِكين صاحباً له، اسمه إسرائيل، في ثلاثمائة رجل، فتسلم الحصن، فلما نزل غلام ابن عمار منه رماه إسرائيل في الأخلاط، بسهم فقتله، وكان قصده بذلك أن لا يطلع أتابك طُغتِكين على ما خلّفه بالقلعة من المال.

وأراد طُغتِكِين قصْد الحصن للاطّلاع عليه، وتقويته بالعساكر، والأقوات، وآلات الحرب، فنزل الغيث والثلج مدّة شهرَيْن، ليلاً ونهاراً، فمنعه، فلمّا زال ذلك سار في أربعة آلاف فارس، ففتح حصوناً للفرنج، (منها حصن الأكمة)[4]. فلمّا سمع السردانيّ الفرنجيُّ، (بمجيء طُغتِكِين)[5]، وهو على حصار طرابلس، توجّه في ثلاثمائة فارس،

---

(١) في (ب): «فعادوا للحرب».

(٢) ذيل تاريخ دمشق ١٦١، ١٦٢، دول الإسلام ٢٢/٣٢، العبر ٣/٤، تاريخ الإسلام ١٣، الإعلام والتبيين ١٨.

(٣) في الأوربية: «فعصا».

(٤) من الباريسية، والأكمة أو اللكمة: قرب رفنية في الطريق بينها وبين أنطرطوس. وهو عند الفرنج Lo Camel.

(٥) في الباريسية: «بطغدكين».

فلمّا أشرف أوائل أصحابه على عسكر طُغتِكين انهزموا، وخلّوا ثَقلَهم ورحالهم ودوابّهم للفرنج، فغنموا، وقووا به، وزاد في تجمّلهم[١].

ووصل المسلمين إلى حمص، على أقبح حال من التقطّع، ولم يُقْتَلْ منهم أحد لأنّه لم تجْرِ حرب، وقصد السرداني إلى عِرْقة، فلمّا نازلها طلب مَنْ كان بها الأمان، فأمّنهم على نفوسهم، وتسلّم الحصن، فلمّا خرّج مَن فيه قبض على إسرائيل، وقال: لا أطلقه[٢] إلاّ بإطلاق فلان، وهو أسير كان بدمشق من الفرنج، منذ سبع سنين، ففودي به وأُطلقا معاً.

ولّما وصل طُغتكِين إلى دمشق، بعد الهزيمة، أرسل إليه ملك القدس يقول له: لا تظنّ أنّني أنقض الهدنة للذي تمّ عليك من الهزيمة، فالملوك ينالهم أكثر ممّا نَالك، ثم تعود أُمورهم إلى الانتظام والاستقامة؛ وكان طُغتِكين خائفاً أن يقصده بعد هذه الكسرة فينال من بلده كل ما أراد[٣].

ذكر صُلح السُّنّة والشيعة ببغداذ

في هذه السنة، (في شعبان)[٤]، اصطلح عامّة بغداذ السُّنّة والشيعة، وكان الشرّ منهم على طول الزمان، وقد اجتهد الخلفاء، والسلاطين، والشُّحَن في إصلاح الحال، فتعذّر عليهم ذلك، إلى أن أذِن الله تعالىٰ فيه، وكان بغير واسطة.

وكان السبب في ذلك أنّ السلطان محمّداً لمّا قتل ملك العرب صدقة، كما ذكرناه، خاف الشيعة ببغداذ، أهل الكرْخ وغيرهم، لأنّ صدقة كان يتشيّع هو وأهل بيته، فشنّع أهل السُّنّة عليهم بأنّهم نالهم غمّ وهمّ لقتله، فخاف الشيعة، وأَغْضَوْا على سماع هذا، ولم يزالوا خائفين إلى شعبان، فلمّا دخل شعبان تجهّز السُّنّة لزيارة قبر مُصعب بن الزُّبَيْر، وكانوا قد تركوا ذلك سنين كثيرة، ومنعوا منه لتنقطع الفِتَن الحادثة بسببه.

فلمّا تجهّزوا للمسير، اتّفقوا على أن يجعلوا طريقهم في الكرْخ، فأظهروا ذلك،

---

(١) في (ب): «تحكمهم».

(٢) في الأوربية: «أطلق عنه».

(٣) نهاية الأرب ٢٨/ ٢٦٤، ذيل تاريخ دمشق ١٦٢، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٧٣، الأعلاق الخطيرة ٢/ ٩٤، تاريخ الإسلام ١٣، لبنان من السيادة الفاطمية ٢٣١، ٢٣٢.

(٤) من (ب).

فاتّفق رأي[1] أهل الكرْخ على ترك معارضتهم، وأنّهم لا يمنعونهم، فصارت السُّنّة تسيّر أهل كلّ محلّة منفردين، ومعهم من الزينة والسلاح شيء كثير، وجاء أهل باب المراتب، ومعهم فيل قد عُمل من خشب، وعليه الرجال بالسلاح، وقصدوا جميعهم الكرْخ ليعبروا فيه، فاستقبلهم أهله بالبَخور والطِّيب، والماء المبرّد، والسلاح الكثير، وأظهروا بهم السرور، وشيّعوهم حتّى خرجوا من المحلّة.

وخرج الشيعة، ليلة النصف منه، إلى مشهد موسى بن جعفر وغيره، فلم يعترضهم أحد من السُّنّة، فعجِب الناس لذلك، ولمّا عادوا من زيارة مُصعب لقِيهم أهل الكرْخ بالفرح والسرور، فاتّفق أنّ أهل باب المراتب انكسر فيلهم عند قنطرة باب حرب؛ فقرأ لهم قوم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾[2]، إلى آخر السورة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عاد منصور بن صدقة بن مَزْيد إلى باب السلطان، فتقبّله وأكرمه، وكان قد هرب، بعد قتل والده، إلى الآن، والتحق أخوه بدران بن صدقة بالأمير مودود الذي أقطعه السلطان الموصل، فأكرمه وأحسن صُحبته.

وفيها، في نيسان، زادت دجلة زيادة عظيمة، وتقطّعت الطرق، وغرقت الغلاّت الشتويّة والصيفيّة، وحدث غلاء عظيم بالعراق، بلغت كارة الدقيق الخُشْكار عشرة دنانير إماميّة، وعُدِم الخبز رأساً، وأكل الناس التمر والباقِلاّء الخضراء[3]، وأمّا أهل السواد فإنّهم لم يأكلوا جميع شهر رمضان، ونصف شوّال، سوى الحشيش والتوت.

وفيها، في رجب، عُزل وزير الخليفة أبو المعالي هبة الله بن المطّلب، ووزر له أبو القاسم عليُّ بن أبي نصر بن جَهير[4].

وفيها، في شعبان، تزوّج الخليفة المستظهر بالله ابنة السلطان ملكشاه، وهي أخت السلطان محمّد، وكان الذي خطب خطبة النكاح القاضي أبو العلاء صاعد بن محمّد النّيسابوريُّ، الحنفيُّ، وكان المتولّي لقبول العقد نظام المُلك أحمد بن نظام المُلك،

---

(١) من (ب).
(٢) أول سورة الفيل.
(٣) في الأوربية: «الأخضر».
(٤) المنتظم ٩/ ١٥٧ (١٧/ ١١٢).

وزير السلطان، بوكالة من الخليفة، وكان الصداق مائة ألف دينار، ونُثرت الجواهر والدنانير، وكان العقد بأصبهان[١].

وفيها تولّى مجاهد الدين بهروز شِحنكيّة بغداذ، وكان سبب ذلك أنّ السلطان محمّداً[٢] كان قبض على أبي القاسم الحسين بن عبد الواحد، صاحب المخزن، وعلى أبي الفرج بن رئيس الرؤساء، واعتقلهما عنده، ثم أطلقهما الآن، وقرّر عليهما مالاً يحملانه إليه، فأرسل مجاهدَ الدين بهروزَ لقبض المال، وأمره السلطان بعمارة دار المملكة، ففعل ذلك، وعمّر الدار، وأحسن إلى الناس، فلمّا قدِم السلطان إلى بغداذ ولاّه شِحنكيّة العراق جميعه، وخلع على سعيد بن حُميد العمريّ، صاحب جيش صدقة، وولاّه الحِلّة السيفيّة، وكان صارماً، حازماً، ذا رأي وجَلَد[٣].

وفيها، في شوّال، ملك الأمير سُكمان القُطبيُّ، صاحب خِلاط، مدينة ميّافارِقين بالأمان، بعد أن حصرها وضيّق على أهلها عدّة شهور، فعدمت الأقوات بها، واشتدّ الجوع بأهلها فسلّموها[٤].

وفي هذه السنة، في صفر، قُتل قاضي أصبهان عُبيد الله بن عليّ الخطيبيُّ بهَمذان، وكان قد تجرّد، في أمر الباطنيّة، تجرّداً عظيماً، وصار يلبس درعاً حذراً منهم، (ويحتاط، ويحترز)[٥]، فقصده إنسان عجميّ، يوم جمعة، ودخل بينه وبين أصحابه فقتله.

وقُتل صاعد بن محمّد[٦] بن عبد الرحمٰن أبو العلاء قاضي نَيسابور، يوم عيد الفِطْر، قتله باطنيٌّ، وقُتل الباطنيُّ، ومولده سنة ثمانٍ وأربعين وأربعمائة، وسمع الحديث، وكان حنفيَّ المذهب[٧].

وفي هذه السنة سار قَفَل عظيم من دمشق إلى مصر، فأتى الخبر إلى ملك

---

(١) المنتظم ٩/ ١٥٩، ١٦٠ (١٧/ ١١٢)، دول الإسلام ٢/ ٣١، العبر ٤/ ٤، تاريخ الإسلام ١٤، مرآة الجنان ٣/ ١٧١، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٠.

(٢) في الأوربية: «محمد».

(٣) المنتظم ٩/ ١٦٠ (١٧/ ١١٢).

(٤) تاريخ الفارقي ٢٧٤، ٢٧٥.

(٥) من (ب).

(٦) العبر ٤/ ٤، تاريخ الإسلام ١٤، مرآة الجنان ٣/ ١٧١، شذرات الذهب ٤/ ٤.

(٧) يبدأ هنا النقل من النسخة الباريسية رقم ٥٠٧.

الفرنج، فسار إليه وعارضه في البرّ، وأخذ كلّ من فيه، ولم يسلم منهم إلاّ القليل، ومَن سلم أخذه العرب[١].

وفيها، في فِصح النصارى، ثار جماعة من الباطنيّة في حصن شَيْزَر على حين غفلة من أهله في مائة رجل، فملكوه، وأخرجوا مَن كان فيه، وأغلقوا بابه، وصعدوا إلى القلعة فملكوها، وكان أصحابها بنو مُنقِذ قد نزلوا منها لمشاهدة عيد النصارى، وكانوا قد أحسنوا، إلى هؤلاء الذين أفسدوا، كلّ الإحسان، فبادر أهل المدينة الباشورة، فأصعدهم النساء في الحبال من الطاقات، وصاروا معهم، وأدركهم الأمراء بنو مُنقِذ أصحاب الحصن، فصعدوا إليهم، فكبّروا عليهم وقاتلوهم[٢]، فانخذل الباطنيّة، وأخذهم السيف من كلّ جانب، فلم يفلت منهم أحد، وقُتل من كان على مثل رأيهم في البلد[٣].

وفيها وصل إلى المَهديّة[٤]، (ثلاثة نفر)[٥] غرباء، فكتبوا إلى أميرها[٦] يحيى بن تميم يقولون: إنّهم يعملون الكيمياء؛ فأحضرهم عنده، وأمرهم أن يعملوا شيئاً يراه من صناعتهم، فقالوا: نعمل النقرة؛ فأحضر لهم ما طلبوا من آلة وغيرها[٧]، وقعد معهم هو والشريف (أبو الحسن)[٨]، وقائد جيشه واسمه إبراهيم، وكانا يختصّان به[٩]، فلمّا (رأى الكيماوية)[١٠] المكان خالياً (من جمع)[١١] ثاروا بهم، فضرب أحدهم يحيى بن تميم على رأسه، فوقعت السكّين في عمامته فلم تصنع شيئاً، ورفسه يحيى فألقاه على ظهره، ودخل يحيى باباً وأغلقه على نفسه، فضرب الثاني الشريفَ فقتله، وأخذ القائد إبراهيم السيف فقاتل الكيماوية[١٢]، ووقع الصوت، فدخل أصحاب الأمير يحيى فقتلوا

---

(١) تاريخ الإسلام ١٤.

(٢) في الباريسية: «وقاتلوا».

(٣) المختصر في أخبار البشر ٢/٢٢٤، دول الإسلام ٢/٣١، العبر ٤/٤، تاريخ الإسلام ١٤/١٥، تاريخ ابن الوردي ٢/١٩، تاريخ الخلفاء ٤٢٩.

(٤) في الباريسية زيادة: «من إفريقية».

(٥) في الباريسية: «قوم».

(٦) من الباريسية.

(٧) من الباريسية.

(٨) في الباريسية: «ابن حسن».

(٩) في الباريسية زيادة: «وكان أصحاب الكيمياء أيضاً ثلاثة».

(١٠) في الباريسية: «رأوا».

(١١) من ب.

(١٢) في الباريسية: «الكيميانية».

الكيماوية، وكان زِيّهم زِيّ أهل الأندلس، فقُتل جماعة من أهل البلد على مثل زيّهم، وقيل للأمير يحيى: إنّ هؤلاء رآهم بعض الناس عند المقدّم بن خليفة، واتّفق أنّ الأمير أبا الفتوح بن تميم، (أخا يحيى)[1]، وصل تلك الساعة إلى القصر في أصحابه وقد لبسوا السلاح، فمُنع من الدخول، فثبت عند الأمير يحيى أنّ ذلك بوضْع منهما، فأحضر المقدّم بن خليفة، وأمر أولاد أخيه فقتلوه قصاصاً، لأنّه قتل أباهم، وأخرج الأمير أبا الفتوح وزوجته بلارة بنت القاسم بن تميم، وهي ابنة عمّه، ووكّل بهما في قصر زياد بين المهديّة وسَفَاقُس، فبقي هناك إلى أن مات يحيى، وملك بعده ابنه عليّ[2] سنة تسع وخمسمائة، فسيّر أبا الفتوح وزوجته بلارة إلى ديار مصر في البحر، فوصلا إلى إسكندريّة، على ما نذكره إن شاء الله.

وفيها، في المحرّم، قُتل عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمّد أبو المحاسن الرويانيُّ[3] الطبريُّ، الفقيه الشافعيُّ، مولده سنة خمس عشرة وأربعمائة، وكان حافظاً لمذهب، ويقول: لو احترقتْ كُتُب الشافعيّ لأمليتُها من قلبي.

[الوفيات]

وفيها، في جُمادى الآخرة، توفّي الخطيب أبو زكريّاء يحيى بن عليّ التّبريزيُّ[4]، الشيبانيُّ، اللُّغويُّ، صاحب التصانيف المشهورة، وله شِعر ليس بالجيد.

وفيها، في رجب، توفّي السيّد أبو هاشم زيد الحسيني[5]، العلويُّ، رئيس هَمذان، وكان نافذ الحكم، ماضي الأمر، وكانت مدّة رئاسته لها سبعاً[6] وأربعين سنة، وجدّه لأمّه الصاحب (أبو القاسم)[7] بن عبّاد، وكان عظيم المال جدّاً، فمن ذلك أنّه أخذ منه السلطان محمّد في دفعة واحدة سبع مائة ألف دينار لم يبغ لأجلها ملكاً ولا

---

(١) من الباريسية.

(٢) في الباريسية: «يحيى».

(٣) انظر عن قتل الروياني في: المنتظم ٩/ ١٦٠ رقم ٢٥٩ (١٧/ ١١٣ رقم ٣٧٨١)، والعبر ٤/ ٤، ٥، وتاريخ الإسلام ١٥، ومرآة الجنان ٣/ ١٧١، وتاريخ الخميس ٢/ ٤٠٣، وشذرات الذهب ٤/ ٤.

(٤) انظر عن (التبريزي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٢ هـ.) ص ٧٣ ـ ٧٦ رقم ٦١، وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٥) في طبعة صادر ١٠/ ٤٧٣ «الحسني»، والتصحيح من: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٢ هـ.) ص ٥٨، ٥٩ رقم ٣٣.

(٦) في الأوربية: «سبع».

(٧) من الباريسية.

استدان ديناراً[(١)]، وأقام بعد ذلك بالسلطان[(٢)] محمّد، عدّة شهور، في جميع ما يريده، وكان قليل المعروف.

وفيها، في ذي الحجّة، توفّي أبو الفوارس الحسين[(٣)] بن عليّ الخازن، الكاتب المشهور بجودة الخطّ، وله شعر منه:

عـنّـتِ الـدُّنـيـا لـطـالِـبـهـا ... واسـتـراحَ الـزاهـدُ الـفَـطِـنُ

عَـرفَ الـدُّنـيـا فـلـم يـرَهـا ... وسِـواه[(٤)] حـظّـه الـفِـتَـنُ

كُـلُّ مَـلْـكٍ نـال زُخـرُفَـهـا ... حـظّـهُ[(٥)] مـمّـا حَـوى كَـفَـنُ

يَـقْـتـنـي مـالاً ويـتـرُكُـهُ ... في كـلا[(٦)] الـحالَـيْـن مفتتَنُ

أمَـلـي كَـوْنـي عـلـى ثِـقـةٍ ... مـن لـقـاء الـلّـه مُـرتَـهَـنُ

أكـره الـدُّنْـيـا وكـيـفَ بـهـا ... والـذي تـسـخـو بـه وسَـنُ

لـم تَـدُمْ قـبـلـي عَـلـى أحـدٍ ... فَـلِـمـاذا الـهـمُّ والـحَـزَنُ؟

(وقيل توفّي سنة تسعٍ وتسعين وأربعمائة، وقد ذُكر هناك)[(٧)].

---

(١) في (ب): «دينا».

(٢) في (ب): «عند السلطان».

(٣) في طبعة صادر ١٠/ ٤٧٤ «الحسن»، وكذا في تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٠، والمثبت عن ترجمته التي سبقت في وفيات (٤٩٩ هـ.)، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٤، وتاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٢ هـ.) ص ٥٧ رقم ٣١.

(٤) في الأوربية: «سواه».

(٥) في تاريخ الإسلام: «حسبه».

(٦) في الأوربية: «كلى».

(٧) من الباريسية.

٥٠٣
ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة

ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت من الشام

في هذه السنة، حادي عشر ذي الحجّة، ملك الفرنج طرابلس.

وسبب ذلك: أنّ طرابلس كانت قد صارت في حكم صاحب مصر ونائبه فيها، والمدد يأتي إليها منه، وقد ذكرنا ذلك سنة إحدى وخمسمائة. فلمّا كانت هذه السنة، أوّل شعبان، وصل أسطول كبير من بلد الفرنج في البحر، ومقدّمهم قمّص كبير اسمه ريمند بن صنجيل ومراكبه مشحونة بالرجال، والسلاح، والميرة، فنزل على طرابلس، وكان نازلاً عليها قبله السرداني ابن أُخت صَنجيل، وليس بابن أُخت ريمند هذا، بل هو قمّص آخر، فجرى بينهما فتنة أدّت إلى الشرّ والقتال، فوصل طَنكري صاحب أنطاكية إليها، معونةً للسرداني، ووصل الملك بغدوين، صاحب القدس، في عسكره، فأصلح بينهم، ونزل الفرنج جميعهم على طرابلس، وشرعوا في قتالها، ومضايقة أهلها، من أوّل شعبان، وألصقوا أبراجهم بسورها، فلمّا رأى الجُند وأهل البلد ذلك سُقِط في أيديهم، وذلّت نفوسهم، وزادهم ضعفاً تأخُّر الأسطول المصريّ عنهم بالميرة والنجدة.

وكان سبب تأخّره: أنّه فرغ منه، والحثّ[١] عليه، واختلفوا فيه أكثر من[٢] سنة، وسار، فردّته الريح، فتعذّر عليهم الوصول إلى طرابلس ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ومدَّ الفرنج القتال عليها من الأبراج والزحف، فهجموا على البلد وملكوه عَنوةً وقهراً يوم الإثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة من السنة، ونهبوا ما فيها،

---

(١) في (ب): «وارتجت».

(٢) في (ب): «أكثر من كل سنة».

وأسروا الرجال، وسبوا النساء والأطفال، ونهبوا الأموال، وغنموا من أهلها من الأموال، والأمتعة، وكُتُب دُور العلم الموقوفة، ما لا يُحدّ ولا يُحصى، فإنّ أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالاً وتجارة، وسلم الوالي الذي كان بها، وجماعة من جُندها كانوا التمسوا الأمان قبل فتحها، فوصلوا إلى دمشق، وعاقب الفرنج أهلها بأنواع العقوبات، وأُخذت دفائنهم وذخائرهم في مكامنهم(١).

ذكر ملك الفرنج جَبَلَة(٢) وبانياس(٣)

لمّا فرغ الفرنج من طرابلس سار طَنكري، صاحب أنطاكية، إلى بانياس، وحصرها، وافتتحها، وأمّن أهلها، ونزل مدينة جبلة(٤)، وفيها فخر المُلك بن عمّار، الذي كان صاحب طرابلس، وكان القوت فيها قليلاً، فقاتلها إلى أن ملكها في الثاني والعشرين من ذي الحجّة من السنة بالأمان، وخرج فخر المُلك بن عمّار سالماً.

ووصل، عُقَيْب ملْك طرابلس، الأسطول المصريّ بالرجال(٥)، والمال، والغلال، وغيرها، ما يكفيهم سنة، فوصل إلى صور بعد أخذها بثمانية أيّام للقضاء النازل بأهلها، وفُرّقت الغلال التي فيها والذخائر في الجهات المنفذة إليها صور، وصيدا، وبيروت.

وأمّا فخر المُلك بن عمّار فإنّه قصد شَيْزَر، فأكرمه صاحبها الأمير سلطان بن عليّ بن مُنقِذ الكِنانيُّ، واحترمه، وسأله أن يقيم عنده، فلم يفعل، وسار إلى دمشق، فأنزله طُغتِكين صاحبها، وأجزل له في الحمل والعطيّة، وأقطعه أعمال الزبداني، (وهو

---

(١) انظر عن سقوط طرابلس في: تاريخ حلب للعظيمي ٣٦٤ (٣٠)، وذيل تاريخ دمشق ١٦٣، وتاريخ الزمان ١٣٢، والأعلاق الخطيرة ج ٢ ق ١/ ١١١، وتاريخ ابن الراهب ٧٢، ٧٣، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢٧، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٦٤ ـ ٢٦٧، والمختصر لأبي الفداء ٢/ ٢٢٤، والدرة المضية ٤٧٢، ودول الإسلام ٢/ ٣٢، والعبر ٤/ ٦، وتاريخ الإسلام ١٦، والإعلام والتبيين ١٦ (حوادث ٥٠٠ هـ.)، ومرآة الجنان ٣/ ١٧٢، ١٧٣، والبداية والنهاية ١٢/ ١٧١، ومآثر الإنافة ٢/ ١٦ و ٢٠، ومختصر التواريخ للسلامي (مخطوط) ٢٧٧، واتعاظ الحنفا ٣/ ٤٣، ٤٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٧٩، ١٨٠، وشذرات الذهب ٤/ ٦، وتاريخ طرابلس ١/ ٤٣٨ ـ ٤٤٢.

(٢) في طبعة صادر ١٠/ ٤٧٦ «جبيل»، والصواب ما أثبتناه لأن جبيل كانت سقطت قبل ذلك، وابن عمار نزل جبلة وليس جبيل.

(٣) من الباريسية.

(٤) في طبعة صادر ١٠/ ٤٧٦، «جبيل» وهو غلط.

(٥) من (ب).

عمل كبير)[١] من أعمال دمشق، وكان[٢] ذلك في المحرّم سنة اثنتين وخمسمائة[٣].

ذكر الحرب بين محمّد خان وساغربك[٤]

في هذه السنة عاد ساغربك وجمع العساكر الكثيرة من الأتراك وغيرهم وقصد أعمال محمّد خان بسمرقند وغيرها، فأرسل محمّد خان إلى سَنجَر يستنجده، فسيّر إليه الجنود، واجتمع معه أيضاً كثير من العساكر، وسار إلى ساغربك فالتقوا بنواحي الخشب واقتتلوا فانهزم ساغربك وعساكره وأخذت السيوف منهم مأخذها وكثر الأسر فيهم والنهب، فلمّا فرغوا من حربهم وأمن محمّد خان من شرّ ساغربك عاد العسكر السنجريُّ إلى خُراسان فعبروا النهر إلى بلخ.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في المحرّم، سيّر السلطان وزيره نظام المُلك أحمد بن نظام المُلك إلى قلعة أَلَمُوت لقتال الحسن بن الصَّبّاح ومَن معه من الإسماعيليّة، فحصروهم، وهجم الشتاء عليهم فعادوا ولم يبلغوا منه غرضاً[٥].

وفيها، في ربيع الآخر، قدِم السلطان إلى بغداذ، وعاد عنها في شوّال من السنة أيضاً[٦].

وفيها، في شعبان، توجّه الوزير نظام المُلك إلى الجامع، فوثب به الباطنيّة، فضربوه بالسكاكين، وجُرح في رقبته، فبقي مريضاً مدّةً، ثم برأ، وأُخذ الباطنيُّ الذي جرحه فسُقِي الخمر حتّى سكر، ثم سُئل عن أصحابه، فأقرّ على جماعة بمسجد المأمونيّة، فأُخذوا وقُتلوا[٧].

---

(١) من (ب).

(٢) من الباريسية.

(٣) تاريخ حلب ٣٦٤ (٣٠)، ذيل تاريخ دمشق ١٦٤ وفيه «جبيل» وهو غلط، ومرآة الزمان ج ٨ ق ٢٨/١، ونهاية الأرب ٢٦٧/٢٨، ٢٦٨، والمختصر ٢/ ٢٢٣، ودول الإسلام ٢/ ٣٢ (جبيل)، والعبر ٤/ ٦ (جبيل)، والدرّة المضية ٤٧٢ وفيه: «حلبا»، وتاريخ الإسلام ١٧، والبداية والنهاية ١٢/ ١٧١، والإعلام والتبيين ١٨ (جبيل)، وبغية الطلب (مخطوط) ٨/ ١٤٠ (جبيل)، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٨٠، وتاريخ طرابلس ٤٥٦/١، ٤٥٧.

(٤) في (ب): «ساغوبك».

(٥) زبدة التواريخ للحسيني ١٧٠ وفي سنة ٥٠١ هـ.، نهاية الأرب ٣٦٩/٢٦، تاريخ الإسلام ١٧.

(٦) المنتظم ٩/ ١٦٣ (١١٧/١٧)، تاريخ الإسلام ١٨.

(٧) المنتظم ٩/ ١٦٣ (١١٧/١٧)، نهاية الأرب ٣٦٩/٢٦، تاريخ الإسلام ١٨، البداية والنهاية ١٢/ ١٧١.

(وفيها عُزل وزير الخليفة، وهو أبو المعالي بن المطّلب، ووَزَرَ بعده الزعيم أبو القاسم بن جَهِير، فخرج ابن المطّلب من دار الخليفة مستتراً هو وأولاده واستجار بدار السلطان)[1].

وفيها جهّز يحيى بن تميم، صاحب إفريقية، خمسة عشر شينيّاً وسيّرها إلى بلاد الروم، فلقيها أسطول الروم، وهو كبير، فقاتلوهم، وأخذوا ستّ قطع من شواني المسلمين، ولم ينهزم بعد ذلك ليحيى جيش في البحر والبرّ.

وسيّر ابنَهُ أبا الفتوح إلى مدينة سَفَاقُس والياً عليها، فثار به أهلها، فنهبوا قصره، وهمّوا بقتله، فلم يزل يحيى يعمل الحيلة عليهم، حتّى فرّق كلمتهم، وبدّد شملهم، وملك رقابهم فسجنهم، وعفا عن دمائهم وذنوبهم.

[الوفيات]

وفيها توفّي الأمير إبراهيم ينّال، صاحب آمِد، وكان قبيح السيرة، مشهوراً بالظلم، فجلا كثير من أهلها لجوره، وملك بعده ولده، وكان أصلح حالاً منه[2].

وفيها، في ثامن ذي القعدة، ظهر في السماء كوكب من الشرق له ذؤآبة ممتدّة إلى القبلة، وبقي يطلع إلى آخر ذي الحجّة، ثم غاب.

---

(١) من البارسية.

(٢) ذيل تاريخ دمشق ١٦٧، الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ٢/ ٥١١، تاريخ الإسلام ١٨، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ٢/ ٢١١.

٥٠٤
ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة

ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا

في هذه السنة، في ربيع الآخر، ملك الفرنج مدينة صيدا، من ساحل الشام.

وسبب ذلك: أنّه وصل في البحر إلى الشام ستّون مركباً للفرنج مشحونة بالرجال والذخائر مع بعض ملوكهم ليحجّ البيت المقدّس (وليغزو بزعمه المسلمين)[١]، فاجتمع بهم بَغدوين ملك القدس، وتقرّرت القاعدة بينهم أن يقصدوا بلاد الإسلام، فرحلوا[٢] من القدس، ونزلوا[٣] مدينة صيدا ثالث ربيع الآخر من هذه السنة، وضايقوها برّاً وبحراً.

وكان الأسطول المصريُّ مقيماً على صور، فلم يقدر على إنجاد صيدا، فعمل الفرنج برجاً من الخشب، وأحكموه، وجعلوا عليه ما يمنع النار عنه والحجارة، وزحفوا به، فلمّا عاين أهل صيدا ذلك ضعُفت نفوسهم، وأشفقوا أن يصيبهم مثل ما أصاب أهل بيروت، فأرسلوا قاضيها ومعه جماعة من شيوخها إلى الفرنج، وطلبوا من ملكهم الأمان فأمّنهم على أنفسهم، وأموالهم، والعسكر الذي عندهم، ومَنْ أراد المقام بها[٤] عندهم أمّنوه، ومَن أراد المسير عنهم لم يمنعوه، وحلف لهم على ذلك، فخرج الموالي، وجماعة كثيرة من أعيان أهل البلد، في العشرين من جُمادى الأولى إلى دمشق، وأقام بالبلد خلق كثير تحت الأمان، وكانت مدّة الحصار سبعة وأربعين يوماً.

ورحل بغدوين عنها إلى القدس، ثم عاد إلى صيدا، بعد مدّة يسيرة، فقرّر على

---

(١) من الپاريسية.
(٢) في الأوربية: «فرحلا».
(٣) في الأوربية: «ونزلا».
(٤) في الأوربية: «به».

المسلمين الذين أقاموا بها عشرين ألف دينار، فأفقرهم، (واستغرق أموالهم)[1].

ذكر استيلاء المصريّين على عَسقلان

كانت عَسقلان للعلويّين المصريّين، ثم إنّ الخليفة الآمر بأحكام الله استعمل عليها إنساناً يُعرف بشمس الخلافة، فراسل بغدوينَ ملك الفرنج بالشام، وهادنه، وأهدى إليه مالاً وعروضاً، فامتنع به من أحكام المصريّين عليه، إلاّ فيما يريد من غير مجاهرةٍ بذلك.

فوصلت الأخبار بذلك إلى الآمر بأحكام الله، صاحب مصر، وإلى وزيره الأفضل[2]، أمير الجيوش، فعظم الأمر عليهما، وجهّز عسكراً وسيّراه إلى عسقلان مع قائد كبير من قوّاده، وأظهرا أنّه يريد الغزاة، ونفّذا إلى القائد سِرّاً أن يقبض على شمس الخلافة إذا حضر عندهم، ويقيم هو عوضه بعسقلان أميراً. فسار العسكر، فعرف شمس الخلافة الحال، فامتنع من الحضور عند العسكر المصريّ، وجاهر بالعصيان، وأخرج من كان عنده من عسكر مصر خوفاً منهم.

فلمّا عرف الأفضل ذلك خاف أن يسلّم عسقلان إلى الفرنج، فأرسل إليه وطيّب قلبه، وسكّنه، وأقرّه على عمله، وأعاد عليه إقطاعه بمصر.

ثم إنّ شمس الخلافة خاف أهل عسقلان، فأحضر جماعة من الأرمن واتّخذهم جنداً، ولم يزل على هذه الحال إلى آخر سنة أربع وخمسمائة، فأنكر الأمرَ أهلُ البلد، فوثب به قوم من أعيانه، وهو راكب، فجرحوه، فانهزم منهم إلى داره، فتبِعوه وقتلوه، ونهبوا داره وجميع ما فيها، ونهبوا بعض دور غيره من أرباب الأموال بهذه الحُجّة، وأرسلوا إلى مصر بجليّة الحال إلى الآمر والأفضل، فسُرّا بذلك، وأحسنا إلى الواصلين بالبشارة، وأرسلا إليه والياً يقيم بها، ويستعمل مع أهل البلد الإحسان وحُسن السيرة، فتمّ ذلك، وزال ما كانوا يخافونه[3].

---

(١) من (ب). وانظر عن سقوط صيدا في: تاريخ حلب ٣٦٥ (٣٠)، وذيل تاريخ دمشق ١٧١ (٥٠٣ هـ.)، ونهاية الأرب ٢٨/٢٦٨، ٢٦٩، والمختصر ٢/٢٢٤، والدرة المضية ٤٧٤، ودول الإسلام ٢/٣٢، وتاريخ الإسلام ١٩، والعبر ٤/٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/٢٠، والإعلام والتبيين ١٩، والبداية والنهاية ١٢/١٧٢، ومآثر الإنافة ٢/١٦، وإتعاظ الحنفا ٣/٤٥، ٤٦، وشذرات الذهب ٤/٧، وأخبار الأعيان في جبل لبنان ٢/٥٠٧، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية ٢٧٩ ـ ٢٨٢، وفيه مصادر أخرى.

(٢) في (ب) زيادة: «ابن».

(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٧٢، دول الإسلام ٢/٣٢، تاريخ الإسلام ١٩، ٢٠، إتعاظ الحنفا ٣/٥٠، ٥١ (٥٠٦ هـ.).

ذكر ملك الفرنج حصن الأثارب وغيره

في هذه السنة جمع صاحب أنطاكية عساكره من الفرنج، وحشد الفارس والراجل، وسار نحو حصن الأثارب، وهو بالقرب من مدينة حلب بينهما ثلاثة فراسخ، وحصره، ومنع عنه الميرة، فضاق الأمر على مَن به من المسلمين، فنقبوا من القلعة نقباً، قصدوا أن يخرجوا منه إلى خيمة صاحب أنطاكية فيقتلوه، فلمّا فعلوا ذلك وقربوا من خيمته استأمن إليه صبيّ أرمنيّ، فعرّفه الحال، فاحتاط، واحترز منهم، وجدّ في قتالهم، حتّى ملك الحصن قهراً وعنوةً، وقتل من أهله ألفَيْ رجل، وسبى[1] وأسر الباقين.

ثم سار إلى حصن زَرْدَنا، فحصره، ففتحه، وفعل بأهله مثل الأثارب، فلمّا سمع أهل مَنبِج بذلك فارقوها خوفاً من الفرنج، وكذلك أهل بَالِس، وقصد الفرنج البلدَيْن فرأوهما وليس بهما أنيسٌ، فعادوا عنهما[2].

وسار عسكر من الفرنج إلى مدينة صيدا، فطلب أهلها منهم الأمان، فأمّنوهم وتسلّموا البلد، فعظُم خوف المسلمين منهم، وبلغت القلوب الحناجر، وأيقنوا باستيلاء الفرنج على سائر الشام لعدم الحامي له والمانع عنه، فشرع أصحاب البلاد الإسلامية بالشام في الهدنة معهم، فامتنع الفرنج من الإجابة إلاّ على قطيعةٍ يأخذونها إلى مدّة يسيرة، فصالحهم الملك رضوان، صاحب حلب، على اثنين وثلاثين ألف دينار، وغيرها من الخيول والثياب، وصالحهم صاحب صور على سبعة آلاف دينار، وصالحهم ابن مُنقذ، صاحب شَيْزر، على أربعة آلاف دينار، وصالحهم عليّ الكرديُّ، صاحب حماة، على ألفَيْ دينار[3]، وكانت مدّة الهدنة إلى وقت إدراك الغلّة وحصادها[4].

ثم إنّ مراكب أقلعت من ديار مصر، فيها التجّار ومعهم الأمتعة الكثيرة، فوقع عليها مراكب الفرنج، فأخذوها، وغنموا ما مع التجّار، وأسروهم، فسار جماعة من أهل حلب إلى بغداذ، مستنفرين على الفرنج. فلمّا وردوا بغداذ اجتمع معهم خلق كثير

---

(١) في الأوربية: «وسبا».

(٢) في الأوربية: «عنها»، والخبر في: نهاية الأرب ٢٨/٢٦٩، والمختصر في أخبار البشر ٢/٢٢٤، وتاريخ الإسلام ٢٠.

(٣) قال الذهبي ـ رحمه الله ـ وكانت حماه صغيرة جداً. ص ٢٠.

(٤) تاريخ الزمان ١٣٢، ونهاية الأرب ٢٨/٢٦٩، ٢٧٠ والمختصر ٢/٢٢٤، ٢٥٥، ودول الإسلام ٢/٣٣، وتاريخ الإسلام ٢٠، والإعلام والتبيين ١٩، ٢٠، وتاريخ ابن الوردي، ٢/٢٠، ومآثر الإنافة ٢/١٦، وإتعاظ الحنفا ٣/٤٦، وتاريخ الخلفاء ٤٢٩، ولبنان من السيادة الفاطمية ٢٨٧.

من الفقهاء وغيرهم فقصدوا جامع[1] السلطان، واستغاثوا، ومنعوا من الصلاة، وكسروا المنبر، فوعدهم السلطان بإنفاذ العساكر للجهاد، وسيّر من دار الخلافة مِنبراً إلى جامع السلطان. فلمّا كان الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة، ومعهم أهل بغداذ، فمنعهم حاجب الباب من الدخول، فغلبوه على ذلك، ودخلوا الجامع، وكسروا شبّاك المقصورة، وهجموا[2] إلى المنبر فكسروه، وبَطَلت الجمعة أيضاً، فأرسل الخليفة إلى السلطان في المعنى يأمره بالاهتمام بهذا الفتق ورَتْقه[3]، فتقدّم حينئذ إلى من معه من الأمراء بالمسير إلى بلادهم، والتجهّز للجهاد، وسيّر ولدَهُ الملك مسعوداً[4] مع الأمير مودود، صاحب الموصل، وتقدّموا إلى الموصِل ليلحق بهم الأمراء ويسيروا[5] إلى قتال الفرنج، وانقضت السنة، وساروا في سنة خمسٍ وخمسمائة[6]، (وكان ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ)[7].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عُزل نظام المُلك أحمد من وزارة السلطان، ووزر بعده الخطير محمّد بن الحسين المَيْبُذيُّ[8].

وفيها ورد رسول ملك الروم (إلى السلطان)[9] يستنفره على الفرنج، ويحثّه على قتالهم ودَفْعهم عن البلاد، وكان وصوله قبل وصول أهل حلب، وكان أهل حلب يقولون للسلطان: أما تتّقي الله تعالىٰ أن يكون ملك الروم أكثر حميّة منك للإسلام، حتّى قد أرسل إليك في جهادهم!

وفيها، في رمضان، زُفّت ابنة السلطان ملكشاه إلى الخليفة، وزُيّنت بغداذ

---

(١) من (ب).
(٢) في (ب): «ودخلوا».
(٣) في الأوربية: «ورفعه».
(٤) في الأوربية: «مسعود».
(٥) في الأوربية: «ويسيرون».
(٦) المنتظم ٩/ ١٦٥ (١٧/ ١٢٠)، تاريخ الزمان ١٣٣، زبدة الحلب ٢/ ١٥٨، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٤٦، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٤، دول الإسلام ٢/ ٣٣، تاريخ الإسلام ٢١، العبر ٤/ ٧، الإعلام والتبيين ٢٠، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٢.
(٧) من (ب).
(٨) زبدة التواريخ ١٧٣، تاريخ دولة آل سلجوق ٩٩، تاريخ الإسلام ٢١.
(٩) من (ب).

وغُلّقتْ[1]، وكان بها فرحة عظيمة لم يشاهد الناس مثلها[2].

(وفيها هبّت بمصر ريح سوداء أظلمت بها الدنيا، وأخذت بأنفاس الناس، ولم يقدر أحد [أن] يفتح عينَيْه، ومَنْ فتحهما[3] لا يبصر يده، ونزل على الناس رمل، ويئبس الناس من الحياة، وأيقنوا بالهلاك، ثم تجلّى[4] قليلاً، وعاد إلى الصفوة، وكان ذلك من أوّل وقت العصر إلى بعد المغرب)[5].

[الوفيات]

وفيها، (في المحرّم)[6]، توفّي إلكِيا الهرّاس[7] الطبريُّ واسمه (أبو الحسن)[8] عليُّ بن محمّد بن عليّ، وكان من أعيان الفقهاء الشافعيّة، أخذ الفقه عن إمام الحرمَيْن الجوينيّ، ودرّس بعده في النظاميّة ببغداذ، وتوفّي بها، ودُفن عند تربة الشيخ أبي إسحاق، ودرّس بعده في النظاميّة الإمام أبو بكر الشاشيُّ.

وفيها توفّي أبو الحسن إدريس بن حمزة[9] بن عليّ الرمليُّ الفقيه الشافعيُّ من أهل الرملة بفلسطين، تفقّه على أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسيّ، وعلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازيّ، ودخل خُراسان ووليَ التدريس بسمرقند، فتوفّي بها.

---

(1) في الأوربية: «وغُلّقت».

(2) المنتظم ٩/ ١٦٥، ١٦٦ (١٧/ ١٢٠)، زبدة التواريخ ١٧١، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٤، دول الإسلام ٢/ ٣٣، تاريخ الإسلام ٢١، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٢، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٠٠.

(3) في الأوربية: «فتحها».

(4) في الأوربية: «تجلاّ».

(5) الخبر ما بين القوسين من الباريسية، وهو في: مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٥، وأخبار الدول المنقطعة ٩٠، وفيه: «وكانت مدة هذه الشدّة منذ صلاة العصر إلى صلاة المغرب في سنة أربع وخمسين»، وهذا وهم، والصحيح: «أربع وخمسمائة»، والدرّة المضية ٤٧٤، ٤٧٥، وتاريخ الإسلام ٢١، واتعاظ الحنفا ٣/ ٤٧، وتاريخ الخلفاء ٤٢٩، ٤٣٠.

(6) من الباريسية.

(7) انظر عن (إلكيا الهراس) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٤ هـ.) ص ٩٢ ـ ٩٥ رقم ٨٨، وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(8) من الباريسية.

(9) انظر عن (إدريس بن حمزة) في: المنتظم ٩/ ١٢١ رقم ٣٧٩٣، والبداية والنهاية ١٢/ ١٧١، وفيه «أبو الحسن الشاشي». وفي طبعة صادر ١٠/ ٤٨٤، «أبو الحسين» والمثبت عن المصدرين.

٥٠٥
ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة

ذكر مسير العساكر إلى قتال الفرنج

في هذه السنة اجتمعت العساكر التي أمرها السلطان بالمسير إلى قتال الفرنج، فكانوا: الأمير مودود، صاحب الموصل، والأمير سُكمان القُطبيّ، صاحب تِبريز وبعض ديار بكر، والأميرين[١] إيلبكي وزنكي ابني[٢] بُرسق، ولهما هَمَذان وما جاورها، والأمير أحمديل، وله مَراغة، وكوتب الأمير أبو الهيجاء، صاحب إربل، والأمير إيلغازي، صاحب ماردين، والأمراء البكجيّة، باللّحاق بالملك مسعود، ومودود، فاجتمعوا، ما عدا الأمير إيلغازي فإنّه سيّر ولده إياز وأقام هو، فلما اجتمعوا ساروا إلى بلد سنجار[٣]، ففتحوا عدة حصون للفرنج، وقُتل من بها منهم، وحصروا مدينة الرُّها مدّةً، ثم رحلوا عنها من غير أن يملكوها.

(وكان سبب رحيلهم عنها أنّ الفرنج اجتمعت جميعها، فارسها وراجلها، وساروا إلى الفرات ليعبروه ليمنعوا الرُّها من المسلمين، فلمّا وصلوا إلى الفرات بلغهم كثرة المسلمين، فلم يقدموا عليه، وأقاموا على الفرات، فلمّا رأى المسلمون ذلك رحلوا عن الرُّها إلى حَرّانَ ليطمع الفرنج ويعبروا الفرات إليهم ويقاتلوهم. فلمّا رحلوا عنها جاء الفرنج، ومعهم المِيرة والذخائر، إلى الرُّها، فجعلوا فيها كلَّ ما[٤] يحتاجون إليه، بعد أن كانت قليلة المِيرة، وقد أشرفت على أن تُؤخَذ[٥]، وأخذوا كلّ من فيه عَجْز وضَعْف

---

(١) في الأوربية: «والأمير».
(٢) في الأوربية: «ابنا».
(٣) في الباريسية: «الساحل».
(٤) في الأوربية: «كلّما».
(٥) في الأوربية: «يؤخذوا».

وفقر، وعادوا إلى الفرات فعبروه إلى الجانب الشاميّ، وطرقوا أعمال حلب، فأفسدوا ما فيها، ونهبوها، وقتلوا فيها وأسروا، وسبوا خلقاً كثيراً.

وكان سبب ذلك أنّ الفرنج لمّا عبروا إلى الجزيرة خرج الملك رضوان، صاحب حلب، إلى ما أخذه الفرنج من أعمالها، فاستعاد بعضه، ونهب منهم وقتل، فلمّا عادوا وعبروا الفرات فعلوا بأعماله ما فعلوا.

وأمّا العسكر السلطانيّ فلمّا سمعوا بِعَوْد الفرنج وعبورهم الفرات، رحلوا إلى الرُّها وحصروها، فرأوا أمراً مُحْكَماً، قد قويت نفوس أهلها بالذخائر التي تُركت عندهم، وبكثرة المقاتلين عنهم، ولم يجدوا فيها مطمعاً، فرحلوا عنها[1] وعبروا الفرات، فحصروا قلعة تَلّ باشِر خمسة وأربعين يوماً، ورحلوا عنها ولم يبلغوا غرضاً.

ووصلوا إلى حلب، فأغلق الملك رضوان أبواب البلد، ولم يجتمع بهم، ثم مرض هناك الأمير سُكمان القُطبيُّ، فعاد مريضاً، فتوفّي في بالِس، فجعله أصحابه في تابوت، وحملوه عائدين إلى بلاده، فقصدهم إيلغازي ليأخذهم، ويغنم ما معهم، فجعلوا تابوته في القلب، وقاتلوا بين يدَيْه، فانهزم إيلغازي، وغنموا ما معه، وساروا إلى بلادهم[2].

ولمّا أغلق الملك رضوان أبواب حلب، ولم يجتمع بالعساكر السلطانيّة، رحلوا إلى مَعَرّة النعمان، واجتمع بهم طُغتِكين، صاحب دمشق، ونزل على الأمير مودود، فاطّلع من الأمراء على نيّاتٍ فاسدة في حقّه، فخاف أن تؤخذ منه دمشق، فشرع في مهادنة الفرنج سرّاً وكانوا قد نكلوا عن قتال المسلمين، فلم يتمّ ذلك، وتفرّقت العساكر.

وكان سبب تفرّقهم أنّ الأمير (بُرسق بن)[3] برسق الذي هو أكبر الأمراء كان به نِقرِس، فهو يُحمَل في محفّة، ومات سُكمان القطبيّ، كما ذكرنا، وأراد الأمير أحمديل، صاحب مرَاغة، العَود[4]، ليطلب من السلطان أن يُقطعه ما كان لسُكمان من

---

(١) من الباريسية، وفيها عبارة: «وكان سبب الخ».

(٢) تاريخ حلب ٣٦٥ (٣١)، زبدة الحلب ٢/١٥٨، ١٥٩، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٤٧، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/٣٥، ٣٦، دول الإسلام ٢/٣٣، العبر ٤/٩، تاريخ ابن الوردي ٢/٢١، مرآة الجنان ٣/١٧٧.

(٣) من الباريسية.

(٤) في (ب): «الغدر».

البلاد، وأتابك طُغتِكين، صاحب دمشق، خاف الأمراء على نفسه، فلم ينصحهم، إلاّ أنّه حصل بينه وبين مودود، صاحب الموصل، مودّة وصداقة، فتفرّقوا لهذه الأسباب، وبقي مودود وطُغتِكين بالمَعَرَّة، فساروا منها، ونزلوا على نهر العاصي.

ولمّا سمع الفرنج بتفرّق عساكر الإسلام طمعوا، وكانوا قد اجتمعوا كلّهم[١]، بعد الاختلاف والتباين، وساروا إلى أفامية[٢]، فسمع بهم سُلطان بن مُنقذ، صاحب شَيْزر، فسار إلى مودود وطُغتِكين، وهوّن عليهما أمر الفرنج، وحرّضهما على الجهاد، فرحلوا إلى شَيْزَر، ونزلوا عليها، ونزل الفرنج بالقرب منهم، فضيّق عليهم عسكر المسلمين الميرة، ولزّوهم[٣] بالقتال، والفرنج يحفظون نفوسهم، ولا يعطون مصافاً، فلمّا رأوا قوّة المسلمين عادوا إلى أفامية[٤] وتبعهم المسلمون، فتخطّفوا من أدركوه في ساقتهم وعادوا إلى شَيْزَر في ربيع الأوّل[٥].

ذكر حصر الفرنج مدينة صور

لمّا تفرّقت العساكر اجتمعت الفرنج على قصد مدينة صور وحصْرها، فساروا إليها مع الملك بَغدوين[٦]، صاحب القدس، وحشدوا، وجمعوا، ونازلوها وحصروها في الخامس والعشرين من جُمادى الأولى، وعملوا عليها ثلاثة أبراج خشب، عُلُوّ البرج سبعون ذراعاً، وفي كلّ برج ألف رجل، ونصبوا عليها المجانيق، وألصقوا (أحدها إلى)[٧] سور البلد، وأخلوه من الرجال.

وكانت صور للآمر بأحكام الله العلويّ ونائبه بها عزّ المُلك الأعزّ، فأحضر أهل البلد، واستشارهم في حيلةٍ يدفعون بها شرّ الأبراج عنهم، فقام شيخ من أهل طرابلس وضمن على نفسه إحراقها وأخذ معه ألف رجل بالسلاح التامّ، ومع كلّ رجل منهم حُزمة حطب، فقاتلوا الفرنج إلى أن وصلوا إلى البرج الملتصق بالمدينة، فألقى الحطب من جهاته، وألقى فيه النار، ثم خاف أن يشتغل الفرنج (الذين في البرج)[٨] بإطفاء

---

(١) من (ب).
(٢) في الأوربية: «فامية».
(٣) في الأوربية: «ولذوهم».
(٤) في الأوربية: «فامية».
(٥) المصادر السابقة.
(٦) في (ب): «بردويل»، وفي الباريسية: «بردوين».
(٧) من (ب).
(٨) من (ب).

النار، ويتخلّصوا، فرماهم بجُرب[1] كان قد أعدّها، مملوءةٍ من العُذرة، فلمّا سقطت عليهم اشتغلوا بها وبما نالهم من سوء الرائحة والتلويث، فتمكّنت النار منه، فهلك كلّ من به، إلاّ القليل، وأخذ منه المسلمون ما قدروا عليه بالكلاليب، ثم أخذ سلال العنب الكبار، وترك فيها الحطب الذي قد سقاه بالنفط، والزفت، والكتّان، والكبريت، ورماهم بسبعين[2] سلّة، وأحرق البرجَيْن الآخرين.

ثم إنّ أهل صور حفروا سراديب تحت الأرض ليسقط فيها الفرنج إذا زحفوا إليهم، ولينخسف برج إن عملوه وسيّروه إليهم، فاستأمن نفر من المسلمين إلى الفرنج، وأعلموهم بما عملوه، فحذروا منها[3].

وأرسل أهل البلد إلى أتابك طُغتِكين، صاحب دمشق، يستنجدونه، ويطلبونه ليسلّموا البلد إليه، فسار في عساكره إلى نواحي بانياس، وسيّر إليهم نجدة مائتَيْ فارس، فدخلوا البلد، فامتنع مَن فيه بهم، واشتدّ قتال الفرنج خوفاً من اتّصال النجدات، ففني نشّاب الأتراك، فقاتلوا بالخشب، وفني النِفط، فظفروا بسَرَب تحت الأرض فيه نفط لا يُعلم مَنْ خَزَنَهُ.

ثم إنّ عزّ الملك، صاحب صور، أرسل الأموال إلى طُغتِكين ليكثر من[4] الرجال، ويقصدهم ليملك البلد، فأرسل طُغتِكين طائراً فيه رقعة ليُعْلِمه وصولَ المال، ويأمره أن يقيم مركباً بمكان ذكره لتجيء الرجال إليه، فسقط الطائر على مركب الفرنج، فأخذه رجلان: مسلم وفرنجيّ، فقال الفرنجيّ: نطلقه[5] لعلّ فيه فَرَجاً لهم؛ لم يمكّنه المسلم، وحمله إلى الملك بغدوين، فلمّا وقف عليه سيّر مركباً إلى المكان الذي ذكره طُغتِكين، وفيه جماعة من المسلمين الذين استأمنوا إليه من صور، فوصل إليهم العسكر، فكلّموهم بالعربيّة، فلم يُنكروهم، وركبوا معهم، فأخذوهم أسْرى، وحملوهم إلى الفرنج، فقتلوهم وطمعوا في أهل صور، فكان طغتكين يُغير على أعمال الفرنج من جميع جهاتها، وقصد حصن الحبيس في السواد، من أعمال دمشق، وهو للفرنج،

---

(١) في الأوربية: «بجراب».
(٢) في الأوربية: «سبعين».
(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٧٩ ـ ١٨١، الأعلاق الخطيرة ٢/ ١٦٧، ١٦٨ مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٨، ٣٩، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٧٠، ٢٧١، تاريخ الإسلام ٢٣، ٢٤، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٣، عيون التواريخ ١٢/ ٢، النجوم الزاهرة ٥/ ١٨٠ ـ ١٨٢، لبنان من السيادة الفاطمية ٢٩٠ ـ ٢٩٦.
(٤) في (ب) زيادة: «تجنيد».
(٥) في (ب): «نرسله».

فحصره، وملكه بالسيف، وقتل كلَّ من فيه، وعاد إلى الفرنج الذين على صور.

وكان يقطع الميرة عنهم في البرّ، فأحضروها في البحر، وخندقوا عليهم، ولم يخرجوا إليه، فسار إلى صيدا، وأغار على ظاهرها، فقتل جماعة من البحريّة، وأحرق نحو عشرين مركباً على الساحل، وهو مع ذلك يواصل أهلَ صور بالكتب يأمرهم بالصَّبر والفرنج يلازمون قتالهم، وقتال أهلُ صور قتالَ مَنْ أيِس من الحياة، فدام القتالُ إلى أوان إدراك الغلاّت، فخاف الفرنج أنّ طُغتِكين يستولي على غلاّت[1] بلادهم، فساروا عن البلد، عاشر شوّال، إلى عكّة، وعاد عسكر طُغتِكين إليه، وأعطاهم أهل صور الأموال وغيرها، ثم أصلحوا ما تشعّث من سورها وخندقها، وكان الفرنج قد طمّوه[2].

ذكر انهزام الفرنج بالأندلس

في هذه السنة خرج أذفونش الفرنجيُّ، صاحب طُلَيْطُلة بالأندلس، إلى بلاد الإسلام بها، يطلب ملكها، والإستيلاء عليها، وجمع وحشد فأكثر، وكان قد قوي طمعه فيها بسبب موت أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فسمع أمير المسلمين عليُّ بن يوسف بن تاشفين الخبر، فسار إليه في عساكره[3] وجموعه، فلقيه، فاقتتلوا، واشتدّ القتال، وكان الظفر للمسلمين، وانهزم الفرنج، وقُتلوا قتلاً ذريعاً، وأُسر منهم بشر كثير، وسبى منهم، وغنم من أموالهم ما يخرج من الإحصاء، فخافه الفرنج، بعد ذلك، وامتنعوا من قصد بلاده، وذلَّ أذفونش حينئذٍ وعلم أنّ في البلاد حامياً لها، وذابّاً عنها[4].

[الوفيات]

وفي هذه السنة، (في جمادى الآخرة)[5]، توفّي الإمام أبو حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزاليُّ[6]، الإمام المشهور.

---

(١) في (ب): «غلال».

(٢) ذيل تاريخ دمشق ١٧٩، مرآة الزمان ج ٨ ق ٣٩/١، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٧٠ ـ ٢٧١، البداية والنهاية ١٧٣/١٢، النجوم الزاهرة ١٨١/٥ ـ ١٨٣، تاريخ الإسلام ٢٤، ٢٥.

(٣) في الأوربية: «عساكرها».

(٤) تاريخ الإسلام ٢٥، دول الإسلام ٣٣/٢، ٣٤، العبر ٩/٤، مرآة الجنان ١٧٧/٣.

(٥) من (ب).

(٦) انظر عن (الإمام الغزالي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٥ هـ.) ص ١١٥ ـ ١٢٦ رقم ١٢٢، وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

٥٠٦
ثم دخلت سنة ست وخمسمائة

[ذكر عدّة حوادث]

في هذه السنة، (في المحرّم)[١]، سار مودود، صاحب الموصل، إلى الرُّها، فنزل عليها، ورعى[٢] عسكره زروعها، ورحل عنها إلى سَروج، وفعل بها كذلك وأهمل الفرنج، ولم يحترز منهم، فلم يشعر إلاّ وجوسلين، صاحبُ تلّ باشر، قد كبسهم، وكانت دوابّ العسكر منتشرة في المرعى، فأخذ الفرنج كثيراً منها، وقتلوا كثيراً من العسكر، فلمّا تأهّب المسلمون للقائه، عاد عنهم إلى سَروج.

وفيها رحل السلطان محمّد من بغداذ، وكان مُقامه هذه المرّة خمسة أشهر، فلمّا وصل إلى أصبهان قبض على زين الملك أبي سعد القُمّيّ، وسلّمه إلى الأمير كاميار لعداوةٍ بينهما، فلمّا وصل إلى الرّيّ أركبه كاميار على دابّة بمركب ذهب، وأظهر أنّ السلطان خلع عليه على مالٍ قرّره عليه، فحصّل بذلك مالاً كثيراً من أهل القُمّيّ، ثم صلبه؛ وكان سبب قبضه أنّه كان يُكثر الطعن على الخليفة والسلطان.

وفيها كان ببغداذ رجل مغربيٌّ يعمل الكيمياء، بزعمه، اسمه أبو عليّ، فحُمل إلى دار الخلافة، وكان آخر العهد به[٣].

وفيها ورد إلى بغداذ يوسف بن أيّوب الهمذانيُّ، الواعظ، وكان من الزهّاد العابدين، فوعظ الناس بها، فقام إليه رجل متفقّه، يقال له ابن السقّاء، فآذاه في مسألةٍ، وعاوده، فقال له: اجلس، فإنّي أجد من كلامك رائحة الكفر، ولعلّك تموت على غير دين الإسلام؛ فاتّفق بعد مُدَيْدة أنّ ابن السقّاء خرج إلى بلاد الروم، وتنصّر[٤].

---

(١) من (ب).

(٢) في الأوربية: «ورعا».

(٣) المنتظم ١٧/١٢٨.

(٤) المنتظم ١٧/١٢٨.

وفيها، في ذي القعدة، سُمع ببغداذ صوت هدّةٍ عظيمة، ولم يكن بالسماء غيم حتّى يُظنّ أنّه صوت رعد، ولم يعلم أحد أيّ صوت كان.

وفيها توفّي بسيل[1] الأرمنيّ، صاحب (الدروب، ببلاد)[2] ابن لاون، فسار طَنكري، صاحب أنطاكية، أوّل جمادى الآخرة، إلى بلاده طمعاً في أن يملكها، فمرض في طريقه، فعاد إلى أنطاكية، فمات ثامن جُمادى [الآخرة]، وملكها بعده ابن أُخته سَرْخالة[3]، واستقام الأمر فيها، بعد أن جرى بين الفرنج خُلْف[4] بسببه، فأصلح بينهم القسوس والرُّهبان[5].

وفيها توفّي قراجة[6]، صاحب حمص، وكان ظالماً، وقام ولده قرجان[7] مكانه، وكان مثله[8] في قبح السيرة.

[الوفيات]

وفي هذه السنة توفّي المعمّر[9] بن عليّ أبو سعد بن أبي عمامة الواعظ البغداذيُّ، ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة؛ (وكان له خاطر حادّ، ومجُون حَسَن، وكان الغالب على وعظه أخبار الصالحين)[10].

وتوفّي أحمد بن الفَرَج بن عمر الدّينَوريُّ[11]، والد شُهدة، وكان يروي عن أبي يَعْلَى بن الفرّاء، وابن المأمون، وابن المهتدي، وابن النُّقور، وغيرهم، وكان حَسَن السيرة متزهّداً.

---

(١) في (ب): «الأمير».
(٢) في الباريسية: «البلاد».
(٣) في (ب): «سرخال»، وكذا في دول الإسلام ٢/ ٣٤.
(٤) من الباريسية.
(٥) المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٦، دول الإسلام ٢/ ٣٤، تاريخ الإسلام ٢٦، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١.
(٦) في طبعة صادر ١٠/ ٤٩٣: «قراجة»، والمثبت من: المختصر ٢/ ٢٢٦، وتاريخ الإسلام ٢٦، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١، ونسختي: (ب) وبودليان.
(٧) تصحف في الباريسية إلى: «حبرخان»، و(ب): «حبرخان»، وبودليان: «حبرجاِن»، ورقة ٥٠٨ و ٥١٧.
(٨) في الأوربية: «قبله».
(٩) انظر عن (المعمّر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٦ هـ.) ص ١٥٠ رقم ١٦٥، وفيه مصادر ترجمته.
(١٠) من (ب).
(١١) انظر عن (الدينَوَري) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٦ هـ.) ص ١٣٢ رقم ١٢٦، وفيه مصادر ترجمته

وتوفّي أبو العلاء صاعد بن منصور[1] بن إسماعيل بن صاعد، الخطيب النَّيسابوريُّ، وكان من أعيان الفقهاء، ووليَ قضاء خُوارزم، وكان يروي الحديث.

(١) انظر عن (صاعد بن منصور) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٦ هـ.) ص ١٤٠، ١٤١ رقم ١٤٨، وفيه مصادر ترجمته.

٥٠٧
ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة

ذكر قتال الفرنج وانهزامهم وقتل مودود

في هذه السنة، في المحرّم، اجتمع المسلمون، وفيهم الأمير مودود بن ألْتُونتِكين، صاحب الموصل، وتَمِيرك، صاحب سِنجار، والأمير إياز بن إيلغازي، وطُغتِكين، صاحب دمشق[١].

وكان سبب (اجتماع المسلمين)[٢] أنّ ملك الفرنج بغدوين[٣] تابع الغارات على بلد دمشق، (ونهبه، وخرّبه)[٤]، أواخر سنة ستّ وخمسمائة، وانقطعت الموادّ عن دمشق[٥]، فغلت الأسعار (فيها، وقلّت الأقوات)[٦]، فأرسل طُغتِكين صاحبها إلى الأمير مودود يشرح له الحال، ويستنجده[٧]، ويحثّه على سرعة[٨] الوصول إليه، فجمع عسكراً، وسار فعبر الفرات آخر ذي القعدة سنة ستّ وخمسمائة، فخافه الفرنج.

وسمع طُغتِكين خبره، فسار إليه، ولقيه بسَلَميّة، واتّفق رأيهم على قصد بغدوين، ملك القدس، فساروا إلى الأردنّ، فنزل المسلمون عند الأقحوانة ونزل الفرنج مع

---

(١) زاد في (ب): ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود وجمع الفرنج مع بغدوين ملك القدس وجوسلين صاحب جيشهم وغيرهما من المقدمين.

(٢) في الباريسية: «اجتماعهم».

(٣) في (ب): «ملك القدس».

(٤) من (ب).

(٥) في (ب): «بدمشق».

(٦) من الباريسية.

(٧) من الباريسية.

(٨) من (ب).

ملكهم بغدوين وجوسلين، صاحب جيشهم، وغيرهما من المقدّمين، والفرسان المشهورين؛ ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود، وجمع الفرنج، فالتقوا عند طَبَرِيّة ثالث عشر المحرّم، واشتدّ القتال، وصبر الفريقان، ثم إنّ الفرنج انهزموا، وكثُر القتل فيهم والأسر، وممّن أُسر ملكهم بغدوين، فلم يُعْرَفْ، فأُخذ سلاحه وأُطلق فنجا، وغرق منهم في بحيرة طَبَرِيّة ونهر الأردنّ كثير، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم، ووصل الفرنج إلى مضيق دون طَبَرِيّة، فلقيهم عسكر طرابلس وأنطاكية، فقويت نفوسهم بهم، وعاودوا الحرب، فأحاط بهم المسلمون من كلّ ناحية، وصعد الفرنج إلى جبل غرب طَبَرِيّة، فأقاموا به ستّة وعشرين يوماً، والمسلمون بإزائهم يرمونهم بالنشّاب فيصيبون من يقرب منهم، ومنعوا[1] المِيرة عنهم لعلّهم يخرجون إلى قتالهم، فلم يخرج منهم أحد، فسار المسلمون إلى بَيْسان، ونهبوا بلاد الفرنج بين عكّا إلى القدس، وخرّبوها، وقتلوا من ظفروا به من النصارى، وانقطعت المادّة عنهم لبعدهم عن بلادهم، فعادوا ونزلوا[2] بمرج الصُّفّر[3].

وأذِن الأمير مودود للعساكر في العَود والاستراحة، ثم الاجتماع في الربيع لمعاودة الغزاة، وبقي في خواصّه، ودخل دمشق في الحادي والعشرين من ربيع الأوّل ليقيم عند طُغتِكين إلى الربيع. فدخل الجامع يوم الجمعة في ربيع الأوّل، ليصلّي فيه وطُغتِكين، فلمّا فرغوا من الصّلاة، وخرج إلى صحن الجامع، ويده في يد طُغتِكين، وثب[4] عليه باطنيّ فضربه فجرحه أربع جراحات وقُتل الباطنيُّ، وأُخذ رأسه، فلم يعرفه أحد، فأُحرق.

وكان صائماً، فَحُمل إلى دار طُغتِكين، واجتهد به ليفطر، فلم يفعل، وقال: لا لقيتُ الله إلاّ صائماً؛ فمات من يومه، رحمه الله، فقيل إنّ الباطنيّة بالشام خافوه وقتلوه، وقيل بل خافه طُغتِكين فوضع عليه من قتله.

وكان خيّراً، عادلاً، كثير الخير؛ حدّثني والدي قال: كتب ملك الفرنج إلى طُغتِكين، بعد قتل مودود، كتاباً من فصوله[5]: أنّ أمّة قتلت عميدها، يوم عيدها، في بيت معبودها، لَحَقيقٌ على الله أن يبيدها.

---

(١) في الأصل: «منعوه».

(٢) في الأوربية: «ونزل».

(٣) التاريخ الباهر ١٩، العبر ٤/ ١٢، تاريخ الإسلام ٢٧، ٢٨، الإعلام والتبيين ٢٦.

(٤) في الأوربية: «فوثب».

(٥) في الأوربية: «فضوله».

ولمّا قُتل تسلّم تميرك، صاحب سنجار، ما معه من الخزائن والسلاح وحملها إلى السلطان، ودُفن مودود بدمشق في تربة دُقاق صاحبها، وحُمل بعد ذلك إلى بغداذ، فدُفن في جوار أبي حنيفة، ثم حُمل إلى أصبهان[١].

ذكر الخُلف بين السلطان سَنْجَر ومحمّد خان والصلح بينهما

في هذه السنة كثُر الحديث عند سَنجَر: أنّ محمّد خان بن سليمان بن داود قد مدّ يده إلى أموال الرعايا، وظلمهم ظلماً كثيراً، وأنّه خرّب البلاد بظلمه وشرّه، وأنّه قد صار يستخفّ[٢] بأوامر سنجَر، ولا يلتفت إلى شيء منها، فتجهّز سنجَر وجمع عساكره وسار يريد قصده بما وراء النهر، فخاف محمّد خان، فأرسل إلى الأمير قماج، وهو أكبر أمير مع سنجر، يسأله أن يصلح الحال بينه وبين سنجَر، وأرسل أيضاً إلى خُوارزمشاه بمثل ذلك، وسألهما في إرضاء السلطان عنه، واعترف بأنّه أخطأ، فأجاب سنجَر إلى صلحه على شرط أن يحضر عنده ويطأ بساطه، فأرسل محمّد خان يذكر خوفه لسوء صنيعه، ولكنّه يحضر الخدمة، ويخدم السلطان، وبينهما نهر جيحون، ثم يعاود بعد ذلك الحضور عنده، والدخول إليه، فحسّنوا الإجابة إلى ذلك، والاشتغال بغيره، فامتنع، ثم أجاب.

وكان سنجَر على شاطىء جيحون من الجانب الغربيّ، وجاء محمّد خان إلى الجانب الشرقيّ، فترجّل وقبّل الأرض وسنجَر راكب، وعاد كلّ واحد منهما إلى خيامه، ورجعوا إلى بلادهم، وسكنت الفتنة بينهما.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة سار قَفل عظيم من دمشق إلى مصر، فأتى الخبر إلى بغدوين ملك الفرنج، فسار إليه، وعارضه في البرّ، فأخذهم أجمعين، ولم ينجُ منهم إلاّ القليل، ومن سلم أخذه[٣] العرب[٤].

---

(١) انظر عن مقتل مودود ـ رحمه الله ـ في: تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٧ هـ.) ص ٢٨، ٢٩، وفيه حشدت المصادر. وانظر (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٩٤ رقم ٢٠٥.

(٢) في الأوربية: «استخف».

(٣) في الأوربية: «أخذ».

(٤) إلى هنا ينتهي النقل من نسخة (ب).

[الوفيات]

وفي هذه السنة توفّي الوزير أبو القاسم عليُّ بن محمّد بن جَهِير[1]، وزير الخليفة المستظهر بالله، ووَزَرَ بعده الربيب أبو منصور ابن الوزير أبي شجاع محمّد بن الحسين وزير السلطان.

وفيها توفّي الملك رضوان[2] بن تاج الدّولة تُتُش بن ألب أرسلان، صاحب حلب، وقام بعده بحلب ابنه ألب أرسلان الأخرس، وعمره ستّ عشرة سنة، وكانت أمور رضوان غير محمودة: قتل أخويه أبا طالب وبهرام، وكان يستعين بالباطنيّة في كثير من أموره لقلّة دينه، ولمّا ملك الأخرس استولى على الأمور لؤلؤ الخادم، ولم يكن للأخرس معه إلاّ اسم السلطنة، ومعناه للؤلؤ، ولم يكن ألب أرسلان أخرس، وإنّما في لسانه حُبْسَة وتَمْتَمةٌ، وأُمّه بنت ياغي[3] سيان الذي كان صاحب أنطاكية، وقتل الأخرس أخوين له أحدهما اسمه ملكشاه، وهو من أبيه وأمّه، واسم الآخر مباركشاه، وهو من أبيه، وكان أبوه فعل مثله، فلمّا تُوفّي قُتلَ ولَداه، مُكافأةً لما اعتمده مع أخويه.

وكان الباطنيّة قد كثروا بحلب في أيّامه، حتّى خافهم ابن بديع رئيسها، وأعيان أهلها، فلمّا توفّي قال ابن بديع لألب أرسلان في قتلهم والإيقاع بهم، فأمره بذلك، فقبض على مقدّمهم أبي طاهر الصائغ، وعلى جميع أصحابه، فقتل أبا طاهر وجماعة من أعيانهم، وأخذ أموال الباقين وأطلقهم، فمنهم من قصد الفرنج، وتفرّقوا في البلاد.

وفي هذه السنة توفّي ببغداذ أبو بكر أحمد بن عليّ بن بدران الحلوانيُّ[4] الزاهد، منتصف جمادى الأولى، روى الحديث عن القاضي أبي الطيّب الطبريّ، وأبي محمّد الجوهريّ، وأبي طالب العُشاريّ وغيرهم، وروى عنه خلق كثير، ومن آخرهم أبو الفضل عبد الله بن الطوسيّ، خطيب الموصل.

وإسماعيل بن أحمد بن الحسين بن عليّ أبو علي بن أبي بكر البيهقيُّ[5]، الإمام

---

(١) انظر عن وفاة ابن جهير في: تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٧ هـ.) ص ٢٩، وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (الملك رضوان) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٥٨ رقم ١٨٠، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٣) في طبعة صادر ١٠/ ٤٩٩ «باغي»، والتصحيح من الأصل والمصادر.

(٤) انظر عن (الحلواني) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٥٤ رقم ١٧٠ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) انظر عن (البيهقي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٥٦، ١٥٧ رقم ١٧٦، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

ابن الإمام، ومولده سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، وتوفّي بمدينة بَيهَق، ولوالده تصانيف كثيرة مشهورة.

وشجاع[1] بن أبي شجاع فارس بن الحسين بن فارس أبو غالب الذهليُّ الحافظ، ومولده سنة ثلاثين وأربعمائة، وروى عن أبيه، وأبي القاسم، وابن المهتدي والجوهريّ وغيرهم.

والأديب أبو المظفّر محمّد بن أحمّد الأبيورديُّ[2] الشاعر المشهور، وله ديوان حَسَن، ومن شِعره:

تَنكَّرَ لي دَهْرِي ولم يَدْرِ أنّني ... أعِزُّ وأحداثُ الزَّمانِ تَهونُ
وظَلَّ يُرِيني الخَطْبَ كيفَ اعتداؤهُ ... وبتُّ أُريهِ الصَّبْرَ كيفَ يكونُ[3]

وله أيضاً:

ركبتُ طَرْفي فأذرَى دمْعَه أسَفاً ... عندَ انصرافيَ مِنهم مُضْمِرَ الياسِ
وقال: حتّامَ تُؤذيني فإن سَنَحَتْ[4] ... حوائجٌ لك فاركَبْني إلى الناسِ[5]

وكانت وفاته بأصبهان، وهو من ولد عَنْبَسة بن أبي سفيان بن حرب الأمويّ.

وتوفّي أبو بكر محمّد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشيُّ[6]، الإمام الفقيه الشافعيُّ، في شوّال، مولده سنة سبع وعشرين وأربعمائة، سمع أبا بكر الخطيب، وأبا يَعْلَى بن الفرّاء، وغيرهما[7]، وتفقّه على أبي عبد الله محمّد بن الكازرونيّ بديار بكر، وعلى أبي إسحاق الشيرازيّ ببغداذ، وعلى أبي نصر بن الصباغ.

---

(١) انظر عن (شجاع) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧هـ.) ص ١٦٠، ١٦١ رقم ١٨٢، وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (الأبيوردي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٨٢ ـ ١٨٧ رقم ١٩٦، وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٣) البيتان في ديوانه ٢/ ٥٥، والمنتظم ٩/ ١٧٦ (١٧/ ١٣٥)، ومعجم الأدباء ١٧/ ٢٤٦، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٠، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٨٧، وتاريخ الإسلام ١٨٦، وطبقات الشافعية الكبرى ٦/ ٨٣، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٩، والوافي بالوفيات ٢/ ٩٢، والبداية والنهاية ١٢/ ١٧٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٠٧.

(٤) في الأوربية: «سبخت».

(٥) البيتان في المنتظم ٩/ ١٧٧ (١٧/ ١٣٦).

(٦) انظر عن (الشاشي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٦٥ ـ ١٦٧ رقم ١٩٢، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٧) في الأوربية: (وغيرهم».

وفيها توفّي أبو نصر المؤتمن[1] بن أحمد بن الحسن الساجيُّ، الحافظ المقدسيُّ، ومولده سنة خمس وأربعين وأربعمائة، وكان مكثراً من الحديث، وتفقّه على أبي إسحاق، وكان ثقة.

---

(1) انظر عن (المؤتمن) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٩١ ـ ١٩٤ رقم ٢٠٤، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٥٠٨
ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة

ذكر مسير آقسنقر البُرسقيّ إلى الشام لحرب الفرنج

في هذه السنة سيّر السلطان محمّد الأمير آقسنقر البُرْسُقيَّ إلى الموصِل وأعمالها، والياً عليها، لمّا بلغه قتل مودود، وسيّر معه ولده الملك مسعوداً في جيش كثيف، أمره بقتال الفرنج، وكتب إلى سائر الأمراء بطاعته، فوصل إلى الموصل، واتّصلت به عساكرها، وفيهم عماد الدين زنكي بن آقسنقر، الذي ملك هو وأولاده الموصِل بعد ذلك، وكان له الشجاعة في الغاية.

واتّصل به أيضاً تميرك صاحب سِنجار وغيرهما، فسار البرسقيُّ إلى جزيرة ابن عُمَر، فسلّمها إليه نائب مودود بها، وسار معه إلى ماردِين، فنازلها البُرْسُقيُّ، حتّى أذعن له إيلغازي صاحبها، وسيّر معه عسكراً مع ولده إياز، فسار عنه البُرْسُقيُّ إلى الرُّها في خمسة عشر ألف فارس، فنازلها في ذي الحجّة، وقاتلها، وصبر له الفرنج، وأصابوا من بعض المسلمين غِرّة، فأخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها، فاشتدّ القتال حينئذٍ، وحَمِيَ المسلمون، وقاتلوا، فقتلوا من الفرنج خمسين فارساً من أعيانهم، وأقام عليها شهرَيْن وأيّاماً.

وضاقت الميرة على المسلمين، فرحلوا من الرُّها إلى سُمَيْساط، بعد أن خرّبوا بلد الرُّها وبلد سَروج وبلد سُمَيْساط، وأطاعه صاحب مَرْعَش على ما نذكره، ثم عاد إلى شحنان، فقبض على إياز بن إيلغازي، حيث لم يحضر أبوه، ونهب سواد ماردين[1].

(١) الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١/ ٥٣، دول الإسلام ٢/ ٣٦، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٨ هـ.) ص ٣١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢، الإعلام والتبيين ٢٣ وفيه: «البرشقي» بالشين المعجمة.

ولمّا بلغ طُغتِكين الخبر عاد إلى حمص، وأرسل في إطلاقه، فامتنع قرجان، وحلف: إن لم يعُدْ طُغتِكين لنقتلنّ إيلغازي؛ فأرسل إيلغازي إلى طُغتِكين: إنّ الملاجّة[1] تؤذيني، وتَسفك دمي، والمصلحة عودك إلى دمشق. فعاد.

وانتظر قرجان وصول العساكر السلطانيّة، فتأخّرت عنه، فخاف أن ينخدع أصحابه لطُغتِكين، ويسلّموا إليه حمص، فعدل إلى الصُّلح مع إيلغازي على أن يطلقه، ويأخذ ابنه إياز رهينة، ويصاهره، ويمنعه من طُغتِكين وغيره، فأجابه إلى ذلك، فأطلقه، وتحالفا، وسلّم إليه ابنه إياز، وسار عن حمص إلى حلب، وجمع التركمان، وعاد إلى حمص، وطالب بولده إياز، وحصر قرجان إلى أن وصلت العساكر السلطانيّة، فعاد إيلغازي على ما نذكره[2].

ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه وما كان منه مع السلطان سنجر

في هذه السنة، في شوّال، توفّي الملك علاء الدولة أبو سعد مسعود بن أبي المظفّر إبراهيم بن أبي سعد مسعود بن محمود بن سُبُكتِكين، صاحب غزنة، بها، وملك بعده ابنه أرسلانشاه، وأُمّه سلجوقيّة، وهي أُخت السلطان ألب أرسلان بن داود، فقبض على إخوته وسجنهم، وهرب أخ له اسمه بهرام إلى خُراسان، فوصل إلى السلطان سنجَر بن ملكشاه، فأرسل إلى أرسلانشاه في معناه، فلم يسمع منه، ولا أصغى إلى قوله، فتجهّز سنجَر للمسير إلى غَزنة، وإقامة بهرامشاه في الملك.

فأرسل أرسلانشاه إلى السلطان محمّد يشكو من أخيه سنجَر، فأرسل السلطان إلى أخيه سنجَر يأمره بمصالحة أرسلانشاه، وتَرْك التعرّض له، وقال للرسول: إن رأيتَ أخي وقد قصدهم، وسار نحوهم، أو قارب أن يسير، فلا تمنعه، ولا تبلّغه الرسالةَ، فإنّ ذلك يفتّ في عضده ويوهنه[3]، ولا يعود، ولأنْ يملك أخي الدنيا أحبّ إليّ. فوصل الرسول إلى سنجَر، وقد جهّز العساكر إلى غَزنة، وجعل على مقدّمته الأمير أُنَر، متقدّم عسكره، ومعه الملك بهرامشاه، فساروا حتّى بلغوا بُسْت، واتّصل بهم فيها أبو الفضل نصر بن خَلَف، صاحب سِجِسْتان.

---

(١) في الأوربية: «الملاجحة».

(٢) المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٧، دول الإسلام ٢/ ٣٦، تاريخ الإسلام ٣١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢.

(٣) في نسخة بودليان، والباريسية، و (أ): «ويورهنه».

ذكر طاعة صاحب مرعش وغيرها البُرسقيّ

في هذه السنة توفّي بعض كنود الفرنج، ويُعرف بكواسيل، وهو صاحب مَرْعَش، وكَيسوم، ورَعْبَانَ وغيرها، فاستولت زوجته على المملكة، وتحصّنتْ من الفرنج، وأحسنتْ إلى الأجناد، وراسلت آقسنقَر البرسُقيَّ، وهو على الرُّها، واستدعت منه بعض أصحابه لتطيعه[1]، فسيّر إليها الأمير سُنقر دزدار، صاحب الخابور، فلمّا وصل إليها أكرمتْه، وحملتْ إليه مالاً كثيراً.

وبينما هو عندها إذ جاء جمع من الفرنج، فواقعوا أصحابه، وهم نحو مائة فارس، واقتتلوا قتالاً شديداً ظفر فيه المسلمون بالفرنج، وقتلوا منهم أكثرهم، وعاد سُنقر دزدار، وقد أصحبتْه الهدايا للملك مسعود والبرسقيّ، وأذعنت بالطاعة، ولمّا عرف الفرنج ذلك عاد كثير ممّن عندها إلى أنطاكية.

ذكر الحرب بين البُرسقيّ وإيلغازي وأسْر إيلغازي

لمّا قبض البرسقيُّ على إياز بن إيلغازي سار إلى حصن كيفا، وصاحبها الأمير ركن الدولة داود ابن أخيه سُقمان، فاستنجده، فسار معه في عسكره وأحضر خلقاً كثيراً من التركمان، وسارا إلى البرسقيّ، فلقيه، أواخر السنة، واقتتلوا قتالاً شديداً صبروا فيه، فانهزم البرسقيُّ وعسكره، وخلص إياز بن إيلغازي من الأسر، فأرسل السلطان إليه يتهدّده، فخافه، وسار إلى الشام إلى حميّه[2] طُغتِكين، صاحب دمشق، فأقام عنده أيّاماً.

وكان طُغتِكين أيضاً قد استوحش من السلطان لأنّه نسب إليه قتل مودود، فاتفقا على الامتناع، والالتجاء إلى الفرنج، والاحتماء بهم، فراسلا صاحب أنطاكية، وحالفاه، فحضر عندهما على بُحَيْرة قَدَس، عندَ حِمص، وجدّدوا العهود، وعاد إلى أنطاكية، وعاد طُغتِكين إلى دمشق، وسار إيلغازي إلى الرسْتَن على عزم قصد ديار بكر، وجمْع التركمان والعود، فنزل بالرَّسْتَن ليستريح، فقصده الأمير قُرجان بن قراجة، صاحب حمص، وقد تفرّق عن إيلغازي أصحابه، فظفر به قرجان وأسره ومعه جماعة من خواصّه، وأرسل إلى السلطان يعرّفه ذلك، ويسأله تعجيل إنفاذ العساكر لئلاّ يغلبه طُغتِكين على إيلغازي.

---

(١) في الأوربية: «لتعطيه».

(٢) في الأوربية: «حمية».

وسمع أرسلانشاه الخبر، فسيّر جيشاً كثيفاً، فهزماه، ونهباه، وعاد من سلم إلى غَزنة على أسْوإ حال، فخضع حينئذٍ أرسلانشاه وأرسل إلى الأمير أُنَر يضمن له الأموال الكثيرة ليعود عنه، ويحسّن للملك سنجَر العود عنه، فلم يفعل.

وتجهّز السلطان سنجَر، بعد أُنَر، للمسير بنفسه، فأرسل إليه أرسلانشاه امرأة عمّه نصر تسأله الصفح والعود عن قصده، وهي أخت الملك سنجَر من السلطان بركْيارُق، وكان علاء الدولة أبو سعد قد قتل زوجها، ومنعها من الخروج عن غَزنة وتزوّجها، فسيّرها الآن أرسلانشاه، فلمّا وصلتْ (إلى أخيه أوصلتْ)[1] ما معها من الأموال والهدايا، وكان معها مائتا ألف دينار، وغير ذلك؛ وطلب من سنجَر أن يسلّم أخاه بهرام إليه.

وكانت موغرة الصدر من أرسلانشاه، فهوّنت أمره على سنجر، وأطمعته في البلاد، وسهّلت الأمر عليه، وذكرت له ما فعل بإخوته، وكان قتل بعضاً وكحل بعضاً من غير خروج منهم عن الطاعة. فسار الملك سنجَر، فلمّا وصل إلى بُست أرسل خادماً من خواصّه إلى أرسلانشاه في رسالة، فقبض عليه في بعض القلاع، فسار حينئذ سنجَر مجدّاً، فلمّا سمع بقربه منه أطلق الرسول، ووصل سنجَر إلى غَزنة، ووقع بينهما المصافّ على فرسخ من غزنة، بصحراء شهراباذ، وكان أرسلانشاه في ثلاثين ألف فارس، وخلق كثير من الرَّجّالة، ومعه مائة وعشرون فيلاً، على كلّ فيل أربعة نفر، فحملت الفيَلة على القلب، وفيه سنجَر، فكان من فيه ينهزمون، فقال سنجَر لغلمانه الأتراك ليرموها بالنشّاب، فتقدّم ثلاثة آلاف غلام، فرموا الفيَلة رشقاً واحداً جميعاً، فقتلوا منها عدّة، فعدلت الفيَلة عن القلب إلى الميسرة، وبها أبو الفضل صاحب سِجِستان، وجالت عليهم، فضعف من في الميسرة، فشجّعهم أبو الفضل، وخوّفهم من الهزيمة مع بُعد ديارهم، وترجّل عن فرسه بنفسه، وقصد كبيرَ الفيَلة ومتقدّمها، ودخل تحتها فشقّ بطنها، وقتل فيلَيْن آخرين.

ورأى الأمير أُنَر، وهو في الميمنة، ما في الميسرة من الحرب، فخاف عليها، فحمل من وراء عسكر غزنة، وقصد الميسرة، واختلط بهم، وأعانهم، فكانت الهزيمة على الغزنويّة، وكان ركّاب الفيَلة قد شدّوا أنفسهم عليها بالسلاسل، فلمّا عضّتهم الحرب، وعمل فيهم السيف، ألقوا أنفسهم، فبقوا معلّقين عليها.

---

(١) في الباريسية و (أ): «اليه»، والمثبت من نسخة بودليان.

ودخل السلطان سنجَر غزنة في العشرين من شوّال سنة عشرٍ وخمسمائة، ومعه بهرامشاه. فأمّا القلعة الكبيرة المشتملة على الأموال، وبينها وبين البلد تسعة فراسخ، وهي عظيمة، فلا[1] مطمع فيها، ولا طريق عليها.

وكان أرسلانشاه قد سجن فيها أخاه طاهراً[2] الخازن، وهو صاحب بهرامشاه، واعتقل بها أيضاً زوجة بهرامشاه، فلمّا انهزم أرسلانشاه استمال أخوه طاهر المستحفظَ بها، فبذل له وللأجناد الزيادات، فسلّموا القلعة إلى الملك سنجَر.

وأمّا قلعة البلد فإنّ أرسلانشاه كان اعتقل بها رسول سنجَر، فلمّا أطلقه بقي غلمانه بها، فسلّموا القلعة أيضاً بغير قتال.

وكان قد تقرّر بين بهرامشاه وبين سنجَر أن يجلس بهرام على سرير جدّه محمود بن سبكتكين وحده، وأن تكون[3] الخطبة بغزنة للخليفة، وللسلطان محمّد، وللملك سنجَر، وبعدهم لبهرامشاه. فلمّا دخلوا غَزنة كان سنجَر راكباً، وبهرامشاه بين يدَيه راجلاً، حتّى جاء السرير، فصعد بهرامشاه فجلس عليه، ورجع سنجَر، وكان يخطب له بالملك، ولبهرامشاه بالسلطان، على عادة آبائه، فكان هذا من أعجب ما يُسمع به.

وحصل لأصحاب سنجَر من الأموال ما لا يُحدّ ولا يُحصى من السلطان والرعايا، وكان في دور لملوكها عدّة دور على حيطانها ألواح الفضّة، وسواقي المياه إلى البساتين من الفضّة أيضاً، فقُلع من ذلك أكثره، ونُهب، فلمّا سمع سنجَر ما يفعل منع عنده بجهده، وصلب جماعة حتّى كفّ الناس.

وفي جملة ما حصل للملك سنجَر خمسة تِيجان قِيمة أحدها تزيد[4] على ألفَيْ ألف دينار، وألف وثلاثمائة قطعة مصاغة مرصّعة، وسبعة عشر سريراً من الذهب والفضّة، وأقام بغزنة أربعين يوماً، حتى استقرّ بهرامشاه، وعاد نحو خراسان، ولم يُخطب بغَزْنة لسلجوقيّ قبل هذا الوقت، حتّى إنّ السلطان ملكشاه مع تمكّنه وكثرة ملكه لم يطمع فيه، وكان كلّما رام ذلك منع منه نظام الملك.

وأمّا أرسلانشاه فإنّه لـمّا انهزم قصد هِندوستان واجتمع عليه أصحابه، فقويت

(١) في الأوربية: «لا».
(٢) في الأوربية: «طاهر».
(٣) في الأوربية: «يكون».
(٤) في الأوربية: «يزيد».

شوكته، فلمّا عاد سنجَر إلى خُراسان توجّه إلى غَزنة، فلمّا عرف بهرامشاه قَصْدَهُ إيّاه توجّه إلى بامِيان، وأرسل إلى الملك سنجَر يعلمه الحال، فأرسل إليه عسكراً.

وأقام أرسلانشاه بغَزنة شهراً واحداً، وسار يطلب أخاه بهرامشاه، فبلغه وصول عسكر سنجَر، فانهزم بغير قتال للخوف الذي قد باشر قلوب أصحابه، ولحق بجبال أوغنان، فسار أخوه بهرامشاه وعسكر سنجَر في أثره، وخربوا البلاد التي هو فيها، وأرسلوا إلى أهلها يتهدّدونهم، فسلّموه بعد المضايقة، فأخذه متقدّم جيش الملك سنجر، وأراد حمله إلى صاحبه، فخاف بهرامشاه من ذلك، فبذل له مالاً، فسلّمه إليه، فخنقه ودفنه بتربة أبيه بغَزنة، وكان عمره سبعاً[1] وعشرين سنة، وكان أحسن إخوته صورةً، وكان قتله في جُمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة وخمسمائة، وإنّما ذكرناه هاهنا لتتّصل الحادثة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في جُمادى الآخرة، كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة، والشام، وغيرها، فخربت كثيراً من الرُّها، وحَرّانَ، وسُمَيْسَاط، وبالِس وغيرها، وهلك خلق كثير تحت الهدم[2].

وفيها قُتل تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان، صاحب حلب، قتله غلمانه بقلعة حلب، وأقاموا بعده أخاه سلطان شاه بن رضوان، وكان المستولي عليه لؤلؤ الخادم[3].

[الوفيات]

وفيها توفّي الشريف النسيب أبو القاسم عليُّ بن إبراهيم بن العبّاس الحسينيُّ[4]، في ربيع الآخر، بدمشق.

---

(١) في الأوربية: «سبع».

(٢) تاريخ حلب ٣٦٦، ٣٦٧ (٣٢)، المنتظم ٩/ ١٨٠، ١٨١ (١٧/ ١٤٠)، ذيل تاريخ دمشق ١٩١، تاريخ الزمان ١٣٦، زبدة الحلب ٢/ ١٧٣، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٥٢، الدرّة المضية ٤٧٧، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٨ هـ.) ص ٣٢، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٨، عيون التواريخ ١٢/ ٤٤، كشف الصلصلة ١٨٢، شذرات الذهب ٤/ ٢١ و ٢٣.

(٣) تاريخ حلب ٣٦٦ (٣٢)، ذيل تاريخ دمشق ١٩١ زبدة الحلب ٢/ ١٧١، ١٧٢، نهاية الأرب ٢٧/ ٧٦، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٨، تاريخ الإسلام ٣٢، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٨، مآثر الإنافة ٢/ ٢٠. وانظر ترجمته في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٨ هـ.) ص ٢٠٢ رقم ٢٢١، وفيه مصادر أخرى.

(٤) انظر عن (الحسيني) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٨ هـ.) ص ٢٠٩ رقم ٢٣٧، وفيه مصادر ترجمته.

٥٠٩
ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة

ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج

قد ذكرنا ما كان من عصيان إيلغازي وطُغتِكين على السلطان، وقوّة الفرنج، فلمّا اتّصل ذلك بالسلطان محمّد جهّز عسكراً كثيراً، وجعل مقدّمهم الأمير بُرسق بن بُرسُق، صاحب همذان، ومعه الأمير جيوش بك والأمير كيدغدي[١]، وعساكر الموصل والجزيرة، وأمرهم بالبداية بقتال إيلغازي وطُغتِكين، فإذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج، وقاتلوهم، وحصروا بلادهم.

فساروا في رمضان من سنة ثمانٍ وخمسمائة، وكان عسكراً كثير العدّة، وعبروا الفرات، آخر السنة، عند الرَّقّة، فلمّا قاربوا حلب راسلوا المتولّي لأمرها لؤلؤاً[٢] الخادم، ومقدّم عسكرها المعروف بشمس الخواصّ، يأمرونهما بتسليم حلب، وعرضوا عليهما كُتُب السلطان بذلك، فغالطا[٣] في الجواب، وأرسلا إلى إيلغازي وطُغتكين يستنجدانهما، فسارا إليهم في ألفَيْ فارس، ودخلا حلب، فامتنع من بها حينئذٍ عن عسكر السلطان، وأظهروا العصيان. فسار الأمير برْسُق بن بُرْسُق إلى مدينة حماة، وهي في طاعة طُغتِكين، وبها ثَقَله، فحصرها، وفتحها عَنوةً ونهبها ثلاثة أيّام، وسلّمها إلى الأمير قرجان، صاحب حِمص.

وكان السلطان قد أمر أن يسلّم إليه كلّ بلد يفتحونه[٤]، فلمّا رأى الأمراء ذلك فشلوا وضعُفت نيّاتهم في القتال، بحيث تؤخذ البلاد وتُسلّم إلى قرجان، فلمّا سلّموا

---

(١) في طبعة صادر ٥٠٩/١٠: «كنتغدي»، وفي الباريسية: «كسفدي»، والمثبت من نسخة بودليان.

(٢) في الأوربية: «لؤلؤ».

(٣) في الأوربية: «فغالطا».

(٤) في الأوربية: «تفتحونه».

حماة إلى قرجان سلّم إليهم إياز بن إيلغازي، وكان قد سار إيلغازي، وطُغتِكين، وشمس الخواصّ، إلى أنطاكية واستجاروا بصاحبها رُوجيل[1]، وسألوه أن يُساعدهم على حفظ مدينة حماة (ولم يكن بلغهم)[2] فتحها.

ووصل إليهم بأنطاكية بغدوين، صاحب القدس، وصاحب طرابلس، وغيرهما من شياطين الفرنج، واتّفق رأيهم على ترك اللقاء لكثرة المسلمين، وقالوا إنّهم عند هجوم الشتاء يتفرّقون، واجتمعوا بقلعة أفامِيَة، وأقاموا نحو شهرَيْن، فلمّا انتصف أيلول، ورأوا عزم المسلمين على المقام، تفرّقوا، فعاد إيلغازي إلى ماردِين، وطُغتِكين إلى دِمَشق، والفرنج إلى بلادها.

وكانت أفامِيَة وكَفَرْطاب للفرنج، فقصد المسلمون كَفَرْطاب وحصروها، فلمّا اشتدّ الحصر على الفرنج، ورأوا الهلاك، قتلوا أولادهم ونساءهم وأحرقوا أموالهم، ودخل المسلمون البلد عَنوةً وقهراً، وأسروا صاحبه، وقتلوا من بقي فيه من الفرنج، وساروا إلى قلعة أفامية، فرأوها حصينة، فعادوا عنها إلى المَعَرة، وهي للفرنج أيضاً، وفارقهم الأمير جيوش بك إلى وادي بُزَاعة فملكه.

وسارت العساكر عن المَعَرَّة إلى حلب، وتقدّمهم ثَقَلهم ودوابّهم، على جاري العادة، والعساكر في أثره متلاحقة، وهم آمنون لا يظنّون أحداً يقدم على القرب منهم.

وكان روجيل[1]، صاحب أنطاكية، لمّا بلغه حصر كفَرْطاب، سار في خمسمائة فارس وألفَيْ راجل للمنع، فوصل إلى المكان الذي ضُربت فيه خيام المسلمين، على غير علم بها، فرآها خالية من الرجال المقاتلة، لأنّهم لم يصلوا إليها، فنهب جميع ما هناك، وقتل كثيراً من السوقيّة، وغلمان العسكر، ووصلت العساكر متفرّقة، فكان الفرنج يقتلون كلّ من وصل إليهم.

ووصل الأمير بُرسق في نحو مائة فارس، فرأى الحال، فصعد تلاً هناك، ومعه أخوه زنكي، وأحاط بهم من السوقيّة والغلمان، واحتموا بهم، ومنعوا الأمير بُرسق من النزول، فأشار عليه أخوه ومَن معه بالنزول والنجاة بنفسه، فقال: لا أفعل، بل أُقتل في سبيل الله، وأكون فداء المسلمين؛ فغلبوه على رأيه، فنجا هو ومن معه، فتبعهم الفرنج نحو فرسخ، ثم عادوا وتمّموا الغنيمة والقتل، وأحرقوا كثيراً من الناس. وتفرّق العسكر، وأخذ كلّ واحد جهةً.

---

(١) في الباريسية: «روحيل».

(٢) في الأوربية: «فلا بلغهم».

ولمّا سمع الموكّلون بالأسرى المأخوذين من كفَرْطاب ذلك قتلوهم، وكذلك فعل الموكّل بإياز بن إيلغازي قتله أيضاً، وخاف أهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين التي بالشام، فإنّهم كانوا يرجون النصر من جهة هذا العسكر، فأتاهم ما لم يكن في الحساب، وعادت العساكر عنهم[1] إلى بلادها[2].

وأمّا بُرسق وأخوه زنكي فإنّهما توفّيا في سنة عشرٍ وخمسمائة، وكان بُرسق خيّراً، ديّناً، وقد ندم على الهزيمة، وهو يتجهّز للعَود إلى الغزاة، فأتاه أَجَله[3].

ذكر ملك الفرنج رَفَنيّة وأخذها منهم

في هذه السنة، في جُمادى الآخرة، ملك الفرنج رَفَنِيّةَ من أرض الشام، وهي لطُغتِكين، صاحب دمشق، وقوّوها بالرجال والذخائر، وبالغوا في تحصينها، فاهتمّ طُغتِكين لذلك، وقوي عزمه على قصد بلاد الفرنج بالنهب لها والتخريب، فأتاه الخبر عن رَفَنِيّة بخلوّها من[4] عسكرٍ يمنع عنها، وليس هناك إلاّ الفرنج الذين رُتّبوا لحفظها، فسار إليها جريدةً، فلم يشعر من بها إلاّ وقد هجم عليهم البلد فدخله عَنوةً وقهراً، وأخذ كلّ من فيه من الفرنج أسيراً، فقتل البعض، وترك البعض، وغنم المسلمون من سوادهم، وكُراعهم، وذخائرهم ما امتلأت منه أيديهم، وعادوا إلى بلادهم سالمين[5].

ذكر وفاة يحيى بن تميم وولاية ابنه عليّ

في هذه السنة توفّي يحيى بن تميم المعزّ بن باديس، صاحب إفريقية، يوم عيد الأضحى، فجأةً، وكان منجّم قد قال له في مُنَسْتِير مولده إنّ عليه قطعاً في هذا اليوم، فلا يَرْكَبْ[6]، فلم يركب، وخرج أولاده وأهل دولته إلى المصلّى، فلمّا انقضت الصلاة

---

(١) في الأوربية: «منهم».
(٢) الإعتبار لأسامة ٩٠ ـ ٩٢، تاريخ حلب ٣٦٧ (٣٢)، زبدة الحلب ٢/ ١٧٤ ـ ١٧٦، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٨، ٢٢٩، دول الإسلام ٢/ ٣٧، العبر ٤/ ١٨، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٩ هـ.) ص ٣٤، ٣٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣، مرآة الجنان ٣/ ١٩٨، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٩، عيون التواريخ ١٢/ ٥٠.
(٣) تاريخ حلب ٣٦٧ (٣٢)، تاريخ الإسلام ٣٥.
(٤) في الأوربية: «لخلوّها عن».
(٥) زبدة الحلب ٢/ ١٧٧، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٥٦، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٩، تاريخ الإسلام ٣٥، ذيل تاريخ دمشق ١٩٢، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣، تاريخ طرابلس ١/ ٤٨٩.
(٦) في الأوربية: «تركب».

حضروا عنده للسلام عليه وتهنئته، وقرأ القراء، وأنشد الشعراء، وانصرفوا إلى الطعام، فقام يحيى من بابٍ آخر ليحضر معهم على الطعام، فلم يمش غير ثلاث خُطا حتّى وقع ميّتاً، وكان ولده عليّ بمدينة سَفَاقُس، فأُحضر وعُقدت له الولاية، ودُفن يحيى بالقصر، ثم نُقل إلى التربة بمُنَسْتِيرَ، وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وخمسة عشر يوماً، وكانت ولايته ثماني سنين وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يوماً، وخلّف ثلاثين ولداً، فقال عبد الجبّار بن محمّد بن حَمدِيس الصِّقلِيُّ يَرثيه ويهنّىء ابنه عليّاً بالملك:

ما أُغْمِدَ العَضْبُ إلاّ جُرّدَ الذَّكَرُ ... ولا اختفَى قَمَرٌ حَتّى بدَا قَمَرُ
بموتِ يَحْيَى أُميتَ الناسُ كلّهُمُ ... حتّى إذا ما عليٌّ جاءهُمُ نُشِرُوا
إن يُبْعَثُوا بسُرورٍ من تملّكِهِ ... فَمِنْ مَنِيّةِ يحيى بالأسى قُبِرُوا
أوفَى عليٌّ فسِنُّ المُلكِ ضاحِكةٌ ... وعينُها من أبيهِ دمعُها هَمِرُ
شُقّتْ جُيوبُ المَعالي بالأسى فبكَتْ ... في كلّ أُفقٍ عليه الأنجُمُ الزُّهُرُ
وقَلَّ لابن تميم حُزنُ[1] ما دهما[2] ... فكلُّ حُزنٍ عظيمٍ فيهِ مُحتَقَرُ
قامَ الدليلُ ويَحيى لا حياةَ له ... إنّ المنيّةَ لا تُبْقي ولا تَذَرُ

وكان يحيى عادلاً في رعيّته، ضابطاً لأمور دولته، مدبّراً لجميع أحواله، رحيماً بالضعفاء والفقراء، يُكثر الصدقة عليهم، ويقرّب أهل العلم والفضل، وكان عالماً بالأخبار، وأيّام الناس، والطبّ، وكان حسن الوجه، أشهل العين، إلى الطول ما هو[3].

ولمّا استقرّ عليّ في الملك جهّز أسطولاً إلى جزيرة جَرْبَةَ؛ وسببه أنّ أهلها كانوا[4] يقطعون الطّريق، ويأخذون التجار، فحصرها، وضيّق على من فيها فدخلوا تحت [طاعته]، والتزموا ترك الفساد، وضمنوا إصلاح الطريق، وكفّ عنهم عند ذلك، وصلح أمر البحر، وأمِن المسافرون.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في رجب، قدِم السلطان محمّد بغداذَ، ووصل إليه أتابَك

---

(١) في المكتبة العربية الصقلّية لأماري، ص ٢٨٠ «حزّنَ» بتشديد الزاي وفتح النون.

(٢) في الأوربية: «بهما»، وفي المكتبة العربية: «بها».

(٣) انظر عن (يحيى بن تميم) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٩ هـ.) ص ٢٣٨، ٢٣٩ رقم ٢٨٣، وفيه مصادر ترجمته.

(٤) في الأوربية: «كان».

طُغتِكين، صاحب دمشق، في ذي القعدة، وسأل الرضا عنه، فرضي عنه السلطان، وخلع عليه، وردّه إلى دمشق[1].

وفيها أمر الإمام المستظهر بالله ببيع البَدريّة، وهي مَنسوبة إلى بدر غلام المعتضد بالله، وكانت من أحسن دُور الخلفاء، وكان ينزلها الراضي بالله، ثم تهدّمت وصارت تلاًّ، فأمر القادر بالله أن يسوَّر عليها سور، لأنّها مع الدار الإماميّة، ففُعِل ذلك، فلمّا كان الآن أمر ببيعها، فبيعت، وعمّرها الناس.

وفيها، في شعبان، وقعت الفتنة بين العامّة، وسببها أنّ الناس لمّا عادوا من زيارة مُصعب اختصموا على من يدخل أوّلاً، فاقتتلوا، وقُتل بينهم جماعة، وعادت الفِتَن بين أهل المحالّ كما كانت، ثم سكنت.

وفيها أقطع السلطان محمّد الموصِل وما كان بيد آقسنقَر البرسقيّ (للأمير جيوش بك، وسيّر ولده الملك مسعوداً، وأقام البرسقيُّ)[2] بالرَّحبة، وهي إقطاعه، إلى أن توفّي السلطان محمّد، وكان ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ.

[الوفيات]

وفيها توفّي إسماعيل بن محمّد بن أحمد بن ملّة[3] الأصبهانيُّ، أبو عثمان بن أبي سعيد الواعظ، سمع الكثير، وحدّث ببغداذ وغيرها.

وهبة[4] الله بن المبارك بن موسى السَّقَطيُّ، أبو البركات، له رحلة، وله تصانيف، وكان أديباً.

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٢/٢٢٩، دول الإسلام ٢/٣٧، تاريخ الإسلام ٣٥، البداية والنهاية ١٢/١٧٩.

(٢) من نسخة بودليان.

(٣) انظر عن (ابن مَلّة) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٩ هـ.) ص ٢١٦، ٢١٧ رقم ٢٥١.

(٤) في طبعة صادر ١٠/٥١٥ «عبد الله»، والتصحيح من مصادر ترجمته التي حشدتها في تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٩ هـ.) ص ٢٣٥، ٢٣٦ رقم ٢٨٠.

٥١٠
ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة

ذكر قتل أحمدَيل بن وهسوذان

في هذه السنة، أوّل المحرّم، حضر أتابك طُغتِكين، صاحب دمشق، دار السلطان محمّد ببغداذ، وحضر جماعة الأمراء، ومعهم أحمدَيل بن إبراهيم بن وهسوذان الروادي، الكرديُّ، صاحب مَراغة وغيرها من أَذَرْبِيجان، وهو جالس إلى جانب طُغتِكين، فأتاه رجل متظلّم، وبيده رقعة، وهو يبكي، ويسأله أن يوصلها إلى السلطان، فأخذها من يده، فضربه الرجل بسكّين، فجذبه أحمدَيل وتركه تحته، فوثب رفيق للباطنيّ وضرب أحمدَيل سِكّيناً أخرى، فأخذتهما السيوف، وأقبل رفيق لهما وضرب أحمدَيل ضربة أخرى، فعجب الناس من إقدامه بعد قتل صاحبَيْه، وظنّ طُغتِكين والحاضرون[١] أنّ طُغتِكين كان المقصود بالقتل، وأنّه بأمر السلطان، فلمّا علموا أنّهم باطنيّة زال هذا الوهم[٢].

ذكر وفاة جاولي سقاوو وحال بلاد فارس معه

في هذه السنة توفّي جاولي سقاوو، وكان السلطان ببغداذ عازماً على المقام بها، فاضطرّ إلى المسير إلى أصبهان ليكون قريباً من فارس، لئلاّ تختلف عليه، وقد ذكرنا حال جاولي بالموصل إلى أن مُلكتْ منه وأخذها السلطان، فلمّا قصد السلطانَ ورضي عنه أقطعه بلاد فارس، فسار جاولي إليها، ومعه ولد السلطان جغري، وهو طفل له من العمر سنتان، وأمره بإصلاحها، وقَمْع المفسدين بها، فسار إليها، فأوّل ما اعتمده فيها

---

(١) في الأوربية: «والحاضرين».

(٢) المنتظم ٩/ ١٨٥، رقم ٣١٣ (١٧/ ١٤٧ رقم ٣٨٣٥)، وفي الطبعتين: «أحمد بك»، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٦٠، ١٦١، الدرّة المضيّة ٤٧٩، تاريخ الإسلام ٣٧، عيون التواريخ ١٢/ ٦٤.

أنّه لم[1] يتوسّط بلاد الأمير بلدجي، وهو من كبار مماليك السلطان ملكشاه، ومن جملة بلاده كَليل وسرماه[2]، وكان متمكّناً بتلك البلاد.

وراسله جاولي ليحضر خدمة جغري، ولد السلطان، وعلّم جغري أن يقول بالفارسيّة[3] خذوه، فلمّا دخل بلدجي قال جغري، على عادته: خذوه، فأُخذ وقُتل، ونُهبت أمواله.

وكان لبلدجي، من جملة حصونه، قلعة إصطَخْر، وهي من أمنع القلاع وأحصنها، وكان بها أهله وذخائره، وقد استناب في حفظها وزيراً له يُعرف بالجهرميّ، فعصى[4] عليه، وأخرج إليه أهله وبعض المال، ولم تزل في يد الجهرميّ حتّى وصل جاولي إلى فارس فأخذها منه، وجعل فيها أمواله.

وكان بفارس جماعة من أمراء الشوانكارة، وهم خلق كثير لا يحصَون، ومقدّمهم الحسن بن المبارز، المعروف بخسرو، وله فَسا وغيرها، فراسله جاولي ليحضر خدمة جغري، فأجاب: إنّني عبد السلطان، وفي طاعته، فأمّا الحضور فلا سبيل إليه، لأنّني قد عرفتُ عادتك مع بلدجي وغيره، ولكنّني أحمل إلى السلطان ما يؤثره. فلمّا سمع جاولي جوابه علم أنّه لا مقام له بفارس معه، فأظهر العَود إلى السلطان، وحمل أثقاله على الدوابّ، وسار كأنّه يطلب السلطانَ، ورجع الرسول إلى خسرو فأخبره، فاغترّ وقعد للشرب، وأمِن.

وأمّا جاولي فإنّه عاد من الطريق إلى خسرو جريدةً في نفر يسير، فوصل إليه وهو مخمور نائم، فكبسه، فأنبهه أخوه فضلُوه، فلم يستيقظ، فصبّ عليه الماء البارد، فأفاق، وركب من وقته وانهزم، وتفرّق أصحابه، ونهب جاولي ثقله وأمواله، وأكثر القتل في أصحابه، ونجا خسرو إلى حصنه، وهو بين جبلَين، يقال لأحدهما أُنَجُ.

وسار جاولي إلى مدينة فَسا فتسلّمها؛ ونهب كثيراً من بلاد فارس منها[5] جَهْرَم، وسار إلى خسرو، وحصره مدّة، وضيّق عليه، فرأى من امتناع حصنه وقوّته، وكثرة ذخائره ما علم [معه] أنّ المدّة تطول عليه، فصالحه ليشتغل بباقي بلاد فارس، ورحل

---

(١) في الأوربية: «الما».
(٢) في نسخة بودليان: «وشرماوه».
(٣) في الأوربية: «بالفرسية».
(٤) في الأوربية: «فعصا».
(٥) في الأوربية: «منهم».

عنه إلى شِيرَازَ، فأقام بها، ثم توجّه إلى كازَرُون فملكها، وحصر أبا سعد محمّد بن ممّا في قلعته، وأقام عليها سنتَيْن صيفاً وشتاء، فراسله جاولي في الصلح، فقتل الرسول، فأرسل إليه قوماً من الصوفيّة، فأطعمهم الهريسة والقطائف، ثم أمر بهم فخيطت أدبارهم وأُلقوا في الشمس فهلكوا؛ ثم نفد ما عند أبي سعد، فطلب الأمان فأمّنه، وتسلّم الحصن.

ثم إنّ جاولي أساء معاملته، فهرب، فقبض على أولاده، وبثّ الرجال في أثره، فرأى بعضهم زنجيّاً يحمل شيئاً، فقال: ما معك؟ فقال: زادي؛ ففتّشه، فرأى دجاجاً، وحَلواء السكر، فقال: ما هذا من طعامك! فضربه، فأقرّ على أبي سعد، وأنه يحمل ذلك إليه، فقصدوه، وهو في شعب جبل، فأخذه الجنديُّ وحمله إلى جاولي فقتله.

وسار إلى دَارَابْجِرْد، وصاحبها اسمه إبراهيم، فهرب صاحبها منه إلى كَرمان خوفاً منه، وكان بينه وبين صاحب كَرمان صِهر، وهو أرسلانشاه بن كرمانشاه بن أرسلان بك بن قاورت، فقال له: لو تعاضدنا لم يقدر علينا جاولي؛ وطلب منه النجدة.

وسار جاولي بعد هربه منه إلى حصار رتيل رننه[1]، يعني مضيق رننه[2]، وهو موضع لم يؤخذ قهراً قطّ، لأنّه وادٍ نحو فرسخين، وفي صدره قلعة مَنيعة على جبل عالٍ، وأهل دَارَابْجِرْدَ يتحصّنون به إذا خافوا، فأقاموا به، وحفظوا أعلاه.

فلمّا رأى جاولي حصانته سار يطلب البرّيّة نحو كَرْمان، كاتماً أمره، ثم رجع من طريق كَرْمان إلى دَارَابْجِرْدَ، مُظهراً أنّه من عسكر الملك أرسلانشاه، صاحب كَرمان، فلم يشكّ أهل الحصن أنّهم مدد لهم مع صاحبهم، فأظهروا السرور، وأذنوا له في دخول[3] المضيق، فلمّا دخله وضع السيف فيمن هناك، فلم ينج غير القليل، ونهب أموال أهل دارَابْجِرْدَ وعاد إلى مكانه، وراسل خسرو[4] يعلمه أنّه عازم على التوجّه إلى كَرمان، ويدعوه إليه، فلم يجد بدّاً من موافقته، فنزل إليه طائعاً، وسار معه إلى كَرمان، وأرسل إلى صاحبها القاضيَ أبا طاهر عبد الله بن طاهر قاضي شِيراز، يأمره بإعادة الشوانكارة لأنّهم رعيّة السلطان، يقول: إنّه متى أعادهم عاد عن قصد بلاده، وإلاّ قصده؛ فأعاد صاحب كَرمان جواب الرسالة يتضمّن الشفاعة فيهم، حيث استجاروا به.

---

(١) في الباريسية: «رسه»، وفي نسخة بودليان أيضاً.

(٢) في الباريسية: «رسه»، وفي بودليان»: «رسه».

(٣) في الأوربية: «الدخول».

(٤) في الأصل: «خسره».

ولمّا وصل الرسول إلى جاولي أحسن إليه، وأجزل له العطاء، وأفسده على صاحبه، وجعله عيناً له عليه، وقرّر معه إعادة عسكر كَرمان ليدخل البلاد وهم غارّون، فلمّا عاد الرسول وبلغ السِّيرَجَان، وبها عساكر صاحب كرمان، ووزيره مقدم الجيش، أعلم الوزير ما عليه جاولي من المقاربة، وأنّه يفارق ما كرهوه، وأكثر من هذا النوع، وقال: لكنّه مستوحش من اجتماع العساكر بالسِّيرَجَان، وإنّ أعداء جاولي طمعوا فيه بهذا العسكر، والرأي أن تعاد العساكر إلى بلادها.

فعاد الوزير والعساكر، وخلَت السّيرَجَان، وسار جاولي في أثر الرسول، فنزل بفَرَجَ[1]، وهي الحدّ بين فارس وكَرْمان، فحاصرها، فلمّا بلغ ذلك ملك كَرمان أحضر الرسول وأنكر عليه إعادة العسكر، فاعتذر إليه. وكان مع الرسول فرّاش لجاولي ليعود إليه بالأخبار، فارتاب به الوزير، فعاقَبه، فأقرّ على الرسول، فصُلب، ونُهبت أمواله، وصُلب الفرّاش، وندب العساكر إلى المسير إلى جاولي، فساروا في ستّة آلاف فارس.

وكانت الولاية التي هي الحدّ بين فارس وكرمان بيد إنسان يسمّى موسى، وكان ذا رأي ومكرٍ، فاجتمع بالعسكر، وأشار عليهم بترك الجادّة المسلوكة، وقال: إنّ جاولي محتاط[2] منها؛ وسلك بهم طريقاً غير مسلوكة، بين جبالٍ ومضايق.

وكان جاولي يحاصر فَرَجَ، وقد ضيّق على من بها، وهو يُدمن الشرب، فسيّر أميراً في طائفة من عسكره ليلقى العسكر المنفذ من كَرْمان، فسار الأمير، فلم يرَ أحداً، فظنّ أنّهم قد عادوا، فرجع إلى جاولي، وقال: إنّ العسكر كان قليلاً، فعاد خوفاً منّا؛ فاطمأنّ حينئذٍ جاولي، وأدمن شرب الخمر.

ووصل عسكر كَرْمان إليه ليلاً، وهو سكران، نائم، فأيقظه بعض أصحابه وأخبره، فقطع لسانه، فأتاه غيره وأيقظه وعرّفه الحال، فاستيقظ وركب وانهزم، وقد تفرّق عسكره منهزمين، فقُتل منهم وأُسر كثير، وأدركه خسرو وابن أبي سعد الذي قتل جاولي أباه، فسارا معه في أصحابهما، فالتفت، فلم يرَ معه أحداً من أصحابه الأتراك، فخاف على نفسه منهم، فقالا له: إنّا لا نغدر بك، ولن ترى منّا إلاّ الخير والسلامة وسارا معه، حتّى وصل إلى مدينة فَسا، واتّصل به المنهزمون من أصحابه، وأطلق صاحب كَرمان الأسرى وجهّزهم، وكانت هذه الوقعة في شوّال سنة ثمانٍ وخمسمائة.

---

(١) في الأصل: «بفرح».
(٢) في الأوربية: «محتاطاً».

وبينما جاولي يدبّر الأمر ليعاود كَرمان، ويأخذ بثأره، توفّي الملك جغري ابن السلطان محمّد، وعمره خمس سنين، وكانت وفاته في ذي الحجّة سنة تسع وخمسمائة، ففتّ ذلك في عضُده، فأرسل ملك كَرمان رسولاً إلى السلطان، وهو ببغداذ، يطلب منه مَنع جاولي عنه، فأجابه السلطان أنّه لا بدّ من إرضاء جاولي وتسليم فَرَج إليه، فعاد الرسول في ربيع الأوّل سنة عشرٍ وخمسمائة، فتوفّي جاولي، فأمِنوا ما كانوا يخافونه[(١)]، فلمّا سمع السلطان سار عن بغداذ إلى أصبهان، خوفاً على فارس من صاحب كَرمان[(٢)].

ذكر فتح جبل وَسْلات وتونس

في هذه السنة حصر عسكر عليّ بن يحيى، صاحب إفريقية، مدينة تُونُس، وبها أحمد بن خُراسان، وضيّق على مَنْ بها، فصالحه صاحبها على ما أراد.

وفيها فتح أيضاً جبل وَسْلات[(٣)] بإفريقية، واستولى عليه، وهو جبل منيع، ولم يزل أهله، طول الدهر، يفتكون بالناس، ويقطعون الطريق، فلمّا استمرّ ذلك منهم سيّر إليهم جيشاً، فكان أهل الجبل ينزلون إلى الجيش، ويقاتلون أشدّ قتال، فعمل قائد الجيش الحيلة في الصعود إلى الجبل من شعبٍ لم يكن أحد يظنّ أنّه يصعد منه، فلمّا صار في أعلاه، في طائفة من أصحابه، ثار إليه أهل الجبل، فصبر لهم، وقاتلهم فيمن معه أشدّ قتالٍ، وتتابع الجيش في الصعود إليه، فانهزم أهل الجبل، وكثر القتل فيهم، ومنهم مَنْ رمى[(٤)] نفسه فتكسّر، ومنهم من أفلت؛ واحتمى جماعة كثيرة بقصر في الجبل، فلمّا أحاط بهم الجيش طلبوا أن يُرسِل إليهم من يصلح حالهم، فأرسل إليهم جماعة من العرب والجند، فثار بهم أولئك بالسلاح، فقتلوا بعضهم، وطلع الباقون إلى أعلى القصر، ونادوا أصحابهم من الجيش، فأتوهم وقاتلوهم: بعضهم من أعلى القصر، وبعضهم من أسفله، فألقى مَن فيه من أهل الجبل أيديهم، فقُتلوا كلّهم[(٥)].

---

(١) من بودليان.

(٢) المنتظم ٩/ ١٨٥ رقم ٣١٤ (١٧/ ١٤٧ رقم ٣٨٣٥)، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٩، تاريخ الإسلام ٣٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣.

(٣) جاء في الروض المعطار ٦١٢: «وأسللت، جبل عظم طوله يومان، وبينه وبين القيروان خمسة عشر ميلاً، وفيه عمارات ومياه جارية، وفيه حصون عامرة كثيرة».

(٤) في الأوربية: «رما».

(٥) تاريخ الإسلام ٣٧، ٣٨.

ذكر الفتنة بطوس

في هذه السنة، في عاشوراء، كانت فتنة عظيمة بطُوس، في مشهد عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام.

وسببها: أنّ علويّاً خاصم، في المشهد، يوم عاشوراء، بعض فقهاء طُوس، فأدّى ذلك إلى مضاربة، وانقطعت الفتنة، ثم استعان [كلٌّ] منهما بحزبه[1]، فثارت فتنة عظيمة حضرها جميع أهل طُوس، وأحاطوا بالمشهد وخرّبوه، وقتلوا مَنْ وجدوا، فقُتل بينهم جماعة ونُهبت أموال جمّة، وافترقوا.

وترك أهل المشهد الخطبة أيام الجمعات فيه، فبنى[2] عليه عضُد الدّين فرامرز بن عليّ سوراً منيعاً يحتمي به مَن بالمشهد على من يريده بسوء، وكان بناؤه سنة خمس عشرة وخمسمائة[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وقعت النار في الحظائر المجاورة للمدرسة النظاميّة ببغداذ، فاحترقت الأخشاب التي بها، واتّصل الحريق إلى درب السلسلة، وتطاير الشرر إلى باب المراتب، فاحترقت منه عدّة دُور، واحترقت خزانة كتب النظاميّة، وسَلِمت الكتب، لأنّ الفقهاء لمّا أحسّوا بالنار نقلوها[4].

[الوفيات]

وفيها توفّي عبد الله بن يحيى بن محمّد بن بهلول أبو محمّد الأندلسيُّ، السَّرقُسْطيُّ، وكان فقيهاً، فاضلاً، ورد العراق نحو سنة خمسمائة، وسار إلى خُراسان، فسكن مَرْو الرُّوذ، فمات بها، وله شِعر حَسَن، فمنه:

وَمُهَفْهَفٍ يَختالُ في أبرادِهِ ... مَرَحَ القَضيب اللَّدْنِ تحتَ البارحِ
أبصرتُ في مرآةِ فكري خَدَّهُ ... فحكيتُ فِعْلَ جفُونهِ بجَوارحِي

---

(١) في الأوربية: «بخربه».
(٢) في الأوربية: «فبنا».
(٣) تاريخ الإسلام ٣٨.
(٤) المنتظم ٩/١٨٤ (١٧/١٤٥)، مرآة الزمان ج ٨ ق ٦٢/١، الدرّة المضية ٤٧٩، تاريخ الإسلام ٣٨، عيون التواريخ ١٢/٦٤.

ما كنتُ أحسِبُ أنّ فِعْل تَوهّمي يَقوى تَعدّيهِ فيجرحُ جارِحي
لا غروَ إن جَرحَ التّوهّم خَدَّه فالسِّحرُ يَعمَلُ في البَعيد النّازحِ

وفيها، في شعبان، توفّي أبو القاسم عليُّ بن أحمد [بن محمّد][1] بن بيان[2] الرَّزّاز[3]، ومولده في سفر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، وهو آخر من حدّث عن أبي الحسن بن مَخْلَد، وأبي القاسم بن بِشْران.

وفيها توفّي أبو بكر محمّد بن منصور[4] بن محمّد بن عبد الجبّار السمعانيُّ، رئيس الشافعيّة، بمَرْو، ومولده سنة ستّ وأربعين[5]، وأربعمائة، وسمع الحديث الكثير وصنّف فيه، وله فيه أمالٍ[6] حسنة، وتكلّم على الحديث، فأحسن ما شاء.

وفيها توفّي محفوظ بن أحمد بن الحسن الكَلْوَذانيُّ[7] أبو الخطّاب الفقيه الحنبليُّ، ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، وتفقّه على أبي يعلى بن الفرّاء.

---

(١) في طبعة صادر ٥٢٣/١٠: «علي بن محمد بن أحمد»، والتصحيح من مصادر ترجمته.
(٢) في الباريسية: «بمان»، وفي بودليان: «بيان».
(٣) في المنتظم بطبعتيه ١٨٦/٩ رقم ٣١٦ /و ١٤٧/٣٧، ١٤٨ رقم (٣٨٣٨): «الوزان»، والمثبت هو الصحيح كما في مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٠ هـ.) ص ٢٤٧ رقم ٢٩٨.
(٤) انظر عن (محمد بن منصور) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٠ هـ.) ص ٢٥٩ ـ ٢٦٢ رقم ٣١١، وفيه حشدت مصادر ترجمته.
(٥) في هامش الباريسية: «وثلاثين».
(٦) في الأوربية: «أمالي».
(٧) انظر عن (الكلوذاني) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٠ هـ.) ص ٢٥١ ـ ٢٥٣ رقم ٣٠٣، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٥١١
ثم دخلت سنة إحدى عشرة وخمسمائة

ذكر وفاة السلطان محمّد وملك ابنه محمود

في هذه السنة، في الرابع والعشرين من ذي الحجّة، توفّي السلطان محمّد بن ملكشاه بن ألب أرسلان، وكان ابتداء مرضه في شعبان، وانقطع عن الركوب، وتزايد مرضه، ودام، وأُرجِف عليه بالموت، فلمّا كان يوم عيد النحر حضر السلطان، وحضر ولده السلطان محمود على السماط، فنهبه الناس، ثم أذِن لهم فدخلوا إلى السلطان محمّد، وقد تكلّف القعود لهم، وبين يَدَيْه سماط كبير، فأكلوا وخرجوا. فلمّا انتصف ذو الحجّة أيِس من نفسه، فأحضر ولده محموداً، وقبّله، وبكى كلّ واحد منهما، وأمره أن يخرج ويجلس على تَخْت السلطنة، وينظر في أمور الناس، وعمره إذ ذاك قد زاد على أربع عشرة سنة، فقال لوالده: إنّه يوم غير مبارك، يعني من طريق النجوم؛ فقال: صدقت، ولكن على أبيك، وأمّا عليك فمبارك بالسلطنة. فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارَيْن.

وفي يوم الخميس الرابع والعشرين أُحضر الأمراء وأُعلموا بوفاته، وقُرئت وصيّته إلى ولده محمود يأمره بالعدل والإحسان، وفي الجمعة الخامس والعشرين منه خُطب لمحمود بالسلطنة.

وكان مولد السلطان محمّد ثامن عشر شعبان من سنة أربع وسبعين وأربعمائة، وكان عمره سبعاً[١] وثلاثين سنة وأربعة أشهر وستّة أيّام، وأوّل ما دُعي له بالسلطنة، ببغداذ، في ذي الحجّة سنة اثنتين وتسعين [وأربعمائة]، وقُطعت خطبته عدّة دفعات على ما ذكرناه، ولقي من المشاقّ والأخطار ما لا حدّ له[٢]، فلمّا توفّي أخوه برکْيارُق صفت

---

(١) في الأوربية: «سبع».
(٢) في الأوربية: «عليه».

له السلطنة، وعظُمت هيبته، وكثُرت جيوشه وأمواله، وكان اجتمع الناس عليه اثنتي عشرة سنة وستّة أشهر.

ذكر بعض سيرته

كان عادلاً، حسن السيرة، شجاعاً، فمن عدله أنّه اشترى مماليك من بعض التجّار، وأحالهم بالثمن على عامل خُوزستان، فأعطاهم البعض، ومطل بالباقي، فحضروا مجلس الحكم، وأخذوا معهم غلمان القاضي، فلمّا رآهم السلطان، قال لحاجبه: أنظر ما حال هؤلاء؛ فسألهم عن حالهم، فقالوا: لنا خصم يحضر معنا مجلس الحكم؛ فقال: من هو؟ قالوا: السلطان؛ وذكروا قصتهم، فأعلمه ذلك، فاشتدّ عليه وأُكره، وأمر بإحضار العامل، وأمره بإيصال أموالهم، والجُعْل الثقيل[١]، ونكل به حتّى يمتنع غيره عن مثل فعله، ثم إنّه كان يقول بعد ذلك: لقد ندمتُ ندماً عظيماً حيث لم أحضر معهم مجلس الحكم، فيقتدي بي غيري، ولا يمتنع أحد عن الحضور فيه وأداء الحقّ.

فمن عدله: أنّه كان له خازن يُعرف بأبي أحمد القزوينيّ قتله الباطنيّة، فلمّا قُتل أمر بعرض الخزانة، فعرض عليه فيها دُرج فيه جوهر كثير نفيس، فقال: إنّ هذا الجوهر عرضه عليّ، منذ أيّام، وهو في ملك أصحابه، وسلّمه إلى خادم ليحفظه وينظر من أصحابه فيسلّم إليهم؛ فسأل عنهم، وكانوا تجّاراً غرباء، وقد تيقّنوا ذهابه[٢] وأيسوا منه، فسكتوا، فأحضرهم وسلّمه إليهم.

ومن عدله: أنّه أطلق المكوس والضرائب في جميع البلاد، ولم يُعرف منه فعل قبيح، وعلم الأمراء سيرته، فلم يقدم أحد منهم على الظلم، وكفّوا عنه[٣].

ومن محاسن أعماله ما فعله مع الباطنيّة على ما نذكره.

ذكر حال الباطنيّة أيّام السلطان محمّد

قد تقدّم ذكر ما اعتمده من حصر قلاعهم، ونحن نذكر هاهنا زيادة اهتمامه بأمرهم، فإنّه، رحمه الله تعالىٰ، لما علم أن مصالح البلاد والعباد منوطة بمحو آثارهم، وإخراب ديارهم، وملك حصونهم وقلاعهم، جعل قصدهم دأبَهُ.

---

(١) في الباريسية: «العيل».

(٢) في الأوربية: «ذهابها لهم».

(٣) انظر عن وفاة السلطان محمّد في: تاريخ الإسلام (حوادث ٥١١ هـ.) ص ٢٧٠، وفيه حشدت مصادر الخبر وترجمته.

وكان، في أيّامه، المقدّم عليهم، والقيّم بأمرهم الحسن بن الصبّاح الرازيّ، صاحب قلعة أَلَمُوت، وكانت أيّامه قد طالت، وله منذ ملك قلعة أَلَمُوت ما يقارب ستّاً[١] وعشرين سنة، وكان المجاورون له في أقبح صورة من كثرة غزاته عليهم، وقتْله وأسْره رجالهم، وسبي نسائهم، فسيّر إليه السلطان العساكر، على ما ذكرناه، فعادت من غير بلوغ غرض. فلمّا أعضل داؤه ندب لقتاله الأمير أنوشتكين شيركير، صاحب آبة، وساوة، وغيرهما، فملك منهم عدّة قلاع منها قلعة كلام، ملكها في جمادى الأولى سنة خمسٍ وخمسمائة، وكان مقدّمها يُعرف بعليّ بن موسى، فأمّنه ومن معه، وسيّرهم إلى أَلَمُوت؛ وملك منهم أيضاً قلعة بيرة، وهي على سبعة فراسخ من قزوين، وأمّنهم، وسيّرهم إلى أَلَمُوت أيضاً.

وسار إلى قلعة أَلَمُوت فيمن معه من العساكر، وأمّده السلطان بعدّة من الأمراء، فحصرهم، وكان هو، من بينهم، صاحب القريحة والبصيرة في قتالهم، مع جودة رأي وشجاعة، فبنى[٢] عليها مساكن يسكنها هو ومن معه، وعيّن لكلّ طائفة من الأمراء أشهراً يقيمونها، فكانوا ينيبون، ويحضرون، وهو ملازم الحصار، وكان السلطان ينقل إليه الميرة، والذخائر، والرجال، فضاق الأمر على الباطنيّة، وعُدمت عندهم الأقوات وغيرها، فلمّا اشتدّ عليهم الأمر نزّلوا نساءهم وأبناءهم مستأمنين، وسألوا[٣] أن يفرج لهم ولرجالهم عن الطريق، ويؤمّنوا، فلم يجابوا إلى ذلك، وأعادهم إلى القلعة، قصداً، ليموت الجميع جوعاً.

وكان ابن الصبّاح يُجري لكلّ رجل منهم، في اليوم، رغيفاً، وثلاث جوزات، فلمّا بلغ بهم الأمر إلى الحدّ الذي لا مزيد عليه، بلغهم موت السلطان محمّد، فقويت نفوسهم، وطابت قلوبهم، ووصل الخبر إلى العسكر المحاصر لهم بعدهم بيوم، وعزموا على الرحيل، فقال شيركير: إن رحلنا عنهم، وشاع الأمر، نزلوا إلينا، وأخذوا ما أعددناه من الأقوات والذخائر، والرأي أن نقيم على قلعتهم حتّى نفتحها، وإن لم يكن المقام، فلا بدّ من مقام ثلاثة أيّام، حتّى ينفد[٤] منّا ثقَلنا وما أعددناه، ونحرق ما نعجز عن حمله لئلاّ يأخذه العدوّ.

فلمّا سمعوا قوله علِموا صِدقه، فتعاهدوا على الاتّفاق والاجتماع، فلمّا أمسوا

---

(١) في الأوربية: «ست».
(٢) في الأوربية: «فبنا».
(٣) في الأوربية: «ويسألوا».
(٤) في الأوربية: «ينفذ».

رحلوا من غير مشاورة، ولم يبق غير شيركير، ونزل إليه الباطنيّة من القلعة، فدافعهم وقاتلهم وحمى[1] مَن تخلّف من سوقة العسكر وأتباعه، ولحق بالعسكر[2]، فلمّا فارق القلعة غنم الباطنيّة ما تخلّف عندهم.

ذكر حصار قابِس والمهديّة

في هذه السنة جهّز عليُّ بن يحيى، صاحب إفريقية، أسطولاً في البحر إلى مدينة قابِس، وحصرها.

وسبب ذلك أنّ صاحبها رافع بن مكّن الدهمانيّ أنشأ مركباً بساحلها ليحمل التجّار في البحر، وكان ذلك آخر أيّام الأمير يحيى، فلم ينكر يحيى ذلك، جرياً على عادته في المداراة، فلمّا وليَ عليّ الأمر، بعد أبيه، أنِف من ذلك وقال: لا يكون لأحد من أهل إفريقية أن يناوئني في إجراء المراكب في البحر بالتجّار؛ فلمّا خاف رافع أن يمنعه التجأ إلى اللعين رجّار ملك الفرنج بصِقلّية، واعتضد به، فوعده رجّار أن ينصره ويعينه على إجراء مركبه في البحر، وأنفذ في الحال أسطولاً إلى قابِس، فاجتازوا بالمهديّة، فحينئذ تحقّق عليّ اتّفاقهما، وكان يكذّبه.

فلما جاز أُسطول رجّار بالمهديّة أخرج عليّ أسطوله في أثره، فتوافى الجميع إلى قابِس، فلمّا رأى صاحبها أسطول الفرنج والمسلمين لم يخرِج مركبه، فعاد أُسطول الفرنج، وبقي أُسطول عليّ يحصر رافعاً بقابِس مضيّقاً عليها.

ثم عادوا إلى المهديّة، وتمادى رافع في المخالفة لعليّ، وجمع قبائل العرب، وسار بهم، حتّى نزل على المهديّة محاصراً لها، وخادع عليّاً، فقال: إنّني إنّما جئت للدخول في الطاعة؛ وطلب من يسْعَى في الصُّلح، وأفعالُه تكذّب أقواله، فلم يجبه عن ذلك بحرف، وأخرج العساكر، وحملوا على رافع ومَنْ معه حملة منكرة، فألحقوهم بالبيوت، ووصل العسكر إلى البيوت، فلمّا رأى ذلك النساء صِحْنَ، وولولْنَ، فغارت العرب، وعاودت القتالَ، واشتدّ حينئذ الأمر إلى المغرب، ثم افترقوا، وقد قُتل من عسكر رافع بشر كثير، ولم يُقْتَل من جند عليّ غير رجل واحد من الرَّجّالة.

ثم خرج عسكر عليّ مرّة أخرى، فاقتتلوا أشدّ من القتال الأوّل، كان الظهور فيه

---

(١) في الأوربية: «وحما».

(٢) في الباريسية جملة مضطربة: «فأظهر الأمراء الذين كانوا معه أن كتب السلطان محمد إلى أصبهان فحبسوه بها إلى».

لعسكر عليّ، فلمّا رأى رافع أنّه لا طاقة له بهم رحل عن المهديّة ليلاً إلى القَيروان، فمنعه أهلها من دخولها، فقاتلهم أيّاماً قلائل، ثم دخلها، فأرسل عليّ إليه عسكراً من المهديّة، فحصروه فيها إلى أن خرج عنها، وعاد إلى قابِس؛ ثم إنّ جماعة من أعيان إفريقية، من العرب وغيرهم، سألوا عليّاً في الصلح، فامتنع، ثم أجاب إلى ذلك، وتعاهد عليه.

ذكر الوحشة بين رجّار والأمير عليّ

كان رُجّار، صاحب صقلّية، بينه وبين الأمير عليّ، صاحب إفريقية، مودّة وكيدةٌ، إلى أن أعان رافعاً كما تقدّم قبلُ، فاستوحش كلٌّ منهما من صاحبه، ثم بعد ذلك خاطبه رجّار بما لم تجْرِ عادتهم به، فتأكّدت الوحشة، فأرسل رجّار رسالة فيها خشونة، فاحترز عليّ منه، وأمر بتجديد الأسطول، وإعداد الأهبة للقاء العدوْ، وكاتب المرابطين بمَرَّاكش في الاجتماع معه على الدخول إلى صقلّية، فكفّ رجّار عمّا كان يعتمده.

ذكر قتل صاحب حلب واستيلاء إيلغازي عليها

في هذه السنة قُتل لؤلؤ الخادم، وكان قد استولى على قلعة حلب وأعمالها، بعد وفاة الملك رضوان، ووَلِيَ أتابكيّة ولده ألب أرسلان، فلمّا مات أقام بعده في الملك سلطانشاهَ بن رضوان، وحكم في دولته أكثر من حكمه في دولة أخيه، فلمّا كانت هذه السنة سار منها إلى قلعة جَعْبَر ليجتمع بالأمير سالم بن مالك صاحبها، فلمّا كان عند قلعة نادر نزل يُريق الماء، فقصده جماعة من أصحابه الأتراك، وصاحوا: أرنب، أرنب! وأوهموا أنّهم يتصيّدون، ورموه بالنشّاب، فقُتل، فلمّا هلك [نهبوا] خزانته(١)، فخرج إليهم أهل حلب، فاستعادوا ما أخذوه(٢).

ووليَ أتابكيّةَ سلطانشاه بن رضوان شمس الخواصّ يارو قتاش، فبقي شهراً، وعزلوه؛ ووليَ بعده أبو المعالي بن الملحيّ الدمشقيُّ، ثم عزلوه وصادروه.

وقيل: كان سبب قتل لؤلؤ أنّه أراد قتل سلطانشاه، كما قتل أخاه ألب أرسلان قبله، ففطن به أصحاب سلطانشاه، فقتلوه؛ وقيل: كان قتله سنة عشر وخمسمائة، والله أعلم.

---

(١) في الباريسية: «عرانسه».

(٢) تاريخ حلب ٣٦٧ (٣٣)، ذيل تاريخ دمشق ١٩٨، زبدة الحلب ٢/ ١٧٧، ١٧٨، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٦٨، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٠، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١١ هـ.) ص ٢٧٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٤، عيون التواريخ ١٢/ ٧٢.

ثمّ إنّ أهل حلب خافوا من الفرنج، فسلّموا البلد إلى نجم الدين إيلغازي، فلمّا تسلّمه لم يجد فيه مالاً، ولا ذخيرة، لأنّ الخادم كان قد فرّق الجميع، وكان الملك رضوان قد جمع فأكثر، فرزقه الله غير أولاده، فلمّا رأى إيلغازي خلوّ البلد من الأموال صادر جماعة من الخدم بمالٍ صانع به الفرنج، وهادنهم مُدّة يسيرة تكون بمقدار مسيره إلى ماردين، وجمْع العساكر والعود، فلمّا تمّت الهدنة سار إلى ماردين، على هذا العزم، واستخلف بحلب ابنَهُ حُسام الدين تمرتاش.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في رابع عشر صفر، انخسف القمر انخسافاً كلّيّاً.

وفي هذه الليلة هجم الفرنج على ربض حماة من الشام، وقتلوا من أهلها ما يزيد على مائة رجل وعادوا[١].

وفيها، في يوم عرفة، كانت زلزلة بالعراق، والجزيرة، وكثير من البلاد، وخربت ببغداذ دور كثيرة بالجانب الغربيّ[٢].

[الوفيات]

وفيها مات أحمد العربيُّ[٣] ببغداذ، وكان من عباد الله الصالحين، له كرامات، وقبره يزار بها.

وفي هذه السنة، في شوّال، توفّي أبو عليّ محمّد بن سعيد[٤] بن إبراهيم بن نَبْهَان الكاتب، وعُمره مائة سنة، وكان عالي الإسناد، روى عن أبي عليّ بن شاذان وغيره؛ والحسن بن أحمد بن جعفر أبو عبد الله الشقّاق الفَرَضيُّ، الحاسب، وكان

---

(١) مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٦٩، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٠، تاريخ الإسلام ٢٦٩، الكواكب الدرّية ٨١.

(٢) تاريخ حلب ٣٦٨ (٣٤)، المنتظم ٩/ ١٩٣ (١٧/ ١٥٦)، التاريخ الباهر ٢٠، وفيه زلزلت إربل، ومثله في الروضتين ١/ ٧٠، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٦٨، تاريخ الإسلام ٢٦٩، البداية والنهاية ١٢/ ١٨٠، عيون التواريخ ١٢/ ٧٢، الكواكب الدرّية ٨١، النجوم الزاهرة ٥/ ٢١٣، تاريخ الخلفاء ٤٣٢، كشف الصلصلة ١٨٢، شذرات الذهب ٤/ ٣٠.

(٣) المنتظم ٩/ ١٩٣، ١٩٤، رقم ٣٢٨ (١٧/ ١٥٦ رقم ٣٨٥٠) وفيه: «أحمد القزويني»، تاريخ الإسلام (وفيات ٥١١ هـ.) ص ٣١٤ رقم ٤.

(٤) في طبعة صادر ١٠/ ٥٣٢ «سعد»، والمثبت من مصادر ترجمته التي حشدتها في تاريخ الإسلام (وفيات ٥١١ هـ.) ص ٣٢١ رقم ١٧.

واحد عصره في عِلم الفرائض والحساب، وسمع الحديث من أبي الحسين بن المهتدي، وغيره.

وفيها مات الكزايكس[1] ملك القسطنطينيّة[2]، وملك بعده ابنه يوحنّا، وسلك سيرته.

وفيها مات دوقس أنطاكية[3]، وكفى الله شرّه.

(١) في الباريسية: «الكراكس»، وفي بودليان «الكرالس»

(٢) ذيل تاريخ دمشق ١٩٩، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١١ هـ.) ص ٢٧١.

(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٩٩.

٥١٢
ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

ذكر ما فعله السلطان محمود بالعراق
وولاية البُرسقيّ شحنكيّة بغداذ

لمّا توفّي السلطان محمّد، وملك بعده ابنه محمود، ودبّر دولته الوزير الربيب أبو منصور، أرسل إلى الخليفة المستظهر بالله يطلب أن يخطب له ببغداذ، فخُطب له في الجمعة ثالث عشر المحرّم، وكان شحنة بغداذ بهروز.

ثم إنّ الأمير دُبَيْس بن صدقة كان عند السلطان محمّد، مذ قُتل والده، على ما ذكرناه، فأحسن إليه، وأقطعه إقطاعاً كثيراً، فلمّا توفّي السلطان محمّد خاطب السلطانَ محموداً في العود إلى بلده الحِلّة، فأذِن له في ذلك، فعاد إليها، فاجتمع عليه خلق كثير من العرب، والأكراد، وغيرهم، وكان آقسنقر البرسقيُّ مقيماً بالرَّحبة، وهي إقطاعه، وليس بيده من الولايات شيء، فاستخلف عليها ابنه عزّ الدين مسعود، وسار إلى السلطان محمّد، قبل موته، عازماً على مخاطبته في زيادة إقطاعه، فبلغه وفاة السلطان محمّد قبل وصوله إلى بغداذ.

وسمع مجاهد الدين بَهروز بقربه من بغداذ، فأرسل إليه يمنعه من دخولها، فسار إلى السلطان محمود، فلقيه توقيع السلطان بولاية شحنكيّة بغداذ، وهو بحُلوان، وعزل بهروز.

وكان الأمراء عند السلطان يريدون البرسقيَّ، ويتعصّبون له، ويكرهون مجاهد الدين بهروز، ويحسدونه (للقرب الذي كان له)[١] عند السلطان محمّد، وخافوا أن يزداد تقدّماً عند السلطان محمود وحكماً. فلمّا وليَ البرسقيُّ شحنكيّةَ بغداذ هرب بهروز إلى تكريت، وكانت له.

---

(١) في الأوربية: «لقربه كان».

ثمّ إنّ السلطان ولّى شحنكيّة بغداذ الأمير منكوبرس، وهو من أكابر الأمراء، وقد حكم في دولة السلطان محمود، فلمّا أُعطي الشحنكيّة سيّر إليها ربيبه الأمير حسين بن أزبك، أحد الأمراء الأتراك، وهو صاحب أسداباذ، لينوب عنه ببغداذ والعراق، وفارق السلطان من باب همَذان، واتّصل به جماعة الأمراء البكجيّة وغيرهم.

فلمّا سمع البُرْسُقيُّ خاطب الخليفة المستظهر بالله ليأمره بالتوقّف إلى أن يكاتب السلطانَ، ويفعل ما يرد به الأمر عليه، فأرسل إليه الخليفة، فأجاب: إن يرسم الخليفة بالعود عُدْتُ، وإلاّ فلا بدّ من دخول بغداذ. فجمع البُرْسُقيُّ أصحابه وسار إليه، فالتقوا واقتتلوا، فقُتل أخٌ لحسين، وانهزم هو ومن معه، وعادوا إلى عسكر السلطان، فكان ذلك في شهر ربيع الأوّل، قبل وفاة المستظهر بالله بأيّام[١].

ذكر وفاة المستظهر بالله

في هذه السنة، سادس عشر شهر ربيع الآخر، توفّي المستظهر بالله أبو العبّاس أحمد بن المقتدي بأمر الله، وكان مرضه التراقي، وكان عمره إحدى وأربعين سنة وستّة أشهر وستّة أيّام، وخلافته أربعاً[٢] وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً؛ ووزر له عميد الدولة أبو منصور بن جَهِير، وسديد المُلك أبو المعالي المفضّل بن عبد الرزّاق الأصبهانيُّ، وزعيم الرؤساء أبو القاسم بن جَهِير، ومجد الدين أبو المعالي هبة الله بن المطّلب، ونظام الدين أبو منصور الحسين بن محمّد؛ وناب عن الوزارة أمين الدولة أبو سعد بن الموصلايا، وقاضي القضاة أبو الحسن عليُّ بن الدمغانيّ، ومضى[٣]، في أيّام، ثلاثة سلاطين خُطب لهم بالحضرة، وهم: تاج الدولة تُتُش بن ألب أرسلان، والسلطان برکْيارُق، ومحمّد ابنا ملكشاه.

ومن غريب الاتّفاق أنّه لمّا توفّي السلطان ألب أرسلان توفّي بعده القائم بأمر الله، ولمّا توفّي السلطان ملكشاه توفّي بعده المقتدي بأمر الله، ولمّا توفّي السلطان محمّد توفّي بعده المستظهر بالله[٤].

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٠، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٢ هـ.) ص ٢٧٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٤.

(٢) في الأوربية: «أربع».

(٣) في الأوربية: «ومضا».

(٤) انظر عن وفاة الخليفة المستظهر بالله في: تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٢ هـ.) ص ٢٧٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته. وانظر أيضاً (وفيات ٥١٢ هـ.) ص ٣٢٦ ـ ٣٢٨ رقم ٢٤.

ذكر بعض أخلاقه[1] وسيرته

كان، رضي الله عنه، ليّن الجانب، كريم الأخلاق، يحبّ اصطناع الناس، ويفعل الخير، ويسارع إلى أعمال البرّ والمثوبات، مشكور المساعي لا يردّ مكرمة تُطلب منه.

وكان كثير الوثوق بمن يولّيه، غير مصغٍ إلى سعاية ساعٍ، ولا ملتفت إلى قوله، ولم يُعرف منه تلوّن، وانحلال عزم، بأقوال أصحاب الأغراض.

وكانت أيّامه أيّامَ سرور للرعيّة، فكأنّها من حُسنها أعياد، وكان إذا بلغه ذلك فرح به وسرّه، وإذا تعرّض سلطان أو نائب له لأذى أحدٍ بالغ في إنكار ذلك والزجر عنه.

وكان حسن الخطّ، جيّد التوقيعات، لا يقاربه فيها أحد، يدلّ على فضلٍ غزير، وعلم واسع؛ ولمّا توفّي صلّى عليه ابنه المسترشد بالله، وكبّر أربعاً، ودُفن في حجرةٍ له كان يألفها.

ومن شِعره قوله:

أذابَ حَرُّ الهوَى في القَلبِ ما جَمَدَا[2] ... لـمّـا مـددتُ إلـى رَسْـمِ الـوَدَاعِ يَـدَا
وكَـيْـفَ أسـلُـكُ نَـهْـجَ الاصـطـبـارِ وقـد ... أرى طـرائـقَ فـي مَـهْـوَى الـهَـوى قِـدَدَا
قـد أخـلَـفَ الـوعـدَ بـدرٌ قـد شُـغِـفْـتُ بـهِ ... من بعد ما قَد وفى[3] دهرِي بما وعَدا
(إن كنتُ)[4] أنقضُ عهدَ الحبّ في خلَدي[5] ... مـن بـعـدِ هـذا[6] فـلا عـايـنـتُـه[7] أبَـدَا[8]

ذكر خلافة الإمام المسترشد بالله

لمّا توفّي المستظهر بالله بويع ولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبي العبّاس أحمد بن المستظهر بالله، وكان وليَّ عهد قد خُطب له ثلاثاً وعشرين سنة، فبايعه[9] أخواه ابنا المستظهر بالله، وهما أبو عبد الله محمّد، وأبو طالب العبّاس،

---

(١) في الأوربية: «الخلافة».
(٢) في الأوربية: «جمد».
(٣) في الأوربية: «وفا».
(٤) ساقطة من بودليان، والمثبت من الباريسية.
(٥) في بودليان: «جلدي».
(٦) في تاريخ الإسلام: «حبي».
(٧) في تاريخ الإسلام: «عاتبتكم».
(٨) الأبيات ما عدا الثالث في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٢ هـ.)، ص ٣٢٧.
(٩) في الأوربية: «فبايعاه».

وعمومته بنو المقتدي بأمر الله، وغيرهم من الأمراء، والقضاة، والأئمّة، والأعيان.

وكان المتولّي لأخذ البيعة القاضي أبو الحسن الدمغانيُّ، وكان نائباً عن الوزارة، فأقرّه المسترشد بالله عليها. ولم يأخذ البيعة قاضٍ غير هذا، وأحمد بن أبي داود، فإنّه أخذها للواثق بالله، والقاضي أبو عليّ إسماعيل بن إسحاق، أخذها للمعتضد بالله.

ثم إنّ المسترشد عزل قاضي القضاة عن نيابة الوزارة، واستوزر أبا شجاع محمّد بن الربيب أبي منصور، وزير السلطان محمود، وكان والده خطب في معنى ولده، حتّى استُوزر، وقبض على صاحب المخزن أبي طاهر يوسف بن أحمد الحُزّيّ[1].

ذكر هرب الأمير أبي الحسن أخي المسترشد وعوده

لمّا اشتغل الناس ببَيعة المسترشد بالله، ركب أخوه الأمير أبو الحسن بن المستظهر بالله سفينة، ومعه ثلاثة نفر، وانحدر إلى المدائن، وسار منها إلى دُبَيْس بن صدقة بالحِلّة، فكرّمه دُبيس، وعلم منه وفاة المستظهر بالله، وأقام له الإقامات الكثيرة، فلمّا علم المسترشد بالله خبره أهمّه ذلك وأقلقه، وأرسل إلى دُبيس يطلب منه إعادته، فأجاب بأنّني عبد الخليفة، وواقف عند أمره، ومع هذا، فقد استذمّ بي، ودخل منزلي، فلا أكرهه على أمرٍ أبداً.

وكان الرسول نقيب النقباء شرف الدين عليّ بن طراد الزينبيّ[2]، فقصد الأمير أبا الحسن، وتحدّث معه في عوده، وضمن له عن الخليفة كلّ ما[3] يريده، فأجاب إلى العود، وقال: إنّني لم أفارق أخي لشرّ أريده، وإنّما الخوف حملني على مفارقته، فإذا أمّنني قصدتُه. وتكفّل دُبيس بإصلاح الحال بنفسه، والمسير معه إلى بغداذ، فعاد النقيب وأعلم الخليفة الحال، فأجاب إلى ما طلبه منه.

ثم حدث من أمر البُرْسُقي ودُبيس ومنكوبرس ما ذكرناه، فتأخّر الحال.

وأقام الأمير أبو الحسن عند دُبَيْس إلى ثاني عشر صفر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، ثم سار عن الحلّة إلى واسط، وكثُر جمعه[4] وقوي الإرجاف بقوّته، وملك مدينة واسط، وخيف جانبه، فتقدّم الخليفة المسترشد بالله بالخطبة لوليّ عهده ولده أبي

---

(١) هكذا في الأصل. وفي المنتظم ١٧/١٦٣: «الخرزي».

(٢) في الأوربية: «النرينبي».

(٣) في الأوربية: «كما».

(٤) في الأوربية: «جمع».

جعفر المنصور، وعمره حينئذٍ اثنتا[1] عشرة سنة، فخُطب له ثاني ربيع الآخر ببغداذ، وكتب إلى البلاد بالخطبة له، وأرسل إلى دُبَيْس بن مَزْيد في معنى الأمير أبي الحسن، وأنّه الآن قد فارق جواره، ومدّ يده إلى بلاد الخليفة وما يتعلّق به، وأمره بقصده ومعاجلته قبل قوّته؛ فأرسل دُبَيْس العساكر إليه، ففارق واسط، وقد تحيّر هو وأصحابه، فضلّوا الطريق، ووصلت عساكر دُبَيْس، فصادفوهم عند الصِّلْح، فنهبوا أثقاله، وهرب الأكراد من أصحابه، والأتراك، وعاد الباقون إلى دُبَيْس.

وبقي الأمير أبو الحسن في عشرة من أصحابه وهو عطشان، وبينه وبين الماء خمسة فراسخ، وكان الزمان قيظاً، فأيقن بالتلف، وتبعه بدويّان، فأراد الهرب منهما، فلم يقدر، فأخذاه وقد اشتدّ به العطش، فسقياه، وحملاه إلى دُبَيْس، فسيّره إلى بغداذ، وحمله إلى الخليفة، بعد أن بذل له عشرين ألف دينار، فحُمل إلى الدار العزيزة، وكان بين خروجه عنها وعوده إليها أحد عشر شهراً.

ولمّا دخل على المسترشد بالله قبّل قدمَه، وقبّله المسترشد، وبكيا، وأنزله داراً حسنة كان هو يسكنها قبل أن يلي الخلافة، وحمل إليه الخِلع، والتحف الكثيرة، وطيّب نفسه وأمّنه.

ذكر مسير الملك مسعود وجيوش بك إلى العراق وما كان بينهما وبين البُرسقيّ ودُبَيْس

في هذه السنة، في جمادى الأولى، برز البُرْسُقيُّ، ونزل بأسفل الرَّقّةِ في عسكره ومَن معه، وأظهر أنّه على قصد الحِلّة وإجلاء دُبَيْس بن صدقة عنها.

وجمع دُبَيْس جموعاً كثيرة في العرب والأكراد، وفرق الأموال الكثيرة والسلاح.

وكان الملك مسعود ابن السلطان محمّد بالموصِل مع أتابكه أي أبه[2] جيوش بك، فأشار عليهما جماعة ممّن عندهما بقصد العراق فإنّه لا مانع دونه، فسارا في جيوش كثيرة، ومع الملك مسعود وزيره فخر المُلك أبو عليّ بن عمّار، صاحب طرابلس، وقسيم الدولة زنكي بن آقسنقَر جدّ ملوكنا الآن بالموصِل، وكان من الشجاعة في الغاية، ومعهم أيضاً صاحب سِنجار، وأبو الهيجاء، صاحب إربل، وكرباوي بن خراسان التركمانيُّ، صاحب البوازيج. فلمّا علم البرسقيُّ قربهم خافهم.

---

(١) في الأوربية: «اثنتي».

(٢) في بودليان: «أي أبه»، وفي الباريسية: «أزبه».

وكان البُرسُقيُّ قديماً قد جعله السلطان محمّد أتابك ولده مسعود، على ما ذكرناه، وإنّما كان خوفه من جيوش بك، فلمّا قاربوا بغداذ سار إليهم ليقاتلهم ويصدّهم، فلمّا علم مسعود وجيوش بك ذلك أرسلا إليه الأمير كرباوي في الصلح، وأعلمه أنّهم إنّما جاءوا نجدةً له على دُبَيْس، واصطلحوا، وتعاهدوا، واجتمعوا.

ووصل مسعود إلى بغداذ، ونزل بدار المملكة، ووصلهم الخبر بوصول الأمير عماد الدين منكُبرس، المقدّم ذكره، في جيش كثير، فسار البُرْسُقيُّ عن بغداذ نحوه ليحاربه ويمنعه عنها، فلمّا علم به منكبرس قصد النُّعمانيّة، وعبر دجلة هناك، واجتمع هو ودُبَيْس بن صدقة.

وكان دُبَيْس قد خاف من الملك مسعود والبرسُقيّ، فبنى أمره على المحاجزة والملاطفة، فأهدى لمسعود هدية حسنة، وللبرسقيّ، وجيوش بك، فلمّا وصله خبر وصول منكبرس راسله، واستماله، واستحلفه، واتّفقا على التعاضد والتناصر، واجتمعا، وكلّ واحد منهما قوي بصاحبه، فلمّا اجتمعا سار الملك مسعود، والبرسقيُّ، وجيوش بك، ومَن معهم، إلى المدائن للقاء دُبَيْس ومنكبرس، فلمّا وصلوا المدائن أتتهم الأخبار بكثرة الجمع معهما، فعاد البرسقيّ، والملك مسعود، وعبرا نهر صرصر، وحفظا المخاضات عليه، ونهبت الطائفتان السواد نهباً فاحشاً: نهر الملك، ونهر صَرْصَر، ونهر عيسى، وبعض دُجَيْل، واستباحوا النساء.

فأرسل المسترشد بالله إلى الملك مسعود والبرسقيّ ينكر هذه الحال، ويأمرهما بحقن الدماء، وترْك الفساد، ويأمر بالموادعة والمصالحة، وكان الرسل: سديد الدولة بن الأنباريّ، والإمام الأسعد المِيهنيّ، مدرّس النظاميّة، فأنكر البرسقيُّ أن يكون جرى منهما شيء من ذلك، وأجاب إلى العَود إلى بغداذ، فوصل من أخبره أنّ منكبرس ودُبَيْساً قد جهّزا ثلاثة آلاف فارس مع منصور أخي دُبَيْس، والأمير حسين بن أزبك، ربيب منكبرس، وسيّروهم، وعبروا[1] عند دَرْزِيجَان ليقطعوا مخاضة عند دَيَالى إلى بغداذ، لخلوّها من عسكر يحميها ويمنع عنها.

فعاد البرسقيُّ إلى بغداذ، وعبر الجسر لئلاّ يخاف الناس، ولم يعلموا الخبر، وخلّف ابنه عزّ الدين مسعوداً[2] على عسكره بصَرْصَر، واستصحب معه عماد الدين زنكي بن آقسنقَر، فوصل إلى دَيَالى، ومنع عسكر منكبرس من العبور، فأقام يومَيْن،

---

(١) في الأوربية: «وسيراه، وعبر».

(٢) في الأوربية: «مسعود».

فأتاه كتاب ابنه عزّ الدين مسعود يخبره أنّ الصلح قد استقرّ بين الفريقَيْن، فانكسر نشاطه، حيث جرى هذا الأمر ولم يعلم به، وعاد نحو بغداذ، وعبر إلى الجانب الغربي، وعبر منصور وحسين فسارا في عسكرهما خلفه، فوصلا[1] بغداذ عند نصف الليل، فنزلا عند جامع السلطان.

وسار البرسقيّ إلى الملك مسعود فأخذ بَركه ومالَه وعاد إلى بغداذ، فخيّم عند القنطرة العتيقة، وأصعد الملك مسعود، وجيوش بك، فنزلا عند البِيمارستان، وأصعد دُبَيْس ومنكبرس فخيّما تحت الرَّقّة، وأقام عزّ الدين مسعود بن البرسقيُّ عند منكبرس منفرداً عن أبيه.

وكان سبب هذا الصلح أنّ جيوش بك قد أرسل إلى السلطان محمود يطلب الزيادة له وللملك مسعود، فوصل كتاب الرسول من العسكر يذكر أنّه لقي من السلطان إحساناً كثيراً، وأنّه أقطعهما[2] أذربيجان، فلمّا بلغه رحيلهما[3] إلى بغداذ اعتقد أنّهما قد عَصَيَا[4] عليه، فعاد عمّا كان استقرّ، ويقول إنّ السلطان قد جهّز عسكراً إلى الموصل. فوقع الكتاب بيد منكبرس، فأرسله إلى جيوش بك، وضمن له إصلاح السلطان له وللملك مسعود، وكان منكبرس متزوّجاً بأمّ الملك مسعود، واسمها سَرجهان، وكان يؤثر مصلحته لذلك، واستقرّ الصلح، وخافا من البرسقيّ أن يمنع منه، فاتّفقا على إرسال العسكر إلى دَرْزِيجَانَ لينفذ في مقابلته البرسقيّ ليخلو العسكر منه، ويقع الاتّفاق، فكان الأمر في مسيره على ما تقدّم.

وكان البرسقيُّ محبوباً لدى أهل بغداذ لحسن سيرته فيهم، فلمّا استقرّ الصلح، ووصلوا إلى بغداذ، تفرّق عن البرسقيّ أصحابه وجموعه، وبطل ما كان يحدّث به نفسه من التغلّب على العراق بغير أمر السلطان، وسار عن العراق إلى الملك مسعود، فأقام معه، واستقرّ منكُبرس في شِحنكيّة بغداذ، وودّعه دُبَيْس بن صدقة، وعاد إلى الحِلّة، بعد أن طالب بدار أبيه بدرب فيروز، وكانت قد دخلت في جامع القصر ببغداذ، فصولح عنها بمال.

وأقام منكُبرس ببغداذ يظلم، ويعسف الرعيّة، ويصادرهم، فاختفى أرباب

---

(١) في الأوربية: «فوصلوا».

(٢) في الأوربية: «قطعهم».

(٣) في الأوربية: «رحيلكم».

(٤) في الأوربية: «أنكم قد عصيتم».

الأموال، وانتقل جماعة إلى حريم دار الخلافة خوفاً منه، وبطلت معايش الناس، وأكثر أصحابه الفساد، حتّى إنّ بعض أهل بغداذ زُفّت إليه امرأة تزوّجها، فعلم بعض أصحاب منكُبرس، فأتاه وكسر الباب وجرح الزوج عدّة جِراحات، وابتنى بزوجته، فكثر الدعاء ليلاً ونهاراً، واستغاث الناس لهذه الحال، وأغلقوا الأسواق، فأُخذ الجنديّ إلى دار الخلافة فاعتُقل أيّاماً ثم أُطلق.

وسمع السلطان بما يفعله منكبرس ببغداذ، فأرسل إليه يستدعيه، ويحثّه على اللحوق به، وهو يغالط ويدافع، وكلّما طلبه السلطان لجّ في جمع الأموال والمصادرات. فلمّا علم أهل بغداذ تغيُّر[1] السلطان عليه، واستدعاءه إيّاه، طمعوا فيه، فسار حينئذٍ منكبرس عنهم خوفاً أن يثوروا به، وكفى الناس شرّه، وظهر من كان مستتراً.

ذكر وفاة ملك الفرنج وما كان بين الفرنج وبين المسلمين

في ذي الحجّة من سنة إحدىٰ عشرة وخمسمائة توفّي بغدُوين ملك القدس[2]، وكان قد سار إلى ديار مصر في جمع الفرنج، قاصداً ملكها والتغلّب عليها، وقوي طمعه في الديار المصريّة، وبلغ مقابل تِنّيس، وسبح في النيل، فانتقض جرح كان به، فلمّا أحسّ بالموت عاد إلى القدِس، فمات، ووصّى ببلاده للقمّص صاحب الرُّها، وهو الذي كان أسره جَكَرمِش، وأطلقه جاولي سقاوو، واتّفق أنّ هذا القمّص كان قد سار إلى القدس يزور بِيعة قُمامَة، فلمّا وصّى إليه بالملك قبله، واجتمع له القدس والرُّها.

وكان أتابك طُغتِكين قد سار عن دمشق لقتال الفرنج، فنزل بين دَيْر أيّوب وكفَر بَصَل[3] باليَرْموك، فخفيت عنه وفاة بغدوين، حتّى سمع الخبر بعد ثمانية عشر يوماً، وبينهم نحو يومَيْن، فأتته رسل ملك الفرنج يطلب المهادنة، فاقترح عليه طغتِكين ترك المناصفة التي بينهُم من (جبل عَوف، والحَنّانَة)[4]، والصَّلْت[5]، والغَور، فلم يُجب

---

(١) في الأوربية: «تغثير».

(٢) تاريخ حلب ٣٦٨ (٣٣)، ذيل تاريخ دمشق ١٩٩، دول الإسلام٢/٣٨، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١١ هـ.) ص ٢٧٠، الدرّة المضية ٤٨٠، الكواكب الدرّية ٨٢، إتعاظ الحنفا ٣/٥٦، شذرات الذهب ٤/ ٣٠.

(٣) في الباريسية: «كفربصل»، والمثبت من بودليان.

(٤) في الباريسية: «الحنانه»، وفي بودليان: «حىل عوف والحمانه».

(٥) في بودليان: «الصلب».

إلى ذلك، وأظهر القوّة، فسار طغتكين إلى طَبريّة فنهبها وما حولها، وسار منها نحو عَسْقَلان.

وكانت للمصريّين وبها عساكرهم، كانوا قد سيّروها لمّا عاد ملك القدس المتوفّى عن مصر، وكانوا سبعة آلاف فارس، فاجتمع بهم طغتكين، وأعلمه المقدّم عليهم أنّ صاحبهم تقدّم إليه بالوقوف عند رأي طُغتِكين، والتصرّف على ما يحكم به، فأقاموا بعَسْقَلان نحو شهرَيْن، ولم يؤثّروا في الفرنج أثراً، فعاد طُغتِكين إلى دمشق، فأتاه الصريخ بأنّ مائة وثلاثين فارساً من الفرنج أخذوا حصناً من أعماله يُعرف بالحبس، يُعرف بحصن جَلْدَك، سلّمه إليهم المستحفظ به وقصدوا أذْرِعات فنهبوها، فأرسل إليهم تاج الملوك بوري بن طُغتِكين، فانحازوا عنه إلى جبل هناك، فنازلهم، فأتاه أبوه ونهاه عنهم، فلم يفعل، وطمع فيهم، فلمّا أيِس الفرنج قاتلوا قتال مُسْتقتل، فنزلوا من الجبل وحملوا على المسلمين حملة صادقة هزموهم بها، وأسروا وقتلوا خلقاً كثيراً، وعاد الفلّ إلى دمشق على أسوإ حال.

فسار طُغتِكين إلى حلب، وبها إيلغازي، فاستنجده، وطلب منه التعاضد على الفرنج، فوعده بالمسير معه، فبينما هو بحلب أتاه الخبر بأنّ الفرنج قصدوا حَوْران من أعمال دمشق، فنهبوا وقتلوا وسبوا وعادوا، فاتّفق رأي طُغتِكين وإيلغازي (على عَود طُغتكين إلى دمشق، وحماية بلاده، وعود إيلغازي)[1] إلى ماردين، وجَمْع العساكر، والاجتماع على حرب الفرنج، فصالح إيلغازي مَن يليه من الفرنج على ما تقدّم ذكره، وعبر إلى مارِدِين لجمع العساكر، وكان ما نذكره سنة ثلاث عشرة [وخمسمائة]، إن شاء الله تعالىٰ.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة انقطع الغيث، وعُدمت الغلاّت في كثير من البلاد، وكان أشدّه بالعراق، فغلت الأسعار، وأجلى أهل السواد، وتقوّت الناس بالنخالة، وعظُم الأمر على أهل بغداذ بما كان يفعله منكُبرِس بهم.

وفيها أسقط المسترشد بالله من الإقطاع المختصّ به كلّ جَور، وأمر أن لا يؤخذ إلاّ ما جرت به العادة القديمة، وأطلق ضمان غزل الذهب، وكان صنّاع السِّقْلاطون، والممزّج، وغيرهم ممّن يعمل منه، يلقون شدّة من العمّال عليها، وأذًى عظيماً.

---

(١) من الباريسية.

وفيها تأخّر مسير الحُجّاج تأخّراً أُرجف بسببه بانقطاع الحجّ من العراق، فرتّب الخليفة الأمير نَظَر، خادم أمير الجيوش يُمن، وولاّه من أمر الحجّ ما كان يتولاّه أمير الجيوش، وأعطاه من المال ما يحتاج إليه في طريقه، وسيّره، فأدركوا الحجّ وظهرت كفاية نظر[1].

وفيها وصل مركبان كبيران فيهما قوّة ونجدة للفرنج بالشام، فغرقا، وكان الناس قد خافوا ممّن فيهما.

وفيها وصل رسول إيلغازي، صاحب حلب وماردين، إلى بغداذ يستنفر على الفرنج، ويذكر ما فعلوا بالمسلمين في الديار الجزريّة، وأنّهم ملكوا قلعة عند الرُّها، وقتلوا أميرها ابن عُطَيْر، فسُيّرت الكتب بذلك إلى السلطان محمود.

وفيها نُقل المستظهر إلى الرُّصافة، وجميع من كان مدفوناً بدار الخلافة، وفيهم جدّة المستظهر أُمّ المقتدي، وكانت وفاتها بعد المستظهر، ورأت البطن الرابع من أولادها.

وفيها كثُر أمر العيّارين بالجانب الغربيّ من بغداذ، فعبر إليهم نائب الشّحنة في خمسين غلاماً أتراكاً، فقاتلهم، فانهزم منهم، ثم عبر إليهم من الغد في مائتَيْ غلام، فلم يظفر بهم، ونهب العيّارون يومئذ قُطُفْتا.

[الوفيات]

وفي هذه السنة، في شعبان، توفّي أبو الفضل بكر بن محمّد[2] بن عليّ بن الفضل الأنصاريُّ من ولد جابر بن عبد الله، وهو من بلد بخارى، وكان من أعيان الفقهاء الحنفيّة، حافظاً للمذهب.

وتوفّي أبو طالب الحسين بن محمّد بن عليّ بن الحسن الزينبيُّ[3]، نقيب النقباء ببغداذ، في صفر، واستقال من النقابة، فوليها أخوه طِراد، وكان من أكابر الحنفيّة، وروى الحديث الكثير.

---

(١) المنتظم ٩/١٩٩ (١٧/١٦٤).

(٢) انظر عن (بكر بن محمد) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٢ هـ.)، ص ٣٢٩، ٣٣٢ رقم ٢٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (الزينبي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٢ هـ.) ص ٣٣٢، ٣٣٣ رقم ٣٠ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

وفيها، في ذي الحجّة، توفّي أبو زكريّاء يحيى بن عبد الوهّاب بن مَنْدة[1] الأصبهانيُّ، المحدّث المشهور من بيت الحديث، وله فيه تصانيف حسنة.

وفيها توفّي أبو الفضل أحمد بن الخازن[2]، وكان أديباً، ظريفاً، له شعر حسن، فمنه قوله، وقد قصد زيارة صديق له، فلم يره، فأدخله غلمانه إلى بستان في الدار، وحمّام، فقال في ذلك:

وافَيْتُ مَنزِلَهُ فلم أرَ صاحباً ... إلاّ تلقّاني بوَجهٍ ضاحكِ

والبِشرُ في وَجْهِ الغُلامِ نتيجةٌ ... لمُقَدِّماتِ ضياء وجهِ المالكِ

ودخلتُ جنّتَهُ وزُرت جحيمَهُ ... فشكرتُ رِضواناً ورأفةَ مالكِ

---

(١) انظر عن (ابن منده) في: المنتظم ١٧/ ١٦٩، ١٧٠ رقم ٣٨٧٦، وتذكرة الحفاظ ٤/ ٢٥٠ وفيه وفاته سنة ٥١١ هـ.

(٢) انظر عن (ابن الخازن) في: المنتظم ١٧/ ١٧٠ رقم ٣٨٧٧، والبداية والنهاية ١٢/ ١٨٣.

٥١٣
ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

ذكر عصيان الملك طُغرل على أخيه السلطان محمود

كان الملك طُغرل بن محمّد لمّا توفّي والده بقلعة سَرْجَهَانَ، وكان مولده سنة ثلاثٍ وخمسمائة في المحرّم، وأقطعه والده، سنة أربع، ساوةَ وآوةَ وزَنْجَانَ، وجعل أتابكه الأمير شيركير الذي تقدم ذكره في حصار قلاع الإسماعيليّة، فازداد مُلك طُغرل بما فتحه شيركير من قلاعهم، فأرسل إليهم السلطان محمود الأمير كنتغدي ليكون أتابكاً له، ومدبّراً لأمره، ويحمله إليه، فلمّا وصل إليه حسّن له مخالفة أخيه، وترْك المجيء إليه، واتّفقا على ذلك.

وسمع السلطان محمود الخبر، فأرسل شرف الدين أنوشروان بن خالد، ومعه خِلَع وتُحَف وثلاثون ألف دينار، ووعد أخاه بإقطاع كثير، زيادة على ما له، إذا قصده، واجتمع به، فلم تقع الإجابة إلى الاجتماع، وأجاب كنتغدي (بأننا في طاعة)[1] السلطان، وأيّ جهة أراد قصدناها، ومعنا من العساكر ما نقاوم بها من يرسم بقصده.

فبينما الخوض معهم في ذلك ركب السلطان محمود من باب همَذان في عشرة آلاف فارس، جريدة، في جمادى الأولى، وكتم مقصده، وعزم على أن يكبس أخاه، والأمير كنتغدي، فرأى أحد خواصّه تركياً من أصحاب الملك طُغرل، فأعلم السلطان به، فقبض عليه، فعلم رفيق كان معه الحال، فسار عشرين فرسخاً في ليلة، ووصل إلى الأمير كنتغدي، وهو سكران، فأيقظه بعد جهد، وأعلمه الحال، فقصد الملك طُغرل، فعرّفه ذلك، وأخذه متخفّياً، وقصد قلعة سَمِيران[2]، فضلاً عن الطريق إلى قلعة

(١) في نسخة بودليان والباريسية: «نائباً عن السلطان».

(٢) تحرّفت في الباريسية إلى «شميران»، وفي بودليان: «شهيران».

سَرْجَهان، وكانا قد فارقاها، وجمعا العساكر، وكان ضلالهما هدايةً لهما إلى السلامة، فإنّ السلطان محموداً[1] جعل طريقه على سَمِيران، وقال: إنّها حصنهما الذي فيه الذخائر والأموال، وإذا علما بوصوله إليهما سارا إليها، فربّما صادفهما في الطريق، فسلما منه بما ظنّاه عَطَباً لهما.

ووصل السلطان إلى العسكر، فكبسه، ونهبه، وأخذ من خزانة أخيه ثلاثمائة ألف دينار، وذلك المال الذي أنفذه له، وأقام السلطان محمود بزَنْجَان، وتوجّه منها إلى الرَّيّ؛ ونزل طُغرل من سَرجَهان، ولحِق هو وكنتغدي بكَنْجَة وقصده أصحابه، فقويت شوكته، وتمكّنت الوحشة بينه وبين أخيه محمود.

ذكر الحرب بين سَنجَر والسلطان محمود

في هذه السنة، في جُمادى الأولى، كانت حرب شديدة بين سَنجَر وابن أخيه السلطان محمود، ونحن نذكر سياقة ذلك:

قد ذكرنا سنة ثمانٍ وخمسمائة مسير السلطان سَنجَر إلى غَزْنَة، وفتحها وما كان منه فيها، ثم عاد عنها إلى خُراسان، فلمّا بلغه وفاة أخيه السلطان محمّد، وجلوس ولده السلطان محمود في السلطنة، وهو زوج ابنة سنجَر، لحِقه حزن عظيم لموت أخيه، وأظهر من الجزع والحزن ما لم يُسمع بمثله، وجلس للعزاء على الرماد، وأغلق البلد سبعة أيّام، وتقدّم إلى الخطباء بذكر السلطان محمّد بمحاسن أعماله من قتال الباطنيّة، وإطلاق المكوس، وغير ذلك.

وكان سنجَر يلقّب بناصر الدين، فلمّا توفّي أخوه محمّد تلقّب بمعزّ الدين، وهو لقب أبيه ملكشاه، وعزم على قصد بلد الجبال والعراق وما بيد محمود ابن أخيه، فندم على قَتْل وزيره أبي جعفر محمّد بن فخر المُلك أبي المظفّر بن نظام المُلك.

وكان سبب قتله أنّه وحّش الأمراء، واستخفّ بهم، فأبغضوه وكرهوه، وشكوا منه إلى السلطان، وهو بغَزْنَة، فأعلمهم أنّه يؤثر قتله، وليس يمكنه فعل ذلك بغَزنة.

وكان سنجر قد تغيّر على وزيره لأسباب، منها: أنّه أشار عليه بقصد غَزْنَة، فلمّا وصل إلى بُست أرسل إلى أرسلانشاه صاحبها إلى الوزير، وضمن له خمسمائة ألف دينار ليَثْني سنجَر عن قصده، فأشار عليه بمصالحته والعود عنه، وفعل مثل ذلك بما وراء النهر.

---

(١) في الأوربية: «محمود».

ومنها: أنّه نُقل عنه أنّه أخذ من غَزنة أموالاً جليلة عظيمة المقدار.

ومنها: ما ذُكر من إيحاشه الأمراء وغير هذه الأسباب.

فلمّا عاد إلى بَلْخ قبض عليه، وقتله وأخذ ماله، وكان له من الجواهر والأموال ما لا حدّ عليه، والذي وُجد له من العين ألفا ألف دينار، فلمّا قتله استوزر بعده شهاب الإسلام عبد الرزّاق ابن أخي نظام المُلك، ويُعرف بابن الفقيه، إلاّ أنّه لم تكن له منزلة ابن فخر المُلك عند الناس في عُلُوّ المنزلة. فلمّا اتّصل به وفاة أخيه ندم على قتله لأنّه كان يبلغ به من الأغراض والملك ما لا يبلغه بكثرة العساكر لميل الناس إليه، ومحلّه عندهم.

ثم إنّ السلطان محموداً[1] أرسل إلى عمّه سنجَر شرفَ الدين أنوشروان بن خالد وفخر الدين طُغايرك بن اليزن[2]، ومعهما الهدايا والتُّحف، وبذل له النزول عن مازَنْدران، وحَمْل مائتَيْ ألف دينار كلّ سنة، فوصلا إليه وأبلغاه الرسالة، فتجهّز ليسير إلى الرَّيّ، فأشار عليه شرف الدين أنوشروان بترك القتال والحرب، فكان جوابه في ذلك: أنّ ولد أخي صبيّ، وقد تحكّم عليه وزيره والحاجب عليّ.

فلمّا سمع السلطان محمود بمسير عمّه نحوه، ووصول الأمير أُنَر في مقدّمته إلى جُرجان، تقدّم إلى الأمير عليّ بن عمر، وهو أمير حاجب السلطان محمّد، وبعده صار أمير حاجب السلطان محمود، بالمسير، وضمّ[3] إليه جمعاً كثيراً من العساكر والأمراء، فاجتمعوا في عشرة آلاف فارس، فساروا إلى أن قاربوا مقدّمة سنجَر التي عليها الأمير أُنَر، فراسله الأمير عليُّ بن عمر يعرّفه وصيّة السلطان محمّد بتعظيم سنجَر والرجوع إلى أمره ونهيه، والقبول منه، وأنّه ظنّ أنّ سنجَر يحفظ السلطنة على ولده السلطان محمود، وأخذ علينا بذلك العهود، فليس لنا أن نخالفه، وحيث جئتم إلى بلادنا لا نحتمل ذلك، ولا نغضي[4] عليه، وقد علمتُ أنّ معك خمسة آلاف فارس، فأنا أرسل إليك أقلّ منهم لتعلّم أنكم لا تقاوموننا، ولا تقوون بنا.

فلمّا سمع الأمير أُنَر ذلك عاد عن جُرْجان، ولحِقه بعض عسكر السُّلطان محمود، فأخذوا قطعة من سواده، وأسروا عدّة من أصحابه.

---

(١) في الأوربية: «محمود».

(٢) في الباريسية: «النرن»، وفي بودليان: «البزن».

(٣) في الأوربية: «وضمن».

(٤) في الأوربية: «نفضي».

وكان السلطان محمود قد وصل إلى الريّ، وهو بها، وعاد الأمير عليُّ بن عمر إليه، فشكره على فِعله، وأثنى عليه وعلى عسكره الذين معه.

وأشير على السلطان محمود بملازمة الرَّيّ، والمقام بها.

وقيل: إنّ عساكر خُراسان إذا علموا بمقامك فيها لا يفارقون حدودهم، ولا يتعدّون ولايتهم. فلم يقبلْ ذلك وضجر [من] المقام[1]، وسار إلى جُرجَان.

ووصل السلطان محمود والأميرُ منكبرس من العراق في عشرة آلاف فارس، والأمير منصور بن صدقة أخو دُبَيْس، والأمراء البكجيّة، وغيرهم، وسار محمود إلى همَذان، وتوفّي بها وزيره الربيب، واستوزر أبا طالب السميرميَّ، وبلغه وصول عمّه سنجَر إلى الريّ، فسار نحوه قاصداً قتاله، فالتقيا بالقرب من ساوة ثاني جمادى الأولى من السنة، وكان عسكر السلطان محمود قد عرفوا المفازة التي بين يدَيْ عسكر سنجَر، وهي ثمانية أيّام، فسبقوهم إلى الماء وملكوه عليهم.

وكان العسكر الخُراسانيُّ في عشرين ألفاً، ومعهم ثمانية عشر فيلاً اسم كبيرها باذهو، ومن الأمراء الكبار: ولد الأمير أبي الفضل، صاحب سِجِستان، وخُوارِزمشاه محمّد، والأمير أُنَر، والأمير قماج، واتّصل به علاء الدولة كرشاسِف بن فرامرز بن كاكوَيْه، صاحب يزد، وهو صهر السلطان محمّد وسنجَر على أختهما، وكان أخصّ الناس بالسلطان محمّد، فلمّا تولّى السلطان محمود تأخّر[2] عنه، فأقطع بلده لقراجة الساقي الذي صار صاحب بلاد فارس، فسار حينئذٍ علاء الدولة إلى سنجَر، وهو من ملوك الديلم، وعرّف سنجَر الأحوال، والطريق إلى قصد البلاد، وما فعله الأمراء من أخذ الأموال، وما هم عليه من اختلاف الأهواء، وحسّن قصد البلاد.

وكان عسكر السلطان محمود ثلاثين ألفاً، ومن الأمراء الكبار: الأمير عليُّ بن عمر، أمير حاجب، والأمير منكبُرس، وأتابكه غزغلي، وبنو بُرسق، وسُنقر البخاريُّ، وقراجة الساقي، ومعه تسعمائة حمل من السلاح.

واستهان عسكر محمود بعسكر عمّه بكثرتهم وشجاعتهم، وكثرة خيلهم، فلمّا التقوا ضعُفت نفوس الخُراسانيّة لما رأوا لهذا العسكر من القوّة والكثرة، فانهزمت ميمنة سنجَر وميسرته، واختلط أصحابه، واضطرّب أمرهم، وساروا منهزمين لا يلوون على شيء، ونُهب من أثقالهم شيء كثير، وقتل أهل السواد كثيراً منهم.

---

(١) في الأوربية: «مقام».

(٢) في الأوربية: «فتأخّر».

ووقف سنجَر بين الفِيَلة في جمْع من أصحابه، وبإزائه السلطان محمود، ومعه أتابكه غزغلي، فألجأت سنجَرَ الضرورَة، عند تعاظُم الخَطْب عليه، أن يقدّم الفِيَلة للحرب، وكان من بقي معه قد أشاروا عليه بالهزيمة، فقال: إما النصر أو القتل، وأمّا الهزيمة فلا. فلمّا تقدّمت الفِيَلة، ورآها خيل محمود، تراجعت بأصحابها على أعقابها، فأشفق سنجَر على السلطان محمود في تلك الحال، وقال لأصحابه: لا تُفزِعوا الصبيَّ بحملات الفِيَلة؛ فكفّوها عنهم، وانهزم السلطان محمود ومن معه في القلب، وأُسر أتابكه غزغلي، فكان يكاتبُ السلطانَ، ويعده أنّه يحمل إليه ابن أخيه، فعاتبه على ذلك، فاعتذر بالعجز، فقتله، وكان ظالماً قد بالغ في ظلم أهل همذان، فعجّل الله عقوبته.

ولمّا تمّ النصر والظفر للسلطان سنجَر أرسل من أعاد المنهزمين من أصحابه إليه، ووصل الخبر إلى بغداذ في عشرة أيّام، فأرسل الأمير دُبَيْس بن صدقة إلى المسترشد بالله في الخطبة للسلطان سنجَر، فخُطب له في السادس والعشرين من جُمادى الأولى، وقُطعت خطبة السلطان محمود.

وأمّا السلطان محمود، فإنّه سار من الكسرة إلى أصبهان، ومعه وزيره أبو طالب السميرميُّ، والأمير عليُّ بن عمر، وقراجة.

وأمّا سنجَر فإنّه سار إلى همَذان، فرأى قلّة عسكره، واجتماع العساكر على ابن أخيه، فراسله في الصلح، وكانت والدته تشير عليه بذلك، وتقول: قد استوليتَ على غزنة وأعمالها، وما وراء النهر، وملكتَ ما لا حدّ عليه، وقرّرتَ الجميع على أصحابه، فاجعل ولد أخيك كأحدهم.

وكانت والدة سنجَر هي جدّة السلطان محمود، فأجاب إلى قولها، ثم كثُرت العساكر عند سنجَر منهم البرسقيُّ، وكان عند الملك مسعود بأذربيجان من حين خروجه عن بغداذ إلى هذه الغاية، فقوي بهم. فعاد الرسول وأبلغه عن الأمراء الذين مع السلطان محمود أنّهم لا يصالحونه حتّى يعود إلى خُراسان، فلم يُجِبْ إلى ذلك، وسار من همَذان إلى كَرَج، وأعاد مراسلة السلطان محمود في الصلح، ووعده أن يجعله وليَّ عهده، فأجاب إلى ذلك، واستقرّ الأمر بينهما، وتحالفا عليه.

وسار السلطان محمود إلى عمّه سنجَر في شعبان، فنزل على جدّته والدة سنجَر، وأكرمه عمّه، وبالغ في ذلك، وحمل له السلطان محمود هدية عظيمة، فقبِلها ظاهراً، وردّها باطناً، ولم تُقْبلْ منه سوى خمسة أفراس عربيّة، وكتب السلطان سنجَر إلى سائر

الأعمال التي بيده كخُراسان وغَزنة، وما وراء النهر، وغيرها من الولايات، بأن يخطب للسلطان محمود بعده، وكتب إلى بغداذ مثل ذلك، وأعاد عليه جميع ما أخذ من البلاد سوى الرَّيّ، وقصد بأخْذها أن تكون له في هذه الديار لئلاّ يحدّث السلطان محمود نفسه بالخروج[1].

ذكر غزاة إيلغازي بلاد الفرنج

في هذه السنة سار الفرنج من بلادهم إلى نواحي حلب، فملكوا بُزاعة وغيرها، وخرّبوا بلد حلب ونازلوها، ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهراً واحداً، وخافهم أهلها خوفاً شديداً، ولو مُكّنوا من القتال لم يبقَ بها أحد، لكنّهم مُنعوا من ذلك؛ وصانَعَ[2] الفرنج أهل حلب على أن يقاسموهم[3] على أملاكهم التي بباب حلب. فأرسل أهل البلد إلى بغداذ يستغيثون، ويطلبون النجدة، فلم يُغاثوا.

وكان الأمير إيلغازي، صاحب حلب، ببلد ماردِين يجمع العساكر والمتطوّعة للغزاة، فاجتمع عليه نحو عشرين ألفاً، وكان معه أُسامة بن المبارك بن شِبل الكلابيّ، والأمير طُغان أرسلان بن المكر، صاحب بَدْلِيس وأرْزَن، وسار بهم إلى الشام، عازماً على قتال الفرنج.

فلمّا علم الفرنج قوّة عزمهم على لقائهم، وكانوا ثلاثة آلاف فارس، وتسعة آلاف راجل، ساروا فنزلوا قريباً من الأثارب، بموضع يقال له تَلّ عِفْرينَ، بين جبال ليس لها طريقٌ إلاّ من ثلاث جهات، وفي هذا الموضع قُتل شرف الدولة مُسلّم بن قريش.

وظنّ الفرنج أنّ أحداً لا يسلك إليهم لضيق الطريق، فأخلدوا إلى المطاولة وكانت عادة لهم، إذا رأوا قوّةً من المسلمين؛ وراسلوا إيلغازي يقولون له: لا تُتعبْ نفسك بالمسير إلينا، فنحن واصلون إليك؛ فأعلم أصحابه بما قالوه، واستشارهم فيما يفعل، فأشاروا بالركوب من وقته، وقصْدهم، ففعل ذلك، وسار إليهم، ودخل الناس من الطرق الثلاثة، ولم تعتقد الفرنج أنّ أحداً يقدم عليهم، لصعوبة المسلك إليهم، فلم

---

(١) المنتظم ٩/ ١٧٢ (١٧/ ٢٠٥)، الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢١١، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣١، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٧٨ _ ٣٨١، الدرّة المضيّة ٤٨٤، دول الإسلام ٢/ ٤٠، تاريخ الإسلام (٥٠١ _ ٥٢٠ هـ.) ص ٢٧٧، الكواكب الدرّية ٨٥.

(٢) في الأوربية: «وصانعوا».

(٣) في الأوربية: «قاسموهم».

يشعروا إلاّ وأوائل المسلمين قد غشيتهم[1]، فحمل الفرنج حملة منكرة، فولّوا منهزمين، فلقوا باقي العسكر متتابعة، فعادوا معهم، وجرى بينهم حرب شديدة، وأحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم، وأخذهم السيف من سائر نواحيهم، فلم يفلتْ منهم غير نفر يسير، وقُتل الجميع، وأُسروا.

وكان في جملة الأسرى نيّف وسبعون[2] فارساً من مقدّميهم، وحُملوا إلى حلب، فبذلوا في نفوسهم ثلاثمائة ألف دينار، فلم يُقبلْ منهم، وغنم المسلمون منهم الغنائم الكثيرة.

وأمّا سيرجال[3]، صاحب أنطاكية، فإنّه قُتل وحُمل رأسه، وكانت الوقعة منتصف شهر ربيع الأوّل، فممّا مُدح به إيلغازي في هذه الوقعة قول العَظيميّ:

قُلْ ما تشاء فقولُك المقبولُ ... وعليكَ بَعد الخالِق التَّعْويلُ
واستَبْشَر القرآنُ حينَ نصرتَهُ ... وبكى لفقدِ[4] رجالهِ الإنجيلُ

ثم تجمّع من سلِم من المعركة مع غيرهم، فلقِيهم إيلغازي أيضاً، فهزمهم، وفتح منهم حصن الأثارب، وزَرْدَنا[5]، وعاد إلى حلب، وقرّر أمرها، وأصلح حالها، ثم عبر الفرات إلى ماردِين[6].

ذكر وقعة أخرى مع الفرنج

في هذه السنة سار جوسلين، صاحب تلّ باشِر، في جمع من الفرنج، نحو مائتَيْ فارس، من طَبَرِيّة، فكبس طائفة من طيّ يُعرفون ببني خالد، فأخذهم، وأخذ غنائمهم، وسألهم عن بقيّة قومهم من بني ربيعة، فأخبروه أنّهم من وراء الحَزن، بوادي السلالة، بين دمشق وطَبَرِيّة، فقدّم جوسلين مائة وخمسن فارساً من أصحابه، وسار هو في

---

(١) في الأوربية: «غشيهم».
(٢) في الأوربية: «وسبعين».
(٣) هو: روجر Roger of Antioch.
(٤) في الأوربية: «وبكا بفقد»، وفي الأصل «الفقد».
(٥) في الأصل: «وودنا».
(٦) الإعتبار لابن منقذ ١١٩، تاريخ حلب للعظيمي (بتحقيق زعرور) ٣٧٠ (وتحقيق سويم) ٣٥، زبدة الحلب ٢/ ١٨٩، ١٩٠، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٩، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣١، دول الإسلام ٢/ ٤٠، تاريخ الإسلام ٢٧٨، العبر ٤/ ٢٨، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٥، الدرّة المضيّة ٤٨٤، البداية والنهاية ١٢/ ١٨٠، الكواكب الدرّية ٨٥.

خمسين فارساً على طريق آخر، وواعدهم الصبح ليكبسوا بني ربيعة، فوصلهم الخبر بذلك، فأرادوا الرحيل، فمنعهم أميرهم من بني ربيعة، وكانوا في مائة وخمسين فارساً، فوصلهم المائة وخمسون من الفرنج، معتقدين أنّ جوسلين قد سبقهم، أو سيدركهم، فضلّ الطريق، وتساوت العدّتان، فاقتتلوا، وطعنت العرب خيولهم، فجعلوا أكثرهم رجّالة، وظهر من أميرهم شجاعة، وحُسن تدبير، وجَودة رأي، فقُتل من الفرنج سبعون، وأُسر اثنا عشر من مقدّميهم، بذل كلّ واحدٍ [منهم] في فداء نفسه مالاً جزيلاً وعدّة من الأسرى.

وأمّا جوسلين، فإنّه ضلّ في الطريق، وبلغه خبر الوقعة، فسار إلى طرابلس، فجمع بها جمعاً، وأسْرَى إلى عَسْقَلان، فأغار على بلدها، فهزمه المسلمون هناك، فعاد مفلولاً[١].

ذكر قتل منكوبرس

في هذه السنة قُتل الأمير مَنْكوبِرْس الذي كان شِحنة بغداذ، وقد تقدّم حاله.

وكان سبب قتله: أنّه لمّا انهزم مع السلطان محمود وعاد إلى بغداذ، نهب عدّة مواضع من طريق خُراسان، وأراد دخول بغداذ، فسيّر إليه دُبَيْس بن صدقة مَنْ منعه، فعاد وقد استقرّ الصلح بين السلطانين[٢] سنجَر ومحمود، فقصد السلطانَ سنجَر، فدخل إليه ومعه سيف وكفَن، فقال له: أنا لا أؤآخذ أحداً؛ وسلّمه إلى السلطان محمود، وقال: هذا مملوكك، فاصنَعْ به ما تريد! فأخذه.

وكان في نفسه منه غيظٌ شديد لأسباب، منها: أنّه لمّا توفّي السلطان محمّد أخذ سرّيّته، والدة الملك مسعود، قهراً، قبل انقضاء عِدّتها؛ ومنها: جُرأتُه عليه، واستبداده بالأمور دونه، ومسيره إلى شِحنكيّة بغداذ، والسلطان كارهٌ لذلك لكنّه لم يقدر على منعه؛ ومنها: ما فعله بالعراق من الظلم، إلى غير ذلك، فقتله صبراً، وأراح العباد والبلاد من شرّه[٣].

ذكر قتل الأمير عليّ بن عمر

في هذه السنة أيضاً قُتل الأمير عليُّ بن عُمَر، حاجب السلطان محمّد، وكان قد

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ٢٠١.

(٢) في الأوربية: «السلاطين».

(٣) المنتظم ٩/ ٢٠٧ (١٧/ ١٧٤)، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٣ هـ.) ص ٢٧٩.

صار أكبر أمير مع السلطان محمود، وانقادت العساكر له، فحسده الأمراء، وأفسدوا حاله مع السلطان محمود، وحسّنوا له قتله، فعلم، فهرب إلى قلعة برجين، وهي بين بَرُوجِرْدَ وكَرَج، وكان بها أهله وماله، وسار منها في مائتَيْ فارس إلى خُوزستان، وكانت بيد أقبوري بن برسق، وابني أخوَيْهِ: أُرغُلي بن يَلْبكي، وهنْدُو بن زنكي، فأرسل إليهم وأخذ عهودهم بأمانه وحمايته.

فلمّا سار إليهم أرسلوا عسكراً منعوه من قصدهم، فلقُوه على ستّة فراسخ من تُسْتَر، فاقتتلوا، فانهزم هو وأصحابه، فوقف به فرسه، فانتقل إلى غيره، فتشبّث ذيله بسرجه الأوّل، فأزاله، فعاود التعلّق، فأبطأ، فأدركوه وأسروه، وكاتبوا السلطانَ محموداً في أمره، فأمرهم بقتله، فقُتل وحُمل رأسه إليه.

ذكر الفتنة بين المرابطين وأهل قرطبة

في هذه السنة، وقيل سنة أربع عشرة [وخمسمائة]، كانت فتنة بين عسكر أمير المسلمين عليّ بن يوسف وبين أهل قُرطبَة.

وسببها: أنّ أمير المسلمين استعمل عليها أبا بكر يحيى بن روّاد، فلمّا كان يوم الأضحى خرج الناس متفرّجين، فمدّ عبدٌ من عبيد أبي بكر يده إلى امرأة فأمسكها، فاستغاثت بالمسلمين، فأغاثوها، فوقع بين العبيد وأهل البلد فتنة عظيمة، ودامت جميع النهار، والحرب بينهم قائمة على ساقٍ، فأدركهم الليل، فتفرّقوا، فوصل الخبر إلى الأمير أبي بكر، فاجتمع إليه الفقهاء والأعيان، فقالوا: المصلحة أن تقتل واحداً من العبيد الذين أثاروا الفتنة؛ فأنكر ذلك، وغضب منه، وأصبح من الغد، وأظهر السلاح والعُدَد يريد قتال أهل البلد، فركب الفقهاء والأعيان والشُّبّان من أهل البلد، وقاتلوه فهزموه، وتحصّن بالقصر، فحصروه، وتسلّقوا إليه، فهرب منهم بعد مشقّة وتعب، فنهبوا القصر، وأحرقوا جميع دُور المرابطين، ونهبوا أموالهم، وأخرجوهم من البلد على أقبح صورة.

واتّصل الخبر بأمير المسلمين فكره[1] ذلك واستعظمه، وجمع العساكر من صنهاجة، وزَنَاتة، والبربر، وغيرهم، فاجتمع له منهم جَمْعٌ عظيم، فعبر إليهم سنة خمس عشرة وخمسمائة، وحصر مدينة قُرطُبة، فقاتله أهلها قتال من يريد [أن] يحمي دمه وحريمه وماله، فلمّا رأى أمير المسلمين شدّة قتالهم دخل السُّفراء بينهم، وسعوا في

---

(١) في الأوربية: «فأكره».

الصلح، فأجابهم إلى ذلك على أن يُغَرِّمَ أهلَ قرطبةَ المرابطين ما نهبوه من أموالهم، واستقرّت القاعدة على ذلك، وعاد عن قتالهم.

ذكر ملك عليّ بن سكمان البصرة

في هذه السنة استولى عليّ بن سُكْمان على البصرة.

وسبب ذلك: أنّ السلطان محمّداً[1] كان قد أقطع البصرة الأمير آقسنقَر البخاريّ، فاستخلف بها نائباً يُعرف بسُنقر البياتيّ، فأحسن السيرة إلى حدّ أنّ الماء بالبصرة مِلْح، فأقام سُفناً وجِراراً للضعفاء والسابلة، تحمل لهم الماء العذب. فلمّا توفّي السلطان محمّد عزم هذا الأمير سُنقر على القبض على أمير اسمه غزغلي، مقدّم الأتراك الإسماعيليّة، وهو مذكور، وحجّ بالناس على البصرة عدّة سنين، وعلى أمير آخر اسمه سُنقر ألب، وهو مقدّم الأتراك البُلدقيّة، فاجتمعا عليه، وقبضاه وقيّداه، وأخذا القلعة وما وجداه له.

ثمّ إنْ سُنقر ألب أراد قتله، فمنعه غزغلي، فلم يقبَلْ منه، فلمّا قتله وثب غزغلي على سُنقر ألب فقتله، ونادى في الناس بالسكون، فاطمأنّوا.

وكان أمير الحاجّ من البصرة هذه السنة؛ أمير اسمه عليّ بن سُكْمان أحد الأمراء البلدقيّة، وكان في نفس غزغلي عليه حقد، حيث تمّ الحجّ على يده، ولأنّه خاف أن يأخذ بثأر سُنقر ألب، إذ هو مقدّم البلدقيّة، فأرسل غزغلي إلى عرب البريّة يأمرهم بقصد الحُجّاج ونَهْبهم، فطمعوا بذلك، وقصدوا الحُجّاج فقاتلوهم، وحماهم ابن سُكمان، وأبلى بلاء حسناً، وجعل يقاتلهم وهو سائر نحو البصرة إلى أن بقي بينه وبين البصرة يومان، فأرسل إليه غزغلي يمنعه من قصد البصرة، فقصد العوني، أسفلَ دجلة، هذا، والعرب يقاتلونه، فلمّا وصل إلى العوني حمل على العرب حملة صادقة، فهزمهم.

وسار غزغلي إلى عليّ بن سُكْمان في عددٍ كثير، وكان عليّ في قلّة، فتحاربا، واقتتلت الطائفتان، فأصابت فرس غزغلي نشّابة فسقط وقُتل، وسار عليّ إلى البصرة فدخلها، وملك القلعة، وأقرّ عمّال آقسنقَر البخاريّ ونوّابه، وكاتَبَهُ بالطاعة، وكان عند السلطان، وسأله أن يكون نائباً عنه بالبصرة، فلم يجِبه آقسنقَر إلى ذلك، فطرد حينئذٍ

(١) في الأوربية: «محمّد».

نوّاب آقسنقر، واستولى على البلد، وتصرّف تصرّف الأصحاب، مستبدًا، واستقر فيه، وأحسن السيرة إلى سنة أربع عشرة [وخمسمائة]، فسيّر السلطان محمود الأمير آقسنقَر البخاريَّ في عسكر إلى البصرة، فأخذها من عليّ بن سُكمان.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أمر السلطان سنجَر بإعادة مجاهد الدين بهروز شِحنكيّة العراق، وكان بها نائب دُبَيْس بن صدقة، فعُزل عنها[(١)].

وفيها، في ربيع الأوّل، توفّي الوزير ربيب الدولة، وزير السلطان محمود، ووَزَرَ بعده الكمال السّميرميُّ، وكان ولد ربيب الدولة، وزير المسترشد، فعُزل، واستُعمل بعده عميد الدولة أبو عليّ بن صدقة، ولُقّب جلال الدين، وهذا الوزير، وهو عمّ الوزير جلال الدين أبي الرضا صدقة، الذي وزر للراشد، والأتابَك[(٢)] زنكي على ما نذكره[(٣)].

وفيها ظهر قبر إبراهيم الخليل، وقبرا ولدَيْه إسحاق ويعقوب، عليهم السّلام، بالقرب من البيت المقدّس، ورآهم كثير من الناس لم تبْلَ أجسادهم، وعندهم في المغارة قناديل من ذهب وفضّة، هكذا ذكره حمزة بن أسد التميميُّ في تاريخه[(٤)]، والله أعلم.

[الوفيات]

وفيها، في المحرّم، توفّي قاضي القضاة أبو الحسن عليُّ بن محمّد الدامغانيُّ[(٥)]، ومولده في رجب سنة تسعٍ وأربعين وأربعمائة، ووليَ القضاء بباب الطاق من بغداذ إلى الموصل وله من العمر ستّ وعشرون سنة، وهذا شيء لم يكن لغيره، ولمّا توفّي وليَ قضاء القضاة الأكمل أبو القاسم عليُّ بن أبي طالب الحسين بن محمّد الزينبيّ، وخُلع عليه ثالث صفر.

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣١، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٣ هـ.) ص ٢٧٩، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٥.

(٢) في الأوربية: «والأتبك».

(٣) تاريخ دولة آل سلجوق ١٠٦ و ١٢٠، تاريخ الإسلام ٢٧٩.

(٤) ذيل تاريخ دمشق ٢٠٢، تاريخ الإسلام ٢٨٠.

(٥) انظر عن (الدامغاني) في: المنتظم ١٧/ ١٧٥، ١٧٩ رقم ٣٨٨١، والبداية والنهاية ١٢/ ١٨٥، وشذرات الذهب ٤/ ٤٠.

[ذكر عدّة حوادث]

وفيها هُدم تاج الخليفة على دجلة للخوف من انهدامه، وهذا التاج بناه أمير المؤمنين المكتفي بعد سنة تسعين ومائتين.

وفيها تأخّر الحجّ، فاستغاث الناس، وأرادوا كسر المِنبر بجامع القصر، فأرسل الخليفة إلى دُبَيْس بن صدقة ليساعد الأمير نظر على تسيير[1] الحُجّاج، فأجاب إلى ذلك، وكان خروجهم من بغداذ ثاني عشر ذي القعدة، وتوالت عليهم الأمطار إلى الكوفة.

وفيها أرسل دُبَيْس بن صدقة القاضي أبا جعفر عبد الواحد بن أحمد الثقفيّ، قاضي الكوفة، إلى إيلغازي بن أُرتُق بماردِين، يخطب ابنته، فزوّجها منه إيلغازي، وحملها الثقفيّ معه إلى الحِلّة، واجتاز بالموصل.

[الوفيات]

وفيها، في جُمادى الأولى، توفّي أبو الوفا عليُّ بن عُقيل[2] بن محمّد بن عُقيل، شيخ الحنابلة، في وقته، ببغداذ، وكان حَسَن المناظرة، سريع الخاطر، وكان قد اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته على أبي [عليّ بن][3] الوليد، فأراد الحنابلة قتله، فاستجار بباب المراتب عدّة سنين، ثم أظهر التوبة حتّى تمكّن من الظهور، وله مصنّفات من جملتها كتاب «الفنون»[4].

---

(١) في الأوربية: «تسئير».

(٢) انظر عن (ابن عقيل) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٣ هـ.) ص ٣٤٩ ـ ٣٥٦ رقم ٥٤، وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٣) في طبعة صادر ١٠/٥٦١ «على أبو الوليد»، والتصويب من المصادر.

(٤) انظر عنه في: الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٢٥٩.

٥١٤
ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة

ذكر عصيان الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والحرب بينهما

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، كان المصافّ بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود، ومسعود حينئذٍ له الموصِل وأَذْرَبِيجان.

وكان سبب ذلك أنّ دُبَيْس بن صدقة كان يكاتب جيوش بك أتابَك مسعود، يحثّه على طلب السلطنة للملك مسعود، ويَعِده المساعدة، وكان غرضه أن يختلفوا فينال من الجاه وعُلُوّ المنزلة ما ناله أبوه باختلاف السُّلطانين[1] بَرْكْيارُق ومحمّد ابنَيْ ملكشاه على ما ذكرناه.

وكان قسيم الدولة البرسقيُّ، أتابَك الملك مسعود، قد فارق شحنكيّة بغداذ، وقد أقطعه مسعود مَراغة، مضافةً إلى الرَّحبة، وبينه وبين دُبَيْس عداوة مُحكَمة، فكاتب دُبَيْس جيوش بك يشير عليه بقبض البرسقيّ، وينسبه إلى الميل إلى السلطان محمود، وبذل له مالاً كثيراً على قبضه، فعلم البرسقيُّ ذلك، ففارقهم إلى السلطان محمود، فأكرمه وأعلى محلّه وزاد في تقديمه.

واتّصل الأستاذ أبو إسماعيل الحسين بن عليّ الأصبهانيّ الطُّغرائي[2] بالملك مسعود. فكان ولده أبو المؤيّد، محمّد بن أبي إسماعيل، يكتب الطُّغراء مع الملك، فلمّا وصل والده استوزره مسعود، بعد أن عزل أبا عليّ بن عمّار، صاحب طرابلس، سنة ثلاث عشرة [وخمسمائة] بباب خُوَيّ، فحسّن ما كان دُبَيْس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته:

---

(١) في الأوربية: «السلاطين».
(٢) في الأوربية: «الطفرائي».

وظهر ما هم عليه من ذلك، فبلغ السلطان محموداً[(١)] الخبر، فكتب إليهم يخوّفهم إن خالفوه، ويَعِدهم الإحسان إن أقاموا على طاعته وموافقته، فلم يُصْغوا إلى قوله، وأظهروا ما كانوا عليه، وما يُسرّونه، وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة، وضربوا له النُّوَب الخمس، وكان ذلك على تفرّق من عساكر السلطان محمود، فقوي طمعهم، وأسرعوا السير إليه ليلقوه وهو مُخفّف من العساكر، فاجتمع إليه خمسة عشر ألفاً، فسار أيضاً إليهم، فالتقوا عند عقَبة أسَدابَاذ، منتصف ربيع الأوّل، واقتتلوا من بُكرة إلى آخر النهار.

وكان البُرسقيّ في مقدّمة السلطان محمود، وأبلى يومئذٍ بلاء حسناً، فانهزم عسكر الملك مسعود، آخر النهار، وأُسر منهم جماعة كثيرة من أعيانهم ومقدّميهم، وأُسر الأستاذ أبو إسماعيل وزير مسعود، فأمر السلطان بقتله، وقال: قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده؛ فكانت وزارته سنةً وشهراً، وقد جاوز ستّين سنة، وكان حَسَن الكتابة والشعر، يميل إلى صنعة الكيمياء، وله فيها تصانيف قد ضيّعت من الناس أموالاً[(٢)] لا تحصى.

وأمّا الملك مسعود فإنّه لمّا انهزم أصحابه وتفرّقوا قصد جبلاً بينه وبين الوقعة اثنا عشر فرسخاً، فاختفى فيه ومعه غلمان صغار، فأرسل ركابيّه عثمان إلى أخيه يطلب له الأمان، فسار إلى السلطان محمود وأعلمه حال أخيه مسعود، فرقّ له، وبذل له الأمان، وأمر آقسنقَر البرسقيَّ بالمسير إليه، وتطييب قلبه، وإعلامه بعفوه عنه، وإحضاره؛ فكان مسعود بعد أن أرسل يطلب الأمان قد وصل بعض الأمراء إليه، وحسّن له اللّحاق بالموصل، وكانت له، ومعها أَذَرْبِيجان، وأشار عليه بمكاتبة دُبَيْس بن صدقة ليجتمع به، ويكثُر جَمْعُه، ويعاود طلب السلطنة، فسار معه من مكانه.

ووصل البرسقيُّ فلم يره، فأُخبر بمسيره، فسار في أثره، وعزم على طلبه ولو إلى الموصل، وجدّ في السير، فأدركه على ثلاثين فرسخاً من مكانه ذلك، وعرّفه عفو أخيه عنه، وضمن له ما أراد، وأعاده إلى العسكر، فأمر السلطان محمود العساكر باستقباله وتعظيمه، ففعلوا ذلك، وأمر السلطان أن ينزل عند والدته، وجلس له، وأحضره، واعتنقا، وبكيا، وانعطف عليه محمود، ووفى[(٣)] له بما بذله، وخلطه بنفسه في كلّ

(١) في الأوربية: «محمود».
(٢) في الأوربية: «أصولاً».
(٣) في الأوربية: «ووفا».

أفعاله، فعُدّ ذلك من مكارم محمود، وكانت الخطبة بالسلطنة لمسعود بأَذَربيجان، وبلد الموصِل، والجزيرة، ثمانية وعشرين يوماً.

وأمّا أتابكه جيوش بك فإنّه سار إلى عقَبة أسادَابَاذ، وانتظر الملك مسعوداً، فلم يره، وانتظره بمكان آخر، فلم يصل إليه، فلمّا أيِس منه سار إلى الموصل، ونزل بظاهرها، وجمع الغلاّت من السواد إليها، واجتمع إليه عسكره، فلمّا سمع بما فعله السلطان مع أخيه، وأنّه عنده، علم أنّه لا مقام له على هذه الحال، فسار كأنّه يريد الصيد، فوصل إلى الزاب، وقال لمن معه: إنّني قد عزمتُ على قصد السلطان محمود، وأُخاطِر بنفسي؛ فسار إليه، فوصل وهو بهَمذان، ودخل إليه، فطيّب قلبه وأمّنه، وأحسن إليه.

وأمّا دُبَيْس فإنّه كان بالعراق، فلمّا بلغه خبر انهزام الملك مسعود نهب البلاد وخرّبها، وفعل فيها الأفاعيل القبيحة، إلى أن أتاه رسول السلطان محمود، وطيّب قلبه، فلم يلتفت[(١)].

ذكر حال دُبَيْس وما كان منه

لمّا كان منه ببغداذ وسوادها من النهب والقتل والفساد ما لم يجرِ مثله، أرسل إليه الخليفة المسترشد بالله رسالة ينكر عليه، ويأمره بالكفّ، فلم يفعل، فأرسل إليه السلطان وطيّب قلبه، وأمره بمنع أصحابه عن الفساد، فلم يقبل، وسار بنفسه إلى بغداذ، وضرب سرادقه بإزاء دار الخلافة، وأظهر الضغائن التي في نفسه، وكيف طِيف برأس أبيه، وتهدّد الخليفة، وقال: إنّك أرسلتَ تستدعي السلطان، فإن أعدتموه، وإلاّ فعلتُ وصنعتُ. فأُعيد جواب رسالته: أنّ عَوْدَ السلطان، وقد سار عن همَذان، غير ممكنٍ، ولكنّا نُصلح حالك معه.

وكان الرسول شيخ الشيوخ إسماعيل، فكفّ على أن تسيّر الرسل في الاتّفاق بينه وبين السلطان، وعاد عن بغداذ في رجب.

ووصل السلطان في رجب إلى بغداذ، فأرسل دُبَيْس زوجته ابنة عميد الدولة بن جَهِير إليه، ومعها مال كثير، وهدية نفيسة، وسأل الصفح عنه، فأُجيب إلى ذلك على

(١) المنتظم ٩/١٨٦، ١٨٧ (١٧/٢١٧، ٢١٨)، بغية الطلب (قسم السلاجقة) ٢٢٥، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/٨٩، ٩٠، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٣٢، تاريخ الإسلام ٢٨٢، ٢٨٣، مرآة الجنان ٣/ ٢٠٥، عيون التواريخ ١٢/١٠٣.

قاعدة امتنع منها، ولزِم لجاجه، ونهب جَشيراً للسلطان. فسار السلطان عن بغداذ، في شوّال، إلى قصد دُبيس بالحِلّة، واستصحب ألف سفينة يعبر فيها، فلمّا علم دُبَيْس مسير السلطان أرسل يطلب الأمان، فأمّنه، وكان قصده أن يغالطه ليتجهّز، فأرسل نساءه إلى البطيحة، وأخذ أمواله وسار عن الحلّة، بعد أن نهبها، إلى إيلغازي ملتجئاً إليه، ووصل السلطان إلى الحِلّة، فلم يرَ أحداً، فبات بها ليلة واحدة وعاد.

وأقام دُبَيْس عند إيلغازي، وتردّد معه، ثمّ إنّه أرسل أخاه منصوراً[1] في جيش من قلعة جَعْبَر إلى العراق، فنظر الحِلّة، والكوفة، وانحدر إلى البَصرة، وأرسل إلى يرنقش الزكويّ يسأله أن يُصلح حاله مع السلطان، فلم يتمّ أمره، فأرسل إلى أخيه دُبَيْس يعرّفه ذلك، ويدعوه إلى العراق، فسار من قلعة جَعْبَر إلى الحِلّة سنة خمس عشرة [وخمسمائة]، فدخلها وملكها، وأرسل إلى الخليفة والسلطان يعتذر، ويعدّ من نفسه الطاعة، فلم يُجَبْ إلى ذلك.

وسُيّرت إليه العساكر، فلمّا قاربوه فارق الحِلّة، ودخل إلى الأزبر(!)[2]، وهو نهر سِنْداد، ووصل العسكر إليها، وهي فارغة قد أُجلي أهلها عنها، وليس بها إقامة، فكانت المِيرة تُنقل من بغداذ، وكان مقدّم العسكر سعد الدولة يرنقش الزكويّ، فترك بالحِلّة خمسمائة فارس، وبالكوفة جماعة أخرى تحفظ الطريق على دُبَيْس، وأرسل إلى عسكر واسط يحفظ طريق البطيحة، ففعلوا ذلك، وعبر عسكر السلطان إلى دُبَيْس، فبقي بين الطائفتَيْن نهر يخاض فيه مواضع، فتراسل يرنقش ودُبَيْس، واتّفقا على أن يرسل دُبَيْس أخاه منصوراً رهينةً، ويلازم الطاعة، ففعل، وعاد العسكر إلى بغداذ سنة ستّ عشرة [وخمسمائة][3].

ذكر خروج الكُرْج إلى بلاد الإسلام وملك تِفلِيس

في هذه السنة خرج الكُرج، وهم الخَزَر[4]، إلى بلاد الإسلام، وكانوا[5] قديما يغيرون، فامتنعوا أيّام السلطان ملكشاه إلى آخر أيّام السلطان محمّد، فلمّا كانت هذه

---

(١) في الأوربية: «منصور».

(٢) هكذا في الأصل، وبودليان، والباريسية.

(٣) المنتظم ٩/ ٢٢٧ (١٧/ ١٩٧، ١٩٨)، بغية الطلب (قسم السلاجقة ٢٢٦)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٩٨، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٥ هـ.) ص ٢٨٩، و (حوادث ٥١٦ هـ.) ص ٢٩٣.

(٤) في الأوربية: «الجرز».

(٥) في الأوربية: «وكافوا».

السنة خرجوا ومعهم قفجاق، وغيرهم من الأمم المجاورة لهم، فتكاتب الأمراء المجاورون لبلادهم، واجتمعوا، منهم: الأمير إيلغازي، ودُبَيْس بن صدقة، وكان عنده، والملك طُغرل بن محمّد، وأتابكه كنتغدي، وكان لطُغرل بلد أرّان، ونَقْجُوَانَ إلى أرّس، فاجتمعوا وساروا إلى الكُرج، فلمّا قاربوا تِفلِيسَ، وكان المسلمون في عسكر كثير يبلغون [ثلاثين] ألفاً، التقوا واصطفّت الطائفتان للقتال، فخرج من القفجاق مائتا رجل، فظنّ المسلمون أنّهم مستأمنون، فلم يحترزوا منهم، ودخلوا بينهم، ورمَوْا بالنشّاب، فاضطرّب صفّ المسلمين، فظنّ مَن بَعُد أنّها هزيمة، فانهزموا، وتبع الناس بعضهم بعضاً منهزمين، ولشدّة الزحام صدم بعضهم بعضاً، فقُتل منهم عالم عظيم.

وتبِعهم الكُفّار عشرة فراسخ يقتلون ويأسرون، فقُتل أكثرهم، وأسروا أربعة آلاف رجل، ونجا الملك طُغرل، وإيلغازي، ودُبَيْس، وعاد الكُرج فنهبوا بلاد الإسلام، وحصروا مدينة تِفليس، واشتدّ قتالهم لمن بها، وعظُم الأمر، وتفاقم الخطْب على أهلها، ودام الحصار إلى سنة خمس عشرة [وخمسمائة]، فملكوها عَنوةً.

وكان أهلها لمّا أشرفوا على الهلاك قد أرسلوا قاضيها وخطيبها إلى الكُرج في طلب الأمان، فلم تُصْغِ الكُرج إليهما فأخرقوا بهما، ودخلوا البلد قهراً وغلبةً، واستباحوه ونهبوه، ووصل المستنفرون منهم إلى بغداذ مستصرخين ومستنصرين سنة ستّ عشرة [وخمسمائة]، فبلغهم أنّ السلطان محموداً بهمَذان، فقصدوه واستغاثوا به، فسار إلى أذربِيجان، وأقام بمدينة تِبريز شهر رمضان، وأنفذ عسكراً إلى الكُرج، وسيرد ذكر ما كان منهم[1]، إن شاء الله تعالىٰ.

ذكر غزوات إيلغازي هذه السنة

في هذه السنة أرسل المسترشد بالله خِلعاً مع سديد الدولة بن الأنباريّ لنجم الدين إيلغازي، وشكره على ما يفعله من غزو الفرنج، ويأمره بإبعاد دُبَيْس عنه، وسار أبو عليّ بن عمّار الذي كان صاحب طرابلس، مع ابن الأنباريّ إلى إيلغازي ليقيم عنده، يعبر الأوقات بما ينعم[2] به عليه، فاعتذر عن إبعاد[3] دُبَيْس، ووعد به، ثم سار إلى

---

(١) الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢١٣، ٢١٤، تاريخ مختصر الدول ٢٠١، ٢٠٢، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٢، دول الإسلام ٢/ ٤١، العبر ٤/ ٣١، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٤ هـ.) ص ٢٨٣، مرآة الجنان ٣/ ٢٠٥، عيون التواريخ ١٢/ ١٠٣.

(٢) في الأوربية: «ينقم».

(٣) في الأوربية: «بإبعاد»، وفي بودليان: «عن إبعاده».

الفرنج، وكان قد جمع لهم جمعاً، فالتقوا بموضعٍ اسمه ذات البقل[1] من أعمال حلب، فاقتتلوا، واشتدّ القتال، وكان الظفر له.

ثم اجتمع إيلغازي وأتابَك طُغتِكين، صاحب دمشق، وحصروا الفرنج في مَعَرّة قِنَّسرين يوماً وليلةً، ثم أشار أتابَك طُغتِكين بالإفراج عنهم، كيلا يحملهم الخوف على أن يستقتلوا ويخرجوا إلى المسلمين، فربّما ظفروا؛ وكان أكثر خوفه من دُبُر خيل التركمان، وجودة خيل الفرنج، فأفرج لهم إيلغازي، فساروا عن مكانهم وتخلّصوا؛ وكان إيلغازي لا يطيل المُقام في بلد الفرنج لأنّه كان يجمع التركمان للطمع، فيحضر أحدهم ومعه جراب فيه دقيق، وشاة، ويَعُدُّ الساعات لغنيمة يتعجّلها، ويعود، فإذا طال مُقامهم تفرّقوا، ولم يكن له من الأموال ما يفرّقها فيهم.

ذكر ابتداء أمر محمّد بن تومَرت وعبد المؤمن وملكهما

في هذه السنة كان ابتداء أمر المهدي أبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن تُومَرت العلويّ، الحسنيّ، وقبيلته من المصامدة، تُعرف بهَرغة في جبل السُّوس، من بلاد المغرب، نزلوا به لـمّا فتحه المسلمون مع موسى بن نُصير، ونذكر أمره وأمر عبد المؤمن هذه السنة إلى أن فرغ من ملك المغرب لِنَتْبع بعضَ الحادثة بعضاً.

وكان ابن تُومَرت قد رحل في شبيبته إلى بلاد الشرق في طلب العلم، وكان فقيهاً، فاضلاً، عالماً بالشريعة، حافظاً للحديث، عارفاً[2] بأصولَي الدين والفِقه، متحقّقاً بعلم العربيّة، وكان ورِعاً، ناسكاً، ووصل في سفره إلى العراق، واجتمع بالغزاليّ، وإلْكِيا، واجتمع بأبي بكر الطُّرطوشيّ بالإسكندريّة، وقيل إنّه جرى له حديث مع الغزاليّ فيما فعله بالمغرب من التملّك، فقال له الغزاليُّ: إنّ هذا لا يتمشّى في هذه البلاد، ولا يمكن وقوعه لأمثالنا.

كذا قال بعض مؤرّخي المغرب، والصحيح أنّه لم يجتمع به، فحجّ من هناك وعاد إلى المغرب، ولمّا ركب البحر من الإسكندريّة، مغرباً، غيّر المنكر في المركب، وألزم مَن به بإقامة الصّلاة، وقراءة القرآن، حتّى انتهى إلى المَهديّة، وسلطانها حينئذٍ يحيى بن تميم، سنة خمسٍ وخمسمائة، فنزل بمسجدِ قبليّ، مسجد السبت، وليس له سوى

---

(١) في الباريسية: «النقل»، وفي بودليان: «ذا نيث اليقل»، وهو «دانيث البقل» Danith بين أنطاكية وحلب.
(٢) في الأوربية: «غارماً».

رَكوة، وعَصاً، وتسامع به أهل البلد، فقصدوه يقرأون عليه أنواع العلوم، وكان إذا مرّ به منكرٌ غيّره وأزاله، فلمّا كثُر ذلك منه أحضره الأمير يحيى مع جماعة من الفقهاء، فلمّا رأى سمتَهُ وسمع كلامه أكرمه واحترمه، وسأله الدعاء.

ورحل عن المدينة وأقام بالمُنَسْتِير مع جماعةٍ من الصالحين، مدّةً، وسار إلى بِجَايَةَ ففعل فيها مثل ذلك، فأُخرج منها إلى قَرية بالقرب منها اسمها مَلاَّلَة[1]، فلقِيه بها عبد المؤمن بن عليّ، فرأى فيه من النجَابة والنهضة ما تفرّس فيه التقدّم، والقيام بالأمر، فسأله عن اسمه وقبيلته، فأخبره أنّه من قيس عيلان، ثم من بني سُلَيْم، فقال ابن تُومَرت: هذا الذي بشّر به النبيّ ﷺ، حين قال: إنّ الله ينصر هذا الدين، في آخر الزمان، برجل من قيس، فقيل: من أيّ قيسٍ؟ فقال: من بني سُليم. فاستبشر بعبد المؤمن وسُرّ بلقائه؛ وكان مولد عبد المؤمن في مدينة تَاجَرَة، من أعمال تِلِمْسان، وهو من عائذ، قبيلٌ من كومرة، نزلوا بذلك الإقليم سنة ثمانين ومائة.

ولم يزل المهديّ ملازِماً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريقه إلى أن وصل إلى مرّاكش دار مملكة أمير المسلمين يوسف بن عليّ بن تاشفين، فرأى فيها من المنكَرات أكثر ممّا عاينه في طريقه، فزاد في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فكثُر أتباعه، وحسنت ظنون الناس فيه، فبينما هو في بعض الأيّام في طريقه، إذ رأى أخت أمير المسلمين في موكبها، ومعها من الجواري الحِسان عدّة كثيرة، وهنّ مُسْفِرات، وكانت هذه عادة الملثّمين يُسفر نساؤهم [عن] وجوههنّ، ويتلثّم الرجال، فحين رأى النساء كذلك أنكر عليهنّ، وأمرهنّ بستر وجوههنّ وضرب هو وأصحابه دوابّهنّ، فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابّتها، فرُفع أمره إلى أمير المسلمين عليّ بن يوسف، فأحضره، وأحضر الفقهاء ليناظروه فأخذ يَعِظه، ويخوّفه، فبكى أمير المسلمين، وأمر أن يناظره الفقهاء، فلم يكن فيهم من يقوم له لقوّة أدلّته في الذي فعله.

وكان عند أمير المسلمين بعض وزرائه يقال له مالك بن وهيب، فقال: يا أمير المسلمين، إنّ هذا والله لا يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنما يريد إثارة فتنة، والغلبة على بعض النواحي، فاقتله وقلّدني دمه. فلم يفعل ذلك، فقال: إن[2] لم تقتله فاحبسه، وخلّده [في] السجن، وإلاّ أثار شرّاً لا يمكن تلافيه. فأراد حبسه، فمنعه رجل من أكابر الملثّمين يسمّى بيان بن عثمان، فأمر بإخراجه من مرّاكُش، فسار إلى

---

(١) في الأصل: «ملاية».

(٢) في الأوربية: «إذ».

أغمَاتَ، ولحِق بالجبل، فسار فيه، حتّى التحق بالسّوسِ الذي فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة سنة أربع عشرة [وخمسمائة]، فأتوه، واجتمعوا حوله.

وتسامع به أهل تلك النواحي، فوفدوا عليه، وحضر أعيانهم بين يدَيْه، وجعل يعظهم، ويذكّرهم بأيّام الله، ويذكر لهم شرائع الإسلام، وما غُيّر منها، وما حدث من الظلم والفساد، وأنّه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتّباعهم الباطل، بل الواجب قتالهم، ومَنْعهم عمّا هم فيه، فأقام على ذلك نحو سنة، وتابعته هرغة قبيلته، وسمّى أتباعه الموحّدين، وأعلمهم أنّ النبيّ ﷺ بشّر بالمهديّ الذي يملأ الأرض عدلاً، وأنّ مكانه الذي يخرج منه المغرب الأقصى، فقام إليه عشرة رجال، أحدهم عبد المؤمن، فقالوا: لا يوجد هذا إلاّ فيك فأنت المهديُّ؛ فبايعوه على ذلك.

فانتهى خبره إلى أمير المسلمين، فجهّز جيشاً من أصحابه وسيّرهم إليه، فلمّا قَرُبوا من الجبل الذي هو فيه، قال لأصحابه: إنّ هؤلاء يريدونني، وأخاف عليكم منهم، فالرأي أن أخرج بنفسي إلى غير هذه البلاد لتسلموا أنتم. فقال له ابن توفيان[1] من مشايخ هرغة: هل تخاف شيئاً من السماء؟ فقال: لا، بل من السماء تُنصرون؛ فقال ابن توفيان[2]: فليأتنا كلّ مَن في الأرض. ووافقه جميع قبيلته، فقال المهديّ: أبشِروا بالنصر والظَّفَر بهذه الشرذمة، وبعد قليل تستأصلون دولتهم، وترِثون أرضهم. فنزلوا من الجبل، ولقوا جيش أمير المسلمين، فهزموهم، وأخذوا أسلابهم، وقوي ظنّهم في صدق المهدي، حيث ظفروا، كما ذكر لهم.

وأقبلت إليه أفواج القبائل، من الحِلل التي حولَه، شرقاً وغرباً، وبايعوه، وأطاعته قبيلة هنتاتة، وهي من أقوى القبائل، فأقبل عليهم، واطمأنّ إليهم، وأتاه رسل أهل تِينِ مَلّلَ[3] بطاعتهم، وطلبوه إليهم، فتوجّه إلى جبل تِينِ مَلّل واستوطنه، وألّف لهم كتاباً في التوحيد، وكتاباً في العقيدة، ونهج لهم طريق الأدب بعضهم مع بعض، والاقتصار على القصير من الثياب، القليل الثمن، وهو يحرّضهم على قتال عدوّهم، وإخراج الأشرار من بين أظهرهم.

وأقام بِتِينِ مَلّل وبنى[4] له مسجداً خارج المدينة، فكان يصلّي فيه الصلوات هو

---

(١) في الباريسية: «تومان»، وفي بودليان: «بوفيان».
(٢) في بودليان: «بوفمان».
(٣) هكذا في الأصل.
(٤) في الأوربية: «وبنا».

وجمْعٌ ممّن معه عنده، ويدخل البلد بعد العِشاء الآخرة، فلمّا رأى كثرة أهل الجبل، وحصانة المدينة، خاف أن يرجعوا عنه، فأمرهم أن يحضروا بغير سلاح، ففعلوا ذلك عدّة أيّام، ثم إنّه أمر أصحابه أن يقتلوهم، فخرجوا عليهم وهم غارّون فقتلوهم في ذلك المسجد، ثم دخل المدينة فقتل فيها وأكثر، وسبى[١] الحريم، ونهب الأموال، فكان عدّة القتلى خمسة عشر ألفاً، وقسّم المساكن والأرض بين أصحابه، وبنى[٢] على المدينة سوراً، وقلعة على رأس جبلٍ عالٍ.

وفي جبلِ تِينِ مَلّلَ أنهار جارية، وأشجار، وزروع، والطريق إليه صعب، فلا جبل أحصن منه.

وقيل: إنّه لمّا خاف أهل تِينِ مَلّلَ نظر، فرأى كثيراً من أولادهم شُقراً زُرقاً، والذي يغلب على الآباء السُّمرة، وكان لأمير المسلمين عدّة كثيرة من المماليك الفرنج والروم، ويغلب على ألوانهم الشُّقرة، وكانوا يصعدون الجبل في كلّ عام مرّةً، ويأخذون ما لهم فيه من الأموال المقرّرة لهم من جهة السلطان، فكانوا يسكنون بيوت أهله، ويخرجون أصحابها منها، فلمّا رأى المهديّ أولادهم سألهم: ما لي أراكم سُمر الألوان، وأرى أولادكم شُقراً، زُرقاً؟ فأخبروه خبرهم مع مماليك أمير المسلمين، فقبّح الصبر على هذا، وأزرى عليهم، وعظَّم الأمر عندهم، فقالوا له: فكيف الحيلة في الخلاص منهم، وليس لنا بهم قوّة؟ فقال: إذا حضروا عندكم في الوقت المعتاد، وتفرّقوا في مساكنهم، فليقمْ كلّ رجل منكم إلى نزيلِه فيقتلهُ، واحفظوا جبلكم، فإنّه لا يرام ولا يُقْدَر عليه. فصبروا حتّى حضر أولئك العبيد، فقتلوهم على ما قرّر لهم المهدي، فلمّا فعلوا ذلك خافوا على نفوسهم من أمير المسلمين، فامتنعوا في الجبل، وسدّوا ما فيه من طريق يُسْلَك إليهم، فقويت نفس المهدي بذلك.

ثم إنّ أمير المسلمين أرسل إليهم جيشاً قويّاً، فحصروهم في الجبل، وضيّقوا عليهم، ومنعوا عنهم الميرة، فقلّتْ عند أصحاب المهدي الأقواتُ، حتّى صار الخبز معدوماً عندهم، وكان يطبخ لهم كلّ يوم من الحساء ما يكفيهم، فكان قوت كلّ واحد منهم أن يغمسَ يده في ذلك الحساء ويخرجَها، فما علق عليها قنع به ذلك اليوم، فاجتمع أعيان أهل تِينِ مَلّلَ، وأرادوا إصلاح الحال مع أمير المسلمين، فبلغ الخبر بذلك المهدي بن تُومَرت، وكان معه إنسان يقال له أبو عبد الله الونشريشيُّ، يُظهر البله،

---

(١) في الأوربية: «وسبا».

(٢) في الأوربية: «وبنا».

وعدم المعرفة بشيء من القرآن والعلم، وبُزاقه يجري على صدره، وهو كأنّه معتوه، ومع هذا فالمهدي يقرّبه، ويُكرمه، ويقول: إنّ لله سِرّاً في هذا الرجل سوف يظهر.

وكان الونشريشيّ يلزم الاشتغال بالقرآن والعلم في السرّ بحيث لا يعلم أحد ذلك منه، فلمّا كان سنة تسع عشرة [وخمسمائة]، وخاف المهديُّ من أهل الجبل، خرج يوماً لصلاة الصُّبح، فرأى إلى جانب محرابه إنساناً حسن الثياب، طيّب الريح، فأظهر أنّه لا يعرفه، وقال: مَنْ هذا؟ فقال: أنا أبو عبد الله الونشريشيّ! فقال له المهدي: إن أمرك لعجب! ثم صلى، فلما فرغ من صلاته نادى في الناس فحضروا، فقال: إن هذا الرجل يزعم أنه الونشريشي، فانظروه، وحقّقوا أمره. فلمّا أضاء النهار[1] عرفوه، فقال له المهديُّ: ما قصّتك؟ قال: إنّني أتاني الليلة ملك من السماء، فغسل قلبي، وعلّمني الله القرآن، والموطّأ، وغيره من العلوم والأحاديث. فبكى المهديُّ بحضرة الناس، ثم قال له: نحن نمتحنك؛ فقال: افعلْ.

وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من أيّ موضع سُئل، وكذلك الموطّأ، وغيره من كتب الفقه والأصول، فعجب الناس من ذلك، واستعظموه.

ثم قال لهم: إنّ الله تعالىٰ قد أعطاني نوراً أعرف به أهل الجنّة من أهل النار، وآمركم أن تقتلوا أهل النار، وتتركوا أهل الجنّة، وقد أنزل الله تعالىٰ ملائكة إلى البئر التي في المكان الفلاني يشهدون بصدقي.

فسار المهديُّ، والناس معه وهم يبكون، إلى تلك البئر، وصلّى المهديُّ عند رأسها، وقال: يا ملائكة الله! إنّ أبا عبد الله الونشريشيّ قد زعم كيتَ وكيتَ؛ فقال مَن بها: صدق! وكان قد وضع فيها رجالاً يشهدون بذلك، فلمّا قيل ذلك من البئر، قال المهدي: إنّ هذه مطهّرة مقدّسة قد نزل إليها الملائكة، والمصلحة أن تُطمّ لئلاّ يقع فيها نجاسة، أو ما لا يجوز؛ فألقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمّها، ثم نادى في أهل الجبل بالحضور إلى ذلك المكان، فحضروا للتمييز[2]، فكان الونشريشيّ يعمد إلى الرجل الذي يخاف ناحيته، فيقول: هذا من أهل النار؛ فيُلقى من الجبل مقتولاً، وإلى الشاب الغِرّ، ومن لا يخشى، فيقول: هذا من أهل الجنّة؛ فيُترك على يمينه، فكان عدّة القتلى سبعين ألفاً. فلمّا فرغ من ذلك أمن على نفسه وأصحابه واستقام أمر.

---

(١) في الأوربية: «النهر».

(٢) في الأوربية: «للتمئيز».

هكذا سمعتُ جماعة من فضلاء المغاربة يذكرون في التمييز، وسمعتُ منهم من يقول: إنّ ابن تُومَرت لمّا رأى كثرة أهل الشرّ والفساد في أهل الجبل، أحضر شيوخ القبائل، وقال لهم: إنّكم لا يصحّ لكم دين، ولا يقوى إلاّ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإخراج المفسد من بينكم، فابحثوا عن كلّ مَن عندكم من أهل الشرّ والفساد، فانهوهم عن ذلك، فإن انتهَوا، وإلاّ فاكتبوا أسماءهم وارفعوها إليّ لأنظر في أمرهم. ففعلوا ذلك، وكتبوا له أسماءهم من كلّ قبيلة، ثم أمرهم بذلك مرّة ثانية، وثالثة، ثم جمع المكتوبات فأخذ منها ما تكرّر من الأسماء فأثبتها عنده، ثم جمع الناس قاطبةً، ورفع الأسماء التي كتبها، ودفعها إلى الونشريشيّ المعروف بالبشير، وأمره أن يعرض القبائل، ويجعل أولئك المفسدين في جهة الشمال، ومَن عداهم في جهة اليمين، ففعل ذلك، وأمر أن يُكتَّف مَن على شمال الونشريشيّ، فكتفوا، وقال: إنّ هؤلاء أشقياء قد وجب قتلهم؛ وأمر كلّ قبيلة أن يقتلوا أشقياءهم، فقُتلوا عن آخرهم فكان يوم التمييز.

ولمّا فرغ ابن تومرت من التمييز، رأى أصحابه[1] الباقين على نيّات صادقة، وقلوب متّفقة على طاعته، فجهّز منهم جيشاً وسيّرهم إلى جبال أغمات، وبها جمعٌ من المرابطين، فقاتلوهم، فانهزم أصحاب ابن تومرت، وكان أميرهم أبو عبد الله الونشريشيّ، وقُتل منهم كثير، وجُرح عمر الهنتاتيُّ[2]، وهو من أكبر أصحابه، وسكن حسّه ونبضه، فقالوا: مات! فقال الونشريشيُّ: أما إنه لم يمُتْ، ولا يموت حتى يملك البلاد. فبعد ساعة فتح عينَيْه، وعادت قوّته إليه، فافتتنوا به، وعادوا منهزمين إلى ابن تومرت، فوعظهم، وشكرهم على صبرهم.

ثم لم يزل بعدها يُرسل السرايا في أطراف بلاد المسلمين، فإذا رأوا عسكراً تعلّقوا بالجبل فأمِنوا. وكان المهديُّ قد رتّب أصحابه مراتبَ؛ فالأولى يسمّون أيت عشرة يعني أهل عشرة، وأوّلهم عبد المؤمن، ثم أبو حفص الهنتاتيّ، وغيرهما، وهم أشرف أصحابه، وأهل الثقة عنده، والسابقون إلى متابعته؛ والثانية: أيت خمسين، يعني أهل خمسين، وهم دون تلك الطبقة، وهم جماعة من رؤساء القبائل؛ والثالثة: أيت سبعين، يعني أهل سبعين، وهم دون التي قبلها، وسمّي عامّة أصحابه والداخلين في طاعته موحّدين، فإذا ذُكر الموحّدون في أخبارهم فإنّما يُعنى أصحابه وأصحاب عبد المؤمن بعده.

---

(١) في الأوربية: «أصحاب».
(٢) في الأصل: «هساى».

ولم يزل أمر ابن تومرت يعلو إلى سنة أربعٍ وعشرين [وخمسمائة]، فجهّز المهديّ جيشاً كثيفاً يبلغون أربعين ألفاً، أكثرهم رجّالة، وجعل عليهم الونشريشيّ، وسيّر معهم عبدَ المؤمن، فنزلوا وساروا إلى مرَّاكُش فحصروها، وضيّقوا عليها، وبها أمير المسلمين عليُّ بن يوسف، فبقي الحصار عليها عشرين يوماً، فأرسل أمير المسلمين إلى متولّي سِجِلْمَاسة يأمره أن يحضر ومعه الجيوش، فجمع جيشاً كثيراً وسار، فلمّا قارب عسكر المهديّ خرج أهل مرَّاكُش من غير الجهة التي أقبل منها، فاقتتلوا، واشتدّ القتال، وكثُر القتل في أصحاب المهدي، فقُتل الونشريشيّ أميرهم، فاجتمعوا إلى عبد المؤمن وجعلوه أميراً عليهم.

ولم يزل القتال بينهم عامّة النهار، وصلّى عبد المؤمن صلاة الخوفِ، الظُّهرَ والعصْرَ، والحرب قائمة، ولم تُصلّ بالمغرب قبل ذلك، فلمّا رأى المصامدة كثرة المرابطين، وقوّتهم، أسندوا ظهورهم إلى بستان كبير هناك، والبستان يُسمّى عندهم البُحيرة، فلهذا قيل وقعة البُحيرة، وعام البُحيرة، وصاروا يقاتلون من جهة واحدة إلى أن أدركهم الليل، وقد قُتل من المصامدة[1] أكثرهم، وحين قُتل الونشريشيُّ دفنه عبد المؤمن، فطلبه المصامدة، فلم يروه في القتلى، فقالوا: رفعتْه الملائكة؛ ولمّا جنّهم الليل سار عبد المؤمن ومن سلم من القَتْل إلى الجبل.

ذكر وفاة المهدي وولاية عبد المؤمن

لمّا سيّر الجيش إلى حصار مَرَّاكُش مرض مرضاً شديداً، فلمّا بلغه خبر الهزيمة اشتدّ مرضه، وسأل عن عبد المؤمن، فقيل: هو سالم؛ فقال: ما مات أحد، الأمر قائم، وهو الذي يفتح البلاد. ووصّى أصحابه باتّباعه، وتقديمه، وتسليم الأمر إليه، والانقياد له، ولقّبه أمير المؤمنين.

ثم مات المهديُّ، وكان عمره إحدى وخمسين سنة، وقيل: خمساً[2] وخمسين سنة، ومدّة ولايته عشرين سنة، وعاد عبد المؤمن إلى تِين مَلّلَ، وأقام بها يتألّف القلوب، ويحسن إلى الناس، وكان جواداً مقداماً في الحروب، ثابتاً في الهزاهز، إلى أن دخلت سنة ثمانٍ وعشرين وخمسمائة، فتجهّز وسار في جيش كثير، وجعل يمشي مع الجبل أن أن وصل إلى تَادَلَة، فمانعه أهلُها، وقاتلوه، فقهرهم، وفتحها وسائر البلاد

---

(١) في الأوربية: «المصاعدة».
(٢) في الأوربية: «خمس».

التي تليها ومشى[1] في الجبال يفتح ما امتنع عليه، وأطاعته صنهاجة الجبل.

وكان أمير المسلمين قد جعل وليَّ عهده ابنه سير، فمات، فأحضر أمير المسلمين ابنه تاشفين من الأندلس، وكان أميراً عليها، فلمّا حضر عنده جعله وليَّ عهده سنة إحدى وثلاثين [وخمسمائة]، وجعل معه جيشاً، وصار يمشي في الصحراء قبالة عبد المؤمن في الجبال.

وفي سنة اثنتين وثلاثين كان عبد المؤمن في النواظر، وهو جبل عالٍ مشرفٌ، وتاشفين في الوطأ، [وكان] يخرج من الطائفتَيْن قوم يترامون ويتطاردون، ولم يكن بينهما لقاء، ويسمّى عام النواظر.

وفي سنة ثلاثٍ وثلاثين توجّه عبد المؤمن، مع الجبل، في الشَّعْراء، حتّى انتهى إلى جبل كرناطة، فنزل في أرض صُلْبة، بين شجر، ونزل تاشفين قبالته، في الوطأة، في أرض لا نبات فيها، وكان الفصل شاتياً، فتوالت الأمطار أيّاماً كثيرة لا تُقلِع[2]، فصارت الأرض التي فيها تاشفين وأصحابه كثيرة الوحل، تسوخ فيها قوائم الخيل إلى صدورها، ويعجز الرجل عن المشي فيها، وتقطّعت الطرق عنهم، فأوقدوا رماحهم، وقرابيس سروجهم، وهلكوا جوعاً وبرداً وسوء حالٍ.

وكان عبد المؤمن وأصحابه في أرض خشنة صلبة في الجبل، لا يبالون بشيء، والميرة متّصلة إليهم؛ وفي ذلك الوقت سيّر عبد المؤمن جيشاً إلى وَجْرَةَ من أعمال تِلِمْسان، ومقدّمهم أبو عبد الله محمّد بن رقو، وهو من أيت خمسين، فبلغ خبرهم إلى محمّد بن يحيى بن فانّوا[3]، متولّي تِلِمْسان، فخرج في جيش من الملثّمين، فالتقوا بموضع يُعرف بخندق الخمر، فهزمهم جيش عبد المؤمن، وقُتل محمّد بن يحيى وكثير من أصحابه، وغنموا ما معهم ورجعوا؛ فتوجّه عبد المؤمن بجميع جيشه إلى غمارة، فأطاعوه قبيلة بعد قبيلة، وأقام عندهم مدّة.

وما برح يمشي في الجبال، وتاشفين يحاذيه في الصحارى، فلم يزل عبد المؤمن كذلك إلى سنة خمسٍ وثلاثين، فتوفّي أمير المسلمين عليّ بن يوسف بمرَّاكُش وملك بعده ابنه تاشفين، فقوي طمع عبد المؤمن في البلاد، إلاّ أنّه لم ينزل الصحراء.

وفي سنة ثمانٍ وثلاثين توجّه عبد المؤمن إلى تِلِمْسان، فنازلها، وضرب خيامه في

---

(١) في الأوربية: «ومشا».

(٢) في الأوربية: «يقلع».

(٣) في الباريسية: «فادوا»، وبودليان: «فانوا».

جبل بأعلاها، ونزل تاشفين على الجانب الآخر من البلد، وكان بينهم مناوشة، فبقوا كذل إلى سنة تسعٍ وثلاثين، فرحل عبد المؤمن عنها إلى جبل تَاجَرَة، ووجّه جيشاً مع عمر الهنتاتيّ إلى مدينة وَهْران، فهاجمها بغتةً، وحصل هو وجيشه فيها، فسمع [بذلك عبد المؤمن] فسار إليها، فخرج منها عمر، ونزل تاشفين بظاهر وَهْران، على البحر، في شهر رمضان سنة تسعٍ وثلاثين، فجاءت ليلة سبعٍ وعشرين منه، وهي ليلة يعظّمها أهل المغرب، وبظاهر وَهْران ربوة مطلّة على البَحر، وبأعلاها ثَنيّة يجتمع فيها المتعبّدون، وهو موضع معظّم عندهم، فسار إليه تاشفين في نفر يسير من أصحابه متخفّياً، لم يعلم به إلاّ النفر الذين معه، وقصد التبرّك بحضور ذلك الموضع مع أولئك الجماعة الصالحين، فبلغ الخبر إلى عمر بن يحيى الهنتاتيّ، فسار لوقته بجميع عسكره إلى ذلك المتعبَّد، وأحاطوا به، وملكوا الربوة، فلمّا خاف تاشفين على نفسه أن يأخذوه ركب فرسه وحمل عليه إلى جهة البحر، فسقط من جُرفٍ عالٍ على الحجارة فهلك، ورُفعت جثّته على خشبة، وقُتل كلّ من كان معه.

وقيل: إنّ تاشفين قصد حصناً هناك على رابية، وله فيه بستان كبير فيه من كلّ الثمار، فاتّفق أنّ عمر الهنتاتيَّ، مقدّم عسكر عبد المؤمن، سيّر سريّةً إلى ذلك الحصن، يُعلمهم بضعفَ مَن فيه، ولم يعلموا أنّ تاشفين فيه، فألقوا النار في بابه فاحترق، فأراد تاشفين الهرب، فركب فرسه، فوثب الفرس من داخل الحصن إلى خارج السور، فسقط في النار، فأُخذ تاشفين، فاعترف، فأرادوا حمله إلى عبد المؤمن، فمات في الحال لأنّ رقبته كانت قد اندقّت، فصُلب، وقُتل كلّ من معه، وتفرّق عسكره ولم يَعُدْ لهم جماعة. وملك بعده أخوه إسحاق بن عليّ بن يوسف.

ولمّا قُتل تاشفين أرسل عمر إلى عبد المؤمن بالخبر، فجاء من تَاجَرَةَ في يومه بجميع عسكره، وتفرّق عسكر أمير المسلمين، واحتمى بعضهم بمدينة وَهْران، فلمّا وصل عبد المؤمن دخلها بالسيف، وقتل فيها ما لا يُحصى. ثم سار إلى تِلِمْسان، وهما مدينتان بينهما شوط فرس، إحداهما تاهَرْتُ[1]، وبها عسكر المسلمين، والأخرى[2] أقادير[3]، وهي بناء قديم، فامتنعت أقادير[3]، وغلقت أبوابها، وتأهّب أهلها للقتال.

وأمّا تاهَرْتُ[1]، فكان فيها يحيى بن الصحراويّة، فهرب منها بعسكره إلى مدينة

(١) في الأوربية: «أحدهما تاجرت»، وفي هامش الباريسية: «تامردت»، وبودليان: «تامررت».
(٢) في الأوربية: «والآخر».
(٣) تُعرف الآن «أغادير».

فاس، وجاء عبد المؤمن إليها، فدخلها لمّا فرّ منها العسكر، ولقيه أهلها بالخضوع والاستكانة، فلم يقبل منهم ذلك، وقتل أكثرهم، ودخلها عسكره، ورتّب أمرها، ورحل عنها، وجعل على أقادير جيشاً يحصرها، وسار إلى مدينة فاس سنة أربعين [وخمسمائة] فنزل على جبل مُطِلّ عليها، وحصرها تسعة أشهر، وفيها يحيى بن الصحراويّة، وعسكره الذين فرّوا من تِلِمْسان، فلمّا طال مُقام عبد المؤمن عمد إلى نهر يدخل البلد فسكّره بالأخشاب والتراب وغير ذلك، فمنعه من دخول البلد، وصار بُحيرة تسير فيها السفن، ثم هدم السكر، فجاء الماء دفعةً واحدة فخرّب سور البلد، وكلّ ما يجاور[1] النهر من البلد، وأراد عبد المؤمن أن يدخل البلد، فقاتله أهله خارج السور، فتعذّر عليه ما قدّره من دخوله.

وكان بفاس عبد الله بن خيار الجَيّانيّ[2] عاملاً عليها وعلى جميع أعمالها، فاتّفق هو وجماعة من أعيان البلد، وكاتبوا عبدَ المؤمن في طلب الأمان لأهل فاس، فأجابهم إليه، ففتحوا له باباً من أبوابها، فدخلها عسكره، وهرب يحيى بن الصحراويّة، وكان فتحها آخر سنة أربعين وخمسمائة، وسار إلى طنجَةَ، ورتّب عبد المؤمن أمر مدينة فاس، وأمر فنودي في أهلها: مَن ترك عنده سلاحاً وعدّة قتال حلّ دمه؛ فحمل كلّ من في البلد ما عندهم من سلاح إليه، فأخذه منهم.

ثم رجع إلى مِكْنَاسَة، ففعل بأهلها مثل ذلك، وقتل من بها من الفرسان والأجناد.

وأمّا العسكر الذي كان على تِلِمْسان فإنّهم قاتلوا أهلها ونصبوا المجانيق، وأبراج الخشب، وزحفوا بالدبّابات؛ وكان المقدّم على أهلها الفقيه عثمان، فدام الحصار نحو سنة، فلمّا اشتدّ الأمر على أهل البلد اجتمع جماعة منهم وراسلوا الموحّدين أصحاب عبد المؤمن، بغير علم الفقيه عثمان، وأدخلوهم البلد، فلم يشعر أهله إلاّ والسيف يأخذهم، فقُتل أكثر أهله، وسُبيت الذريّة والحريم، ونُهب من الأموال ما لا يُحصى، ومن الجواهر ما لا تُحدّ قيمته، ومن لم يُقتل بِيع بأوكس الأثمان، وكان عدّة القتلى مائة ألف قتيل، وقيل: إنّ عبد المؤمن هو الذي حصر تِلِمْسان، وسار منها إلى فاس، والله أعلم.

---

(١) في الأوربية: «وكلما يجاوز».

(٢) في الأصل: «الجباني».

وسيّر عبد المؤمن سريّة إلى مِكناسةَ، فحصروها مدّةً، ثم سلّمها إليهم أهلها بالأمان فوفوا لهم.

وسار عبد المؤمن من فاس إلى مدينة سَلاً ففتحها، وحضر عنده جماعة من أعيان سَبتَةَ، فدخلوا في طاعته، فأجابهم إلى بذل الأمان، وكان ذلك سنة إحدى وأربعين [وخمسمائة].

ذكر ملك عبد المؤمن مدينة مَرّاكُش

لمّا فرغ عبد المؤمن من فاس، وتلك النواحي، سار إلى مَرَّاكُشَ، وهي كرسيّ مملكة الملثّمين، وهي من أكبر المدن وأعظمها، وكان صاحبها حينئذ إسحاق بن عليّ بن يوسف بن تاشفين، وهو صبيّ، فنازلها، وكان نزوله عليها[1] سنة إحدى وأربعين [وخمسمائة]، فضرب خيامه في غربيّها على جبل صغير، وبنى[2] عليه مدينة له ولعسكره، وبنى[2] بها جامعاً وبنى[2] له بناء عالياً يُشرف[3] منه على المدينة، ويرى أحوال أهلها، وأحوال المقاتلين من أصحابه، وقاتلها قتالاً كثيراً، وأقام عليها أحد عشر شهراً، فكان من بها من المرابطين يخرجون يقاتلونهم بظاهر البلد، واشتدّ الجوع على أهله، وتعذّرت الأقوات عندهم.

ثم زحف إليهم يوماً، وجعل لهم كميناً، وقال لهم: إذا سمعتم صوت الطبل فاخرجوا؛ وجلس هو بأعلى المنظرة التي بناها يشاهد القتال، وتقدّم عسكره، وقاتلوا، وصبروا، ثم إنّهم انهزموا لأهل مَرّاكُش ليتبعوهم إلى الكمين الذي لهم، فتبعهم الملثّمون إلى أن وصلوا إلى مدينة عبد المؤمن، فهدموا أكثرَ سورها، وصاحت المصامدة بعبد المؤمن ليأمر بضرب الطبل ليخرج الكمين، فقال لهم: اصبروا حتّى يخرج كلّ طامع في البلد؛ فلمّا خرج أكثر أهله أمر بالطبل فضُرب وخرج الكمين عليهم، ورجع المصامدة المنهزمون إلى الملثّمين فقتلوهم كيف شاءوا، وعادت الهزيمة على الملثّمين، فمات في زحمة الأبواب ما لا يحصيه إلاّ الله سبحانه.

وكان شيوخ الملثّمين يدبّرون دولة إسحاق بن عليّ بن يوسف لصغر سنّه، فاتّفق أنّ إنساناً من جملتهم يقال له عبد الله بن أبي بكر خرج إلى عبد المؤمن مستأمناً وأطلعه

---

(١) في الأوربية: «عليه».
(٢) في الأوربية: «وبنا».
(٣) في الأوربية: شرف».

على عوراتهم وضعفهم، فقوي الطمع فيهم، واشتدّ عليهم البلاء، ونصب عليهم المنجنيقات والأبراج، وفنيت أقواتهم، وأكلوا دوابّهم، ومات من العامّة بالجوع ما يزيد على مائة ألف إنسان، فأنتن البلد من ريح الموتى.

وكان بمَرَّاكُش جيش من الفرنج كان المرابطون قد استنجدوا بهم، فجاءوا إليهم نجدةً، فلمّا طال عليهم الأمر راسلوا عبد المؤمن يسألون الأمان، فأجابهم إليه، ففتحوا له باباً من أبواب البلد يقال له باب أغمات، فدخلت عساكره بالسيف، وملكوا المدينة عنوةً، وقتلوا من وجدوا، ووصلوا إلى دار أمير المسلمين، فأخرجوا الأمير إسحاق وجميع من معه من أمراء المرابطين، فقُتلوا، وجعل إسحاق يرتعد رغبة في البقاء، ويدعو لعبد المؤمن ويبكي، فقام إليه الأمير سير بن الحاجّ، وكان إلى جانبه مكتوفاً، فبزق في وجهه، وقال: تبكي على أبيك وأمّك؟ اصبر صبر الرجال، فهذا رجل لا يخاف الله ولا يدين[1] بدين. فقام الموحّدون إليه بالخشب فضربوه حتّى قتلوه، وكان من الشجعان المعروفين بالشجاعة، وقُدّم إسحاق، على صغر سنّه، فضُربت عنقه سنة اثنتين وأربعين [وخمسمائة]، وهو آخر ملوك المرابطين وبه انقرضت دولتهم، وكانت مدّة ملكهم سبعين سنة، ووليَ منهم أربعة: يوسف وعليّ وتاشفين وإسحاق.

ولمّا فتح عبد المؤمن مَرّاكُش أقام بها، واستوطنها واستقرّ ملكه. ولمّا قتل عبد المؤمن من أهل مَرَّاكُش فأكثر فيهم القتل اختفى كثير من أهلها، فلمّا كان بعد سبعة أيّام أمر فنودي بأمان من بقي من أهلها، فخرجوا، فأراد أصحابه المصامدة قتْلهم، فمنعهم، وقال: هؤلاء صنّاع، وأهل الأسواق مَن ننتفع به؛ فتُركوا، وأمر بإخراج القتلى من البلد، فأخرجوهم، وبنى[2] بالقصر جامعاً كبيراً، وزخرفه فأحسن عمله، وأمر بهدم الجامع الذي بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين.

ولقد أساء يوسف بن تاشفين في فعله بالمعتمد بن عبّاد، وارتكب بسجنه على الحالة المذكورة أقبح مركب، فلا جَرَمَ سلّط الله [عليه في] عقابه[3] مَنْ أربى في الأخذ عليه وزاد، فتبارك الحيّ الدائم الملك، الذي لا يزول ملكه، وهذه سُنّة الدنيا، فأُفٍّ لها، ثم أُفّ، نسأل الله أن يختم أعمالنا بالحُسنى، ويجعل خير أيّامنا يوم نلقاه بمحمّدٍ وآله.

---

(١) في الأوربية: «يدينه».

(٢) في الأوربية: «وبنا».

(٣) في الأوربية: «أعقابه».

ذكر ظفر عبد المؤمن بدكّالة

في سنة ثلاثٍ وأربعين وخمسمائة سار بعض المرابطين من الملثّمين إلى دَكّالة، فاجتمع إليه قبائلها، وصاروا يُغيرون على أعمال مَرَّاكُش، وعبد المؤمن لا يلتفت إليهم، فلمّا كثُر ذلك منهم سار إليهم سنة أربعٍ وأربعين [وخمسمائة]، فلمّا سمعت دَكّالة بذلك انحشروا كلّهم إلى ساحل البحر في مائتَيْ ألف راجل وعشرين ألف فارس، وكانوا موصوفين بالشجاعة.

وكان مع عبد المؤمن من الجيوش ما يخرج عن الحصر، وكان الموضع الذي فيه دَكّالة كثير الحجَر والحُزُونة، فكمّنوا فيه كمناء ليخرجوا على عبد المؤمن إذا سلكه، فمن الاتّفاق الحسن له أنّه قصدهم من غير الجهة التي فيها الكمناء، فانحلّ عليهم ما قدروه، وفارقوا ذلك الموضع، فأخذهم السيف، فدخلوا البحر، فقُتل أكثرهم، وغُنمت إبلهم وأغنامهم وأموالهم، وسُبِيَتْ نساؤهم وذراريّهم، فبيعت الجارية الحسناء بدراهم يسيرة، وعاد عبد المؤمن إلى مرَّاكش مظفّراً منصوراً، وثبت ملكه، وخافه الناس في جميع المغرب، وأذعنوا له بالطاعة.

ذكر حصر مدينة كُتندة

في هذه السنة، يعني سنة أربع عشرة وخمسمائة، خرج ملك من ملوك الفرنج بالأندلس، يقال له ابن رُدْمير، فسار حتّى انتهى إلى كُتندة، وهي بالقرب من مُرسية، في شرق الأندلس، فحصرها، وضيّق على أهلها، وكان أمير المسلمين عليُّ بن يوسف حينئذ بقُرطُبة، ومعه جيش كثير من المسلمين والأجناد المتطوّعة، فسيّرهم إلى ابن رُدمير، فالتقوا واقتتلوا أشدّ القتال، وهزمهم ابن رُدمير هزيمة منكرة، وكثُر القتل في المسلمين، وكان فيمن قُتل أبو عبد الله بن الفرّاء، قاضي المَريّة، وكان من العلماء العاملين، والزهّاد في الدنيا العادلين في القضاء[١].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كسر بلكُ بن أُرتُق عفراسَ الروميّ، وقتل من الروم خمسة آلاف رجل (على قلعة سرمان من بلد اندكان (!)[٢])، وأُسر عفراس وكثير من عسكره.

---

(١) معجم البلدان ٤/ ٣١٠، دول الإسلام ٢/ ٤٢، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٤ هـ) ص ٢٨٥.

(٢) من نسخة بودليان.

وفيها أغار جوسلين الفرنجيُّ، صاحب الرُّها، على جيوش العرب والتركمان، وكانوا نازلين بصِفّين، غَربيّ الفُراتُ، وغنم من أموالهم وخيلهم ومواشيهم شيئاً كثيراً، ولمّا عاد خرّب بُزاعة[1].

وفيها تسلّم أتابك طغتكين، صاحب دمشق، مدينة تدمر والشقيف.

وفيها أمر السلطان محمود الأمير جيوش بك بالمسير إلى حرب أخيه طُغْرل، فسار إليه، فسمع طُغرل وأتابكه كنتغدي ذلك، فسارا إلى كَنْجَةَ من بين يدَي العسكر، ولم يَجْرِ قتالٌ.

[الوفيات]

وفيها، في المحرّم، توفّي خالصة الدولة أبو البركات أحمد بن عبد الوهّاب بن السيبيّ[2]، صاحب المخزن ببغداذ، ووليَ مكانه الكمال أبو الفتوح حمزة بن طلحة، المعروف بابن البقشلام، والد علم الدين الكاتب المعروف.

وفي جُمادى الأولى منها توفّي أبو سعد عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القُشَيريُّ[3]، الإمام ابن الإمام، وكان أخذ العلم من قرابته[4]، والطريقة أيضاً، ثم استفاد أيضاً من إمام الحرمَيْن أبي المعالي الجُوَينيّ، سمع الحديث من جماعة، ورواه، وكان حَسَن الوعظ، وسريع الخاطر، ولمّا توفّي جلس الناس في البلاد البعيدة للعزاء به، حتّى في بغداذ برباط شيخ الشيوخ.

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ٢٠٣.

(٢) انظر عن (ابن السيبي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٤ هـ.) ص ٣٦٢ رقم ٦٤، وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (القشيري) في: البداية والنهاية ١٢/ ١٨٧ وفيه: «عبد الرحيم بن عبد الكبير»، والمنتظم ١٧/ ١٩٠ رقم ٣٨٩٥، وشذرات الذهب ٤/ ٤٥.

(٤) في الأوربية: «قرابيه».

٥١٥
ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة

ذكر إقطاع البُرسقيّ الموصل

في هذه السنة، في صفر، أقطع السلطان محمود مدينة الموصل وأعمالها، وما ينضاف إليها، كالجزيرة، وسِنجار، وغيرهما، الأمير آقسنقَر البُرسقيَّ.

وسبب ذلك: أنّه كان في خدمة السلطان محمود، ناصحاً له، ملازماً له في حروبه كلّها، وكان له الأثر الحسن في الحرب المذكورة بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود، وهو الذي أحضر الملك مسعوداً[١] عند أخيه السلطان محمود، فعظم عند ذلك السلطان محمود، ولمّا حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير أمير ولّى عليها البرسقيَّ، وتقدّم إلى سائر الأمراء بطاعته، وأمره بمجاهدة الفرنج وأخذ البلاد منهم، فسار إليها في عسكر كثير وملكها، وأقام يدبّر أمورها، ويصلح أحوالها[٢].

ذكر وفاة الأمير عليّ وولاية ابنه الحسن إفريقية

في هذه السنة توفّي الأمير عليُّ بن يحيى بن تميم، صاحب إفريقية، في العشر الأخير[٣] في ربيع الآخر، وكان مولده بالمهديّة، وقد تقدّم من حروبه وأعماله ما يُستدلّ به على علوّ همّته، ولمّا توفّي وليَ الملك بعده ابنه الحسن، بعهد أبيه، وقام بأمر دولته

---

(١) في الأوربية: «مسعود».

(٢) كتاب الروضتين ١/٧٣، الأعلاق الخطيرة ج ١ ق ١/١٣٣، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٣٥، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٥ هـ.) ص ٢٨٩، ٢٩٠، تاريخ ابن الوردي ٢/٢٨، البداية والنهاية ١٢/١٨٨، عيون التواريخ ١٢/١٢٠.

(٣) في الأوربية: «الآخر».

صندل الخصيّ، لأنّه كان عمره حينئذ اثنتي عشرة سنة لا يستقلّ بتدبير الملك، فقام صندل في الحفظ والاحتياط، فلم تطُلْ أيّامه حتّى توفّي، فوقع الاختلاف بين أصحابه وقوّاده، كلّ منهم يقول: أنا المقدّم على الجميع، وبيدي الحلّ والشدّ؛ فلم يزالوا كذلك إلى أن فوّض أمور دولته إلى قائد من أصحاب أبيه يقال له أبو عزيز موفّق، فصلحت الأمور.

ذكر قتل أمير الجيوش

في هذه السنة، في الثالث والعشرين من رمضان، قُتل أمير الجيوش الأفضل بن بدر الجماليُّ، وهو صاحب الأمر والحكم بمصر، وكان ركب إلى خزانة السلاح ليفرّقه على الأجناد، على جاري العادة في الأعياد، فسار معه عالم كثير من الرجّالة والخيّالة، فتأذّى بالغبار، فأمر بالبعد عنه، وسار منفرداً، معه رجلان، فصادفه رجلان بسوق الصياقلة، فضرباه بالسكاكين فجرحاه، وجاء الثالث من ورائه، فضربه بسكّين في خاصرته، فسقط عن دابّته، ورجع أصحابه فقتلوا الثلاثة، وحملوه إلى دار الأفضل، فدخل عليه الخليفة، وتوجّع له، وسأل عن الأموال، فقال: أمّا الظاهر منها فأبو الحسن بن أُسامة الكاتب يعرفه، وكان من أهل حلب، وتولّى أبوه قضاء القاهرة، وأمّا الباطن[١] فابن البطائحيّ يعرفه؛ فقالا: صدق.

فلمّا توفّي الأفضل نُقل من أمواله ما لا يعلمه إلاّ الله تعالىٰ، وبقي الخليفة في داره نحو أربعين يوماً، والكتّاب بين يدَيْه، والدوابّ تحمل وتنقل ليلاً ونهاراً، ووُجد له من الأعلاق النفيسة، والأشياء الغريبة القليلة الوجود، ما لا يوجد مثله لغيره، واعتُقل أولاده، وكان عمره سبعاً[٢] وخمسين سنة، وكانت ولايته بعد أبيه ثمانياً[٣] وعشرين سنة، منها: آخر أيّام المستنصر، وجميع أيّام المُسْتَعلي، إلى هذه السنة من أيّام الآمر.

وكان الإسماعيليّة يكرهونه لأسباب، منها: تضييقه[٤] على إمامهم، وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم، ومنها: ترْك معارضة أهل السُّنّة في اعتقادهم، والنهي عن معارضتهم، وإذنه للناس في إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها، فكثر الغرباء ببلاد مصر.

---

(١) في الأوربية: «الباطنة».
(٢) في الأوربية: «سبع».
(٣) في الأوربية: «ثمان».
(٤) في الأوربية: «تضئيعه».

وكان حَسَن السيرة، عادلاً، حُكِي أنّه لمّا قُتل، وظهر الظلم بعده، اجتمع جماعة واستغاثوا بالخليفة[1]، وكان من جملة قولهم: إنّهم لعنوا الأفضل، فسألهم عن سبب لعنهم إيّاه، فقالوا: إنّه عدل، وأحسن السيرة، ففارقنا بلادنا وأوطاننا، وقصدنا بلده لعدله، فقد أصابنا بعده هذا الظلم، فهو كان سبب ظلمنا. فأحسن الخليفة إليهم، وأمر بالإحسان إلى الناس.

ومنها: أنّ صاحبه الآمر بأحكام الله، صاحب مصر، وضع منه[2]، وسبب ذلك ما ذكرناه قبلُ، ففسد الأمر بينهما، فأراد الآمر أن يضع عليه من يقتله إذا دخل عليه قصره للسّلام، أو في أيّام الأعياد، فمنعه من ذلك ابن عمّه أبو الميمون عبد المجيد، وهو الذي وليَ الأمر بعده بمصر، وقال له: في هذا الفعل شناعة، وسوء سُمعة، لأنّه قد خدم دولتنا هو وأبوه خمسين سنة، ولم يعلم الناس منهما إلاّ النُّصح لنا، والمحبّة لدولتنا، وقد سار ذلك في أقطار البلاد، فلا يجوز أن يظهر منّا هذه المكافأة الشنيعة، ومع هذا فلا بدّ وأن نقيم غيره مكانه ونعتمد عليه في منصبه، متمكّن مثله، أو ما يقاربه، فيخاف أن نفعل به مثل فعلنا بهذا، فيحذر من الدخول إلينا خوفاً على نفسه، وإن دخل علينا كان خائفاً مستعدّاً للامتناع، وفي هذا الفعل منهم ما يُسقط المنزلة، والرأي أن تراسل أبا عبد الله بن البطائحيّ، فإنّه الغالب على أمر الأفضل، والمطّلع على سرّه، وتَعِده أن تولّيه منصبه، وتطلب منه أن يدبّر الأمر في قتله لمن يقاتله، إذا ركب، فإذا ظفرنا بمن قتله قتلناه، وأظهرنا الطلب بدمه، والحزن عليه، فنبلغ غرضنا، ويزول عنّا قبح الأحدوثة. ففعلوا ذلك فقُتل كما ذكرناه.

ولمّا قُتل وليَ بعده أبو عبد الله بن البطائحيّ الأمر، ولُقّب المأمون، وتحكّم في الدولة، فبقي كذلك حاكماً في البلاد إلى سنة تسع عشرة [وخمسمائة]، فصُلب كما نذكره إن شاء الله تعالىٰ[3].

ذكر عصيان سليمان بن إيلغازي على أبيه

في هذه السنة عصى[4] سليمان بن إيلغازي بن أُرتُق على أبيه بحلب، وقد جاوز عمره عشرين سنة، حمله على ذلك جماعة مَن عنده، فسمع والده الخبر، فسار مُجِدّاً

---

(١) في الأوربية: «إلى الخليفة».

(٢) في الأوربية: «عليه».

(٣) انظر عن (الأفضل) في تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٥ هـ) ص ٣٨٥ ـ ٣٨٨ رقم ٩٢، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٤) في الأوربية: «عصا».

لوقته، فلم يشعر به سليمان حتّى هجم عليه، فخرج إليه معتذراً، فأمسك عنه، وقبض على من كان أشار عليه بذلك[1]، منهم: أمير كان قد التقطه أُرتُق، والد إيلغازي، وربّاه، اسمه ناصر، فقلع عينَيْه، وقطع لسانه، ومنهم: إنسان من أهل حماة من بيت قرناص، كان قد قدّمه إيلغازي على أهل حلب، وجعل إليه الرئاسة، فجازاه بذلك، وقطع يدَيْه ورِجْلَيْه، وسمل عينَيْه، فمات.

وأحضر ولده، وهو سكران، فأراد قتله، فمنعته رقّة الوالد، فاستبقاه، فهرب إلى دمشق، فأرسل طُغتِكين يشفع فيه، فلم يُجِبه إلى ذلك، واستناب بحلب سليمان ابن أخيه عبد الجبّار بن أُرتُق، ولقّبه بدر الدولة، وعاد إلى ماردين[2].

ذكر إقطاع ميّافارقين إيلغازي

في هذه السنة أقطع السلطان محمود مدينة ميّافارقين للأمير إيلغازي.

وسبب ذلك أنّه أرسل ولده حُسام الدين تمرتاش، وعمره سبع عشرة سنة، إلى السلطان ليشفع في دُبَيْس بن صدقة، ويبذل عنه الطاعة، وحَمْل الأموال، والخَيْل، وغيرها، وأن يضمن الحلّة كلّ يوم بألف دينار وفرس؛ وكان المتحدّث عنه القاضي بهاء الدين أبو الحسن عليّ بن القاسم بن الشهرزوريّ، فتردّد الخطاب في ذلك، ولم ينفصل حال، فلمّا أراد العود أقطع السلطان أباه مدينة ميّافارقين، وكانت مع الأمير سُكمان، صاحب خِلاط، فتسلّمها إيلغازي، وبقيت في يده، ويد أولاده، إلى أن ملكها صلاح الدين يوسف بن أيّوب سنة ثمانين وخمسمائة، وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالىٰ.

ذكر حصر بَلْك بن بَهرام الرُّها وأسر صاحبها

في هذه السنة سار بَلْك بن بَهرام، ولد أخي إيلغازي، إلى مدينة الرُّها، فحصرها وبها الفرنج، وبقي على حصرها مدّة، فلم يظفر بها، فرحل عنها، فجاءه إنسان تركمانيّ وأعلمه أنّ جوسلين، صاحب الرُّها وسَروج، قد جمع مَن عنده من الفرنج، وهو عازم على كبسه، وكان قد تفرّق عن بَلْك أصحابه، وبقي في أربعمائة فارس، فوقف مستعدّاً لقتالهم.

---

(١) في الأوربية: «ذلك».

(٢) زبدة الحلب ٢/ ٢٠٠، نهاية الأرب ٢٧/ ٧٦، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٥، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٥ هـ.) ص ٢٩٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٨.

وأقبل الفرنج، فمن لطف الله تعالىٰ بالمسلمين أنّ الفرنج وصلوا إلى أرض قد نضب عنها الماء، فصارت وحلاً وغاصتْ خيولهم فيه فلم تتمكّن، مع ثقل السلاح والفرسان، من[1] الإسراع والجري، فرماهم أصحاب بلك بالنشّاب، فلم يفلتْ منهم أحد، وأُسر جوسلين وجُعل في جلد جمل، وخُيّط عليه، وطُلب منه أن يسلّم الرُّها، فلم يفعل، وبذل في فداء نفسه أموالاً جزيلة، وأسرى كثيرة، فلم يجبْهُ إلى ذلك، وحمله إلى قلعة خَرْتَبِرْتَ فسجنه بها، وأسر معه ابن خالته، واسمه كليام، وكان من شياطين الكفّار، وأسر أيضاً جماعة من فرسانه المشهورين، فسجنهم معه.

[الوفيات]

في هذه السنة توفّيت جدّة السلطان[2] محمود لأبيه، وهي[3] والدة السلطان سنجَر، وكانت تركيّة تُعرف بخاتون السفريّة، وكان موتها بمرو، فجلس محمود ببغداذ للعزاء بها، وكان عزاء لم يشاهد مثله الناس.

وفيها توفّي الخطير محمّد بن الحسين المَيْبُذيُّ ببلاد فارس، وهو في وزارة الملك سلجوق ابن السلطان محمّد، وكان قديماً وَزَر للسلطانَيْن بركْيارُق ومحمّد، وكان جواداً حليماً، سمع أنّ الأبيوَرْديَّ هجاه، فلمّا سمع الهجو مضّه، فعضّ على إبهامه، وصفح عنه، وخلع عليه ووصله.

وفيها توفّي الشهاب أبو المحاسن عبد الرزّاق بن عبد الله وزير السلطان سنجَر، وهو ابن أخي نظام المُلك، وكان يتفقّه قديماً على إمام الحرمَيْن الجُوينيّ فكان يُفتي ويوقّع، ووَزَر بعده أبو طاهر سعد بن عليّ بن عيسى القُمّيُّ، وتوفّي بعد شهور، فوَزَر بعده عثمان القُمّيُّ.

[ذكر عدّة حوادث]

وفيها، في جمادى الأولى، أوقع أتابك طغتِكين بطائفة من الفرنج، فقتل منهم وأسر وأرسل من الأسرى والغنيمة للسلطان وللخليفة.

وفيها تضعضع الركن اليَمانيُّ من البيت الحرام، زاده الله شرفاً، من زلزلة، وانهدم

---

(١) في الأوربية: «على».

(٢) المنتظم ٩/ ٢٢٢ (١٧/ ١٩٢)، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٥ هـ.) ص ٢٨٦.

(٣) في الأوربية: «وهو».

بعضه، وتشعّث بعض حرم النبيّ ﷺ، وتشعّث غيرها من البلاد، وكان بالموصل كثير منها[1].

وفيها احترقت دار السلطان، كان قد بناها مجاهد الدين بهروز للسلطان محمّد، ففرغتْ قبل وفاته بيسير، فلمّا كان الآن احترقت.

وسبب الحريق أنّ جارية كانت تختضب ليلاً، فأسندت شمعة إلى الخيش فاحترق، وعلقت النار منه في الدار، واحترق فيها من زوجة السلطان محمود بنت السلطان سنجَر ما لا حدّ له[2] من الجواهر، والحلى، والفرش، والثياب، وأقيم الغسّالون يخلّصون الذهب وما أمكن تخليصه، وكان الجوهر جميعه قد هلك إلاّ الياقوت الأحمر.

وترك السلطان الدار لم تجدّدْ عمارتها، وتطيّرَ منها، لأنّ أباه لم يتمتّع بها، ثم احترق فيها، من أموالهم، الشيء العظيم، واحترق قبلها بأسبوع جامع أصبهان، وهو من أعظم الجوامع وأحسنها، أحرقه قوم من الباطنيّة ليلاً، وكان السلطان قد عزم على أخذ حقّ البيع، وتجديد المكوس بالعراق، بإشارة الوزير السميرميّ عليه بذلك، فتجدّد من هذَيْن الحريقَيْن ما هاله، واتّعظ فأعرض عنه[3].

وفيها، في ربيع الآخر، انقضّ كوكب عِشاء، وصار له نور عظيم، وتفرّق منه أعمدة عند انقضاضه، وسُمع عند ذلك صوت هدّة عظيمة كالزلزلة[4].

وفيها ظهر بمكّة إنسان علويٌّ، وأمر بالمعروف، فكثُر جمعه، ونازع أميرَ مكّة ابن أبي هاشم، وقوي أمره، وعزم على أن يخطب لنفسه، فعاد ابن أبي هاشم وظفر به، ونفاه عن الحجاز إلى البحرَيْن، وكان هذا العلويُّ من فقهاء النظاميّة ببغداذ.

وفيها ألزم السلطان أهل الذمّة ببغداذ بالغِيار، فجرى فيه مراجعات انتهت إلى أن قُرّر عليهم للسلطان عشرون[5] ألف دينار، وللخليفة أربعة آلاف دينار.

---

(1) البداية والنهاية ١٢/١٨٨، كشف الصلصلة ١٨٢، ١٨٣.

(2) في الأوربية: «عليه».

(3) المنتظم ٩/٢٢٣، ٢٢٤ (١٧/١٩٤)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/٩٦، العبر ٤/٣٤، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٥ هـ.) ص ٢٨٧، مرآة الجنان ٣/٢١١، عيون التواريخ ١٢/١٢٠، الكواكب الدرية ٨٦، ٨٧، شذرات الذهب ٤/٤٧.

(4) المنتظم ٩/٢٢٣ (١٧/١٩٣)، تاريخ الإسلام ٢٨٦، الكواكب الدرية ٨٦.

(5) في الأوربية: «عشرين».

وفيها حضر السلطان محمود وأخوه الملك مسعود عند الخليفة، فخلع عليهما، وعلى جماعة من أصحاب السلطان، منهم: وزيره أبو طالب السميرميُّ، وشمس المُلك عثمان بن نظام المُلك، والوزير أبو نصر أحمد بن محمّد بن حامد المستوفي، وعلى غيرهم من الأمراء.

وفيها، في ذي القعدة، وهو الحادي والعشرون من كانون الثاني، سقط بالعراق جميعه من البصرة إلى تكريت ثلج كثير، وبقي على الأرض خمسة عشر يوماً، وسمكه ذراع، وهلكت أشجار النارنْج، والأُترجّ، والليمون، فقال فيه بعض الشعراء:

يا صُدُورَ الزمانِ ليس بوَفْرٍ ما رأيناه في نواحي العراقِ
إنّما عمَّ ظلمُكم سائرَ الخَلْـ ـقِ فشابَت ذَوائِبُ الآفاقِ[1]

وفيها هبّت بمصر ريح سوداء ثلاثة أيّام، فأهلكت كثيراً من الناس، وغيرهم من الحيوانات.

[الوفيات]

وفيها توفّي أبو محمّد القاسم بن عليّ بن محمّد بن عثمان الحريريُّ[2]، صاحب المقامات المشهورة.

وهزارسب[3] بن عِوَض الهرويُّ، وكان قد سمع الحديث كثيراً.

---

(١) مرآة الزمان ج ٨ ق ٩٨/١، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٥ هـ.) ٢٨٩، الكواكب الدرّية ٨٧، وانظر المنتظم ١٩٦/١٧، ١٩٧.

(٢) انظر عن (الحريري) في: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٦٠ ـ ٤٦٥ رقم ٢٦٨، وفيه مصادر ترجمته الكثيرة.

(٣) انظر عن (هزارسب) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٥ هـ.) ص ٣٩٥، ٣٩٦ رقم ١٠٥، وفيه مصادر ترجمته.

٥١٦
ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة

ذكر طاعة الملك طغرل لأخيه السلطان محمود

وفي المحرّم من هذه السنة أطاع الملك طُغرل أخاه السلطان محموداً[1]، وكان قد خرج عن طاعته، كما ذكرناه، وقصد أَذَرْبيجان في السنة الخالية ليتغلّب عليها، وكان أتابكه كنتغدي يحسّن له ذلك، ويقوّيه عليه، فاتّفق أنّه مرض، وتوفّي في شوّال سنة خمس عشرة [وخمسمائة].

وكان الأمير آقنسقَر الأحمديليّ، صاحب مَراغة، عند السلطان محمود ببغداذ، فاستأذنه في المُضِيّ إلى إقطاعه، فأذِن له، فلمّا سار عن السلطان ظنّ أنّه يقوم مقام كنتغدي من الملك طُغرل، فسار إليه، واجتمع به، وأشار عليه بالمكاشفة لأخيه السلطان محمود، وقال له: إذا وصلتَ إلى مَراغة اتّصل بك عشرة آلاف فارس وراجل. فسار معه، فلمّا وصلوا إلى أرْدَبيل أُغلقت أبوابها دونهم، فساروا عنها إلى قريب تِبريز، فأتاهم الخبر أنّ السلطان محموداً[1] سيّر الأمير جيوش بك إلى أذربيجَانَ، وأقطعه البلاد، وأنّه نزل مَراغة في عسكر كثيف من عند السلطان.

فلمّا تيقّنوا ذلك عدلوا إلى خُوَنْج، وانتقض عليهم ما كانوا فيه، وراسلوا الأمير شيركير الذي كان أتابَك طُغرل، أيّام أبيه، يدعونه إلى إنجادهم، وقد كان كنتغدي قبض عليه بعد موت السلطان محمّد على ما ذكرناه، ثم أطلقه السلطان سنجَر، فعاد إلى إقطاعه، أبْهَرَ، وزَنْجَانَ، وكاتبوه فأجابهم، واتّصل بهم، وسار معهم إلى أبْهَر، فلم يتمّ لهم ما أرادوا، فراسلوا السلطان بالطاعة، فأجابهم إلى ذلك، فاستقرّت القاعدة أوّل هذه السنة، وتمّت.

---

(١) في الأوربية: «محمود».

ذكر حال دُبَيْس بن صدقة وما كان منه

قد ذكرنا سنة أربع عشرة [وخمسمائة] حال دُبَيْس بن صدقة، وصُلحه على يد يرنقُش الزكويّ، ومقامه بالحِلّة، وعَود يرنقُش إلى السلطان ومعه منصور بن صدقة، أخو دُبيس وولده رهينةً، فلمّا علم الخليفة بذلك لم يرضَ به، وراسل السلطانَ محموداً[1] في إبعاد دُبَيْس عن العراق إلى بعض النواحي.

وتردّد الخطاب في ذلك، وعزم السلطان على المسير إلى همَذان، فأعاد الخليفة الشكوى من دُبَيْس، وذكر أنّه يطالب الناس بحقوقه، منها قتْل أبيه؛ وأشار[2] أن يُحضر السلطان آقسنقَر البرسقيَّ من الموصل، ويولّيه شِحنكيّة بغداذ والعراق، ويجعله في وجه دُبَيْس، ففعل السلطان ذلك، وأحضر البرسقيَّ، فلمّا وصل إليه زوّجه والدة الملك مسعود، وجعله شِحنة بغداذ، وأمره بقتال دُبَيْس إن تعرّض للبلاد.

وسار السلطان عن بغداذ في صفر من هذه السنة، وكان مُقامه ببغداذ سنةً وسبعة أشهر وخمسة عشر يوماً، فلمّا فارق بغداذ والعراق تظاهر دُبَيْس بأمور تأثّر بها المسترشد بالله، وتقدّم إلى البرسقيّ بالمسير إليه، وإزعاجه عن الحِلّة، فأرسل البرسقيّ إلى الموصل، وأحضر عساكره، وسار إلى الحِلّة، وأقبل دُبَيْس نحوه، فالتقوا عند نهر بَشِير، شرقيّ الفرات، واقتتلوا، فانهزم عسكر البرسقيّ.

وكان سبب الهزيمة أنه رأى في ميسرته خللاً، وبها الأمراء البكجيّة؛ فأمر بإلقاء خيمته، وأن تُنصَب عند الميسرة، ليقوّي قلوب من بها، فلمّا رأوا الخيمة وقد سقطت ظنّوها عن هزيمة، فانهزموا، وتبَعهم الناس والبرسقيُّ.

وقيل: بل أُعطي رقعة فيها: إنّ جماعةً من الأمراء، منهم إسماعيل البكجيُّ، يريدون الفتك به، فانهزم، وتبِعه العسكر، ودخل بغداذ ثاني ربيع الآخر، وكان في جملة العسكر نصر بن النفيس بن مهذّب الدولة أحمد بن أبي الجبر، وكان ناظراً بالبطيحة لريحان محكوَيْه، خادم السلطان، لأنّها كانت من جملة إقطاعه، وحضر أيضاً المظفّر بن حمّاد بن أبي الجبر، وبينهما عداوة شديدة، فالتقيا عند الانهزام بساباط نهر ملك، فقتله المظفّر ومضى[3] إلى واسط، وسار منها إلى البطيحة، وتغلّب عليها وكاتب دُبَيْساً وأطاعه.

---

(١) في الأوربية: «محمود».
(٢) في الأوربية: «وأخبار».
(٣) في الأوربية: «ومضا».

وأمّا دُبَيْس فإنّه لم يعرض لنهر ملك، ولا غيره، وأرسل إلى الخليفة أنّه على الطاعة، ولولا ذلك لأخذ البرسقيّ وجميع مَن معه، وسأل أن يخرج الناظر إلى القُرى التي لخاصّ الخليفة لقبض دَخْلها.

وكانت الوقعة في حزيران[1]، وحمَى البلد، فأحمد الخليفة فعله، وتردّدت الرسل بينهما، فاستقرّت القاعدة أن يقبض المسترشد بالله على وزيره جلال الدين أبي عليّ بن صدقة ليعود إلى الطاعة، فقبض على الوزير، ونُهبت داره ودور أصحابه والمنتمين إليه، وهرب ابن أخيه جلال الدين أبو الرضا إلى الموصل.

ولمّا سمع السلطان خبر الوقعة قبض على منصور بن صدقة، أخي دُبَيْس، وولده، ورفعهما إلى قلعة برحين وهي تجاور كَرَج.

ثم إنّ دُبَيساً أمر جماعة من أصحابه بالمسير إلى أقطاعهم بواسط، فساروا إليها، فمنعهم أتراك واسط، فجهّز دُبَيْس إليهم عسكراً مقدّمهم مُهلهِل بن أبي العسكر، وأرسل إلى المظفّر بن أبي الجبر بالبطيحة ليتّفق مع مهلهِل ويساعده على قتال الواسطيّين، فاتّفقا على أن تكون الوقعة تاسع رجب، وأرسل الواسطيّون إلى البرسقيّ يطلبون منه المدد، فأمدّهم بجيش من عنده، وعجل مُهلهِل في عسكر دُبَيْس، ولم ينتظر المظفّر ظنّاً منه أنّه بمفرده ينال منهم ما أراد[2]، وينفرد بالفتح، فالتقى هو والواسطيّون، ثامن رجب، فانهزم مُهَلهِل وعسكره، وظفر الواسطيّون، وأُخذ مُهلهِل أسيراً وجماعة من أعيان العسكر، وقُتل ما يزيد على ألف قتيل، ولم يُقتل من الواسطيّين غير رجل واحد.

وأمّا المظفّر بن أبي الجبر، فإنّه أصعد من البطيحة ونهب وأفسد، وجرى من أصحابه القبيح، فلمّا قارب واسطاً سمع بالهزيمة، فعاد منحدراً.

وكان في جملة ما أخذ العسكر الواسطيُّ من مُهلهِل تذكرة بخطّ دُبَيْس يأمره فيها بقبض المظفّر بن أبي الجبر ومطالبته بأموال كثيرة أخذها من البطيحة، فأرسلوا الخطّ إلى المظفّر، وقالوا: هذا خطّ الذي تختاره، وقد أسخطتَ الله تعالىٰ والخلق كلّهم لأجله؛ فمال إليهم وصار معهم، فلمّا جرى على أصحاب دُبَيْس من الواسطيّين ما ذكرناه شمّر عن ساعده[3] في الشرّ، وبلغه أنّ السلطان كحل أخاه، فجزّ شعره، ولبس السواد، ونهب البلاد، وأخذ كلّ ما للخليفة بنهر الملك، فأجلى الناس إلى بغداذ.

---

(١) في الأوربية: «الحزيران».
(٢) في الأوربية: «أرادوا».
(٣) في الأوربية: «ساعد».

وسار عسكر واسط إلى النّعمانيّة، فأجلوا عنها عسكر دُبَيْس واستولوا عليها، وجرى بينهم هناك وقعة كان الظفر [فيها] للواسطيّين، وتقدّم الخليفة إلى البرسقيّ بالتبريز إلى حرب دُبَيْس، فبرّز في رمضان، وكان ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ[(١)].

ذكر قتل السُّميرميّ

وفي هذه السنة قُتل الوزير الكمال أبو طالب السُّميرميُّ، وزير السلطان محمود، سلْخ صفر، وكان قد برز مع السلطان ليسير إلى همَذان، فدخل إلى الحمّام، وخرج بين يدَيْه الرجّالة والخيّالة، وهو في موكبٍ عظيم، فاجتاز بسوق المدرسة التي بناها خُمارتِكين التُّتُشيُّ، واجتاز في منفذٍ ضيّق فيه حظائر الشوك، فتقدّم أصحابه لضِيق الموضع، فوثب عليه باطنيٌّ وضربه بسكّين، فوقعت في البغلة، وهرب إلى دجلة، وتبِعه الغلمان، فخلا الموضع، فظهر رجل آخر فضربه بسكّين في خاصرته، وجذبه عن البغلة إلى الأرض، وضربه عدّة ضربات.

وعاد أصحاب الوزير، فحمل عليهم رجلان باطنيّان، فانهزموا منهما، ثم عادوا وقد ذُبِحَ الوزير مثل الشاة، فحُمل قتيلاً وبه نيّف وثلاثون جراحة، وقُتل قاتلوه.

ولمّا كان في الحمّام كان المنجّمون يأخذون له الطالع ليخرج، فقالوا: هذا وقت جيّد، وإن تأخّرتَ يفت[(٢)] طالع السعد؛ فأسرج وركب، وأراد أن يأكل طعاماً، فمنعوه لأجل الطالع، فقُتل ولم ينفعه قولهم.

وكانت وزارته ثلاث سنين وعشرة أشهر، وانتُهب ماله، وأخذ السلطان خزانته، ووزر بعده شمس المُلك بن نظام المُلك.

وكانت زوجة السُّميرميّ قد خرجت هذا اليوم في موكب كبير، معها نحو مائة جارية، وجَمْع من الخدم، والجميع بمراكب الذهب، فلمّا سمعن بقتله عُدْنَ حافيات حاسرات، وقد تبدّلن بالعزّ هواناً، وبالمَسَرّة أحزاناً، فسبحان من لا يزول ملكه[(٣)].

وكان السُّميرميّ ظالماً، كثير المصادرة للناس، سيء السيرة، فلمّا قُتل أطلق السلطان ما كان جدّده من المكوس، وما وضعه على التجار والباعة[(٤)].

---

(١) المنتظم ٩/ ٢٣٣، ٢٣٤ (١٧/ ٢٠٥، ٢٠٦)، الفخري ٣٠٥، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٦ هـ.) ص ٢٩٢.

(٢) في الأوربية: «يفوت».

(٣) في الأوربية: «مالكاً».

(٤) المنتظم ٩/ ٢٣٩، ٢٤٠ رقم ٣٩٠ (١٧/ ٢١٢، ٢١٣ رقم ٣٩١٢)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٠١، تاريخ =

ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة ونيابة عليّ بن طِراد

في جُمادى الأولى قبض الخليفة على وزيره جلال الدين بن صدقة، وقد تقدّم ذِكره قبلُ، وأُقيم نقيب النقباء شرف الدين عليُّ بن طِراد الزينبيُّ في نيابة الوزارة، فأرسل السلطان إلى المسترشد بالله في معنى الوزارة نظام المُلك أبي نصر أحمد بن نظام المُلك، وكان أخو شمس المُلك عثمان بن نظام المُلك وزير السلطان محمود، فأُجيب إلى ذلك، واستوزر في شعبان.

وكان قد وزر للسلطان محمّد سنة خمسمائة، ثم عُزل، ولزِم داراً استجدّها ببغداذ إلى الآن. فلمّا خُلع على نظام المُلك، وجلس في الديوان، طلب أن يخرج ابنُ صدقة عن بغداذ، فلمّا علم ابن صدقة ذلك طلب من الخليفة أن يُسيّر إلى حديثة عانة ليكون عند الأمير سليمان بن مُهارش، فأُجيب إلى ما طلب.

وسار إلى الحديثة، فخرج عليه في الطريق إنسان من مفسدي التركمان يقال له يُونُس الحراميّ، فأسره ونهب أصحابه، فخاف الوزير أن يعلم دُبَيْس فأرسل إلى يُونُس وبذل له مالاً يأخذه منه للعداوة التي بينهما، فقرّر أمره مع يونُس على ألف دينار يعجّل منها ثلاثمائة، ويؤخّر الباقي إلى أن يرسله من الحديثة.

وراسل عامل بلد الفُرات في تخليصه، وإنفاذ من يَضْمن الباقي الذي عليه، فأعمل العامل الحيلة في ذلك، فأحضر إنساناً فلاّحاً وألبسه ثياباً فاخرة وطَيلساناً، وأركبه وسيّر معه غلماناً، وأمره أن يمضي إلى يونُس ويدّعي أنّه قاضي بلد الفُرات، ويضمن الوزير منه بما بقي[1] من المال، فسار السواديّ إلى يُونُس، فلمّا حضر عند الوزير ويُونُس احترماه، وضمن السواديُّ الوزير منه، وقال له: أُقيم عندكَ إلى أن يصل المال مع صاحبٍ لك تُنفِذه مع الوزير؛ فاعتقد يونس صِدق ذلك وأطلق الوزير ومعه جماعة من أصحابه، فلمّا وصل الحديثة قبض على مَن معه منهم، فأطلق يونس ذلك السواديّ، والمال الذي أخذه، حتّى أطلق الوزير أصحابه، وعلم الحيلة التي تمّت عليه.

ولمّا سار الوزير من عند يونس لقي إنساناً أنكره، فأخذه، فرأى معه كتاباً من

= الإسلام (حوادث ٥١٦ هـ) ص ٢٩٥، و (وفيات ٥١٦ هـ.) ص ٤٠٢ رقم ١١٥)، البداية والنهاية ١٢/ ١٩٠.

(١) في الأوربية: «باقي».

دُبَيْس إلى يونُس يبذل ستّة آلاف دينار ليسلّم الوزير إليه، وكان خلاصه من أعجب الأشياء[1].

ذكر قتل جيوش بك

في هذه السنة قُتل الأمير جيوش بك الذي كان صاحب الموصل، وقد ذكرنا خروجه على السلطان محمود، وعَوده إلى خدمته، فلمّا رضي عنه أقطعه أَذَرْبيجان وجعله مقدّم عسكره، فجرى بينه وبين جماعة من الأمراء منافرة ومنازعات، فأغروا به السلطان، فقتله في رمضان على باب تِبرِيز.

وكان تركيّاً من مماليك السلطان محمّد، عادلاً، حسن السيرة، ولمّا وليَ الموصل والجزيرة كان الأكراد بتلك الأعمال قد انتشروا، وكثُر فسادهم، وكثُرت قِلاعهم، والناس معهم في ضِيق، والطريق خائفة، فقصدهم، وحصر قلاعهم، وفتح كثيراً منها ببلد الهَكّارِيّة، وبلد الزَّوْزان، وبلد البَشنويّة، وخافه الأكراد، وتولّى قصدهم بنفسه، فهربوا منه في الجبال والشِعاب والمضايق، وأمِنت الطرق، وانتشر الناس واطمأنّوا، وبقي الأكراد لا يجسرون أن يحملوا السلاح لهيبته[2].

ذكر وفاة إيلغازي وأحوال حلب بعده

في هذه السنة، في شهر رمضان، توفّي إيلغازي بن أُرتُق بميّافارقين، وملك ابنه حسام الدين تمرتاش قلعة ماردين، وملك ابنه سليمان ميّافارقين، وكان بحلب ابن أخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبّار بن أُرتُق، فبقي بها إلى أن أخذها ابن عمّه[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أقطع السلطان محمود الأميرَ آقسنقَر مدينةَ واسط وأعمالها، مضافاً إلى ولاية الموصِل وغيرها ممّا بيده، وشِحنكيّة العراق، فلمّا أقطعها البرسقيّ سيّر إليها

---

(١) المنتظم ٩/٢٣٣، ٢٣٤ (١٧/٢٠٥، ٢٠٦)، تاريخ دولة آل سلجوق ١٠٨، الفخري ٣٠٥، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٦ هـ.) ص ٢٩٢، ٢٩٣، البداية والنهاية ١٢/١٩٠، عيون التواريخ ١٢/١٣٠.

(٢) المختصر في أخبار البشر ٢/٢٣٦، تاريخ الإسلام ٢٩٥، ٢٩٦.

(٣) تاريخ مختصر الدول ٢٠٢، زبدة الحلب ٢/٢٠٦، ذيل تاريخ دمشق ٢٠٨، الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١/ ٥٤، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/١٠٢، نهاية الأرب ٢٧/٧٧، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٣٦، الدرّة المضيّة ٤٩٠، العبر ٤/٣٦، دول الإسلام ٢/٤٣، تاريخ الإسلام ٢٩٦، تاريخ ابن الوردي ٢/٢٩، النجوم الزاهرة ٥/٢٢٣، شذرات الذهب ٤/٤٨.

عماد الدين زنكي بن آقسنقَر الذي كان والده صاحب حلب، وأمره بحمايتها، فسار إليها في شعبان ووليها، وقد ذكرنا أخبار زنكي في كتاب «الباهر»(١) في ذكر ملكه وملك أولاده الذين هم ملوكنا الآن، فيُنْظَر منه.

وفيها ظهر مَعْدِن نُحاس بديار بكر قريباً من قلعة ذي القرنَيْن.

وفيها زاد الفرات زيادة عظيمة لم يُعهَد مثلها، فدخل الماء إلى ربض قلعة جَعْبَر، وكان الفرات، حينئذٍ، بالقرب منها، فغرق أكثر دُوره ومساكنه، وحمل فرساً من الربض وألقاه من فوق السور إلى الفرات(٢).

وفيها بُنيت مدرسة بحلب لأصحاب الشافعيّ.

وفيها توفّيت ابنة السلطان سنجَر زوج السلطان محمود.

وفيها، في شعبان، قدِم إلى بغداذ البرهان أبو الحسن عليّ بن الحسين الغزنويُّ ووعد مجلس الوعظ في جميع المواضِع، وورد بعده أبو القاسم عليُّ بن يَعْلَى العلويُّ، ونزل رباط شيخ الشيوخ، فوعظ في جامع القصر، والتاجيّة، ورباط سعادة، وصار له قبولٌ عند الحنابلة، وحصل له مال كثير لأنّه أظهر موافقتهم.

وورد بعده أبو الفتوح الإسْفَرَايينيُّ، ونزل برباط شيخ الشيوخ أيضاً، ووعظ في هذه المواضع، وفي النِّظاميّة، وأظهر مذهب الأشعريّ، فصار له قبول كثير عند الشافعيّة، وحضر مجلسه الخليفة المسترشد بالله، وسلّم إليه رباط الأرجُونِيّةِ، والدة المقتدي بالله، بدرب زاخي(٣).

[الوفيات]

وفيها توفّي عبد الله بن أحمد بن عمر أبو محمّد السمرقنديُّ(٤)، أخو أبي القاسم بن السمرقنديّ، ومولده بدمشق سنة أربع وأربعين وأربعمائة، ونشأ ببغداذ، وسمع الصَّرِيفِينيَّ وابن النُّقور، وغيرهما، وسافر الكَثير، وكان حافظاً للحديث عالماً به.

---

(١) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ـ تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ـ مصر ١٩٦٣.

(٢) المنتظم ١٧/ ٢٠٣.

(٣) المنتظم ٩/ ٢٣٨ (١٧/ ٢١٠)، تاريخ الإسلام ٢٩٦.

(٤) انظر عن (السمرقندي) في: تذكرة الحفاظ ١٢٦٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٩١، المنتظم ١٧/ ٢١١، شذرات الذهب ٤/ ٤٩، وورد اسمه في فهرس التراجم من كتاب: المقتدر في ذكر علماء سمرقند، ص ٥٦٦، في السطر الثالث قبل الأخير رقم ٣٦٩ ولم أجده في متن الكتاب!

وفي ذي الحجّة توفّي عبد القادر[1] بن محمّد بن عبد القادر بن محمّد بن يوسف أبو طالب، ومولده سنة ستّ وثلاثين وأربعمائة، وسمع البرمكيَّ، والجوهريَّ، والعشاريَّ، وكان ثقة، حافظاً للحديث.

(١) انظر عن (عبد القادر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٦ هـ.) ص ٤٠١ رقم ١١٤، وفيه مصادر ترجمته.

٥١٧
ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة

ذكر مسير المسترشد بالله لحرب دُبَيْس

في هذه السنة كانت الحرب بين الخليفة المسترشد بالله، وبين دُبَيْس بن صدقة.

وكان سبب ذلك: أنّ دُبَيْساً أطلق عفيفاً خادم الخليفة، وكان مأسوراً عنده، وحمّله رسالة فيها تهديد للخليفة بإرسال البرسقيّ إلى قتاله، وتقويته بالمال، وأنّ السلطان كحل أخاه، وبالغ في الوعيد[1]، ولبس السواد، وجزّ شعره، وحلف لينهبنّ بغداذ، ويخرّبها، فاغتاظ الخليفة لهذه الرسالة، وغضب، وتقدّم إلى البرسقيّ بالتّبريز إلى حرب دُبَيْس، فبرز في رمضان سنة ستّ عشرة [وخمسمائة].

وتجهّز الخليفة، وبرز من بغداذ، واستدعى العساكر، فأتاه سليمان بن مُهارش، صاحب الحديثة، في عُقيل، وأتاه قرواش بن مسلّم، وغيرهما، وأرسل دُبَيْس إلى نهر ملك فنهب، وعمل أصحابه كلّ عظيم من الفساد، فوصل أهله إلى بغداذ، فأمر الخليفة فنودي ببغداذ لا يتخلّف من الأجناد أحد، ومَن أحبّ الجنديّة من العامّة فليحضر، فجاء خلق كثير، ففرّق فيهم الأموال والسلاح.

فلمّا علم دُبَيْس الحال كتب إلى الخليفة يستعطفه ويسأله الرضا عنه، فلم يُجب إلى ذلك، وأُخرجت خيام الخليفة في العشرين من ذي الحجّة من سنة ستّ عشرة [وخمسمائة]، فنادى أهل بغداذ: النفيرَ النفيرَ، الغزاةَ الغَزاةَ! وكثُر الضجيج من الناس، وخرج منهم عالم كثير لا يُحصَون كثرةً، وبرز الخليفة رابع عشر ذي الحجّة، وعبر دجلة وعليه قَباء أسود، وعمامة سوداء، وطرحة، وعلى كتفه البُردة، وفي يده القضيب، وفي وسطه مِنطقةُ حديد صينيّ، ونزل الخيام ومعه وزير نظام الدين أحمد بن نظام

(١) في الأوربية: «الوعد».

المُلك، ونقيب الطالبيّين، ونقيب النقباء عليُّ بن طِراد، وشيخ الشيوخ صدر الدين إسماعيل وغيرهم من الأعيان.

وكان البرسقيُّ قد نزل بقرية جِهار طاقَ، ومعه عسكره، فلمّا بلغهم خروج الخليفة عن بغداذ عادوا إلى خدمته، فلمّا رأوا الشمسة ترجّلوا بأجمعهم، وقبّلوا الأرض بالبعد منه.

ودخلت هذه السنة، فنزل الخليفة، مستهلّ المحرّم، بالحديثة، بنهر الملك، واستدعى البرسقيّ والأمراء، واستحلفهم على المناصحة في الحرب، ثم ساروا إلى النّيل، ونزلوا بالمباركة، وعبّأ البرسقيُّ أصحابه، ووقف الخليفة من وراء الجميع في خاصّته، وجعل دُبَيْس أصحابه صفّاً واحداً، ميمنة، وميسرة، وقلباً، وجعل الرجّالة بين يدي الخيّالة بالسلاح، وكان قد وعد أصحابَهُ بنهب بغداذ، وسبي النساء، فلمّا تراءت الفئتان بادر أصحاب دُبَيْس، وبين أيديهم الإماء يضربن بالدفوف، والمخانيث بالملاهي، ولم يُرَ في عسكر الخليفة غير قارىء، ومسبّح، وداعٍ، فقامت الحرب على ساق.

وكان مع أعلام الخليفة الأمير كرباوي بن خُراسان، وفي الساقة سليمان بن مُهارش، وفي ميمنة عسكر البرسقيّ الأمير أبو بكر بن إلياس مع الأمراء البكجيّة، فحمل عنتر بن أبي العسكر في طائفة من عسكر دُبَيْس على ميمنة البرسقيّ، فتراجعت على أعقابها، وقُتل ابن أخ للأمير أبي بكر البكجيّ، وعاد عنتر وحمل حملة ثانية على هذه الميمنة، فكان حالها في الرجوع على أعقابها كحالها الأوّل، فلمّا رأى عسكر واسط ذلك، ومقدّمهم الشهيد عماد الدين زنكي بن آقسنقَر، حمل وهم معه على عنتر ومَن معه، وأتوهم من ظهورهم فبقي عنتر في الوسط، وعماد الدين وعسكر واسط من ورائه، والأمراء البكجيّة بين يديه، فأُسر عنتر، وأسر معه بريك بن زائدة وجميع مَن معهما ولم يفلت أحد.

وكان البرسقيُّ واقفاً على نشزٍ من الأرض، وكان الأمير آق بوري في الكمين في خمسمائة فارس، فلمّا اختلط الناس خرج الكمين على عسكر دُبَيْس، فانهزموا جميعهم وألقَوا نفوسهم في الماء، فغرق كثير منهم، وقُتل كثير.

ولمّا رأى الخليفة اشتداد الحرب جرّد سيفه وكبّر وتقدّم إلى الحرب، فلمّا انهزم عسكر دُبَيْس وحُملت الأسرى إلى بين يدَيْه أمر الخليفة أن تُضرب أعناقهم صبراً.

وكان عسكر دُبَيْس عشرة آلاف فارس، واثني عشر ألف راجل، وعسكر البرسقيّ ثمانية آلاف فارس، وخمسة آلاف راجل، ولم يُقتل من أصحاب الخليفة غير عشرين

فارساً، وحصل نساء دُبَيْس وسراريّه تحت الأسر سوى بنت إيلغازي، وبنت عميد الدولة بن جُهير، فإنّه كان تركهما في المشهد.

وعاد الخليفة إلى بغداذ، فدخلها يوم عاشوراء من هذه السنة. ولمّا عاد الخليفة إلى بغداذ ثار العامّة بها، ونهبوا مشهد باب التبن، وقلعوا أبوابه، فأنكر الخليفة ذلك، وأمر نظر أمير الحاجّ بالركوب إلى المشهد، وتأديب من فعل ذلك، وأَخْذ ما نُهب، ففعل وأعاد البعض وخفي الباقي عليه.

وأمّا دُبَيْس بن صدقة فإنّه لمّا انهزم نجا بفرسه وسلاحه، وأدركته الخيل، ففاتها وعبر الفرات، فرأته امرأة عجوز وقد عبر، فقالت له: دُبَيْر جئتَ؟ فقال: دُبَيْر من لم يجيء. واختفى خبره بعد ذلك، وأُرجف عليه بالقتل، ثم ظهر أمره أنّه قصد غُزَيّة من عرب نجد، فطلب منهم أن يحالفوه، فامتنعوا عليه وقالوا: إنّا نُسخط الخليفة والسلطان؛ فرحل إلى المنتفق، واتّفق معهم على قصد البصرة وأَخْذها، فساروا إليها ودخلوها، ونهبوا أهلها، وقُتل الأمير سَخْت كمان مقدّم عسكرها، وأُجلي أهلها.

فأرسل الخليفة إلى البرسقيّ يعاتبه على إهماله أمر دُبَيْس، حتّى تمّ له من أمر البصرة ما أخربها، فتجهّز البرسقيُّ للانحدار إليه، فسمع دُبَيْس ذلك، ففارق البصرة، وسار على البرّ إلى قلعة جَعْبر، والتحق بالفرنج، وحضر معهم حصار حلب، وأطمعهم في أخذها، فلم يظفروا بها، فعادوا عنها، ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل ابن السلطان محمّد، فأقام معه، وحسّن له قصد العراق، وسنذكره سنة تسعٍ وعشرين [وخمسمائة]، إن شاء الله تعالى[1].

ذكر ملك الفرنج حصن الأثارب

في هذه السنة، في صفر، ملك الفرنج حصن الأثارب، من أعمال حلب.

وسبب ذلك: أنّهم كانوا قد أكثروا قصد حلب وأعمالها بالإغارة، والتخريب، والتحريق، وكان بحلب حينئذٍ بدر الدولة سليمان بن عبد الجبّار بن أُرتُق، وهو صاحبها، ولم يكن له بالفرنج قوّة، وخافهم، فهادنهم على أن يسلّم الأثارب ويكفّوا

---

(١) المنتظم ٩/٢٤٢، ٢٤٣ (١٧/٢١٦، ٢١٧)، تاريخ حلب للعظيمي (تحقيق زعرور) ٣٧٢ (تحقيق سويم) ٣٧، الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢١٥ ـ ٢١٦، ذيل تاريخ دمشق ٢٠٨ ـ ٢٠٩، التاريخ الباهر ٢٥ ـ ٢٦، الروضتين ج ١ ق ١/٧٣، ٧٤، بغية الطلب (قسم تراجم السلاجقة) ٢٢٧ ـ ٢٢٨، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/١١٠، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٣٦، دول الإسلام ٢/٤٢، العبر ٤/٣٩، تاريخ الإسلام ٢٩٧ ـ ٢٩٨، تاريخ ابن الوردي ٢/٣١، مرآة الجنان ٣/٢٢١، البداية والنهاية ١٢/١٩٠، ١٩١.

عن بلاده، فأجابوه إلى ذلك، وتسلّموا الحصن، وتمّت الهدنة بينهم، واستقام أمر الرعيّة بأعمال حلب، وجُلبت إليهم الأقوات وغيرها؛ ولم تزل الأثارب بأيدي الفرنج إلى أن ملكها أتابك زنكي بن آقسنقر[1]، على ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ.

ذكر ملك بَلك حرّان وحلب

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، ملك بَلك بن بهرام مدينة حرَّان، وكان قد حصرها، فلمّا ملكها سار منها إلى مدينة حلب.

وسبب مسيره إليها: أنّه بلغه أن صاحبها بدر الدولة قد سلّم قلعة الأثارب إلى الفرنج، فعظُم ذلك عليه، وعلم عجزه عن حفظ بلاده، فقوي طمعه في ملكها، فسار إليها، ونازلها في ربيع الأوّل، وضايقها، ومنع الميرة عنها، وأحرق زروعها، فسلّم إليه ابن عمّه البلد والقلعة بالأمان، غرّة جمادى الأولى من السنة، وتزوّج ابنة الملك رضوان، وبقي مالكاً لها إلى أن قُتل على ما نذكره[2].

ذكر الحرب بين الفرنج والمسلمين بإفريقية

قد ذكرنا أنّ الأمير عليّ بن يحيى، صاحب إفريقية، لمّا استوحش من رُجّار صاحب صِقِلّية، جدّد الأسطول الذي له، وكثّر عَدده وعُدده، وكاتب أميرَ المسلمين عليَّ بن يوسف بن تاشفين بمَرَّاكُش بالاجتماع معه على قصد جزيرة صقِلِيّة، فلمّا علم رجّار ذلك كفّ عن بعض ما كان يفعله.

فاتّفق أنّ عليّاً مات سنة خمس عشرة [وخمسمائة]، ووليَ ابنه الحسن، وقد ذكرناه. فلمّا دخلت سنة ستّ [عشرة وخمسمائة] سيّر أمير المسلمين أُسطولاً، ففتحوا نقوطرة[3] بساحل بلاد قِلَوْرِيَةَ، فلم يشكّ رُجّار أن عليّاً كان سبب ذلك، فجدّ في تعمير الشواني والمراكب، وحشد فأكثر، ومنع من السفر إلى إفريقية وغيرها من بلاد الغرب، فاجتمع له من ذلك ما لم يُعْهَدْ مثله، قيل: كان ثلاثمائة قطعة، فلمّا انقطعت الطريقُ عن إفريقية توقّع الأمير الحسن بن عليّ خروج العدوّ إلى المَهديّة، فأمر باتّخاذ العُدد، وتجديد الأسوار، وجمع المقاتلة، فأتاه من أهل البلاد ومن العرب جمع كثير.

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ٢٠٩.

(٢) تاريخ حلب (زعرور) ٣٧٢ ـ ٣٧٣، (سويم) ٣٨ ـ ٣٩، زبدة الحلب ٢/ ٢١١ ـ ٢١٢، الأعلاق الخطيرة جـ ٣ ق ١/ ٥٤، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٧، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٧ هـ) ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣١.

(٣) في الأصل: «بقوطره».

فلمّا كان في جمادى الآخرة سنة سبع عشرة [وخمسمائة] سار الأسطول الفرنجيُّ في ثلاثمائة قطعة، فيها ألف فرس وفرس واحد، إلاّ أنّهم لمّا ساروا من مَرسَى عليّ فرّقتهم الريح، وغرق منهم مراكب كثيرة، ونازل من سلم منهم جزيرة قَوْصَرَةَ ففتحوها، وقتلوا من بها، وسبوا وغنموا، (وساروا عنها)[1]، فوصلوا إلى إفريقية، ونازلوا الحصن المعروف بالدّيماس أواخر جمادى الأولى، فقاتلهم طائفة من العرب كانوا هناك، والدّيماس حصنٌ منيعٌ، في وسطه حصن آخر، وهو مشرف على البحر.

وسيّر الحسن مَن عنده من الجموع إلى الفرنج، وأقام هو بالمهديّة في جمع آخر يحفظها، وأخذ الفرنج حصن الدّيماس، وجنود المسلمين محيطة بهم، فلمّا كانَ بعد ليالٍ اشتدّ القتال على الحصن الداخل، فلمّا كان الليل صاح المسلمون صيحة عظيمةً ارتّجت لها الأرض، وكبّروا، فوقع الرعب في قلوب الفرنج، فلم يشكّوا أنّ المسلمين يهجمون عليهم، فبادروا إلى شوانيهم، وقتلوا بأيديهم كثيراً من خيولهم، وغنم المسلمون منها أربعمائة فرس، ولم يسلم معهم غير فرس واحد، وغنم المسلمون جميع ما تخلّف عن الفرنج، وقتلوا كلّ من عجز عن الطلوع إلى المراكب.

فلمّا صعد الفرنج إلى مراكبهم أقاموا بها ثمانية أيّام لا يقدرون على النزول إلى الأرض، فلمّا أيسوا من خلاص أصحابهم الذين في الديماس ساروا والمسلمون يكبّرون عليهم ويصيحون بهم، وأقامت عسكر المسلمين على حصن الديماس في أمم لا يُحصَون كثرةً، فحصروه، فلم يمكنهم فتحه لحصانته وقوّته، فلمّا عُدِم الماء على من به من الفرنج، وضجروا من مواصلة القتال ليلاً ونهاراً، فتحوا باب الحصن وخرجوا، فقُتلوا عن آخرهم، وذلك يوم الأربعاء منتصف جمادى الآخرة من السنة، وكانت مدّة إقامتهم في الحصن ستّة عشر يوماً.

ولمّا رجع الفرنج مقهورين أرسل الأمير الحسن البُشرى إلى سائر البلاد، وقال الشعراء في هذه الحادثة فأكثروا، تركنا ذلك خوفَ التطويل.

ذكر استيلاء الفرنج على خَرْتَبِرْت وأخذها منهم

في هذه السنة، في ربيع الأول، استولى الفرنج على خَرْتَبِرْت من بلاد ديار بكر.

وسبب ذلك: أنّ بَلك بن بَهرام بن أُرتُق كان صاحب خَرْتَبِرْتَ، فحصر قلعة كَركر، وهي تقارب خَرْتَبِرْتَ، فسمع الفرنج بالشام الخبر، فسار بغدوين ملك الفرنج في

(١) زيادة من المكتبة الصقلّية لأماري، ص ٢٨٣.

جموعه إليه ليرحله عنها، خوفاً أن يقوى بملكها، فلمّا سمع بَلك بقربه منه رحل إليه، والتقيا في صفر، واقتتلا، فانهزم الفرنج، وأُسر ملكهم ومعه جماعة من أعيان فرسانهم، وسجنهم بقلعة خَرْتَبِرْتَ، وكان بالقلعة أيضاً جوسلين، صاحب الرُّها، وغيره من مقدّمي الفرنج كان قد أسرهم سنة خمس عشرة [وخمسمائة]، وسار بَلك عن خَرْتَبِرْتَ إلى حرّان في ربيع الأوّل فملكها، فأعمل الفرنج الحيلة باستمالة بعض الجُند، فظهروا وملكوا القلعة.

فأمّا الملك بغدوين فإنّه اتّخذ الليل جملاً ومضى[1] إلى بلاده، واتّصل الخبر ببَلك صاحبها، فعاد في عساكره إليها وحصرها، وضيّق على من بالقلعة، واستعادها من الفرنج، وجعل فيها من الجُند من يحفظها، وعاد عنها[2].

ذكر قتل وزير السلطان وعَوْد ابن صدقة إلى وزارة الخليفة

في هذه السنة قبض السلطان محمود على وزيره شمس المُلك عثمان بن نظام المُلك وقتله.

وسبب ذلك: أنّه لـمّا أشار على السلطان بالعود عن حرب الكُرْج، وخالفه، وكانت الخيرة في مخالفته، تغيّر عليه، وذكره أعداؤه بالسوء[3]، ونبّهوا على تهوّره، وقلّة تحصيله ومعرفته بمصالح الدولة، ففسد رأي السلطان فيه.

ثم إنّ الشهاب أبا المحاسن، وزير السلطان سنجَر، كان قد توفّي وهو ابن أخي نظام المُلك، ووَزَرَ بعده أبو طاهر القُمّيُّ، وهو عدوّ للبيت النظاميّ، فسعى مع السلطان سنجَر، حتّى أرسل إلى السلطان محمود يأمره بالقبض على وزيره شمس المُلك، فصادف وصول الرسول وهو متغيّر عليه، فقبض عليه وسلّمه إلى طغايرك، فبعثه إلى بلده خَلْخَال، فحبسه فيها.

ثم إنّ أبا نصر المستوفي، الملقّب بالعزيز، قال للسلطان محمود: لا نأمن أن يرسل السلطان سنجَر يطلب الوزير، ومتى اتّصل به لا نأمن شرّاً يحدث منه. وكان بينهما عداوة، فأمر السلطان بقتله، فلمّا دخل عليه السيّاف ليقتله، قال: أمهلني حتّى

(١) في الأوربية: «ومضا».
(٢) ذيل تاريخ دمشق ٢٠٩.
(٣) في الأوربية: «أسوء».

أصلّي ركعتَيْن؛ ففعل، فلمّا صلّى جعل يرتعد، وقال للسيّاف: سيفي أجْود من سيفك، فاقتلني به ولا تعذّبني؛ فقُتل ثاني جمادى الآخرة. فلمّا سمع الخليفة المسترشد بالله ذلك عزل أخاه نظام الدين أحمد من وزارته، وأعاد جلال الدين أبا عليّ بن صدقة إلى الوزارة، وأقام نظام الدين بالمثَمّنة التي في المدرسة النظاميّة ببغداذ.

وأمّا العزيز المستوفي فإنه لم تطُلْ أيّامه حتّى قُتل، على ما نذكره، جزاء لسَعْيه في قتل الوزير[1].

ذكر ظفر السلطان محمود بالكُرْج

في هذه السنة اشتدّت نكاية الكُرْج في بلد الإسلام، وعظُم الأمر على الناس، لا سيّما أهل دَرْبَنْد شِروانَ، فسار منهم جماعة كثيرة من أعيانهم إلى السلطان، وشكوا إليه ما يلقون منهم، وأعلموه بما هم عليه من الضعف والعجز عن حفظ بلادهم، فسار إليهم والكُرْج قد وصلوا إلى شَمَاخِي، فنزل السلطان في بستان هناك، وتقدّم الكُرْج إليه، فخافهم العسكر خوفاً شديداً.

وأشار الوزير شمس المُلك عثمان بن نظام المُلك على السلطان بالعَود [من] هناك، فلمّا سمع أهل شِروان بذلك قصدوا السلطان، وقالوا له: نحن نقاتل ما دمت[2] عندنا، وإن تأخّرتَ عنّا ضعُفت نفوس المسلمين وهلكوا؛ فقبل قولهم، وأقام بمكانه.

وبات العسكر على وجلٍ عظيم، وهم بنيّة المصافّ، فأتاهم الله بفرج من عنده، وألقى بين الكُرْج وقفجاق اختلافاً وعداوة، فاقتتلوا تلك اللّيلة، ورحلوا شبه المنهزمين، وكفى الله المؤمنين القتال، وأقام السلطان بشِروان مدّةً، ثم عاد إلى همَذان فوصلها في جمادى الآخرة.

ذكر الحرب بين المغاربة وعسكر مصر

في هذه السنة وصل جمْعٌ كثير من لَوَاتَةَ من الغرب إلى ديار مصر، فأفسدوا[3] فيها ونهبوها، وعملوا أعمالاً شنيعة، فجمع المأمون بن البطائحيّ، الذي وَزَرَ بمصر بعد الأفضل، عسكر مصر، وسار إليهم فقاتلهم فهزمهم، وأسر منهم وقتل خلقاً كثيراً، وقرّر

---

(١) المنتظم ٩/ ٢٤٥، ٢٤٦ (١٧/ ٢٢٠)، تاريخ دولة آل سلجوق ١٠٨ و ١٣٢، تاريخ الإسلام ٢٩٩، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٢٦.

(٢) في الأوربية: «مهما أنت».

(٣) في الأوربية: «فاسدوا».

عليهم خرجاً معلوماً كلّ سنة يقومون به، وعادوا إلى بلادهم، وعاد المأمون إلى مِصر مظفّراً منصوراً.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في صفر، أمر المسترشد بالله ببناء سور بغداذ، وأن يجبى ما يخرج عليه من البلد، فشقّ ذلك على الناس، وجُمع من ذلك مال كثير، فلمّا علم الخليفة كراهة الناس لذلك أمر بإعادة ما أُخذ منهم، فسُرّوا بذلك، وكثُر الدعاء له.

وقيل: إنّ الوزير أحمد بن نظام المُلك بذل من ماله خمسة عشر ألف دينار، وقال: نقسّط الباقي على أرباب الدولة.

وكان أهل بغداذ يعملون بأنفسهم فيه، وكانوا يتناوبون العمل: يعمل أهل كلّ محلّة منفردين بالطبول والزُّمُور، وزيّنوا البلد، وعملوا فيه القباب[1].

وفيها عُزل نقيب العلويّين، وهُدمت دار عليّ بن أفلح، وكان الخليفة يكرمه، فظهر أنّهما عين لدُبَيْس يطالعانه بالأخبار، وجعل الخليفة نقابة العلويّين إلى عليّ بن طِراد، نقيب العبّاسيّين[2].

وفيها جمع الأمير بَلك عساكره وسار إلى غزاة بالشام، فلقيه الفرنج، فاقتتلوا، فانهزم الفرنج وقُتل منهم وأُسر بشر كثير من مقدّميهم ورجّالتهم[3].

وفيها كان في أكثر البلاد غلاء شديد، وكان أكثره بالعراق، فبلغ ثمن كارة الدقيق الخشكار ستّة دنانير وعشرة قراريط، وتبع ذلك موت كثير، وأمراض زائدة هلك فيها كثير من الناس[4].

[الوفيات]

وفيها، في صفر، توفّي قاسم بن أبي هاشم العلويُّ الحسنيُّ أمير مكّة، ووليَ بعده ابنه أبو فُلَيْتة، وكان أعدل منه، وأحسن السيرة، فأسقط المكوس، وأحسن إلى الناس[5].

---

(١) المنتظم ٩/ ٢٤٥ (١٧/ ٢١٩)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١١٠، تاريخ الإسلام ٢٩٨.

(٢) المنتظم ٩/ ٢٤٤ (١٧/ ٢١٧).

(٣) تاريخ حلب ٣٧٤ (٣٩)، تاريخ الزمان ١٣٩، تاريخ مختصر الدول ٢٠٢، زبدة الحلب ٢/ ٢١٩، الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١/ ٥٤، تاريخ الإسلام ٣٠٠، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٢٨.

(٤) المنتظم ٩/ ٢٤٧ (١٧/ ٢٢١).

(٥) المنتظم ١٧/ ٢٢٦، رقم ٣٩٣٢.

وفيها توفّي عبد الله[1] بن الحسن بن أحمد بن الحسن أبو نَعيم بن أبي عليّ الحدّاد الأصبهانيُّ، ومولده سنة ثلاثٍ وستّين وأربعمائة، وهو من أعيان المحدّثين، سافر الكثير في طلب الحديث.

[ذكر عدّة حوادث]

وفيها سار طُغتِكين، صاحب دمشق، إلى حمص، فهجم [على] المدينة ونهبها وأحرق كثيراً منها وحصرها، وصاحبها قرجان[2] بالقلعة، فاستمدّ صاحبها طُغانَ أرسلان، فسار إليه في جَمْعٍ كثير، فعاد طُغتِكين إلى دمشق[3].

وفيها لقي أسطول مصر أسطول البنادقة من الفرنج، فاقتتلوا، وكان الظفر للبنادقة، وأُخذ من أُسطول مصر عدّة قطع، وعاد الباقي سالماً[4].

وفيها سار الأمير محمود بن قراجة، صاحب حماة، إلى حصن أفَامِيَةَ، فهجم على الربَض بغتةً، فأصابه سهم من القلعة في يده، فاشتدّ ألمُهُ، فعاد إلى حمَاة، وقلع الزُّجّ من يده، ثم عملتْ عليه، فمات منه، واستراح أهل عمله من ظُلمه وجوره؛ فلمّا سمع طُغتِكين، صاحب دمشق، الخبر سيّر إلى حمَاة عسكراً، فملكها وصارت في جملة بلاده، ورتّب فيها والياً وعسكراً لحمايتها[5].

---

(١) يقال له «عبد الله» و «عبيد الله». انظر عنه في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٧ هـ.) ص ٤١٤ ـ ٤١٥ رقم ١٣٤.

(٢) في الأصل: «حيرخان».

(٣) ذيل تاريخ دمشق ٢١٠.

(٤) ذيل تاريخ دمشق ٢٠٩.

(٥) تاريخ حلب للعظيمي (بتحقيق زعرور) ٣٧٣ (وتحقيق سويم) ٣٥، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٧، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٢٧ هـ.) ص ٣٠٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣١.

٥١٨
ثم دخلت سنة ثماني عشرة وخمسمائة

ذكر قتل بَلك بن بهرام بن أُرتق وملك تمرتاش[١] حلب

في هذه السنة، في صفر، قبض بَلك بن بهرام بن أُرتُق، صاحب حلب، على الأمير حسّان البعلبكّيّ، صاحب مَنبِج، وسار إليها فحصرها، فملك المدينة، وحصر القلعة، فامتنعت عليه، فسار الفرنج إليه ليرحّلوه عنها لئلاّ يقوى بأخذها، فلمّا قاربوه ترك على القلعة من يحصرها، وسار في باقي عسكره إلى الفرنج، فلقيهم وقاتلهم، فكسرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً، وعاد إلى مَنبِج فحصرها، فبينما هو يقاتل من بها أتاه سهم فقتله، لا يُدرَى من رماه، واضطّرب عسكره، وتفرّقوا، وخلص حسّان من الحبس، فكان حُسام الدين تمرتاش[١] بن إيلغازي بن أُرتُق مع ابن عمّه بَلك، فحمله مقتولاً إلى ظاهر حلب، وتسلّمها في العشرين من ربيع الأوّل من هذه السنة، وزال الحصار عن قلعة مَنبج، وعاد إليها صاحبها حسّان، واستقرّ تمرتاش بحلب واستولى عليها.

ثم إنّه جعل فيها نائباً له يثق به[٢]، ورتّب عنده ما يحتاج إليه من جُندٍ وغيرهم وعاد إلى ماردين، لأنّه رأى الشام كثيرة الحرب مع الفرنج، وكان رجلاً يحبّ الدَّعَة والرّفاهة، فلمّا عاد إلى ماردين أُخذت حلب منه، على ما نذكره إن شاء الله تعالى[٣].

---

(١) في الأوربية: «تمرتاس».

(٢) في الأوربية: «إليه».

(٣) تاريخ حلب ٣٧٤ (٣٩)، تاريخ الزمان ١٣٩، تاريخ مختصر الدول ٢٠٢، زبدة الحلب ٢/٢١٩، الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١/٥٤، تاريخ الإسلام ٣٠٠، النجوم الزاهرة ٥/٢٢٨.

ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام

كانت مدينة صور للخلفاء العلويّين بمصر، ولم تزل كذلك إلى سنة ستّ وخمسمائة، فكان بها والٍ من جهة الأفضل أمير الجيوش، وزير الآمر بأحكام الله العلويّ، يلقّب عزّ الملك، وكان الفرنج قد حصروها، وضيّقوا عليها، ونهبوا بلدها غير مرّةٍ، فلمّا كانت سنة ستّ تجهّز ملك الفرنج، وجمع عساكره ليسير إلى صور، فخافهم أهل صور، فأرسلوا إلى أتابك طُغتِكين، صاحب دمشق، يطلبون منه أن يرسل إليهم أميراً من عنده يتولّاهم ويحميهم، ويكون البلد له، وقالوا له: إن أرسلتَ إلينا والياً، وعسكراً، وإلاّ سلّمنا البلد إلى الفرنج؛ فسيّر إليهم عسكراً، وجعل عندهم والياً اسمه مسعود، وكان شهماً، شجاعاً، عارفاً بالحرب ومكايدها، وأمدّه بعسكر، وسيّر إليهم ميرة ومالاً[1] فرّقه فيهم.

وطابت نفوس أهل البلد، ولم تُغيّر الخطبة للآمر، صاحب مصر، ولا السكّة، وكتب إلى الأفضل بمصر يعرّفه صورة الحال، ويقول: متى وصل إليها من مصر من يتولّاها، ويذبّ عنها، سلّمتُها إليه؛ ويطلب أنّ الأسطول لا ينقطع عنها بالرجال والقوّة. فشكره الأفضل على ذلك، وأثنى عليه، وصوّب رأيه فيما فعله، وجهّز أسطولاً، وسيّره إلى صور، فاستقامت أحوال أهلها. ولم يزل كذلك إلى سنة ستّ عشرة، بعد قَتْل الأفضل، فسُيّر إليها أسطول، على جاري العادة، وأمروا المقدّم على الأسطول أن يعمل الحيلة على الأمير مسعود الوالي بصور من قِبل طُغتِكين، ويقبض عليه، ويتسلّم البلد منه.

وكان السبب في ذلك: أنّ أهل صور أكثروا الشكوى منه إلى الآمر بأحكام الله، صاحب مصر، بما يعتمده من مخالفتهم، والإضرار بهم، ففعلوا ذلك، وسار الأسطول فأرسى[2] عند صور، فخرج مسعود إليه للسلام على المقدّم عليه، فلمّا صعِد إلى المركب الذي فيه المقدّم اعتقله، ونزل البلد، واستولى عليه، وعاد الأسطول إلى مصر، وفيه الأمير مسعود، فأُكرم وأُحسن إليه، وأُعيد إلى دمشق.

وأمّا الوالي من قِبَل المصريّين فإنّه طيّب قلوب الناس، وراسل طُغتِكين يخدمه بالدعاء والاعتضاد، وأنّ سبب ما فعل هو شكوى أهل صور من مسعود، فأحسن طُغتِكين الجواب، وبذل من نفسه المساعدة.

---

(١) في الأوربية: «وملاً».

(٢) في الأوربية: «فأرسا».

ولمّا سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور قوي طمعهم فيها، وحدّثوا نفوسهم بملكها، وشرعوا في الجمع والتأهّب للنزول عليها وحَصْرها، فسمع الوالي بها للمصريّين الخبر، فعلم أنّه لا قوّة له، ولا طاقة على دفع الفرنج عنها، لقلّة من بها من الجُند والمِيرة، فأرسل إلى الآمر بذلك، فرأى أن يردّ ولاية صور إلى طُغتِكين، صاحب دمشق، فأرسل إليه بذلك، فملك صور، ورتّب بها من الجُند وغيرهم ما ظنّ فيه كفاية.

وسار الفرنج إليهم ونازلوهم في ربيع الأوّل من هذه السنة، وضيّقوا عليهم، ولازموا القتال، فقلّت الأقوات، وسئم من بها القتال، وضعُفت نفوسهم، وسار طُغتكين إلى بانياس ليقرب منهم، ويذبّ عن البلد، ولعلّ الفرنج إذا رأوا قربه منهم رحلوا، فلم يتحرّكوا، ولزِموا الحصار، فأرسل طُغتِكين إلى مصر يستنجدهم، فلم يُنجدوه، وتمادت الأيّام، وأشرف أهلها على الهلاك، فراسل حينئذٍ طُغتِكين، صاحب دمشق، وقرّر الأمر على أن يسلّم المدينة إليهم، ويمكّنوا من بها من الجُند والرعيّة من الخروج منها بما يقدرون عليه من أموالهم ورحالهم وغيرها، فاستقرّت القاعدة على ذلك، وفُتحت أبواب البلد، وملكه الفرنج، وفارقه أهلُه، وتفرّقوا في البلاد، وحملوا ما أطاقوا، وتركوا ما عجزوا عنه، ولم يعرض الفرنج لأحد منهم، ولم يبق إلاّ الضعيف عجز عن الحركة.

وملك الفرنج البلد في الثالث والعشرين من جُمادى الأولى من السنة، وكان فتحه وهناً عظيماً على المسلمين، فإنّه من أحصن البلاد وأمنعها، فالله يعيده إلى الإسلام، ويقرّ أعين المسلمين بفتحه، بمحمّد وآله[1].

ذكر عزل البُرسقيّ عن شِحنكيّة العراق وولاية يرنقش الزكويّ

في هذه السنة عُزل البرسقيُّ عن شِحنكيّة العراق، ووليها سعد الدولة يرنقش الزكويّ.

---

(١) انظر عن سقوط صور في: تاريخ حلب ٣٧٤ (٣٩)، وذيل تاريخ دمشق ٢١١، وتاريخ الزمان ١٤٠، وتاريخ مختصر الدول ٢٠٢، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١١٣، وأخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٦٤، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٧٠ - ٢٧٢، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٧، والأعلاق الخطيرة ٢/ ١٦٩ - ١٧١، والمغرب ٨٤، والدرّة المضيّة ٤٩٥، ودول الإسلام ٢/ ٤٤، والعبر ٤/ ٤٢، وتاريخ الإسلام ٣٠٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٢، والإعلام والتبيين ٢٤، وتاريخ سلاطين المماليك ٣ (ضمن أخبار فتح عكا)، ومرآة الجنان ٣/ ٢٢٢، واتعاظ الحنفا ٣/ ١٠٧، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٨٢ - ١٨٣، وشذرات الذهب ٤/ ٥٧، وانظر كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ٣٠٤ - ٣٠٩، وفيه مصادر أجنبية أخرى.

وسبب ذلك: أنّ البرسقيَّ نفر عنه المسترشد بالله، فأرسل إلى السلطان محمود يلتمس منه أن يعزل البرسقيَّ عن العراق ويعيده إلى الموصل، فأجابه السلطان إلى ذلك، وأرسل إلى البرسقيّ يأمره بالعود إلى الموصِل، والاشتغال بجهاد الفرنج، فلمّا علم البرسقيّ الخبر شرع في جباية الأموال، ووصل نائب يرنقش، فسلّم إليه البرسقيُّ الأمر، وأرسل السلطان ولداً له صغيراً مع أمّه إلى البرسقيّ ليكون عنده، فلمّا وصل الصغير إلى العراق خرجت العساكر والمواكب إلى لقائه، وحُملت له الإقامات، وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً، وتسلّمه البرسقيُّ، وسار إلى الموصل، وهو ووالدته معه.

ولمّا سار البرسقيُّ إلى الموصل كان عماد الدين زنكي بن آقسنقَر بالبصرة قد سيّره البرسقيُّ إليها ليحميها، فظهر من حمايته لها ما عجب منه الناس، ولم يزل يقصد العرب ويقاتلهم في حِللهم، حتّى أبعدوا إلى البرّ، فأرسل إليه البرسقيُّ يأمره باللحاق به، فقال لأصحابه: قد ضجرنا ممّا نحن فيه: كلّ يوم للموصل أمير جديد، ونريد نخدمه، وقد رأيتُ أن أسير إلى السلطان فأكون معه؛ فأشاروا عليه بذلك، فسار إليه، فقدِم عليه بأصبهان فأكرمه، وأقطعه البصرة وأعاده إليها[1].

ذكر ملك البُرسقيّ مدينة حلب

في هذه السنة، في ذي الحجّة، ملك آقسنقَر البرسقيُّ مدينة حلب وقلعتها.

وسبب ذلك: أنّ الفرنج لمّا ملكوا مدينة صور، على ما ذكرناه، طمعوا، وقويت نفوسهم، وتيقّنوا الاستيلاء على بلاد الشام، واستكثروا من الجموع، ثم وصل إليهم دُبَيْس بن صدقة، صاحب الحِلّة، فأطمعهم طمعاً ثانياً، لا سيّما في حلب، وقال لهم: إنّ أهلها شيعة، وهم يميلون إليّ لأجل المذهب، فمتى رأوني سلّموا البلد إليّ. وبذل لهم على مساعدته بذولاً كثيرة، وقال: إنّني أكون ها هنا نائباً عنكم ومطيعاً لكم. فساروا معه إليها وحصروها، وقاتلوا قتالاً شديداً، ووطّنوا نفوسهم على المقام الطويل، وأنّهم لا يفارقونها حتى يملكوها، وبنوا البيوت لأجل البرد والحرّ.

فلمّا رأى أهلها ذلك ضعفت نفوسهم، وخافوا الهلاك، وظهر لهم من صاحبهم تمرتاش الوهن والعجز، وقلّت الأقوات عندهم، فلمّا رأوا ما دُفِعوا إليه من هذه الأسباب، أعملوا الرأي في طريق يتخصلّون به، فرأوا أنّه ليس لهم غير البرسقيّ،

---

(١) المنتظم ٩/ ٢٤٩ (١٧/ ٢٢٤)، بغية الطلب (قسم السلاجقة) ٢٠٤، تاريخ الإسلام ٣٠١، البداية والنهاية ١٢/ ١٩٤، عيون التواريخ ١٢/ ١٥٥، ويرد: «يرتقش» و «برنقش».

صاحب الموصل، فأرسلوا[1] إليه يستنجدونه ويسألونه المجيء إليهم ليسلّموا البلد إليه. فجمع عساكره وقصدهم، وأرسل إلى من بالبلد، وهو في الطريق؛ يقول: إنّني لا أقدر على الوصول إليكم، والفرنج يقاتلونكم، إلاّ إذا سلّمتم القلعة إلى نوّابي، وصار أصحابي فيها، فإنّني لا أدري ما يقدّره الله تعالىٰ إذا أنا لقيتُ الفرنج، فإن انهزمنا منهم وليست حلب بيد أصحابي حتّى أحتمي أنا وعسكري بها، لم يبق منّا أحد، وحينئذٍ تؤخذ حلب وغيرها.

فأجابوه إلى ذلك، وسلّموا القلعة إلى نوّابه، فلمّا استقرّوا فيها، واستولوا عليها، سار في العساكر التي معه، فلمّا أشرف عليها رحل الفرنج عنها، وهو يراهم، فأراد من في مقدّمة عسكره أن يحمل عليهم، فمنعهم هو بنفسه، وقال: قد كُفينا شرّهم، وحفظنا بلدنا منهم، والمصلحة تَرْكَهُم حتّى يتقرّر أمر حلب ونُصلح حالها ونُكثر ذخائرها، ثم حينئذٍ نقصدهم ونقاتلهم. فلمّا رحل الفرنج خرج أهل حلب ولقوه، وفرحوا به، وأقام عندهم حتّى أصلح الأمور وقرّرها[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة انقطعت الأمطار في العراق، والموصِل، وديار الجزيرة، والشام، وديار بكر، وكثير من البلاد، فقلّت الأقوات، وغلت الأسعار في جميع البلاد، ودام إلى سنة تسع عشرة [وخمسمائة][3].

وفيها وصل منصور بن صدقة أخو دُبَيْس إلى بغداذ تحت الاستظهار فمرض بها، فأحضر الخليفة الأطبّاء وأمرهم بمعالجته، وأحضره عنده، وجُعل في حجرة، وأدخل أصحابه إليه.

وفيها سار دُبَيْس من الشام، بعد رحيله عن حلب، وقصد الملك طُغرل، فأغراه بالخليفة، وأطمعه في العراق، وكان ما نذكره سنة تسع عشرة إن شاء الله تعالىٰ.

وفيها مات الحسن بن الصبّاح، مقدّم الإسماعيليّة، صاحب أَلَمُوتَ، وقد تقدّم من أخباره ما يُعلم به محلّه من الشجاعة والرأي والتجربة.

---

(١) في الأوربية: «فأرسل».

(٢) تاريخ حلب ٣٧٥ (٤٠)، زبدة الحلب ٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ و ٢٢٧ ـ ٢٣٠، بغية الطلب (قسم السلاجقة) ٢٠٥ ـ ٢٠٦ و ٢٢٨ ، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١١٤، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٥، تاريخ الإسلام ٣٠٤، الدرّة المضية ٤٩٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٢.

(٣) انظر: المنتظم ٩/ ٢٤٩ (١٧/ ٢٢٤)، وتاريخ الإسلام ٣٠٢.

وفيها أيضاً توفّي داود ملك الأَبخَازِ[1].

وشمس الدولة بن نجم الدين إيلغازي.

وفيها ثار أهل آمِد بمَن فيها من الإسماعيليّة، وكانوا قد كثُروا، فقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل، فضعُف أمرهم بها بعد هذه الوقعة.

[الوفيات]

وفيها، في صفر، توفّي محمّد بن مرزوق بن عبد الرزّاق الزعفرانيُّ، وهو من أصحاب الخطيب البغداذيّ.

وفيها توفّي أحمد بن عليّ بن برهان[2] أبو الفتح، الفقيه المعروف بابن الحمّاميّ لأنّ أباه كان حمّامياً، وكان حنبليّاً، تفقّه على ابن عُقيل، ثم صار شافعيّاً، وتفقّه على الغزاليّ، والشاشيّ.

---

(1) انظر عن (الملك داود) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٨ هـ.) ٤٢٤ رقم ١٥١، وتاريخ حلب للعظيمي (٣٧٣) (٣٩).

(2) هكذا هنا والبداية والنهاية ١٢/ ١٩٤، وفي المنتظم ١٧/ ٢٢٥ رقم ٣٩٢٨ «تركان».

٥١٩
ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة

ذكر وصول الملك طغرل ودُبَيْس ابن صدقة إلى العراق وعودهما عنه

قد ذكرنا مسير دُبَيْس بن صدقة إلى الملك طُغرل من الشام، فلمّا وصل إليه لقيه، وأكرمه، وأحسن إليه، وجعله من أعيان خواصّه وأمرائه، فحسّن له دُبَيْس قَصْد العراق، وهوّن أمره عليه، وضمن له أنّه يملكه، فسار معه إلى العراق، فوصلوا دَقُوقًا في عساكر كثيرة. فكتب مجاهد الدين بهروز من تَكريت يخبر الخليفة خبرهما، فتجهّز للمسير ومَنْعهما، وأمر يرنقشَ الزكويّ، شِحنة العراق، أن يكون مستعداً للحرب، وجمع العساكر، والأمراء البكجيّة، وغيرهم، فبلغت عدّة العساكر اثني عشر ألفاً سوى الرجّالة، وأهل بغداذ، وفرّق السلاح.

وبرز خامس صفر وبين يدَيْه أرباب الدولة رجّالة، وخرج من باب النصر، وكان قد أمر بفتحه تلك الأيّام، وسمّاه باب النصر، ونزل صحراء الشّمّاسيّة، ونزل يرنقش عند السّبّي، ثم سار فنزل الخالصَ تاسع صفر.

فلمّا سمع طُغرل بخروج الخليفة عدل إلى طريق خُراسان، وتفرّق أصحابه في النهب والفساد، ونزل هُوَ رباط جَلولاء، فسار إليه الوزير جلال الدين بن صدقة في عسكر كثير، فنزل الدَّسكرة، وتوجّه طُغرل ودُبَيْس إلى الهارونيّة، وسار الخليفة فنزل بالدَّسكرة هو والوزير، واستقرّ الأمر بين دُبَيْس وطُغرل أن يسيرا حتّى يعبرا دِيَالَى وتامَرًّا، ويقطعا جسر النَّهروان، ويقيم دُبَيْس ليحفظ المعابر، ويتقدّم طُغرل إلى بغداذ فيملكها وينهبها، فسارا على هذه القاعدة، فعبرا تامرًا، ونزل طُغرل بينه وبين دَيالى.

وسار دُبَيْس على أن يلحقه طُغرل، فقدّر الله تعالىٰ أنّ الملك طُغرل لحِقه حُمّى شديدة، ونزل عليهم من المطر ما لم يشاهدوا مثله، وزادت المياه وجاءت السيول

والخليفة بالدَّسكرة، وسار دُبَيْس في مائتَيْ فارس، وقصد مَعَرّة النَّهروان وهو تَعبان سهران، وقد لقي هو وأصحابه من المطر والبلل ما آذاهم، وليس معهم ما يأكلون، ظنّاً منهم أن طغرل وأصحابه يلحقونهم، فتأخّروا لما ذكرناه، فنزلوا جياعاً قد نالهم البرد، وإذا قد طلع عليهم ثلاثون جملاً تحمل الثياب المخيطة، والعمائم، والأقبية، والقلانس، وغيرها من الملبوس، وتحمل أيضاً أنواع الأطعمة المصنوعة، قد حُملت من بغداذ إلى الخليفة، فأخذ دُبَيْس الجميع، فلبسوا الثياب الجُدد، ونزعوا الثياب النديّة، وأكلوا الطعام، وناموا في الشمس ممّا نالهم تلك الليلة.

وبلغ الخبر أهل بغداذ، فلبسوا السلاح، وبقوا يحرسون اللّيل والنهار[1]، ووصل الخبر إلى الخليفة والعسكر الذين معه أنّ دُبَيْساً قد ملك بغداذ، فرحل من الدَّسكرة، ووقعت الهزيمة على العسكر إلى النَّهروان، وتركوا أثقالهم ملقاة بالطريق لا يلتفت إليها أحد، ولولا أنّ الله تعالىٰ لطف بهم بحمّى الملك طُغرل وتأخّره لكان قد هلك العسكر، والخليفة أيضاً، وأُخذوا، وكانت السواقي مملوءةً بالوحل والماء من السيل، فتمزّقوا، ولو لحقهم مائة فارس لهلكوا.

ووصلت رايات الخليفة، ودُبَيْس وأصحابه نيام، وتقدّم الخليفة، وأشرف على دَيالَى، ودُبَيْس نازل غرب النَّهروان، والجسر ممدود شرق النهروان، فلمّا أبصر دُبَيْس شمسة الخليفة قبّل الأرض بين يدَي الخليفة وقال: أنا العبد المطرود، فيلعفُ أمير المؤمنين عن عبده. فرقّ الخليفة له، وهمّ بصلحه، حتّى وصل الوزير ابن صدقة فثناه عن رأيه، وركب دُبَيْس، ووقف بإزاء عسكر يرنقش الزكويّ يحادثهم ويتماجن معهم، ثم أمر الوزير الرجّالة فعبروا ليمدّوا الجسر آخر النهار، فسار حينئذٍ دُبَيْس عائداً إلى الملك طُغرل، وسيّر الخليفة عسكراً مع الوزير في أثره، وعاد إلى بغداذ فدخلها، وكانت غيبته خمسة وعشرين يوماً.

ثم إنّ الملك طُغرل ودُبَيْساً عادا وسارا إلى السلطان سنجَر، فاجتازا بهمَذان، فقسّطا على أهلها مالاً كثيراً، وأخذاه وغابا في تلك الأعمال، فبلغ خبرهم السلطان محموداً، فجدّ السير إليهم، فانهزموا من بين يدَيْه، وتبعتهم العساكر، فدخلوا خُراسان إلى السلطان سنجَر، وشكوا إليه من الخليفة ويرنقش الزكويّ[2].

---

(١) في الأوربية: «والنها».

(٢) المنتظم ٩/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣ (١٧/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩)، الفخري ٣٠٢، العبر ٤/ ٤٤، تاريخ الإسلام ٣٠٥، مرآة الجنان ٣/ ٢٢٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٩٤ ـ ١٩٥.

ذكر فتح البُرسقيّ كفرطاب وانهزامه من الفرنج

في هذه السنة جمع البرسقيُّ عساكره وسار إلى الشام، وقصد كفرطابَ وحصرها، فملكها من الفرنج، وسار إلى قلعة عَزَازَ، وهي من أعمال حلب من جهة الشمال، وصاحبها جوسلين، فحصرها، فاجتمعت الفرنج، فارسها وراجلها، وقصدوه ليرحّلوه عنها، فلقيهم وضرب معهم مصافاً، واقتتلوا قتالاً شديداً صبروا كلّهم فيه، فانهزم المسلمون وقُتل منهم وأُسر كثير.

وكان عدد القتلى أكثر من ألف قتيل من المسلمين، وعاد منهزماً إلى حلب، فخلّف بها ابنَهُ مسعوداً، وعبر الفرات إلى الموصِل ليجمع العساكر ويعاود القتال[1]، وكان ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ.

ذكر قتل المأمون بن البطائحيّ

في هذه السنة، في رمضان، قبض الآمر بأحكام الله العلويُّ، صاحب مصر، على وزيره أبي عبد الله بن البطائحيّ، الملقّب بالمأمون، وصلبه وإخوته.

وكان ابتداء أمره أنّ أباه كان من جواسيس الأفضل بالعراق، فمات ولم يخلّف شيئاً، فتزوّجت أمّه وتركته فقيراً، فاتّصل بإنسان يتعلّم البناء بمصر، ثم صار يحمل الأمتعة بالسوق الكبير، فدخل مع الحمّالين إلى دار الأفضل أمير الجيوش، مرّة بعد أخرى، فرآه الأفضل خفيفاً رشيقاً، حسن الحركة، حلو الكلام، فأعجبه، فسأل عنه، فقيل هو ابن فلان، فاستخدمه مع الفرّاشين، ثم تقدّم عنده، وكبرت[2] منزلته، وعلت حالته، حتّى صار وزيراً.

وكان كريماً، واسع الصدر، قتّالاً، سفّاكاً للدماء، وكان شديد التحرّز، كثير التطلّع إلى أحوال الناس من العامّة والخاصّة من سائر البلاد: مصر، والشام، والعراق، وكثُر الغمّازون في أيّامه.

وأمّا سبب قتله: فإنّه كان قد أرسل الأمير جعفراً[3] أخا الآمر ليقتل الآمر ويجعله

---

(١) تاريخ حلب للعظيمي ٣٧٥ (٤٠)، زبدة الحلب ٢/ ٢٣١، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٨، تاريخ الإسلام ٣٠٦، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٣.

(٢) في الأوربية: «وكثرت».

(٣) في الأوربية: «جعفر».

خليفة، وتقرّرت القاعدة بينهما على ذلك، فسمع بذلك أبو الحسن بن أبي أُسامة، وكان خِصّيصاً بالآمر، قريباً منه، وقد ناله من الوزير أذًى واطّراح، فحضر عند الآمر وأعلمه الحال، فقبض عليه وصلبه؛ وهذا جزاء من قابل الإحسان بالإساءة(١).

ذكر عدّة حوادث

[الوفيات]

في هذه السنة توفّي شمس الدولة سالم بن مالك(٢)، صاحب قلعة جَعْبَر، وتُعرف قديماً بقلعة دَوْسَر(٣).

وفيها قُتل القاضي أبو سعد محمّد بن نصر بن منصور الهَرَوِيُّ بهمذان، قتله الباطنيّة، وكان قد مضى(٤) إلى خُراسان في رسالة الخليفة إلى السلطان سنجَر، فعاد فقُتل، وكان ذا مروءة غزيرة، وتقدُّم كثير في الدولة السلجوقيّة.

وفي هذه السنة توفّي هلال(٥) بن عبد الرحمٰن بن شُرَيح بن عمر بن أحمد، وهو من ولد بلال بن رباح، مؤذّن رسول الله ﷺ، وكنيته أبو سعد(٦)، طاف البلاد، وسمع وقرأ القرآن، وكان موته بسَمَرْقَنْدَ.

---

(١) انظر عن (البطائحي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٩ هـ.) ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥ رقم ١٦٨، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) تاريخ حلب للعظيمي ٣٧٥ ـ ٣٧٦ (٤١).

(٣) في طبعة صادر: «دُوس»، وهو غلط. والمثبت عن (معجم البلدان ٢/ ٤٨٤).

(٤) في الأوربية: «مضا».

(٥) انظر عن (هلال) في: المنتظم ١٧/ ٢٣٠ رقم ٣٩٣٧، والبداية والنهاية ١٢/ ١٩٥، وفيه «بلال».

(٦) في المنتظم: أبو سعيد.

٥٢٠
ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة

ذكر حرب الفرنج والمسلمين بالأندلس

في هذه السنة عظُم شأن ابن رُدمير الفرنجيّ بالأندلس، واستطال على المسلمين، فخرج في عساكر كثيرة من الفرنج، وجاس في بلاد الإسلام، وخاضها، حتّى وصل إلى قريب قُرْطُبَةَ، وأكثر النهب والسبي والقتل، فاجتمع المسلمون في جيشٍ عظيم زائد الحدّ في الكثرة، وقصدوه، فلم يكن له بهم طاقة، فتحصّن منهم في حصن منيع له اسمه أرنيسول[١]، فحصروه، وكبسهم ليلاً، فانهزم المسلمون، وكثُر القتل فيهم، وعاد إلى بلاده[٢].

ذكر قصد بلاد الإسماعيليّة بخُراسان

في هذه السنة أمر الوزير المختصّ أبو نصر أحمد بن الفضل، وزير السلطان سَنْجَر، بغزو الباطنيّة، وقَتْلهم أين كانوا، وحيثما ظُفر بهم، ونَهْب أموالهم، وسبْي حريمهم، وجهّز جيشاً إلى طُرَيْثِيث، وهي لهم، وجيشاً إلى بَيْهَقَ من أعمال نيسَابور، وكان في هذه الأعمال قرية مخصوصة بهم اسمها طرز[٣]، ومقدّمهم بها إنسان اسمه الحسن بن سمين.

وسيّر إلى كلّ طرف من أعمالهم جمعاً من الجُند، ووصّاهم أن يقتلوا من لقوه منهم، فقصد كلّ طائفة إلى الجهة التي سُيّرت إليها. فأمّا القرية التي بأعمال بَيهَق

(١) في نسخة بودليان: «أزنول»، وفي الباريسية: «أرسول».
(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ٥٢٠ هـ.) ص ٣١١.
(٣) في نسخة بودليان: «طور»، وفي الباريسية: طرر».

فقصدها العسكر، فقتلوا كلّ من بها، وهرب مقدّمهم، وصعِد منارة المسجد وألقى نفسه منها فهلك؛ وكذلك العسكر المنفَذ إلى طُرَيْثِيث قتَلوا من أهلها فأكثروا، وغنموا من أموالهم وعادوا[١].

ذكر ملك الإسماعيليّة قلعة بانياس

في هذه السنة عظُم أمر الإسماعيليّة بالشام، وقويت شوكتهم، وملكوا بانياس في ذي القعدة منها.

وسبب ذلك أنّ بهرام ابن أخت الأسداباذيّ، لمّا قُتل خاله ببغداذ، كما ذكرناه، هرب إلى الشام، وصار داعي الإسماعيليّة فيه؛ وكان يتردّد في البلاد، ويدعو أوباش الناس وطُغامهم إلى مذهبه، فاستجاب له منهم مَنْ لا عقل له، فكثُر جَمْعُه، إلاّ أنّه يُخفي شخصه فلا يُعرف، وأقام بحلب مُدّةً، ونَفَر إلى[٢] إيلغازي صاحبها.

وأراد إيلغازي أن يعتضد به لاتّقاء الناس شرّه وشرّ أصحابه، لأنّهم كانوا يقتلون كلَّ من خالفهم، وقصد من يتمسّك بهم، وأشار إيلغازي على طُغتِكين، صاحب دمشق، بأن يجعله عنده لهذا السبب، فقبِل رأيه، وأخذه إليه، فأظهر حينئذٍ شخصه، وأعلن دعوته، فكثُر أتباعه من كلّ من يريد الشرّ والفساد، وأعانه الوزير أبو طاهر بن سعد المرغينانيُّ قصداً للاعتضاد به على ما يريد، فعظُم شرّه واستفحل أمره، وصار أتباعه أضعاف ما كانوا، فلولا أنّ عامّة دمشق يغلب عليهم مذاهب أهل السُّنّة، وأنّهم يشدّدون[٣] عليه فيما ذهب إليه لملك البلد.

ثم إنّ بهرام رأى من أهل دمشق فَظاظة وغلظة عليه، فخاف عاديتهم، فطلب من طُغتِكين حصناً يأوِي إليه وهو ومن اتّبعه، فأشار الوزير بتسليم قلعة بانياس إليه، فسُلّمتْ إليه، فلمّا سار إليها اجتمع إليه أصحابه من كلّ ناحية، فعظُم حينئذٍ خطْبه، وجلّت المحنة بظهوره، واشتدّ الحال على الفقهاء والعلماء وأهل الدّين، لا سيّما أهل السُّنّة والسّتر والسلامة، إلاّ أنّهم لا يقدرون على أن ينطقوا بحرفٍ واحدٍ، خوفاً من سلطانهم أوّلاً، ومن شرّ الإسماعيليّة ثانياً، فلم يقدم أحد على إنكار هذه الحال، فانتظروا بهم الدوائر[٤].

---

(١) تاريخ حلب (٣٧٦) (٤٢)، تاريخ الإسلام (٥٢٠ هـ.) ص ٣١١.
(٢) في الأوربية: «ونفق على».
(٣) في الأوربية: «يشددوا».
(٤) ذيل تاريخ دمشق ٢١٥، تاريخ الإسلام (٥٢٠ هـ.) ص ٣١٢، مرآة الزمان ج ٨ ق ١١٨/١ ـ ١١٩، =

ذكر قتل البُرسقيّ وملك ابنه عزّ الدين مسعود

في هذه السنة، ثامن ذي القعدة، قُتل قسيم الدولة آقسنقَر البرسقيُّ، صاحب الموصِل، بمدينة الموصِل، قتلته الباطنيّة يوم جمعة بالجامع، وكان يصلّي الجمعة مع العامّة، وكان قد رأى تلك الليلة في منامه أنّ عدّةً من الكلاب ثارت به، فقتل بعضها، ونال منه الباقي ما آذاه، فقصّ رؤياه على أصحابه، فأشاروا عليه بترك الخروج من داره عدّة أيّام، فقال: لا أترك الجمعة لشيء أبداً؛ فغلبوا على رأيه، ومنعوه من قصد الجمعة، فعزم على ذلك، فأخذ المُصحف يقرأ فيه، فأوّل ما رأى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾[1]؛ فركب إلى الجامع على عادته، وكان يصلّي في الصفّ الأوّل، فوثب عليه بضعة عشر نفساً عدّة الكلاب التي رآها، فجرحوه بالسكاكين، فجرح هو بيده ثلاثة، وقُتل رحمه الله.

وكان مملوكاً تركيّاً، خيّراً، يحبّ أهل العلم والصالحين، ويرى[2] العدل ويفعله، وكان من خير الولاة يحافظ على الصلوات في أوقاتها، ويصلّي من الليل متهجّداً.

حكى لي والدي، رحمه الله، عن بعض من كان يخدمه قال: كنتُ فرّاشاً معه، فكان يصلّي كلّ ليلة كثيراً، وكان يتوضّأ هو بنفسه، ولا يستعين بأحد، ولقد رأيتُه في بعض ليالي الشتاء بالموصِل، وقد قام من فراشه، وعليه فرجيّة صغيرة وبْر، وبيده إبريق، فمشى[3] نحو دجلة ليأخذ ماء، فمنعني البرد من القيام، ثم إنّني خفتُهُ، فقمتُ إلى بين يدَيْه لآخذ الإبريق منه، فمنعني وقال: يا مِسكين! ارجع إلى مكانك، فإنّه برد؛ فاجتهدت لآخذ الإبريق، فلم يُعطني، وردّني إلى مكاني، ثم توضّأ وقام يصلّي.

ولمّا قُتل كان ابنه عزّ الدين بحلب يحفظها من الفرنج، فأرسل إليه أصحاب أبيه بالخبر، فسار إلى الموصِل ودخلها أوّل ذي الحجّة، وأحسن إلى أصحاب أبيه بها، وأقرّ وزيره المؤيّدَ أبا غالب بن عبد الخالق بن عبد الرزّاق على وزارته، وأطاعه الأمراء والأجناد، وانحدر إلى خدمة السلطان محمود، فأحسن إليه وأعاده، ولم يختلف عليه أحد من أهل بلاد أبيه.

= أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٧٠، الكواكب الدرّية ٩١، إتعاظ الحنفا ٣/ ١٢١ (حوادث ٥٢٢ هـ.)، المقفّى الكبير ٢/ ٥١٧.

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٨.

(٢) في الأوربية: «درى».

(٣) في الأوربية: «فمشا».

ووقع البحث عن حال الباطنيّة، والاستقصاء عن أخبارهم، فقيل إنّهم كانوا يجلسون إلى إسكافٍ بدرب إيليا، فأُحضر ووُعد الإحسان إن أقرّ، فلم يقرّ، فهُدّد بالقتل، فقال: إنّهم وردوا من سنين لقتله، فلم يتمكّنوا منه إلى الآن؛ فقُطعت يداه ورِجلاه وذكَرُهُ، ورُجم بالحجارة فمات.

ومن العجب أنّ صاحب أنطاكية أرسل إلى عزّ الدين بن البُرسقيّ يخبره بقتل والده قبل أن يصل إليه الخبر، وكان قد سمعه الفرنج قبله لشدّة عنايتهم[1] بمعرفة الأحوال الإسلاميّة.

ولمّا استقرّ عزّ الدين في الولاية قبض على الأمير بابكر بن ميكائيل، وهو من أكابِر الأمراء، وطلب منه أن يسلّم ابن أخيه قلعة إربل إلى الأمير فضل وأبي عليّ، ابنَيْ أبي الهيجاء، وكان ابن أخيه قد أخذها منه سنة سبع عشرة [وخمسمائة]، فراسل ابن أخيه، فسلّم إربل إلى المذكورَيْن[2].

ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله والسلطان محمود

كان قد جرى بين يرنقش الزكويّ، شِحنة بغداذ، وبين نوّاب الخليفة المسترشد بالله نفرة تهدّده الخليفة فيها، فخافه على نفسه، فسار عن بغداذ إلى السلطان محمود في رجب من هذه السنة، وشكا إليه، وحذّره جانب الخليفة، وأعلمه أنّه قد قاد العساكر، ولقي الحروب، وقويت نفسه، ومتى لم تعاجلْه بقصد العراق ودخول بغداذ، ازداد قوّةً وجمعاً[3]، ومنعه عنه، وحينئذٍ يتعذّر عليه ما هو الآن بيده.

فتوجّه السلطان نحو العراق، فأرسل إليه الخليفة يعرّفه ما هي البلاد وأهلها عليه من الضعف والوهن، بسبب دُبَيْس، وإفساد عسكره فيها، وأنّ الغلاء قد اشتدّ بالناس لعدم الغلاّت والأقوات، لهرب الأكرة عن بلادهم، ويطلب منه أن يتأخّر هذه الدفعة إلى أن ينصلح حال البلاد ثم يعود إليها، فلا مانع له عنها؛ وبذل له على ذلك مالاً كثيراً.

فلمّا سمع السلطان هذه الرسالة قوي عنده ما قرّره الزكويُّ، وأبى أن يجيب إلى التأخّر، وصمّم العزم وسار إليها مُجِدّاً. فلمّا بلغ الخليفة الخبر عبر هو وأهله وحُرَمه

---

(١) في الأوربية: «عنايته».

(٢) انظر عن مقتل البرسقي في: تاريخ الإسلام (٥٢٠ هـ.) ص ٣١١، وفيه مصادر كثيرة.

(٣) في الأوربية: «وجماً».

ومَنْ عنده من أولاد الخلفاء إلى الجانب الغربيّ في ذي القعدة، مُظهراً للغضب والانتزاح عن بغداذ إنْ قصدها السلطان، فلمّا خرج من داره بكى[1] الناس جميعهم بكاء عظيماً لم يشاهد مثله. فلمّا علم السلطان ذلك اشتدّ عليه، وبلغ منه كلّ مبلغ، فأرسل يستعطف الخليفة، ويسأله العَود إلى داره، فأعاد الجواب أنّه لا بدّ من عَودك هذه الدفعة، فإنّ الناس هلكى بشدّة الغلاء، وخراب البلاد، وأنّه لا يرى في دينه أن يزداد ما بهم، وهو يشاهدهم، فإنْ عاد السلطان، وإلاّ رحل هو عن العراق لئلاّ يشاهد ما يلقى الناسُ بمجيء العساكر.

فغضب السلطان لقوله، ورحل نحو بغداذ، وأقام الخليفة بالجانب الغربيّ، فلمّا حضر عيد الأضحى خطب النّاسَ، وصلّى بهم، فبكى الناس لخطبته، وأرسل عفيفاً الخادم، وهو من خواصّه، في عسكر إلى واسط ليمنع عنها نوّاب السلطان فأرسل السلطان إليه عماد الدين زنكي بن آقسنقَر، وكان له حينئذٍ البصرة، وقد فارق البرسقيَّ، واتّصل بالسلطان، فأقطعه البصرة.

فلمّا وصل عفيف إلى واسط سار إليه عماد الدين، فنزل بالجانب الشرقيّ، وكان عفيف بالجانب الغربيّ، فأرسل إليه عماد الدين يحذّره القتال، ويأمره بالانتزاح عنهم، فأبى[2] ولم يفعل فعبر إليه عماد الدين، واقتتلوا، فانهزم عسكر عفيف، وقُتل منهم مقتلة عظيمة، وأُسر مثلهم، وتغافل عن عفيف حتّى نجا لمودّةٍ كانت بينهما.

ثمّ إنّ الخليفة جمع السفن جميعها إليه، وسدّ أبواب دار الخلافة سوى باب النُّوبيّ، وأمر حاجب الباب ابن الصاحب بالمقام فيه لحِفظ الدار، ولم يبق من حواشي الخليفة بالجانب الشرقيّ سواه.

ووصل السلطان إلى بغداذ في العشرين من ذي الحجّة، ونزل بباب الشمّاسيّة، ودخل بعض عسكره إلى بغداذ ونزلوا في دور الناس، فشكا الناس ذلك إلى السلطان، فأمر بإخراجهم، وبقي فيها من له دار، وبقي السلطان يراسل الخليفة بالعود، ويطلب الصُّلح، وهو يمتنع.

وكان يجري بين العسكرَيْن مناوشة، والعامّة من الجانب الغربيّ يسبّون السلطان أفحش سب. ثم إنّ جماعة من عسكر السلطان دخلوا دار الخلافة، ونهبوا التاج،

---

(1) في الأوربية: «بكا».
(2) في الأوربية: «فأبا».

وحُجَر الخليفة، أوّل المحرّم سنة إحدى وعشرين [وخمسمائة]، وضجّ أهلُ بغداذ من ذلك، فاجتمعوا ونادوا الغزاة، فأقبلوا من كلّ ناحية، ولمّا رآهم الخليفة خرج من السُّرادق والشمسة على رأسه، والوزير بين يدَيْه، وأمر بضرب الكوسات والبوقات، ونادى بأعلى صوته: يا آل هاشم! وأمر بتقديم السفن، ونصب الجسر وعبر الناس دفعةً واحدةً، وكان له في الدار ألف رجل مختفين في السراديب، فظهروا، وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب، فأُسر منهم جماعة من الأمراء، ونهب العامّة دار وزير السلطان، ودور جماعة من الأمراء، ودار عزيز الدين المستوفي، ودار الحكيم أوحد الزمان الطبيب، وقُتل منهم خلق كثير في الدروب.

ثم عبر الخليفة إلى الجانب الشرقيّ، ومعه ثلاثين ألف مقاتل من أهل بغداذ والسواد، وأمر بحفر الخنادق، فحُفرت بالليل، وحفظوا بغداذ من عسكر السلطان، ووقع الغلاء عند العسكر، واشتدّ الأمر عليهم، وكان القتال كلّ يوم عليهم عند أبواب البلد وعلى شاطئ دجلة، وعزم عسكر الخليفة على أن يكبسوا عسكر السلطان، فغدر بهم الأمير أبو الهيجاء الكرديُّ، صاحب إربل، وخرج كأنّه يريد القتال، فالتحق هو وعسكره بالسلطان.

وكان السلطان قد أرسل إلى عماد الدين بواسط يأمره أن يحضر هو بنفسه، ومعه المقاتلة في السفن، وعلى الدوابّ في البرّ، فجمع كلّ سفينة في البصرة إلى بغداذ، وشحنها بالرجال المقاتلة، وأكثر من السلاح، وأصعد، فلمّا قارب بغداذ أمر كلّ من معه في السفن وفي البرّ بلبس السلاح، وإظهار ما عندهم من الجَلَد والنهضة، فسارت السفن في الماء، والعسكر في البرّ على شاطئ دجلة قد انتشروا وملأُوا الأرض برّاً وبحراً، فرأى الناس منظراً عجيباً، كبُر في أعينهم، وملأ صدورهم، وركب السلطان والعسكر إلى لقائهم، فنظروا إلى ما [لم] يروا مثله، وعظُم عماد الدين في أعينهم، وعزم السلطان على قتال بغداذ حينئذٍ، والجدّ في ذلك في البرّ والماء. فلمّا رأى الإمام المسترشد بالله الأمر على هذه الصورة، وخروج الأمير أبي الهيجاء من عنده، أجاب إلى الصلح، وتردّدت الرسل بينهما، فاصطلحا، واعتذر السلطان ممّا جرى، وكان حليماً يسمع سبّه بأُذُنه فلا يعاقب عليه، وعفا عن أهل بغداذ جميعهم.

وكان أعداء الخليفة يشيرون على السلطان بإحراق بغداذ، فلم يفعل، وقال: لا تساوي الدنيا فعل مثل هذا. وأقام ببغداذ إلى رابع شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين [وخمسمائة]، وحمل الخليفة من المال إليه كما استقرّت القاعدة عليه، وأهدى له

سلاحاً وخيلاً وغير ذلك، فمرض السلطان ببغداذ، فأشار عليه الأطبّاء بمفارقتها، فرحل إلى هَمَذَان، فلمّا وصلها عوفي[١].

ذكر مصافّ بين طغتكين أتابك والفرنج بالشام

في هذه السنة اجتمعت الفرنج وملوكها وقمامصتها وكنودها وساروا إلى نواحي دمشق، فنزلوا بمرج الصُّفَّر عند قرية يقال لها سَقْبَا[٢] بالقرب من دمشق، فعظُم الأمر على المسلمين واشتدّ خوفهم، وكاتب طُغتِكين أتابك صاحبها أُمراء التركمان من ديار بكر وغيرها وجمعهم. وكان هو قد سار عن دمشق إلى جهة الفرنج، واستخلف بها ابنه تاج الملوك بوري فكان بها، كلما جاءت طائفة أحسن ضيافتهم وسيّرهم إلى أبيه، فلمّا اجتمعوا سار بهم طُغتكين إلى الفرنج، فالتقوا أواخر ذي الحجّة واقتتلوا، واشتدّ القتال، فسقط طُغتِكين عن فرسه، فظنّ أصحابه أنّه قُتل، فانهزموا وركب طُغتكين فرسه ولحِقهم، وتبِعهم الفرنج، وبقي التركمان لم يقدروا أن يلحقوا بالمسلمين في الهزيمة فتخلّفوا، فلمّا رأوا فرسان الفرنج قد تبِعوا المنهزمين، وأنّ معسكرهم وراجلهم ليس له مانع ولا حام، حملوا على الرجّالة فقتلوهم، ولم يسلم منهم إلاّ الشريد، ونهبوا معسكر الفرنج وخيامهم وأموالهم وجميع ما معهم. وفي جملته كنيسة وفيها من الذهب والجواهر ما لا يقوَّم كثرةً، فنهبوا ذلك جميعه، وعادوا إلى دمشق سالمين لم يُعدم منهم أحدٌ. ولمّا رجع الفرنج من أثر المنهزمين ورأوا رجّالتهم قتْلَى وأموالهم منهوبة تمّوا منهزمين لا يلوي الأخ على أخيه، وكان هذا من الغريب أنّ طائفتَيْن تنهزمان[٣] كلّ واحدة منهما من صاحبتها.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة حصر الفرنج رَفَنِيَةَ من أرض الشام، وهي بيد المسلمين، وضيّقوا عليها فملكوها[٤].

وفيها توفّي أبو الفتح أحمد بن محمّد بن محمّد الغزالي[٥]، الواعظ، وهو أخو

---

(١) تاريخ دولة آل سلجوق ١٤١، تاريخ الإسلام (٥٢٠ هـ.) ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

(٢) في طبعة صادر ١٠/٦٣٩: «سقحبا»، والتصحيح من: معجم البلدان ٣/٢٢٦.

(٣) في الأوربية: «ينهزمان».

(٤) تاريخ حلب للعظيمي ٣٧٦ (٤١)

(٥) انظر عن (الغزالي) في: المنتظم ١٧/٢٣٧ ـ ٢٤٠ رقم ٣٩٣٩، والبداية والنهاية ١٢/١٩٦، وشذرات الذهب ٤/ ٦٠.

الإمام أبي حامد محمّد، وقد ذمّه أبو الفرج بن الجوزيّ بأشياء كثيرة منها: روايته في وعظه الأحاديث التي ليست له بصحيحة، والعجب أنّه يقدح فيه بهذا، وتصانيفه هو ووعْظه محشوّ به، مَمْلُوءٌ[1] منه، نسأل الله أن يعيذنا من الوقيعة في الناس، ثم يا ليت شِعري أما كان للغزاليّ حسنة تُذكر مع ما ذكر من المساوىء التي نسبها إليه، لئلاّ يُنسب إلى الهوى والغَرَض؟

حتى هنا نهاية الجزء الثامن
ويليه الجزء التاسع

(١) في الأوربية: «مملوّ».

(بعون الله وتوفيقه تمّ التصحيح والتعليق على المجلّد الثامن من الكامل في التاريخ لابن الأثير، على يد طالب العلم «عمر بن عبد السلام تدمري» الطرابلسي المولد والوطن، الأستاذ الدكتور في الجامعة اللبنانية، وذلك صباح يوم الخميس ٢٠ من محرّم ١٤١٦ هـ/ ٦ حزيران (يونيو) ١٩٩٦ م).

الفهرس العام للمجلّد الثامن من
الكامل في التاريخ

(سنة ٤٣٢ هـ.)

(سنة ٤٣٣ هـ.)

(سنة ٤٣٤ هـ.)

(سنة ٤٣٥ هـ.)

(سنة ٤٣٦ هـ.)

(سنة ٤٣٧ هـ.)

(سنة ٤٣٨ هـ.)

(سنة ٤٣٩ هـ.)

(سنة ٤٤٠ هـ.)

(سنة ٤٤١ هـ.)

(سنة ٤٤٢ هـ.)

(سنة ٤٤٣ هـ.)

(سنة ٤٤٤ هـ.)

(سنة ٤٤٨ هـ.)

(سنة ٤٤٩ هـ.)

(سنة ٤٥٠ هـ.)

(سنة ٤٥١ هـ.)

(سنة ٤٥٢ هـ.)

(سنة ٤٥٣ هـ.)

(سنة ٤٥٤ هـ.)

(سنة٤٥٥ هـ.)

(سنة ٤٥٦ هـ.)

(سنة ٤٥٧ هـ.)

(سنة ٤٥٨ هـ.)

(سنة ٤٥٩ هـ.)

(سنة ٤٦٠ هـ.)

(سنة ٤٦١ هـ.)

(سنة ٤٦٢ هـ.)

(سنة ٤٦٣ هـ.)

(سنة ٤٦٤ هـ.)

(سنة ٤٦٥ هـ.)

(سنة ٤٦٦ هـ.)

(سنة ٤٦٧ هـ.)

(سنة ٤٦٨ هـ.)

(سنة ٤٦٩ هـ.)

(سنة ٤٧٠ هـ.)

(سنة ٤٧١ هـ.)

(سنة ٤٧٢ هـ.)

(سنة ٤٧٣ هـ.)

(سنة ٤٧٤ هـ.)

(سنة ٤٧٥ هـ.)

(سنة ٤٧٦ هـ.)

(سنة ٤٧٧ هـ.)

(سنة ٤٧٨ هـ.)

(سنة ٤٩٢ هـ.)

(سنة ٤٩٣ هـ.)

(سنة ٤٩٤ هـ.)

(سنة ٤٩٥ هـ.)

(سنة ٤٩٦ هـ.)

(سنة ٤٩٧ هـ.)

(سنة ٤٩٨ هـ.)

(سنة ٤٩٩ هـ.)

(سنة ٥٠٠ هـ.)

(سنة ٥٠١ هـ.)

(سنة ٥٠٢ هـ.)

(سنة ٥٠٣ هـ.)

(سنة ٥٠٩ هـ.)

(سنة ٥١٠ هـ.)

(سنة ٥١١ هـ.)

(سنة ٥١٢ هـ.)

(سنة ٥١٣ هـ.)

(سنة ٥١٤ هـ.)

(سنة ٥١٥ هـ.)

(سنة ٥١٦ هـ.)

(سنة ٥١٧ هـ.)